مكتبة 411

مذكرات

يوميات الكونتيسة صوفيا تولستايا

(زوجة ليف تولستوي)



ترجمة: عبدالله حبه

يوميات الكونتيسة
صوفيا تولستايا



اسم المؤلف: صوفيا تولستايا

عنوان الكتاب: يوميات الكونتيسة صوفيا تولستايا

ترجمة: عبدالله حبه

تصميم الغلاف: ماجد الماجدي

الناشر: دار المدى

الطبعة الأولى: 2018

Author: **Sophia Tolstaya**

Title: **The diaries of Sofia Tolstaya**

Translated by: **Abdullah Haba**

Cover Designed by: **Majed Al–Majedy**

P.C.: **Al – Mada**

First Edition: **2018**

Translation of this publication and the creation of its layout were carried out with the financial support of the Federal Agency for Press and Mass Communication under the federal target program «Culture of Russia (2012 – 2018).»





للإعلام والثقافة والفنون

Al-mada for media, culture and arts

بغداد: حي أبو نواس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141

Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141

www.almada-group.com email: info@almada-group.com

+ 964 (0) 770 2799 999
+ 964 (0) 770 8080 800
+ 964 (0) 790 1919 290

بيروت: الحمرا- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الأول

dar@almada-group.com

+ 961 706 15017
+ 961 175 2616
+ 961 175 2617

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار

al-madahouse@net.sy

ص.ب: 8272

+ 963 11 232 2278
+ 963 11 232 2275
+ 963 11 232 2289

يوميات الكونتيسة

صوفيا تولستايا

(زوجة ليف تولستوي)

مكتبة | 411

ترجمة : عبدالله حبه

مقدمة

«ليسامح الناس تلك المرأة التي ربما كانت عاجزة، منذ أعوام الشباب، عن أن تحمل على كتفيها الضعيفتين تلك المهمة الرفيعة - أن تكون زوجة رجل عبقري وإنسان عظيم».

هذا ما كتبته صوفيا أندرييفنا تولستايا في عام 1913م عقب وفاة زوجها كاتب روسيا الكبير ليف تولستوي، بعد أن عاشت حوالي نصف قرن إلى جانبه، وشاطرته صعوبات الحياة في المجتمع القيصري المتزمت، وفي صعوده سلم المجد حتى أصبح من أشهر كتاب روسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. إن اليوميات هي بمثابة رواية للأحداث اليومية التي تجسد خصال الكاتب وموقف زوجته من سلوكاته معها ومع الآخرين، وأفكاره الطليعية في ذلك الزمان، ومعاناتها بسبب هذا كله.

إنها تزوجت الكونت ليف تولستوي في عام 1862م، وأصبحت تحمل لقب كونتيسة، حين كانت في سن 18 عاماً، بعد أن شبّت بلا هموم في كنف أبيها اندريه بيرس طبيب الأسرة القيصرية الذي عاش مع أسرته في شقة حكومية في داخل الكرملين. واكتسبت صوفيا الكثير من العادات الأرستقراطية وحصلت على تعليم جيد من إجادة ثلاث لغات أجنبية، هي الفرنسية والإنجليزية والألمانية، والعزف على البيانو، ناهيك عن الاطلاع على الآداب العالمية. واتسمت بطبيعة شاعرية وبمواهب عدة تركت أثرها في العلاقات مع زوجها لاحقاً حيث أحبت صوفيا سحر الطبيعة في الريف الروسي، كما أحبت الموسيقى والفن عموماً، وخالفت زوجها في تقييمه للفنون الذي ورد في كتابه «حول الفن».

وكان تولستوي قد أصبح آنذاك كاتباً معروفاً ونافس حتى تورجينيف في

الشهرة، وترجمت أعماله إلى اللغات الأجنبية. وقد شق طريقه في ميدان الأدب بعد تجارب حياتية قاسية منها الخدمة في الجيش والمشاركة في حرب القرم ومن ثم في القوقاز بصفة ضابط مدفعية، وعرف كل مساوئ حياة الضباط آنذاك من سكر وعربدة ومعاشرة الغجر وبنات الهوى ولعب القمار. وقد خسر ليف تولستوي جزءاً من ممتلكاته في جلسات القمار هذه. وفي تلك الفترة دوّن تولستوي في يومياته التي أعطاها بعد الزواج إلى صوفيا والتي تضمنت كل مشاهد حياته آنذاك. وقد فزعت صوفيا لفظاعة الأمور الواردة فيها. وهذا ترك أثره أيضاً في علاقاتها مع زوجها لاحقاً.

لقد أحبت صوفيا زوجها بصدق ومن أعماق القلب، ولهذا كانت مستعدة من أجل كسب حبه للتضحية بكل شيء وحتى برغباتها الشخصية، وذلك لكي تحرر زوجها من كافة المهام العائلية. فأخذت على عاتقها جميع الأعمال البيتية والإدارية والمحاسبة ومراقبة دور النشر بالإضافة إلى استنساخ وإعادة نشر غالبية أعماله الأدبية والفلسفية. وقامت في الواقع بدور المحرر وبمتابعة الإصدارات، والدخول في معارك حقيقية مع الرقابة القيصرية، وحتى قابلت القيصر ألكسندر الثالث راجية رفع الحظر المفروض على الأعمال الكاملة لزوجها وبعض مقالاته. كما أنها تولت مهام خياطة الملابس وتربية الأطفال (حيث ولدت 13 طفلاً توفي أربعة منهم) وتعليمهم في ظروف القرية التي لم توجد فيها مدارس. وعندما أراد تولستوي افتتاح المطاعم الشعبية للجياع في فترة الجوع الذي ساد في بعض مناطق وسط روسيا عمدت صوفيا إلى تنظيم حملة التبرعات وإرسال النقود إلى زوجها الذي تولى مع بناته مهام إغاثة الجياع. زد على ذلك أنها أيّدت زوجها حين تولى مهمة ترحيل أتباع الطوائف الدينية المضطهدة إلى كندا بالرغم من عدم موافقتها من حيث المبدأ على مساعدتهم، لأنه يوجد في روسيا الكثيرون غيرهم ممن يحتاجون إلى المساعدة أكثر منهم. وقالت «إن جميع حياة ليف نيقولايفتش كرست لأناس غرباء وأهداف غريبة عني، بينما جميع حياتي كرست للعائلة».

وقامت صوفيا بكافة الأعمال بغية التخفيف عن زوجها والعناية به لدى المرض، ولكي يتفرغ للتأليف والمطالعة ولقاء أتباعه «السفهاء». وتحملت صوفيا أعباء إطعام الضيوف الكثيرين الذين يتقاطرون يومياً على

الضيعة والبيت من أجل لقاء الكاتب الكبير وتبادل الأحاديث معه أو تقديم التماسات له لكي يساعدهم. ودفعت صوفيا لهذا ثمناً غالياً من المعاناة النفسية والمرض كما يتبين ذلك من سطور اليوميات التي تضمنت الكثير من تفاصيل الحياة اليومية في ضيعة ياسنايا بوليانا وفي بيت العائلة في موسكو. لاسيما الآلام حين تكون حاملاً أو ترضع الأطفال الكثيرين بعد الولادة وتتولى تربيتهم. فقالت: «وهبت كل قواي إلى العائلة، لم أتعلم كما يجب، ولم أتقن أية مهنة، ولم أعرف الناس بقدر كاف، ولم أتعلم منهم شيئاً كثيراً، لكن فات الأوان»... و«لكل إنسان قدره. وقدري أن أكون عنصر خدمة لزوجي الكاتب. وحسناً فعلت: فقد خدمت على أقل تقدير إنساناً جديراً بالتضحية من أجله». من جانب آخر إنها لم تشاطره في الرأي بشأن الكثير من المواقف والأفكار، بالأخص فيما يتعلق بمستقبل الأطفال والبحث عن المحتاجين من فقراء وجياع ومظلومين بغية تقديم المساعدة لهم. ولكنها لم تعتبر ذلك تعبيراً عن الرغبة في كسب أكاليل المجد والشهرة بل في القيام بالأعمال الخيرية حيثما وجدت ضرورة لذلك.

ويجد القارئ في اليوميات، المكتوبة بشكل جمل متقطعة ومتداعية مثل توارد الخواطر، وصفاً دقيقاً لمعاناة ليف تولستوي نفسه لدى كتابة أعماله وتعامله مع الناشرين، ومدى تأثره بالأدب الإنجليزي والأوروبي ولاسيما ديكنز. بالإضافة إلى ما عاناه من «صراع» دائم مع زوجته التي عارضت تنازله عن الممتلكات وحقوق النشر وحرمان أبنائه من الموارد المالية لصالح الدوخوبوريين[1] و«شاربي الحليب» وغيرهم من أتباع الطوائف الدينية المحظور نشاطها في روسيا. زد على ذلك كابد من غيرته الشديدة بسبب علاقة زوجته الودية بالملحن سيرجي تانييف لإعجابها بموسيقاه وبأسلوبه في العزف. لقد أرادت صوفيا أن يحيا أولادها وبناتها حياة كريمة،

1 – طائفة مسيحية انفصلت عن الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في القرن الثامن عشر. وأتباعها يرفضون الطقوس الكنسية ويؤمنون بأن الرب موجود في روح الإنسان ويرفضون جميع أشكال العنف ولهذا رفضوا الخدمة في الجيش. علماً أن أفكارهم قريبة من أفكار طائفة الكويكر في أوروبا الغربية وأميركا. وقد تعرض أتباعها إلى الاضطهاد من قبل السلطات والكنيسة الرسمية في روسيا، بينما أيدهم ليف تولستوي وساعدهم في الهجرة إلى كندا بجمع التبرعات لهم. (المترجم)

ولهذا كانت تدخل في مشادات دائمة مع زوجها بصدد موارد نشر أعماله في روسيا وخارجها. وتقدم صوفيا أندرييفنا في هذه اليوميات وصفاً دقيقاً لحياتها في الأسرة إلى جانب حياة زوجها ونشاطه الإبداعي.

وأود أن أجذب اهتمام القارئ إلى بعض خصوصيات الأسماء والتسميات الروسية التي قد تخلق تشويشاً لديه. فالروس يستخدمون في التخاطب اسم الشخص واسم أبيه مثلاً «إيفان إيفانوفتش» تعبيراً عن الاحترام. بينما يكثرون من استخدام صيغ التصغير التي قد تكون متباينة بالنسبة إلى اسم واحد فيقال في اسم ليف مثلاً «ليف – ليوفا – ليوفوتشكا» وفي اسم إيفان «فانيا – فانتشكا» واسم «سيرجي – سريوجا» واسم «بيوتر – بيتيا» وهلم جرا. علماً أن اسم ليف منتشر في عائلة تولستوي حيث يتكرر لدى الابن والأحفاد مما قد يولد أيضاً تشوشاً لدى القارئ. وفي بداية اليوميات يرد ذكر الكاتب بلفظة التحبب «ليوفوتشكا» ومن ثم بـ«ل.ن» وفي الأعوام الأخيرة من حياتهما الزوجية تدعوه بصيغة الاحترام «ليف نيقولايفتش». وغالباً ما ترد كلمة «الموجيك» التي كانت في الماضي تُطلق على الفلاحين وكذلك على الجهلة وأصحاب السلوك الغليظ. وكذلك كلمة «داتشا» أي البيت الريفي و«كفاس» أي المشروب غير الكحولي المعروف في الأسواق الشعبية الروسية. بالإضافة إلى ذلك واجه المترجم كثرة تسميات الأعمال الأدبية والأوبرات والمصطلحات الموسيقية وأسماء الشخصيات والأماكن التاريخية الوارد ذكرها في اليوميات. وقد حاول المترجم قدر الإمكان تقديم شروح لها

المترجم

اليوميات

1862 – 1900م

1862

8 أكتوبر. ها أنذا أكتب اليوميات مجدداً، إن هذا أمر يبعث على السأم، حيث تتكرر العادة القديمة في تدوين اليوميات والتي تخليت عنها بعد أن تزوجت. وكان يحدث سابقاً أنني كنت أكتب عندما أشعر بالضيق، والآن أكتب للسبب ذاته.

لقد مضى هذان الأسبوعان عندما تراءى لي أن علاقاتي بزوجي بسيطة، وعلى أي حال كنت أشعر بالخفة، فقد كان زوجي مثل دفتر يومياتي ولم أخف عنه شيئاً.

ولكن منذ يوم أمس حين قال لي إنه لا يصدق حبي له، بدا الأمر فظيعاً. وأنا أعرف السبب الذي يجعله لا يصدق. أعتقد أنني لن أستطيع التحدث أو الكتابة عما أفكر فيه. كنت أحلم دائماً، منذ وقت بعيد، بالإنسان الذي سأحبه، بصفته إنساناً كاملاً وجديداً *ونقياً*. كنت أتصور أنها أحلام الأطفال، التي يصعب التخلي عنها حتى الآن، وأن هذا الإنسان سيكون دوماً تحت سمعي وبصري، وسأعرف أصغر أفكاره، ومشاعره، وسيحبني وحدي دون غيري طوال الحياة، ولن نتخاصم كما يفعل جميع الآخرين، ونغدو بشراً محترمين. لقد كانت جميع هذه الأحلام لطيفة وجذابة. وبفضلها بدا لي كما لو أنني أحب المدعو(ب). صفوة القول إنني حين أحببت أحلامي جعلت (ب) ملحقاً بها.

لم يكن من الصعب أن أغرم به، كما أنني لم أتوقف في حبي أبداً، ومضيت به دوماً قدماً إلى الأمام. والآن حين تزوجت، وجب عليّ أن أعتبر كافة أحلامي السابقة أحلاماً سخيفة، وينبغي نبذها، لكنني لا أستطيع ذلك. إن جميع ماضيه (زوجي) فظيع بالنسبة لي، ويبدو لي أنني لن أتقبله أبداً. إلا أنه حين تنبثق

أهداف أخرى في الحياة، ويولد الأطفال الذين أرغب فيهم جداً، بغية أن يكون لدي مستقبل كامل، وبغية أن أرى أطفالي ضمن هذا الصفاء بدون ذكريات الماضي، وبدون الدناءات، وبدون كل ما أراه الآن في زوجي بمرارة. يجب على المرء أن يفهم بأن ماضيه - هو حياة كاملة فيها آلاف المشاعر الطيبة والسيئة، والتي لا يمكن أن تصبح لي، كما لا يمكن أن تصبح لي فترة شبابه، التي أضاعها من أجل البعض ومن أجل غرض ما. إنه لا يفهم بعد بأنني أمنحه كل شيء لم يستهلك لدي بعد، وأنه لا يمتلك سوى الطفولة فقط. لكنني أصبحت ملكاً له. إن أفضل الذكريات هو - طفولتي، وأول شعوري نحوه، والذي لا أتحمل الذنب في إخماده، ولماذا؟ فهل كان سيئاً ورذيلاً؟ إنه أنفق حياته وقواه حتى بلغ هذا الشعور، بعد أن امتحن الطالح فقط. إنه يتراءى بالنسبة له بعنف، وبصورة جيدة جداً، لقد مضى منذ وقت بعيد ذلك الزمن حين كان بوسعه أن يسير في هذا السبيل القويم الجيد، الذي يسير فيه حالياً. كما وجدت لدي في الماضي أشياء سيئة، لكن ليس بهذا القدر.

إنه يتسلى بمرح في تعذيبي، ويرى كيف أبكي لأنه لا يصدقني. إنه يود أن أحيا حياته نفسها وأن أعاني من القباحة مثله، بغية أن أفهمه بشكل أفضل. إنه يشعر غريزياً بالإساءة لكوني حصلت على السعادة بخفة ويسر، وأنني أخذته من دون تفكير وبلا معاناة وألم. وأنني لن أبكي بسبب الغرور والاعتداد بالنفس. أنا لا أريد أن يرى كيف أتعذب، ودعه يعتقد بأن حياتي تمضي بيسر دائماً. وفي الأمس في بيت جدي هبطت عن قصد من الطابق الأعلى بغية أن أراه، وحين رأيته، غمرني شعور خاص ما بامتلاك القوة والحب. إنني أحببته في تلك اللحظة، وأردت أن أدنو منه، لكن تراءى لي أنني لو لمسته، فسيزول ذلك الشعور الطيب، وسيكون هذا نوعاً من القدسية. لكنني لن أظهر أبداً ولا أستطيع أن أظهر، ما يدور في أعماق نفسي. فلدي الكثير من عزة النفس الحمقاء، حتى إنني لدى رؤية أقل قدر من عدم الثقة أو عدم تفهمي، سأفقد كل شيء. أنا أغضب. فماذا يفعل بي. لكنني أتوارى شيئاً فشيئاً إلى أعماق ذاتي وأسمم حياته. وما أكثر إشفاقي عليه في تلك اللحظات، حين لا يصدقني، وأذرف الدموع من عيني، وأنظر تلك النظرة الوديعة لكن الحزينة. إنني كنت سأخنقه بالحب في تلك اللحظة، بينما تطاردني فكرة: *إنه لا يصدق، لا يصدق.*

وأخذت اليوم، على حين غرة، أشعر بأننا، أنا وهو، نصبح منفردين بأنفسنا أكثر فأكثر، وأنني أخذت أصنع عالمي الحزين الخاص بي، بينما يصنع هو عالمه - الخالي من الثقة والعملي. وفعلاً بدت لي علاقاتنا مبتذلة. ولم أعد أصدق حبه. إنه يقبلني بينما أنا أفكر «إنها ليست أول مرة يتلذذ فيها». فأشعر بالإهانة البالغة والألم لشعوري هذا، الذي لا يتحسسه، وهو الشعور العزيز لدي، لأنه الأخير والأول. وأنا كنت أتمتع أيضاً، ولكن بخيالي، أما هو فتمتع بالنساء ذوات الحيوية والجمال، وذوات الشخصية، والوجه والروح، التي أحبها، وتلذذ بها، كما يتلذذ معي. لقد ولى ذلك بعيداً، حقاً، ليس مني، بل من ماضيه. ماذا بوسعي أن أعمل، وأنا لا أستطيع أن أغفر للرب، لأنه جعل الأمور بشكل بحيث إنهم يصابون بمس *من الجنون قبل* أن يصبحوا بشراً مستقيمين. وماذا بوسعي أن أفعل حين أشعر بالمرارة والألم لكون زوجي قد أدرج ضمن هذه الفئة العامة. بينما هو يعتقد بأنني لا أحبه. ولكن ما العمل إذا لم أكن أحبه، ومن كان يشغل باله من قبل والآن أو الذي سيشغل باله في المستقبل. إن هذا الوضع سيئ ولا مخرج منه. كيف أثبت حبي لرجل تزوجته، وبأنني لا أستطيع أن أفعل غير هذا، بينما يقول هي لا تحبني. وهل توجد لحظة في حياتي الآن، أستعيد فيها شيئاً من الماضي، وأشعر بالأسف لأمر ما، أو توجد لحظة لم أحببه فيها فقط، بل وأمكن أن أفكر فيها بشأن احتمال التخلي عن حبه. وهل يصدق فعلاً أنه يشعر بالارتياح عندما أبكي، وأبدأ بالشعور بقوة أشد بأن العلاقات بيننا ليست بسيطة جداً، والتي تفرق ما بيننا تدريجياً من الناحية الاخلاقية. وهاك... اللعبة - للقطة، والدموع - للفأرة. واللعبة هذه ليست متينة، فتتهاوى - وعندئذ يبكي نفسه. أنا لا أستطيع أن أتحمل، توبيخه وتوبيخه لي ولو قليلاً. إنه كريم، ولطيف. إنه يمتعض إزاء كل ما هو رذيل، ولا يمكن أن يطيقه. وأنا كنت أحب كل ما هو طيب، وأعجب به من أعماق الروح، أما الآن فيبدو كما لو تجمد كل شيء بصورة ما. وحالما ينشرح صدري، يوبخني بلطف.

9 أكتوبر. تصارحنا يوم أمس، وغدا الوضع أسهل، وحتى مرحاً تماماً. وقد تجولنا الآن على صهوة الجياد، ومع ذلك أشعر بالضيق. وراودتني اليوم أحلام ثقيلة، وأنا لا أتذكرها في كل لحظة. وتذكرت اليوم أمي

مجدداً، وتملكني الحزن الشديد، ولكن الأمور طيبة عموماً. أنا لا آسف على الماضي، لكنني سأباركه دوماً. لقد كانت هناك سعادة كثيرة في حياتي. وأظن أن زوجي مطمئن، ويثق بي، إن شاء الرب. أنا أرى، وهذا حق، بأنني أمنحه القليل من السعادة. يبدو وكأنني نائمة ولا أستطيع الاستيقاظ. وإذا ما استيقظت فسأكون إنساناً آخر. فماذا يجب أن أعمل لهذا الغرض؟ أنا لا أعرف. وإذا ما رأى مدى حبي له، عندئذ أستطيع القول، والتحدث إليه، حول مدى حبي له، ولرأيت، كما في الماضي، بوضوح ما يجول في خاطره، ولعرفت كيف سأجعله سعيداً تماماً. يجب، يجب أن أستيقظ بسرعة. إن هذا النوم داهمني منذ أن غادرت في الصيف بوكروفسكويه إلى إيفيتسي. ومن ثم استيقظت خلال فترة ما، ومن ثم عندما انتقلت إلى موسكو غفوت مرة أخرى، ومنذ ذلك الحين لم أصحُ من النوم. إنني أشعر بالضيق لسبب ما. ويتراءى لي طوال الوقت أنني سأموت قريباً. وهذا أمر غريب الآن، لأنه يوجد لدي زوج. إنه لا يسمح لي بولوج عالمه، وهذا ما يحزنني. إن جميع المظاهر الجسدية تبعث لدي النفور.

11 أكتوبر.أنا حزينة للغاية، للغاية. وأنطوي على نفسي أكثر فأكثر. زوجي مريض، ومنزعج، ولا يحبني. أنا كنت أنتظر ذلك، لكنني لم أعتقد بأن هذا سيكون فظيعاً بهذا القدر. فمن يفكر بسعادتي الكبيرة. لا يعرف أحد بأنني لا أحسن صنعها لنفسي وله. ويحدث أن أفكر بحزن: ما معنى الحياة إذا ما كنت أنا تعيسة، بينما الآخرون ليسوا بخير حال. والآن أشعر بالفزع: إذ غالباً ما تراودني هذه الفكرة. إنه يغدو يوماً بعد يوم بارداً أكثر فأكثر، بينما أنا أحبه أكثر فأكثر. إنني سرعان ما أغدو غير قادرةً على تحمل ذلك، إذا ما أصبح بارداً بهذا الشكل. إنه رجل شريف ولن يخدعني. فإذا ما كان لا يحبني، فلن يتكلف، أما إذا كان يحبني فإن كل حركة تنم عن ذلك. وهذا كله يثير قلقي. اليوم راح جريشا يتحدث عن *بابا*، فأشفقت عليه، لأنه ليس ابنه الحقيقي، وحتى أردت أن أبكي. إنني غالباً ما أتذكر أهلي، وكم كانت الحياة معهم هينة، أما الآن فإن روحي كلها تتمزق. لا يحبني أحد: العمة تفعل هذا بحكم الواجب، أما زوجي فيكف عن حبي. أمي العزيزة، وتانيا، ما

ألطفهما، فلم تركتهما. وعذبت ليزا المسكينة، وهذا يحزنني ويؤلمني كثيراً، يا للفظاعة. إن ليوفتشكا رجل رائع، وأنا أشعر بأنني المذنبة في كل شيء، وأنا أخشى أن أظهر له بأنني حزينة، وأعرف أن الكدر الأحمق يبعث السأم لدى زوجي. ويحدث أحياناً أن أطمئن نفسي بالقول إن هذا كله سيزول، وسيمضي، لكن ليس الآن، فلن يمضي أي شيء، بل سيكون الأمر أسوأ. كتب بابا: «إن زوجك يحبك حباً جماً». نعم، حقاً، لقد أحبني *بعاطفة متقدة*، لكن العاطفة المشبوبة تزول، لم ولم يقل هذا أي أحد، فقط أنا فهمت بأنه انجذب لي بحكم الولع ولم يحبني. هذا أمر لم أفكر فيه، وبأنه سيدفع ثمن هذا الولع، إذ سيحيا حياة طويلة، طوال الحياة، مع زوجة لا يحبها. فلماذا قضيت عليه، هو الرجل الظريف الذي يحبه الجميع: إنني انطلقت هذه المرة بروح أنانية حين تزوجته. إنني أنظر إليه وأفكر بم كان يفكر فيّ: «لقد أردت أن أحبها، ولكنني لن أستطيع ذلك أكثر».

هكذا مضى الوقت كله كالحلم. لقد شاكسوني وقالوا: أترين كيف تكون الأمور طيبة، ولا تفكري بهذا. وضاع كل شيء كان لدي سابقاً: الطاقة على العمل، والحياة، والأمور البيتية. كان الأفضل أن أجلس طوال اليوم بلا عمل، وألتزم الصمت وأفكر بالأمور المحزنة. أردت أن أعمل، لكنني لم أستطع ذلك، وما جدوى أن أضع طاقية النوم السخيفة على رأسي التي تضغط عليه فقط. ولدي رغبة شديدة بممارسة العزف، لكن الوضع غير مناسب هنا، فيسمع الصوت في الطابق الأعلى من جميع الأنحاء، أما تحت فآلة البيانو رديئة. اليوم طلب أن أبقى في البيت، بينما سيذهب هو إلى نيقولسكويه. كان يجب أن أوافق، وأن أعفيه من حضوري الشخصي، لكن لم تسعفني قواي. أظن أنه يعزف في الطابق الأعلى عزفاً ثنائياً مع أولجا بأربع أيد. مسكين، إنه يبحث في كل مكان عن تسلية من أجل التخلص مني بشكل ما. لماذا أحيا في هذه الدنيا.

13 نوفمبر. هذا الرقم في التأريخ سيئ – هذا ما جال في خاطري لأول وهلة. أنا أحس باليسر دائماً حين أتحدث معه. باليسر لكوني أنانية وغايتي الحصول عليه والتخفيف عن نفسي.

حقاً، إنني لا أجيد تدبير أموري بنفسي. إنه سعيد لأنه ذكي وموهوب.

أما أنا – فنكرة، ولا شيء آخر. إن الإنسان لا يعيش بالحب وحده، بينما أنا ضيقة التفكير جداً، ولا يتبقى لدي مجال سوى التفكير فيه. إن وضعه الصحي ليس على ما يرام، وأفكر بأنه سيموت، وهكذا تمضي الأفكار السوداء طوال ثلاث ساعات. إنه يبدو مرحاً، بينما أنا أفكر: لكم أتمنى ألا يزول هذا المزاج الرائق، بينما أتمتع بهذا أنا نفسي، ولن أفكر أكثر بشيء آخر. أما لدى غيابه أو انشغاله بعمل ما، فإنني أبدأ مجدداً بالتفكير فيه، والإصغاء إلى وقع خطواته. وفيما إذا جاء، وأتابع تعبير وجهه، إذا ما كان إلى جانبي. حقاً بما أنني حامل، فإن وضعي الآن غير طبيعي وأؤثر فيه قليلاً. وليس من العسير إيجاد عمل ما، فهو كثير، لكن يجب أولاً أن أجد الولع بهذه الأمور الصغيرة. ومن ثم أربي الدجاج وأطنطن على البيانو وأطالع كثيراً من السخافات والقيام بأعمال جيدة قليلاً جداً وتمليح الخيار. أنا أعرف بأن هذا كله سيأتي حين أنسى حياة الفتيات والحياة الخاملة وأنسجم مع الريف. أنا لا أريد أن أنضم إلى التيار العام وأعاني من الضجر، ولا أضيع. أنا لم أرغب في أن يمارس زوجي تأثيراً قوياً أكثر فيّ. والغريب أنني أحبه للغاية، بينما لا أشعر بوجود تأثيره الكبير فيّ. وثمة لحظات نيرة، حينما أدرك كل شيء، وأرى بوضوح مدى روعة الحياة في هذه الدنيا، وما أكثر التزاماتي، وأشعر بالانشراح لوجودها، وبعد هذا سيزول وينسى كل شيء.أنا أعرف وأنتظر متى تحل هذه اللحظة النيرة وتبقى، وعندئذ تبدأ الماكينة بالحركة، وأبدأ بالعيش، أي العيش بنشاط. ولغرابة الأمر فإنني أتطلع إلى هذا كما لو أنه شيء ما عابر، كما أنظر إلى مجيء الأعياد، وحلول الصيف وهلم جرا. أنا غفوت الآن مرة أخرى، وحتى إن الرحلة إلى موسكو والطفل القادم وغير ذلك... أصبحت كلها لا تثير أي قلق وأي بهجة لدي، وأي شيء آخر. وبودي أن أعرف الوسيلة التي يمكن أن تبعث في الحياة وتعيدني إلى اليقظة مكتبة

إنني لم أتلُ الصلوات منذ وقت بعيد. وسابقاً كنت أجد المسرة حتى في التمسك بمظاهر الدين. وكنت أعمد أحياناً بخفية عن الجميع إلى إنارة الشمعة أمام الأيقونة، وأضع الزهور، وأغلق الباب، وأجثو على ركبتي وأصلي فترة ساعة وساعتين. أما الآن فقد أصبح كل هذا شيئاً مضحكاً وسخيفاً، ولكن يحسن تذكره. أصبح كل شيء يتسم بالجد، أما انطباعات

سن الفتوة فهي باقية، وما زال من الصعب التخلي عنها، لكن لا يجوز العودة إليها. إنني بعد بضعة أعوام سأخلق لي عالماً *نسائيًا* جاداً وسأحبه أكثر إذ سأجد فيه الزوج والأطفال الذين أحبهم أكثر من والديي وأخواني. لكن لم يخلق هذا بعد. إنني أتأرجح بين الماضي والحاضر والمستقبل. إن زوجي يحبني كثيراً لدرجة لا تجعله يحدد الاتجاه فوراً، فهذا صعب، وأنا يصيبني الإنهاك، وهو أيضاً يشعر بأنني لست ما كنت عليه سابقاً. صبراً، سأكون امرأة وليست فتاة، وسأستيقظ مجدداً، وهو وأنا – سنكون راضين عني.

أنا على ثقة بأنني سأستعيد في موسكو نشاط حياتي الماضي، وسأدرك الحاضر بجلاء، طبعاً من الجانب الطيب، لأن كل ما هو رذيل ينبعث مني شخصياً. وأرجو فقط أن يتحمل بصبر الفترة الانتقالية التي لا تطاق... ها أنذا وحيدة الآن، أتطلع حوالي بحزن. أنا وحيدة، وهذا شيء فظيع. فأنا لم أعتد ذلك. فما أكثر الحياة في بيتنا، وما أكثر الموت هنا، في غيابه. إنه وحيد دوماً تقريباً، لذا لا يفهم ذلك. لقد اعتاد الوحدة وهو يخفف عنها ليس بمخالطة الناس المقربين، بل بالعمل. وأنا أيضاً سأعتاد على ذلك. والآن أنا لا أسمع أبداً الأصوات المرحة، كما لو أن الجميع قد ماتوا. بينما هو يغضب عندما لا أحب البقاء وحيدة بدونه. إنه على غير حق في هذا، لكنه لا يستطيع تفهم ذلك إذ لم توجد لديه عائلة من قبل. لكنني سأفعل كل ما يروق له لأنه رجل رائع، بينما أنا أسوأ منه بكثير، ولأنني أحبه ولم يتبق لدي شيء غيره. وأشعر أحياناً بالضجر لأن طبيعتي بسيطة، ولا أجد في نفسي القوى الحيوية لأنني اعتدت على الحياة الصاخبة، أما هنا فيسود الصمت، الصمت المطبق. وسأعتاد على ذلك، فالبشر يعتادون على كل شيء. وبمرور الزمن سيكون لدي بيت يسوده المرح والصخب، وسأبدأ الآن العيش مع حياة الأطفال وحياتي الجادة المترعة بالأعمال وأفرح لحيوية الشباب لدى الأبناء، والتي عشتها بنفسي كثيراً.

23 نوفمبر. أنا أشعر بالنفور منه ومن أصحابه. أنا أشعر بأنه إما أنا، أي أنا بصفتي أمثل العائلة، وإما أصحابه الذين يحبونه أي (ل) حباً جارفاً. وهذه أنانية. ليكن كذلك. أنا أحيا من أجله، وأحيا به، وأريد ذلك، وأشعر بالضيق والاختناق هنا. وأنا اليوم هربت لأن كل شيء حوالي أصبح بغيضاً.

العمة والطلاب وناتاليا بتروفنا المربية والجدران والحياة، وكدت أقهقه من الفرح عندما هربت من البيت لوحدي بهدوء. علماً أن(ل) لم يكن كريهاً بالنسبة لي، لكنني أحسست على حين غرة بأننا، أنا وهو، نقف على جانبين مختلفين، أي إن أصحابه لا يستطيعون أن يشغلوا *كل شيء فيه* كما أفعل أنا، وأنه لا يستطيع أن ينشغل بي كلياً كما أنشغل أنا به. هذا بكل بساطة. وإذا ما كنت لا أشغله، وإذا ما كنت دمية، ومجرد *زوجة فقط*، ولست إنساناً، فأنا لا أستطيع أن أحيا بهذا الشكل ولا أريد ذلك. طبعاً أنا عاطلة، بينما أنا لست كذلك بطبعي، كما أنني لا أعرف بعد، والشيء الرئيس أنني لم أقتنع بمَ وأين تكمن المسألة. إنه قليل الصبر ويغضب. الرب معه، أنا اليوم أشعر بالانشراح والحرية، لأنني منطلقة لوحدي، أما هو، والحمد لله، فعبوس، ولم يمسني. أنا أعرف بأنه ذو طبيعة ثرة، ويتمتع بكثير من *القوى* المختلفة، إنه شاعري وذكي، ويغيظني أن ذلك كله يشغله من الجانب المتجهم. وأحياناً أود جداً أن أتحرر من تأثيره، الثقيل نوعاً ما، وألا أبدي الاهتمام به، لكنني لا أستطيع ذلك. إنه ثقيل إلى درجة أنني أفكر فيه حين أفكر، وأتطلع إليه بنظراتي، وأجهد نفسي، لكنني لا أفلح في ذلك، وأفقد السيطرة على نفسي. فلم أعد ما كنت عليه، وغدت الأمور بالنسبة لي أكثر صعوبة. والآن سينصرف ويغادر الجميع إلى مكان ما، بينما يتولد في داخلي عندئذ السأم. وأخرج واذا بي أشعر فجأة بالحرية التامة. لكنني أواصل التفكير فيه: ربما إنه يتململ ويبحث وربما يقلق، فيتملكني إحساس ثقيل، وأدخل إلى البيت. وحين يكون متجهم السحنة، أكاد أن أذرف الدموع. إنه لا يقول أي شيء لي. إن الحياة معه فظيعة، ولكن الأصحاب يحبونه، بينما أنا ضائعة لأنه يحبني، كما يحب الأيقونة والطبيعة والناس، وربما أدبه، ويحب ذلك كله بقدر ضئيل، وهناك شيء جديد. فقد جاءت العمة وسألت لماذا وإلى أين ذهبت. وأردت إغاظتها فقلت إنني جئت من عند الطلاب، لأنها تدافع عنهم. هذا غير صحيح أبداً، وأنا لا أغضب منهم البتة، إنني كعادتي القديمة أشتم وأشكو. أنا خرجت من البيت فحسب، فقد تملكني السأم للجلوس في مكان واحد، إنني لا أجلس في البيت فترة طويلة أبداً. عندئذ جاء الجميع: العمة، ناتاليا بتروفنا، ثم العمة مرة أخرى، وناتاليا بتروفنا مجدداً، والطلاب

في فترات الاستراحة. أما زوجي فهو ليس لي، ويلتزم الصمت اليوم. معنى ذلك أنه غائب. يبدو لي كما لو أنني خرجت، خرجت إلى مكان بعيد ما، لرؤية ما يجري في ذلك البيت الآخر ثم عدت مجدداً إلى البيت. سأذهب مجدداً لممارسة الألعاب. إنه في الحمام، وهو غريب بالنسبة لي الآن.

16 ديسمبر. يساورني الاعتقاد بأنني سأقتل نفسي من الغيرة. «إنه مغرم بها أكثر من أي وقت مضى!». إنها مجرد امرأة، بدينة، بيضاء، شيء فظيع. وتطلعت بلذة غامرة إلى الخنجر وبندقية الصيد. ضربة واحدة – خفيفة. لا يوجد طفل بعد. بينما هي توجد هنا على مسافة عدة خطوات. أنا كالمجنونة فحسب. سأذهب للتزلج. ربما لن أراها الآن. كم هو مغرم بها. بودي أن أحرق يومياته وماضيه كله.

رجعت إلى البيت، الوضع أسوأ، الصداع في رأسي، واللوعة، واشتداد الخناق على روحي، وأشعر بضيق أنفاسي. كم كان جميلاً التنزه بحرية في الهواء الطلق، والانطلاق برحابة. أنا أريد التفكير برحابة، والتنفس برحابة، والعيش برحابة. الحياة تافهة جداً. من العسير أن يحب المرء، بينما يجب أن يحب بشكل يتملك الروح، وأن تتقدم الحياة والروح كلها، بغية ألا تضيع من أي جانب. والآن، هذا العالم الذي أعيش فيه يصبح صغيراً إذا ما أقصيته منه. بينما لا يجوز الجمع بين عالمينا الصغيرين. فهو ذكي جداً ونشيط ومقتدر، ومن ثم هذا الماضي الطويل الفظيع. أما الماضي لدي فهو ضئيل وتافه. لقد أفزعتني الآن الرحلة إلى موسكو. سأغدو أكثر تفاهة وأشعر بأنه إذا ما كانت لدي حياة، وعالم أشعر فيه بالرضى، فهو سيكون هنا، في ضيعة ياسنايا، حيث أحيا بلا بشر، وفي العائلة ومع كل ما سأصنعه بنفسي. لقد قرأت بداية ما كتبه من مؤلفات، وأشعر لدى قراءة كل مكان تناول فيه الحب، والنساء، بالنفور والضيق وأتمنى أن أحرقها. دعه لا يكتب شيئاً عن ماضيه. ولن أشفق على أعماله، لأنني أصبحت في غاية الأنانية بسبب الغيرة.

لو أستطعت أن أقتله، ومن ثم أعيد خلقه من جديد، بهذه الهيئة بالضبط، لفعلت ذلك عن كل طيب خاطر.

1863

9 يناير. لم أشعر في حياتي أبداً بالتعاسة لإدراكي مدى إحساسي بالذنب. ولم أتصور أبداً بأنني يمكن أن أعاني من الذنب بهذه الدرجة. إنني أشعر بالضيق جداً لأن الدموع تخنقني طوال اليوم. أنا أخشى التحدث معه، وأخشى النظر إليه. فلم يكن بالنسبة لي محبوباً وعزيزاً لدي بهذا القدر أبداً، ولم أتصور أبداً أنني تافهة وحقيرة بهذا القدر. إنه لا يحتدم غيظاً، وما زال يحبني، ونظراته وديعة وذات قدسية للغاية. بوسع المرء أن يموت من السعادة والذل مع مثل هذا الرجل. لم أشعر أبداً بمثل هذا الشقاء. أنا مريضة جسدياً والسبب أخلاقي. كنت أعاني من الألم لدرجة أنني فكرت بأنني سأُنزِل الجنين. وأصبحت كالمجنونة. إنني أصلي طوال اليوم كما لو أن ذنبي سيكون لهذا أقل وطأة، وكما لو أنني أستطيع بذلك التعويض عما فعلته. تثوب الطمأنينة إلى قلبي حين يكون غائباً. بوسعي أن أبكي وأن أحبه، لكن حين يكون موجوداً هنا أعاني من تأنيب الضمير، وتعذبني نظرته الحانية ووجهه الذي لم أعد أتطلع إليه منذ مساء يوم أمس، هو الحبيب إلى نفسي كثيراً. وكيف أستطيع أن أسيء إليه بشكل ما. كنت أفكر دوماً فيما إذا أستطيع أن أكفر عن ذنبي أم لا لتلفظي بتلك الكلمة الحمقاء، وماذا بوسعي فعله ليكون الأمر أفضل بالنسبة له. أنا لا أستطيع أن أحبه أكثر، لأنني بلغت أقصى الذروة في حبه، بكل قواي، لدرجة أنه لا توجد فكرة أخرى، ولا رغبات أخرى لدي، لا يوجد أي شيء لدي سوى حبي له. لا يوجد فيه أي شيء سيئ، لا يوجد أي شيء يجعلني ألومه بسببه. لكنه ما زال لا يصدقني، ويعتقد أنني بحاجة إلى التسلية، بينما أنا لا أريد شيئاً سواه. لو كان يعرف فقط كيف أفكر بابتهاج بالمستقبل، ليس بالتسلية، بل معه ومع كل ما يحب. إنني أصبو حتى إلى حب

من لا يعجبني من الناس مثل آورباخ[1] وفي الأمس بلغت الذروة في النزق، ولم أبلغ من قبل هذه الدرجة فيه. هل إن طبعي بغيض إلى هذه الدرجة، أم إن هذا يعود إلى أعصابي المبتذلة والحمل؟ ليكن الأمر كذلك فهو أفضل لأنني أعرف بأنني سأعمل الآن على *صيانة سعادتنا*، إن لم أكن قد أفسدتها كلياً. هذا شيء فظيع، فقد كان من الممكن أن يكون الوضع بهيجاً وطيباً جداً. إنه معافى الآن، فماذا فعلت. جاءت تانيا وساشا وكوزمينسكي. إنني عاجزة عن البكاء.أنا لن أخرج للقائهم بأي حال من الأحوال، إنهم أطفال ولا يحبونني. أنا بانتظاره على أحر من الجمر. يا إلهي، ماذا لو أصابه البرود تجاهي؟ لكن انتهى الأمر، بشكل قاطع، الآن سأتمسك به. أنا تافهة، وما أصعب تحمل هذه التفاهة الأخلاقية. في أغلب الظن إنه أدرك كم أبدو بائسة وحقيرة أمامه.

11 يناير. لقد هدأت أعصابي قليلاً، لأنه صار يعاملني بشكل أفضل. لكن ما زالت حية في الذاكرة المحنة كلها، ولكن أي ذكريات لدي ستولد ألماً ملموساً فظيعاً في كل رأسي وجسدي. إنه ملموس جسدياً لأنني أشعر كيف يتسلل الألم إلى جميع عروقي وأعصابي.

إنه لم يقل شيئاً وحتى لم يلمح إلى يومياتي. لا أعرف فيما إذا قرأها. وأنا أشعر بأن يومياتي كانت سخيفة، ولا تسرني إعادة مطالعتها.

أنا وحيدة تماماً، وأحس بالرعب الشديد، ولهذا أردت كتابة الكثير وبصدق، لكن الأفكار تضيع بسبب الفزع. أنا أخشى الخوف، لأنني حامل. إن غيرتي هي مرض خلقي، وربما إنها ناجمة عن حبي له، أنا لا أحب أي أحد غيره، فقد وهبت نفسي كلها له، وإن مصدر سعادتي يأتي منه ومعه، وأنا أخشى أن أفقده، كما يخشى الشيوخ فقدان الطفل الوحيد الذي تستند إليه حياتهم كلها، ولا يمكنهم إنجاب غيره. كان يقال دوماً بأنني لست أنانية، لكن هذه أكبر صفة أنانية. أنا لست أنانية في أي شيء آخر، أما فيما يتعلق به فأنا في غاية الأنانية. أنا أحبه جداً، لكن هذا سيزول. سيتوفر الصبر الشديد وقوة

---

1 – 1ج.أ.أورباخ: أحد معارف تولستوي، عاش في ضيعته بالقرب من تولا، وكان غالباً ما يزور ياسنايا بوليانا مع زوجته. وكانت صوفيا أندريفنا تخشاهما وتبتعد عنهما، لأنهما من ذوي الثقافة الرفيعة. (المترجم)

الإرادة، وبدون هذا لا يمكن عمل أي شيء. لقد مضت أيام كثيرة حينما كنت أحبه لحد المرض. وهذا ما يحدث اليوم. هذا يحدث دائماً حين لا أكون على حق. وكان يؤلمني التطلع إليه والاستماع إلى أقواله، ومرافقته، وأنا أرتبك مثل ارتباك الشيطان لدى مرافقة القديس. وعندما أفعل شيئاً ساراً بالنسبة له، بغية أن يحبني كالسابق، عندئذ أرتبط مجدداً معه بعلاقات بسيطة أكثر. وحينئذ لا تكون الأفضال متعادلة، ولذا لا تكون العلاقات متعادلة. الأفضال لا تكون متعادلة دائماً أبداً، ولكن على الأقل تكون أقل حماقة من جانبي. سابقاً كنت أحبه بجسارة، بشيء من الاعتداد بالنفس، أما الآن والحمد لله وله فأنا أحبه مقابل كل كلمة طيبة منه، وكل لطف، وكل تسامح ونظرة مودة.

ها أنذا الآن أحيا وأحيا بهذا فقط، وأواصل المعيشة بجهد، وأنا راضية بذلك. كان لدي شيء من الكبرياء، لكوني أحمل طفلاً في أحشائي وسآتي به عاجلاً إلى الدنيا، لكن هذا هو القدر، وقانون الطبيعة. ولا يوجد في ذلك أي تخفيف عن الخاطر. يوجد لدي فقط زوج، أي ليوفوتشكا، الذي هو جميع فضائلي، لأنني أحبه كل الحبّ، ولا يوجد لديّ ما هو أعز منه.

14 يناير. أنا الآن وحيدة مجدداً، وأشعر بالضجر مجدداً. إن جميع الأمور عادت إلى مجراها الطبيعي بيننا. ولا أعرف ما الذي قبل هو به، وما الذي قبلت أنا به. لقد سوِّيت المسألة بنفسها. ولكنني أعرف فقط أن السعادة عادت إليّ مجدداً. وأريد العودة إلى البيت. أحياناً توجد لدي خطط وأحلام حول كيف سنحيا في ياسنايا سوية. ثمة مشاعر حزينة في روحي، حتى إنني،جسداً وروحاً، أتبرأ من أهلي في الكرملين[1]. إنني أحس بكل أعماقي بأن العالم قد تغير، واشتد حبي لهم، وبالأخص إلى أمي، وأحياناً يتملكني الشعور بالحزن لكوني لم أعد جزءاً من تلك العائلة. إنني أحيا بكامل كياني فيه ومن أجله، وغالباً ما تنقبض نفسي حين أشعر بأنني لست كل شيء *بالنسبة له*، وبأنني لو محيت من الوجود، لوجد السلوى في شيء آخر، لأنه تكمن فيه منابع كثيرة، بينما أنا ذات طبع معسر: لقد وهبت نفسي لأمر ما وحده، ولن أستطيع أبداً أن أجد لنفسي عالماً آخر غير هذا.

1 – عاش أهلها في شقة في الكرملين. (المترجم)

إن الحياة في الفندق تعذبني. وإذا ما وجد شيء ما يبعث على الرضا هنا، فهو عندما أجلس في الكرملين مع أهلي ومع *ليوفوتشكا* حتماً. كان بوسعي أن أغادر إلى بيتنا بسرعة، وأنا أعرف بأن هذا يتوقف عليّ لحد كبير، لكن لم تسعفني روحي لتركي أهلي، وكذلك بسبب الكسل في شد الرحال. لقد راودني اليوم حلم لا يسر. ورأيت كيف جاءت إلينا في الحديقة الكبيرة الفتيات والنساء الفلاحات عندنا في ياسنايا، وجميعهن بملابس السيدات الراقيات. وظهرن الواحدة تلو الأخرى من مكان ما. وكانت الأخيرة (أ) بفستان أسود من الحرير. وتبادلت معها الحديث، وتملكني الغضب الشديد فأخذت طفلها من مكان ما ورحت أمزقه إرباً إرباً. وتقطعت ساقاه ورأسه، تقطع كل جزء منه، بينما احتدمت هي بحنق جنوني. وجاء ليوفوتشكا وقال لي إنهم سيرسلوني إلى سيبيريا، وجمع الساقين والذراعين وكافة الأوصال وقال لا بأس إنها دمية. وتطلعت فوجدتها دمية فعلاً: وبدلاً من الجذع كان هناك قطن وجلد. فتملكتني الكآبة البالغة.

إنني غالباً ما أتألم لدى التفكير فيها، حتى هنا في موسكو. الماضي يعذبني، وليست الغيرة الحالية. إنه لا يستطيع الاستسلام لي كلياً مثلما استسلمت له أنا، لأن الماضي مترع بالذكريات وعظيم ومتنوع، لدرجة أنه لو مات الآن، فإن حياته كانت مع هذا مترعة بالأحداث بقدر كاف. إنه لم يتحسس أبداً مشاعر الأبوة، بينما أنا أتشبث بسعادتي وأخشى أن أفقدها، إنني لا أصدق بأنها ستستمر، لأنني لم أعرفها من قبل. إنني كثيراً ما أفكر بأنها عابرة وجاءت بمحض الصدفة، فهي طيبة جداً. وهذا أمر غريب للغاية أن يستطيع شخص واحد بقوة شخصيته، وليس لأي سبب آخر، باستثناء خصاله الشخصية، الإمساك بي في قبضة يديه وأن يمنحني السعادة الكاملة.

لقد كانت أمي على حق حين قالت بأنني أصبت بالغباوة، أي إن أفكاري أصبحت أكثر بلادة. إنه أمر لا يسر حين يشعر الإنسان بهذا الفتور والخمول. ويتحول الخمول الجسدي إلى خمول معنوي.

إنني آسفة لفقداني حيويتي السابقة. لكنني أعتقد بأنها ستعود. وأشعر بأن هذه الحيوية ستترك تأثيراً أفضل في ليوفوتشكا، كما كانت تؤثر في أهلي في الكرملين. وفي الفترة الأولى في ياسنايا كنت ما أزال أتمتع بالحيوية، لكنني

فقدتها كلياً الآن. وآنذاك كان ليوفوتشكا يحبني، بينما أنا جننت. يبدو أن ليوفوتشكا يغفو معنوياً، ولو أنني أعرف بأنه لا يغفو أبداً في أعماق روحه، وتسري في عروقه دائماً روح عمل معنوي قوي. إنه أصيب بالهزال كثيراً، وهذا ما يعذبني. أنا مستعدة لدفع ثمن غال من أجل ولوج روحه. إنه حتى لا يكتب يومياته، وهذا يحزنني جداً.

تراودني أحياناً رغبة سخيفة لكنها غير واعية لامتحان سلطتي عليه، أي مجرد الرغبة في أن أجده يصغي إلي. لكنه يوقفني دائماً عند حدي، وهذا يسرني جداً. بيد أن هذا سيزول أيضاً.

17 يناير. كنت قبل لحظات منقبضة النفس وغاضبة لأنه يحب كل شيء والجميع، بينما أنا أريد أن يحبني وحدي. والآن عدت وصرت أفكر في أنني أستسلم لنزواتي مجدداً، أما هو فيحسن صنعاً بطيبته وغنى مشاعره. أنا أفكر بأنه وحده مصدر نزواتي ومصيبتي وغيرها. إنها الأنانية في أن يحيا من أجلي ويفكر فيّ ويحبني أنا فقط. ولأمر ما وضعت ذلك أمامي بمثابة قاعدة. وحالما أفكر بأنني أحب أحداً أو شيئاً ما، أجدني فوراً أتحفظ، وأؤكد بأنني أحب ليوفوتشكا فقط. بينما ينبغي أن أحب شيئاً ما حتماً، كما يحب هو *عمله*، بغية أن أستطيع في تلك اللحظات، حينما يظهر برودة تجاهي، في القيام بعمل ما أحب. وهذه اللحظات تتكرر كثيراً، وهذا ما جرى حتى الآن من دون أن ألاحظ ذلك. أنا أرى ذلك بوضوح، لأنه حينما يتابع ليوفوتشكا سير علاقاتنا حتى بأدق دقائقها، وكيف أتابع أنا هذا من دون القيام بأي عمل. وبفضل ذلك أتعلم كيف أتعامل معه، أتعلم ليس لأنني وضعت ذلك بمثابة مهمةٍ لي، بل هكذا بلا إرادتي. أنا لا أستطيع أن أضيف هذا العلم إلى المسألة، وكل شيء في وقته. أود الذهاب إلى ياسنايا عاجلاً، فهناك يحيا أكثر من أجلي ومعي. هناك العمة وأنا، ولا أحد غيرنا. وهذه الحياة عزيزة جداً لدي، ولا أريد استبدالها بأية حياة أخرى. وأنا مستعدة لإعطاء كل شيء من أجل هذه الحياة. وسأسعى شيئاً فشيئاً لجعلها أفضل وسأكون راضية كل الرضا لو استطعت ذلك. في البيت هذا ممكن، وفقط إذا لم يرغب ليوفوتشكا في لقاء الناس، ولا أجد هناك أحداً منهم، أنا لا أحب أحداً. واذا أراد ليوفوتشكا فأنا مستعدة

لاستقبال كل من يريد، والشيء الأساس ألا يشعر بالسأم وأن يكون راضياً، فعندئذ سيحبني، وأنا لا أرغب في شيء عدا ذلك. من العسير أن يحيا المرء بلا خصام، لكنني لن أفعل ذلك بالرغم من كل شيء، وإلا سيقول عن حق إنه حرّ من *دون فصل*. ومصيبتي هي الغيرة. هذا ما ينبغي عليه أن يصون، أما واجبي فهو – أن أتماسك وأعتني به. إنه لا يرغب أن يصحبني معه، القبعة، والتنورة الكتانية، فكل شيء يضايقه، بينما أنا أشعر بالكآبة في غيابه. من الفظاعة أن أفرض نفسي، بينما أحزن لأنه لم تعد لديه الحاجة ليكون معي، وليس الانفراد بنفسه. علماً أن الشعور بالوحدة يشتد لدي أكثر فأكثر.

انتظرته وانتظرته، ثم جلست للكتابة مرة أخرى. هناك أناس يعيشون لوحدهم. إنه لشيء فظيع أن يكون المرء وحيداً. حقاً إننا لن نذهب إلى محاضرة. ربما أنا أضايقه. إن هذه الفكرة غالباً ما تعذبني، لأنني أتحمل الذنب في ذلك. لقد اشتد حبي لأمي وأخشى ذلك، لأننا لا نعيش سوية. أما تانيا فصرت أحبها بشيء من التعالي، بأي حق؟

إن فراقه مؤلم للغاية. وليوفوتشكا لا يفهم – فأنا صامتة. وتسرني رؤية العمة. فأنا أحبها جداً في هذه الأيام، لأنني لم أتحدث إلى ليوفوتشكا عنها. فهو متحيز. بينما أشعر بالذنب تجاهها، ويجب عليّ أن أداريها، ولو لكونها اعتنت بليوفوتشكا، كما أنها ستعتني بأطفالي. إن المداراة أمر يبعث على الانشراح – فمقابل ذلك يحبونك. لكن هذا ما أخافه: التملق والتزلف. لكن في واقع الأمر لا يوجد أي تزلف لدى إبداء الطاعة لعجوز لطيفة وطيبة. أنا أصبحت متحيزة أحادية الطرف. وأهتم فقط بحياتنا نحن، ولا بأي شيء آخر.طبعاً مع كل الاشخاص والوضع. الساعة الثالثة – إنه لم يأت بعد. لماذا يعطي الوعود؟ هل إن عدم التزامه بالمواعيد شيء جيد؟ لا بد أن يكون جيداً، فمعنى ذلك أنه ليس مقيداً بالأمور التافهة. أنا لا أحب حين يغضب. فتراه يلح في الكلام ونافل القول. لكنه سيكف عن الكلام بنفسه ويهدأ غضبه، والأفضل التراجع، وإلا فإنه سيحتدم غضباً أكثر. بينما سرعان ما يهدأ القلب ويكف عن التذمر والشكوى.

29 يناير. إن الحياة هنا، في الكرملين، تضايقني، لأنه يغمرني الشعور

لثقيل بالبطالة والحياة الخالية من الهدف، كما كان الحال في أيام الصبا لعذرية. وأن كل ما تصورته لدى الزواج حول الواجب والهدف، قد تبخر منذ أن جعلني ليوفوتشكا أشعر بأنه لا ينبغي الاكتفاء بالحياة العائلية وحدها كزوجة أو زوج، بل لا بد من توفر أمر آخر. *لكنني لست بحاجة إلى أي شيء خر سواك. إن ليوفوتشكا يوغل في الكذب.*

3 مارس. أنا لوحدي وأكتب – المعزوفة ذاتها تتكرر دائماً. لكنني لوحدي ولا أشعر بالسأم، فقد اعتدت ذلك. زد على ذلك أنها قناعة سعيدة، فهو يحبني، يحبني دوماً. سيعود، ويدنو مني بلطف، ويسأل عن شيء ما، ويروي عن نفسه شيئاً ما. وأشعر بخفة وبخير في العيش بهذه الدنيا. طالعت يومياته، وغمرني الفرح. أنا والعمل. لا يشغل باله أي شيء آخر. بدا اليوم وفي الأمس في حالة تأمل. وأخشى أن أعيقه عن الكتابة والتفكير. وأخشى أن يصيبه الكدر ويتذكر بأنني لن أكون في كل مكان ودوماً ثقيلة الظل بالنسبة له. أنا سعيدة لكونه يكتب. أردت اليوم الذهاب إلى القداس، لكنني بقيت وأقمت الصلاة في البيت. ومنذ أن تزوجت، أصبح كل طقس، وكل زيف، منفراً أكثر لدي. ورغبت أن أتدبر أمور البيت بكل قواي وأن *أعمل*. لكنني لا أجيد ذلك ولا أعرف كيف أبدأ. كل شيء آت. أما التململ وخداع نفسي والآخرين بأنني *مشغولة* فهو شيء مقرف. ومن أخدع ولأي غرض؟ ويتراءى لي أحياناً بجلاء ما ينبغي عمله، وكيف تتم تزجية الوقت بشكل نافع، ولكن بعد ذلك أنسى، وتتشتت أفكاري. كيف غدوت أحيا حياة رخية، وأحيا فحسب...وصرت أشعر بأن هذا *واجبي*، وهذه حياتي، ولا أحتاج إلى أي شيء آخر. أما عندما أشعر بالضيق، واذا سألوني عندئذ: ما حاجتك؟ فإنني لا أدري بم أجيب. أعتقد بأنني لا أحب العمة بصدق. وهذا يحزنني. أم إن الشيخوخة تمسني بقدر أقل من النخب. هذا شيء رذيل. إنها غالباً ما تغضب وغالباً ما تتصنع. ما أكثر النور في الباحة وفي الروح أيضاً. أنا سأصالح الجميع قليلاً. الطلاب والأصحاب والعمة، طبعاً، جميع من خاصمتهم سابقاً. إن تأثير ليوفا كبير، وأشعر بالبهجة لتأثيره فيّ أيضاً.

26 مارس. أشعر بوعكة صحية، وبالإحباط. لقد سافر إلى تولا منذ الصباح، وأنا لم أره طوال شهر بالضبط. وكانت سعادتي منذ وقت بعيد، منذ وقت بعيد تماماً. أنا أراه، وكأنني لا أراه مع هذا، فيبدو وكأنه غير كائن حي، وشبح. ويربض حبي له في مكان ما بعيد في أعماقي، بينما أتحسسه مع هذا بقوة وأعرف بأنني أستند إليه فقط. تمشيت في الباحة حيث يعيش العاملون والفلاحون، - شعور ثقيل الوطأة. المرضى والتعساء، الجميع يجأرون بالشكوى. أحدهم مريض، والآخر داهمته مصيبة. هناك كثيرمن المحتالين، وشعرت بالكآبة أكثر. العمة طيبة القلب وذات طبع هادئ، بينما أنا أعاني من وطأة حضورها - العجوز. فكرت كثيراً في أهلي. لديهم الكثير من الحيوية. وغالباً ما أشعر بالحزن لكوني بعيدة عنهم، وأنا لا آسف أبداً البتة على حياتي الماضية. الآن الأمور طيبة جداً. وغالباً ما أخاف أن أحبه. فمثل هذه السعادة يمكن أن تفسد بيسر. وبدأت أتضايق وأتعذب الآن لأنه لا يرجع إليّ. إنني أرفض الذهاب معه، ولكنني ألوم نفسي فيما بعد لكوني لم أذهب معه. وأفكر بأن من الأفضل أن يغضب، ومن الأفضل أن أضايقه، بشرط ألا أتعذب. القصة تتكرر في كل مرة. إنه لن يسافر إلى نيقولسكويه، وإلا سأفقد عقلي هنا. لو يستطيع أحد ما أن يعرف كيف يمضي الزمن بهدوء. الآن جاءت العمة وقبلت يدي. لماذا؟ لقد تأثرت جداً لذلك. حقاً إنها طيبة القلب، وإنها تشفق علي لكوني وحيدة، واذا ما كانت منزعجة لأمر ما، فإن هذا يعني أنها المرارة تتدفق منها. بينما أنا شابة ويجب أن أصبر إزاء مظاهر الضعف الصغيرة هذه، وأحياناً أشعر بتأنيب الضمير بسبب عدم تحملي والكدر حيالها. في الأمس انزعج مني، لكنه لم يقل ذلك بصراحة. معنى ذلك أنه بالرغم من كل شيء يوجد بيننا شيء غير بسيط. وأنا أرغب دوماً في أغلب الظن أن أكشف له كل ما يعذبني أو يغضبني، ولكنني أخاف أحياناً. أنا مدللة. إن ليوفا يمنحني الكثير من السعادة. أنا أحبه حباً جماً، مرحه، وكربه، وطيبته، وسحنته الطيبة، ووداعته، وكمده، وهذا كله يعبر عنه بكل طيبة، حتى إنه لا يجرح الشعور أبداً *تقريباً*. ها أنذا الآن أجلس كما ينبغي، وأدون السطور بشكل تلقائي تقريباً، وأفكر فيه. وأسترجع كل شيء في رأسي، وأتصوره بكافة الأشكال، وشتى أصناف التعابير. إن تدوين

الأسطر بالريشة هو مجرد ذريعة، بغية التعمق بشكل أفضل وتصوره بشكل أكثر حيوية. عندما يرجع أشعر لحد ما ودوماً بألم وبهجة. ومهما أكد لي فإنه لا يستطيع أن يحبني كما أحبه أنا. فهل كان بوسعه أن ينتظرني هكذا بفارغ صبر مترع بالعذاب.

1 إبريل. أشعر بوعكة، وبكدر. لقد غادر ليوفا. ولدي نقص كبير – هو أنني لا أستطيع أن أجد في نفسي القدرة على التسلية. وهذا أمر هام وضروري في الحياة. الطقس صيفي، رائع، والمزاج صيفي – حزين. ثمة شعور ما بالخواء، والوحدة. ليوفا مشغول بأعماله، وبإدارة الضيعة، بينما لا يشغلني شيء... ما هي قدراتي؟ لايمكن أن أحيا بهذا الشكل. بودي أن يكون لدي المزيد من الأعمال. لكن الأعمال الحقيقية فقط. وكان يحدث لي دوماً في مثل هذا الوقت الرائع أن أقوم بعمل ما، والذهاب إلى مكان ما، والرب وحده يعرف بمَ أحلم. أما الآن فلا توجد حاجة لعمل أي شيء، والتطلع السخيف للذهاب إلى مكان ما، لأنني أشعر بأنني لست حرة، وأنني وجدت كل شيء ولا يوجد ما أبحث عنه أكثر، ومع ذلك يتملكني السأم أحياناً. السعادة كثيرة والأعمال قليلة. والمرء يصيبه الإجهاد من كثرة الخير. ولا بد من ممارسة الأعمال بغية التعادل. سابقاً كنت أسيرة الأحلام، وحياة الأوهام. أما الآن فلا بد من ممارسة عمل ما، والحياة الحقيقية، وليست حياة الخيالات. كل هذا سخف – وروحي تفيض سخطاً.

8 إبريل. انشغلنا بتدبير أمور الضيعة. انهمك ليوفا فيها بجد، بينما كنت أسايره في الانشغال بالعمل. كان هذا كله أمراً مثيراً للجذل، وطيباً، وغير مبتذل. وصار كل شيء يثير اهتمامي وغالباً ما يبهجني. أما هو فيبدو حزيناً ومشغول البال وغير معافى. وهذا يرهقني جداً، ويعذبني باستمرار. أنا أخاف أن أجعله يشعر بذلك، بينما يفزعني جداً احتقان الدم لديه. إن التفكير في هذا مخيف، ويرد في خاطري بلا إرادتي، إن حياتنا الحالية كلها، وكل هذه السعادة الغامرة، ليست سعادة حقيقية، بل هي عبث القدر فحسب، وقد يسلبنا كل شيء فجأة. أنا خائفة... يا للسخف، أنا لا أستطيع الكتابة. بودي

أن يزول هذا الخوف بسرعة. إنه يسمم الحياة كلها. اشترينا النحل، وهذا يسرني. إن هذا كله شيء ممتع، لكن إدارة الضيعة صعبة. بالرغم من كل شيء إن الزوجين أويرباخ يبعثان فيّ الضجر، لسنا بحاجة إلى أي أحد. إنها تولد فيّ الضجر. ولأمر ما أشفق عليها. هل تحب زوجها؟ هذا ما لا يمكن التكهن به لدى كل *رابطة زوجية*. اذ توجد لدى ليوفا خصال ما. لكنه أصبح لأمر ما أكثر تكلفاً وانغلاقاً على الذات. ربما أن هذا ناجم عن وجع الرأس؟ ماذا يريد، وما الذي لا يرضيه؟ أنا مستعدة لعمل كل ما يريد، إذا ما استطعت ذلك. هو الآن غائب، وسيعود، بينما أنا خائفة منه، وأخشى أن يكون عكر المزاج، وثمة شيء ما يزعجه أكثر. أنا أحبه جداً، والآن أدركت هذا، لأنني أشعر بأنني أستطيع تحمل كل شيء يبدر منه، إذا ما وجب تحمل ذلك.

10 إبريل. لقد ذهب للقاء أبي في تولا، بينما أنا أشعر بالسأم الشديد. لقد أعدت قراءة رسائله إلى «ف.أ». كان عندما كتبها ما زال شاباً، ولم يحبها بل أحب الحياة العائلية. وأنا أعرفه جيداً في كل مكان، وأعرف قواعده، وتطلعه العجيب إلى كل ما هو طيب، وخير. إنه رجل لطيف للغاية. ولدى قراءة رسائله لم أشعر بالغيرة، كما لو أنه لم يكتبها، وأما «ف» فليست سوى المرأة التي يجب أن يحبها، وهي في أغلب الظن *أنا*،وليست «ف». وانتقلت إلى عالمهما. إنها مليحة، وفارغة في حقيقة الأمر، وظريفة لكونها شابة فقط، طبعاً، من الناحية المعنوية، أما هو كحاله الآن، بلا حب تجاه «ف»، بل تجاه حب المحبة والخير. وباتت واضحة لدي أجواء سوداكوفو...والبيانو والسوناتات والفتاة الحلوة ذات الشعر الأسود وسريعة الثقة بالناس وغير الحقودة. ومن ثم الشباب (ما هو؟ ورحت أفكر بأنني عجوز) والطبيعة والعزلة في الريف. إن كل شيء مفهوم ولا يبعث على الحزن. ثم قرأت خططه بشأن الحياة العائلية. مسكين، إنه كان فتياً جداً ولم يفهم بأنه إذا ما *ألف* السعادة مسبقاً، يجد فيما بعد أنه لم يفهم ولم يتوقع الأمور كما يجب. يا لها من أحلام جميلة ورائعة.

24 إبريل. *إن* ليوفا إما عجوز وإما تعيس. هل إنه لا يوجد ما يشغل باله سوى القضايا المتعلقة بالنقود وإدارة شؤون الضيعة وصنع النبيذ. وعندما لا يأكل ولا

ينام ولا يصمت فإنه يسعى هنا وهناك إلى إدارة الضيعة، ويمضي، ويمضي، وحيداً طوال الوقت. أما أنا فأعاني من الضجر، أنا وحيدة، وحيدة تماماً. ويتجسد حبه لي في القبلات العابرة لليدين وفي معاملتي بالخير وليس بالشر.

الطقس ممتاز، والوقت عموماً يبشر بأن كل شيء على ما يرام، لكن يقلقني في دخيلة نفسي أمر ما. وأحياناً أدرك مع تاتيانا بصورة طيبة ما هو الربيع والصيف، ونتمتع سوية بهذا بشكل ما، ونشعر بالمرح عندئذ، عندما يمكن أن نكون سوية معاً، أي نفكر بالصورة ذاتها، ونتفهم كل شيء، ولا نتوقع توقف المصنع أو أجهزة ما عن العمل، هذا شيء مضجر للغاية. وسأكون سعيدة للغاية اذا ما جاءت تانيا إلينا. إنني أحب كثيراً الشباب عموماً، ولاسيما الظرفاء مثل تانيا، بصورة خاصة. أصبحت في موقف حرج مع ليوفا. وشعرت بتأنيب الضمير والخجل كلياً فيما يخصني. فلم ذلك، إذا لم يكن هناك أي شيء يمس ضميري – فلم أرتكب أي ذنب بحقه. أنا أكتب هذا الآن، لأنني أعتقد ذلك، بينما تعذبني وتصدمني طوال الوقت الفكرة حول أنه سيقرأ هذه الكلمات.أنا أخاف أن أحبه بهذه الصورة، أخاف أن يرى، كما أعتقد، بأنني أضايقه وأضجره، فهو لديه مشاغل أخرى غير هذه. وقد تسألون ماذا أريد، حقاً، إنني لا أعرف نفسي. فهذا يجري بحد ذاته.

25 إبريل. السأم ذاته طوال الصباح كله، وتوقع حدوث شيء ما فظيع. والتهيب ذاته من الموقف من ليوفا. إنني بكيت كالمجنونة وبعده لم أفكر كيف يحدث دائماً – لأي سبب، أنا عرفت وفهمت ذلك أصلاً، أي سبب البكاء، وحتى يمكن تمني الموت، إذا لم يحبني لوفا كما أحبني سابقاً. وأنا الآن لا أريد الكتابة، وبقيت وحيدة حالياً في الأسفل، واستسلمت للعادة السابقة – أي تحبير السطور. لكن أعاقني البعض.

29 إبريل. مساء. أنا أستاء بسبب التفاهات وصغائر الأمور، بسبب أشياء مرسلة لي. أنا أعمل كثيراً في تربية الذات، بغية ألا أغضب وسأحقق ذلك. أنا أشعر برقة بالغة وبشيء من الخفر حيال ليوفا – وذلك بسبب مزاجي في الاهتمام بسفائف الأمور. وأشعر بنفور ما من ذاتي. لم يحدث هذا منذ

وقت بعيد. وأرغب كثيراً في العناية بالنحل وبالتفاح وبتدبير أمور البيت وبممارسة النشاط – والشعور بثقل وتعب باستمرار، ويذكر ما يشبه العجز، والدعوة إلى الجلوس طائعة – حافظي على بطنك. أمر محزن. كما يبعث على الضجر أن ليوفا ينظر إلى هذا العجز بلا اكتراث ما – كما لو أنني مذنبة لكوني حاملاً. أنا لا أستطيع تقديم المساعدة له بأي شكل. وثمة شيء آخر هو أنني شعرت بالنفور من نفسي (قبل كل شيء يجب تدوين الحقيقة في اليوميات). وأثار فيّ شعور المرح تذكر أن «ف.ف» كان مغرماً بي. وهل سأشعر بالمرح الآن لو وقع أحد ما في غرامي. ما هذه الترهات، حقارة. عندئذ كنت فقط سأضحك عليه. لا يوجد أي شعور آخر سوى النفور وعدم الاحترام لآخر درجة فقط. إن اهتمام ليوفا ينصرف عني أكثر فأكثر. ويمارس الجانب الجسدي من الحب لديه الدور الأكبر. هذا فظيع – أما لدي فالأمر بالعكس. لكنه متين من الناحية الأخلاقية – وهذا الشيء الرئيس.

8 مايو. إن الذنب الرئيس يقع على الحمل – هذا ما لا أطيقه جسدياً ومعنوياً. من الناحية الجسدية أنا دوماً مريضة لسبب ما، أما من الناحية المعنوية فإنه لشيء فظيع معاناة الضجر والفراغ ومجرد الكآبة. أنا غير موجودة بالنسبة إلى ليوفا. أنا أشعر بأنه لا يطيقني – والآن لدي هدف واحد، هو أن أدعه لشأنه، وأن أشطب نفسي من حياته بقدر المستطاع. إنني لا أستطيع أن أجلب له أية مسرة لأنني حامل. أية حقيقة مرة هذه عندما تعرفين كيف يحبك زوجك وأنت حامل. إنه في المنحل، وأنا مستعدة لكي أعطي، الرب وحده يعرف ماذا، من أجل الذهاب إلى هناك، لكنني لا أذهب بسبب خفقان القلب الشديد، والجلوس هناك غير مريح، وعما قريب ستحدث عاصفة رعدية. أشعر بالصداع، وبالضجر – أريد أن أبكي، لكنني لا أريد أن أسبب له الإزعاج والضجر، لا سيما أنه مريض. غالباً ما أشعر بالارتباك معه. إذا ما أمضى معي دقيقة واحدة فهذا حسن، – فهذا أكثر من العادة، وهو يشعر كما لو أنه ملزم بمواصلة العلاقات السابقة بلا محبة منه. حقاً، إنه لأمر فظيع لو اعترف مخلصاً بأنه أحبني في وقت ما، ومنذ وقت قريب، لكن هذا كله قد زال. لو كان يعرف فحسب مدى تغيره، لو كان في جلدي،لأدرك كيف يمكن

العيش هكذا في الدنيا. ولا مجال هنا للمساعدة. فسيستيقظ مرة أخرى حين أضع المولود. فهذا يحدث دائماً. إنه ذلك *الدرب المشترك الفظيع* الذي يسير فيه الجميع، وكنا نخشاه جداً سابقاً. وأنا، لسوء الحظ، أحبه حباً جماً، أكثر من أي وقت مضى. متى سألج هذا الدرب التعيس؟

9 مايو. لقد وعد بالمجيء في الساعة 12 – الآن الساعة 2. هل حدث أمر ما؟ هل يشعر بالفرح حين يعذبني كل هذا العذاب؟ المرء يشفق على الكلب ولا يطرده حين يأتي ملاطفاً بتودد. إن مصير أمي كان مشابهاً لحدٍّ ما مصيري في العام الأول من الحياة الزوجية. كان وضعها أسوأ، فقد كان أبي كثير السفر لدى ممارسة التطبيق الطبي كما كان يلعب القمار، أما ليوفا فيسافر لتدبير أمور الضيعة. لكنني مثلها أيضاً وحيدة، وكذلك أعاني من الضجر، وحامل، ومريضة. أحياناً لا أدرك جيداً أي أمر لدى الاحتكام للعقل، كما أدركه في التجربة. إن الشباب هو شقاء أكثر منه سعادة، بالنسبة للمتزوجة طبعاً. لا يجوز الاكتفاء بالجلوس فقط ماسكة الإبرة أو عازفة على البيانو *ووحيدة*، وحيدة كلياً، والتفكير أو إقناع الذات بأن زوجك لا يحبك وأنت مقيدة فاجلسي. تقول أمي إن حياتها أصبحت أكثر مرحاً وأفضل، عندما عبرت مرحلة الشباب، وولد الأطفال وتركزت فيهم الحياة كلها. هذا ما يحدث. أنا منبوذة، أنا مصابة بمس من الخبل، لأنني أعاني من السأم، وأنا وحيدة وأنتظره منذ الساعة 12 بقلق وخوف. أما هو فرجل سيئ لأنه يفتقر حتى إلى مشاعر الشفقة المتوفرة لدى أي إنسان غير خبيث بهذا القدر أو ذاك حيال أي كائن معذب.

12 مايو. أنا أشغل نفسي لكي لا أحس بالضجر، – وراودني مجدداً الشعور – لا بالبهجة، – بل بالهدوء وعدم الملل.

22 مايو. عندما أدخل غرفة المكتب من دون أن أفكر بشيء – تسري في بدني برودة مزعجة وشعور بالضجر. وعندما أمضي وأتصوره حياً، بالحياة، التي تسري في عروقه، أشعر بالعكس. الآن أشعر بالبرودة أو الخوف على

الأكثر. الخوف من الموت، وأن كل ما كان قد مات. لا حياة. لا حب، لا حياة. يوم أمس تجولت في الحديقة، وفكرت، هل من الممكن ألا أسقط الجنين. طبع حديدي. لا يوجد فيه أي شيء من الحب. إنه مريض، وعندما يتعافى، يعتمله الخوف مجدداً. وكما لدى جميع أصحاب الخيال الواسع – الحياة فقيرة. يمكن *تخيل* أي شيء – آلاف العوالم المختلفة، *والعيش* في ركن ضيق جداً. أنا أحببت عالمي، ولا أحتاج إلى أي شيء آخر، أما هو فقد تعب من عالمه وصار يرغب في عالم آخر مجدداً. لقد اقتنعت الآن بأنني لا أحتاج إلى أي شيء غيره. ولكن ما أكثر المرات التي اقتنعت بهذا. غالباً ما تردد أمي بأنه لا يوجد شيء أسوأ من ربط الزوج بالتنورة. وأقوالها صحيحة. يجب أن أصلي من أجلها فقد كابدت الكثير. الحياة صعبة، ويجب أن يكون المرء صلباً كالحديد. كما ينبغي أن يحسب الحساب حول كيف يحيا. سابقاً، حينما لم أكن متزوجة، كنت أتأمل بعقل أن من الأفضل العيش بلا حب. لكنني أعرف نفسي، إنني لا أستطيع أن أحب قليلاً، أما أن أحب كثيراً، فهو أمر صعب. وقد أدركت تانيا ذلك: لكن سعادتها صعبة المنال. الآن تحيا بجذل، إنها شابة وتحيا بكل روحها، وروحها غنية. فهل سيكدرها أحد ما. علماً أنها لا تتقبل الحياة بيسر، إذا ما كانت الحياة لا تهبها الكثير. من الصعب أن يبدل المرء طبعه. لكنها تستطيع أن تبدي قدراً أكبر من الحب أكثر مني. أنا *أضبط نفسي* بنفسي. ويتم هذا بلا إرادتي ولكن بأي ثمن يتحقق ذلك. إن كل انضباط يسلبني حياتي، أي يسلبني بعضاً من القوة، وبعض الشباب والجهد، والكثير من الجذل ويزيد كثيراً النفور من نفسي. ولا يمكن إخضاع هذا وضبطه أبداً. يجب أن أصون حبه. فهو لا يصمد بقوة، ولربما لن يصمد أكثر. هذا شيء فظيع، وأنا أفكر بذلك دائماً. أنا ما زلت متوعكة منذ يوم أمس. وأخشى أن أجهض، ولكن هذا الألم في بطني حتى يلذ لي. وهذا كما يحدث للطفل حين يرتكب فعلة سيئة، بينما الأم تغفر له ذلك، بينما هو لا يغفر لنفسه ويبدأ بتخديش أو وخز يده بقوة. الألم لا يطاق بينما أنا أصبر بمتعة كبيرة ما. وأمتحن الحب في وقت مثل هذا الوقت. وعندما يتحسن الطقس، تتحسن الصحة، وسيحل النظام والبهجة في تدبير شؤون البيت، وعندما يولد الطفل ستحل المتعة الجسدية، – فظاعة.

أما هو فيعتقد أن الحب قد عاد، لكنه لم يعد، بل راوده في ذاكرته فحسب. ومن ثم تبدأ الوعكة الصحية مجدداً، والإخفاقات مجدداً، زد على ذلك الزوجة المكروهة، وكيف تتجرأ على الظهور باستمرار أمام البصر، والسأم مجدداً. هكذا تبدو الحياة بالنسبة له. بينما لا حياة لي، فقد كانت موجودة فقط، وأحببته وطمأنت نفسي بأنه سيحبني. أنا حمقاء، لقد صدقت، – وأعددت الآلام لنفسي فقط. ويبدو لي كل شيء مضجراً. وحتى الساعة تدق شاكية، والكلب كئيب، ودوشكا تعيسة، العجوز المسكينة، هكذا توفيت. ماذا لو أن ليوفا...

6 يونيو. جاء حشد من الشباب، إنهم عكروا صفو الهدوء في حياتنا، وأنا جديرة بالشفقة. ما لهم جميعاً غير مرحين. أم إن هذا بسبب «البرد». إنهم يؤثرون فيّ، ليس كما ظننت. إنهم لم يبعثوا البهجة في روحي، بل أثاروا القلق لدي، وحتى صرت أكثر اكتئاباً. أنا أحب ليوفا حباً شديداً، لكن مما يغيظني أنني ربطت نفسي معه بمثل هذه العلاقات غير المتكافئة. إنا أعتمد عليه في كل شيء، والرب وحده يعرف كم أعتز بحبه. أما هو فإما قد تأكد من وجوده، أو لا يحتاج إليه، ويبدو فقط بأنه منفرد لحاله. إنني أعتقد طوال الوقت بأن الخريف قد حل، وسينتهي كل شيء عاجلاً. أما ما هو *الكل شيء*، فهذا ما لا أعرفه. وأي شتاء سيعقب الخريف، لا أعرف بشكل قاطع، ولا يمكن أن أتصور ذلك. كآبة شديدة لكوني لا أحتاج إلى شيء، ولا يبهجني أي شيء، كما لو دبت فيّ الشيخوخة، وأنا لا أطيق أن أصبح عجوزاً. لم أرغب البتة في مرافقتهم في النزهة، ولهذا قال لي: «نحن أنا وأنت من الشيوخ، لذا سنبقى في البيت». وبهذا شعرت بالسرور للبقاء معه وحدنا مجدداً. كما لو أنني مغرمة به، بينما يحظرون عليّ ذلك. والآن ذهبوا، وخرج ليوفا، وبقيت وحدي، وغمرتني الوحشة. إنني حتى أشعر في دخيلة نفسي بالسخط وكنت مستعدة لتوبيخه، لعدم وجود عربة لدي من أجل التنزه، وأنه لا يبدي رعايته لي وهلم جرا. وإنه يكون أكثر اطمئناناً إذا ما تركني لوحدي مع كتاب على الديوان ولم يشغل نفسه بأي شيء يتعلق بي. وإذا ما نسيت السخط، فإنني أشعر بأن مشاغله قد زالت، وأن وضعي

لا يهمه البتة، بينما تدبير شؤون الضيعة – هي أشغال شاقة حقيقية. زد على ذلك حضور هؤلاء الضيوف، ومضايقاتهم. هو ذا أناتول البغيض يضايقني بوجوده أمام سمعي وبصري. لكنه غير مذنب لكونهم خدعوه لدى ركوب العربة، ومع ذلك فهو *شاب ممتاز*، وأنا أكنّ له كل المودة والمحبة.

7 يونيو. أنا أحبه بكل مشاعري – ويتملكني هذا الشعور فقط، واستولى على كياني كله. إنه ما برح مشغولاً بتدبير أمور الضيعة، وأنا لا أكتئب بل أصبحت بمزاج رائق جداً. إنه يحبني، وأظن أنني أشعر بذلك. وأخشى ألا يكون ذلك إشعاراً بقرب موتي. ويحزنني ويفزعني أن أتركه. أنا أصبحت أعرفه بقدر أكبر، وغداً عزيزاً عليّ أكثر. وفي كل يوم أفكر بأنني لم أحبه بهذا القدر من قبل أبداً. أحبه أكثر فأكثر. لا يوجد شيء بالنسبة لي سواه، وسوى اهتماماته.

8 يونيو. ليوفا مرح للغاية. إن الوحدة تقتله بينما لقاء الناس يبعث فيه الحيوية تماماً. لا، يا أخ، أنا أكثر صلابة منه. كان عليلاً بسبب الضجر. وتانيا متوعكة. ان كلا الساشين، لاسيما ابني ساشا، في منتهى الرقة واللطف.

14 يوليو. لقد تم كل شيء، ووضعت الطفل، تعذبت، ونهضت وعدت إلى مجرى الحياة مجدداً، ببطء، وبفزع، وبخوف دائم بصدد الطفل، وبصدد زوجي بصورة خاصة. لقد تحطم شيء ما في أعماقي، حدث شيء ما، وأنا أشعر بأنه سيمرض باستمرار. أعتقد أن هذا الخوف من عدم أداء الواجب *حيال عائلتي*. لقد أصبحت أشعر بالرهبة جداً أمام زوجي، كما لو أنني اقترفت ذنباً ما بحقه. ويبدو أنني أشكل ثقلاً عليه، وأنا حمقاء بالنسبة له (أغنيتي القديمة)، وحتى مبتذلة. أصبحت غير طبيعية لحد ما، لأنني أخاف الحب المبتذل كأم لطفلي، كما أخاف حبي غير الطبيعي الشديد لزوجي. إنني أحاول إخفاء كل ذلك بسبب شعور الخجل السخيف والزائف. وأعلل نفسي أحياناً بأن من الفضائل أن تحب المرأة أطفالها وزوجها. وأخشى التوقف عند هذا الحد – فبودي أن أتعلم قليلاً، فأنا سيئة، مرة أخرى، بالنسبة إلى الزوج والطفل. ما شعور الأمومة الجارف هذا، وأعتقد أنه ليس غريباً، بل هو طبيعي

أن أكون أماً. إنه طفل ليوفا - ولهذا أحبه. إن الوضع المعنوي لليوفا يعذبني. غنى الفكر، والشعور، وكل شيء يضيع. أنا أتصوره بأنه الكمال، والله يعرف ماذا كنت سأهب، من أجل أن يكون سعيداً من هذه الناحية.

23 يوليو. انصرمت فترة عشرة أشهر من الزواج. أنا أنهار روحياً - شيء فظيع. إنني أبحث غريزياً عن الدعم، كما يبحث طفلي عن الثدي. والألم يسحقني سحقاً. ليوفا لا يطاق. إنه لا يستطيع تدبير شؤون الضيعة، فهو يا صاحبي لم يخلق لذلك. إنه يتململ قليلاً. ويشعر بنقص كل هو متوفر. وأنا أعرف ماذا يريد. لكنني لن أعطيه إياه. لا أجد السلوى. أنا اعتدت على ملاطفته كالكلب - فأصابه البرود. وأراه يطمئنني طوال الوقت بقوله إن مثل هذه الأيام العصيبة قد تحدث. لكنها غالباً جداً ما تحدث. *الصبر*.

24 يوليو. خرجت إلى الشرفة - فغمرني شعور سار لحد الألم. الطبيعة جميلة، تذكرني بالخالق، ويبدو كل شيء واسعاً مترامي الأطراف... أهلي سافروا، وأمي خير صديق. فبكيت قليلاً - عاودني الشعور نفسه بالبلادة والخواء. استعاد زوجي النشاط، والحمد لله. أنا صليت كثيراً من أجله. إنه يحبني وليمنحنا الرب السعادة الوطيدة. إن الرب يهب القوة، أما أنا فقد تقوقعت مثل الحلزون، وانزويت إلى داخلي، وقررت أن أصبر إلى أقصى حد. إنني أحب الطفل حباً جماً، توقفت عن إطعامه - هذه تعاسة كبيرة، وتسمم الحياة. لدي رغبة شديدة في الإخلاد إلى الراحة، والتمتع بالطبيعة، بينما لدي شعور كما لو أنني نزيلة السجن. أنتظر عودة زوجي من تولا بأحر من الجمر. أنا أحبه بكل كياني، حباً جماً، جيداً، وقليلاً من الأسفل إلى الأعلى. سأقدم التضحية بالذهاب لإطعام ابني...

31 يوليو. إنه يتحدث بلهجة رسمية. حقاً، هذا يؤلمني. لكنه يغضب - ما السبب؟ من هو المذنب؟ إن العلاقات بيننا فظيعة - إنها مصيبة. لقد أصبح مزعجاً لدرجة أنني صرت أتجنبه طوال اليوم. إنه يقول: «سأذهب لأنام، سأذهب لأستحم». بينما أنا أفكر: «الحمد لله». وأجلس وأرعى الطفل،

وروحي تتمزق. لقد سلبني الرب الطفل والزوج، اللذين كنت أصلي معهما أحياناً بكل طيبة. والآن يبدو كما لو أن كل شيء انتهى. الصبر، يجب عدم نسيان ذلك. أنا أبارك ماضينا على الأقل. لقد أحببته جداً وأشعر بالامتنان لكل شيء. أنا طالعت الآن يومياته. وبدأ كل شيء سيئاً في هذه اللحظة الطيبة والشاعرية. *إن الأشهر التسعة هذه كادت أن تصبح الأسوأ في حياتي. أما الشهر العاشر فلا مجال للحديث عنه*. كم مرة فكر في دخيلة نفسه: «لماذا تزوجت»، وقال مرات عديدة بصوت عال: «أين أنا، وكيف كنت».

2 *أغسطس*. إن ما كتب هناك لا يخصني. ولم أجعل السماء مغطاة بالسخام عبثاً. أنت يا صوفيا أندرييفنا حسناً فعلت عندما نظفت البيت. ثمة مصيبة – التوبيخ شيء فظيع. لقد أعطيت لنفسي كلمة بأن لا أقول أبداً كلمة بحقه. لربما، سيكون كل شيء على ما يرام.

3 *أغسطس*. تحدثت معه، وبدا أن الوضع صار أخف وطأة. وبالذات تبين أن كل ما خمنته صحيح حقاً. من القباحة ألا يعتني المرء بطفله، من يقول العكس؟ لكن ما العمل لمواجهة العجز الجسدي. أنا أشعر غريزياً بشكل ما بأنه غير عادل تجاهي. فلم إذن أكابد هذا العذاب والعذاب؟ أنا اغتظت، وحتى لا يبدو لي شيئاً طيباً أن أعتني بالصبي اليوم. إنه يود أن يمسحني الآن من وجه الأرض، لكوني أتعذب ولا أؤدي واجبي، كما أود نفسي ألا أراه لكونه لا يتألم ويكتب. إن الأزواج يكونون فظيعين من هذه الناحية أيضاً. أنا لم أفكر فيها. ويبدو لي حتى في هذه اللحظة أنني لا أحبه. فهل يمكن أن تحب الذبابة التي تلسعك في كل لحظة. وأنا لا أستطيع إصلاح الوضع، وسأعتني بالطفل، وسأعمل كل ما في وسعي، طبعاً ليس من أجل ليوفا، فيجب مقابلة الشر بالشر الذي يسببه لي. وأي ضعف في الإرادة إذا ما كان لا يستطيع الصبر خلال فترة قصيرة لكي أستعيد عافيتي. فأنا أصبر وأصبر عشرات المرات أكثر منه. بودي أن أكتب عن سبب غيظي.

انهمر المطر، وأنا أخشى أن يصاب بالبرد، ولم أعد غاضبة منه أكثر – فأنا أحبه. لينقذه الرب.

صونيا، أرجو المغفرة، أنا الآن فقط عرفت بأنني مذنب وما أشد ذنبي. ثمة أيام يعيش فيها المرء كما لو أنه لا يفعل هذا بإرادته، بل يخضع إلى قانون ما خارجي لا يمكن معارضته. هذا كان حالي في هذه الأيام في الموقف منك، ومن غيري - أنا. وكنت أعتقد دائماً أن لدي الكثير من النقائص بينما لدي عشر الجزء من الشعور الطيب والنبل. كنت فظاً وقاسياً وحيال من؟ حيال الإنسان الذي وهبني أفضل سعادة في الحياة والذي يحبني وحده. صونيا، أنا أعرف بأن هذا لا ينسى ولا يغتفر. لكنني أعرف وأدرك أكثر منك كل نذالتي، صونيا عزيزتي، أنا مذنب، وحقير، لكن فقط يكمن في إنسان ممتاز ينام أحياناً. فأضمري له الحب ولا تلوميه، يا صونيا[1].

هذا ما كتبه ليوفا طالباً المغفرة مني. لكن فيما بعد غضب لسبب ما وشطب على كل شيء. لقد جرى ذلك في فترة معاناتي من التهاب الثدي، ومرض الثديين، ولم *أستطع إطعام* سريوجا، مما أثار غضبه. فهل أنا لم *أرغب بذلك*، لقد كانت تلك رغبتي الرئيسية والقوية. أنا كنت أستاهل هذه السطور القليلة من اللطف والمغفرة من جانبه، لكنه في اللحظة التالية من غضبه مني شطب هذه السطور قبل أن أقرأها.

17 أغسطس. كنت أحلم - لقد ذكرتني بالليالي *المجنونة حينما* كنت أتمتع بالحرية الواسعة وفي مزاج رائق. ولئن وجدت متعة كاملة في الحياة فإنها وجدت آنذاك. فقد أحببت وتحسست وأدركت كل شيء، العقل وكامل كياني، لقد كان هذا كله، كما بدا لي، طرياً في الذاكرة.

يضاف إلى هذا أيها الكونت الحبيب والشاعري، وصاحب الرأي النير والعميق والطيب جداً (كان هذا انطباعي آنذاك). كان ذلك زمناً رائعاً. وأنا مولهة في غموض بحبه. حقاً، أنا شعرت به، وما كنت لأشعر بالبهجة الطيبة أكثر. وأذكر كيف قال لي في إحدى الأمسيات كلاماً مؤذياً، وكان عندنا بوبوف. وقد استأت كثيراً، ولحظتئذ أردت أن أظهر له، بأن الأمر لا يعنيني، وجلست في الشرفة مع بوبوف وأصغيت طوال الوقت إلى ما يقوله الكونت، وسعيت لإظهار اهتمامي ببوبوف. ومنذ ذلك الوقت صرت أنجذب إلى الكونت أكثر

1 - كتب هذا ليف تولستوي. (المترجم)

فأكثر ووضعت لنفسي قاعدة عدم معارضته في أي شيء. لقد تذكرت هذا كله الآن وغمرني إحساس ما غير مفهوم بالسعادة، وأن هذا الكونت هو زوجي. لقد عرفت ليزكا أين تكمن السعادة، لكن صونيتشكا بيرس لم تدرك ذلك. أما الآن فقد أدركت ذلك، وما أشد إدراكي - بكل روحي. أما هو الأحمق فيغار، يا ربي، هل يمكن أن يوجد أمر ما يمكن أن يشكل ذريعة للغيرة. وقد أسفت لأنه أمضى أغسطس الماضي الشاعري وحيداً وبدوني. لربما كان هذا أفضل مما كان. الآن هو غير موجود في البيت، وأنا أشعر بالضجر دائماً في غيابه. عندئذ أعتاد وأنتظر المعافاة والعودة إلى الحياة، إلى الحياة مع ليوفا، - أما نحن فقد افترقنا الآن. إن شكوكه بصدد حبي له تحيرني دوماً لحد الضياع. كيف أثبت له، بأنني أحبه *بنزاهة* وبصورة طيبة وبثبات.

10 سبتمبر. ثمة قليل من الأسف على الشباب، والقليل من الغيرة، والقليل من السأم. إن كافة الأوجاع والألم، في الحياة داخل أربعة جدران، بينما كل شيء خارج البيت طيب بشكل رائع، وثمة خفة في الروح، والجذل في الحياة العائلية. القمر مجدداً، ومجدداً الأمسيات الدافئة والهادئة وكل شيء وليس من أجلي. طفل ناتالي ينازع الموت. المعاناة فظيعة. ما ذنب الطفل، وما ذنب الأم؟ والأب ينتحب. شيء محزن - وأنا بكيت. نظرات لوفا تلاحقني. بالأمس حين كنت جالسة عند البيانو، أصابني الارتباك الشديد. بمَ كان يفكر آنذاك؟ لم تكن نظراته بهذا الشكل أبداً. هل إنه استعاد ذكريات ما؟ الغيرة؟ إنه عاشق...

22 سبتمبر. غداً ينصرم العام. يومذاك كانت الآمال في السعادة، أما الآن، ففي التعاسة. أنا لم أفكر الآن بأنها مزحة: إنني أرى الحقيقة تقريباً. إلى الحرب. ما هذه الغرابة؟ هل إنه مختل العقل - كلا، هذا غير صحيح، إنه مجرد انتهازي. لا، هل إنه عن قصد أو غير قصد يسعى بكل قواه إلى جعل الحياة بشكل بحيث أكون تعيسة دوماً. لقد جعلني في وضع يجعلني أحيا وأفكر دوماً بأن أصبح اليوم أو غداً وحيدة بلا زوج مع طفل أو ربما عدة أطفال. اليوم تزوج، وأعجبه ذلك، وأنجب الأطفال، وغداً سيرغب في الذهاب إلى الحرب، ويتركني. ينبغي أن أتمنى الآن موت الطفل لأنني لن

أحتمل ذلك. أنا لا أصدق حب الوطن هذا، وهذه الحماسة في سن 35 عاماً. أليس الأطفال يجسدون الوطن، والروس؟ وهو يتركهم، لأنه يريد أن يمرح في ركوب حصان، والتمتع بجمال الحرب، وسماع كيف ينطلق الرصاص. أنا بدأت لا أحترمه كثيراً بسبب الانتهازية وخور العزيمة والجبن. الموهبة أكثر أهمية من العائلة تقريباً. دعه يفسر لي كل أهمية رغبته. لماذا تزوجته؟ فالريان بتروفيتش أفضل منه. فلماذا تركته بلا أسف. ما حاجته إلى حبي؟ إنها نزوات عاطفية فقط. أنا أعرف الآن بأنني مذنبة. وهو متجهم الأسارير. أنا مذنبة لأنني أحبه ولا أتمنى موته أو فراقه. دعه يتبرم ويعبس، أنا أتمنى أن أستعد للأمر مقدماً، أي أن أكف عن حبه بغية أن يكون الفراق أخف وطأة. دعه يبعدني عنه تماماً، وسأبتعد عنه. تكفيني سنة من السعادة، ولديه الآن خيال جديد. لقد سئمت من هذه الحياة. ولن يكون لديه المزيد من الأطفال. وأنا لا أريد أن أعطيه إياهم من أجل أن يتركهم. يا للطغيان فهو يقول: «أنا أريد، ولا تتجاسري على قول كلمة». لم تندلع الحرب بيننا بعد، بينما هو ما زال هنا. هذا أسوأ ما في الأمر. الآن انتظري، وتعذبي. أتمنى أن تحل النهاية. والشر الرئيس يكمن في أنك تحبينه. أنا أتطلع إليه، هو كئيب، ويقلب روحي كلها.

7 أكتوبر. كآبة. إن ما يبعث على المسرة هو وجود الابن. معنى هذا أنا مربية. إن الاهتمام الكثير الذي لا نهاية له بالأقمطة يبعدني عن الأفكار. إنه طبعاً يلاحظ كآبتي، فلا يمكن إخفاء ذلك، لكنه لن يحتمل هذا. أريد الذهاب إلى حفلة البالو – لكن الكآبة ليست لهذا السبب. أنا لن أذهب، لكن المحزن أنه لا تزال الرغبة موجودة. ومن شأن هذا الحزن أن يسمم كل الانشراح الذي، بالمناسبة، أشك فيه. إنه يقول: «أنا أبعث من جديد». لماذا. ليكن فيه كل ما وجد قبل الزواج – باستثناء الجزع والسعي حائراً تارة إلى هنا وتارة إلى هناك. كيف أبعث من جديد؟ إنه يقول: ستفهمين ذلك بنفسك. وأنا أحتار وأضطرب ويحدث كما لو أنني لا أفهمه. ثمة أمر يتغير فيه. وأصبحنا أنا وهو مفترقين أكثر لحد ما. لقد أبعدني عنه المرض والطفل، ولكن لماذا أنا لا أفهمه. فماذا أريد أكثر؟ أليس من السعادة أن أجد دائماً بالقرب مني عقلاً لا ينضب وموهبة ومحسناً وفكراً متجسداً في زوجي. ومع هذا أشعر بالضجر. إنه *الشباب*.

17 *أكتوبر*. أشعر بأنني لست قادرة على أن أتفهمه بقدر كاف ولهذا أتابعه بغيرة. أتابع أفكاره، وأفعاله، في الماضي والحاضر. بودي الإلمام بكل شيء، وتفهمه، بغية أن يكون معي مثلما كان مع ألكسندرين، وأنا أعلم بأن هذا غير ممكن، وأنا لن أشعر بالإهانة، وأتقبل اعتقاده بأنني لا زلت صبية، وحمقاء، ولست أتمتع بالشاعرية بقدر كاف. وبغية أن أكون مثل ألكسندرين، باستثناء الصفات الخلقية، يجب أن أكون أكبر سناً وبلا أطفال وحتى غير متزوجة. وأنا حتى قد لا أشعر بالإهانة، لكونه تبادل معها الرسائل بروح صادقة، وأحزن فقط إذا ما اعتقد بأن زوجة ليوفا غير قادرة على شيء سوى إنجاب الأطفال وإقامة علاقات يومية تافهة. وأنا أعرف بأنني مهما كنت غيورة، غيورة من روحه، ولا يمكن شطب ألكسندرين من الحياة، ولا حاجة لذلك، إنها مارست دوراً طيباً لا أستطيع أنا القيام به. وعبثاً أن توقف عن كتابة الرسائل إليها. أنا بكيت لأنني لم أسمع منه سابقاً كل ما كتبه، لأنه كتبه. «هذا ما أعرفه وحدي فقط عن نفسي». وأبلغك أيضاً، - لا علاقة للزوجة بالأمر. وودت التعرف إليها عن قرب أكثر. فهل تعتبرني جديرة به؟ إنها تفهمته وثمنته بشكل أفضل. وجدت في الطاولة رسائل منها إليه، فجعلتني أفكر فيها وفي علاقاتها مع ليوفا. وإحدى الرسائل ممتازة. ودار في خاطري عدة مرات أن أكتب إليها من دون التطرق إلى رسالة ليوفا، لكنني لم أقدم على ذلك. إنها أثارت اهتمامي وأعجبتني جداً. كنت أفكر فيها طوال الوقت منذ أن قرأت رسالة ليوفا إليها. إنني كنت سأحبها. أنا لست بحامل، وأحكم انطلاقاً من حالتي المعنوية، وأرغب في أن يتواصل ذلك. إنني أحبه جداً وأشعر بالرعاية من جانبه، وكيف يشتد هذا الحب. أنا اليوم في مزاج طيب ورائق وهادئ. حقاً لأنه يحبني بهذا القدر الآن. أنا لا أصدق بأنه حظ من قدر نفسه. أنا أنتظر بفارغ الصبر الوقت الذي ينتهي فيه وضع روحه المؤقت والمضطرب وعدم الرضى عن الذات. ويسرني أحياناً بأنه صار أفضل معنوياً، وأنا أخشى حالاته النفسية. إن هذا العمل المعنوي يقصر حياته، بينما أنا بأمسّ الحاجة إليها.

28 *أكتوبر*. أنا لست على ما يرام، وثمة شعور دائم بالضيق. كما لو أن حبنا قد انقضى وأفل، لم يتبق شيء. إنه بارد، كالميت تقريباً، ومشغول جداً، لكن

ليس بانشراح، بينما أنا منقبضة النفس وغاضبة. أنا غاضبة على نفسي، وعلى طبعي، وعلى علاقاتي مع زوجي. ربما أردت، وربما وعدته بشيء في روحي. عزيزي، عزيزي ليوفتشكا. إنه مستاء من كل هذه المماحكات. فهل خلق من أجلها؟ وأنا أيضاً غاضبة، وليغفر لي الرب. أنا أحبه حباً جماً، وأشعر بالحزن، وأنا لا أستطيع أن أكون سعيدة، وكذلك لا أستطيع أن أجعل الآخرين سعداء. إن العجز المعنوي شيء فظيع، وأنا أنفر من ذاتي. إذن إن الحب ليس عظيماً ما دام يبدو عاجزاً. كلا، أنا أحبه حباً جماً، أحبه جداً. لا شك في ذلك، ولا يمكن أن يوجد. ارتفع أكثر يا زوجي العزيز، العزيز للغاية. أين هو *تاريخ* 12 عاماً. كان أحياناً يتحدث عن كل شيء، أما الآن فأنا لست جديرة بذلك. سابقاً كانت جميع أفكاره هي أفكاري. كانت لحظات سعيدة، ورائعة، أما الآن فلا وجود لها. «سنكون سعداء دوماً، يا صونيا». أشعر بالحزن الشديد، لم تعد لديه تلك السعادة السابقة الجدير بها حقاً والتي كان ينتظرها.

13 نوفمبر. أنا أشفق على العمة، إنها لن تحيا طويلاً. فهي مريضة على الدوام، وتسعل في الليل، ولا تنام. يداها هزيلتان وجافتان. إنني أفكر فيها طوال اليوم. هو يقول: سنعيش في موسكو. أنا كنت أنتظر ذلك. الغيرة على المثل الأعلى المرتبط بأول امرأة مليحة. إن مثل هذا الحب فظيع، لأنه أعمى ولا شفاء منه تقريباً. وأنا لم أستطع إنجاز ولو قطرة من هذا المثل الأعلى، ولن أستطيع ذلك. أنا مهجورة. لا نهار ولا مساء ولا ليل. أنا – المتعة، أنا – مربية، أنا أثاث مألوف، أنا *امرأة.* أنا أجاهد لكي أخنق أي شعور إنساني لدي. ما دامت الماكينة تعمل، وتسخن الحليب، وتحوك اللحاف، وتدعو إلى الصيد، وتسير إلى الأمام وترجع إلى الوراء، بغية أن تتفادى التأمل – حين تكون الحياة ممكنة وحتى مقبولة. أما لدى التفكير دقيقة واحدة، فلا يمكن الحياة بهذه الصورة. لم يعد يحبني. ولماذا لم أستطع. كلا، إنه – القدر. كانت هناك لحظة، – أنا أعلن توبتي – لحظة مصيبة، حين بدا لي كل شيء تافهاً قبل أن يكف عن حبي. إن ما يكتبه تافه، فهو يكتب عن كونتيسة ما تتحدث مع كونت ما، وبعد ذلك شعرت بأن بصيرتي تتفتح. إن حياتي اليومية هي الموت. بينما الحياة كلها لديه تتألف من العمل مع

الذات والموهبة والخلود. وطفقت أخشاه. كنت أشعر في بعض اللحظات بالاغتراب التام. إنه نفسه جعلني في هذا الوضع. وربما أنا المذنبة، فقد فسد طبعي، – منذ بعض الحين أخذت أشعر بأنني لست أناسبه، ولم أعد ما كنت عليه، ولهذا أهملت. وأنا لم أقع في حيرة من أمري، والحمد لله، وصبرت. لكن لم يعد هناك ما يبعث لدي الانشراح أو يولد لدي الاضطراب. ماذا يحدث لي – لا أعلم. أنا أعلم بأنني أتمتع بحس مرهف.

19 ديسمبر. أنرت الغرفة بشمعتين، وجلست إلى الطاولة، وشعرت بسرور. أنا أجلس بلا مبالاة، خاوية.أنا حالياً بلا هموم وواقعة في أسر الكسل والسرور. يبدو لي كل شيء مضحكاً ولا يهمني أي أمر. وبودي أن أتغنج ولو مع أليوشا جورشكي، وبودي أن أسخط ولو على المقعد أو أي شيء آخر. لقد أمضيت أربع ساعات في لعب الورق مع العمة، وهو غاضب، لكن الأمر كان لدي سيان. وعندما أتذكر تانيا، أشعر بالألم، وبشيء يخزني. وأنا أتجاهل حتى هذا، لأنني حالياً أعاني من بلادة في الروح. ربما أن الطفل أفضل، و*هذا* ما يولد الانشراح لدي. في هذه اللحظة أرغب في حضور حفل بالو أو أي شيء مبهج آخر. قد أشعر بالحزن فيما بعد، لكنني لا أستطيع تغيير هذا الروح. ويغضبني أن ليوفا لا يعمل كثيراً وحتى لا يشعر البتة ولا يفهم بأنني أحبه. لهذا أود أن أفعل له شيئاً ما. إنه كبير في السن ويركز الفكر جداً. أما أنا فأتحسس حالياً روح شبابي، ولهذا أريد أمراً ما جنونياً. وبدلاً من الرقاد أود أن أتقلب رأساً على عقب.

24 ديسمبر. ثمة شيء قديم يخيم فوق كاهلي، كما أن الوضع المحيط بي قديم. وأنا أسعى إلى إخماد كل الشعور بالفتوة والصبا: لكنه يبدو، في وضع الحصافة هنا، أن هناك شيئاً غير مناسب وغريباً. إن سريوجا وحده شاب أو هو ذو روح أكثر فتوة من الآخرين. ولهذا أنا أحب أن يزورنا. أما عن ليوفا فيتولد لدي شيئاً فشيئاً انطباع بأنه إنسان يوقفني عند حدي فقط. والتحفظ الذي ينبثق من هذا الإيقاف، يعيق أيضاً أية نفحة حب. وكيف يمكن أن *أ*حب حين يسود الهدوء والتأمل والوئام. رتابة مملة – زد على أنها بلا حب.

لا أريد أن أعمل شيئاً. إنني أشكو كما لو كنت تعيسة. نعم أنا تعيسة – فهو لم يعد يحبني كثيراً. هذا ما قاله، وأنا عرفت ذلك من قبل. أما من ناحيتي فلا أعرف. فأنا قلما أراه، كما أنني أخشاه، ولا أعرف مدى حبي له. وددت أن تقترن تانيا بسريوجا، لكن يبدو ذلك الآن مخيفاً. وماذا عن ماشا؟ إن كل تأملات ليوفا حول الخزائن الروحية، إنما هي تصور المثالية، وهو بهذا الحال، لا تعتبر البتة مبعث طمأنينة لي.

1864

2 يناير. تانيا وتانيا. هذه فكرتي الرئيسية. لقد تعبت من التمني والحزن والسعي. أنا وكذلك ليوفا والعمة – نحن جميعاً نمثِّل الرب. وأتمنى لهما السعادة بجهد وبحزن وبقوة. إنني بمزاج عكر – وأشعر بهذا. في تولا أشعر بالضجر، لقد تعبت. تمنيت لو اشتريت المدينة كلها، أي خور عزيمة هذا، لكنني كنت متبصرة. إن ليوفا لطيف، وعندما كان يمارس الألعاب بانت عليه بعض سمات الطفولة. أنا تذكرت وتفهمت ألكسندرين. وأنا أدركت مدى حبها له. *الجدة.* الآن غضب، وقال: «عندما تكونين عكرة المزاج تذهبين – إلى دفتر اليوميات». لكن ما علاقته بالأمر؟ أنا عكرة المزاج الآن. إن كل كلمة قارصة من جانبه لها وقع الإهانة والألم لحد ما. يتعين عليه أن يصون حبي له أكثر. أنا نفسي أخشى أن أكون قبيحة معنوياً وجسدياً.

27 مارس. تراكم الغبار على دفتر اليوميات كله. أنا لم أدوّن شيئاً منذ وقت بعيد، والآن بودي أن أكتب خلسة بهدوء، كما يتخفى الأطفال، كل ما يدور في رأسي. أود أن أحب الجميع وأبتهج لكل شيء، لكن إذا ما مس أحد ما هذا الشعور – سينهار كل شيء. غمرني على حين غرة كل هذا الحنان والثقة والحب حيال زوجي، ربما لأنه ورد في خاطري في الأمس أن من المحتمل أن أفقده. والآن تأكدت بأنني لا أستطيع، ولن أفكر بهذا البتة. ولن أستمع إلى من يتحدث عن هذا، ولن أصغي إليه أيضاً. أنا أحب تانيا كثيراً، فلم أفسدها؟ أنا لن أفسدها وعبثاً يقال هذا كله. أنا أشعر بالمرح في صحبتها، وسأمارس العزف. أنا أستطيع عمل الكثير من أجلها من حيث الشعور، لكنني لا أستطيع عمل شيء تقريباً في هذه الظروف. سأخفف

عنها قدر ما أستطيع. وسيكون لدي طفلان تانيا وسيرجوشكا، وسأعتني بهما، وسيكون ذلك أمراً حسناً. وأعتقد بأنني الآن أقل أنانية مما في العام الماضي. آنذاك كنت أتكدر بسبب بطني، وأتكدر لأنني لا أستطيع المشاركة في التسلية المشتركة. أما الآن فإنني أبتهج لأنسى، ويغمرني المرح والجذل أكثر من الجميع.

22 إبريل. بقيت لوحدي، وهكذا صمدت أمام المصاعب بلا تردد وبقيت وحيدة مع نفسي طوال اليوم، سواء في المساء أو الآن، وكلي رغبة في تلبية الحاجة إلى تركيز الذهن وذرف الدموع والاستنساخ في دفتر اليوميات، ولو أنني غير منشرحة الصدر ومن الأفضل أن أكتب له، لو كان هذا عن قرب وممكناً. لا يوجد ما أستنسخه، ملل، وفراغ، ولا حياة فحسب. وما دمت أحمل سريوجا بيدي، تراءى لي أن هناك ما أتلهى به، لكن في المساء، حين رقد في الفراش للنوم، صرت أبدي النشاط طوال الوقت، وأنهمك بممارسة الأعمال، كما لو أن أعمالي كثيرة جداً، أما في واقع الحال فإنني مجرد لم أرغب في التفكير والتأمل. قد يبدو لي أنه يمارس الصيد، ويعمل في المنحل، أو يتدبر شؤون الضيعة وسيعود قريباً. لقد اعتدت على الانتظار، دوماً حين يعود في الوقت المقرر، وعندما يتأخر قليلاً ربما أفقد صبري. وبغية ألا أشفق عليه أبتدع دوماً شيئاً غير سار في الحياة معه. وأنا لا أستطيع ذلك لأنني أتصوره هكذا، وأعرف، بأنني أحبه بقوة وأود النحيب دائماً. أجد نفسي فجأة في لحظة ما وأنا أفكر بأنني لا أشعر بالضجر، لكنني، كما لو يحدث هذا عن قصد، أشعر بالضجر في تلك اللحظة نفسها. سأرقد الآن لوحدي تماماً لأول مرة في حياتي. إنه يطلب مني دائماً أن ترقد تانيا معي، لكنني لا أرغب في ذلك – ليرقد معي إما ليوفا أو لا أحد في الدنيا، أبداً. وحتى إذا ما مات بيسر، فإنني سأبقى وفية له دائماً. الآن أصبحت أثق به الآن كامل الثقة، حتى يبدو الأمر مخيفاً. إنه أمر مضحك بالنسبة لي، فها أنذا أجلس وأبتلع الدموع، كما لو أن البكاء لغياب الزوج أمر مخجل. إنني أبكي خلال أربعة أيام. ربما سأرتكب على حين غرة حماقة وأسافر إلى نيقولسكويه. أشعر بأنني قادرة على ذلك، اذا ما أهملت نفسي ودموعي.

إن دفترَ اليوميات وما كتبت فيه يجعلاني أتكدر أكثر. ما الفائدة مني إذا ما كنت ضعيفة الإرادة ولا أمتلك القدرة على تحمل شيء ما. وماذا يفعل هو، هذا ما لا أريد التفكير فيه. لابد أنه منشرح الصدر وبلا ضجر، ولا يبكي مثلي. أنا لا أشعر بالخجل لأنني وحيدة ولا أكتب في دفتر يومياتي تقريباً، بينما كف هو عن التطلع فيما إذا كتبت شيئاً ما، وماذا كتبت بالذات. أنا لا أقدم على اللجوء إلى الفراش وحيدة، ويدب فيَّ الضعف، وأحس بأن تانيا ستسمع عاجلاً من غرفة الاستقبال كيف أبكي، وسيتملكني الخجل، بينما كنت طوال اليوم أظهر التعقل.

3 نوفمبر. شعور غريب، الكآبة الدائمة وسط حالتي السعيدة، والخوف والفكرة التي لا تفارقني حول موت ليوفا. ويحتدم هذا الشعور يوماً بعد يوم. في هذه الليلة وكافة الليالي يتملكني الفزع، واللوعة المؤلمة لهذا السبب، والآن بكيت، وأنا جالسة مع الطفلة، وتراءى لي بجلاء كيف يموت، وبدت لي صورة موته كاملة. لقد بدأ هذا الشعور منذ اليوم الذي أصيبت ذراعه بخلع. فقد أدركت بغتة احتمال أن أفقده ومنذ ذلك الحين أفكر في هذا فحسب. أنا أقطن الآن في حجرة الأطفال، وأنهمك في إطعام ورعاية الأطفال، وهذا يصرف ذهني عن تلك الأفكار أحياناً. وأحياناً أفكر أيضاً بأنه ربما يشعر بالملل من العالم النسائي، بينما أشعر بأنني عاجزة لحد كبير عن منحه السعادة، وأشعر بأنني مربية جيدة، لا أكثر ولا أقل. فلا عقل، ولا تعليم جيد، ولا موهبة – لا شيء. وأتمنى أن يحدث أمر ما عاجلاً، وإذا ما حدث فإنني سأتحسسه في أغلب الظن. وتسليني أحياناً رعاية الأطفال وطرائف سريوجا، بينما لا توجد في قرارة نفسي أية مشاعر بهيجة حيال أي شيء، كما لو ضاعت مسراتي كلها. وكنت غالباً ما أتحسس مسبقاً حدوث أمر مكدر، والشعور غير الودي الذي يكنه ليوفا لي، وربما أنه الآن أيضاً يشعر بالحقد المكتوم تجاهي.

1865

25 فبراير. غالباً ما أكون لوحدي مع أفكاري، مما يدفعني بلا إرادتي إلى الكتابة في دفتر اليوميات. أشعر بالكدر أحياناً، بينما أعتقد بأن الحياة طيبة مع أفكاري وحدها ولا حاجة للتحدث عنها مع أي أحد. وتراودني في رأسي شتى الأفكار. وفي الأمس قال ليوفوتشكا بأنه يشعر بأنه شاب، وقد فهمته كل الفهم. أنا الآن معافاة، وغير حامل، وغالباً جداً ما أكون في هذا الحال، مما يبعث فيَّ الخوف. لكنه قال إن الشعور بهذه الفتوة يعني: *«أنني أستطيع عمل كل شيء»*. *وأنا أيضاً أريد وأستطيع عمل كل شيء.* لكن عندما يزول هذا الشعور وتظهر الأفكار والتأملات، أرى أنني لا أريد شيئاً ولا أستطيع عمل أي شيء، بل فقط أستطع ممارسة أعمال التربية أي الأكل والنوم وحب الزوج والطفلين، أي كل ما يشكل السعادة في جوهر الأمر، إذن لمَ أشعر دائماً بالحزن، كما في الأمس، وأذرف الدموع. أنا أكتب بانفعال بهيج، باعتبار أنه لن يقرأ هذا أي أحد، لأنني الآن صادقة ولا أكتب من أجل ليوفوتشكا. لقد سافر، ولا يمضي الآن الكثير من الوقت معي. لكنني عندما أكون *شابة* أشعر بالفرح لفراقه، وأخاف أن أكون حمقاء وسريعة الهياج والغضب. تقول دونياشا إن الكونت أصبح عجوزاً. فهل إن هذا صحيح؟ إنه لا يبتهج الآن أبداً، وغالباً ما أزعجه، والكتابة تشغله لكنها لا تسره. فهل فقد إلى الأبد كل قدرة على الابتهاج والمرح؟ إنه يقول إننا سنعيش بموسكو في الشتاء القادم. أظن أنه سيكون أكثر ابتهاجاً، وسأصبو إلى أن نحيا هناك. أنا لم أعترف له أبداً، حقاً، وحتى مع زوجي، مع ليوفوتشكا، يمكن الاحتيال بلا إرادة، لكي لا أظهر بمظهر غير محمود. ولم أعترف له بأنني مغرورة – تافهة، وحتى حسودة. عندما سأكون في موسكو سأشعر بالخجل إذا لم تكن لدي عربات وجياد وخدم ببزة خاصة وفساتين جيدة، وشقة جيدة،

وعموماً كل شيء. أما ليوفوتشكا، فأمره عجيب، إن كل شيء لديه سواء. يا لها من حكمة فظيعة وحتى فضيلة.

إن الأطفال أكبر سعادة. عندما أكون لوحدي، أشعر بالتقزز من نفسي، أما الأطفال فيبعثون في نفسي أطيب المشاعر المختلفة. في الأمس صليت من أجل تانيا، أما الآن فقد نسيت كلياً، كيف ولِمَ صليت. أنا مع الطفلين *لست شابة*، ولكن يغمرني شعور من الطمأنينة والخير.

6 مارس. سريوجا مريض. أنا بكامل كياني وكأني في حلم. الانطباعات فقط. وكل ما أفهمه هو الأفضل أو الأسوأ. ليوفوتشكا شاب، ونشيط، وذو إرادة صلبة، كما أنه يعمل، وهو مستقل. وأشعر بأنه يجسد الحياة والقوة، أما أنا فلست سوى دودة فقط تزحف وتنخره. أنا أخاف أن أكون ضعيفة. أعصابي واهية بعد المرض والشعور بالخجل. مع ليوفوتشكا يتم بقوة تحسس *القطع* الأخير دون الانفصال. أنا انتظر، لأنني المذنبة. وأخاف الانتظار. وأن يعود حنانه تجاهي كالسابق. أنا أشعر بالتبجيل حياله، لكنني نفسي انحدرت جداً، لدرجة أنني أشعر بنفسي، بأنني أريد أحياناً أن أستغل نقاط ضعفه فأماحكه. لدي شعور غريب طوال المساء. لقد خرج للتنزه، وأنا وحيدة، كل شيء هادئ. نام الطفلان، ومصطبة الموقد تتدفأ، وهنا في الطابق الأعلى كل شيء نظيف جداً وفارغ والزهور أنيقة لا تناسب المكان، وزاهية، والرائحة النفاذة لشجرة البرتقال البري، ورهبة وقع أقدامي نفسي وحتى أنفاسي. عاد ليوفوتشكا، وسادت على الفور البهجة والانشراح. لقد انبعث منه عبير الهواء النقي، وهو نفسه يولد لدي الانطباع بوجود الهواء النقي.

8 مارس. أصبح كل شيء أكثر مرحاً، وأفضل. استعاد سريوجا عافيته، وزال المرض. ليوفا طيب جداً، ومرح، لكنه يبدي بروداً ولامبالاة تجاهي. أخشى القول بأنه لا يحبني. وهذا يعذبني باستمرار، ولهذا تتسم العلاقات معه بالتردد والهيبة. في أيام المصيبة ومرض سريوجا كنت بروح فظيعة. إن التعاسة لا تجعلني وديعة أكثر، وهذا أمر سيئ. راودتني أفكار فظيعة يخيفني ويخجلني الاعتراف بها. وعندما رأيت مدى برود ليوفوتشكا تجاهي، وكثرة مغادرته البيت،

بدأت أفكر فيما إذا كان يذهب إلى «أ». وهذا الأمر يعذبني طوال اليوم، لكن سريوجا كان يلهيني عنها، والآن حين أفكر في الأمر أشعر بالخجل الشديد. لقد حان الحين لكي أعرفه. وهل من الممكن أن يظهر هذا الهدوء، وعدم التكلف، والمصداقية. ومهما فكرت، ما دمنا أنا وهي هنا، فإن أي مزاج سيئ، وأي برود من جانب ليوفا، يقود إلى فكرة تعذبني. ماذا لو عاد على حين غرة وقال...أنا أكذب بفظاعة، وضميري يؤنبني، ووجدت من جانبي وجوب اعتبارالفكرة التي وردت في ذهني، ولو بشكل غامض جداً وبعيد، هي فكرة حمقاء.

9 مارس. البرودة ذاتها من جانب ليوفوتشكا. لدي زكام، أنا شنيعة، وتعيسة. لزمت الصمت طوال اليوم، كما لو أريد نسيان كيفية الكلام، وأواصل نبش أفكاري، وأتمتع بالطبيعة وأتحسسها، وباقتراب موسم الربيع، عبر النافذة فقط. ما زال الطفلان يعانيان من الزكام والسعال، وسريوجا هزيل البدن، وبائس جداً. أشعر بحنان تجاه الطفلين لدرجة أنني حتى أتحفظ وأخشى إظهاره بصورة مبتذلة. ليوفوتشكا يحطمني تماماً بلا مبالاته التامة وعدم الاهتمام كلياً بكل ما يتعلق بي. إنه يطلب فقط المشاركة في اهتماماته التي تعتبر عزيزة وظريفة أصلاً. أنا أشعر بالهدوء وحتى بالوداعة. وهذا نادراً ما يحدث لي. وتشغلني باستمرار الأفكار حول الأهل بموسكو. إن ليوفوتشكا لا يعرف مثل هذه الأفكار حيال الوالدين. أنا أود جداً أن أراهما. وأعتقد دوماً أنني حين أتحدث عن السفر إلى موسكو يبدي ليوفا النفور منه. إنه يبحث عن منفعة له في ذلك ولا توجد لديه أية رغبة في عمل شيء يجلب الارتياح لي. أنا أفكر الآن، هل أنا أنانية، وأعتقد، لا. أنا جاهزة لعمل أي شيء في الدنيا من أجل ليوفا. إنه يقول إنني ضعيفة الشخصية. ربما هذا هو الأفضل. أنا قادرة، إن وجب ذلك، للتماشي مع أية ظروف ولا أريد شيئاً. لكنني أعمل الآن كثيراً من أجل ألا أكون ضعيفة الشخصية. ذهب ليوفوتشكا إلى الصيد، بينما لازمت الفراش الصباح كله. أنا أرغب في مجيء العمة، لأنني أحبها، ولكني آسفة لتعكير وحدتي، التي اعتدت العيش فيها، وأحببتها، والتي أكون فيها فقط صادقة وحرة. أنا أخاف ليوفوتشكا. فقد صار غالباً ما يلاحظ كل شيء غير محمود فيّ. وصرت أفكر بأن لدي القليل من الصفات الطيبة.

10 مارس. يعاني ليوفوتشكا من الصداع، وذهب على صهوة حصان إلى ياسينكي. وأنا أيضاً لست بصحة جيدة. والطفلان في وضع بائس جداً بسبب الزكام والسعال. ولا أدري أية قوة يمكن أن تمنح العافية لسريوجا. إنه هزيل البدن، ولا يأكل شيئاً، وكئيب، ولديه إسهال دائم، دائم. تلقيت الآن رسالة من العمة، إنها تأثرت كثيراً برسالتي لها، وهي تعاني أيضاً من السعال والمرض. أنا أكنُّ حقداً كامناً لماشينكا، كما يقول ليوفوتشكا. إن مشاعرها تجاه الأطفال ممتازة وتتسم بنوعٍ من الرعاية، ولكن مع الحب الصادق. وليوفوتشكا أصبح الآن أكثر لطفاً. لقد قبلني، وهو لم يفعل ذلك منذ وقت بعيد. أنا أستنسخ أعماله، ويسرني أن أكون نافعة له بشكل ما.

14 مارس. إنني أعاني في هذه الأيام من الصداع الشديد، وفي المساء فقط أكون نشيطة، وأريد ممارسة أي عملٍ، والتمتع بكل شيء. ليوفوتشكا يعزف مقدمة شوبان. إنه بمزاج طيب جداً، لكنه يعاملني بكل برود، وليس كما ينبغي. الطفلان يلتهمان كل وقتي. إنهما يعانيان من الإسهال. وهذا يجعلني في حالة يأس. جاء دياكوف، إنه ذلك العندليب المغرد نفسه، كما تقول تانيا. أنا أحبه، والتعامل معه يتم بكل بساطة. كما أنه ظريف. لم يحل الربيع، البرد مستمر، شتاء، وهذا هام بالنسبة لي من الناحية المعنوية ومن ناحية صحة الطفلين. أنا أنتظر الربيع، كما لو أنه بركة ما، والربيع تأخر في هذا العام. وصار ليوفوتشكا غالباً ما يسافر إلى تولا، وانبثقت الحاجة للقاء الآخرين أكثر. ولدي أحياناً الحاجة ذاتها – لكن ليس لرؤية الناس عموماً، بل لرؤية تاتيانا وزفيروتوف وأمي وأبي.

15 مارس. سافر ليوفوتشكا إلى تولا. وأنا مسرورة. إن ابن سريوجا يعاني من النزع الأخير. وأنا حزينة جداً لذلك. لقد ضعف الصداع قليلاً، وأنا نشيطة جداً وقوية. وما زال الطفلان يعانيان من وعكة، لكنهما بوضع أفضل قليلاً. طلعت الشمس للحظة وأثرت فيَّ كما تؤثر أنغام الفالس في صبية في سن 16 عاماً. أود التنزه، أود مجيء الربيع والطبيعة والصيف. لم ترد رسائل من أهلي منذ وقت طويل. كيف حال عزيزتي تانيا الحلوة والحالمة؟

الحياة طيبة وميسرة مع ليوفوتشكا مجدداً. لقد قال لي مرة، أنا كنت سخيفاً في هذه الأيام...أنا أحبه حباً شديداً. ولا يمكن أن أصبح حمقاء معه. إنه بمعرفته لذاته وباعترافه بكل شيء يجعلني أشعر بالمذلة ويرغمني أيضاً أن أجد الصفات الأكثر ضآلة غير الحميدة فيّ.

16 مارس. صداع شديد، الطفلان في وضع مبهم، والسخونة عالية لدى سريوجا الآن، وأنا لا أفهم ماذا جرى له. أما ليوفوتشكا فقد اختفى من البيت حالما استيقظ. أين هو؟ وماذا يفعل؟ تلقيت يوم أمس من تانيا رسالة *وحاجياتها.* ففرحت لكوني سأراها قريباً. إنها الفرحة حين تلتقي شخصاً قريباً، ورؤية حاجياتها وبينها بعض حاجياتي حين كنت فتاة عذراء. توفي ابن سريوجا. بكيت في الصباح، وحزنت كثيراً. الصداع يمنعني من ممارسة أي عمل. وتقلص العضلات (العَرّة) هذه التي لا تحتمل.

20 مارس. إنني أعاني من الحمى لليوم الثاني في الصباح، وثمة وجع رهيب في الرأس. وأنا أشعر بأنني أمام ليوفوتشكا مثل الكلبة المصابة بالطاعون. لكنني لا أعيقه، وهو لا يلقي بالاً إلي. وهذا يؤلمني، أنا ضعت بالنسبة له. بينما لدي الشعور القوي القديم ذاته تجاهه والمترع بالغيرة. أنا فسدت بالدلال. والآن تذكرت فجأة لدى قراءة نقد «القوزاق»، وعندما تذكرت الرواية وأنني الحد الذي ينتهي عنده كل شيء، الحياة والحب والشباب، فهذا كله كان من نصيب القوزاقيات وغيرهن من النساء. إن طفليّ قيداني بشدة إليهما. وقد وهبت كل شيء إلى الطفلين. وأنا.أشعر بأنهما يحتاجانني، وهذه سعادة كبيرة. وعندما ترقد تانيا على صدري أو يحتضنني سريوجا بقوة بذراعيه، لا توجد لدي أية غيرة، ولا تلم بي أية مصيبة، ولا آسف على شيء ما، ولا رغبات، لا شيء. وهما الآن يعانيان من المرض، ولا يسرني أي شيء. الطقس رائع، ربيعي، لكن لم يقدر لي أن أتمتع بالطبيعة بصورة كاملة. أنا أتطلع إلى ليوفوتشكا – إنه مرح وقوي عقلاً وعافية. الشعور بالمذلة أمر فظيع. وكل قدراتي التي أتسلح بها من أجل أن أصبح على قدم المساواة معه هي – الطفلان، والطاقة،

والشباب وزوجة طيبة وتتمتع بالعافية. أما الآن فأنا بالنسبة له – كلبة مصابة بالطاعون.

23 مارس. زالت الحمى ومعها وضعي المعنوي السيئ. تقلص العضلات (العَرّة) يعذبني بشدة. ولم يبرأ الطفلان من المرض بعد. سافر ليوفوتشكا إلى تولا لاستدعاء الطبيب. علاقتي به جيدة جداً. وصرت أشعر مجدداً باليسر والطيبة معه، ولا يراودني أي شك في حبه، ولا تراودني الغيرة، لا شيء. الطقس رائع، الجداول، الربيع، بينما أنا حبيسة في البيت. ليوفوتشكا مشغول جداً في زريبة المواشي، ويكتب الرواية بلا حماسة شديدة. لديه أفكار وأفكار، ولكن متى سيتم تدوينها. وأحياناً يحدثني عن أفكاره وخططه كمؤلف، وأنا سعيدة بهذا دائماً. وأنا أفهمه دائماً. ولكن إلى أين سيقود ذلك؟ أنا لن أكتبها.

26 مارس. يبدو كما لو أنني في نوبة إحلال النظام قد رتبت كل شيء، أنا أشعر بهذا في المساء حين أضع سريوجا وتانيا في الفراش. وقد تعافيا كلاهما تقريباً. إن تانيا تبعث المخاوف لدي، وأنا تعلقت بها، ولكن صارت غالباً ما تعذبني، المصيبة الأبدية لجميع البشر: الخوف من الموت. إن ليوفوتشكا في مزاج صفراوي، وأنا أزعجه أحياناً بلا قصد. وطرأت على حين غرة فكرة فظيعة، هي أنه لا يعتز بي كثيراً، وقد اعتاد على تعلقي به وحبي له، وفجأة شعرت ببرود نحوه، فماذا يضمر في دخيلة نفسه. هذا مستحيل، ولذلك أتحدث عن هذا بخفة وبرعونة، ولذلك فإنه سوف لن يعتز بي دائماً. حل سريوجا ضيفاً عندنا في هذه الأيام. إنه تعيس جداً، وبدأت أحبه جداً. إن التعامل معه بسيط وجيد. الربيع غائم وكئيب، ومجدداً ينبجس لدي الشعور الطفولي في الاحتفال *بالأعياد*. غداً سبت الشعانين، وأنا أحببت هذه المناسبة كثيراً في بيتنا. كما أحب يوم الصوم المبارك، الذي لا يختلف البتة عن اليوم العادي للصوم الكبير. لكنني الآن هادئة، وسابقاً كنت أبكي. قال سريوجا يوم أمس «توجد فقط العنادل والقمر والحب والموسيقى الجيدة». لقد تحدثنا عن ذلك ولم أشعر بالخجل لدى الحديث

معه عن ذلك، أما ليوفوتشكا فهو ينظر إليّ دوماً ولسان حاله يقول: «ليس لديك الحق في إبداء الرأي حول هذا، فأنت لا تستطيعين تحسس أي شيء». وفعلاً، لا أتجرأ أحياناً على تحسس أي شيء. إن ليوفوتشكا يحب أن يحيا بصورة شاعرية والتمتع بهذا لوحده. ربما أن الشاعرية لديه جيدة جداً وكثيرة جداً، وهو يعتز بها. وقد علمني هذا أن أحيا في روحي المنفردة ذات الحياة الصغيرة. إنه يكتب شيئاً ما، أنا أسمع ذلك، أظنه يدوّن اليوميات أيضاً. وأنا لا أطالعها تقريباً. فحالما نقرأ يوميات أحدنا الآخر تصبح غير صادقة. بينما أصبحت في الفترة الأخيرة أصبو إلى الصدق في كل شيء، مما جعلني أحيا في هذه الدنيا بخفة وطيبة. كما أن جميع ما يكتبه هو حول الرواية يفيض *بالعقل والحكمة*، كما يبدو أمراً يبعث على الرهبة فراغي وتفاهتي.

1 إبريل. ليوفوتشكا في تولا، ويتملكني الضجر وشعور ثقيل ما باليأس والقنوط، لأن ليوفوتشكا يشكو باستمرار من الوضع الصحي الغريب، احتقان الدم، وسوء الهضم، والضجيج في الأذن. إن هذا كله يخيفني للغاية، الآن أنا في أسر الوحدة، وفي الطقس الرائع والصاحي والدافئ، في الربيع، يخيفني حين أكون لوحدي. وأنا أتحسسه بقوة أشد وبرهبة أكثر. لقد تعافى الطفلان تقريباً، وكنت أخرج مع كل واحد منهما للتنزه على انفراد. ورأت تانيا دنيا الرب لأول مرة خلال ستة أشهر من حياتها. أنا لم أفعل شيئاً طوال اليوم، لأنني كنت أتهرب من أفكاري السوداء. إنه يقول بأن نصف الحياة قد ضاع بسبب سوء الوضع الجسدي. لكنه بأمس الحاجة إلى الحياة. أنا مولهة بحبه، ويحزنني أنني لا أستطيع أن أعمل له الكثير، بغية أن يكون في وضع جيد. ولا يوجد لدي أدنى إحساس سيئ، ولدي فقط الحب الشديد والأكثر رعباً بالنسبة لي.

3 مايو. ربيع مقرف، وصول تانيا، العربة، الصيد، ركوب الجياد. العلاقات طيبة مع الجميع. الآن انقلبت الأمور لدي رأساً على عقب. لقد تشاجرت مع ليوفا، وأنا غاضبة، ولست وديعة، لكنني سأصلح سلوكي. الطفلان مريضان. وغضبت من تانيا، فهي تتدخل كثيراً في حياة ليوفوتشكا. الانطلاق إلى نيقولسكويه لممارسة الصيد على صهوة الجواد، أو مشياً على الأقدام. وفي

الأمس انفجرت الغيرة لأول مرة. والآن أشعر بالألم بسببها. أنا تنازلت لها عن الحصان، وأعتقد أنني حسناً فعلت. فهو يبدي دوماً التسامح جداً تجاهي. لقد توجها بالعربة إلى الغابة لوحدهما. والرب وحده يعرف ماذا يدور في رأسي.

9 يونيو. في اليوم الثالث تقرر كل شيء لدى تانيا وسريوجا. سيتزوجان. إن النظر إليهما يبعث على البهجة، وأنا أبتهج لسعادتها أكثر من ابتهاجي لدى زواجي. إنهما يتنزهان في ممرات الحديقة، بينما أنا أؤدي دور راعية ما، مما يجعلني أشعر بالسرور وكذلك بالحزن. أصبح سريوجا عزيزاً لدي بسبب تانيا، وهذا كله رائع. سيقام حفل الزفاف بعد 20 يوماً أو أكثر. وماذا سيتم غير هذا؟ إنها مغرمة منذ وقت بعيد، وهي لطيفة للغاية، وذات طبع رائع، وأنا مسرورة لكوننا سنصبح قريبين من بعضنا البعض أكثر. الطقس رديء، وأصيب بالبرد كل من ليوفا وتانيا، وسافر سريوجا مع جريشا وكيللر إلى بيروجوفو. الجو غائم وكئيب منذ الصباح. وعموماً فينتظر حدوث شيء ما مضجر وثقيل الوطأة. بودي أن أراهما معاً وسعداء عاجلاً. قريباً سنسافر إلى نيقولسكويه وسيتم الزفاف هناك. لقد طالعت اليوم دفتر يومياتها القديم. كان من الصعب القراءة حول جميع آلامها الماضية، وكل أحزانها، وكنت أتوقف عن القراءة دوماً وأود أن أبكي. لكنها أعتقدت بأنني لا أرغب في مطالعتها وأشعر بالسأم منها. ليوفا غير منشرح الأسارير جداً لأمر ما، والطفلان ظريفان، وينموان.

12 يوليو، نيقولسكويه. لم يحدث أي شيء. لقد خدع سريوجا تانيا. إنه سلك سلوك شخص نذل للغاية. وقريباً ستمضي فترة شهر على المصيبة الأزلية، والشعور الثقيل الذي يراودني لدى التطلع إلى تانيا. هذا الكائن اللطيف والشاعري والموهوب، يضيع. إن بوادر الإصابة بالسل تعذبني للغاية. ولن أستطيع أبداً أن أصف في يومياتي كل تلك القصة المحزنة. واعتملني غضب لا حدود له على سريوجا. وسأسعى لعمل كل شيء من أجل الانتقام منه. لقد كان سلوك تانيا طوال الوقت جيداً بشكل يثير العجب. لقد كانت تحبه حباً جماً بينما خدعها حين قال إنه يحبها. لقد كانت الغجرية

أعز لديه. إن ماشا امرأة طيبة، ولا يوجد لدي شيء ضدها. لكنه شخص مقرف. كان يقول لننتظر ولننتظر، وهذا فقط من أجل خداع تانيا والتسلي بشعورها نحوه. وبلغ الأمر حد أنها أسفت على ماشا وأطفالها، وبشعور من الاعتزاز بالذات، والشيء الرئيس، بالإشفاق والحب تجاهه قد رفضت نفسها الزواج منه. علماً أنهما كانا خلال 12 يوماً خطيباً وخطيبة، وتبادلا القبلات، وأكد لها حبه وقال أشياء مبتذلة ورسم الخطط. إنه نذل تماماً. سأقول هذا للجميع، وليعرف ذلك أبنائي، لكي لا يفعلوا فعلته، حين يتعرفوا على هذه القصة. أما في بيتي فلدي حياتي العائلية المجيدة والهادئة والسعيدة. لم وهبت لي هذه السعادة؟ الطفلان في أتم عافية، وكذلك ليوفا، وكنا في بالغ المودة مع بعضنا البعض، وحولنا طقس صيفي حار رائع والطبيعة، وكل شيء وكل شيء جميل. فقط لو لم تعكر حياتنا المسالمة والنزيهة قضية سريوجا الدنيئة والتعيسة. نحن هنا في نيقولسكويه منذ 28 يونيو، يوم ميلاد سريوجا. وقد زارنا أفراد عائلة دياكوف وماشينكا مع الابنتين، ويوم أمس قام العزيز دياكوف مجدداً بالترفيه عن تانيا وتسليتها كثيراً. وفي الصباح زارنا لأول مرة جارنا فولكوف.إنه شخص وجل ووديع وهادئ وأشقر وأفطس الأنف. وهنا كل شيء يولد الانطباعات: النهر والسباحة والجبال والحر وراحة النفس والثمار البرية الحمراء ومصيبة تانيا. ومما يبعث على المواساة وجود الطفلين وكون الحبيب ليوفوتشكا في مزاج رائق وشاعري. أنا بخير، فهل سيستمر ذلك طويلاً؟

16 يوليو. لقد تشاجرت مع المربية، هذا شيء لا يغتفر، وضميري يؤنبني وأتعذب، فهي امرأة طيبة. وحاولت تسوية المسألة واعتذرت منها تقريباً، لكن لا يجوز إبداء التأثر الشديد، فإنهن لن يفهمن. يزورنا الزوجان فيت، وهما طيبان، إنه ميال لتزويق الكلام، أما فهي فبسيطة، بيد أنها في غاية الطيبة. مسكينتي تانيا قلقة جداً. البلادة ذاتها والخوف من الإصابة بداء السل. أما تاتيا الصغيرة فقد مرضت، وأنا خشيت وقلقت كثيراً عليها، والآن وضعها أفضل. إنها ظريفة وذات حيوية، الروعة في عينيها وابتسامتها. صار الصغير سريوجا نزقاً قليلاً، حقاً إن هذا بسبب المرض، لكنه ذو طبع طيب

وظريف. لقد أفزعتني العاصفة الرعدية اليوم. ليوفا يقرأ مشاهد الحرب في الرواية، لكنني لا أحب هذا المقطع من الرواية.

لماذا تشاجرت مع المربية؟ أنا شبيهة بأمي، وبات الآن يخيفني أن أكشف صفات في نفسي غير طيبة تماماً. وبالذات أنا امرأة طيبة، ويجب أن يغفر الآخرون لي مواطن ضعفي. وأنا أريد أن أكون طيبة وأرى جميع عيوبي، ولا تدعن أحداً، والشيء الرئيس أنا نفسي، أغفر شيئاً. وهذا ما يجب أن يكون.

26 أكتوبر. يسرني تقليب دفتر يومياتي، فهذا حقاً دليل حبي لنفسي – حياتي الداخلية. لماذا يصيب الأزواج المغرمون سابقاً – كقاعدة عامة – البرود مع مضي الأعوام؟ لقد اكتشفت الآن أن السبب يكمن في أن المرأة تصبح *حقيقية* فقط عندما تكون متزوجة خلال عدة أعوام، واذا ما وجدت بين مليون امرأة واحدة لم تتغير بعد الزواج، وتبقى حلوة وظريفة كما كانت سابقاً، فإن الزوج إذا ما كان جيداً أيضاً، سيكون مغرماً بها طوال الحياة. أنا تغيرت جداً، فهل سأتكلف وأتصنع في أي وقت ما؟ أنا أصبحت أسوأ كثيراً وكثيراً، ولم تعد تهمني برودة ليوفا، والتي أعرف بأنني أستحقها. أنا لا أتأثر لهذا لحد ذرف الدموع والاكتئاب، كما كان الحال سابقاً، لأنني كنت في تلك الأوقات الماضية أفضل، وأكثر نعومة ووداعة. الآن يجري حساب مسيرة الحياة من أجل المستقبل. نحن في ياسنايا بوليانا منذ 12 أكتوبر. وبقيت تانيا عند عائلة دياكوف. حالتها الصحية متردية، وتنتظرنا هذه الفاجعة الرهيبة لفقدانها، وأنا أسعى إلى عدم التفكير في ذلك. لقد مرض ليوفا، والآن تحسن وضعه. إنه يكتب. الطفلان بخير، وأريد انتزاع البنت، هذا شيء مؤسف للغاية، وتغمرني الكآبة. لقد علمني ليوفا أن أنسب كل شيء إلى العامل الجسدي، هذا محزن، لكنني الآن صرت هكذا أفكر. العمة ضعيفة، بائسة. وأنا باردة جداً معها. فهل يعقل بأنه لا توجد لدي قطرة واحدة من اللطف والحنان؟ أظن أنني حبلى، وهذا لا يسرني. كل شيء مخيف، وأتطلع إلى كل شيء بعدم مودة. أرغب في شيء من السلطة، وأن أكون أسمى من الجميع. ومن الصعب أن أدرك هذا، لكن هذا هو الحال.

1866

12 مارس. أمضينا ستة أسابيع في موسكو، وعدنا في السابع من الشهر، الجو هادئ في ياسنايا، وثمة شيء من الحزن، لكن بشعور مطلق بالسعادة. كنت بموسكو بخير، وقد أحببت أهلي كثيراً، كما أنهم أحبوا طفليي. تانيا سريعة الحركة وذكية وظريفة وفي عافية تامة. وسريوجا صار صلب العود، وحصيفاً، ولكن أقل وداعة مما كان، لكنه طيب القلب. أنا أخشى الانحياز إلى طفلَيّ، لكنني راضية جداً عنهما وسعيدة بهما. جميع العلاقات مع ليوفا باردة وخرقاء، والمعاملة فظة مع «ب» في موسكو. لقد فسدت العلاقات بيننا بسبب عدم قدرتي على التعامل معه كما يجب. أنا اشعر بتأنيب الضمير، وبالخسة، أما في قرارة نفسي فلا توجد أية لطخة في أية لحظة من حياتي الزوجية، وقد أصدر ليوفا حكمه عليّ بصرامة وبحدة جداً. لكنني سعيدة بذلك، فهو يعتز بي، وسأكون الآن أكثر حذراً بمائة مرة، وسيكون هذا أمراً ساراً فحسب. وثمة حزن جديد آخرلا نظير له بيننا، وهذا مخيف. بودي أن أنحني أمامه أكثر بسبب تفاهتي، ويبقى قدر أقل من الحقوق في هذه الكبرياء السعيدة وإدراك كرامتي الذاتية – التي ليس بوسعي الحياة بدونها.

في موسكو كنا في أغلب الوقت نحيا بطراز الحياة في الكرملين. ففي الصباح كانوا يرسلون العربة لأخذ الطفلين، حيث يذهبان إلى والديّ للبقاء هناك طوال اليوم. بينما كان ليوفا يرتاد دروس النحت وتمارين الجمباز. كنت غالباً ما ألتقي من بين جميع المعارف *أفراد* عوائل بيرفيلييف وباشيلوف وجورتشاكوف، كما تعرفت على أوبولينسكايا. حضرت الحفلات الموسيقية، وأحببت جداً الموسيقى الكلاسيكية. جرت الحياة على ما يرام، وأحببت كل شيء بموسكو، وحتى شارعنا ديمتروفكا، وحتى

غرفة النوم ذات الجو الخانق في الفندق وغرفة المكتب حيث نحت ليوفا بالصلصال جواده الأحمر، وحيث كنا نجلس لوحدنا في الأمسيات. إن بيتيا شخص ظريف وقد أحببته جداً. وأنا أتذكرهم الآن أحياناً، فينقبض قلبي أسفاً، لكوني لم أعد أراهم.

22 مارس. إن انطباعات زمن الشباب هي دروب لا تبحث عنها ولا تدركها، لكنها كثيرة جداً، والآن الأمر مختلف، أنت تختلقها وتبحث عنها باستمرار بجد أكبر وبعزة أكبر بالنسبة لك. وهذا أسوأ.

28 إبريل. البشر يتزوجون، ويتصور أحدهم بأنه سيتزوج فتاة ما، ذات طبع ما وهلم جرا، لكنهم لا يعرفون بأن كل شيء فيها سيتغير، وتتحطم آلية كبيرة كاملة، ولا يجوز القول: «أنا سعيد معها»، ما دامت هذه الآلية تتحطم ويعاد تركيبها بشكل آخر جديد تماماً. علماً أنه لا يهم عندئذ طبع المرأة، قدر ما يهم التأثير الذي تولده فيها الفترة الأولى من الزواج. والجميع يحسدوننا على سعادتنا، وهذا يجعلني أفكر لماذا نحن سعداء، وما معنى ذلك.

9 يونيو. في 22 مايو ولد ابن آخر هو إيليا. أنا كنت أنتظر مولده في أواسط يونيو.

19 يوليو. لدينا مدير أعمال جديد وزوجته. إنها فتية ومليحة و*نهلستية*[1]. أجرت مع ليوفا حديثاً مطولاً وحيوياً حول الأدب والآراء، وعموماً إنها أحاديث طويلة وغير مناسبة. إنها أحاديث ممضة بالنسبة لي ومترعة بالغرور والكبرياء بالنسبة لها. وهو ما كان يدعو إلى أنه لا يجب أن يتدخل الغريب في الأسرة، في *الأمور الحميمية*، ولاسيما الكائن الجميل والشاب، بينما *كان* أول من تورط في هذا. أنا طبعاً لا أتظاهر بأن هذا الكلام لا يسرني، لكن لم تعد الآن بعد هذا لحظة هدوء في حياتي. ومنذ ولادة إيليا صرنا،

1 – النهلستية فلسفياً تيار إنكاري يقوم على مبدأ لا شيء صحيح أو خطأ ولكن كل شيء مباح. (الناشر)

أنا وهو، نعيش في حجرتين منفصلتين، وما كان ينبغي هذا، لأنني حين نكون معاً لا أطيق صبراً وأبلغه في المساء بكل ما أحتبس في نفسي، أما الآن فأنا لن أذهب إليه، وهو يفعل الشيء ذاته من جانبه. أنا سعيدة لوجود الأطفال، لأنهم يهبوني البهجة، وسيكون من الخطيئة طلب سعادة أكبر من هذه. وما أكثر المتعة في محبتهم. ومما يؤسف له أن ليوفوتشكا لا يتذكر قواعده نفسه. فلمَ يقول اليوم إن الزوج يخشى الإساءة إلى زوجته عندما تكون عفيفة. كما لو أن السعادة توجد فقط عندما يقترف الزوج فعلة ما غير محمودة. إن التعاسة تكون عظيمة إذا ما ساورت الزوج ولو لحظة واحدة الشكوك في حبه لزوجته. وعبثاً أن يلقي ليوفوتشكا المواعظ هذه على ماريا إيفانوفنا. بعد قليل سيحل منتصف الليل، بينما أنا لا أستطيع النوم. كما لو أنني أحدس حدوث أمر سيئ بأن تقوم الزوجة النهلستية لمدير الإدارة بدور *العبقري الشرير*.

22 يوليو. ذهب ليوفا اليوم إلى ذلك البيت بذريعة ما. لقد أبلغتني ماريا إيفانوفنا هذا بنفسها، وتحدث معها من تحت الشرفة. لماذا ذهب إلى هذا البيت تحت المطر؟ إنها تعجبه، وهذا واضح للعيان، وهذا يجعلني أفقد عقلي. أنا أتمنى لها كل شر، لكنني لأمر ما ألاطفها جداً. هل سيتضح عاجلاً أن زوجها غير صالح للعمل، ويغادرا المكان؟ إن الغيرة تعذبني للغاية. إنه بارد معي حتى أقصى حد. وأنا أعاني من آلام في الثديين. وأطعم الطفل بألم وبمعاناة. اليوم دعوت مارفوشكا لإطعامه، بغية إعطاء الثديين فترة للالتئام. إن أوجاعي تترك فيه دوماً تأثيراً سيئاً في التعامل معي. فهو يغدو بارداً، وتضاف إلى أوجاعي الجسدية أوجاع نفسية أكثر إيلاماً. أنا أجلس حبيسة في حجرتي، بينما هي تلاعب الأطفال في غرفة الاستقبال. أنا لا أستطيع أن أطيقها. ويكدرني التطلع إلى حسنها ومرحها لا سيما في حضور ليوفوتشكا.

27 أغسطس. أنا أحب أطفالي حباً جماً لحد الألم، وأدنى معاناة لديهم تجعلني في حالة يأس وكدر، بينما تجعلني كل ابتسامة وكل نظرة أبتهج لحد ذرف الدموع. إيليوشا غير معافى – وأنتظر قدوم الزوجين دياكوف

وتانيا وماشينكا مع البنات. اليوم انتقلنا إلى البيت الجديد حيث سيقطنون. إن إطعام الطفل هو جهد كبير - وغالباً ما أصاب بالضعف. لو كان حبي للأطفال أقل لكان الأمر أسهل.

12 نوفمبر. ليوفا بموسكو برفقة تانيا. إن حالتها الصحية سيئة، وهذا يصيبني بكدر شديد. أنا أحبها جداً، وكلما تتدهور صحتها أكثر، يشتد تعلقي بها. في أغلب الظن إنها ستسافر إلى إيطاليا مع عائلة دياكوف. يبدو أنني لم أر تدهور صحتها طوال الخريف كله. ساد لدينا جو المرح خلال ثلاثة أسابيع في مطلع سبتمبر، مما جعلني لا أرغب غريزياً في التفكير بأمور تعيسة. إنني عندما لا أكتب اليوميات فترة طويلة، أشعر بالأسف لكوني لا أدوّن حياتي السعيدة. لقد استضفنا خلال هذه الأسابيع الثلاثة عائلة دياكوف وماشينكا مع البنات وتانيا. وفاضت قلوبنا بروح الصداقة، وربطتنا علاقات بسيطة وودية وخفيفة وسارة، حتى إنني أعتقد بأنه نادراً ما يحدث مثل هذا الأمر. أنا أتذكر بكل فرح يوم 17 سبتمبر، والموسيقى التي أدهشتني وأبهجتني على الأخص خلال فترة الغداء، والتعبير المحبوب في أسارير ليوفا، وتلك الأمسية في الشرفة في ضوء القناديل والشموع، والقدود الممشوقة للفتيات المترعات بالحيوية والفتوة، وهن بمناديل بيض من قماش الشاش، وكولوكولتسيف الصغير القامة والطيب السحنة، والشيء الرئيس سادت فوق الجميع هيئة ليوفوتشكا المفعمة بالحيوية والحبيبة، والذي عمل جهده لجلب السرور إلى الجميع وقد حقق ذلك. وأنا نفسي دهشت حين رقصت، أنا الوقورة والجادة، بكل حماس. لقد كان الطقس رائعاً، وشعرنا بالارتياح جميعاً. وعندما غادر جميع الضيوف وبقيت تانيا عندنا لفترة شهر آخر، بدا جلياً للعيان تدهور صحتها. الآن صرت، بالأخص في غياب ليفوتشكا، أعاني من الآلام معها، وعموماً أشعر ببالغ الحزن والخواء بلا ليوفا. وباعتقادي أنه لا يجوز العيش بصورة وثيقة أكثر نفسياً، كما أعيش معه. نحن سعيدان للغاية في كل شيء. في علاقاتنا وفي أطفالنا وفي الحياة. والآن أعيش بدونه بشكل وثيق أكثر مع الأطفال، لكنهم ما زالوا صغاراً جداً. الآن ينامون، ومن ثم يأكلون، وفي المساء ينامون مجدداً، وكل ما يتجلى فيهم معنوياً، ألتقطه

وأستفيد منه. أنا الآن وطوال الوقت منهمكة في استنساخ رواية (من دون أن أقرأها مسبقاً). ويؤثر في شيء من أفكاره وموهبته. وهذا شعرت به مؤخراً. فهل أنا تغيرت أم إن الرواية ممتازة جداً فعلاً - هذا ما لا أعرفه. أنا أكتب بسرعة ولهذا أتابع الرواية بسرعة جداً، بغية أن ألتقط كل الاهتمام، وأناقش كل فكرة. وأنا غالباً ما أتحدث معه عن الرواية وهو يصدق ويصغي لأمر ما إلى أحكامي (وهذا ما يثير اعتزازي بنفسي).

1867

12 يناير. تملكتني حالة فظيعة من الحيرة والعجلة المحزنة، كما لو أن أمراً ما سينتهي عاجلاً. وسينتهي عاجلاً الكثير من الأمور، وهذا مخيف جداً. أصيب جميع الأطفال بالمرض، وكل شيء مع المربية الإنجليزية كئيب وغير مريح. أنا ما زلت أنظر إليها بنفور. ويقال عندما تحين المنية عاجلاً، تكون قلقاً جداً قبيل الموت. أنا قلقة جداً، وفي عجلة من أمري على الدوام، وما أكثر المشاغل. كان ليوفوتشكا طوال الشتاء يواصل الكتابة بانزعاج وبدموع وقلق. باعتقادي أن روايته ستكون ممتازة. إن كل ما يقرأه لي، يولد لدي الاضطراب حتى ذرف الدموع، ولا أعرف، فيما اذا كان هذا لأنني زوجته، أو بسبب التعاطف معه، أو لأنها جيدة فعلاً. أعتقد أنها - الأخيرة. إنها تجلب لنا، في الأسرة، التعب من العمل فقط، وهو يعاملني بجفاء لا يطاق، وبدأت أشعر في الفترة الأخيرة بأنني وحيدة جداً.

15 مارس. في ليلة يوم أمس، عند الساعة 10، شب حريق في مشتلنا، والتهمت النيران كل شيء. كنت نائمة وأيقظني ليوفا، ورأيت من النافذة اللهب الساطع. انتشل ليوفوتشكا أبناء البستاني وحاجياتهم، بينما أسرعت في الذهاب إلى القرية لاستدعاء *الرجال.* لم ينفع أي شيء، فقد احترقت جميع النباتات التي زرعها الجد في زمانه ونمت وجلبت المسرة إلى ثلاثة أجيال إنها احترقت كلها، وبقي القليل منها، لكنه تجمد من البرد أو لفحته النار. في الليل لم يكن الأمر مؤسفاً كثيراً، لكن طوال نهار اليوم كان همي الوحيد هو أن لا أكشف مشاعري وألا أسمح بذرف الدموع من عيني. الحزن شديد، والشيء الرئيس أنني أشفقت جداً على ليوفوتشكا، فبدت على وجهه

أسارير الحزن. وأنا أتأثر وأشعر بالضيق لكل كدر يصيبه. إذ كان في الفترة الأخيرة يحب ويهتم كثيراً بالنباتات والزهور ويبتهج لرؤية كل ما يزرعه من نباتات جديدة. لن يسترجع هذا بأي شكل ولن يشعر المرء بالسلوان إلا بعد مرور أعوام طويلة.

29 أغسطس. لقد تشاجرنا، ولم يمر في الذاكرة أي شيء. «أنا مذنبة لأنني لن أعرف حتى الآن ما يحب وما يمكن أن يطيقه زوجي». الشجار متواصل باستمرار، وثمة رغبة واحدة: أن ينتهي كل شيء بسرعة وبنحو أفضل. لكن كل شيء يسير نحو الأسوأ والأسوأ. أنا أتردد كثيراً جداً، وأبحث عن الحقيقة، هذا عذاب، لم يكن لدي أي دافع سيئ. الغيرة، الخوف من أن كل شيء انتهى، وضاع، وهذا ما تبقى لدي الآن.

12 سبتمبر. حقاً، لقد ضاع كل شيء. أي برودة بقيت، وأي فراغ سافر بقي، لقد فقدت أمراً ما، وبالذات المصداقية والحب. أنا أشعر بهذا على الدوام، وأخشى البقاء وحيدة، أخشى البقاء لوحدي معه، وأحياناً يبدأ بالتحدث إلي، فأنتفض، ويتراءى لي، أنه سيقول لي، كم أنا مكروهة لديه. لكنه لا يقول شيئاً، ولا يغضب، ولا يتحدث معي عن العلاقات بيننا، إنه لا يحبني. إنني لم أفكر بأن الأمور ستصل إلى هذا الحد، ولم أفكر في أن هذا سيكون أمراً لا يطاق وثقيل الوطأة. وأحياناً تغمرني مشاعر الغيظ المفعمة بالكبرياء، فأقول لا حاجة لي، لا تحبني، إذا كنت غير قادر على أن تحبني. والشيء الرئيس يتملكني الغيظ لأنني أحبه بقوة، بمذلة وبألم. إن أمي غالباً ما تتفاخر بكون أبي أحبها خلال فترة طويلة. إن هذا ليس لكونها أجادت إدامة تعلقه بها، بل لكونه يستطيع أن يحب. إنها مقدرة خاصة. وماذا يجب علي أن أعمله لكي يتعلق بي؟ لا توجد وسائل لذلك. لقد علموني بأنني يجب أن أكون نزيهة، وأن أحب، وأن أكون زوجة وأماً طيبة. هذا مدون في المبادئ الأولية، لكن هذا كله سخف. يجب ألا أحب بل أن أكون *داهية وماكرة*، وأن أكون ذكية وأخفي كل ما هو سيئ في طبعي، لأنه لم يوجد ولن يوجد بشر بلا عيوب. ولكن الشيء الرئيس هو ألا أحب. لا حاجة لذلك.

ماذا فعلت حينما أحببت بهذه القوة، وماذا أستطيع أن أعمل الآن بحبي هذا؟ لقد كسبت فقط الألم الشديد والمذلة الفظيعة. أما بالنسبة له فإن هذا يعتبر شيئاً سخيفاً. «أنت تقولين ما لا تفعلين». أنا أتجمل بالشجاعة وأفكر، بينما لا يوجد في قرارة نفسي شيء، لا أكثر من الحب المذل والسخيف والطبع السيئ. مما أدى هذا بأجمعه إلى تعاستي لأن الأخير يعيق الأول.

14 سبتمبر. كل شيء على حاله، وهل يمكن أن أعتاد على كل شيء، وحتى إنني قررت بأنني أستطيع أن أعيش بهذا الحال. أية حياة شاعرية وقناعة، بلا إزعاج، وبلا كل ما يسمى بالحياة الفيزيقية والمادية، لكن مع الأفكار المقدسة، ومع الصلوات، والحب المألوف الهادئ، والفكرة الدائمة حول الكمال. لا تدعن أي أحد، حتى ليوفوتشكا، يمس عالمي الداخلي هذا، ولا تدعن أحداً يحبني، بينما أنا سأحب الجميع وسأكون أرقى من الجميع وأكثرهم سعادة.

16.سبتمبر. كنت طوال اليوم أفكر بلا إرادتي بيوم 17 سبتمبر من العام الماضي.أنا لست بحاجة إلى ذلك المرح والموسيقى والرقص، حاشا الرب، أنا لا أريد أي شيء من ذلك - إن رغبته وبهجته فقط تجلبان لي المتعة، وأكون مسرورة، كما كان الحال يومذاك.كم أتمنى أن يعرف بأنني أصبحت ممتنة له طوال حياتي لحثه لي على هذا. آنذاك أحسست بشدة أنني سعيدة وقوية وجميلة. والآن أحس بشدة أيضاً بأنني غير محبوبة وتافهة وحمقاء وضعيفة.

لقد تحدثنا صباح اليوم عن الأمور البيتية، كما لو كنا كلاً واحداً، بكل مودة ووفاق، ونحن نادراً ما نتحدث الآن عن أي شيء آخر. إن حياتي كلها مكرسة للأطفال ولكياني التافه. لقد دنا مني سريوجا الآن وسأل: «هل تؤلفين كتاباً؟» فأجبته بأنه سيقرأه حين يكبر. بمَ يفكر، وكيف سيحكم علي؟ هل من المعقول أن أبنائي لن يحبوني أيضاً. وأنا أطلب هذا، ولكنني لا أعرف كيفية كسب محبتهم.

1868

31 يوليو. من المضحك مطالعة دفتر يومياتي. أية تناقضات، وأية امرأة تعيسة أنا كما يبدو. لكن هل يوجد من هو أكثر سعادة مني؟ وهل يوجد أزواج أكثر سعادة ووفاقاً. أحياناً أبقي لوحدي في الغرفة فأضحك لسعادتي وأرسم علامة الصليب: أتمنى من الرب أن تتواصل الأمور طويلاً بهذا الشكل. أنا أكتب يومياتي دائماً حين نتشاجر. والآن تمر أيام الشجار والخصام، ويحدث الشجار لأسباب دقيقة ونابعة من أعماق الروح، لكن لو لم نحب أحدنا الآخر ما كنا نتشاجر. قريباً ستحل الذكرى السنوية السادسة لزواجنا. بينما أنا أحبه أكثر فأكثر. وغالباً ما يقول إن هذا ليس حباً، وإننا اعتدنا على الحياة سوية بحيث لا يستطيع أحدنا فراق الآخر. لكنني أبقى في حالة اضطراب ولهفة وغيرة كالسابق، وأحبه بروح شاعرية، وأحياناً يثير هدوءه غضبي.

لقد ذهب مع بيتيا إلى الصيد. إنه لا يميل إلى الكتابة في الصيف. ومن هناك سيسافران إلى نيقولسكويه. أنا مريضة، وأبقى جالسة في البيت طوال اليوم تقريباً. الأطفال يتنزهون ويلعبون ويأتون فقط من أجل تناول الطعام في الشرفة. إيلين ظريف بصورة عجيبة. وتانيا مشغولة كلياً مع داشا ونادراً ما تأتي إليّ، وإذا ما جاءت فلمدة دقيقة واحدة فقط. أما كوزمينسكي فلا يتميز بأي شيء يجلب الاهتمام.

1870

5 يونيو. اليوم هو اليوم الرابع الذي فطمت فيه ليوفوتشكا الصغير من الرضاعة. إنني اشفقت عليه أكثر من جميع الأطفال الآخرين تقريباً. وكنت أباركه وأودعه وأبكي وأصلي من أجله. إنه أول فراق كامل شديد الوطأة مع طفلي. لا بد أنني حامل مرة أخرى. ومع مولد كل طفل جديد أبدأ بالتخلي أكثر فأكثر عن التمتع بمباهج الحياة والخضوع إلى وطأة المشاغل والمخاوف والأمراض ومضي الأعوام.

1871

18 أغسطس. في الليلة الماضية ودعت تانيا والأطفال إلى القوقاز. وفاضت روحي بشعور من الخواء والحزن والخوف في الحياة بعد فراق مثل هذه الصديقة. وأشعر بأنه اقتُطع جزء من روحي، ولا يمكن تهدئة خاطري. لا يوجد إنسان آخر في العالم يستطيع أكثر منها، أن يبعث فيّ الحياة ويواسيني في كل مصيبة، ويرفعني من الكبوة، عندما تصبح الروح في فراغ. أنا أتطلع إلى كل شيء: إلى الطبيعة، إلى حياتي مستقبلاً، وأرى كل شيء من دون تانيا حزيناً وخاوياً، ويبدو لي كل شيء ميتاً وبلا أمل. أنا عاجزة عن إيجاد الكلمات للتعبير عن هذا الشعور، وأنا أعرف بأنها مصيبة لا يمكن التفريج عنها فوراً بالبكاء، والتي تتواصل على مدى الأعوام وتُسترجع أصداؤها في كل مرة تتذكرها الروح غير الصابرة على الألم. هكذا يراودني القلق باستمرار حول صحة ليوفوتشكا. إن حليب الفرس (الكوميس) الذي شربه طوال شهرين لم يجد نفعاً في معافاته. المرض كامن فيه. وأنا أرى ذلك ليس بعقلي بل أراه بشعوري وذلك من عدم اهتمامه بالحياة وجميع مشاغلها والذي ظهر لديه منذ الشتاء الماضي. لقد فرق ما بيننا شيء ما، شبح ما، أبعد أحدنا عن الآخر. وأشعر بأنني إذا لم أجد القوة للنهوض معنوياً أي بالتفريج عن نفسي لدى سفر تانيا، والانهماك بنشاط في تدبير شؤون الأطفال وملء حياتي بالمشاغل، من دون الاستسلام إلى الكآبة والسأم، فإنه لن يأخذ بيدي. وأنا أشعر باستمرار كيف يجرني إلى تلك الحال الكئيبة والحزينة واليائسة التي يعاني منها نفسه. إنه لا يعترف بذلك، لكن شعوري لم يخدعني أبداً. أنا أتألم أكثر من الجميع لهذا السبب، وأنا لست مخطئة.

لقد تحطم شيء ما في حياتنا منذ الشتاء الماضي حين عانينا، ليوفوتشكا

وأنا، من المرض. وأنا أعرف بأنه تحطمت في تلك الثقة الصلبة في السعادة والحياة التي كانت موجودة. لكنني فقدت الصلابة، والآن يتملكني خوف دائم، من وقوع أمر ما. أنه وقع فعلاً. فقد سافرت تانيا. وليوفوتشكا مريض: هما كائنان أحبهما أكثر من أي شيء في الدنيا. إنني فقدت الاثنين. لويوفوتشكا لأنه لم يعد ما كان عليه. إنه يقول: «الشيخوخة»، وأنا أقول «المرض». لكن هذا/الأمر صار يفصل ما بيننا.

1872

كان هذا الشتاء سعيداً، فقد عشنا في وفاق تام. وكانت صحة ليوفوتشكا طيبة.

1 إبريل. في 30 مارس عاد ليوفوتشكا من موسكو. وجلب الأطفال أزهاراً صفراء وبنفسجية.

بدأت الصيام، وسافرت من تولا في السيارة، ومن ثم في العربات. كان الثلج متراكماً فقط في الوديان الضيقة، الأوحال شديدة، الجو دافئ وصاح. وفي المساء ذهب ليوفوتشكا لممارسة القنص واصطاد دجاجة برية، بينما أرسل ميتروفان أخرى.

3 إبريل. الدفء يسود في كل مكان. اصطاد دجاجتين بريتين. أرسلنا إلى المطبعة مسودات تصحيح «الألفباء». جلسنا حتى الرابعة صباحاً.

5 إبريل. اصطاد دجاجة برية مرة أخرى. قبيل الغداء ذهب للتنزه مع الأطفال إلى المنحلة. لم نستطع عبور المخاضة. أنا رجعت وتجولت مع ليليا قرب البيت. الجو دافئ جداً، والريح دافئة.

6 إبريل. الجو في الصباح صاف وثمة رياح. وأعقب ذلك قصف الرعد وتساقط البرد الكبير الحجم. شعر ليوفوتشكا طوال الوقت بالقر في ظهره وبوعكة في صحته. لكنه كان رائق المزاج، وقال إن العمل يكفيه خلال أعوام لا تعد ولا تحصى. الخضرة في كل مكان، وبدأت الأوراق بالتفتح، وأزهر نبات بقلة الرئة، وأصبحت الأعشاب عالية.

9 إبريل. حل الصيف بالتمام.

12 إبريل. ذهبنا إلى الصيد مع إيليوشا في غابة زاكاز التي قطعت فيها الأشجار. كانت الأمسية رائعة، دافية، وصافية. لقد تمتعنا للغاية بهذا الجو. وبزغ القمر من وراء الأشجار.

16 إبريل. يوم عيد الفصح المجيد. ليلاً: مطر، رعد. في الصباح سادت البرودة، والجو غائم.

18 إبريل. ذهب ل.ن مع بيبيكوف إلى الصيد. اقتنص ثلاث طرائد في غابة زاسيك. الجو بارد.

19 إبريل. تطلع ليوفوتشكا نحو النجوم حتى مطلع الفجر.

20 إبريل. ذهبنا مع الأطفال وفاريا لجمع زهور البنفسج. ليوفوتشكا معافى. في المساء جاء خطيب فاريا.

21 إبريل. ذهبنا لجمع الفطر مع الأطفال وفاريا وناجورنوف. جمعنا ملء سلة من الفطر. لكن الجو لم يكن مع هذا دافئاً. وسطعت الشمس مثل كرة نارية حمراء متألقة. الجوء في المساء دافئ ودرجة الحرارة 11 درجة مئوية. أشجار الزيزفون قد أورقت تقريباً، أما أشجار البلوط فلم تتفتح أوراقها بعد، لكن جميع الأشجار الباقية أصبحت مورقة. جلب ليوفوتشكا في الصباح باقة من مختلف أغصان الأشجار والزهور.

23 إبريل. الليل بارد، الصباح هادئ وصاف ويانع. السماء صافية، ويوم أمس قال ليوفوتشكا إن بعض أشجار البلوط بدأت تورق، أما أشجار الزيزفون فلم تورق البتة في بعض الأماكن.

من 27 إلى 28 إبريل. سافر ليوفوتشكا ليلاً إلى موسكو. ماشا مريضة جداً.

30 إبريل. الحر لا يطاق، والرعد يقصف ليلاً ونهاراً.

13 مايو. جلب ليوفوتشكا باقة من أغصان نبات ورد العليق الكثير الأزهار.

14 مايو. سافر ليوفوتشكا وستيوبا وسريوجا إلى نيقولسكويه.

15 مايو. سبحنا، وأعددنا القهوة، وجمعنا الفطر في غابة أشجار البتولا في ضيعتنا. الجو قائظ.

16 و17 مايو. عادوا من نيقولسكويه. الطقس بارد وغائم.

18 مايو. سافرت حنه إلى تولا لشراء الألعاب للأطفال. بينما ذهبنا نحن لجمع الفطر، فداهمنا مطر خفيف، وشعرنا برجفة. لقد تكدر ليوفوتشكا مساء يوم أمس كثيراً بسبب عدم استلام نسخات التصحيح من المطبعة، وكتب إلى موسكو طالباً من ريس إعادة النسخة الأصلية. وكتب اليوم إلى ليفين حول ساشا. ظهرت في أشجار الأقاصيا أغصان كبيرة. الطقس جاف، رياح، برد.

26 مايو. الطقس حار جداً. ذهب ليوفوتشكا مع إيليوشا إلى تولا في السيارة. مارست السباحة مع الأطفال. تساقطت ثمار ورد العليق كلها، ويوم أمس بيع جميع التبن في الحديقة.

1873

13 فبراير. سافر ليوفوتشكا إلى موسكو، وأنا أجلس وحيدة وأشعر بالكآبة بدونه، بعينين جامدتين، وبأفكار تراودني في رأسي فتعذبني وتعذبني، ولا أستطيع الانفكاك منها. أنا أتناول دفتر اليوميات دائماً عندما أكون في حالة اضطراب فكري. وأضع فيه مزاجي كله وعزلتي وصحوتي وثوابي إلى رشدي ومزاجي خاطئ وسخيف، لكنه نزيه وثقيل الوطأة. وماذا كنت سأفعل بلا هذا السند الدائم الشريف، والذي أحبه حباً جماً بكل قواي، وأمنحه أفضل أفكاري وأكثرها صفاءً حول كل شيء؟ وعلى حين غرة أتطلع في أعماق روحي في لحظات القلق، وأسأل نفسي: ماذا تريدين؟ فتجيبني بفزع: أريد التسلية المرحة والثرثرة الفارغة، والملابس الجميلة، وكسب إعجاب الآخرين، وسماع الإطراء لجمالي، وأريد أن يرى ويسمع ليوفوتشكا هذا كله، ويجب أن يخرج أحياناً من حياته التأملية، التي تثقل عليه أحياناً، وأن يحيا معي هذه الحياة التي يحياها كثير من الناس العاديين. أنا أتبرأ من أعماق روحي من كل ما يغريني - أنا الحواء - الشيطان به، لكن يتراءى لي أنني أسوأ مما كنت في أي وقت مضى. أنا أكره الناس الذين يقولون لي بأنني جميلة، وأنا لم أفكر بهذا أبداً، لكن لقد فات الأوان الآن. وماذا جلب لي الجمال، وما حاجتي إليه؟ إن عزيزي وصغيري بيتيا يحب مربيته العجوز كما لو كان يحب حسناء ما. إن ليوفوتشكا كان سيعتاد رؤية أكثر الوجوه قبحاً، بشرط أن تكون زوجته هادئة ومطيعة، وعاشت الحياة التي اختارها لها. بودي أن أخلع كل كياني وأفضح كل دناءة وخساسة وزيف في أعماقي. أريد اليوم أن أصفف شعري، وأفكر بابتهاج فيما إذا سيكون هذا مليحاً ولو أنه لن يراني أحد، وأنا لست بحاجة إلى ذلك. يسرني الحذاءان

الجديدان، وبودي اقتناء حزام جلدي جديد، أما الآن بعد أن دوّنت هذا، أشعر برغبة في البكاء...

الأطفال جالسون فوق بانتظار أن أعلمهم الموسيقى، بينما أنا أدوّن كل هذا الهراء في غرفة المكتب في الأسفل.

اليوم مارسنا التزلج بأحذية التزلج. وقد حدث أن اصطدم الأولاد بفيودور فيودوروفتش. وأشفقت عليهم جداً وبذلت جهدي من أجل ألا يستاء فيودور فيودوروفتش، ومن أجل أن يهدأ الأولاد. المربية الإنكليزية الجديدة التي وصلت صباح يوم أول أمس لا تعجبني كثيراً. إنها جلفة وخاملة جداً. لكن لا تجوز معرفة، ما ستكون عليه؟ commune

17 إبريل. تساقط الثلج طوال الصباح. درجة الحرارة 5 درجات مئوية، لا عشب، ولا دفء، ولا شمس، ولا تلك البهجة الربيعية الوضاءة والحزينة، التي ينتظرها المرء طويلاً جداً. أشعر في روحي بالبرودة ذاتها وبالكآبة والحزن كما في الطبيعة. ليوفوتشكا يؤلف روايته، وتمضي الأمور بصورة طيبة.

11 نوفمبر. في 9 نوفمبر، وعند الساعة 9 صباحاً، توفي صغيري بيتيوشكا متأثراً بداء الحلقوم. عانى من المرض خلال يومين، وفارق الحياة بهدوء. إنني أرضعته طوال عام وشهرين ونصف الشهر منذ 13 يونيو 1872. كان صبياً معافى ونيراً ومرحاً. يا حبيبي، لقد أحببته كثيراً، والآن أشعر بالخواء، ودفنته يوم أمس. وليس بوسعي أن أجمع بين ما كان عليه حياً وميتاً. ففي كلا الحالتين هو عزيز لدي. ولكن كيف أفرق بين هذا المخلوق الحي والوضاء والمحبوب والجثة الميتة والهادئة والصارمة والباردة. لقد تعلق بي كثيراً، فهل حزن لبقائي، ولوجوب فراقي؟

1874

17 فبراير. مهما فكرت في المستقبل، فلا وجود له. وحالما يخضوضر العشب فقط في حفرة بيتيا سيتم حفرها من أجلي. هذا شعوري الحزين الدائم.

1875

12 أكتوبر. إن حياة الانعزال الطويلة جداً في الريف أصبحت لا تطاق بالنسبة لي. ثمة فتور وكآبة ولامبالاة حيال كل شيء، اليوم وغداً وخلال أشهر وأعوام – يتكرر ويتكرر كل شيء. أستيقظ في الصباح ولا أنهض. فما الذي يجعلني أنهض، وماذا ينتظرني؟ أنا أعلم سيأتي الطاهي، ثم المربية، ويشكوان لأن الأهل غير راضين، ولا يوجد سكر، ويجب إرسال أحد ما، وبعد ذلك أجلس وأشعر بألم في كتفي اليمنى وأعمل في توشية الثقوب بصمت، وبعد ذلك أقدم الدروس في قواعد اللغة وقراءة النوتات الموسيقية (الغامات)، وأنا أفعل ذلك بارتياح، ولكنني أدرك بحزن، بأنني لا أفعل ذلك جيداً، وليس كما أريد. ثم أعيد في المساء أعمال توشية الثقوب، ومن ثم توزيع أوراق «الباسيانس» الأبدي والبغيض لدي مع العمة وليوفوتشكا. أما المطالعة فتجلب لي الارتياح خلال فترة قصيرة، وهل توجد كتب جديدة كثيرة؟ أحياناً أعيش في حلم، كحالي الآن. أنا أعيش داخل ذاتي ولا أغفو. فتراني أذهب تارة إلى الكنيسة لحضور قداس المساء وأصلي، بشكل لا أصلي فيه عندما أكون في اليقظة، وتارة أشاهد معارض رائعة للصور، أو للزهور العجيبة، أو أتطلع إلى حشد من الناس الذين لا أكنّ لهم الحقد ولا النفور، بل أتعاطف معهم وأحبهم جميعاً.

يشهد الرب كيف ناضلت في هذا العام ضد هذا السأم المخزي، وكيف ارتقيت لوحدي، وفي أعماق روحي، أستجمع كل ما هو طيب لدي وأتسلح، بصورة رئيسية، بفكرة مفادها أنه بالنسبة إلى الأطفال تعتبر الحياة الريفية أفضل شيء بالنسبة لمعافاتهم معنوياً وجسدياً، وتسنى لي تهدئة المشاعر الشخصية والأنانية، لكنني أرى بفظاعة بأن هذا يتحول إلى فتور

رهيب ولامبالاة حيوانية وبليدة حيال كل شيء، وهذا ما يولد في الخوف أكثر من أي شيء آخر، ويغدو الكفاح ضد ذلك أكثر صعوبة. ثم إنني لست وحيدة: إنني أرتبط بصورة وثيقة أكثر فأكثر مع ليوفوتشكا، وأشعر بأنه يجذبني إليه، لكن الشيء الرئيس هو وضع السأم واللامبالاة هذا. أنا أتألم ولا أستطيع النظر إليه بالحال الذي هو فيه الآن. إنه كئيب وحزين، يجلس بلا عمل وشغل وبلا نشاط وبلا مسرة طوال أيام وأسابيع، كما لو أنه استسلم إلى هذا الوضع. إنه بمثابة موت معنوي، وأنا لا أريد أن أراه فيه، إنه لا يمكن أن يعيش طويلاً بهذا الحال. ربما أن رأيي هذا مبتذل وخاطئ. لكنني أعتقد أن وضع حياتنا الذي أوجده نفسه، إنه وضع ثقيل بالنسبة لي، - أي إن العزلة القطيعة ورتابة الحياة تساعدان على خلق هذا الفتور المتبادل بيننا. وحينما أفكر في المستقبل، وفي الأطفال الذين كبروا، وحياتهم، وفي أن متطلباتهم ستكون متباينة، وأنه يجب تربيتهم جميعاً، ومن ثم أفكر في ليوفوتشكا، أرى بأنه لا يساعدني بفتوره ولا مبالاته هذه، وهو لا يستطيع التعاطف مع أي شيء، وتقع عليّ كافة المسؤولية النفسية والروحية، وجميع الآلام بسبب إخفاقات الأطفال، فكيف أستطيع تحمل هذا كله ومساعدة الأطفال، وبالأخص حين أرى هذه الكآبة لدى ليوفوتشكا، وإن كل شيء قد خمد ولن ينهضه أي شيء. لو لم تساور الناس الآمال - لما استطاعوا العيش، وآمل في أن يهب الرب مرة أخرى ليوفوتشكا تلك الشعلة التي عاش وسيحيا بها.

1876

15 سبتمبر. حان وقت العزلة، وها أنذا مجدداً مع المحدث الصامت – دفتر يومياتي. أريد أن أكتب في دفتر اليوميات بنزاهة ويومياً. لقد سافر ليوفوتشكا إلى سامارا ومنها سيتوجه إلى أرنبورغ التي رغب جداً في الذهاب إليها. أنا أشعر بالسأم الشديد ويساورني القلق أكثر. أريد إقناع نفسي بأنني فرحة، وبأنه جلب لي الرضا والمسرة، لكن هذا غير صحيح، فأنا لست فرحانة، وأنا حتى أشعر بالإهانة، لأنه استطاع بعد الزمن الرائع لحبنا المتبادل وصداقتنا – وهذا ما كان عليه الحال خلال الفترة الأخيرة كلها – أن ينفصل طوعاً عني وعن سعادتنا، وأن يعاقبني بأن كابدت الجزع والحزن طوال أسبوعين.

انهمكت بنشاط وبرغبة شديدة في القيام بعمل جيد وبتعليم الأطفال. لكنني، يا رب، كم أنا عديمة الصبر، كيف أغضب، وأصرخ، أنا اليوم متكدرة إلى أقصى درجة بسبب تمرين الإنشاء الذي كتبه سريوجا حول الفولجا، وأخطائه في درس الإملاء، وكسل إيليا، وفي نهاية الدرس انخرطت بالبكاء. فدهش الأطفال، لكن سريوجا أشفق علي، وأثر هذا في كثيراً، وصار فيما بعد يلازمني، وكان هادئاً وعطوفاً. علاقاتي مع تانيا غير ودية. ويحزنني أن يستمر الصراع مع الأطفال طوال الوقت. لا توجد لدي أفكار سيئة، ولدي رغبة في كسب المزيد من الحركة والحرية. أنا تعبة للغاية، وصحتي ليست على ما يرام، وأجد صعوبة في التنفس، ولدي اضطراب في المعدة، وأشعر بالألم. كما أنني أعاني من البرد، وأرتجف بكل كياني.

17 سبتمبر. اليوم يصادف عيد القديس شفيعي. انصرم يوم آخر، لكن لا يوجد ليوفوتشكا، ولا أي خبر منه. استيقظت في الصباح بتكاسل، وشبه

مريضة، وساورني القلق بصدد مشاغل اليوم. ذهب الأطفال مع ستيوبا لإطلاق الطيارة الورقية. ثم جاؤوا إليّ منفعلين وبخدود محمرة طالبين الذهاب معهم. لكنني لم أذهب. وطلبت منهم أن يجلبوا من صوان سلاح ليفوتشكا جميع أوراقه وانغمرت بكل كياني في عالم أعماله الأدبية ويومياته. وامتحنت بمعاناة الكثير من الانطباعات. لكنني لا أستطيع كتابة سيرة حياته التي ابتدعتها، لأنني لا أستطيع عمل ذلك بلا تحيز. إنني أبحث في جميع صفحات اليوميات عن موضوع عشق ما، وأعذب نفسي بالغيرة، وهذا كله يجعلني في حالة من العتمة والارتباك. لكنني سأحاول. أنا أخشى من شعوري السيئ غير الودي حيال ليوفوتشكا، لأنه سافر، وقد أحببته للغاية قبيل سفره، والآن صرت أوجه إليه اللوم في قرارة نفسي، لما سببه لي من جزع وكرب. ومن الغرابة الاعتقاد بأنه يخشى أن أمرض، بينما يعذبني سفره حين أكون عليلة في أسوأ حال. وأنا الآن لا أنام ولو ليلة واحدة بسبب القلق، ولا أتناول أي طعام تقريباً، وأبتلع الدموع أو أبكي خلسة عدة مرات في اليوم بسبب القلق. أنا أعاني يومياً من الحمى، والآن أرتجف في المساء، وأعصابي مضطربة، ورأسي يكاد ينفجر. وما أكثر الأفكار التي راودتني خلال هذين الأسبوعين. إن وضع الأطفال الآن لا بأس به، وأنا أخشى أن أستغل الوضع لكي أستثير رعايتهم وعطفهم علي في أحيان كثيرة. تانيا تصبح مليحة، ويحيرني كثيراً عشقها الطفولي لعازف الكمان ايبوليت ناجورنوف. بعد الفطور لم أقدم لهم الدروس، فقد حدث بغتة أن فقدت كل طاقتي، ولم أستطع عمل أي شيء. يا رب ساعدني على الصمود ولو لعدة أيام أخرى. أنا أفكر دوماً: «لماذا، لماذا عوقبت، هل لأنني أحببت بهذا الشكل». والآن تمزقت هذه السعادة، وأنا مغتاظة لأنه خمدت مجدداً جذوة الحب الطيبة، ومتعة السعادة.

18 سبتمبر. تلقيت اليوم برقية من مدينة سيزران. سيصل بعد غد صباحاً. وفجأة غمرني المرح اليوم، وصار تعليم الأطفال سهلاً، وغمر البيت النور والبهجة. والأطفال أصبحوا ظرفاء. لكنني أشعر بألم في صدري، فهل سأمرض حقاً، واليوم شعرت بالإساءة والخوف لكوننا نعيش بطمأنينة. لكن الحديث بكثرة يسبب الأوجاع المؤلمة لدى تعليم الأطفال وشرح الدرس

لهم. فلا تتوفر الأنفاس الطليقة. في المساء جاء الأطفال من الطابق الأسفل حيث تلقوا الدروس مع المدام ريو، وجميعهم في كدر، وتبين أنهم جميعاً انهمكوا بالعبث واللعب في أثناء الدرس ولهذا وضعت المعلمة علامة رسوب للجميع في درس السلوك. وقلت إن سلوك سريوجا كان سيئاً ولهذا لن أسمح له بالذهاب إلى الصيد، ولربما سيتحسن سلوكه إذا ما عاقبته. وعلى حين غرة انفجر سريوجا وقال: «au contraire» (أي بالعكس). وقد آلمني هذا جداً. ولكنه سأل لدى الانصراف هل أنا غاضبة منه أم لا، وقد سرني ذلك وغفرت له قوله. أما ستيوبا فهو ظريف جداً ويساعدني بهمة، إنه يعلم الأطفال، ويرغمهم على تكرار الدروس. وعندما أتذكر بأن لوفوتشكا سيصل بعد غد، ينتفض قلبي راقصاً، كما لو أنه سيجلب النور إلى البيت.

1877

27 فبراير.اليوم اقتنعت لدى مطالعة يوميات ليوفا القديمة بأنني لن أستطيع كتابة «مواد السيرة الذاتية»، كما أردت. إن حياته الخاصة معقدة جداً ومطالعة يومياته تجعلني أضطرب، وتتشوش أفكاري ومشاعري، ولا أستطيع النظر إلى كل شيء بتعقل. يؤسفني أن أتخلى عن حلمي. أنا أستطيع وصف حياتنا الحالية وجميع أقواله وأحاديثه حول نشاطه الفكري. وهنا سعيت إلى أن أكون نزيهة وغير كسولة. إنه موجود في موسكو وقد سافر إلى هناك لكي يراجع في فبراير مسودات المطبعة لكتابه ولمقابلة زاخارين لاستشارته بصدد الآلام في الرأس وفوران الدم في الدماغ.

عندما طلبت منذ أيام من ليوفوتشكا أن يحدثني عن حياته الماضية قال لي: «آه، لا تسأليني، رجاء، إن الذكريات تقلقني جداً، أنا عجوز، ولا أرغب في استعادة الذكريات طوال حياتي كلها».

1878

21 سبتمبر. زارنا نيقولنكا تولستوي. أعددنا الخطط للسفر إلى موسكو معه وزوجته الشابة القادمة. *إنها نجمة.*

22 سبتمبر. ذهب ليوفوتشكا وإيليوشا إلى الصيد مع الكلاب السلوقية. وجلبا ستة أرانب. تم تطعيم أندريوشا ضد الجدري.

23 سبتمبر. ذكرى يوم الزفاف، 16 عاماً. علمت الأطفال اللغة الألمانية، جيد جداً، الجو هادئ ودافئ وصاح. أندريوشا فرح جداً.

24 سبتمبر. الأحد. استيقظت في وقت متأخر. ذهب ليوفوتشكا لحضور القداس الإلهي. شربنا القهوة ثلاثتنا: ليوفوتشكا وماشينكا (الأخت) وأنا. سافرت ماشينكا إلى تولا بمعية أوليانينسكي – طالب يعلم سريوجا اللغتين اليونانية واللاتينية – وخرج ليوفوتشكا إلى الصيد مع سريوجا وبنادق الصيد. بينما بقيت أنا وانهمكت في تفصيل السترات من أجل الصبيان. ثم ذهبت مع ماشا وآنا إلى الأطفال في ياسينكي. وقبيل ذهابي حضر الأمير أوروسوف الذي جاء حاملاً بندقية أيضاً وبحث عن صيادينا. وفي ياسينكي وجدت الأطفال في دكان، حيث اشتروا وتناولوا الحلويات. اجتمع شمل الجميع عند الغداء. وبعد الغداء مارسنا لعبة الكروكيت في وقت الغسق. لعبنا نحن: ليوفوتشكا وإيليوشا وأنا، وكذلك مدام نييف وليليا وأوروسوف. وهم فازوا. وفي المساء مارس ليوفوتشكا وأوروسوف لعبة الشطرنج، وتناول الأطفال الحلويات وهم يتصايحون في مرح. أما أنا فطالعت في مجلة «Journal

«d`une femme رواية Octave Feuillet. إنها جيدة جداً ومثالية. النهاية ليست مصطنعة. لكن هذا كله كتب بنية معارضة الأدب الحديث الواقعي جداً. الساعة 12 ليلاً. ليوفوتشكا يتناول طعام العشاء، الآن سنذهب للنوم.

25 سبتمبر. في الصباح علمت الأطفال، ولدى حلول الظهر جاءت ماشينكا ورافقها أنطون وروسا وناديا ديلفيج. وابتهج الأطفال لمجيئهم. وبعد الغداء أدينا رقصة كادريل واحدة، وأنا رقصت مع ليليا من أجل حفظ النظام. عزف لنا ليوفوتشكا مع ألكسندر غريغوروفتش. ثم عزفت ماشينكا على البيانو، وألكسندر غريغوروفتش على الكمان، وتم كل شيء على أفضل وجه. فقد عزفا سوناتا موزارت الرائعة التي تثير الوتيرة البطيئة فيها وتهز دوماً مشاعري كلها. ثم عزف ليوفوتشكا سوناتات فيبر. وعندئذ بدا لي أداء كمان ألكسندر غريغوروفتش سيئاً جداً بالقياس إلى عزف ناجورنوف. وفي الختام عزفت «سوناتا كريتسر» لبيتهوفن. كان العزف رديئاً، لكن السوناتا *بحد ذاتها* ممتازة لو عزفت بصورة جيدة!

ثم لعبت لعبة القدر بأوراق الكوتشينة مع الأطفال. إن روسا بسيطة وظريفة، لكنها غير جميلة البتة. بات الجميع ليلتهم عندنا.

في اليوم التالي، 26 سبتمبر. استيقظت وأنا أشعر بوجع في رأسي. ذهب ليوفوتشكا مع أنطون لحضور القداس الإلهي. بينما مارس الباقون لعبة الكروكيت ببهجة ومرح للغاية. الجو صاح في هذه الأيام. اصطبغت الطبيعة بالصفرة لكن الأوراق ما زالت باقية ولم تتساقط، المشهد جميل جداً. الليالي باردة ومقمرة. بعد الفطور مارسنا لعبة الكروكيت مجدداً: روسا وأنا وأنطون وسريوجا. بينما أقنع ليوفوتشكا الأطفال بالذهاب مع الكلاب السلوقية إلى الحقول. واقتاد كل واحد منهم كلبه، أما الصياد فامتطى حصانه ورافقته الكلاب أيضاً، وذهب الجميع برفقة آنا ومدموازيل جاشيت ومستر نييف. كان المشهد جميلاً جداً. وعندما أنهينا الكروكيت وذهب الباقون إلى الحقول، توجهت إلى فاسيلي إيفانوفتش. شعرت بالارتباك والحزن جداً لديهم في هذه المرة. وجاء إلى هناك أيضاً سريوجا بعد عودته ودهش لرؤيتي. إن سريوجا يحب فاسيلي

إيفانوفتش ولا ينساه أبداً، وهذا سرني. ذهب ليوفوتشكا إلى الصيد أيضاً وقتل ذكر الطيهوج الأسود البتولي في حرش فتي. واصل الأطفال لعبة الكروكيت حتى وقت الغداء، وتابعت لعبهم. انصرف الزوجان ديلفيج بعد الغداء، بينما احتشد الأطفال في غرفة استقبال ليوفوتشكا، وثرثروا، وضحكوا معنا ولعبوا بأيديهم لعبة الدقاقة. رقدنا للنوم مبكراً.

27 سبتمبر. كل شيء في الطبيعة صاف وجاف. عملت كثيراً في التفصيل والتطريز والخياطة، وأعطيت ليزا درساً باللغة الفرنسية، وماشا وتانيا باللغة الألمانية. وانشغلت في تدبير الأمور المنزلية بهمة وبدقة. جرى في يوم الجمعة تطعيم أندريوشا ضد الجدري، وهو متوعك الصحة ومضطرب، بينما أنا أعاني من الألم في الحلمتين. أما ليوفوتشكا (الصغير) فقد ذهب مع الكلاب السوقية إلى ما وراء زاسيكا ولكنه حتى لم ير شيئاً. لا توجد لديه دروس الآن، ويشعر بالآلام في ظهره. وماشينكا متكدرة المزاج وتحس بالبرد وتتذمر.

1 أكتوبر. (الأحد، عيد شفاعة العذراء). في الصباح ذهب ليوفوتشكا لحضور القداس الإلهي. تلقى سريوجا درساً باليونانية واللاتينية لدى أوليانينسكي. وأنا نمت فترة طويلة لأن الجدري يقلق أندريوشا كثيراً ولا ينام في الليل. أما الأطفال فقد ارتدوا أبهى الحلل منذ الصباح وانتظروا لحظة استيقاظي بقلق، لأن الجو أصبح مكفهراً، بينما اعتزموا الذهاب إلى أسرة ديلفيج. كان الجو دافئاً ولهذا سمحت لهم بالذهاب. ذهبوا أربعتهم مع مدموازيل جاشيت. جاء أوروسوف وذهب مع مستر نييف وليوفوتشكا لصيد الدجاج البري. ماشينكا متوعكة، جلست في الطابق الأسفل وانشغلت بالعلاج بالأعشاب البرية، أما أنا فبقيت وحيدة كلياً، وتنزهت فارغة البال ومارست لعبة الكروكيت وانشغلت بالأمور المنزلية والخياطة. تناولنا طعام الغداء في الساعة السابعة، ثم جلسنا، وتبادلنا الأحاديث بكل سرور حول أمور جدية. بينما انشغل ليوفوتشكا وأوروسوف بلعب الشطرنج، أما أنا فانهمكت بتطريز ثوب لأندريوشا بخيوط من الحرير. الأطفال متهللو الأسارير، وسعداء جداً بيومهم، ورجعوا في الساعة العاشرة وانغمروا في الحديث.

2 أكتوبر. كنت أعطي الدروس للأطفال، وبغتة وصل إلينا أحدهم. وقد تبين أنه جروموف مع ابنته ناديا وخطيبة نيقولنكا. إنها ظريفة جداً وبسيطة ورصينة. أنا سأحبها. لقد انصرفوا بعد الغداء، وفي المساء عملت، وذهبت مع تانيا إلى الحمام العمومي. يسود في بيتنا الهدوء والمرح وبلا سأم البتة. الجو صاح والليالي رائعة ومقمرة. وصار أندريوشا في وضع أفضل.

3 أكتوبر. بقيت في البيت بالرغم من الجو الرائع. أعطيت الدروس للأطفال، وعنفت وعاقبت تانيا لأنها لم تخرج للنزهة، وهربت من المدموازيل جاشيت. جلست ماشينكا معي، وكانت في مزاج طيب جداً. ليوفوتشكا ذهب إلى الصيد، واقتنص خمسة أرانب، وسقط مع الحصان وشكراً للرب، فانهمكت أنا لأنه أصيب في ذراعه فقط، بالرغم من أنه تقلب في الهواء رأساً على عقب، بينما التوى عنق الحصان، ولذا لم يستطع النهوض فترة طويلة. أما سريوجا فقد وضع لصقة في جنبه الأيمن، وأنا لا أستطيع حتى الآن أن أهدأ كلياً. وأندريوشا ظريف للغاية، إنه يأكل الخبز بيده ويشرب معه الحليب. غداً سيأتي نيقولينكا. مارس الأطفال لعبة الكروكيت في وقت الفراغ. وفيما كان ليوفوتشكا يتناول طعام الغداء بعد عودته من الصيد، تلقيت رسالة من شقيقتي تانيا، وفرحت بها للغاية، وقرأت الرسالة أمام الجميع بصوت عال ولم أستطع إخفاء ابتسامة الفرح. *وقهقه الجميع* حينما بلغت ذلك الموضع في الرسالة الذي تبعث فيه التحية إلى أبيكم *الباباشا، هكذا كنا ندعوه بمزاح، لدى ممارسة لعبة الكروكيت*، الطيب والهادئ والورع والأبيض السحنة (هذه الصفات مأخوذة من الكتاب الرخيص «العراف»).

4 أكتوبر. عيد ميلاد تانيا، وبلغت سن 14 عاماً. عندما نهضت في الصباح ذهبت إلى الأطفال في الغابة، الحرش الصغير. وهناك كانت لديهم نزهة «بيكنيك». وانهمك مستر نيف وقد شمر عن ساعديه في طبخ الأومليت une omelette وصنع شراب الشوكولاتة. والتهبت جمرات أربعة نيران خفت لهيبها وقام سريوجا بشي المشويات. وساد المرح بينهم جميعاً، وأكلوا كثيراً، والشيء الرئيس أن الطقس كان رائعاً. وعندما رجعنا إلى البيت، مارسنا لعبة الكروكيت، وبغتة شاهدت قافلة من الحمير والخيل في

الدرب قادمة من سامارا. كانت فرحتنا عظيمة، وامتطى الأطفال الحمير فوراً وانطلقوا بها. وعند الظهر جاء نيقولينكا والبارونة ديلفيج قادمين من روسا. احتسينا الشمبانيا في صحة تانيا، واحمرت سحنتها، لكنها كانت راضية. وفي المساء ودعت برفقة تانيا الضيوف إلى كوزلوفكا، وأوينا إلى الفراش في وقت متأخر. وجاء ليوفوتشكا للقائنا مشياً على الأقدام.

6 أكتوبر. أنا مريضة، لدي ورم في اللثة وأشعر بوجع متواصل في كافة أنحاء الجسم. في الصباح أتيت إلى ليوفوتشكا. كان جالساً في الطابق الأسفل وراء الطاولة وانشغل في الكتابة. وقال إنه بدأ للمرة العاشرة بتأليف كتابه. والبداية: هي النظر في قضية دعوى في المحكمة بين الفلاحين ومالك الأطيان. وقد اطلع على هذه القضية من وثائق أصلية وأبقى حتى على الأرقام. وتتدفق من هذه القضية مثل النافورة أفعال وحياة الفلاحين وصاحب الأطيان، وفي بطرسبورغ، ويلعب الأدوار فيها مختلف الأشخاص في مختلف الأماكن. وقد أعجبني هذا المدخل entrée en matière إلى الموضوع. الأطفال يدرسون ويتكاسلون ويبتدعون شتى أصناف الألعاب المسلية.

8 أكتوبر. أقيم حفل زفاف نيقولينكا. سافر ليوفوتشكا مع أبي إلى تولا منذ الصباح. بينما ذهبت مع تانيا مساء إلى الكنيسة مباشرة حيث جرت مراسم عقد القران الكنسي. وأعجبت تانيا بغناء الجوقة وبمراسم الزواج. وغادرنا المكان فور انتهاء المراسم. أما سريوجا فقد ذهب للصيد واقتنص أرنبين. في الصباح انطلق الأطفال بالحمير إلى ياسينكي.

9 أكتوبر. جاء بيبيكوف قادماً من سامارا حاملاً أنباء غير سارة، ولم يجلب أية موارد تقريباً. وقد غضبت جداً. فقد تم هناك استئجار قطعة أرض، وأنا لم أعرف بالأمر، كما تم شراء الماشية، وتبين أن المحصول رديء. وحدث شجار عنيف مع ليوفوتشكا. إنني أشعر بالتعاسة ولا أشعر بأنني مذنبة، ما أشد كرهي لكل شيء: لذاتي ولحياتي وما يسمى *بسعادتي*. كل شيء مضجر، وكل شيء يولد النفور لدي...

11 أكتوبر. في الصباح جاء د.أ.دياكوف. وجاب المنطقة من أجل شراء ضيعة لابنته. ذهب ليوفوتشكا إلى الصيد ولم يقتنص أي شيء. في الأمس اصطاد دجاجتين بريتين وأرنباً قد مزقته الكلاب. في الأمسيات في كل يوم لدينا مطالعة، السيد نييف يقرأ رواية «الفرسان الثلاثة» لألكسندر دوما. هذه القراءة ممتعة جداً والأطفال يهتمون بها وينتظرونها على أحر من الجمر. ليوفوتشكا يطالع الكثير من المواد من أجل كتابه الجديد، ويشكو من الجهد وضنى في الرأس، ويؤكد على أنه لا يستطيع كتابة المزيد من المؤلفات. نحن في وئام جداً، وأنا قلت لنفسي إنني سأرعاه.

13 كتوبر. كنت أعطي الدروس لليليا وليزا وبغتة صرخ الأطفال فرحاً. فقد جاء سيرجي نيقولايفتش من تولا حيث أنجز بعض الأعمال. أمضينا النهار بتبادل الأحاديث.

14 أكتوبر. اليوم فارقتنا ماشينكا. وسافر سيرجي نيقولايفتش إلى خومياكوف لجمع المعلومات حول أحد رؤساء الإدارة. ليوفوتشكا ذهب إلى الصيد ورأى ستة من طيور الطيهوج الأسود الكبير. سأل سيرجي نيقولايفتش مراراً عن شقيقتي تانيا، لم ينسها ولن ينساها. وقال إنه كان يود كثيراً التحدث إليها حين التقى بها في طريق السكك الحديدية. وجه سريوجا لطمة إلى ليليا لأن هذا رمى العصا نحوه. وأراد سريوجا أن ينتزع العصا من ليليا. وقد غضبت جداً وعنفت سريوجا. جاء في المساء معلم الرسم الأحدب. كان يعطي الدروس في الرسم لتانيا وإيليا وليليا. وقد درست تانيا بجد، أما الصبيان فكانا يقهقهان ويلعبان مازحين. بينما درس سريوجا اليونانية واللاتينية لدى أوليانسكي. وبعد ذلك تليت مجدداً رواية «الفرسان الثلاثة». إن هذه المطالعة ما زالت تحظى باهتمام الأطفال. أنا بمزاج غريب. إذ أهتم كثيراً بمظهري الخارجي وبدأت أحلم بحياة أخرى غير هذه. أي إنني أريد مجدداً أن أطالع كثيراً وأن أتعلم وأشحذ الذهن، وأريد أن أكون جميلة، وأفكر بالفساتين وبالترهات. وأحلم بالسفر مع الأطفال إلى موسكو. وأحب أندريوشا حباً جماً.

15 أكتوبر. أتيت صباحاً لشرب الشاي، فوجدت في غرفة الاستقبال كلاً من ليوفوتشكا وسريوجا – الأخ والأطفال – ومعلمين هما: معلم الرسم الأحدب والطالب أوليانينسكي. إن وجود المعملين يضايقني قليلاً. ذهب ليوفوتشكا لحضور القداس الإلهي.

بدأ التجمع للذهاب إلى الصيد، فتم وضع السروج على سبعة جياد، وتوجه بمعية الكلاب السلوقية كل من ليوفوتشكا وسريوجا الأخ، وسريوجا الابن، وإيليوشا والسيد نييف واثنان من الخدم. وتوجهت تانيا وماشا وليليا ومدموازيل غاشيت وليزا على الحمير إلى كوزلوفكا. وبقيت لوحدي، انشغلت مع أندريوشا، لكنني شعرت بالضجر، وعندما نام الصغير أمرت بتهيئة العربة وانطلقت للقاء الأطفال. فلقيتهم عند الحدود، فأجلست مدموازيل جاشيت معي، وقفلنا راجعين إلى البيت، وصدر الأمر بتقديم الفجل المبروش مع الكفاس وأكلنا. وقررنا انتظار عودة الصيادين في وقت الغداء. عاد صيادونا في الساعة السابعة مرحين وراضين ومعهم ستة أرانب معلقة على عصا، وقدموها لنا بصورة احتفالية. وفي المساء طالعنا رواية دوما، وكلنا نشعر بالتعب، وكان سريوجا لطيفاً جداً، وكال المديح لي وللأطفال. سأذهب للنوم.

16 أكتوبر. استيقظت في وقت متأخر من الصباح. وكالعادة جاء الأطفال إلى حجرة النوم الواحد بعد الآخر، وتبعهم ليوفوتشكا. وأخذوا أندريوشا الذي نام معي في الصباح حيث أرضعته، وأخذت أقيس الفستان الجديد، الجيد جداً. وبعد ذلك جلست مع سريوجا – الأخ – وكان عكر المزاج وغير مرح، ومن ثم ودعناه إلى بيروجوفو. طالعت باللغة الألمانية مع ليليا وإيليوشا. وبعد الغداء سافر ليوفوتشكا إلى تولا لحضور اجتماع في المدرسة الثانوية العامة التي يشغل فيها عضوية مجلس الأمناء. وشرعت بكتابة موجز سيرة حياة ليوفوتشكا من أجل الطبعة الجديدة لـ «المكتبة الروسية» تتضمن مقتطفات من مؤلفاته اختارها ستراخوف. ويتولى إصدارها ستاسيولوفتش. وقد تبين أن كتابة سيرة الحياة ليست من الأمور السهلة. لقد كتبت صيغة قصيرة، ولكن رديئة. وأعاقني عن ذلك ضجيج الأطفال وإرضاع الطفل وعدم

معرفة قدر كاف من التفاصيل من حياة ليوفوتشكا قبل زواجي منه، وذلك من أجل كتابة سيرة الحياة. واعتمدت كنموذج سير حياة ليرمنتوف وبوشكين وغوغول. وشغفت بمطالعة الأشعار وانغمرت بمتعة في عالم الشعر الذي أحبه. ولكن وأسفاه فإن الشعراء هم بشر أيضاً لديهم الكثير من العيوب، وسيرة حياة ليرمنتوف تفسد صورته جداً. وطالعنا مجدداً قليلاً من دوما. فهذا يجذب الأطفال أكثر فأكثر. وصنعت قبعة فانيلا من أجل أندريوشا. أطالع كتاب «L'idée de Jean Teterol» لـــCherbuliez، وهو يعجبني جداً. وفي غياب ليوفوتشكا تجلس معي في الأمسيات المدموازيل جاشيت. لم يعمل ليوفوتشكا اليوم وقال لي فقط في الصباح: «كم سيكون عملي هذا جيداً».

18 أكتوبر. أندريوشا يعاني من المرض، لديه سخونة واضطراب في المعدة. استيقظت في وقت متأخر. ذهب الأطفال - الصبيان مع الكلاب إلى الحقل لاصطياد الفئران، بينما ذهبت الفتيات برفقة ليليا على الحمير. وذهب ليوفوتشكا مع الكلاب السوقية إلى الصيد. أما أنا فمارست لعبة الكروكيت مع المدموازيل جاشيت وفاسيلي إيفانوفتش. وقد فزنا في جولة وفازت المدموازيل جاشيت في الدولة الأخرى. الجو صاف ودافئ والرياح جنوبية، والطبيعة جافة وجميلة. شرعت مجدداً بتعليم ليليا الموسيقى. طعام الغداء سيئ جداً، وانبعثت من بوريه البطاطس رائحة سمن الخنزير، والكعكة جافة، والفطائر المحشية مثل نعل الحذاء، بينما لم أتذوق لحم الأرانب. تناولت سلطة الخضروات المسلوقة، وبعد الغداء وبخت الطباخ. وفي هذا الوقت جاء ليوفوتشكا وقد اصطاد أربعة أرانب وثعلباً واحداً، بدا فاتراً وصامتاً وغارقاً في تأملاته. إنه يطالع طوال الوقت. اليوم تلقيت بالبريد قماشاً حريرياً من القوقاز من تانيا، ومن سكايلر تلقيت الترجمة الإنكليزية لقصص «القوزاق»، ممتازة جداً. في المساء قرأنا بصوت عال دوماً، وانشغلت بتفصيل الملابس وبخياطة بزة كشميرية بيضاء من أجل أندريوشا، وأريد تطريز الحواشي بخيط أحمر. استحم إيليا وليليا في الحمام في الطابق الأسفل. كانا يمزحان ويضحكان، وجئت للنظر إليهما عندما أويا إلى مضجعهما، كانا مرحين ونظيفين ولطيفين. وجئت إليهما بحجة فحص

رداء النوم الذي قال إيليوشا إنه قصير. كنت مهمومة النفس وشعرت برغبة في الحركة وبسَورة انفعال ما emotions.

21 *أكتوبر*. اشتد المرض يوم أمس بأندريوشا. سرت البرودة في ذراعيه وساقيه، وازدادت السخونة، وراح يهز برأسه في نومه ويصرخ وترتجف شفتاه ويفتح ويغمض عينيه. اليوم زالت السخونة، وحدث له إسهال. نومي مضطرب، وأنا قلقة جداً. جاء من بطرسبورغ نافروتسكي رئيس تحرير المجلة الجديدة «روسكايا ريتش». قرأ أشعاره ومقتطفات من مسرحية لا بأس بها. روى الكثير من الأخبار من بطرسبورغ، ولم نشعر بالملل. جاء المعلمون مجدداً، اليوم السبت. قدمت الفطائر. كان لدي حديث مع سريوجا. يوم أمس عاتبته لكونه يستفز الآخرين، وهذا الأمر يعذبني، وأنا قلت بأنني إذا ما وجهت اليه اللوم، فإنني أفعل هذا عن محبة، وأنا أريد السعادة لأولادي، والسعادة تتوقف بأكبر قدر على محبة الآخرين جميعاً. وفكرت بأنه من المؤسف أن يتم تحنيط الملوك. يجب دفن الجميع في الأرض: «من الأرض جئت وإلى الأرض تعود». أما التحنيط، والأضرحة، فهذا كله عقاب من الرب. كان ليوفوتشكا في الصيد واصطاد أرنباً. يوم أمس كتب شيئاً قليلاً، ولكنه لم يرني إياه بعد. فسد الطقس، وتساقط الرذاذ. يشعر سريوجا لليوم الثالث بوخز في جنبه مجدداً.

22 *أكتوبر، الأحد*. ذهب الأطفال أو ركبوا الحمير إلى ياسينكي، كما أخذوا من أجل ماشا عربة قرن إليها الحصان كولبيك. اشتروا وتناولوا هناك الحلويات. بينما بقينا، آني وأنا، مع أندريوشا في البيت. إنه ما زال غير معافى تماماً. وقد فصلت مئزراً له وأمضيت اليوم وحيدة وأشعر بالكآبة. في الصباح تحدث معلم الرسم الأحدب بشيء من الطرافة عن حياته في الرسم حينما عمل في معمل الحرير. حضر ليوفوتشكا القداس الإلهي، ثم ذهب مع الكلاب وسريوجا إلى الصيد. لم يحالفه الحظ. المربية في تولا أما أنا فمنذ الساعة السابعة صباحاً أرعى أندريوشا وأشعر بالتعب. أراد ليوفوتشكا أن يكتب رسائل لكنه عدل عن ذلك، وكتب فقط رسالتين إلى تورجينيف وستراخوف. مارس الأطفال في

المساء لعبة الاستغماية، بينما أنا طالعت كتاب L`idée de Jean «Cherbuliez Teterol». لا بأس. طالع ليوفوتشكا كتاباً ثم غفا.

23 أكتوبر. خرج ليوفوتشكا مع الكلاب السلوقية بعد أن تناول القهوة معي في الصباح إلى الصيد في زاسيكا. بينما أعطيت ماشا درساً باللغة الروسية، ومن ثم أعطيت ليزا درساً باللغة الفرنسية، وأعطيت ليليا درساً باللغة الألمانية. عاد ليوفوتشكا عند الظهر حاملاً ثلاثة أرانب. عزف سريوجا سوناتا هايدن بمصاحبة الكمان عزفاً جيداً. ورافقه ألكسندر غريغوروفتش. في المساء عزف ليوفوتشكا سوناتين لفيربر وشوبرت، وذلك بمصاحبة الكمان، بينما انهمكت في خياطة رداءً من الكشمير الأبيض المطعم بالحرير الأبيض، وأصغيت إلى الموسيقى بكل ارتياح. الطقس هائج كثير الرياح ومزعج. قال ليوفوتشكا اليوم إنه طالع الكثير من المواد التاريخية لحد الإشباع، والآن يروح عن نفسه بمطالعة «مارتن تشزلويت» لديكنز. وأنا أعلم بأنه حين يتحول ليوفوتشكا إلى مطالعة الروايات الإنجليزية فمعنى ذلك أنه سيبدأ بالكتابة.

الأطفال أصحاء، وليليا يتعلم جيداً جداً. بينما يطرز إيليا شيئاً ما بولع بقماش من الكتان، أما ماشا فلا تكف عن الابتسام بهدوء وبوداعة جداً. لكن كالعادة دائماً بصورة غير مفهومة لدي. تانيا غارقة في التأمل وكسولة، بلا نشاط، وكذلك بلا نزوات.(قام رجل من الفلاحين الموجيك بالقضاء على جميع الجرذان والفئران في البيت وأعطيناه 5 روبلات).

24 أكتوبر. حينما استيقظنا من النوم انهمر المطر ثم توقف. ونظرنا كيف جرى إنزال ميشكا في البئر باستخدام العصا والحبل من أجل إخراج الدلاء منه. وأخرجنا بنجاح دلوين عتيقين، لكن لم نعثر على الدلو الجديد. ذهبنا إلى المستودع لمعاينة الأشياء التي وضعت في صناديق خلال الشتاء. أعطيت الأطفال دروساً، وطرزت رداءً. حملت أندريوشا وتجولت معه في الغرف، ولاحظت أنه يحب كثيراً الصور ولوحات البورتريه، ويزعق ويبتهج لدى النظر إليها. بعد الغداء جرى حديث صاخب مع الأطفال، ووضعنا الخطط لتقديم عرض مسرحي بيتي في أيام عيد الميلاد. نواصل قراءة «الفرسان

الثلاثة» مع فترات توقف. ذهب ليوفوتشكا إلى زاكاز مع كلاب الصيد، ولم يقتنص شيئاً. إنه نزق وساخط وخامل، لكننا نشعر بالمودة والسعادة. إنه لم يعد يستطيع الكتابة. وقال: «صونيا، إذا ما كتبت شيئاً فإنه سيكون بشكل يقرأه الأطفال حتى آخر كلمة».

25 أكتوبر. أعطيت ليليا درساً في الموسيقى. وبحثت عن لحن راقص Menuetta خفيف من أجله في سيمفونيات هايدن. طالعت مع ماشا، وأعطيت درساً لليزا. خطت من أجل أندريوشا رداءً من نسيج البيكه الأبيض. ذهب ليوفوتشكا إلى الصيد مع الكلاب السلوقية. جلب أرنباً واحداً وحيواناً صغيراً أبيض اللون من صنف ابن عرس. في المساء استعرضنا كل مسيرة حياة ليوفوتشكا من أجل المقالة عن سيرة حياته. كان يتحدث وأنا أدوّن. وجرى ذلك في جو من المرح والمودة، وأنا سعيدة جداً لكوننا أنجزنا هذا العمل. الأطفال يجتهدون في الدراسة. الطقس سيئ تسوده الرياح ويهطل مطر شديد. في المساء طالعت رواية دوما.

27 أكتوبر. في الصباح أرسلت إلى البريد عشر رسائل *كتبها ليوفوتشكا*، ثم نهضت وخرجت لاحتساء شايي الوحيد الأبدي في الصباح، كان الجو صاحياً، وأنا حزينة، أبتلع الدموع، واحتسيت شايي ثم خرجت للنزهة. ليوفتشكا ذهب مع الكلاب منذ الصباح إلى الصيد. لاعبت أندريوشا، ثم خرجت للنزهة، وللبحث عن الأطفال. فوجدت ثلاثة من الأطفال في الجرن. كانوا يتراكضون حول أكداس التبن، بينما استلقى مسيو ناييف فوق التبن، وافترقت عن الصبايا. كان الجو رائعاً في الحديقة. قبيل الغذاء غضبت على إيليوشا وليليا لأنهما سرقا الكافيار، وضربت إيليا وعنفت الاثنين بشدة. في المساء تنزهنا في العربات في ضوء القمر سوية مع جميع الأطفال والمربيات. الجو رائع. وبعد ذلك عكفت على كتابة سيرة حياة ليوفوتشكا. كان أندريوشا مريضاً يوم أمس، وأصابته الحمى، وجاء ألكسي ألكسييفتش بيبيكوف. سأذهب لتناول العشاء، هناك حساء السمك، وبعد ذلك سأرضع الصغير ثم أنام.

28 أكتوبر. شربت الشاي لوحدي، ثم جاءت تانيا واشتكت من ألم في بلعومها. فأصابني القلق الشديد، وأمرتها بأن تمضمض بلعومها بملح كلورات البوتاسيوم، بمقدار ملعقة شاي في قدح من الماء الساخن. إن حالتها الصحية العامة جيدة، ولذا هدأت. ذهبت إلى الغابة لكي أرى كيف تصنع البراميل، وقد تعهدنا بصنع 6000 برميل من أجل جيل، سرنا في الطريق وسط الغابة، شعرت بكل روعة المكان، صحو وقر وهدوء. تنزهت مع ماشا ومدام جاشيت وآني. عاد الصبيان إلى اللعب حول أكداس التبن في الجرن. جاء المعلمون مجدداً في وقت الغداء. رسمت تانيا بالقلم الأسود رأس رجل بصورة جيدة جداً. خطت ثوباً بمناسبة تعميد ابن باراشين، وغسلت أندريوشا لأول مرة بعد تطعيمه ضد الجدري. ذهب ليوفوتشكا مع الكلاب واصطاد أرنباً.

29 أكتوبر. تساقط الثلج، وساد الوحل والدفء. صار الأطفال يتراكضون ويمارسون لعبة الاستغماية ويصخبون وهم في مرح. جلس الجميع في البيت بسبب حالة الطقس. حاول ليوفوتشكا العمل، بينما أنهيت كتابة سيرة حياته. واصلت الكتابة طوال اليوم. كرس المساء للقراءة، بينما أنهيت خياطة الثوب من أجل التعميد.

1 نوفمبر. قرأ ليوفوتشكا لي صباح يوم أمس بداية روايته الجديدة. وتبدأ من قضية الفلاحين مع صاحب الأطيان بشأن الخلاف حول ملكية الأراضي، ومجيء الأمير تشيرنيشيف مع أسرته إلى موسكو. وضع الأساس لكاتدرائية المخلص، الحاجة، الفلاحة، العجوز وهلم جرا. عند حلول موعد الغداء جاء دياكوف. لوفوتشكا اصطاد أرنباً. في المساء جلسنا ودار الحديث عن الضياع التي يطلع عليها دياكوف من أجل ماشا. في يوم الأحد جرى تعميد سريوجا صبي آل باراشين مع تانيا. كان سلوك الجميع جاداً جداً، لكن إيليوشا ضحك كثيراً وأثار ضحك ليليا. ذهبنا اليوم إلى تولا مع دميتري ألكسندروفتش وسريوجا وتانيا. الصباح يسوده القر والصحو. واشترينا اليوم الفرو لصنع معطف من أجل تانيا ومعطف قصير من أجل

سريوجا (بمبلغ 12 روبلاً فضياً) وقدمنا طلبية لخياطة معطف دافئ لسريوجا (بمبلغ 65 روبلاً فضياً) وجزمة لتانيا وسترة لي بفراء الثعلب الذي جلبناه نحن وأشياء أخرى. أما ليوفوتشكا فقد عمل في البيت، ولدى عودتنا خرج لاستقبالنا، ويغمرنا الفرح دائماً لدى رؤية معطفه الرمادي من بعيد. أندريوشا منشرح الصدر ومعافى. جلبت للصبيان خذاريف[1] سعر الواحد منها 10 كوبيكات، بينما جلبت لماشا الكشتبان والخرز من أجل الدمى وأقراطاً ومشبكاً، والقفازات الدافئة للجميع، ومختلف الحاجات الصغيرة الأخرى. لقد تعبت جداً، ونحن لم نتناول أي طعام خلال اليوم، باستثناء الفطائر الحلوة والخبز الأبيض. في المساء غسلت أندريوشا، وقد نما مقدم صدغه بشكل بارز جداً، مما أثار قلقي جداً. لقد أنهينا قراءة رواية «الفرسان الثلاثة» ببالغ الشوق. وفي المساء جلس ليوفوتشكا فترة طويلة وراء البيانو وعزف ألحاناً مبتكرة ما، فهو يتمتع بمقدرة في الابتكار. تلقيت رسالة من تانيا، وأنا لا أستطيع السماح لها بالذهاب، ولا أدري ما العمل.

4 نوفمبر. لم أدوّن شيئاً في دفتر اليوميات أمس. كنت مضطربة لأن ليوفوتشكا ذهب مع سريوجا إلى الصيد، وساد الضباب، فضلا طريقهما، ولم يعودا سوى في الساعة التاسعة مساء، مما أثار قلقي البالغ. وقد طاردا ثلاثة ثعالب، كما جلبا أرنباً واحداً. خرجت اليوم للنزهة، وودعت ليوفوتشكا لدى ذهابه إلى الصيد مع الكلاب. البنات امتطين الحمير. جاء المعلمان، وتمت قراءة مادة تبعث على الضجر نوعاً ما. ليوفوتشكا لا يكتب تقريباً ويكابد من حالة إحباط. عملت في خياطة سراويل داخلية من أجل تانيا، وطرزت مناديل أندريوشا بخيوط حمراء. علمت الأطفال، وجادلت ليوفوتشكا بصدد تعليم سريوجا اللغة الفرنسية، فأنا أرى أن من الواجب تدريسه الأدب الفرنسي، بينما لديه رأي آخر. ثقبت ماشا أذني مربية أندريوشا من أجل تعليق الأقراط فيهما.

---

1 – الخذروف: عُوَيدٌ مشقوق في وسطه، يشدُّ بخيط ويُدَوَّر فيُسمع له حنين، ويشبه به كل سريع في جريه. (الناشر)

5 نوفمبر. يوم الأحد طويل وممل ويسوده الضباب والشعور بالوحدة! ذهب ليوفوتشكا وسريوجا إلى السيد مع الكلاب السوقية. طارد سريوجا أرنباً واقتنصه. توجه الأطفال الباقون مع آني والمدموازيل جاشيت والمسيو نييف مع الحمير وعربة إلى ياسينكي لشراء مختلف الحلويات. أنا عملت كثيراً وانشغلت مع أندريوشا. ما زال يقلقني يافوخه غير النامي ورأسه الكبير. في المساء عزفنا بأربع أيدي ثلاثية موزارت. ليوفوتشكا تناول العشاء وطالع كعادته في أثناء العشاء أو لدى تناول القهوة في الصباح. أنا شربت الشاي، وتناولت الكرنب المخلل. وأنجزت مطالعة «Les deux Barbeaux» في «Revue des deux Mondes» ووجدت أشياء مسلية جداً. في الصباح رسمت تانيا وإيليا وليليا مع المعلم، أما سريوجا فدرس اليونانية واللاتينية مع أوليانينسكي. أصبحت تانيا تجيد التظليل في الرسم أي رسم الظلال. أرى أن بدايتي كانت جيدة، إنها درست مع المعلم الدرس الرابع فقط، بينما درست معي ثلاث سنوات.

6 نوفمبر. ضباب، الهواء ثقيل. طالعت بالألمانية مع ليليا وفي المساء مع إيليوشا. أعطيت لماشا درساً باللغة الروسية. وقرأت لي قصيدة بوشكين «العاصفة غطت السماء بالعتمة...» بإلقاء جيد جداً. لكنها كانت لا تجيد الاستنساخ فمزقت ورقة من الدفتر. جاء ألكسندر جريجوروفتش. إن دروسه مع إيليا وليليا سيئة. ذهب ليوفوتشكا إلى الصيد وجلب أرنبين. يشعر بالضجر لكونه لا يستطيع الكتابة. في المساء قرأ «Domby and Son» لديكنز. وفجأة قال لي: – «آه، أية فكرة طرأت على بالي!». فسألته عما هي، لكنه لم يرغب في القول ما هي، ومن ثم قال: «أنا مشغول بالعجوز، ما هي هيئتها، وما شكل جسدها، وبم تفكر، ولكن وجب أن أكسبها الشيء الرئيس وهو الشعور. والشعور هو أن زوجها الشيخ جيراسيموفتش يجلس ببراءة بلا أي ذنب في السجن، وقد حلق نصف شعر رأسه، وهذا الشعور لا يفارقها في أية لحظة». ثم جلس إلى البيانو وعزف الألحان ارتجالاً. بينما أنا طالعت في «Revue des deux Mondes» حول الرسامين ورسم اللوحات الفنية. درزت اليوم اللحاف من أجل أندريوشا. دار حديث في المساء بين الأطفال حول تمثيل الأدوار المسرحية، وهاجموا تانيا بسبب سلوكها في عائلة ديلفيج عندما زارتهم. الجميع أصحاء عندنا.

7 نوفمبر. فصلت ثوباً من أجل ليوفوتشكا، وأعطيت درساً لليزا، ووقع حادث مزعج: فقد تراءى لي أن أحداً ما قص قطعة من القماش، وكنت غير عادلة في حكمي، فلدى قياس القماش ومراجعة الحساب – تبين أن عدد الأرشينات (الأرشين 17 سنتمتراً) صحيح. ذهب ليوفوتشكا في المساء مع إيليوشا وليليا إلى الحمام. فصار مرحاً مشرق الوجه، وغدت أفكاره واضحة للكتابة. أنا ما زلت قلقة بشأن رأس أندريوشا. تشعر تانيا بألم قليل في البلعوم. وطرحت عليها في أثناء درس التاريخ الأسئلة حول ألكسندر نيفسكي، وتبين أنها لا تعرف الموضوع جيداً جداً. وراجعت مع ليليا التاريخ المقدس حول إعدام المصريين وموسى.

10 نوفمبر. لم أكتب اليوميات لأنني شعرت بصداع في الرأس. أصيب أندريوشا يوم أمس بوعكة، وبدأ الزكام وأصبح سعاله جافاً مقترناً بحشرجة. اليوم حالته الصحية أفضل. ليوفوتشكا جلس اليوم في البيت، وليس كما في الأيام الماضية، ولديه زكام وعليه علائم الإصابة بالبرد. أعطيت درساً لليليا، وترجم نصاً من اللغة الإنجليزية، وروى عن خروج اليهود من مصر، وعزف معي على البيانو. نحن نتعلم، أنا وهو، عزف اللحن الراقص (مينويت) لهايدن Haydn عزفاً ثنائياً بأربع أيد. ماشا ألفت موضوعاً إنشائياً، وصفت فيه غرفتهم، وحفظت قصيدة «حين كشفت الصبايا البخت في ليلة عيد الغطاس...» وألقتها بصوت عال. كان لديها اليوم أول درس في الرياضيات مع أبيها. لكنها وجدت صعوبة في فهم معنى 20 و40 و50 وهلم جرا. ووبخنا تانيا اليوم، لأنها كسولة في الدراسة. عزفت مع ليوفتشكا بأربع أيدٍ، وخطت مئزراً من قماش النيبيلين من أجل ماشا، أطالع «Le roman d`un peintre» إنها مملة جداً. الآن شربنا الشاي، وتناولنا السمك المملح في العشاء، اليوم الجمعة – ليوفوتشكا يتناول طعام الصائم. قبلت أكولكا، حفيدة المربية، في دار الأيتام بطلب مني، وسيأخذها العم سيرجي إلى تولا غداً. نحن نعد أحذية التزلج، السماء رمادية، الغيوم تسبح فيها، الجو يسوده زمهرير وما يشبه الثلج، نتمنى أن يحل موسم البرد! أشعر بأنني مثل ماكينة للعمل، ورغبت أن أتمتع بشيء من الحياة الشخصية لنفسي، لكنها غير موجودة... لا كلام حول هذا... لا كلام... صمت.

11 نوفمبر. من المؤسف أن أكتب اليوميات فقط في المساء، أنا منهكة. أصيب أندريوشا بالمرض الليلة فجأة، وصار يستنشق بصفير، وتواصل ذلك من 4 – 8 صباحاً. فتملكني الجزع جداً. ثم تحسنت حالته، لكنه الآن أيضاً يسعل بشدة مع إطلاق حشرجة ولديه إسهال. أعطيته فقط ثلاث قطرات من الأنتي مونيالين، وربطت على رقبته الصابون مع الشحم والزيت والكافور بعد تمريخها في قطعة قماش فانيلا جديدة. قال ليوفوتشكا اليوم بأنه اتضح له أن جميع الشخصيات تبعث إلى الحياة، وصار الآن يعمل وتغمره البهجة، وصار يثق بعمله. لكنه يشعر بصداع ويسعل.

جاء مجدداً معلم الرسم والطالب أوليانينسكي. ترسم تانيا رأس راع بإتقان جيد، أما إيليا وليليا فإنهما يرسمان لغرض التسلية فقط. أنا عملت كثيراً جداً، وخطت كنزة صوفية من قماش الفانيلا من أجل أندريوشا ومخدة وغطاءين لهما من أجله أيضاً. تلقيت رسالة من ماما.

14 نوفمبر. في يوم الأحد، منذ ثلاثة أيام، سافرنا إلى تولا، سريوجا وتانيا وإيليوشا وليليا وأنا. سادت الطريق العتمة والدفء والأوحال. ابتهج الأطفال كثيراً ووصلنا إلى بيت ديلفيج في الساعة السادسة. وكان سريوجا هناك حيث جاء قبلنا مع المعلمين. مارس الأطفال مختلف الألعاب والرقص، وأنا نظرت إليهم بسرور. في صباح يوم الأحد زارنا أبولونسكي، وبقي ليوفوتشكا في البيت مساء، ثم خرج لاستقبالنا. كان يشعر بصداع في رأسه. جلبت من عائلة ديلفيغ فودفيلات سولوجوب من أجل أن أختار مسرحية يمثلها الأطفال في أعياد الميلاد. قرأنا يوم أمس إحدى المسرحيات: «ورشة الرسام الروسي»، وأعتقد أنها ستكون مناسبة، علماً أن التحضيرات والخطط تجري دوماً في أجواء مرحة. مساء يوم أمس عزف ليوفوتشكا مع ألكسندر جريجوروفتش على البيانو بمصاحبة الكمان. في صباح اليوم تناولت الشاي مع ليوفوتشكا بعد ليلة ليلاء مترعة بالكوابيس والأحلام، ثم استغرقنا في حديث فلسفي طويل حول مغزى الحياة والموت والدين وهلم جرا. إن مثل هذه الأحاديث مع ليوفوتشكا تترك فيّ دائماً تأثيراً معنوياً. أنا أفهم على طريقتي حكمته في هذه القضايا وأجد نقاطاً أتوقف

عندها وتطمئن نفسي حول جميع الشكوك. يمكن أن أورد آراءه، لكنني لا أستطيع ذلك، بالأخص الآن، فأنا تعبانة وأحس بوجع في رأسي.

يذهب ليوفوتشكا إلى الصيد يومياً. في الأمس اقتنص مع الكلاب السلوقية ستة أرانب، واليوم اقتنص مع الكلاب ثعلباً. جاء مرة أخرى ديمتيري ديمتريتش أوبولينسكي، أموره سيئة، ويجد الطمأنينية عندنا. ليوفوتشكا متوعك الصحة على الدوام، وأندريوشا مريض، لديه إسهال، لكنه منشرح الصدر.

16 نوفمبر. قال ليوفوتشكا «إن جميع الأفكار والشخصيات والأحداث، كلها موجودة في رأسي». لكنه مريض طوال الوقت ولا يستطيع الكتابة. بدأ يوم أمس بتناول طعام الصيام، الأمر الذي أعارضه كلياً بسبب تأثيره على صحته. اليوم بقي في البيت، ويوم أمس ذهب إلى الصيد مع الكلاب السلوقية فاصطاد ثلاثة أرانب وثعلباً. أعطيت اليوم درساً لليليا، في القراءة ومراجعة القواعد اللغوية الروسية، ومن ثم أجابت تانيا بصورة سيئة عن الأسئلة في موضوع إيفان الثالث في التاريخ الروسي. أما ماشا فقد انهمكت بالمطالعة والاستنساخ. أنا أخرجت بساطي لمواصلة حياكته. يحلم سريوجا وتانيا طوال الوقت بالمرح *والتسلية*، وأنا أشفق عليهما لأنني لا أستطيع توفيرها لهما، لكنني سأحاول ذلك بكل جهدي. اجتمعنا اليوم في حجرة الشرفة، ليوفوتشكا وأنا والأطفال الستة. وعلى حين غرة تملكني الكدر لدى التفكير بأننا في وقت ما سنفترق وسنتذكر هذا المساء. تلقيت اليوم رسالة من تانيا، وفي الأمس من ستراخوف وليزا أبولينسكايا. أنا أطالب ليوفوتشكا باستمرار بإجراء تعديل في سيرة الحياة التي كتبتها ولكن بلا جدوى.

19 نوفمبر. اصطاد ليوفوتشكا يوم أمس مجدداً أربعة أرانب وثعلباً، واليوم حضر مراسم القداس الإلهي، وفي الصباح عمل. الحمد لله، لقد أقنعته بأن يكف عن تناول طعام الصوم، وبخلاف ذلك سيصاب باضطراب المعدة. إنه طالع سيرة حياته، وقال إنها ليست سيئة البتة، لكنه لم يجر أي تعديل عليها بعد. امتطى سريوجا وإيليوشا والمسيو نييف الجياد وذهبوا إلى ياسينكي لرؤية

موكب القيصر، لكنهم شاهدوا فقط القطار وعربة الطباخ «et la marmiton»، كما قال المسيو نييف مازحاً. ذهبت تانيا وليليا على صهوة جوادين أيضاً وغمرتهما بهجة شديدة، بينما ذهبت ماشا والمدموازيل جاشيت في العربة. نظرت تانيا بمتعة بالغة إلى ذيل تنورتي السوداء التي ارتديتها. في يوم الجمعة كان لدينا حدث كبير مع إيليوشا. فقد رفض الدرس، ولم يصغ إلى أحد، وكان سلوكه غليظاً مع المسيو نابيف ورمى نحوه الممسحة الإسفنجية المبللة، وقرر أبوه حرمانه من طعام الغداء. وعندما ولجت غرفة الأطفال في الأسفل وجدته راقداً على السرير ورأسه وبطنه إلى الأسفل وكان ينتحب. وقد أشفقت عليه كثيراً، وسعينا أنا والمسيو نابيف إلى تهدئته، نحن لم نقدم له طعام الغداء. لكنه، المسكين، أكل بشهية كبيرة شريحة اللحم مع الشاي في المساء! في مساء اليوم عزفت من أجل الأطفال ألحان الكادريل الراقصة، فرقصوا بكل مرح، في البداية الكبار ومن ثم الصغار.

بلغت موسمي الخريفي، والضجر المؤلم في نهاية المطاف. صرت أعمل بصمت في حياكة السجاد أو في المطالعة بإصرار. لكن بلا مبالاة وببرود، ضجر، كآبة، وأمامي العتمة. أنا أعرف أن هذا سيزول لدى حلول الشتاء، لكن الوضع الآن لا يطاق. عندنا في الصالة النافذة مفتوحة، ويسود في الفناء الظلام والدفء على الدوام.

21 نوفمبر. مختلف المنغصات: لقد تبين أن المرضعة حامل وستغادرنا بعد شهرين. ويتعين إيجاد مربية جديدة من أجل المسكين أندريوشا. وجريجوري تخلى عن العمل. ليوفوتشكا ذهب إلى الصيد واصطاد ستة أرانب، وأخذ إيليوشا معه. سريوجا يسعل، بينما مارسوا طوال اليوم مع تانيا رقص الفالس، وعزف سريوجا فانتازيا Fantasia بتهوفن. وفي المساء رقص الأطفال الكادريل ورقصات مختلفة أخرى. أصيب أندريوشا بالإسهال، ودب فيه الضعف الشديد خلال يوم واحد. في الفناء يسود الدفء، وجلب الأطفال أغصان الصفصاف المورقة.

24 نوفمبر. أنا متوعكة الصحة طوال ثلاثة أيام، الحمى، والزكام،

والسعال ووجع الأسنان. الجو ما زال دافئاً، ولم يتساقط الثلج بعد. ذهب جريجوري. بينما يتواصل الإسهال لدى أندريوشا، وهو يتعلم الزحف. ليليا درس معي في المساء موضوع تجوال اليهود في الصحراء، وفجأة تلعثم في الكلام، ورأى أن من الواجب إعادة قراءة النص مرة أخرى. ومضت فترة ساعة، وصار ينتحب ويقول: «لا أستطيع، لا أستطيع، دعهم يضعون لي درجة رسوب!». وهكذا أوقفت الدرس، لكنني، والحمد لله، تعاملت معه بصبر وبليونة وأجلت الدرس إلى يوم غد.

تغمرني الكآبة طوال الوقت. وصارت تراودني أفكار رهيبة تفيض بالغيرة وبالريبة بشأن ليوفوتشكا. أنا أشعر أحياناً بأنه مس من الجنون، وغالباً ما أهمس لنفسي: ساعدني، يا رب! حقاً إنني كنت سأصاب بالجنون لو حدث شيء كهذا.

في الليل أرضع أندريوشا وأجلس في جو من الهدوء والعتمة، وثمة بصيص نور ينبعث من السراج. ذهبت المربية لنشر الأقمطة، وفجأة سمعت صراخ آني من غرفة الأطفال: «Serosha dare not!Serosha!». فارتعبت بشكل فظيع، وضعت أندريوشا في المهد، وذهبت إلى حجرتهم. لقد كانت آني تصرخ في الحلم. وغطيت باللحف الصبيتين تانيا وماشا لأنهما تكشفتا في أثناء النوم. وانتابتني الحمى، ولم أستطع النوم طوال الليل. جلب اليوم معطف فرو وقميص وقبعة من أجل تانيا. بلوزتي الثعلبية ضيقة في الظهر والأكمام قصيرة.

لزم ليوفوتشكا البيت خلال يومين، وكان يوم الأربعاء في تولا، وتناول طعام الغداء لدى عائلة سامارين. في هذا اليوم كتبت سيرة حياة جديدة، لكنها طويلة، ومع هذا لم تكن نافعة مجدداً.

1879

18 ديسمبر. ها قد انصرم ما يربو على العام. أنا جالسة بانتظار بدء المخاض في أية لحظة، فقد تأخر. إن مولد طفل جديد يبعث فيّ الشجن، وقد نأى الأفق كله، وادلهم الظلام، وشعرت بالضيق من الحياة في هذه الدنيا. الأطفال والبيت كله في حالة توتر: فأيام الأعياد قريبة، وموعد الولادة غير معروف. الزمهرير شديد، وتجاوز 20 درجة مئوية. عانت ماشا طوال أسبوع من وجع في الحنجرة وارتفاع درجة الحرارة. اليوم نهضت. ليوفوتشكا سافر إلى تولا لكي يرسل بيبيكوف إلى موسكو من أجل بحث موضوع طبع الكتاب الجديد، ووعد بشراء بعض الأشياء من أجل شجرة عيد الميلاد. إنه يكتب كثيراً في مواضيع دينية. أندريوشا ينير حياتي كلها، إنه ظريف للغاية.

بعد يومين من ذلك ولد ميشا في الساعة السادسة صباحاً في 20 ديسمبر عام 1879.

1882

28 فبراير. نحن بموسكو منذ 15 سبتمبر 1881. ونقطن بالقرب من شارع بريتشيستينكا وزقاق دينيجني، في بيت الأمير فولكونسكي. سريوجا يرتاد الجامعة، وتانيا تذهب إلى شارع ميسنيتسكايا حيث توجد مدرسة الرسم. ويرتاد إيليا وليليا مدرسة بوليفانوف الثانوية، القريبة من بيتنا. إن حياتنا بموسكو كانت ستغدو طيبة جداً لولا شعور ليوفوتشكا بالتعاسة. فهو سريع الحساسية جداً، لكي يتحمل عبء الحياة في المدينة، وعلاوة على ذلك إن مزاجه المسيحي قوي لدرجة تجعله لا يتقبل ظروف الترف والعطالة والصراع في حياة المدينة. فسافر يوم أمس مع إيليا إلى ياسنايا من أجل العمل والاستجمام.

26 أغسطس. قبل 20 عاماً، بدأت أنا الفتاة السعيدة الشابة، بكتابة هذه اليوميات وكل تاريخ حبي نحو ليوفوتشكا. لا يوجد فيها أي شيء سوى الحب. والآن بعد مضي 20 عاماً أجلس وحيدة طوال الليل وأطالع وأندب حبي. لقد هرب ليوفوتشكا مني، لأول مرة في حياتي، من أجل المبيت في غرفة المكتب. نحن تشاجرنا بسبب أمور تافهة، وأنا عنفته بسبب عدم رعايته للأطفال، فهو لا يساعدني في العناية بإيليوشا المريض، وخياطة السترة له. لكن المسألة لا تكمن في السترات، بل في برودته حيالي وحيال الأطفال. وصرخ اليوم بصوت عال بأن أقوى فكرة تراوده هي ترك العائلة. سأموت، ولن أنسى صياحه هذا أبداً بصدق، وبدا كما لو أنه اقتطع جزءاً من قلبي. إنني ابتهل إلى ربي لكي أموت، فحياتي شنيعة بلا حبه، وقد أحسست بهذا آنذاك بجلاء، حين فارقني هذا الحب. أنا لا أستطيع أن أبيّن له مدى حبي له،

كالسابق، على مدى 20 عاماً. إن هذا *يذلني* بينما يبعث لديه *السأم*. لقد انغمر في دراسة التعاليم المسيحية والأفكار حول تطوير الذات. أنا أغار منه... إيليوشا مريض، ويرقد في غرفة الاستقبال ودرجة حرارته عالية. وأنا جالسة معه لكي أعطيه الكينين في فترات قصيرة جداً، وأنا أخشى تفويتها. أنا لن أرقد اليوم في الفراش الذي هجره زوجي. ليساعدني الرب! أنا أود أن أسلب نفسي هذه الحياة، والأفكار مشوشة لدي. دقت الساعة الرابعة.

وصرت أحدس – إذا لن يأتي فمعنى ذلك أنه يحب امرأة أخرى. لم يأت. وواجبي، كنت سابقاً أعرف بأنه واجبي، أما الآن؟

لقد جاء، لكننا لم نتصالح إلا بعد مرور 24 ساعة. نحن كلانا انتحبنا، ورأيت بابتهاج أن ذلك الحب الذي بكيت بسببه في تلك الليلة الرهيبة لم يمت. ولن أنسى أبداً ذلك الصباح الرائع، الصاحي، والبارد، وقطرات الطل الفضية المتألقة، عندما مشيت بعد الليلة المسهدة في الطريق وسط الغابة إلى منصة السباحة.إنني لم أشاهد منذ وقت بعيد مثل هذه الروعة لجمال الطبيعة. وجلست فترة طويلة في الماء المتجلد وراودتني فكرة أن أصاب بالبرد وأموت. لكنني لم أصب بالبرد، وعدت إلى البيت ورحت أرضع إيليوشا المبتهج والمبتسم لدى رؤيتي.

10 سبتمبر. سافرت العمة تانيا مع الأسرة إلى بطرسبورغ، بينما سافر ليوفوتشكا مع ليليا إلى موسكو. إنه آخر يوم دافئ. وذهبت للسباحة.

1883

موسكو، 5 مارس. تؤثر شمس الربيع فيّ كالعادة تأثيراً شديداً. فهي تتألق بنور ساطع في مكتبي الصغير الكائن في الطابق الأعلى. وتتردد في ذهني، الآن، في هدوء الأسبوع الأول من الصوم، مشاهد حياتي في الشتاء الذي مضى لتوه. إنني انغمرت قليلاً في أوساط المجتمع، وتسليت بنجاحات تانيا، وبنجاحات مظاهر شبابي وبالمرح، أي بكل ما يجلب السرور والحبور في المجتمع. ولن يصدق أحد حين تراودني أحياناً، وحتى أكثر من لحظات البهجة والمرح، لحظات أشعر فيها باليأس، وكنت أقول لنفسي: «أنا لا أفعل... لا أفعل ما يجب». لكنني لم أستطع ولم *أكن أجيد إيقاف نفسي عند حدها.* واتضح لي جداً بأنني لا أحيا بإرادتي وأعمل بإرادة الرب أو القدر،وليسمِّ كل واحد هذه الإرادة العليا كما يريد، حتى فيما يتعلق بتوافه الأمور.

قبل يومين أي في الثاني من مارس فطمت إيليوشا، ومرة أخرى أعاني من ذلك الألم الروحي في الفترة الأولى لفراق طفل محبوب. إن الفطام يتكرر المرة تلو المرة ولا مفر منه.

إن الحياة في بيتنا بعيدة جداً عن صخب المدينة، وأيسر كثيراً، وأفضل من الحياة في العام الماضي. ليوفوتشكا هادئ وطيب، ولكنه أحياناً ينحي علي باللوم والعتاب، ولو بقدر أقل وبصورة مبتسرة. إنه يغدو طيباً أكثر فأكثر.

لكن يرى الرب، ولا يعرف أحد غيره، ما كان يدور في نفسي، وأنا لم أرغب في الصيف والخريف بالمجيء إلى موسكو، ولم أجد لدي القوة لتحمل كل عبء المسؤولية في حياة المدينة. فأنا تركت في ياسنايا كل ما أحببت وما اعتدت عليه. وكيف قيمت كل شيء حين غادرتها، وكانت العودة ممكنة منذ العام الماضي... علماً أن هذا الانتقال هو الثاني، إنه

يخص الأطفال والأب، ولا علاقة لي به. لقد كان واجباً، وهذه إرادة الرب من أجل سعادة الأسرة... ولماذا؟ ما زال ليوفوتشكا يكتب كل شيء، وفقاً للروح المسيحية، وهذا العمل لا نهاية له، لأنه لا يمكن نشره. إنه واجب، و*هذا* يمثل إرادة الرب، وربما من أجل أهداف عظيمة.

1885

24 مارس. يوم عيد الفصح المبارك.عاد ليوفوتشكا يوم أمس من القرم حيث رافق أوروسوف المريض. وتذكر في القرم أيام الحرب في سيفاستوبول وتجول طويلاً في الجبال وتمتع بالنظر إلى البحر. وعندما سار مع أوروسوف في الطريق إلى سيميز مرا بالمكان الذي رابط ليوفوتشكا فيه أثناء الحرب مع مدفعه، وأطلق منه النار مرة واحدة فقط. حدث هذا قبل 30 عاماً. وعندما سار مع أوروسوف أوقف العربة على حين غرة، وذهب للبحث عن شيء ما. وتبين أنه رأى على جانب الطريق قذيفة لمدفع جبلي. فهل كانت القذيفة نفسها التي أطلقها ليوفوتشكا في أثناء الحرب في سيفاستوبول؟ لم يكن هناك أيامذاك أحد آخر يمكن أن يطلق النار. وكان هناك مدفع جبلي واحد. الآن ادلهم المساء: اجتمع الأطفال الكبار مع أولسوفيف، أطلق لوباتين عقيرته في الغناء.

1886

25 أكتوبر. ياسنايا بوليانا. الجميع في البيت - وبالأخص ليف نيقولايفتش، وحوله جميع الأطفال مثل قطيع من الغنم، - وفرضت علي ممارسة دور «*السوط*». لقد ألقيت علي أعباء ومسؤولية الأطفال والشؤون المنزلية وجميع القضايا المالية والتربية وتنظيم كافة أمور البيت وجميع الشؤون المادية، التي يتمتعون بها أكثر مني، وهم يرتدون مسوح أهل الخير، ويتخذون هيئة من يطلب حصاناً من أجل الفلاح والنقود والدقيق وهلم جرا. لكنني لا أمارس إدارة شؤون الضيعة الريفية، فلا يتوفر لدي الوقت ولا المقدرة لذلك - أنا لا أستطيع إعطاء الأمر من دون أن أعرف هل ثمة حاجة إلى الخيل في تدبير أمور المزرعة في اللحظة الراهنة أم لا، إن هذه المتطلبات الإدارية التي لا معرفة لي بها تصيبني بالحيرة والغضب.

كم وددت وأود في أحيان كثيرة أن أتخلى عن كل شيء، وأترك الحياة بهذه الصورة أو تلك. يا ربي، كم تعبت من الحياة والكفاح والمعاناة. ما أعظم الحنق غير المقصود لأقرب الناس إليّ وما أعظم أنانيتهم! لماذا أفعل مع هذا كل شيء من أجلهم؟ أنا لا أعرف. أعتقد أن هذا واجب. إن ما يريده زوجي (قولاً)، أنا لا أستطيع القيام به، من دون التخلص أولاً من تلك القيود العائلية، قيود العمل والقلب. ويشغل بالي ليلاً ونهاراً أمر واحد هو الخلاص، الخلاص، بهذه الصورة أو تلك، من البيت أو من الحياة، والخلاص من هذه القسوة، والمطالب التعجيزية. صرت أحب الظلام. وحين يخيم الظلام أحس بالبهجة، وأستعيد في خيالي كل ما أحببته في حياتي، وأحيط نفسي بهذه الأشباح. أخذت في مساء أمس أتحدث مع نفسي بصوت عال. ففزعت: هل أصابني مس من الجنون؟ إن هذا الظلام صار محبوباً لدي، فهل معنى ذلك أن الموت صار محبوباً لدي؟

كان الشهران الأخيران – حين أصيب ليف نيقولايفتش بالمرض – كان (لغرابة الأمر) من جانب هو وقت الأوجـاع، ومن جانب آخر كان وقت المسرات. كنت أتابعه نهاراً وليلاً، فقد كانت لديّ مسألة سعيدة جداً، ولا ريب فيها – إن نكران *الذات* – هو الشيء الوحيد الذي بوسعي ممارسته بصورة جيدة، إنه نكران *الذات* من أجل شخص أحبه. وكنت أشعر بسعادة أكبر كلما كانت المصاعب أشد. والآن إنه يمشي على قدميه، ومعافى تقريباً. لقد جعلني أشعر بأنه لا يحتاجني أكثر، وها أنذا أصبحت منبوذة مجدداً، وشيئاً عديم الفائدة، ينتظر منه وحده العمل والمطالبة، وهذا حال الأمور دائماً في الحياة وفي العائلة، بأمر غير محدد، بالتخلي فوق طاقتي عن الممتلكات والمعتقدات، وعن تعليم ورفاهية الأطفال، وهو ما لا أستطيع عمله لست أنا فقط، ولو أنني امرأة لا تعوزها الطاقة، بل آلاف الناس، حتى المؤمنين بمصداقية هذه المعتقدات.

نحن نعيش في ياسنايا أكثر من المعتاد. ولا تتوفر القوة للقيام بأي شيء. لكن الضمير لا ينام ويؤنبنا لفقدان الطاقة. يجب المضي قدماً بحزم في الطريق الذي تراه صائباً، وها أنذا أمضي فيه بحكم قوة القصور الذاتي. أنا أتوجه (كما أعتقد) إلى موسكو، وسأجمع شمل العائلة، وأدير شؤون إصدار الكتب وأحصل على النقود، التي يطالبني ليف نيقولايفتش بها من كافة الأنحاء من أجل إنفاقها على أصحابه الأثيرين والفقراء، علماً أنهم هم ليسوا فقراء حقاً، لكنهم أدركوا بوقاحة وبأفضل شكل كيفية الطلب منه، وهم: قسطنطين وجانيا والكسندر بتروفتش وغيرهم. أما الأبناء الذين شنوا الهجمات علي بسبب خلافاتي مع أبيهم، فهم يطلبون كل ما في وسعهم طلبه... الرحيل، الرحيل. إنني سأرحل في كافة الأحوال بهذه الصورة أو تلك. ولا تتوفر لدي القوة للرضى، ولا المحبة الكافية من أجل العمل، والنضال والصبر. ولكني سأواصل إلى حين تدوين يومياتي. وسأغدو أكثر طيبة وأكثر صمتاً، أما كل القلق – فسيبقى هنا.

الخريف رطب وكئيب. أندريوشا وميشا يمارسان التزلج في البركة السفلى. وتعاني تانيا وماشا من وجع الأسنان. يعتزم ليف نيقولايفتش تأليف دراما عن حياة الفلاحين. أدعو الرب أن يمارس مجدداً مثل هذا العمل. إن ذراعه تؤلمه – الروماتيزم. مدام سيرون ظريفة جداً، ومرحة والأطفال بخير.

الصبيان: سريوجا وإيليا وليوفا يعيشون بموسكو حياة يلفها الغموض، وأنا قلقة جداً بشأنهم. لديهم موقف غريب من مظاهر الضعف والشهوات البشرية والذاتية: هذا كله شيء طبيعي ويجب أن يكون، وإذا ما ناضلنا وانتصرنا فمرحى لنا. ولمَ يجب أن تكون هناك مظاهر *الضعف*؟ إنها موجودة، وهذا حق، وحين ننتصر عليها، ولكن ليس في كل يوم، بل مرة واحدة في الحياة، ويستحق هذا النضال أن نقوم بالنضال، ولكنه غالباً ما يحطم الحياة والقلب. لكنه ليس النضال من أجل مقصف ستريلني والنبيذ وأوراق القمار وغيرها من الشهوات المبتذلة والكريهة.

إنني غالباً ما أتساءل لماذا جعلني ليوفوتشكا في وضع المذنبة دائماً بلا ذنب؟ هل لأنه يريدني ألا أحيا بل أن أعاني دوماً، وأتطلع إلى الفقر والمرض وتعاسة البشر، وأن أبحث عنها إذا لم يكن لها وجود في الحياة. كما يطلب الشيء ذاته من الأبناء. فهل هذا ضروري؟ هل يجب على الإنسان المعافى أن يرتاد المستشفيات باستمرار ويتطلع إلى تشنجات وآلام البشر والإصغاء إلى شكاويهم وأناتهم؟ وإذا ما صادفك في الحياة مثل هذا الشخص المريض فأشفق عليه وساعده، لكن لم البحث عنه؟

إنني أطالع سير حياة الفلاسفة. إنها طريفة للغاية. لكن من الصعب قراءتها بهدوء وبتعقل. والمرء يبحث في تعاليم وأقوال كل فيلسوف عما يناسب معتقداته وآراءه، ويهمل كل ما لا يتفق معها. وتكون النتيجة أن محاكاتها صعبة. وأنا أصبو إلى أن أكون أقل انحيازاً.

زارنا بوتورلين. إنه – إنسان حقيقي، ولكنه يتصف بشيء من تشوش الذهن.

26 أكتوبر. كتب ليوفوتشكا الفصل الأول من الدراما. وسأتولى استنساخه. لماذا أصبحت لا أثق ثقة عمياء حتى بقدرته كمؤلف؟ لقد خرج للنزهة مع بوتورلين. ظلام، ورطوبة.

لقد ثرثرت كثيراً مع بوتورلين. ونسيت القاعدة (قول يبيكتيت: Garde le silence le plus souvent, ne dis que les choses nécessaires et toujours en peu de mots)[1]. لكنه ذكي ويفهم كل شيء، بوتورلين هذا.

---

1 – التزم الصمت قدر الإمكان، ولا تقل سوى ما هو ضروري وبكلمات مقتضبة (بالفرنسية). (المترجم)

الصبيان أندريوشا وميشا يلعبان مع طفلي الفلاحين ميتروشا وإيليوخا، وهذا لا يسرني، لا أدري ما هو السبب. أعتقد بأن هذا سيجعلهما يعتادان على التسلط وإخضاع الطفلين لإرادتهما، وهذا شيء سيئ وغير أخلاقي.

أعدت يوم أمس قراءة رسائل أوروسوف، والشيء المؤلم أنه غير موجود، بحثت فيها عما كنت أريد معرفته في حياته دائماً: ما هو موقفه مني؟ أنا أعرف شيئاً واحداً أنني كنت دائماً أشعر بالارتياح والسعادة معه، أما كيف تم ذلك - هذا ما لا أعرفه.

أفكر بالصبيان الكبار، كما لو أنهم بعيدون جداً، وهذا يؤلمني. لماذا لا يشعر الآباء *بالألم* بكل ما يتعلق بالأطفال. ولمَ تتحمل النساء *هذا العبء في الحياة؟ إنه يشوش الحياة فحسب.*

27 أكتوبر. استنسخت الفصل الأول من الدراما الجديدة لليوفوتشكا. إنه جيد جداً. الشخصيات رسمت بشكل مدهش، والعقدة متكاملة وشيقة. ماذا سيحدث لاحقاً. قرأ ليوفوتشكا بصوت عال في المساء أمام بوتورلين مقالته «نقد علم اللاهوت». أنا أصغيت إليه، ولكنني فكرت فوراً بشيء آخر. هل إنه لا يستحوذ على ذهني - أم إن قلبي قد تجمد، أو شيء آخر. استلمت من إيليا رسالة حول زواجه. هل هذا غرام فقط انبجس من شعور جسدي استيقظ، ويوجه نحو أول امرأة يقيم معها علاقات قريبة بهذا القدر أو ذاك؟ لا أعلم هل أبارك هذا الزواج أم لا، أم، بصراحة، لن تكون لي يد في هذا الزواج - إنني أتكل على الرب في كل شيء. أعطيت الدرس بلا همة وبلا ثمرة لأندريوشا وميشا. إنهما كلاهما عزيزان جداً لدي. صححت مسودات المطبعة من أجل طبعة رخيصة وتعبت جداً. إنني آسف لمغادرة ياسنايا بالأخص أخشى توقف العمل الذي بدأه ليوفوتشكا. ماشا تسرح بلا تعليم، والصبيان يعذبونني، الأحوال تتعثر. إذا ما عمل ليوفوتشكا بموسكو فسأطمئن. وسأكون معه حذرة، وحانية، بغية حمايته من أجل عمله المحبب إليّ.

30 أكتوبر. كتب ليوفوتشكا فصلين آخرين من الدراما. نهضت مبكرة واستنسخت. وفيما بعد في المساء أعدت الاستنساخ مرة أخرى. إنها جيدة،

لكنها مرتبة جداً. كان من الواجب أن تكون ذات تأثير مسرحي أكبر، وقلت ذلك لليوفوتشكا. أعطيت الدروس لأندريوشا وميشا. انهمكت في تصحيح المسودات. انصرم اليوم كله بالعمل في تقديم الدروس. قرأت للأطفال مجلة «الينبوع» ومجلة «أصداء الوطن». لقد أعجبتهم الأشعار والرسوم، وبث فيهم الحيوية. الفتيات يجلسن في الطابق الأول وينهمكن في الكتابة والمطالعة. ساورتني في النهار لحظات من الكآبة، القديمة، المألوفة لدي، وشعرت بالضيق لحد ما. جاءت أنيسكا وتحدثت عن مرض أمها، وقد أصابني الكسل ولم أذهب لزيارتها، سأذهب إليها حتماً. عندما جلست لتناول طعام الغداء طلبوا مني النقود من أجل عجوز ما واللصة – جانا. طلب ليوفوتشكا ذلك عن طريق البنات. أردت تناول الطعام، وشعرت بالأسى لتأخر الجميع، ولم أرغب في إعطاء النقود إلى اللصة – جانا. فكذبت بالقول إنه لا توجد لدي نقود، علماً أنه كانت لدي عدة روبلات. لكنني شعرت بالخجل وأخرجت النقود، بعد أن تناولت الحساء كله (بحجة أنني تذكرت ذلك لاحقاً). ثم لزمت الصمت واستغرقت في التفكير، هل يمكن أن أبعث في القلب تلك المحبة التي يكنها ليوفوتشكا نحو الجميع، وعلى سبيل المثال نحو هذه المرأة، اللصة جانا، التي لم يبق أحداً في القرية لم تسرق منه شيئاً، والمصابة بمرض خبيث وتبعث لدي شخصياً النفور الشديد. لقد تململ في أعماقي شيء ما يشبه الشعور بالشفقة، لكنه سرعان ما زال. جاء فينرمان. لقد صار حضوره يقلقني بقدر أقل. وردت من العجوز جي رسائل. أشعر مجدداً بعدم الثقة به، ثمة شيء من التصنع والزيف فيه.

رحل بوتورلين، ويا للأسف. فحين كان موجوداً طرح أموراً شيقة. عاتبتني تانيا لأنني لم أعط النقود للأب. وتراءى لي فجأة بنوع من الغرابة أنني فعلاً لم *أعطه ما طلب. لكن الفكرة حول ليوفوتشكا قد غابت* بعيداً للحظة. فالنقود لم تكن من أجله شخصياً، *وهذه الفكرة حول* رفض تقديم شيء ما *إليه* لم أستطع البتة ربطها برفض منح النقود لجانا. هذا غالباً ما يحدث لي.

1887

3 مارس. أثار قلقي الخبر حول القنابل التي عثر عليها في بطرسبورغ لدى أربعة طلاب أرادوا إلقاءها على القيصر لدى مروره في الطريق بعد اختتام حفل العزاء بمناسبة وفاة والده. وأثار ذلك قلقي طوال اليوم، ولم أثب إلى رشدي طوال النهار.إن هذا الشر سيولد الكثير من الشرور. وكيف لا أقلق اليوم لكل شر! ليوفوتشكا تلقى هذا النبأ بكآبة وصمت. فقد عانى نفسه من هذا سابقاً.

لقد حققت الدراما نجاحاً باهراً، ونحن، أنا ولوفوتشكا، ننظر إلى هذا بهدوء. كتبت يومياتي حين بدأت، وفيما بعد وجب إعادة كتابة أمور كثيرة *منها*، لدرجة أنني توقفت عن كتابة اليوميات. في 11 نوفمبر توفيت أمي، في يالطا (ودفنت هناك). في 21 مارس انتقلت مع العائلة إلى موسكو. كتب ليوفوتشكا رواية قصيرة عن أزمان المسيحيين الأوائل. والآن إنه منهمك في كتابة مقالة «حول الحياة والموت». إنه غالباً ما يشكو من ألم تحت الإبط. لقد أمضينا الشتاء بسلام وبسعادة. صدرت طبعة جديدة رخيصة من أعمال ليوفوتشكا. لقد فقدت كلياً الاهتمام بهذا الأمر. ولم تجلب النقود أية مسرة، أنا كنت أعرف هذا. بدأت العمل عندنا مربية إنجليزية جديدة Miss Fewson، وماشا مريضة. قرأت لها بصوت عال مسرحية «الملك لير». أنا أحب شكسبير، بالرغم من أنه غالباً ما يكون جموحاً ولا يعرف الحدود، وعلى سبيل المثال هناك في أعماله الكثير من أفعال القتل والموت.

6 مارس. قمت باستنساخ مقالة «حول الحياة والموت» والآن طالعتها بإمعان. وبذلت جهدي لمعرفة ما هو جديد فيها، ووجدت تعابير دقيقة،

ومقارنات جميلة، لكن الفكرة الأساسية تبقى بالنسبة لي لاريب فيها دوماً - إنها الفكرة ذاتها. أي إن من الواجب نبذ الحياة المادية والشخصية من أجل الحياة الروحية. وثمة شيء مستحيل وغير عادل بالنسبة لي - فهو يعني التخلي عن الحياة الشخصية من أجل محبة العالم كله - ، وأنا أعتقد بأن هناك واجبات لا ريب فيها فرضها الرب، ولا يحق لأحد التخلي عنها، وهي لا تشكل عقبة أمام حياة الروح، بل حتى تشكل مساعدة لها.

تغمر روحي الكآبة. إن إيليا يكدرني جداً بغموضه وبحياته غير الطيبة. الكسل واللامبالاة والفودكا والكذب في أحيان كثيرة وأصحاب السوء والشيء الرئيس - غياب أية حياة روحية. سافر سريوجا إلى تولا مجدداً، فغداً يعقد اجتماع البنك الفلاحي لديهم. تانيا وليوفا يلعبان الفينت بشكل يبعث على الأسى. لقد فقدت كلياً القدرة على تربية الأطفال الأصغر سناً. أنا أشفق عليهم دائماً، كما أنا أخشى تدليلهم. أنا أعاني من خوف الشيخوخة عليهم، ورقة وحنان الشيخوخة عليهم. بينما بقيت مشاعر الرغبة في تعليمهم وأهميته قوية كالسابق. لا توجد لدي الآن أية نقطة ارتكاز في الحياة. لكن توجد لحظات رائعة في التأمل المنفرد حول الموت وأحياناً حتى الإدراك الواضح لازدواجية الوعي المادي والوعي الروحي، ونفسي شخصياً، وعدم الشك في خلود حياة هذا وذاك.

أحياناً يعتزم ليوفوتشكا الذهاب إلى القرية، لكنه يبقى مجدداً. وأنا ألتزم الصمت دوماً وأعتبر أن ليس من حقي أن أفرض إرادتي على أفعاله. إنه تغير كثيراً، فهو يتطلع بهدوء وبطيبة إلى كل شيء، ويشارك في لعب الفينت، ثم يجلس إلى البيانو مرة أخرى، ولا يبدي الامتعاض من حياة المدينة. وردت رسالة من تشيرتكوف. أنا لا أحبه فهو يفتقر إلى الذكاء، وماكر ووحيد الجانب، وغير طيب القلب.لكن ل. ن. معجب به لأنه يبجِّله. إنني أحترم جداً دور تشيرتكوف في مجال القراءة الشعبية، والتي بدأها بمبادرة ل. ن. ولا أستطيع سوى إعطائه حقه في ذلك. جاء فاينرمان إلى ياسنايا مجدداً. وقد ترك في مكان ما زوجته الحامل وطفله بلا مورد للعيش، وجاء للإقامة عندنا. أنا أؤيد المبدأ العائلي، ولهذا فهو بالنسبة لي ليس إنساناً بل أسوأ من حيوان. ومهما كان متعصباً، ومهما كانت الأفكار والأقوال الرائعة التي تصدر منه، فإن تركه العائلة والعيش على حساب الغير هو بلا ريب أمر فظيع وبشع.

9 مارس. ليوفوتشكا يكتب مقالة جديدة بعنوان «حول الحياة والموت» من أجل قراءتها في الجامعة في جمعية علم النفس. إنه بدأ منذ حوالي الأسبوع بالعيش كنباتي، وهذا يترك تأثيره في مزاجه الروحي. وصار اليوم يتحدث عن قصد أمامي مع أحد ما حول شر المال والثراء، ملمحاً إلى رغبتي في الحفاظ عليه من أجل الأطفال. أنا لزمت الصمت ولكن عيل صبري فيما بعد فقلت: «أنا أبيع 12 جزءاً بمبلغ 8 روبلات، بينما أنت بعت «الحرب والسلام» وحدها بمبلغ 10 روبلات». فغضب لكنه لزم الصمت. إن من يسمون *بالأصدقاء* والمسيحيين الجدد يوجهون ل.ن. ضدي بصورة فظيعة، ولا يلازمهم الفشل دائماً. إنني أعدت قراءة رسالة تشيرتكوف حول سعادته في التعامل الروحي مع زوجته، وتألمه لأن ل. ن. لا يجد مثل هذه السعادة وأسفه الشديد لأنه جدير بها للغاية، ولكنه محروم من هذا التعامل. في تلميح إليّ. أنا قرأتها، وشعرت بالألم. فهذا الرجل الغبي والماكر وغير الصادق، الذي لف شباكه بالحيلة حول ل. ن. يريد (ربما هذا وفق *الروح المسيحية*) أن يمزق بكل الطرق تلك الصلة التي ربطتنا بصورة وثيقة خلال 25 عاماً! عندما كان ليف نيقولايفتش مريضاً عشنا خلال شهرين كالسابق. وأنا رأيت كيف استجم روحياً وكيف استيقظت فيه روح الإبداع القديمة. فكتب دراما. لكن أغلال المسيحيين الجدد المزيفين – المعسولين قيدته من جديد، فانطلق إلى القرية وأنا رأيت كيف خمدت تلك الشعلة، وكيف أثر ذلك في روحه.

يجب وضع حد للعلاقات مع تشيرتكوف. فهناك كل شيء زائف وشرير، ويجب الابتعاد عن هذا الرجل.

اليوم جاء ضيوف – شباب. تناولنا طعام الغداء، ومن ثم مارسنا لعبة الفينت. أية ظاهرة كئيبة هذا الفينت العالمي! برد، درجة الحرارة 14 درجة مئوية تحت الصفر ليلاً.

14 مارس. موسكو. أجلس لوحدي تماماً. الصمت يسود المكان حوالي، وأنا في مزاج رائق جداً. الصغار الثلاثة نيام. بينما ذهبت تانيا وماشا وليوفا لزيارة أسرة تاتيشيف. إيليا يقبع حبيساً لليوم الثالث في الثكنات عقاباً له لأنه تأخر في التدريبات. أما ليف نيقولايفتش فقد ذهب مع ن. ن. جي (الابن) إلى الجامعة،

إلى جمعية علم النفس، وسيقرأ هناك مقالته الجديدة «حول الحياة والموت». وقد سارعنا أنا وجي في استنساخها واشتغلت طوال اليوم في الكتابة. ل. ن. غير معافى، ويعاني من آلام في المعدة، ومن اضطراب الهضم – ويعزى ذلك إلى التغذية المشوشة جداً، فتارة يتناول الأطباق الدسمة المليئة بالشحم وتارة النباتية، بينما يشرب الروم ممزوجاً بالماء وهلم جرا. إنه كئيب روحياً لكنه طيب القلب. جاء رجل أرسل من بطرسبورغ لأخذ الأزياء من ياسنايا بوليانا من أجل مسرحيتنا. يوم أمس تلقيت رسالة من بوتيخين، تتضمن *عدم التأكد* بعد من عرضها على خشبة المسرح. لكن البروفات جارية وتجري كافة الاستعدادات اللازمة. وأنا مترددة في الذهاب لمشاهدة البروفة العامة! أنا أرغب في ذلك لكنني أخشى كثيراً ترك البيت. لم أقرر بعد. وكيف ستكون الحالة الصحية لليوفوتشكا. ذهبت مع الأطفال للتزلج على الجليد، لم أشارك في التزلج. إنني أفقد مباهج الشباب تجريدياً. لقد عمل ليوفوتشكا كثيراً في كتابة هذه المقالة، وهي تعجبني كثيراً. إنه يذهب إلى الجماعة للمرة الثانية، لقد صار يتراجع عن القواعد المتحيزة المختلفة: فصار ينظف الغرفة جريجوري في غالب الأحيان، وحين لا يكون معافى يتناول اللحم، وعندما نمارس لعبة الفينت يجلس معنا أيضاً. لقد زال العناد، وزال المزاج العكر، وصار أكثر مرحاً وطيبة. كما إنه لا يغضب لبيع الكتب، ويسره تلقي 8 روبلات للإصدار.

30 مارس. ما زالت الحالة الصحية لليوفوتشكا غير جيدة. يستمر الألم تحت الإبط للشهر الثالث. فقررت دعوة زاخارين وكتبت له. لكن ل. ن. استبق زاخارين وذهب مساء يوم أمس إليه بنفسه. فكشف زاخارين وجود التهاب في المرارة وأعطى الوصفة التالية، وأنا أسجلها من الذاكرة:

1) ارتداء ملابس دافئة لدى الخروج.
2) لف قماش الفانيلا غير المغسول حول البطن.
3) تجنب تناول السمن بشكل قاطع.
4) فترات تناول الطعام كثيرة وبكميات قليلة.
5) تناول نصف قدح من مياه ايمس كرينخين أو كيسيلبرون المستوردة حديثاً ثلاث أو أربع مرات يومياً بعد تسخينه:أ)على الريق. ب) بعد

مضي ربع ساعة وساعة قبل الإفطار والثالث: قبل ساعة من الغداء. لمدة ثلاثة أسابيع متتالية. وبعده يكف عن ذلك ويتكرر العلاج مرة أخرى لدى الضرورة. يشرب السوائل الدافئة، وبدفعة واحدة قدر الإمكان، وبغية ألا ينسلق، يكون أكثر دفئاً من الحليب الطازج.

6) مكافحة عادة التدخين.

18 يونيو. يلومني الكثيرون لكوني لا أدوّن يومياتي وملاحظاتي لأن القدر جعلني أتصادم مع إنسان شهير وبارز مثل ليف نيقولايفتش. لكن من الصعب التخلي عن موقفي *الشخصي* منه، ومن الصعب أن أكون محايدة، وفي نهاية المطاف، إنني أعاني من ضيق شديد في الوقت، وهكذا الحال طوال حياتي. كنت أعتقد بأنني سأكون حرة في هذا الصيف وسأبدأ بكتابة الرسائل وجرد مخطوطات ليف نيقولايفتش. وها قد انصرم شهر كامل وأنا هنا، بينما شغلني ليف نيقولايفتش كلياً في استنساخ مقالته «حول الحياة والموت»، التي عمل في كتابتها بجهد منذ وقت بعيد. وقد أنجزت للتو استنساخ كل شيء، ومرة أخرى صار يشطب، وعود على بدء مجدداً. أي صبر وأي ثبات. وكان الواجب أن تكتب قصاصات، من أجل أيضاح كثير من الأمور المبهمة في حياته. فمثلاً، كتبت رسالة إلى أنغيلهارت الذي كتب مثل آخرين رسالة، موجودة في ملفات ن. ن. أن ليف نيقولايفتش لم يلتق أبداً أنغيلهارت الشاب الذي كتب مثل غيره رسالة إلى ليف نيقولايفتش باعتباره كاتباً شهيراً. لكن ل. ن. كان في حالة كئيبة. فهو أراد أن يورد أفكاره تحريرياً، لكنه لم يستطع تطبيقها في الحياة، وشعر بالوحدة وبالتعاسة، وطرح أفكاره في رسالة إلى شخص مجهول كما لو كان يكتب اليوميات.

ويبدو غريباً موقفه ومراسلاته مع أشخاص من ذوي السمعة السيئة، ويعتبرون من غير الشرفاء فحسب، ومنهم أوزميدوف مثلاً. منذ أيام شاهدت مظروفاً فيه عنوان أوزميدوف فسألت ليف نيقولايفتش لماذا يواصل العلاقات والمراسلات معه، بالرغم من علمه بأنه رجل سيئ؟ فأجابني قائلاً: «إذا ما كان سيئاً فإنه يحتاجني ويطلب المنفعة مني أكثر من الآخرين». وبهذا يفسر موقفه في إقامة علاقات مع كثير من الاشخاص السيئين والغامضين، وغالباً

ما لا تربطه أية معرفة بهم البتة (السفهاء)، الذين يزورونا بأعداد كبيرة. ويوم أمس جاء طالب طب في الصف الرابع، وهو ثوري متحمس، وشرح له ل.ن. أن الثورة ضلال. ولا أعرف فيما إذا أقنعه. أنا لا أعلم ذلك. واليوم وردت رسائل كثيرة من أمريكا، ومقالة كينين في Century حول زيارته إلى ياسنايا بوليانا وأحاديثه مع ليف نيقولايفتش، وكذلك مقالات نقدية حول مؤلفات ل.ن. المترجمة. وجميعها مترعة بالإطراء وظريفة. ويبدو غريباً وساراً للغاية أن يعرب في الآماد البعيدة عن التفهم الصادق والتعاطف بهذا الشكل.

ذهب ليوفوتشكا مشياً على الأقدام إلى ياسينكي مع ابنتيه وابنتي أسرة كوزمينسكي. تساقط المطر، فأرسلت لهم عربة وملابس. لقد أصبح ليوفوتشكا، بدون «حواريِّيه» المحيطين به مثل تشيرتكوف وفينرمان ومن لف لفهما، مجدداً ذاك الرجل العائلي الظريف والمرح كما كان من قبل. ومنذ أيام عزف طوال المساء على البيانو ألحان موزارت وفيبر وهايدن بمصاحبة الكمان. ويبدو أنه وجد متعة في ذلك. وعزف على الكمان فتى في الثامنة عشرة من العمر دعوته لتعليم ليوفا العزف على الكمان تلبية لرغبته. وهذا الفتى، لياسوتا، من كونسرفاتوار موسكو.

لقد وصل ليوفوتشكا قادماً من موسكو في 11 مايو، وطلبت منه بإلحاح أن يشرب المياه المعدنية حسب توصية زاخارين، فأطاعني. وجلبت له صامتة قدح إيمس الدافئ فشربه صامتاً. حين يكون عكر المزاج يقول: «يقال لك إنه يجب عمل حقنة ما، وأنت تصدقينهم. وأنا أفعل ذلك لأنني أعرف أن الضرر سيكون قليلاً». لكنه واصل تنفيذ الوصايا طوال ثلاثة أسابيع ولم يعد إلى تناول الطعام النباتي. وباعتقادي أن صحته تحسنت كثيراً جداً، وهو يتنزه كثيراً، وأصبح أكثر قوة، لكنه لا ينام القدر الكافي، سبع ساعات. وأعتقد أن سبب ذلك هو العمل الذهني المجهد جداً.

يبهجه النجاح، أو بالأحرى، التعاطف معه في أمريكا، لكن النجاح والشهرة لا يؤثران فيه عموماً بقدر كبير. وتبدو عليه سمات السعادة والنشاط وغالباً ما يقول: «ما أطيب الحياة!».

أنا أشتاق إلى إيليوشا وأتعذب لكوني لم أزره حتى الآن. لكنه في العام الأخير لم يهتم كثيراً بالعلاقات مع العائلة لأنه كان بعيداً عنا جميعاً، وأظن

أنه لا يحتاج إلينا. مسكين، لقد ضل السبيل كما يبدو، وانحدرمعنوياً، ولهذا فهو في حالة إحباط وتعاسة بهذا الشكل. يجب أن أزوره في الأيام القادمة.

يأتي إليّ يومياً عدد كبير من المرضى. وأنا أعالج الجميع بمعونة كتاب فلورينسكي. لكنني أكابد عذاباً نفسياً شديداً، إنه العجز أحياناً عن إدراك ومعرفة وتشخيص المرض وكيفية تقديم المساعدة إلى المريض! ولهذا أود أحياناً أن أترك هذا العمل، لكن عندما أخرج وأرى هذه الثقة المؤثرة، وأتطلع إلى عيون المرضى التي تفيض بالتوسل تتملكني الشفقة، ويؤنبني ضميري بأنني لا أفعل المطلوب مني. وربما أصف الأدوية ليس كما يجب وأسعى إلى عدم تذكر هؤلاء التعساء. منذ أيام لم تتوفر لدي وصفة الدواء المطلوبة، فكتبت قصاصة ورق إلى الصيدلية وأعطيت النقود لشراء الدواء. وفجأة انفجرت المريضة باكية وأعادت لي النقود وقالت: «يبدو أنني سأموت فخذي النقود، وأعطها إلى من هو أكثر فقراً مني، وشكراً، لا حاجة لي بها».

21 يونيو. الجو حار في نهاية المطاف، وخرجت للسباحة لأول مرة. وفي مساء يوم أمس جاء للتعرف إلى ليف نيقولايفتش الممثل أندرييف، بورلاك. فروى كما يبدو قصص جوربونوف عن حياة الفلاحين. انصرف الجميع وبقينا لوحدنا أنا وليف نيقولايفتش وليوفا وجلسنا حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل. كانت القصص ظريفة للغاية، وضحك ليوفوتشكا بشكل أثارعجبنا أنا وليوفا. اليوم انهمك طوال الوقت في تعديل مقالته «حول الحياة والموت». وبعد ذلك انشغل طوال الوقت في حصد الأعشاب في المزرعة والحديقة. بينما طالعت أنا كتاب ستراخوف ضد استحضار الأرواح، والقراءة ثقيلة ويا للأسف! إنه ربما غير مقنع، أم إنني لا أفهمه جيداً. عند الظهر وقبيل تناول الغداء جمعت الأبناء وقرأت لهم «بطل من هذا الزمان». أية أفكار رائعة وناضجة فيه. أنا أحب ليرمنتوف جداً. إذا ما قيل بأنه كان رجلاً حاد الطبع وكريهاً، فإنه كان أيضاً ذكياً *وأسمى* مستوى من الآخرين. إنهم لم يفهموه، *لكنه* رأى الجميع وعرفهم حق المعرفة.

أشعر بالضعف جسدياً ومعنوياً. وتضيق عليّ الخناق الذكريات والندامات التي انهالت علي. وهذا أسوأ شيء.

2 يوليو. كنت في موسكو وزرت إيليا. وقد فرحت كثيراً لرؤية وجهه الصبوح. ويبدو أنه ابتهج لرؤيتي أيضاً. إنه يعيش في بيت ريفي، وأصحابه يحبونه، لكنه يعيش بصورة مشوشة غير مفهومة. وقد أشفقت عليه، أنا أمه التي أرضعته من ثدييها، لكونه يسدد ديونه من النقود التي أبعث بها إليه، ويتناول الوجبات الجافة والحلويات بالدين، ولا يتناول طعام الغداء أبداً. لكنه يشعر بالضيق من هذا الوضع. وجل اهتمامه في الحياة يتركز في صونيا فيلوسوفا. إنه يحيا بالذكريات والمراسلات والمستقبل. إنه الآن عندنا وقد اصطاد ثلاثة من طيور الشنقب، وغداً سيسافر. أنا حزينة جداً، لكني يجب أن أعتاد على هذا الوضع ففراخ الطيور تطير من العش إن آجلاً أو عاجلاً.

حل ستراوف ضيفا عندنا، إنه ذكي وهادئ وظريف. ليوفوتشكا منهمك في جزّ الأعشاب ويقضي ثلاث ساعات في اليوم في كتابة مقالة. يبدو أنه سيختتمها. منذ أيام عزف سريوجا ألحان الفالس، فدعاني ليوفوتشكا في المساء قائلاً: «هيا، لنرقص الفالس». ورقصنا وسط ابتهاج الشباب. إنه يفيض مرحاً وحيوية، لكنه أصبح أضعف جسدياً ويصيبه الاجهاد أكثر من السابق بسبب حش الأعشاب والتجول. تبادل أحاديث طويلة مع ستراخوف حول العلم والفن والموسيقى. اليوم تحدثنا عن التصوير الفوتوغرافي، لأنني جلبت أجهزة التصوير وسأمارس التصوير الفوتوغرافي، والتقاط صور المشاهد الطبيعية وأسرتنا كلها. تانيا، ابنتي، في بيروجوفو.

3 يوليو. عزف سريوجا سوناتا كريتسر لبيتهوفن بمصاحبة الكمان (لياسوتا)، أية قوة وتعبير فيها عن جميع المشاعر في الدنيا! توجد على الطاولة لدي ورود وزهور البليحاء[1] العطرية. والآن سنتناول غداءً لذيذاً، الطقس ناعم ودافئ، بعد العاصفة الرعدية، - وحولي الأطفال الظرفاء في كل مكان - والآن عمل أندريوشا في نقل كراسيه بعناية إلى غرفة الأطفال. بعد هذا سيأتي ليوفوتشكا الحنون والمحبوب - هذه حياتي التي أتمتع بها عن قصد وأشكر الرب عليها. إنني وجدت في هذا كله *الخير والسعادة*. ها أنذا أعيد استنساخ مقالة ليوفوتشكا «حول الحياة والموت»، وهو يشير فيها

---

1 - نوع من الزهور المعروفة في روسيا. (المترجم)

إلى سعادة أخرى مغايرة تماماً. عندما كنت في سن الشباب، شابة جداً، قبل الزواج - أذكر أنني كنت أصبو بكل كياني إلى *تلك السعادة والخير* - الإيثار التام والحياة من أجل الآخرين، وحتى كنت أصبو إلى حياة الزهد والتقشف. لكن القدر منحني الأسرة - وأنا أعيش من أجلها، وفجأة يتعين عليّ الاعتراف بأن هذه ليست تلك *الحياة* المرجوة. فهل سأدرك هذه الفكرة في وقت ما؟

رحل ستراخوف يوم أمس، كما رحل إيليا اليوم. وأجريت يوم أمس مع سريوجا تجارب على أجهزة التصوير الفوتوغرافي التي اشتريتها.

19 يوليو. مضت عدة أيام مشوشة *لا طعم لها ولا* لون. سافر سريوجا إلى سامارا ثم عاد من دون أن ينجز أية مهمة هناك. زارنا ب.د.جولوخفاستوف، إنه أرثوذكسي متطرف ومن ذوي النزعة السلافية، وتحدث مع ليف نيقولايفتش حول الدين والكنيسة. كان الحديث مضجراً جداً. وتحدث جولوخفاستوف بكل حماس عن الكاتدرائية الرائعة في أروشليم الجديدة (البعث)، وكيف يزورها حتى 10000 حاج، وعن جمال المبنى. وأصغى ل.ن. إليه وقال: «إنهم يأتون جميعاً للضحك على الرب». قال هذا بسخرية وحتى بشيء من الحنق. فتدخلت في الحديث وقلت إنه أمر يبعث على الفخر أن يذكر بأن 10000 شخص يضحكون، وأنه وحده على حق لتمسكه بإيمانه، ولا بدّ من الاعتقاد من وجود هدف رفيع يجعل هؤلاء الناس يجتمعون في الكاتدرائية. وبعد الغداء تحدث جولوخفاستوف عن البطريرك نيكون، وعن حياته الشيقة وشخصيته الفذة. وكان ليف نيقولايفتش يطالع جريدة، ومن ثم قال باللهجة ذاتها: «لقد كان من الفلاحين الموجيك، من شعب موردفا، وإذا ما كان لديه ما يقوله فلماذا لم يقله». لحظتئذ انفجر جولوخفاستوف وقال: «إنك إما تهزأ بي، وإما - أنا اعتدت احترام كلام الآخرين - وعندئذ ربما كنت سأتمعن في هذه القضية». وعموماً كان الحديث ثقيل الوطأة.

زارنا بوتكيفتش، الثوري سابقاً، الذي سجن لأول مرة لاعتبارات سياسية وفي المرة الثانية للاشتباه به. إنه شاب، ابن صاحب أطيان في تولا، وكتب إلى ليف نيقولايفتش بأنه حين خرج من السجن، تظاهرت سيدة من معارفه في الشارع بأنها لا تعرفه، وقد شعر بالألم لهذا السبب. وسابقاً حين كان يزور

ليف نيقولايفتش، لم أكن أستدعيه، وكان يجلس في الطابق الأول. والآن أشفقت عليه، فدعوته لتناول الشاي. وبعد ذلك بقي عندنا يومين ولم يعجبني البتة. إنه يصمت بإصرار، ووجهه جامد، وشديد السمرة، ويضع نظارات زرقاء وإحدى عينيه حولاء. لم يكن بالمستطاع فهم أي شيء من كلماته القليلة، ولا توجد لديه أية وجهة نظر. والآن أصبح أحد *أتباع تولستوي (التولستويين)*. لا يوجد سوى قلائل من الظرفاء بين جميع الأفراد الذين يتبعون تعاليم ليف نيقولايفتش! لا يوجد بينهم شخص واحد مثل البشر العاديين. وغالبية النساء من المصابات بالهستيريا. لقد انصرفت الآن ماريا ألكسندروفنا شميدت. ربما كانت في الأيام الخوالي ستصبح راهبة، أما الآن فهي من المعجبين جداً بأفكار ليف نيقولايفتش. لقد كانت سيدة معتبرة في معهد نيقولاي، وقد تركته لأنها ابتعدت عن الكنيسة وتعيش الآن في القرية، وتمارس فقط استنساخ أعمال ليف نيقولايفتش المحظورة. وعندما تقابل أو تترك ل. ن. تنخرط في البكاء بصورة هستيرية. أو يرابط عندنا بافل نيقولايفتش أيضاً: إنه أحد أفضل الناس، وديع، وذكي ويعتنق «*العقيدة التولتسوية*» أيضاً. كما زارتنا غولوخفاستوفا مع ربيبتها وابن أخيها أندريوشا ومعلمه.

كثير من الصخب والضيق والسأم. إنني وددت أن أجد الوحدة في العائلة والمزيد من الجدة والوقار في الحياة والتمتع بأوقات الفراغ. الضيوف سلبوا ويسلبون جميع الوقت. وزارنا أيضاً أباميليك الذي جلب معه Helbig – الأم والابنة، إنها في المولد كانت تدعى الأميرة شاخوفسكايا، ومتزوجة من ألماني، وقد جاؤوا أيضاً لمشاهدة الروسي الشهير تولستوي. وبالرغم من أنهم ظرفاء وعازفون جيدون جداً كما تبين، لكن بحكم الواجب الثقيل لا يختار *المرء* الناس والأصدقاء جميعاً أبداً. الجو قائظ في الصباح، ومنعش وعليل في الليل. نمارس السباحة، وفرة في الثمار.

4 أغسطس. غادرت اليوم الكونتيسة ألكسندرا أندرييفنا تولستايا وقد حلت ضيفة عندنا منذ 25 يوليو. عانى ليوفوفتشكا من نوبة شديدة من الآلام في المرارة. وقد بدأ ذلك في 16 يوليو، ولم يتعافَ حتى الآن. يوم أمس جلب ب.ي. بيريوكوف مقالة «حول الحياة» مطبوعة. وقد حذفت منها

عبارة «والموت» لأنه قرر لدى اختتام كتابة المقالة أنه لا وجود *للموت*. هطلت أمطار غزيرة. والآن صفا الجو قليلاً.

19 أغسطس. زارنا الرسام ريبين، وجاء يوم 9 وغادرنا يوم 16 ليلاً. وقد رسم لوحتي بورتريه لليف نيقولايفتش، وبدأ برسم الأولى في غرفة المكتب، في الطابق الأسفل، ولكنه لم يكن راضياً عنها، وبدأ الأخرى في الطابق الأعلى، في الصالة، أمام خلفية مضيئة. لوحة البورتريه رائعة بشكل مدهش. إنها باقية لدينا إلى حين جفافها. وقد أنهى الأولى بسرعة وأهداها إليّ. بدأ طبع المقالة، لكن الحروف سيئة، وسيعاد تنضيدها مجدداً. الوضع الصحي لليوفوتشكا لا بأس به، لكنه يشكو أحياناً من آلام في الكبد. الجو صاف، رائع. جاء إيليا لتمضية يومي 15 و16 معنا، إنه في أتم عافية ومرح للغاية، وهذا شيء طيب. فقد يحدث أن يكون الإنسان في مزاج سيئ زد على ذلك أنه عبوس ومريض. أعاني من آلام الحمل جسدياً ومعنوياً. وتحسنت صحة ليوفوتشكا، بينما تعقدت الحياة العائلية. كما أن قواي المعنوية صارت تتقلص أكثر فأكثر. زارنا ستيوبا، أخي، مع زوجته، ويوم أمس سافر إلى بطرسبورغ بغية التماس نقله إلى روسيا، بينما بقيت هي معنا. أنا لا أفهمها، فهي متحفظة ومجتهدة جداً. يزور ليوفوتشكا أشخاص مشبوهون: بوتكيفتش ورحمانوف وطالب من كييف. إنهم أشخاص غير لطيفين وغرباء وثقلاء بالنسبة إلى الحياة العائلية. وما أكثرهم هنا! إنه فرض أملته شهرة ليوفوتشكا وأفكاره الجديدة.

في المساء قرأ ليوفوتشكا لنا جميعاً بصوت عال رواية «الأنفس الميتة» لجوجول. أنا متوترة الأعصاب.

25 أغسطس. قضيت اليوم كله في انتقاء وترتيب أوراق مخطوطات ليوفوتشكا، وأريد أن أنقلها إلى مكتبة روميانتسيف لحفظها هناك. إنه أمر مؤلم تنظيم الأوراق المشوشة، التي كما *يبدو*، لا يجوز أن تترك بلا تعبئة. وأريد أيضاً أن أنقل إلى هناك رسائله ويومياته ولوحاته وكل ما يتعلق بليف نيقولايفتش.إنني أعمل بتبصر وحذر، لكنني أشعر لسبب ما بالحزن من القيام بهذا العمل. أو هل سأموت إذا لم أضع كل شيء بانتظام في مكانه؟

استضفنا كلاً من ستيوبا وزوجته والظريف ستراخوف. القيظ شديد، وأشعر بألم في بلعومي. وليوفوتشكا يعاني من الضعف وبدأ منذ يوم 20 أغسطس بشرب مياه إيمس مجدداً. جاءت فيروتشكا تولستايا وماشا لاستلام النقود من أجل شقيقها سريوجا. ليوفوتشكا منهمك كالسابق في كتابة مقالته، لكن نشاطه قد انحسر كما يبدو للقيام بهذا العمل.

ليف نيقولايفتش بدأ شرب المياه المعدنية إيمس كيسلبرون في 17 يونيو 1888.

كما شرب هذه المياه خلال أربعة أسابيع في عام 1889 وأربعة أسابيع منذ 8 مايو 1890 وشرب حليب الفرس طوال الصيف.

جلب ليوفوتشكا لي هذه الزهرة في سبتمبر عام 1890، في ياسنايا بوليانا.

1890

20 نوفمبر.ياسنايا بوليانا. أنا أعمل على استنساخ يوميات ليوفوتشكا خلال فترة حياته كلها، وقررت العودة إلى تسجيل يومياتي أيضاً: لاسيما أنني لم أكن أعاني من الوحدة في عائلتي، بذلك القدر كما هو الحال الآن. لقد تفرق الأبناء: سريوجا – في نيقولايفسكويه، وإيليا مع أسرته – في جرينيوفكا، وليوفا – في موسكو، وسافرت تانيا إلى هناك مؤقتاً. بينما أنا أعيش مع الصغار وأتولى تربيتهم. لم تكن لدي أبداً أية علاقات خاصة مع ماشا، وأنا لا أعرف على من يقع الذنب. في أغلب الظن أنا المذنبة. أما ليوفوتشكا فقد قطع أي تعامل معي. لماذا؟ ما السبب؟ أنا لا أفهم ذلك البتة. عندما يكون مريضاً يعتبر عنايتي به وكأنه واجب، ولكنه يتحدث بفظاظة ونفور، وذلك فيما يتعلق بوضع الكمادات وغير ذلك. لقد بذلت كل جهدي وأبديت أشد الرغبة في أن أقيم معه، ولو قليلاً، علاقة تعامل داخلي وروحي. كنت أطالع يومياته بهدوء، وأردت أن أفهم وأعرف – كيف أتمكن من أن ألج في حياته، وأن أحصل منه على شيء ما، يمكن أن يجمعنا مجدداً. لكن يومياته جلبت إلى روحي المزيد من اليأس والكدر. وكان يعرف بالتأكيد أنني أطالعها، وصار يخفيها في مكان ما. ولكنه لم يقل لي شيئاً.

كان يحدث أحياناً أن أستنسخ ما كان يكتبه، وبعث هذا السرور في نفسي. والآن صار يعطي كل شيء إلى بناته ويخفيها عني بكل إمعان. إنه يقتلني بدأب ويبعدني من حياته الشخصية، وهذا ما يؤلمني بشكل لا يطاق. وينتابني يأس جنوني أحياناً في هذه الحياة المترعة باللامبالاة. أنا أريد أن أقتل نفسي، وأن أهرب إلى مكان ما، وأعشق أحداً ما، – فقط أن لا أعيش مع إنسان أحببته طوال حياتي بالرغم من كل شيء، ولو أنني أرى الآن كيف أضفيت عليه الصفات

المثالية، وكيف أنني لم أرغب في أن أفهم خلال فترة طويلة بأنه لا يوجد لديه شاغل سوى الانغماس في الملذات الحسية. والآن تفتحت بصيرتي، وأصبحت أرى أن حياتي قد ضاعت. وأنا أتطلع بكل حسد إلى الزوجين في عائلة ناجورني، وكيف أنهما يعيشان سوية، ويوجد شيء آخر يربط ما بين الزوجين، غير الرابطة الجسدية. هناك كثيرون يعيشون هكذا. أما نحن؟ يا رب، ما هذه اللهجة في الكلام؟! إنها غريبة ومنفرة وحتى متكلفة! وأقول هذا أنا، المرحة، والمتفتحة، والمتعطشة للغاية إلى التعامل الودي الحنون!

غداً سأسافر إلى موسكو لقضاء بعض الأعمال. وهذه الرحلة شاقة بالنسبة لي دائماً وتتسم بالقلق، لكن في هذه المرة كانت روحي تفيض بالبهجة. إن تلك الأوقات الصعبة كانت مثل الأمواج تتصاعد ثم تنحسر، وعندما أدرك وحدتي، وأود أن أبكي على الدوام، ويجب أن أتخلى عن ذلك وأن أخفف من الهموم بقدر ما. لقد تمسكت بعادة تلاوة الصلوات في كل مساء، وبهذا يختتم اليوم بصورة حسنة جداً.أعطيت دروس الموسيقى اليوم لأندريوشا وميشا وتملكني الغضب. إن أندريوشا يبدي نفوراً من سرعة غضبي، أما ميشا فهو حزين دوماً. أنا أحبهما جداً وأعتبر تربيتهما واجباً ساراً، لكنني، حقاً، لا أقوم بذلك بكفاءة وبصورة سيئة. تقيم عندنا فيرا كوزمينسكايا، التي أصبحت شخصاً عزيزاً لدي من حيث المشاعر، ولربما لأنها تشبه شقيقتي تانيا. لدي رغبة شديدة في العيش في القرية، وأبتهج دوماً للهدوء والطبيعة والاستجمام في وقت الفراغ. وأود فقط أن يعاملني *أحد ما* بشفقة ورحمة! تمضي الأيام والأسابيع والأشهر ونحن لا نتبادل كلمة مع أحدنا الآخر. وكعادتي القديمة أسترجع اهتماماتي وأفكاري – حول الأطفال والكتب وشيء آخر – فأجد صدًى عجيباً وصارماً، كما لو أنه يريد القول: «هل ما زالت تراودك الآمال وتأتين إليّ بسخافاتك؟».

هل يمكن أن أحيا هذه الحياة بدلاً من الحياة الروحية بيننا؟ أم إن كل شيء قد ضاع؟ ويتراءى لي أنني جئت إليه كالسابق، وقلبت وطالعت جميع أوراقه ويومياته، وتأملت كل شيء، عندئذ كان سيساعدني في أن أحيا. ولو بأن يتحدث معي ليس بصورة متكلفة، بل يتحدث عن كل شيء كالسابق، لكان هذا شيئاً طيباً. أما الآن فأبدو كالمجرمة، أنا التي لم تقترف ذنباً، ولم

توجه إليه أية إساءة في الحياة، بل تحبه، وتخشاه أيما خشية. أنا أخاف ذلك الصدود الأشد إيلاماً من أية ضربات وكلمات جارحة، وموقف الصمت واللامبالاة والصرامة والخالي من الحب. إنه لا يجيد الحب - *لم تتوفر لديه هذه العادة منذ أيام الشباب.*

5 ديسمبر. أواصل تدوين اليوميات. زرت موسكو، والتقيت كثيراً من الناس ووجدت الكثير من الترحاب. ولهذا أشكر القدر. كانت تانيا هناك أيضاً، إنني أجد المسرة في صحبتها دوماً، وأعتز بقربها مني. ليوفا يختلج بعصبية معنوياً تماماً، ولا أدري كيف أدنو منه، فقد أتلقى صدماته المتنرفزة، المؤلمة أحياناً. لكنه يتحسس دوماً، حين يوجه اللطمات العصبية، وهذا شيء جيد. إنه يتخلص بشكل ما من حالته العصبية والمتشائمة. رجعت في صباح يوم 25. واعتزم ليوفا أن يسافر إلى كرابيفنا مع ماشا وفيرا تولستايا وفيرا كوزمينسكايا. هبت عاصفة ثلجية واشتد الزمهرير. لكن لم يكن بوسعي منعهم من السفر. فقد جرت هناك محاكمة، وبفضل نفوذ ليوفوتشكا، صدر الحكم على المجرمين - القتلة بعقوبة مخففة جداً: بالنفي بدلاً من الأشغال الشاقة. ولهذا رجعوا وقد غمرهم شعور الرضى جداً. مرض ميشا واستمرت السخونة خمسة أيام بسبب وجع ما في المعدة. فوجب إبداء الرعاية البالغة به، وأصابني الإجهاد جداً، وأنا لم أنل الكفاية من الراحة بعد موسكو. والآن حل ضيوف: روسانوف المريض، وبولانجيه، وبوتكيفتش، وبيتيا رايفسكي. وجميعهم، باستثناء الأخير، غرباء، والاختلاط بهم يبعث على الضجر. والشعور بالاغتراب مع ليوفوتشكا أقل، لكن كل شيء يتوقف على مزاجه. عزفت اليوم لوحدي سوناتا بيتهوفن (una fantasia)، كما عزفت مقاطع من اديلايدا وشوبرت. في المساء قرأت بصوت عال أشعار فيت بغية تسلية الضيوف. ومنحتني الموسيقى والأشعار المتعة والارتياح. قامت تانيا وماشا بمرافقة فيرا كوزمينسكايا وعادتا من تولا عند موعد الغداء. ويوم أمس كنت أنا في تولا لبيع الأخشاب، وتسوية الحساب مع القس أوفسيانيكوف، وإيداع النقود في البنك، وشراء الحاجيات. إنني حين أصرف طاقتي على الشؤون العملية أشعر بالكآبة والغم. فقد كان من الأفضل أن أصرف هذه الطاقة على أمور أخرى.

6 ديسمبر. لدينا عيد، إنه يوم ميلاد أندريوشا، فقد بلغ سن 13 عاماً. ذهبنا جميعاً إلى التل وتزحلقنا على الجليد. الأولاد والبنات، كلهم بأبهى حلة ويفيضون مرحاً. كان الأطفال مسرورين جداً. أما أنا فقد تزحلقت بخمول، ولم أشعر بالغبطة أكثر. سافرت تانيا إلى تولا لزيارة أسرتين تحتفلان بعيدي القديسين الشفيعين لديهما. كما سافر مع تانيا الضيوف: روسانوف وبولانجيه وبوتكيفتش وبيتيا رايفسكي. أنا أشعر بانحلال في جسدي، ثمة ألم في صدري، وأنفاسي ثقيلة، كما أن أموري النسائية تبعث على القلق والألم أيضاً. بعثت السرور لدي رسالة ص.أ. فيلوسوفا حول أبنائها الكبار. إن لدى الأم رغبة وحيدة هي أن يكون أبناؤها *سعداء*. ويبدو أنهم جميعاً سعداء الآن. إن لوفوتشكا ما زال يبدي اللامبالاة والبرودة حيال كل شيء. لكنني أتحسس ذلك أكثر من الآخرين. لم أنجز أعمالاً كثيرة: استنسخت قليلاً يوميات ليف نيقولايفتش، وشاغلت الضيوف، واعتنيت بالأطفال. إن فانيتشكا يأخذ كثيراً من وقتي.

7 ديسمبر. كتبت طوال اليوم، وأشعر بوعكة. جاء دافيدوف مع المحقق في طريقهما إلى كرابيفنا. قرأت حكاية ليسكوف «ساعة ربانية واحدة». إنها تنم عن موهبة، ولكن فيها بعض التكلف. أنا لا أحب الزيف في أي شيء. ليوفوتشكا بمزاج مرح ويبدو معافى لحد ما.

8 ديسمبر. أنا أواصل استنساخ يوميات ليوفوتشكا. لماذا لم أستنسخها ولم أقرأها من قبل؟ إنها كانت موجودة لدي في الصوان منذ وقت بعيد. أعتقد بأنه لن تندمل أبداً الجروح التي ولدتها مشاعر الذعر، حينما طالعت يوميات ليوفوتشكا، عندما كنت خطيبته، وأوجاع الغيرة الشديدة آنذاك، الذهول لحد ما حيال الفسق الرجالي. ليصن الرب جميع الأرواح الفتية من هذه الجروح، فإنها لن تندمل أبداً. أعطيت لأندريوشا وميشا درساً في الموسيقى. وكان أندريوشا عنيداً بإصرار، لذا لم أطق صبراً. لكنني قررت أن أتمالك نفسي. فلم أغضب، بيد أنني أجهشت بالبكاء على حين غرة. كما أنه بكى نفسه، وراح يعدني بصوت خفيض بأن يدرس جيداً، وفور ذلك عدل سلوكه. وشعرت

بالخجل، ولكن ربما إن هذا هو أفضل. طالعت رواية سخيفة في صحيفة Revue d.d.، وفي المساء قرأت تانيا بأمر من ليوفوتشكا رواية سويدية مترجمة بعثت السأم فينا. بودي أن أقرأ شيئاً جاداً لمفكر ما، لكنني لا أجد مبتغاي. الآن أنا بمزاج رائق، ووديعة، وأرغب أن أفكر فقط بما هو حسن. لكن أحلامي تتسم بالخطيئة ولا أشعر بكثير من الطمأنينة، بالأخص في بعض الأوقات.

9 ديسمبر. يختتم اليوم بشعور ثقيل الوطأة مجدداً. فكل شيء يبعث على القلق. استنسخت يوميات أيام شباب ليوفوتشكا. اليوم تنزهت وجال في خاطري – أن اليوم جميل وآخاذ بصورة مدهشة. زمهرير، درجة الحرارة 14 تحت الصفر، الجو صاح. الأشجار والأغصان وكل العشب ينوء بثقل الثلج. مضيت بمحاذاة الجرن، في الطريق إلى موضع الغرس، فبدت الشمس منخفضة من ناحية اليسار، بينما طلع البدر من ناحية اليمين. أنيرت قمم الأشجار البيض، واتشحت جميعاً بلون وردي ساطع، بينما كانت السماء زرقاء، وانداحت الثلوج الناعمة البيضاء والشديدة البياض بعيداً. هنا تكمن *النقاوة.* ما أجمل كل شيء وفي كل مكان. إن هذا البياض والصفاء في الطبيعة، في الروح، في الطبع، في المروءة، في الحياة المادية – إنه رائع في كل مكان. كم سعيت إلى الحفاظ عليها. ولم؟ أليست ذكريات الحب أفضل – وليكن إجرامياً – من الخواء الحالي وبياض الضمير الناصع؟

عزفت على البيانو في البداية مع تانيا سيمفونية موزارت، ومن ثم عزفت مع ليوفوتشكا. في البداية لم يتم العزف معه بصورة جيدة، فأبدى امتعاضه وعدم رضاه عني. وبالرغم من أن هذا حدث خلال فترة قصيرة ولم يكن ملحوظاً تقريباً، إلا أنني شعرت بألم *شديد* في أعماق روحي، بسبب لهجته في الحديث معي، مما جعلني أفقد كل شعور بالارتياح من العزف بأربع أيدٍ، وشعرت بالحزن، ثم بالكآبة – للغاية. توقفنا عن العزف لدى مجيء بيريوكوف. اضطربت الفتيات – تانيا بسبب ماشا، وماشا بنفسها. وصار سلوك الجميع يتسم بالتكلف والتصنع، وأطنبوا في الكلام وبشكل ممطوط أيضاً، وعموماً لم يكن ذلك مريحاً. آمل بأن ينصرف عاجلاً، وأن تهدأ ماشا. لكن يبدو أن القصة السخيفة التي بدأت لن تختتم قريباً. طالعت رواية في

صحيفة Revue de deux Mondes. الفتاة هناك في ضيافة الرجل الذي تحبه، وكانت مبتهجة بما يحيطها وبالأشياء التي تعيش هي بينها. ما أصدق ذلك.

لكن إذا كانت هذه الأشياء تتمثل في أدوات صانع الجزم، والجزم، والمبولة، والقذارة... فكيف تكون الحال؟ كلا، لن أعتاد على ذلك أبداً.

10 ديسمبر. لقد كابدت معاناة أزمان صعبة في أعوام الشيخوخة. لقد جمع ليوفوتشكا حوله أصحاباً من أغرب المعارف الذين يصفون أنفسهم بأنهم من أتباعه. وقد جاء صباح اليوم أحدهم المدعو بوتكيفتش الذي نفي إلى سيبيريا بسبب أفكاره الثورية، ويضع نظارات سوداء، وهو نفسه أسود وغامض، وجلب معه عشيقته اليهودية التي وصفها بأنها زوجته فقط لأنه يعاشرها. كما جاء بيريوكوف، فصارت ماشا تتبختر هناك أيضاً، في الطابق الأسفل، وراحت تتودد إلى هذه اليهودية. وقد أثار حنقي أن ابنتي، الفتاة المستقيمة، تتواجد مع مثل سقط المتاع هذا، بينما يظهر الأب التعاطف معهم كما يبدو. وقد احتدمت غضباً، وتعالى صراخي وقلت له: «أنت اعتدت طوال حياتك معاشرة سقط المتاع هذا، أما أنا فلم أعتده، ولا أريد أن تتواجد ابنتي معهم». أما هو فقد أطلق آهة، طبعاً، وغضب بصمت وخرج. كما أن وجود بيريوكوف ثقيل الوطأة أيضاً، وأنا أنتظر على أحر من الجمر أن ينصرف. وفي المساء بقيت ماشا معه الأخيرة في الصالة، وتراءى لي أنه يقبل يدها. فقلت لها ذلك، لكنها غضبت وأنكرت ذلك. صحيح، إنها على حق، لكن من يبت بالأمور في هذا الوضع الزائف والكاذب والمحتجب عن الأنظار. إنهم عذبوني وكنت أحياناً أود التخلص من ماشا، وأفكر: «لمَ أبقيها، لتذهب مع بيريوكوف، وعندئذ سأشغل مكاني إلى جانب ليوفوتشكا، فأعيد تربيته، وأجلب النظام إلى شؤونه ومراسلاته وأبعد عنه بهدوء وشيئاً فشيئاً عالم «المشبوهين» البغيض هذا».

لماذا لا يأتي إلينا ليوفا، هل هو بخير. كنت مع أندريوشا وميشا نحلم بأن نقدم في عيد الميلاد مسرحية، مستوحاة من حكاية يابانية. خطت لحافاً من أجل ميشا، وتبادلت الرسائل، وقدمت درساً للأطفال في القانون الرباني طوال ساعتين والآن سأنصرف للمطالعة.

11 ديسمبر. انهمكت طوال الصباح في استنساخ يوميات ليوفوتشكا، وهذا يولد دائماً العديد من الأفكار لدي. بالمناسبة إنني فكرت أنه لا يمكن أن أحب الإنسان الذي يعرفني أكثر من غيره، بكل مواطن الضعف لدي، والذي لا يمكن أن أبدو أمامه من جانب *واحد*. لهذا السبب يفترق الزوجان في أحيان كثيرة لدى بلوغ سن الشيخوخة، أي عندما يتكشف ويتوضح *كل شيء* وهذا الوضع ليس في مصلحة هذا الطرف وذاك. قدمت درس الموسيقى بصورة جيدة وبصبر. وبقي بيريوكوف يوماً آخر. جاءت ماشا لكي توضح ما جرى يوم أمس فقلت لها إنني آسفة إذا ما وجهت إهانة لها عبثاً. بالمناسبة إنها تحدثت اليوم بطيش ضاحكة: «دعوني أتزوجه، فتنتهي المشكلة. فأنتم تعتبرونه إنساناً طيباً». كما لو أن هذا سيكون كافياً. ولاحظت بأن الأمهات تراودهن مشاعر المحبة إزاء خاطبي بناتهن، وعندئذ سيضمن التعاطف بين زوجي المستقبل. لكنني أشعر بالنفور من بيريوكوف، وهذا الشعور سيتملك ماشا أيضاً عاجلاً جداً. لكنها لا ترى ذلك – أم إنها ليست ابنتي.

وصل ليوفا فغمرتني البهجة والانشراح لحد ما، لكنه مرح مثل أبيه، ومشغول بنفسه أكثر من أي شيء آخر بروح أنانية. وقد فرح فانيتشكا به وتطلع إليه بمودة كبيرة، بينما كان يتطلع إليه بصرامة. بهذه الصورة يتم إخماد مشاعر المحبة والحنان لدى الأطفال. وليوفا نفسه بكى في صغره ويفاعه عندما سلموه من الإنجليزية إلى المربي في الطابق الأسفل، وقال إنه *سيفسد* في الطابق الأسفل، وأردت أن أعيده إليها. لكن الأب اتخذ موقفاً صارماً من ليوفا وأبقاه مع المعلم، والرب يعلم فيما إذا ترك هذا أثراً سيئاً في ليوفا من حيث قلة الحنان والبهجة وقوة الأعصاب. في المساء جلسنا جميعاً سوية، وتانيا تشعر بألم في ظهرها، لكنها غريبة وكئيبة. إنها من يحتاج إلى حياة جديدة، وزواج. وأنا أصلي في كل يوم من أجل أن يتحقق ذلك. وفكرت بأن من الخطيئة أن أندب الحظ العاثر. وإذا ما استلب جانب من السعادة، فهناك الكثير من الجوانب الأخرى، وأنا أقول هذا بصدق: «شكراً للرب».

قال لي ليوفوتشكا في أثناء الغداء بأنه ينتظرني الفلاحون الذين قطعوا 30 شجرة بتولا وتم استدعاؤهم إلى المحكمة. عندما يقال لي في كل مرة بأن هناك من ينتظرني وأنه يجب علي أن أقرر شيئاً ما، يتملكني الرعب، وأود أن أبكي،

ويبدو كما لو أن أحدهم يمسك بخناقي، ولا فكاك منه، إن الأعمال التي فرضت علي في ما يتعلق بشؤون *الفلاحين*، تشبه صليباً كبيراً أرسله لي الرب. وإذا ما كان خلاص الإنسان، وحياته *الروحية* تكمن في *القضاء* على حياة آخر قريب منه، فإن ليوفوتشكا قد لقي الخلاص. لكن ألا يعتبر ذلك هلاكنا نحن الاثنين؟

13 ديسمبر. لم أدوّن اليوميات أمس، فقد كدرتني طوال اليوم الفكرة حول الفلاحين الموجيك[1] الذين جرت محاكمتهم، ولم أعرف النتيجة حتى المساء. سافر بيريوكوف، وجاء ديلون، المترجم الإنجليزي الذي ترجم: «تجولوا في العالم» وهلم جرا. قمت طوال اليوم أمس باستنساخ يوميات ليوفوتشكا، وأحسست في بعض اللحظات بالشفقة عليه: فقد كان وحيداً وبلا حول ولا قوة جداً! علماً أن طريقه كان واحداً خلال حياته كلها، ألا وهو طريق الفكر. علمت اليوم بأنه صدر الحكم على الفلاحين الموجيك بالحبس ستة أسابيع وبدفع غرامة قدرها 27 روبلاً. ومرة أخرى شعرت بالتشنج في بلعومي وبالرغبة في البكاء طوال اليوم. والشيء الرئيس أحسست بالشفقة على نفسي، فلماذا حكم بالأذى باسمي على هؤلاء البشر، بينما أنا لا أشعر ولا أرغب، ولا أستطيع أن أحب أن يلحق *الأذى* أي أحد. وحتى من وجهة النظر التطبيقية – فثمة أمر غريب عني، بينما أنا كالسوط! أعطيت الدروس للأطفال خلال ثلاث ساعات متتالية وتحليت بالصبر. يوم أمس تحدثت مع ليوفا حول تانيا وماشا، ونحنى نتمنى لهما الزواج، لكن طبعاً ليس الزواج من بيريوكوف. إنني لا أرى ليوفوتشكا تقريباً، بينما هو يبدو وكأنه قد سر واطمأن إلى هذا الاغتراب، بينما أنا أشعر بالحزن والضيق البالغ، حتى إنني لا أريد الحياة أبداً في بعض الأحيان.

خرجنا في وقت متأخر من المساء إلى التل الجليدي: تانيا وماشا وليوفا وليدي وأندريوشا وميشا. وصار الأطفال يتزحلقون، بينما اكتفيت بالتجول. الليلة المقمرة مدهشة، الزمهرير 15 درجة تحت الصفر، ما أجمل بياض الثلج النقي والمتألق هذا، الأشجار، ونور القمر، حتى إن المرء لا يود الانصراف بل البقاء والتمتع بالنظر إليه. قلت وأنا أخاطب ليوفا: «لا حاجة إلى أي شيء آخر، ويكفي التطلع إلى هذا فقط». فقال: «لكن هذا لا يكفيني».

---

1 – الموجيك: صغار الفلاحين والتباع المسخرين من طرف النبالة. (الناشر)

14 ديسمبر. استنسخت اليوم يوميات ليوفوتشكا حتى الموضع الذي يقول فيه: «*لا يوجد حب، توجد حاجة جسدية للاختلاط وحاجة عقلية إلى وجود رفيقة حياة*». حقاً، لو أنني قرأت قناعته هذه قبل 29 عاماً، لما تزوجته أبداً. أمضيت اليوم بصورة عادية: أعطيت الدروس لميشا، واعتنيت بفانتشكا، وتبادلت الحديث مع ديلون. وصل الطالب أ.ف. تسينغر. علمت ساشا تلاوة صلاة «أبانا الذي...»، واستنسخت قليلاً. تحدثت مع ماشا بصدد بيريوكوف. وأكدت لي إنها إما ستتزوجه، وإذا لا أريد ذلك، فإنها لن تتزوج أبداً. وأضافت: «لماذا أنت قلقة، فكل شيء ممكن الحدوث!». وتراءى لي أنها نفسها تنتظر التخلص من هذه العقدة التي ضيّقت عليها الخناق بالصدفة. تحدثت تانيا مع ماشا بصورة خفية، ويبدو بمرح. كتبت رسائل: إلى أختي تانيا وكذلك إلى جريدة فرنسية بصدد مقالة «فيغارو» بتاريخ 21 نوفمبر 1890 حول المكاسب التي أجنيها من نشرمؤلفات ليف نيقولايفتش في الخارج، ورسالة دونايف وأخرى إلى أليكس بيرس.

15 ديسمبر. انصرم اليوم بشكل سخيف. وعرقل دروس الموسيقى حضور سيتين رئيس دائرة الزيمتسفو(الناحية) الذي جاء بطلب من تانيا للتحدث بصدد المدرسة في ياسنايا بوليانا. وعند حلول موعد الغداء جاء بوليجين. تنزهت مع الأطفال مرتين. في المرة الثانية مع ساشا التي بكت في المساء لكونها تشعر *بالضجر*. ويسود عندنا في البيت شعور بالضيق المعنوي الثقيل لدى الجميع وبصدد كل شيء.

وليوفوتشكا بمزاج عكر أكثر ومتكدر بسبب صدور الحكم على الفلاحين في ياسنايا بوليانا بالانضمام إلى سرايا المعتقلين عقوبة لهم على قطعهم الأشجار في المشتل. وعندما حدث ذلك وجاء الشرطي سألت ليوفوتشكا، ما العمل هل سنسجل المحضر؟ فاستغرق في التفكير وقال: «يجب تخويفهم، وبعد ذلك نغفر لهم فعلتهم». ولكن تبين أن القضية جنائية، ولا يجوز أن يغفر لهم، وطبعاً كنت *أنا* المذنبة. هو غاضب وصامت، وأنا لا أعرف ماذا يجب أن أفعل. بينما أنا أيضاً لا أعرف ماذا سيفعل. واعتراني شعور بالكدر والألم، وكما يقال: هذا ما وصلت إليه، وفكرت في أن أذهب الآن إلى إيليا، وأودع

الجميع وأستلقي على القضبان في مكان ما، كما كانت أجافيا ميخايلوفنا تهدد في أحيان كثيرة. أشعر بالرهبة لأنه يمكن تنفيذ ذلك بيسر.

في الصباح غادر ديلون، وفي المساء غادر بوليجين وتسينجر. لا يوجد ضيوف.

16 ديسمبر. نعم، لقد فقدت كلياً كل قدرة على تركيز الانتباه على أمر ما، وعلى فكرة ما، وعلى شعور أو أمر ما. إن هذه الفوضى من المشاغل الكثيرة التي تترى الواحدة تلو الأخرى، غالباً ما تقودني إلى وضع الهوس، وأفقد التوازن. فمن اليسير قول هذا، بينما أشعر بالقلق في كل لحظة بصدد: الأطفال الدارسين أو المرضى، والوضع الصحي، والشيء الرئيس الوضع الروحي لزوجي، والأبناء الكبار وشؤونهم، والديون، والأبناء والخدم، وبيع الضيعة في سامارا ورسومها الهندسية، يجب الحصول عليها وعمل نسخ من أجل المشترين، والطبعة الجديدة من المؤلفات والجزء 13 مع رواية «سوناتا كريتسر» المحظورة، وطلب تقسيم الممتلكات مع القس في أوفسيانيكوفو، وتصحيح مسودات المجلد 13، وصنع القمصان الليلية لميشا، والشراشف والجزم من أجل أندريوشا. يجب عدم تأجيل دفع المستحقات بشأن البيت، والتأمين، وشؤون الضيعة، ووثائق العاملين، وإجراء الحسابات، والاستنساخ وهكذا دواليك... فهذا كله يجب أن يمسني بصورة مباشرة. لكن عندما يقع حادث، كما في الليلة الماضية، أرى بأنني أخطأت، وفقدت بذرة مركزية ما، وجلبت الألم لليوفوتشكا سهواً ومن دون قصد. وقد وقع هذا *الحادث*، كما كان متوقعاً، بسبب المدانين بالحبس لمدة ستة أسابيع لقطعهم الأشجار في مشتل التشجير. وعندما قدمنا الشكوى لمدير الشرطة فكرنا بأننا سنعفو عنهم بعد صدور الحكم. ولكن تبين بأنها *قضية جنائية* ولا يجوز إلغاء العقوبة، فأصاب ليوفوتشكا القنوط لوضع الفلاحين في ياسنايا بوليانا في السجن بسبب كونه المالك. ولم يستطع النوم في الليل، فنهض وصار يذرع الصالة، ويلهث باختناق، ولامني، طبعاً، بكل قسوة شديدة. لكنني لم أغضب، والحمد لله، وكنت أتذكر طوال الوقت بأنه مريض. وقد أدهشني للغاية أنه كان يسعى دوماً إلى استثارة شفقتي عليه، ومهما حاول فلم

تكن هناك مرة واحدة أية حركة حقيقية نابعة من القلب، ولو لفترة قصيرة، بأن يبث لدي القناعة وأن يدرك بأنني لم أرغب البتة في جعله يتألم، وحتى أن يتألم الفلاحون – اللصوص.

تتجلى عبادة الذات هذه في جميع يومياته. وأعجب ما في الأمر كيف أن الناس لا يوجدون بالنسبة له إلا بقدر ما يمسه الأمر شخصياً. وكذلك النساء! اليوم شعرت بإحساس سيئ جداً. فقد كنت أستنسخ يومياته بتواصل كالسكيرة، وكان سكري يكمن في اضطرابي والشعور بالغيرة حيثما يدور الكلام عن النساء. لم أستعد هدوئي بعد، ولا أستطيع التخلص من الذكريات. طوال الوقت.وقد أذهلني اليوم في مذكراته أيضاً أن ليوفوتشكا كان إلى جانب الفسق يبحث يومياً عن مناسبة *للقيام بعمل خيري*. والآن تراه غالباً ما يتنزه في الجادة فيوجه حصاناً سكيراً ما، ويساعد في قرن الأحصنة، أو في رفع الحمولة – يبدو كما لو أنه يبحث *عن عمل الخير*.

اليوم الأحد. بعد الليلة الثقيلة والملامات والأحاديث، شعرت اليوم كله وكأن حجراً يثقل على روحي وبشعور من الكدر. مضى اليوم بفتور وبلا نشاط. عاصفة ثلجية ولا يتجول أحد باستثناء الصبيان. أراد ليوفا أن يذهب إلى إيليا، لكنه رجع بعد عبوره القرية. قرأنا في المساء الترجمة الفرنسية لكتاب «الحكايات الصينية». شيء غريب جداً. عزفت قليلاً على البيانو. وفي المساء رقص فانيا وساشا، وبشكل عام أصبح المزاج العام رائقاً أكثر.

17 ديسمبر. بدأ القلق يساور ليوفوتشكا لكوني أستنسخ يومياته. فقد أراد أن يتلف اليوميات القديمة، وأن يبدو أمام الأبناء والجمهور فقط بالهيئة الأبوية. الآن لديه الغرور والزهو فقط!

جاء *السفهاء*: الأهبل بوبوف، الرجل الشرقي والكسول والهزيل، والأهبل البدين خوخلوف من فئة التجار. إنهما من أتباع الرجل العظيم! إنهما ينتميان إلى فئة بائسة من المجتمع البشري، وهما من العاطلين الثرثارين، والكسالى بدون تعليم. سافرت تانيا وليوفا إلى إيليوشا وسريوجا. جلست في البيت، متوعكة، لم أنم الليل كله. وحال دون تعليم الأطفال مجيء ي.ي. كيرن، حارس الغابات السابق في غابة زاسيكا التابعة

للدولة، والآن صار من أصحاب الأطيان، وهو نافع لي كثيراً بنصائحه ومعلوماته بشأن الغابات والبساتين.

19 ديسمبر. كنت يوم أمس صباحاً في تولا برفقة أندريوشا ومدموازيل بوريل. كان الجو بارداً وخشينا جميعاً من إصابة أندريوشا بالبرد. مضينا لاقتناء المشتريات وتنفيذ الطلبيات. عرجنا للحظة على أسرة رايفسكي، كان هناك الصبيان فقط. ورجعنا في حوالي الظهرعند موعد الغداء. في المساء قرأ ألكسي متروفانوفتش حول المستعمرات الألمانية، قرأ بصوت عال، شيء مضجر، وشاهدنا Review of Reviews. لقد تعبت، فارقتني الطمأنينة، فإن بوبوف وخوخلوف يزعجاني بسكوتهما وبلادتهما.

استيقظت اليوم متأخرة، أصابني السهاد ولم أنم في الليل، فذهبت إلى الصالة، وكان هناك الضابط جيركيفتش، وهو شاب، أنيق، جاء للتعرف على ليوفوتشكا، فهو ينظم الشعر ويكتب النثر نفسه. يبدو أنه راض جداً عن نفسه ومصيره، بيد أنه ليس غبياً، وهذا مفهوم، بعكس حال «الحمقى». ذهبت للنزهة مع فانيتشكا لأول مرة في الشتاء. ورافقتنا ساشا. قرأت مع ميشا العهد الجديد والصلوات، وها أنذا أدوّن يومياتي، واستنسخت صفحتين فقط من يوميات ليوفوتشكا، بينما دوّنت من درسي اليوم – عشر صفحات. وقع حادث لأندريوشا، فهو غالباً ما لا يفهم عن *قصد* ولا *يريد* أن يبذل أي جهد في مجال الفكر أو الذاكرة. في المساء سأساعد في العناية بالضيوف، وأطالع ثم أستحم.

20 ديسمبر. لم أنم الليل، واستيقظت في وقت متأخر. يعذبني وضعي الجسدي المقرف في الانفعال والألم في الظهر. ذهبت مع الأطفال للتزلج وخشيت أن أسقط لأن الجليد سيئ. وأزلت الثلج مع البستاني وبنات الفلاحين وأطفالي الثلاثة، وعلّمت ساشا لأول مرة التزلج بحذاء التزلج. وبعد العودة أعطيت الدروس للأطفال خلال ثلاث ساعات: علمت أندريوشا الصلاة وعلمت الاثنين الموسيقى. عيد ميلاد ميشا – بلغ سن 11 عاماً. عاد ليوفا من إيليا وجلب معه ساشا فيلوسوفا. ذهبت ماشا مع

الحوذي فيليب إلى بيروجوفو. وذهبت إلى هناك أيضاً تانيا وناتاشا وإيليا، وسيعودون غداً. ليوفا أبدى تذمره وواصل الهمهمة، وروى قصة حزينة عن خصام سريوجا وإيليوشا بسبب أمور تافهة – حول الخيول.

في المساء استنسخت قليلاً مقالة ليوفوتشكا حول الكنيسة.

لا يجوز نفي الكنيسة كفكرة، وكمؤسسة تجذب جماعة المؤمنين – إلى الدين الحقيقي. لكن الكنيسة بطقوسها الموجودة – غير مقبولة. فلم يتم غرز عصا صغيرة بقطعة الخبز، بدلاً من مجرد قراءة كيف أن المحارب طعن بحربته ضلع المسيح؟ ومثل هذه الطقوس الهمجية كثيرة، وهي التي أهلكت الكنيسة. الساعة 10، سنشرب الشاي ونقرأ. لم أستنسخ يوميات ليوفوتشكا، ولهذا أشعر بطمأنينة ونقاء أكثر.

23 ديسمبر. إن هذه الأيام مترعة بالأحداث. فمنذ ثلاثة أيام أيقظونا صباحاً، عند الساعة السادسة، فقد وردت برقيتان. الواحدة حول أن صونيا مريضة، والثانية أن صونيا ولدت صبياً. وأثار هذا النبأ قلقي وابتهاجي في آن واحد، ولكن ليس لفترة طويلة، بسبب الأب إيليوشا – المتهور، ولو أنه طيب وجيد كأب. أنا أشعر بالحنان دوماً حيال صونيا بصورة أساسية لأنها تختلف بالنقيض تماماً عنا جميعاً، نحن ذوي الطبع الحاد وغير الهادئ والهائج، بكونها هادئة ووديعة. جاء في قطار كورسك إيليا وتانيا وناتاشا فيلوسوفا. وجرى مع إيليوشا حديث غير شيق كالحال دوماً – حول النقود والممتلكات. وغادر في المساء. أمضيت يوم أمس كله في تولا، وتناولت الغداء مع أسرة دافيدوف، واشتريت بفتور كل ما يلزم من أجل شجرة عيد الميلاد. سابقاً كان يجري هذا بمرح، أما الآن فقد تعبت. اليوم سافرت ابنتا عائلة فيلوسوف، بينما جاءت ماشا كوزمينسكايا مع أرديلي، ولم أشعر بالارتياح لوجودي معه، ولم أخف ذلك. انهمكنا اليوم في وضع الزهور في شجرة عيد الميلاد، وطلي الجوز بصبغة ذهبية، واختتم اليوم بلا نفع. تلقيت من فيت رسالة مفعمة بالمديح وتكاد تكون رسالة عشق، وقد سرني ذلك، ولو أنني لم أحبه البتة أبداً، وفي أغلب الظن كنت أشعر بالنفور منه.

24 ديسمبر. استيقظت في وقت متأخر، ودخل فانيتشكا، ومارست اللعب معه ساعة كاملة: ثم خرجت. جاء سريوجا، وعزف على البيانو. هو مرح جداً وصافي القلب، كإنسان عمل *خيراً* وبوسعه الآن نيل قسط من الراحة. إن ماشا كوزمينسكايا وأرديلي ليسا لطيفين جداً: فأمرهما ليس هذا ولا ذاك، ولا يطلبان اعتبارهما كخطيبين، وسلوكهما ينم عن ذلك. وابنتي ماشا تبعث على الشفقة لهزالها وكآبتها. صنعنا البودينغ، جميع الأطفال، تانيا، Liddie، وأنا. تناولنا الغداء في جو من المرح، وضحكنا كثيراً. وصنعت لغباً من قطع الكارتون، وأجريت التحضيرات لتقديم عرض للأطفال. سخف. جاء دونايف الآن. الوقت متأخر.

25 ديسمبر. عيدالميلاد: الجميع بمزاج العيد منذ الصباح. وانشغلنا طوال اليوم في تزيين شجرة عيد الميلاد. عند تناول القهوة في الصباح جرى حديث ساخن بين ليوفوتشكا وليوفا حول السعادة، وحول هدف الحياة، وبدأ ذلك حين تحدث ليوفا عن تبدل ساعات تناول الطعام وعموماً عن عدم رضاه عن أسلوب *حياتنا*. وحدثه ليوفوتشكا بحكمة وبصورة طيبة جداً عن أن كل شيء يتوقف على الإنسان نفسه، وعن نوع الحياة في *أغوار نفسه*، وليس في *خارجها*. *وكان* هذا طيباً لكنه حين راح يقدم الأمثلة من سلوك أتباعه بدا ذلك مضجراً.

مضى الاحتفال بالعيد عند شجرة عيد الميلاد في أجواء المرح: حضر حوالي 80 شخصاً من الأطفال من القرية: وبذلنا جهدنا في تزيينهم، وكان أطفالنا راضين وجذلين. تحدثت مع أرديلي لأول مرة بصراحة حول علاقته مع ماشا كوزمينسكايا وحول زفافهما مستقبلاً. إنه يبدو مع ماشا كشخصين بائسين، فهما يريدان الاقتران لكن ثمة ما يعيق ذلك. ليوفوتشكا مغتبط ومعافى، ولو أنه يشكو من اضطراب في الهضم أحياناً.

27 ديسمبر. لم أدوّن اليوميات أمس. أنا لا أحب الأعياد بما فيها من بطالة وبلبلة وسعي الجميع إلى المرح والتسلية. مارست طوال اليوم الرسم ولصقت اللعب، وأريد أن أصنع من الكارتون مسرحاً للعرائس من أجل

الصغار. وبحلول المساء غمرتني الكآبة بسبب انقضاء النهار بالترهات وبلا عمل مجد. وجع في الأسنان، لم أنم في الليل. وأخذت في الصباح Le Sens de la Vie ولم أستطع طوال النهار الانقطاع عن مطالعة هذا الكتاب. أي تعامل رقيق وأريب وصادق فيه مع جميع قضايا الحياة! أي صدق وبساطة ولا تكلف في التحدث عن جميع الأوضاع الجدية والصعبة لوجودنا اليومي! واللغة رائعة. لقد أيقظ هذا الكتاب في دخيلة نفسي الاهتمام الخامد بكل ما هو حي وروحي. وأحسست فجأة بالمقدرة - بمنأى عن مواعظ ليوفوتشكا الساحقة - على أن أنتعش روحياً وأن أخلق عالمي الروحي الخاص بي.

في المساء جاء العاملون في الضيعة والخدم فرقصوا بمصاحبة ألحان الأرمونيكا والبيانو. لقد نظمت تانيا هذا كله، وأرادت نفسها هذا اللهو الأخرق. وقد ارتدت هي وماشا أيضاً الأزياء اللازمة. وحالما دخلت ماشا ذهلت أنا وليوفوتشكا. فقد لفت نفسها بالسراويل مقلوبة كلياً - إذ تزيت بزي صبي - بلا أي قطرة من الخجل. إنها كائن غريب وبليد.

إن هذه الأفعال الصاخبة تولد لدي شعور الكآبة دوماً. فاختليت في غرفتي، وفتحت الكوة في النافذة وتطلعت إلى السماء الصافية والباردة والمرصعة بالنجوم، وعلى حين غرة تذكرت المرحوم (و). فغمرني الحزن الشديد، بشكل لا يطاق لوفاته، لدرجة أنني فقدت إلى الأبد، كما يبدو، العلاقات الرقيقة والنقية والصامتة، لكن بلا ريب العلاقات الأكثر من ودية، التي لم تبق أي ظل للملامة في الضمير والتي غمرت كل تلك السنين، مما جعلها فترة سعيدة. أما الآن فمن يحتاج إلى حياتي، ومن أين يأتي الحنان والرعاية - لربما فقط حيال فانيتشكا. وهو شيء طيب، وشكراً للرب.

28 ديسمبر. لقد فسد كتاب Rod في نهاية الأمر. فالفصل «Religion» غامض، ولا يصدق المرء المخرج فيه أي ذاك الـSens de la vie (مغزى الحياة) الذي بحث عنه، ولم يصدق بأنه وجده. ونحن جميعاً لم نجده ولن نجده *أبداً*. في البحث - وفي الحياة. وهناك - تبتلعنا مجدداً تلك البداية - أي الرب الذي خلقنا منه. كما لا يمكننا أن نحيا بدون هذا الإدراك المستمر للعنصر الرباني فينا. لقد اعتدت كثيراً على عدم القيام بأية خطوة من

دون أن أردد في نفسي: ساعدني، أيها الرب، واغفر لي، يا ربي، وارحمني، يا ربي... لكن حياتي ليست ربانية البتة، وأنا أعرف ذلك، ويتراءى لي دوماً: سأبدأ للتو، للتو، وسأكون طيبة، ولطيفة مع الجميع، وستحيطني هالة من نور الطيبة، سيجد فيها الجميع الخير. لكنني لا أستطيع ذلك. إنني أواصل دوماً التطلع إلى ليوفا: ففيه الكثير من المغزى والذكاء والموهبة، لكن يعوزه الشعور بصيانة الذات الداخلية، وهو يهتاج ويضطرب ويهتم ويقلق لكل شيء وحتى يتعذب. إنه الشباب. أما ليوفوتشكا - زوجي فقد تمتع بالمقدرة على التحكم بعالمه الداخلي، لكن لم تكن لديه عائلة، واحتفظ إلى الأبد بعادة فقدان *هذه الرعاية بها*.

لقد وجب أن نقدم يوم أمس المعلومات التي طلبتها ألكسندرا تولستايا. ولذا أعدت قراءة رسائله الموجهة إلي. ففي فترة ما أحبني حباً جماً، وكان يمثل بالنسبة لي العالم كله، وكنت أبحث في كل طفل عن الشبه به بالذات. فهل كان الأمر من جانبه فقط العلاقة الجسدية التي لدى زوالها بمرور الأعوام، تعري ذلك الفراغ المتبقي؟ وفي الأمس قال مخاطباً ليوفا في الصالة حول شكل القصة الذي بحث عنه وأراد إنجازه حين فكر في كتابة «سوناتا كريتسر». وقد طرح عليه أندرييف - بورلاك الممثل والراوية الممتاز فكرة كتابة *قصة* حقيقية. وقد روى له أن رجلاً ما حدثه، في طريق السكك الحديدية، عن تعاسته بسبب خيانة زوجته، وقد استخدم ليوفوتشكا هذا الموضوع في كتابة القصة. إنه اليوم يشعر بوعكة، وثمة ألم تحت الإبط، كما يشعر باضطراب الهضم.

انهمكت طوال اليوم باستنساخ يوميات ليوفوتشكا، وفي المساء تبادلنا جميعاً الأحاديث في جو عائلي طيب. كنا بانتظار ضيوف من تولا: دافيدوف، وأفراد أسرتي لوبوخين وبيساريف - لكن لم يأت أي أحد. برد ورياح. درجة الحرارة 12 تحت الصفر.

29 ديسمبر. يوم قارس البرد ورائع ونقي وجميل. السماء زرقاء، والندى المثلج على الأشجار والسكون. وأمضينا جميعاً النهار كله في الهواء الطلق. وتزحلق الصبيان والبنات فوق المصطبات، بينما تزلجنا بأحذية التزلج أنا

وأردلي وماشا كوزمينا وليوفا. أنا تزلجت بوجل وبصورة رديئة، بيد أنني شعرت لدى الحركة بالتهدئة وفي الوقت نفسه بالجذل. وفي وقت الغداء جاء الزوجان زينوفييف ومدموازيل جولياني مع صبي. والزوجان زينوفييف فطنان وطيبان. وعزفت لوبا عزفاً جيداً، ولكن كتلميذة، ولا يعطي عزفها أي شيء. أما مدام جولياني فقد غنت برفقة ناديا ولوحدها. ويتميز غناء جولياني بكثير من الانفعال، حقاً إن طبعها انفعالي أيضاً. ليوفوتشكا غير معافى تماماً، ويبدو هادئاً ومنعزلاً. سيسافر سريوجا إلى أسرة أولسوفييف وتانيا مرحة بشيء من النرفزة.

30 ديسمبر. انشغلت منذ الصباح وحتى موعد الغداء بالعناية بفانتشكا. فقد سافرت المربية إلى أمها. أنجزت قراءة Rod وصلواته مفهومة وصادقة مرة أخرى. وبعد الغداء قمت مع أندريوشا وميشا بإعداد المسرح. أنا نائمة ذهنياً. أمضينا الأمسية جميعاً سوية. وتحدثنا بهدوء ومودة عن الموسيقى. ذهب ليوفا إلى القرية لحضور أمسية هناك.

31 ديسمبر. لقد اعتدت كثيراً أن أحيا بغير حياتي، بل بحياة ليوفوتشكا والأطفال، وفي اليوم الذي لا أعمل فيه شيئاً من أجلهم، أو فيما يتعلق بهم، أشعر بالحرج والخواء. انهمكت مجدداً باستنساخ يوميات ليوفوتشكا. ويؤسفني أنني بسبب هذه التبعية القلبية الأبدية للشخص الذي أحبه قد أخمدت في نفسي مختلف القدرات والنشاط. وثمة قدرات كثيرة في الأخير.

أحللت النظام في الحسابات النقدية، ولو أن حصيلة المورد والنفقات لم تتعادل خلال 20 شهراً. لكنني لم أشعر بالكرب، فأنا لا أسجل المصروفات جيداً. وردت برقية من إيليا، يدعوني فيها إلى طقوس تعميد الحفيد، فقد رفضت ذلك صوفيا أليكسييفنا. وكذلك رفضت تانيا، فأصبحت الآن faute de mieux [1]. لكنني لا أستاء لذلك. وتهمني علاقتي بحفيدي الصغير، وليس بالحاشية، ويسرني حضور تعميده. سأسافر اليوم عند الساعة الخامسة صباحاً عشية ليلة عيد رأس السنة. انهمكت في النهار بالاستنساخ، وجلست مع الأطفال. الجميع يغمرهم شعور الهدوء والمودة. استقبلنا العام الجديد بهدوء، لوحدنا.

1 - لعدم وجود شخص آخر. (المترجم)

1891

2 يناير. رجعت من بيت إيليوشا، وشاركت بتعميد الطفل. جرت طقوس طرد الشيطان وهلم جرا بلامبالاة كالعادة. إلا أن الطفل الذي بدا بعينين مغمضتين وبسحنة حمراء تفيض بالهدوء، وبسر روحه وحياته، يترك دوماً تأثيراً عميقاً ويدعو إلى الصلاة من أجله. يوجد في جرينوفكا الكثير من أفراد أسرة فيلوسوف، وجميعهم كبار وبأجساد بدينة جداً، لكنهم طيبون للغاية في التعامل مع الآخرين وفي الحياة. إنهم يتسمون بالكثير من البساطة الحقيقية، بلا تكلف، والخالية من أي حقد. وهذا شيء طيب جداً. وإيليا يبدو حائراً إلى حد ما، كما لو كان عن قصد، ولا يفكر بأي شيء، ويتوزع اهتمامه على صغائر الأمور. لدى عودتي إلى البيت شعرت بالحزن، وبدا كما لو أن أي أحد لم يهتم بي وبقدومي. إنني غالباً ما أفكر في السبب في عدم محبتهم لي، بينما أنا أحبهم جميعاً أشد الحب. ربما بسبب انفجاراتي الحادة، حين أكون حادة اللسان وأتفوه بغليظ القول. بعد ذلك اجتمعنا جميعاً لكن حتى لم يتم طهي أي شيء، بالمناسبة، إن هذا لم يكدرني كثيراً. وقد أظهر فانيتشكا لوحده وكذلك ساشا لحد ما: الأول فرحه وصخبه، والثانية سرورها بهدوء. ووجدت كوليتشكا جي وباستوخوفا لدى قدومهما. وقد سررت لمجيء الأول، أنا أحب سحنته البشوشة الطيبة وكذلك روحه. ميشا ليس معافى تماماً. جاء الزوجان دافيدوف، وسعينا إلى تسليتهما، لكنني أخشى أنهما شعرا بالضجر. علماً أنه نفسه ظريف جداً، وأنا مسرورة بقدومه دوماً.

الوقت الآن مساء، وحدث مجدداً خلاف بيني وماشا بصدد بيريوكوف. إنها تصبو دوماً إلى الاختلاط به، بينما أنا لا أستطيع تغيير وجهة نظري بشأنه. فإذا تزوجته فستهلك. وكنت حادة اللهجة وجائرة بحقها، لكنني لا أستطيع

التحدث حوله بهدوء، وماشا، عموماً، بمثابة الصليب الذي بعث به الرب إليّ لكي أحمله على كاهلي. فبالإضافة إلى ما عانيت من أوجاع ولادتها، لم تهبني أي شيء آخر. إنها غريبة في العائلة، وعقيدتها مختلفة، وكذلك حبها لبيريكوف. الحب الخيالي غير المفهوم تماماً.

3 يناير. أمضيت النهار كله في إعداد مسرح العرائس. ووجدت الصالة مليئة بالأطفال، لكن العرض كان سيئاً. وتكدرت على الأخص لأنه أثار الإعجاب بأكبر قدر مشهد عراك بتروشكا. *هذه* أخلاق فظة وتبعث على النفور. أصابني التعب والسأم. والزوار: باستوخوف وجي الابن وليوفتشكا بمزاج رائق. إنه كتب في الصباح كثيراً حول الكنيسة. أنا لا أستطيع أن أحب مقالاته الدينية – الفلسفية، لكنني سأحبه ككاتب مبدع دائماً. عاصفة ثلجية. درجة الحرارة 7 تحت الصفر.

4 يناير. عاصفة ثلجية رهيبة منذ الصباح ودرجة الحرارة 10 تحت الصفر. الرياح تعوي في جميع المواقد، وجرفت كل شيء حول البيت. ورد منذ الصباح خبر غير سار: إن رومان حارس الغابة السكران ذهب إلى المستنقعات (البحيرة) ليلاً، فسقط هناك وأصابه البلل التام، وجاء به الموجيك ياكوف كراسنوسينكوف، وهو أحد الفلاحين في ياسنايا، أما حصانه فقد غرق ونفق. والحصان فتي، وهذا يبعث على الأسف والحزن. وقد جاء رومان نفسه وقد تملكه الاضطراب الشديد. وفقد أثر بيرجر أيضاً، إنه يكذب دائماً، وكسول للغاية، وأنا غير راضية عنه جداً. اشترت ماشا طستاً وصارت تغسل الملابس بنفسها. وقلت لها بغضب إنها ستقضي على صحتها تماماً وإنها عذبتني. لكنها قابلت ذلك بلا مبالاة وبهدوء. جميع الأطفال الأربعة الصغار أصيبوا بالزكام والسعال، لكنهم جميعاً مرحون ويتراكضون على الأقدام. أين سريوجا وسط هذه العاصفة الثلجية؟ لقد ذهب إلى أسرة أولسوفييف، وآمل ألا يكون قد خرج عائداً من هناك. اشتكى ليوفوتشكا من أنه لا يجد رغبة في الكتابة. اليوم قمت بترتيب وتنظيف كل شيء: الحاجيات والخرق والأوراق، ورتبت الرسائل، ويمكنني الآن حتى

أن أموت فكل شيء على ما يرام. أشعر بوعكة شديدة، خفقان في القلب، دوار، بلا أنفاس، وألم في الظهر.

ذهب ليوفا مع رئيس إدارة الأعمال للبحث عن الحصان، فضلا الطريق، ولم يجدا الحصان فقفلا راجعين. ليوفا عزيز جداً بالنسبة لي، ويحزنني فقط عندما أراه عبوساً وهزيلاً. بالمناسبة إن هيئته الآن تنم عن الهدوء، وهذا يفرحني كثيراً.

5 يناير. أشعر باعتلال صحتي، ألم في ظهري، الدم يسيل من أنفي، ألم في السن الأمامية، ومما يزيد غمي أنها ستسقط ويتعين عليّ تركيب أخرى مكانها، وهذا أمر مقرف. عملت منذ الصباح على استنساخ يوميات ليوفوتشكا، وبعد ذلك نظفت ونظفت غرفة مكتبه ورتبت الحاجيات والشراشف. ثم شرعت في رتق الجوارب، التي ذكرني ليوفوتشكا بكونها مهلهلة، وهكذا أمضيت الوقت حتى موعد الغداء. ثم لعبت مع فانيتشكا. ذهب ليوفوتشكا مع ن.ن. جي (الابن) إلى بوليجين، بينما جاء إلينا فانيا وبيتيا ولدا عائلة رايفسكي. جلست طوال الوقت وأنا أرتق الجوارب، وهو عمل مضجر لكنه ضروري لحين شراء أخرى جديدة. في المساء غضبت على ميشا لأنه اعتدى بالضرب على ساشا. وقد غضبت للغاية، ودفعته بظهره، وأرغمته على الجثو على ركبتيه. فبكى ثم هرول إلى غرفته. وقد أشفقت عليه وحزنت فيما بعد لعلاقتي الطيبة معه. ولكن سرعان ما تمت تسوية المسألة كلها. وقرأت لي ماشا كوزمينسكايا رسالة أرديلي الموجهة إليّ. إنها تتضمن كافة الأقاويل والنمائم والمنغصات، فقراء، شباب، وهذا كله عذاب لا معنى له.

الساعة الثانية، بينما أنا لا أرغب في النوم. ليوفوتشكا طيب جداً معي، وهذا يسرني كثيراً. وأنا ألاحظ بأنني في هذه الأيام سريعة الانفعال وأغضب من الجميع لأتفه الأسباب. هذا لأنني مريضة، لكن يجب عليّ تفادي ذلك، وأكون حذرة أكثر.

6 يناير. ما زلت مريضة، وثمة آلام في الرأس والظهر، ولم أنم في الليل.

وفي النهار رتقت جوارب ليوفوتشكا بشعور من البلادة، ومن دون أن أغادر مكاني. تلقيت كتاب سبينوزا لكنني لم أستطع القراءة، وأنتظر صفاء الذهن والعينين، إذ تدور أمام عيني دوائر سوداء طوال الوقت. الضيوف: بوليجين وكوليتشكا جي. جاء سريوجا بالقطار مرحاً وطيباً، وتحدثنا عن أمور تافهة، وعن زيارته لأسرة أولسوفييف وعن الأعمال. سيذهب ليلاً إلى نيقولسكويه.

ذهب أندريوشا وميشا إلى القرية لمشاهدة *حفلة*. ويبدو أنهما لم يجدا أية متعة وتسلية، فالصبيان كانا خجولين ولم يشاركا في اللعب، وقد أسفت لكون الصبيين لم يجدا تسلية هناك. العلاقة مع ماشا ما زالت صعبة: إنها تذهب مع فتاة أخرى إلى المصابين بالتيفوئيد. أنا أخشى عليها من العدوى، وقد صارحتها بذلك. حسناً إنها تساعد المرضى، فأنا نفسي عملت ذلك مراراً، لكنها لا تعرف الحدود. بالمناسبة إنني تحدثت معها اليوم باقتضاب. وقد أشفقت عليها جداً، كما حزنت لكوننا غريبتين عن إحدانا الأخرى. قرأ ليفوتشكا اليوم مقالته حول الكنيسة أمام جي وبوليجين وليوفا. وقد استنسخت جزءاً من هذه المقالة وقرأت الجزء الآخر. لكنني لا أستطيع تقبل هذه المقالات غير الأدبية والمتحيزة والدينية. إنها تمثل إهانة لي وتهدم شيئاً ما في قرارة نفسي، وتولد لدي قلقاً غير مثمر.

7 يناير. عذبتني منذ الصباح عبارة تفوهت بها ماشا يوم أمس حول أنها ستتزوج بيريوكوف في ربيع العام القادم. وقالت «سأذهب إلى حقل البطاطس»، أي ستمارس زراعة البطاطس. فقررت التزام الصمت وقلت رأيي في اليوم التالي فقط. فأرسلت إلى بيريوكوف النقود لقاء الكتاب الذي اشتراه وأرسله إلى ماشا، وكتبت له حول عدم رغبتي في أن يتزوج ماشا، ورجوته ألا يزورنا وألا يتراسل معها. وعندما سمعت ماشا لدى الحديث مع ليوفوتشكا حول هذه الرسالة، غضبت وقالت إنها ستتراجع عن جميع وعودها لي، وأنا انفعلت أيضاً وذرفت الدموع. وعموماً إن ماشا مصدر عذاب أليم لي، وكذلك جميع حياتها، وجميع انطوائها على نفسها، والحب الوهمي إزاء «ب».

ذهب ليوفا منذ الصباح إلى بيروجوفو بصحبة ميتروخا. بينما سافرت

تانيا إلى تولا وسرق أحدهم منها النقود. بينما سرقت منا ليلاً حمولتا عربتين من الأخشاب من أراضينا. في الصباح استنسخت يوميات «ل». وبعد ذلك أعطيت الدروس للأطفال، ورتقت الجوارب، ولا أستطيع عمل شيء آخر، هذا عمل جهنمي! في المساء قرأنا بصوت عال قصتين مبتذلتين وتبعثان على الضجر بعث بهما تشيرتكوف الأحمق الفاقد لأي إحساس. لم يرجع كوليتشكا جي الذي سافر مساء يوم أمس برفقة بوليغين. أي رجل نير وأريب وطيب هو. تنبعث منه روح مسرة ما والطمأنينة. ويبدو أنه عانى كثيراً قبل أن يبدأ العيش كحاله الآن، ولم يكذب حين قال إن هذه الحياة طيبة، لكنه هدأ الآن، وصار يقول: «لا يمكن أن يحدث تراجع إلى الوراء عن هذه الحياة». وهذا حق. ماشا كوزمينسكايا ضائعة كلياً: إنها غارقة في حب أرديلي، وكف العالم كله عن الوجود بالنسبة لها.

فكرت اليوم في أنه تحدث في العالم نسبة 9/ 10 من الأحداث المتعلقة بالحب أو أحد مظاهره. لكن جميع الناس يخفون ذلك بإمعان لأنه ستنقلب رأساً على عقب جميع التأملات السرية للبشر، وانفعالاتهم وقلوبهم. والآن بوسعي أن أذكر العديد من مثل هذه الظواهر، لكنني أخشى، أخشى جداً تعريتها أمام البشر. وفي يوميات ليوفوتشكا يبدو *الحب* مختلفاً تماماً عن مفهومي له: وأظن أنه لم يعرف هذا الشعور. وقد عبرت عن الحب، كمحرك، بصورة غير واضحة. إنني أردت القول بأنه إذا ما سيطر الحب على الإنسان، فإنه يظهره في كل شيء، في الأفعال وفي الحياة وفي العلاقات مع البشر الآخرين، وفي الكتاب، ويكسب كل شيء تلك الطاقة والبهجة، التي تمثل محركاً أكثر من إنسان، وفي جميع الوسط المحيط به. ولهذا فأنا لا أفهم حب ماشا كوزمينسكايا. إنها مسحوقة كلياً. أم إن هذا يتواصل فترة طويلة جداً.

8 يناير. شغلتني الأعمال منذ الصباح. فراجعت سجلات الإدارة الخاصة بياسنايا بوليانا والبيانات الخاصة بالغابة. ثم قرأت مع ن.ن. جي الابن مسودات تصحيح المجلد 13 للطبعة الجديدة من الأعمال الكاملة. وبعد ذلك أعطيت درس الموسيقى لأندريوشا وميشا لمدة ساعتين. وبعد الغداء كتبت نوتات توزيع الألحان من أجل الأطفال، ثم راجعت بيانات استهلاك الزبدة والبيض.

كما كتبت مسودات الطلبات بشأن تقاسم ممتلكات جرينوفكا مع القسيس في أوفسيانيكوفو. وعموماً إن كل شيء لدي الآن على ما يرام ومرتب بالتمام فيا ترى هل حان موعد الموت؟ يجب السفر إلى موسكو بشأن المجلد 13، لكن لا توجد لدي رغبة في ذلك. أشعر بضيق في روحي، ولو أنها خطيئة من جانبي: فالجميع بعافية وخير، بفضل الرب. وصلينا من أجل الرب... أنا وساشا وفانيتشكا. سافرت تانيا وماشا مع كوليتشكا جي إلى كوزلوفكا. ونادراً ما أرى ليوفوتشكا، فهو جالس في الطابق الأسفل طوال الوقت، ويقرأ ويكتب. وأنا أراه فقط حين يأكل أو ينام. إنه معافى ومنشرح الصدر.

9 يناير. أبديت اليوم نشاطاً أقل، بالرغم من أنني استيقظت في الساعة العاشرة. استنسخت بتكاسل. وأعطيت درساً واحداً لميشا. ثم أظهرت لأندريوشا كيفية العزف بأربع أيدٍ. وبعد ذلك تناولنا طعام الغداء. وبعد الغداء كتبت قليلاً وطالعت رواية زاسوديمسكي «عند الموقد الملتهب»، إنها جيدة جداً، وكتبت بصدق، وأثرت في لحد ذرف الدموع. عزفت مع تانيا بأربع أيدٍ «سوناتا كريتسر»، – بصورة رديئة، من الصعب عزفها من دون التدرب على عزفها مسبقاً. في المساء عانى أندريوشا من وجع الأسنان. وحملت فانيتشكا وكان يشخر. أي صبي رقيق ولطيف ونحيف وذكي هو! أنا أحبه جداً وأخشى ألا يبقى على قيد الحياة. إنني غالباً ما أرى في الحلم بأنني سألد صبياً آخر. ترجمت رسالتي إلى «فيجارو» ونشرت في «روسكيه فيدوموستي» ولكن بشكل خاطئ منحرف عن الأصل، ولذا بدت في غير محلها كلمة *السمعة*. كتبت رسالتين إلى أختي تانيا وجي الأب. سأذهب للرقاد. الآن أعددت الوثائق والخرائط والنقود لكي أسافر غداً إلى تولا لقضاء بعض الأعمال.

10 يناير. استيقظت في الساعة العاشرة، ولم أسافر إلى تولا. عملت في الصباح في تفصيل ملابس ساشا الداخلية. استنسخت قليلاً. قدمت بنجاح وبكل حماس دروس الموسيقى للأطفال، بينما علمت أندريوشا طقوس القداس. إنه عنيد ومشتت البال، كما لو أنه لا يصغي ولا يفهم عن قصد. وكلما بذلت جهدي أكثر في تعليمه تراه يزداد فظاظة وعدم اهتمام. وهكذا

يعذبني! يا للصبي المسكين سيلقى الأمرين في الحياة بطبعه هذا! بعد الغداء ذهبت جميع البنات الثلاث إلى ياسينكي وعدن مع إيرديلي الذي وصل بقطار الركاب السريع: إنه سيذهب إلى والدته. إنهن جلسن زوجاً زوجاً مثل الطيور وتهامسن طوال المساء مع ماشا حول أمر ما. قرأنا بصوت عال نقد سولوفيوف لأعمال فيت و«الشعر الغنائي»، إنه نقد بارع لكنه غير كاف. كما قرأنا قصة سخيفة. ومن ثم لعب ليوفوتشكا ونيقولاي نيقولايفتش الشطرنج مع ألكسي ميتروفانيتش، الذي لعب، من دون أن يتطلع إلى سير اللعب، وأثار دهشتنا جميعاً. كتبت رسالة إلى أخي فياتشيسلاف. ليوفوتشكا معافى ومرح ونشيط جداً. دار بيننا الحديث حول أن الرقابة تعيق الكتاب دائماً عن قول رأيهم، وهو أهم شيء، كما أكدت على أنه يوجد إلى جانبها أعمال فنية خالصة وحرة، لا تستطيع الرقابة التعرض لها، ولو مثلاً «الحرب والسلام». وقال ليوفوتشكا باكتئاب إنه تبرأ من هذه المؤلفات، ويبدو أن الحدة في أعماقه متأتية عن حظر «سوناتا كريتسر». وقد أشار إليها.

12 يناير. سافرت يوم أمس إلى تولا، وبعت الكوبونات، وقدمت الطلب بشأن تقاسم الأرض في أوفسيانيكوفا مع زوجة القس، والتي تعود ملكيتها المشتركة إلينا. وقد تنقلت أربع مرات بين محكمة القضاء وإدارة المحافظ، وكانت هذه الدائرة ترسلني إلى الأخرى، بزعم أن القضية ليست من اختصاصها. وهكذا غادرت من دون إنجاز أي شيء. إنني لم أمتحن بمثل هذا الغم، كما في يوم أمس حين كنت جالسة في مكتب المدعي العام (دافيدوف) وأنتظر المحلف الذي تأخر في القدوم. إن إنجاز *المعاملات الرسمية* يتسم بالصعوبة والكآبة، ومن الأسهل القول: أنا مسيحي ولا أستطيع عمل أي شيء، وهذا ليس من قواعدي! والآن سأكلف بأداء هذا العمل رجل أعمال حقيقي، فأنا لا أستطيع السفر إلى تولا باستمرار وبلا توقف. لقد تعبت، وكانت الريح شديدة، إنها كالعاصفة تماماً. مررت على أسرة دافيدوف لفترة قصيرة، ووجدت هناك تشيلوكايفا الظريفة بحيويتها وذكائها. مساء في بيتنا احتفلنا بعيد القديس شفيع ميشا، لقد ابتهج فانيتشكا للغاية، وكانوا بانتظاري في موعد الغداء. ازدادت سخونة فانيتشكا في

الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وصار يسعل بشدة، ولم يكن بودي أن أنهض، لكنني تمالكت نفسي وتمشيت معه، وهدأته. واليوم استيقظت في وقت متأخر، وهو يوم القديس شفيع تانيا، لكننا انشغلنا في تعليم الأطفال، وعزف أندريوشا فترة طويلة. أما ميشا فقد عبس وكان عنيداً. جاء ليوفا مع فيرا تولستايا من بيروجوفو. كما جاء فانيا وبيتيا وهما من أسرة رايفسكي في وقت الغداء. وساد ما يشبه جو عيد القديس الشفيع، فمارسنا الألعاب المختلفة مع الأطفال، وقد ابتهج فانيتشكا لهذا. وكان ينتقل من يد إلى يد طوال اليوم. إنه ملتهب بالسخونة ويسعل، لكنه بلا اكتئاب.ثم ذهبنا جميعاً إلى كوزلوفكا لتوديع كوليتشكا جي. وردت رسالة من فاريا ناجورنوفا ومسودات تصحيح «سوناتا كريتسر». وتسير الأمور نحو حل المشكلة، فماذا بعد؟ هل ستمنع الرواية أم لا، وماذا يجب أن أفعل؟

الوقت ضيق ولا يكفي لعمل أي شيء: لا القراءة ولا العمل. غداً سأقرأ المسودات وأقوم بتفصيل الملابس. أشعر بخواء روحي وبالوحدة.

13 يناير. فانيتشكا مريض. لم ينهض عند منتصف النهار، وبحلول الساعة الثانية بلغت درجة حرارته 39 و40، وفي الساعة التاسعة تكرر الأمر. في الليل سعال والبلغم سد البلعوم، وصار يختنق ويلتهب بالسخونة. الزكام مستمر، واليوم بدأ يشعر بوجع في أذنه. وانتابني الحزن والإجهاد. في وقت الفراغ من العناية بفانيتشكا عملت كثيراً في تصحيح مسودات المجلد 13 وبضمنه «سوناتا كريتسر». وساعدتني ماشا كوزمينسكايا. غادرت فيرا تولستايا، وودعتها البنات. ذهب ليوفوتشكا وليوفا مساء إلى كوزلوفكا. زمهرير ودرجة الحرارة 24 تحت الصفر. في الليلة الماضية شعر فانتشكا بالاختناق، فهرعت إلى ماشا وسألتها فيما إذا يوجد لديها عقار للتقيؤ. كانت نائمة واستيقظت فوراً. وهبت عن طيب خاطر للبحث عن عقار جذر الأيبيكاكوانا، وعندما نهضت واستدارت نحوي بوجهها تراءى لي أنه يفيض بالرقة والطيبة والتعاطف، وكانت أول حركة لي أنني احتضنتها وقبلتها. وأثار ذلك دهشتها! وأنا طوال اليوم أرى هذا التعبير الطيب وأحبها. لو أنني استطعت الاحتفاظ دوماً بهذا الشعور نحوها، لكنت سعيدة! سأعمل جهدي.

14 يناير. تحسنت صحة فانيتشكا. درجة الحرارة ارتفعت ظهراً إلى 83.5، لكنها هبطت فيما بعد، وغدا السعال خفيفاً، وابتهج. سافر ليوفا إلى موسكو. جاء كلوبسكي. إنه مكروه للغاية، فيه شيء من الغموض. كتبت رسالة إلى ميشا ستاخوفيتش رداً على رسالته، كما كتبت رداً على رسالة فيرا ناغورنايا. استنسخت قليلاً، وأعطيت درساً لأندريوشا (في القداس) ولميشا (حول العشاء الرباني).وبعد الغداء انشغلت مع فانيتشكا، ثم استنسخت يوميات ليوفوتشكا، حيث انتقلت إلى عام 1854، وجلست في الطابق الأسفل مع البنات. إن دماغي نائم كلياً. في المساء أعددنا العدة لميتروخا للسفر إلى موسكو، وأبدى همة في ذلك على الأخص كل من أندريوشا وميشا ومنحاه 50 كوبيكاً من مدخراتهما ومعطفاً. البرد قارس. ليوفوتشكا كئيب وسريع الانزعاج. كم أخشى حدة لسانه السليط وتهكمه. إنه يحز في قلبي حتى أقصى درجة من الحساسية.

15 يناير. يدور صراع عنيف ما الآن. في صباح اليوم الأطفال يدرسون في الطابق الأول، وهناك هذا الكلوبسكي. قال مخاطباً أندريوشا: «لماذا تدرسون، وتزهقون أرواحكم؟ فأبوكم لا يرغب في ذلك؟». وفور ذلك أعربت البنات عن استعدادهن لمصافحة يده النبيلة امتناناً لهذه الكلمات. وجاء الصبيان إليّ وأخبروني بهذا. ووجب عليّ أن أؤكد لهم كل التأكيد بأن العمل الذهني يبرر دوماً حياتنا كسادة، ولولا العمل سيبقى الموجيك[1] الحقيقي الذي لا يمارس العمل الذهني مجرد إنسان عاطل فحسب، وإنني أتولى تربيتهم لوحدي، وإذا ما أصبحوا غير متعلمين فإن العار كله سيقع علي، وسيؤلمني أن يضيع جهدي كله.

16 يناير. ذهبت إلى تولا مجدداً لقضاء الأعمال. ترددت على المؤسسات والتمست بصدد بعض القضايا كل الالتماس، ورأيت كثيراً من الناس وتحدثت كثيراً جداً. الأعمال: إجراء معاملة التملك في جريفنوفكا، وتقاسم الأرض مع زوجة القس في أوفسيانيكوفا، بيع الأخشاب. بالمناسبة صححت جواز سفر بيوتر فاسيليفتش. زرت رايفسكايا، وتناولت الغداء

---

1 – الموجيك – الفلاح الأمي الجلف. (المترجم)

عند زينوفييفا. إن مانيا الصغيرة تشبه فانيتشكا، وقد جلست في أحضاني وقبلتني في خدي.

انطلقت راجعة إلى البيت، ورحت أصلي باستمرار وتذكرت أعدائي. وقررت أن أكتب رسالة ودية إلى بيريوكوف، وقد كتبتها. وقررت أن أتبادل المودة مع زوجة القسيس، فكتبت لها أيضاً. كما كتبت رداً للسيدة إيكسكول بشأن طلبها في نشر قصتي «اليعبوب» (قصة حصان) و«بوليكوشكا» من أجل عامة الناس.وقد رفضت نشر الأولى وسمحت بنشر الثانية. كتبت لسريوجا وأرسلت له بيان تنفيذ تملك الضيعة في جرينوفكا. كان الجميع في البيت مرحين، وكلهم على ما يرام كالعادة. كما قررت أن أساعد بواسطة ماشا عوائل الفلاحين الذين حكم عليهم بالسجن بسبب سرقة الأخشاب.

17 يناير. استيقظت متأخرة وبكسل. إن رحلة يوم أمس قد أنهكتني. كتبت رسالة لليوفا، واستنسخت يوميات ليوفوتشكا وأنهيت كراسة اليوميات القوقازية. أعطيت لأندريوشا درساً في القداس الإلهي. كما أمضيت ساعتين في تدريس الموسيقى للولدين. إنهما يتعلمان بصورة جيدة وبمودة. وبعد الغداء استنسخت مجدداً، واعتنيت بفانيتشكا، إنه يشعر بوجع في أذنه، وكان يبكي. قرأنا بصوت عال رواية فرنسية، تبعث على السأم جداً. وفي أثناء الغداء جرى حديث ساخر حول ماذا لو قام جميع السادة خلال أسبوع بالعمل بدلاً من الخدم. فعبس لوفوتشكا، ونزل إلى الطابق الأسفل. فذهبت إليه وسألته عما أصابه؟ فقال: «كلام سخيف حول موضوع مقدس. أنا أتعذب أصلاً لكوننا محاطين بالخدم، بينما هم يحولون ذلك إلى مزحة، وهذا يؤلمني، بالأخص في حضور الأطفال». وقد سعيت إلى تهدئته. إنه الآن يجادل ألكسي متروفانوفتش بانزعاج دفاعاً عن ستراخوف.

18 يناير. أشعر بوهن العافية، وتؤلمني بشدة جميع عضلات بطني من الداخل والخارج وأشعر بسخونة خفيفة. وقع حادث مزعج مع المربية. إنها تبدي صلافة منذ يوم أمس، ولا تعتني بالطفل كلياً. واليوم أيضاً جعلتني أبلغ أقصى الموجدة، لأنني نفسي مريضة، وقلت لها بأنني لا أسمح لأي امرأة فاسدة

بأن تردد مثل هذه الصلافة الفظيعة. وعندئذ انطلقت في قول غليظ الكلام، ولولا ارتباطي الأحمق والضعيف بفانيتشكا لطردتها فوراً. أما هو، المسكين، فقد شعر بأن الأمور ليست على ما يرام وراح يتشبث بتنورتها ولم يبتعد عنها، وقال عني: «ماما باي» أي غير طيبة. لو كان جميع الأطفال هكذا! أعطيت درساً لميشا، واستنسخت، وتأوهت، ولم أتناول شيئاً من الطعام، لكنني لم أرقد. إن يوميات ليوفوتشكا شيقة جداً، عن زمن الحرب وسيباستوبول. وذهلت لدى مطالعة صفحة ممزقة بما تضمنته من أمور فاحشة وفظة. إنني لا أستطيع أن أجمع بين مفهومين: *زواج* المرأة وفسق الرجل. *والزواج* لا يمكن أن يكون سعيداً بعد فسق الرجل. وثمة أمر عجيب آخر، كيف عشنا نحن هذه الحياة الزوجية. لقد ساعد في قيام سعادتنا رؤيتي الطفولية وشعور صيانة الذات. فقد أغلقت عيني غريزياً عن ماضيه ولم أطالع عن قصد، من أجل صيانة نفسي، جميع يومياته، ولم أسأله عن ماضيه. وإلا لكنا قد هلكنا نحن الاثنين. كما أنه لا يعرف بأننا كنا سنهلك، وأن نقاوتي قد أنقذته. أظن أن الأمر هو كذلك. إن هذا الفسق الهادئ ووجهة النظر حوله، ومشاهد تلك الحياة الشهوانية تبث العدوى، كالسم، ويمكن أن تؤثر تأثيراً ضاراً في المرأة، المولعة لحد ما بأحد ما. «هذا ما كنت عليه، وأنت دنستني بماضيك، فخذ إذن جوابي هذا لك!». هذا ما يمكن أن تولده في المرأة مطالعة هذه اليوميات.

19 يناير. ما زلت مريضة: الألم في بطني والسخونة. وأعطيت بصعوبة، كما في الحلم، درساً في الموسيقى للأطفال وصححت مسودة طويلة من «سوناتا كريتسر». كيف يمكن أن أعمل كثيراً وجيداً! يؤسفني أنني لم أمارس هذه القدرة في شيء أكثر سمواً ومروءة، من العمل الميكانيكي. لو استطعت كتابة – روايات قصيرة ومشاهد – لكنت سعيدة! وردت من ليوفا رسالة رائعة. لكن، يا ربي، كم هو شديد الإحساس وكئيب ألا توجد لديه القدرة على النشاط الحيوي – لن تكون هناك شمولية وانسجام سواء في حياته أم في عمله، وَاأسفاه!

ثمة خيط خفي يربط ما بين يوميات ليوفوتشكا القديمة وروايته القصيرة «سوناتا كريتسر». وأنا في شبكة العنكبوت هذه مثل الذبابة الطنانة التي سقطت فيها بالصدفة، وامتص العنكبوت دمها.

20 يناير. صحتي أفضل، وبقي الزكام. أصيب ميشا بالإنفلونزا، بينما أصبحا ساشا وفانيا أفضل حالاً. زارنا أيرديلي، إن أمه لا توافق على زواجه من ماشا كوزمينسكايا لمدة ثلاث سنوات أخرى تقريباً. ماشا حزينة جداً، ويبدو أنه حزين أيضاً. وبكينا جميعاً، وأسفنا جداً عليهما، لكننا لم نتفق على رأي. فهو فتى بائس وضعيف. الأطفال مارسوا اللعب، بينما انشغلت البنات في الكتابة، وأنا أيضاً بعد الغداء. وقبل الغداء طالعت سبينوزا، لكنني لم أدرك كنهه ولم أحبه بعد، هذا بالرغم من أن شرحه لمفهوم *الرب* يرضيني تماماً وهو يتفق مع مفهومي. قرأنا قليلاً رواية فرنسية. وردت مسودة نهاية «سوناتا كريتسر». فقرأتها، والحمد لله، بدون القلق الذي ساورني سابقاً أجريت التصحيح مرة واحدة. ليوفوتشكا لا ينام جيداً، ولا يستطيع الكتابة. أصبح الجو في الصباح أكثر دفئاً، درجة واحدة ونصف تحت الصفر، لكن الآن بلغت 7 درجات مجدداً.

23 يناير. لم أكتب اليوميات خلال ثلاثة أيام. فقد حل الضيوف عندنا على مدى الأيام الثلاثة الماضية وهم: رايفسكايا وأيرديلي وألكسندر ألكسندروفتش بيرس. قضيت اليوم كله في فراغ، وأنا أبديت النشاط ببلاهة. يوم أمس ذهب ليوفوتشكا إلى تولا مشياً على الأقدام. كان الجو دافئاً وجاء رايفسكي إلينا صباحاً مشياً على الأقدام من أجل لقاء زوجته، وقد أغرى ذلك ليفوتشكا في أن يحذو حذوه. فتناول الغداء لدى أسرة زينوفييف (لم يكن الأب موجوداً) وأمضى المساء لدى أسرة رايفسكي. وعاد بالقطار مع ألكسي ميتروفانوفتش. كما كان سريوجا في تولا أيضاً، وجاء إلينا اليوم. وقد تبادلوا الأحاديث حول كل شيء، بينما جلسنا نحن الثلاثة – هو وتانيا وأنا فناقشنا أموراً كثيرة: الأعمال والحياة الزوجية ومسألة ماشا كوزمينسكايا وأيرديلي. وبعد الغداء رحل، بينما انهمكت في خياطة الملابس بالماكينة. رأسي وعيناي، كل شيء يؤلمني بسبب الزكام الشديد. وقد أصيب بالإنفلونزا الجميع بلا استثناء. وأنا بليدة بسبب المرض.

25 يناير. استيقظت في وقت مبكر صباحاً، الزكام واعتلال الصحة. سافرت إلى تولا، كان الجو صاحياً ودافئاً. التقيت ليوفوتشكا عند الجسر.

كان عائداً من النزهة منبسط الأسارير وصافي القلب، ويسرني دائماً وأبداً أن أراه لاسيما بصورة مفاجئة. كانت الأعمال في تولا متباينة: استلام النقود لقاء بيع الخشب، واتفقت تقريباً مع القس في أوفسيانيكوفا بصدد تقاسم الأراضي وتنازلت له عن كل شيء. زرت أسر رايفسكي وسفيربييف وزينوفييف حيث التقيت أرسينييف رئيس النبلاء في المحافظة. وقد لاحظت للعام الثاني بأنهم صاروا يعاملوني كامرأة عجوز. هذا شيء غير مألوف لكنه لم يحز في نفسي كثيراً. كم هي قوية هذه العادة التي يتحسسها المرء بأنه يوجد تحت سلطته كل ما ينسب إليك بشيء من المودة، إن لم أقل – من المحبة – الآن أريد من الناس المزيد من الاحترام والعطف.

بعد تصحيح «سوناتا كريتسر» (مسودة الطباعة) في المساء ورد في خاطري أن المرأة تعشق في شبابها بقلبها مباشرة، وتهب نفسها إلى الرجل المحبوب بكل رضى، لأنها ترى أن هذا يجلب له المتعة. أما المرأة في سنوات النضج فإنها تدرك على حين غرة، لدى التطلع إلى الوراء، أن الرجل يحبها دائماً فقط عندما يحتاج إليها، وفجأة تتحول اللهجة الحانية إلى لهجة تتسم بالحزم والصرامة أو بالنفور، فوراً بعد إرضاء الرغبة.

وعندئذ فإن المرأة التي كانت خلال فترة طويلة تغض النظر عن كل شيء، تشعر نفسها بالحاجة إلى إرضاء هذه الرغبة، ويزول ذلك الحب النابع من القلب والعاطفة، وتفعل الشيء ذاته، تطلب من الزوج في فترات معينة إرضاء رغبتها. والويل لها إن كان لا يحبها في ذلك الوقت، والويل له إذا ما كان عاجزاً عن تلبية رغبتها. ولهذا السبب تقع جميع المآسي العائلية وحوادث الطلاق المفاجئة في سن الكهولة والشيخوخة والبشعة. وتبقى هناك السعادة فقط، حيث تكون الروح والإرادة في صراع مع الجسد والشهوة. ولا يصح ما يرد في «سوناتا كريتسر» كل ما يتعلق بالنساء في أعوام الشباب. فالمرأة الشابة تفتقر إلى تلك الشهوة الجنسية، بالأخص المرأة الحامل أو المرضعة. فإنها امرأة لمرة واحدة كل عامين فقط! ويستيقظ الشبق في سن 30 عاماً.

عدت من تولا في حوالي الساعة السادسة وتناولت طعام الغداء وحيدة. وقد خرج ليوفوتشكا للقائي لكنه لم يلتق بي، مما أثار الكدر الشديد في نفسي. لقد أصبح أكثر لطفاً في الفترة الأخيرة، إلا أنني أريد مجدداً ومجدداً

الانسياق إلى الخداع السابق، بيد أنني لا أستطيع التفكير حالياً في أن هذا نابع من الشيء ذاته - من أنه صار معافى أكثر، واستيقظت لديه الشهوة السابقة المعتادة.

أجهدت نفسي المساء كله في العمل في تصحيح «سوناتا كريتسر» و«الخاتمة» وراجعت الحسابات. وسجلت كل شيء لإرساله إلى موسكو: البذور والمشتريات والمعاملات.

26 يناير. نهضت في الساعة العاشرة صباحاً. جاء فانيتشكا، فتم إلباسه، وأخرج للنزهة. راجعت مسودات الطباعة ليوم أمس مرة أخرى، وأنهيتها. وراجعت مرة أخرة كتالوج البذور ودونت شيئاً ما إضافة لذلك. أعطيت درس الموسيقى لأندريوشا وميشا. إن أندريوشا عنيد للغاية ويبعث على النفور أثناء الدرس. والآن ألتزم بلهجة من الصعب تغييرها. جاء أبناء أسرة سفيربييف مع الإنجليزية، وولدا رايفسكي وسريوجا بيرجر. مارسوا شتى الألعاب، ثم خرجوا للتزحلق من الربوة. وأنا التقيت إيفان ألكسندروفتش، البائس لضعفه بسبب الآلام، ويبدو كالطفل. ثم ذهبت إلى ليوفوتشكا وطالعت سوية معه رسالة العجوز جي، وقلت له إنني أحب من بين أتباعه ابن جي، نيقولاي نيقولايفتش جي والأمير خيلكوف. وأضفت بأن هذين الرجلين تلقيا التربية الجامعية ويحتفظان بالتقاليد القديمة، وفي هذا تكمن قوتهما وروعتهما، وكل مغزاهما وخلفيتهما، وسنرى كيف سيشب أبناؤهما وماذا سيحدث *لهم*. فاتخذ ليوفوتشكا فوراً لهجة تنم عن النفور والانزعاج، وتحول الكلام إلى حديث مزعج، وأشرت له إلى ذلك بهدوء، لكنني انصرفت بشعور بغيض تجاهه. لو يعرف الآخرون ما أقل اللطف والطيبة الحقيقية فيه وما أكثر ما ينبع من *المبدأ وليس من القلب لديه*.

انصرف الجميع للنوم، وذهبت إلى مخدعي أنا أيضاً. ليخلصني الرب هذه الليلة من تلك الأحلام الخاطئة التي أيقظتني صباح اليوم.

4 فبراير. لقد عانيت الكثير خلال هذه الفترة. ففي ليلة 27 سافرت إلى موسكو لقضاء بعض الأعمال. وكانت جولاتي هناك غير شيقة كثيراً. فقد

تناولت الغداء في اليوم الأول لدى أسرة مامونوف وفي المساء تناولت العشاء لدى أسرة أوروسوف، ورافقت تانيا وليوفا في الحفلة الموسيقية. جرى عزف سوناتا كريتسر (غرجيمالي وبوزنانسكايا)، واعتمدت الحفلة كلها على عزف بوزنانسكايا على البيانو. شعرت بالتعب البالغ، وكان الجو حاراً، ولم أستطع متابعة الحفلة، ولو أنني شعرت بأن عزفهما كان جيداً. في صباح اليوم التالي اشتريت ضيعة جرينوفكا مقابل 7600 روبل في بنك موسكو، وقدمت طلباً للرهن في بنك دفوريانسكي. تناولت الغداء لدى أسرة فيت، وثرثرت كثيراً من نافل القول، والشيء الرئيس كان من السخف والحماقة أن أتحدث حول عدم حب ليوفتشكا لي بقدر كاف. في المساء وجدت في البيت دونايف وأجريت معه تسوية الحسابات الخاصة بممثل التعاونية. قال العم كوستيا مرة حول دونايف: «ذاك الذي يطلق الحسرات بشأنك»، مما أفسد علاقتي بدونايف إلى الأبد. ولو أنه رجل بسيط وطيب القلب. في صباح يوم الثلاثاء جاء كوزمينسكي مع ماشا قادمين من ياسنايا، وقد فرحت لمعرفة أحوال البيت. جلسنا حوالي ثلاث ساعات، وثرثرنا بمرح، وتناولنا طعام الفطور، وضحكنا. كما كان هناك كل من تانيا وليوفا وفيرا بتروفنا مع ليديا أوبولينسكايا وأنا. ثم جاء أوروسوف فذهبنا لزيارة أسرة شيدلوفسكي. وفي يوم الأربعاء زرت أسرة سيفيرتسيف. وكان هناك العم كوستيا والزوجان ميشيرينوف، ودار الحديث حول الزواج والحب. وفي يوم الخميس زرت دياكوف وكذلك ليزا وفاريا وماشا كولوكولتسيفا، وشعرت بالارتياح هناك جداً، فالجو ودي، كما في البيت. أنهيت الأعمال بنجاح، لكن شغل بالي ليس الناس والأعمال، بل ليوفا فهو غارق في حياته الفكرية المعقدة، ومحاولاته في الكتابة، وجميع المواقف غير السارة من الحياة. وقرأ لي قصته «مونت كريستو»، وهي مؤثرة جداً وتولد تأثيراً قوياً في المشاعر – إنها قصة شبه طفولية. وقد أرسل القصة الأخرى إلى صحيفة «الأسبوع» – نيديليا – حيث وعده جايديبوروف بنشرها في عدد شهر مارس. وهذا سر وطلب مني عدم كشفه لأحد. وراودتني على حين غرة فكرة بهيجة – إن هذا الجو الفني والفكري المحيط بي – لن يزول إذا ما بقيت على قيد الحياة بعد ليوفوتشكا، وسأواصل بولدي الاهتمام ومتابعة

ما أفعم به وجودي من أمور شيقة وطيبة. وسأواصل حبي له أيضاً، وبسببه سأواصل حياتي وأبيه. وماذا سيهب لي الرب غير هذا!

والأمر الآخر الذي أثار اهتمامي هو أنني لدى عودتي إلى البيت وجدت ميشا ستاخوفتش، وسمعت منه لأول مرة اعترافاً غير متوقع البتة حول إعجابه بتانيا: Татьяна Львовна ,mais j`ai longtemps taché de meriter elle ne m`a jamais donné aucun espoir [1]. نحن كنا نعتقد دوماً أنه كان يميل إلى ماشا، وعندما رويت لتانيا هذا الأمر، وجدت أنها اضطربت بشدة. أنا كنت سأشعر بالسعادة لو أنها اقترنت بميشا ستاخوفتش. فأنا أحبه جداً، ويعجبني بصفته أحد الشبان الذين أعرفهم، ويمكن أن أتمنى بأن أعطي الشخص المحبوب ابنتي المحبوبة.

كنا جميعاً في غاية الانشراح في هذه الأيام: فقد جاء كيرن مع زوجته وأبناء رايفسكي الصبيان ودونايف مع المازوف. لكن ستاخوفيتش جلب البهجة أكثر من الجميع. ومارس الأطفال التزلج على المصاطب في القرية في يومي العيد، الثاني من فبراير ويوم الأحد، بينما زرت يفليانا العمياء، والدة ميتروخا، الذي يرافق ليوفا، ورويت لها كل شيء عنه، وقد أسعدني أن أجلب لها هذه المسرة.

اليوم أعطيت الدروس للأطفال. أندريوشا لم يفعل شيئاً في غيابي ولم يحفظ الدروس. فاستشطت غضباً وطردته. يا رب! كيف يعذبني ويحزنني! ليوفوتشكا ليس معافى جداً، لكنه ذهب اليوم على صهوة الجواد إلى ياسينكي، وبعد الغداء عزف ألحان شوبان، ولا يؤثر في أي عزف مثل عزف ليوفوتشكا، ففيه الكثير من المشاعر بصورة عجيبة، ودائماً يولد الشعور المطلوب. وقال لتانيا إنه يفكر بكتابة عمل روائي كبير. كما أكد ذلك لستاخوفتش. قررت ماشا فجأة الذهاب إلى بيروجوفو، لكن الجو بارد، فمنعتها لأنه بح صوتها، ودرجة الحرارة 15 تحت الصفر. ولم يحزنها النبأ حول أن ستاخوفتش يحب تانيا أكثر. فمنذ وقت بعيد كان يقال لها العكس.

---

1 – لقد سعيت فترة طويلة لكسب ود تاتيانا لفوفنا، لكنها لم تمنحني الآمال أبداً (بالفرنسية). (المترجم)

تانيا في تولا مع Miss Lydia حيث التقطت صورة فوتوغرافية جديدة. إنها كانت في عجلة من أمرها بشأن ستاخوفتش الذي طلب صورتها. إنها قلقة، وهذا حق. ومرة أخرى هنا...هذا ما يعطيه الرب.

6 *فبراير.* استيقظت في الساعة العاشرة، ورأيت في الحلم صغيري المرحوم بيتيا، وجاءت به ماشا من مكان ما محطماً وممزقاً، وقد صار كبيراً مثل ميشا، وشبيهاً به. إننا فرحنا بأحدنا الآخر، ورحت طوال اليوم أراه أمامي في شبه القتامة تلك، حيث رقد مريضاً. عملت اليوم كله في التفصيل والخياطة وأنجزت صنع سروالين من أجل أندريوشا وميشا وأنهيت صنعهما بحلول المساء. قرأ ليوفوتشكا في المساء «دون كارلوس» لشيللر، بينما أنا انهمكت في الحياكة. الآن الساعة 11 مساء، وقد انطلق ليوفوتشكا على صهوة الجواد إلى كوزلوفكا لجلب الرسائل. ذهبت البنتان للرقاد، وكلتاهما في حال اضطراب وقلق وحتى الشعور بالتعاسة منذ أن ذاع النبأ حول مشاعر م. ستاخوفتش.أطالع «Physiologie de l`amour modern» وأنا لا أفهم الموضوع، وقد بدأت لتوي في القراءة، لكنه لا يعجبني.

ليوفوتشكا يمتع النظر بفانيتشكا ويلاعبه. وراح مع ساشا يضعه في سلة فارغة ويغلق الغطاء ثم يجرجرها في أرجاء الغرفة. ويرافقهما أندريوشا وميشا. إنه *يتسلى مع جميع الأطفال، لكنه* لا يتولى *تعليمهم* البتة.

7 *فبراير.* تانيا مريضة، ولديها سخونة 39.3، تشعر بآلام في الساقين، ووجع في الظهر والبطن. أعطيت دروساً كثيراً لأندريوشا وميشا. ميشا يعاني طوال الوقت من وجع الرأس، وهذا يقلقني. لا ترد أية أنباء من ليوفا، وهذا الأمر يكدرني جداً: هل هو مريض؟ وردت رسالة من مانيتشكا ستاخوفتش، بينما انتظرت رسالة من ميشا. أود في المساء الثاني الذهاب إلى كوزلوفكا مع ليوفوتشكا، لكنه ذهب إلى هناك على صهوة الجواد، كما لو كان ذلك عن قصد. إنه يبدو من جديد عبوساً ومتكلفاً ويبعث على النفور. مساء أمس غضبت منه جداً بصمت. فهو لم يدعني أنام حتى الساعة الثانية. في البداية في الطابق الأسفل واستحم فترة طويلة، وطفقت أفكر فيما إذا مرض. إن

الاستحمام بالنسبة له حدث هام. إنني أسعى بكل قواي لرؤية جانبه الروحي فقط وأتفهمه حين يكون طيب القلب.

9 فبراير. تحقق حلمي مساء يوم أمس في نهاية المطاف، في التزلج بالزحافة في ضوء القمر، في الطريق إلى كوزلوفكا. لقد توجهت سوية مع ليوفوتشكا إلى كوزلوفكا. لكن لم توجد رسائل، ولم ترد أنباء من ليوفا. يبدو أن وضع تانيا صار أفضل، بالرغم من بقاء السخونة 38.6. وكذا حال مرض صغيري فانيتشكا: سخونة أيضاً. الطقس – ريح وزمهرير حيث درجة الحرارة 1 تحت الصفر. أنا اليوم كسولة وحزينة. خطت بزة بحارة من أجل فانيا، وأعطيت درساً في الموسيقى لمدة ساعتين، وطالعت كراسة بيكيتون «طعام الإنسان في الحاضر والمستقبل». المؤلف يتنبأ بأن طعام المستقبل سيكون نباتياً خالصاً في العالم بأسره، وهو كما يبدو على حق. فانيتشكا يسعل، ويؤلمني سماعه.

10 فبراير. تطلق تانيا منذ الصباح وحتى موعد الغداء الأنين، بسبب وجع الرأس الفظيع، ثم ارتفعت درجة الحرارة مجدداً إلى 38.5. وفانيتشكا يعاني من السخونة منذ الصباح حيث بلغت درجة حرارته 39.3. أهذا مرض غريب، وغير معروف! ليس بوسعي القول بأنني قلقة *جداً* لكنني أشفق على مريضي. كما أنني نفسي لست بأتم عافية تماماً، ولم أنم طوال الليل. استنسخت يوميات ليوفوتشكا في سيفاستوبول، إنها شيقة جداً، ومارست الحياكة، وجلست مع المريضين. واستفسرت من أندريوشا عن الدرس الذي لم يحفظه خلال الأسبوع. توجد لدى ماشا في «البيت الآخر» مدرسة تضم كل أصناف الحثالات، ويأتي الأطفال إليها. وساشا تذهب إلى هناك للدراسة أيضاً بسبب مرض تانيا. حصل ميشا على ساعة جديدة وهو راض كل الرضا عنها، إن الأطفال وحدهم يستطيعون الابتهاج لذلك. نادراً ما أرى ليوفوتشكا. إنه يكتب الآن حول العلوم والفنون مجدداً. وقد أراني اليوم مقالة منشورة في«Open Court» ويرد فيها أنه يقول شيئاً ويعيش بأسلوب آخر، مع الإشارة إلى أن زوجته تولّت شؤون الضيعة. وجاء فيها: «نحن

نعرف موقف الناس عموماً، وبالأخص الروس، من الزوجات. فالزوجات لا يتمتعن بالإرادة الحرة». لقد انزعج ليوفوتشكا، بينما الأمر لدي سواء. أنا اعتدت سماع مثل هذه الأقوال.

11 فبراير. مرض أندريوشا أيضاً. حالة فانيتشكا ظهراً أصبحت أفضل، أما الآن، ليلاً، فلديه سخونة مجدداً. جاءت آنينكوفا. الحالة الصحية لتانيا أفضل بكثير. وردت رسالة قصيرة من ليوفا. استنسخت اليوم الكثير من الأمور الشيقة عن حرب سيفاستوبول من يوميات ليوفوتشكا.

عملت، وأعطيت الدروس للأطفال.

12 فبراير. جميع الأطفال مرضى طوال اليوم. وأمراضهم مختلفة: فماشا تعاني من أوجاع في البطن، وتانيا تشعر بألم في المعدة، بينما يعاني ميشا من ألم في الأسنان، وظهر الطفح الجلدي لدى فانيتشكا، وارتفعت درجة حرارة أندريوشا، وتقيؤ، وبدت ساشا وحدها مرحة وبأتم عافية. استنسخت يوميات ليوفوتشكا، وفي المساء أخذ يومياته وصار يطالعها. وقال لي عدة مرات إنه يشعر بعدم الارتياح لكوني أستنسخ يومياته، بينما أفكر في دخيلة نفسي: «هيا، اصبر على عدم الارتياح هذا، إذا ما عشت تلك الحياة الفاسقة». واليوم أثار ضجة كبيرة وقال إنني أؤلمه من دون أن أشعر بذلك، وإنه أراد حتى إتلاف هذه اليوميات، ولامني سائلاً هل يسرني لو جرى تذكيري بما يعذبني من أفعال غير محمودة، وهكذا دواليك من أمور كثيرة. فقلت له رداً على ذلك بأنه إذا ما كان يتألم فأنا لا أشفق عليه، إذا ما أراد إحراق اليوميات، وليحرقها، وأنا لا أعتز بأعمالي. واذا ما أردنا تحديد من يعذب من، فإنه بروايته الأخيرة وجه لي أمام العالم بأسره طعنة مؤلمة جداً، يصعب وصفها. إن أداته أكثر قوة وأمضى، وبوده أن يبقى أمام العالم بأسره فوق المنصة التي بناها لنفسه بجهد جهيد، أما يومياته السابقة فإنها تضعه في تلك القذارة التي عاش فيها، ولهذا يتكدر.

أنا لا أعرف سبب ربط «سوناتا كريتسبر» بحياتنا الزوجية، لكن هذا واقع، فالجميع أشفقوا علي، بدءاً من القيصر وختاماً بشقيق ليف نيقولايفتش،

وبأفضل أصدقائه: دياكوف. ولا حاجة في البحث لدى الآخرين، فأنا نفسي أحسست في أعماق قلبي بأن هذه الرواية موجهة ضدي، وأنها أصابتني فوراً بجرح، وأذلتني أمام سمع وبصر العالم بأسره، وقضت على آخر حب بيننا. هذا بالرغم من أنني لست مذنبة أمام زوجي في القيام بأية حركة، وبأية نظرة إلى آخر طوال حياتي الزوجية! فهل وجدت في قلبي القدرة لحب شخص آخر، ولكن هل حدث صراع داخلي - هذه مسألة أخرى - فهذه المسألة تخصني *وحدي*، إنها من أقدس مقدساتي، ولا يحق لأي أحد في العالم أن يمسها، ما دمت باقية طاهرة.

أنا لا أعرف لمَ كشفت لليف نيقولايفتش، لأول مرة، مشاعري حيال «سوناتا كريتسر». فقد كتبت الرواية منذ وقت بعيد. لكن كان لا بد أن يعرفها إن عاجلاً أو آجلاً، وأنا قلتها بصدد الملامات بأنني *«أجلب له الألم»*. وهكذا أريته *«آلامي»*.

يوم مولد ماشا. إنه صعب الآن، كما كان صعباً منذ 20 عاماً.

13 فبراير. حديث الأمس قلب روحي رأساً على عقب، وعقد ميثاق هادئ بأن نعيش بقية حياتنا سوية بمودة وهدوء أكثر قدر الإمكان.

ما زال الأطفال يعانون من المرض: سخونة لدى أندريوشا طوال اليوم، والضعف وأوجاع الرأس تلازم تانيا وماشا، وميشا مصاب بألم الأعصاب (نورالجيا). جلست طوال اليوم مع الأطفال وأنيكوفا وعملت. قمت بتفصيل جلباب من أجل أندريوشا، ورتقت الجوارب، وخطت غطاء وسادة. في المساء واصل ليوفوتشكا قراءة «دون كارلوس» لشيللر أمامنا واختتمها. تلقينا رسائل: أنا من ليوفا، وليوفوتشكا من الكونتيسة ألكسندرا أندرييفنا تولستايا، وكلتاهما طيبتان. تانيا تبدو غريبة وفي حالة هستيرية. حياتي اليومية ومشاغلها والأطفال والأمراض، يبدو كما لو أنها شلت لدي مجدداً كافة الجانب الروحي، وروحي نائمة بألم.

15 فبراير. منعني ليوفوتشكا تقريباً من استنسخاخ يومياته مما أثار أسفي، فقد استنسخت حتى الكثير منها وبقي القليل من الدفتر الذي كنت أستنسخه

الآن. لكنني أواصل الكتابة خفية عنه، وسأختتمها حتماً. فقد قررت منذ وقت بعيد وبثبات وجوب ذلك. جميع الأطفال بصحة جيدة. وردت برقية من ليوفا بأنه لن يسافر غداً إلى جرينوفكا فلديه مشاغل بموسكو. تلقيت رسالة من ميشا ستاخوفتش حول المبارزة بين لومونوسوف وفادبولسكي، وتأملت بهذا الصدد أفكاره وهي صحيحة تماماً، فإنها جريمة *قتل، مثل غيرها*. كما أنه يدعوني إلى بطرسبورغ من أجل إجراء محادثات مع القيصر حول موقف الرقابة من ليوفوتشكا، وهو يعلق الآمال الكبار على مجيئي ومحادثاتي مع القيصر. إنني كنت سأذهب إلى هناك لو كنت مطمئنة على البيت والأطفال، وكذلك لو أحببت «سوناتا كريتسر»، ولو كنت واثقة من مستقبل عمل ليوفوتشكا/الأدبي. أما الآن فمن أين لي الطاقة، ومن أين أحصل على دفقة الروح، التي تجعلني أؤثر بشخصي، بما لدي من حكمة وقوة الإقناع والسلطة، على القيصر الملتزم جداً بقناعاته؟ إنني لا أتحسس أكثر تلك السلطة الشخصية على الآخرين، التي كنت أتحسسها بقوة منذ وقت قريب.

ذهبنا إلى كوزلوفكا لاستلام الرسائل: ليوفوتشكا على صهوة الجواد، وتانيا وماشا وإيفان ألكسندروفتش وأنا في الزحافات.

ليلة مقمرة مذهلة، الثلج يتألق بنعومة، وأملس، الطريق رائع، زمهرير، سكون. درجة الحرارة عندنا 12 تحت الصفر، لكنها في العراء أكثر دائماً. مضيت في الطريق وأنا أفكر بفزع في حياة المدينة. كيف يمكن أن أعيش مجدداً من دون جمال الطبيعة هذا، ومن دون هذه الرحابة وراحة البال التي يتمتع بها المرء في القرية؟

16 فبراير. إن رسالة ستاخوفتش قد أثارت البلبلة في أعماقي مما جعلني أرى في أحلامي القيصر والإمبراطورة، وأفكر طوال الوقت في السفر إلى بطرسبورغ. إن التكبر يلعب دوره الرئيس، وأنا لن أنصاع إلى ذلك ولن أسافر. لقد أراد ليوفوتشكا أن يسافر مع ماشا إلى بيروجوفو لكنه عدل عن ذلك. وأنا أعرف السبب في بقائه، أنا أشعر بذلك من لهجته كلها لدى التحدث معي.

عملت طوال اليوم بهمة ونشاط في تفصيل الملابس وخياطتها بالماكينة. أنا أواصل مطالعة «Physiologie de l`amour modern» وجذب

انتباهي تحليل الحب الجسدي. أعطيت الأطفال الدروس في الموسيقى، ونحن نحقق تقدماً بخطوات وئيدة، لكننا نتقدم، أندريوشا يعزف سوناتا بيتهوفن، وميشا - هايدن. يتمتع ميشا بقدرات أكبر بما لا يقاس. قامت ماشا وأندريوشا وألكسي ميتروفانوفتش بتعليم البنات وخادماتنا في المساء، في «البيت الآخر». ماشا شاحبة الوجه، وبائسة، لكن يوجد فيها شيء من الحزن المؤثر. أما تانيا فعكرة المزاج، ومضطربة وتنتظر أمراً ما.

17 فبراير. وردت رسالة من ليوفا: لقد أصابه المرض، ويبدو أنه يعاني مما عاناه الأطفال في ياسنايا. وربما هو مرض آخر. على أي حال لا يمكن أن أكون هادئة، بالرغم من أنه يكتب بنفسه، وبلهجة صادقة ولا تنم عن وجود خطر. إيليا في موسكو أيضاً، وعمل في بيع البرسيم. كتبت رسائل إلى ليوفا وأختي تانيا وم. ستاخوفتش. جميع الرسائل سيئة. جاء إلينا نيقولاي نيقولايفتش مع زوجته، وجلب لوحته الجديدة: الخائن يهوذا ينظر إلى حشد يبتعد في الأفق. ضوء القمر جيد، والفكرة والموضوع جيدان، لكن الأداء ضعيف، ولا يرضي المشاهد البتة، كما لو أنها مجرد صورة وليست لوحة فنية. لكنها ترى بشكل أفضل في النور الساطع. قضيت النهار كله مع آنا بتروفنا جي، وتعبت بلا مشاغلي العادية. ذهب ليوفوتشكا على صهوة جواد إلى تولا، وعاد سريعاً جداً، بعد أن لم يجد أسرة دافيدوف في البيت، ووجه الدعوة عبر شخص آخر للمجيء لمشاهدة اللوحة. ليوفوتشكا يفيض نشاطاً، لكن عكرت مزاجه المخاوف. إنه تارة يتوجه إلى بيروجوفو وتارة إلى تولا، وكف عن تناول الحساء باللحم مجدداً، وتارة أخرى يملي أن تكون القهوة من الشوفان، يبدو أنه ضجر من المعافاة. لكن هذا التململ يبعث على عدم الارتياح لدي. الجميع يتحدثون عن أنه لا يكتب. كان لدى ماشا مجدداً درس مسائي، وأعطته لوحدها وأصابها الإجهاد.

18 فبراير. وصلتني أنباء غير طيبة من ليوفا. جاء في البرقية أن الطبيب قال بأنه يعاني من الحمى العادية كما حدث له قبل عامين، بينما جاء في رسالته أنه في حالة صحية أفضل، لكن حسب قول إيليا - الذي عاد من موسكو - فإن

حالة ليوفا الصحية تشبه ما أصاب الجميع في ياسنايا. أدعو الرب ألا تطول. ستسافر تانيا إليه غداً، أما أنا فسأسافر إلى تولا لتسوية قضية تقاسم الأرض مع زوجة القس في أوفسيانيكوفو. هذا أمر مزعج للغاية وسئمت منه.

قرأنا بصوت عال مع جي وبوتكيفتش قصة «الساعة» بقلم كاتب غير معروف. جرى مع إيليا حديث غير سار حول موضوع إدارة الضيعة والممتلكات. ماشا تذبل وتقلقني، وأنا أرثي لها جداً. تمضي الأيام بلا طعم زد على أنها مترعة بالقلق. أعطيت اليوم درساً في الدين، وجرى بصورة سيئة، وخطت قطع اللحاف وجلست مع آنا بتروفنا.

رياح رهيبة، تبعث على الفزع لدى سماع عويلها.

19 فبراير. كنت في تـولا. ولم أر أحـداً وأي شيء هناك سوى الدكاكين وكاتب العدل والقس والشوارع وإدارة المحافظ. رافقني إيفان ألكسندروفتش. سافرت تانيا إلى موسكو للعناية بليوفا المريض، وأنا سررت لذلك. لكنني لست قلقة جداً. وأعتقد أن صحته أفضل اليوم. إنني أحبه كثيراً لدرجة أنني لا أستطيع التفكير بأن يصيبه مكروه.

خطت وأكلت وتحدثت بوهن، وعموماً أنا مغفلة. زارنا رايفسكي وشاهد لوحة جي. التقيت دافيدوف في الشارع للحظة خاطفة، وسررت كثيراً برؤيته. إنه أحد الذين يتمتعون بظرف خاص. كما أنه فعلاً شخص متميز عن كثير من الآخرين.

20 فبراير. الآن ودعنا العجوزين جي إلى كوزلوفكا. تلقيت رسالتين: من تانيا ومن ليوفا مكتوبتين بقلم الرصاص، حالته الصحية أفضل، في الصباح درجة الحرارة 37، وفي المساء 38.6. كما وردت برقية. يقلقني أن ميشا يعاني أحياناً في أثناء الدروس ما يشبه الهستيريا: ضحك ودموع، لكن سرعان ما يزول ذلك. حقاً، هل إننا نعلمهم كثيراً جداً؟ أندريوشا خامل أيضاً. ذهبنا إلى كوزلوفكا: ليوفوتشكا وماشا وأنا. يسود جو دافئ وتهب الرياح. جرت بيننا نحن الأربعة في المساء أحاديث غير مؤنسة حول علاقاتنا العائلية وحول أوجاع الأزواج حين لا تتفهمن الزوجات. وقال ليوفوتشكا: «تولد لدى المرء عندئذ

الفكرة الجديدة كما يولد الطفل مصحوبة بالأوجاع، ويحدث تغير روحي كامل لديه، بينما يوجه إليه اللوم بسبب الوجع، ولا يريدون الاعتراف به». قلت بدوري إنه بينما يولد لديهم (أي الرجال) الأطفال الروحيون الوهميون، أو الذين يختلقونهم بأنفسهم، يولد لدينا (أي النساء) بأوجاع حقيقية أطفال أحياء، ينبغي إرضاعهم وتربيتهم، وصيانة الممتلكات لهم، وفي الوقت نفسه يجري تحطيم حياتنا الصعبة من أجل مواكبة تلك التغيرات الروحية للأزواج، التي يستحيل اللحاق بها ويمكن الرثاء لها فحسب. بالمناسبة إننا تحدثنا كثيراً بغية توجيه الملامة إلى بعضنا البعض، بينما يتمنى كل واحد منا في سره شيئاً واحداً، على الأقل هذا ما أتمناه الآن دوماً، ألا توجه الطعنات إلى الأماكن المؤلمة القديمة والعيش بمودة أكثر. أما ماذا يقول الناس، وليس الأحبة الأزواج فقط، وعندما يفعلون خيراً وبطيبة قلب، فهو يلقى التعاطف دوماً، ولا يمكن غير هذا، ولو بصورة بطيئة، وبمرور الزمن، – إذا ما كان ذلك خيراً حقاً.

23 فبراير. حل ضيفاً علينا جوربونوف وجاءت آنينكوفا. ساشا مريضة، سخونة وسعال. أنا أتولى رعايتها بهمة، وأشعر بالخوف عليها. قالت آنينكوفا إنها التقت ليوفا وتانيا في موسكو. وقد تعافى ليوفا، لكنه ما زال يخشى الخروج من البيت. تلقينا رسالة من بولونسكي مع قصيدة شعرية: «رنين المساء». ليوفوتشكا انهمك في المساء في صنع جزمة واشتكى من القشعريرة. في الباحة عاصفة بكل معنى الكلمة، ورياح شديدة للغاية. قمنا طوال اليوم برعاية ساشا، وانشغلت مع فانيتشكا، وأعطيت خلال ساعتين دروس الموسيقى لأندريوشا وميشا وعملت في خياطة اللحاف. تعذبني أفكار أثيمة. ولفظاعة الأمر إنها لا تمسني وحياتي وحتى روحي، بل ثمة شيء من الخارج، إلى جانبي، لا أستطيع دفعه – كما هو الحال في حياتي كلها – ولا يمسني ولا يفسدني.

أبهجني ميشا كثيراً اليوم، فقد عزف جيداً. عزفنا «سيرينادا» من «دون جوان» عزفاً ثنائياً بأربع أيد، وبغتة اندمج بتألق مع إيقاعات هذا اللحن.

لديه مع أندريوشا *أسرار*، وأثار ذلك قلقي. وأخشى أن يكون Borel قد أفسدهما. من يدري! النقاوة، الطهارة المقدسة، لقد كانت لدي أعز شيء في الدنيا.

25 فبراير. ذهب الجميع إلى كوزلوفكا لتوديع أنينكوفا، أي ليوفوتشكا وماشا وبيتيا رايفسكي وجوربونوف. تسلت ماشا مع بيتيا بمرح: اذ يبهجها أن يبدي الاهتمام بها، ومارست حياة الشباب لعبتها، ولهذا أنا مسرورة جداً.

يوم أمس وردت رسالة من ليوفا، كئيبة جداً، حول اعتلال صحته ومن تانيا أكثر طمأنينة. إنهما يعربان عن خشيتهما من السفر إلى حين. ليلة أمس وعند الساعة الرابعة أيقظني سعال فانيتشكا الشبيه بالنباح. فنهضت مع ماشا وأسقيناه مياه سلتزر الساخنة، وسخنا الماء مع التربنتين. وقمنا بصبه في إناء الغرغرة وغطيناه بمنشفة وجعلناه يتنفس البخار المتصاعد هناك. وسرعان ما توقف الاختناق، لكن ارتفعت درجة الحرارة إلى 40 درجة، مع سعال. واعتقدت بأن هذا يستمر فترة طويلة، لكن بعد 24 ساعة بالضبط، أي في هذا اليوم زال كل شيء وانخرط الصبي في الصالة بترديد أغنية: «غوسيلكي». كما أن حالة ساشا أفضل بكثير، ونهضت على قدميها.

علمت الأطفال أصول الدين وشرحت لميشا فترة طويلة مفهوم الرب. وقد اختلطت عليه الأمور لسماع مختلف الأفكار الرافضة، بالأخص فيما يتعلق بالكنيسة، لكنني سعيت إلى أن أشرح له المغزى الحقيقي للكنيسة، كما أفهمه، باعتبارها *مجمع المؤمنين،* و*خزانة* المقدسات، والإيمان والتأمل في الرب، وليست الطقوس. ليوفوتشكا هادئ ومعافى ومنشرح الصدر. وتربطنا علاقات بسيطة وودية، لكنها ليست عميقة، بل سطحية. مع ذلك هذا أفضل مما كان عليه الحال في مطلع الشتاء. الرياح تعوي وتعوي. توفيت في القرية ابنة أولجا يرشوفا، بعمر سبعة أعوام، إنها صغيرة جداً ومحبوبة جداً لدى أمها. وقد رثيت لحالها للغاية. ذهب ليوفوتشكا وأنينكوفا إلى هناك. أما أنا فلم أستطع الذهاب.

28 فبراير. مضت هذه الأيام من دون أن ألاحظها. مرض فانيتشكا، عملت، وأعطيت الدروس، وطالعت ومرضت. اليوم صحتي أفضل. ما زال فانيتشكا يسعل بشدة. وصل مساء أمس كل من تانيا وليوفا وصونيا مامونوفا. أصاب ليوفا الهزال، لكن مظهره لا يدل على أنه مريض. إنه ممسوس، وجسمه ضعيف فعلاً. أما تانيا فهي نشيطة جداً، ويبدو كما لو أنها ازدادت

حسناً. جاء جميع الأخوة الثلاثة أبناء رايبفسكي من كوزلوفكا. وذهب جميع الأطفال لاستقبالهم. الطريق موحلة في هذه الأيام، لكن الجو صاف وتهب رياح جنوبية ودرجة الحرارة حوالي 2 فوق الصفر. ليوفوتشكا سافر إلى تولا، ونقل إيفان إيفانوفتش جوربونوف إلى السكك الحديدية، وزار أسرة رايفسكي. علماً بأنه بمزاج حيوي، ويوجد في ابتهاجه شيء من روح الربيع والأنانية والمادية. إنه لم يكن يتمتع بمثل هذه العافية والنشاط منذ وقت بعيد.أنا لا أدري ماذا يكتب، فهو لا يحب التحدث عن ذلك. ورد نبأ من موسكو بشأن فرض الحجز على المجلد 13 كله. أنا لا أعرف بمَ سينتهي هذا كله، ولم أقرر شيئاً.

في المساء قرأ ليوفوتشكا بصوت عال قصة نيفيدوف «ابنة يفلامبييف». إنها سيئة وغير ممتعة. سأذهب للنوم. أشعر بنوع من الكآبة والخمول.

2 مارس. قضيت يوم أمس بعطالة وبصورة احتفالية. ذهب جميع الأطفال مع أسرة رايبفسكي إلى غابات «ثكنات روفسكيه» لشرب الشاي. وقد أخذوا كل شيء معهم. وبعد الغداء مارسوا الألعاب، وكان فانيتشكا ظريفاً للغاية وأتقن ونفذ جميع الألعاب. ويترك هذا الكائن الصغير الأصهب والذكي بين الكبار – لاسيما بين أفراد أسرة رايفسكي – انطباعاً مؤثراً جداً. اليوم وصل سريوجا وإيليا وتسوريكوف، الموظف لدى سريوجا – وجاره. إن إيليا يطلب دائماً النقود من أجل قضاء حاجة ما. وهذا أمر مزعج جداً. إن موقفه من النقود يتسم بالطيش، وهو يبذر النقود على سعة وكيفما اتفق. ليوفوتشكا حزين. وعندما سألته عن السبب قال: الكتابة لا تسير على ما يرام. وعن أي شيء؟ – عن عدم مقاومة الشر.

هيهات أن تسير على ما يرام! ان هذه القضية أثارت السأم لدى الجميع، ولديه نفسه أيضاً، وأشبعت نقاشاً من جميع الجوانب. إنه يريد طرحها في *عمل أدبي*، والشروع بكتابة ذلك صعب. فالمنطق السببي لا يجدي نفعاً هنا. فكيف يستخلص منه سيل الإبداع الأدبي الصادق – إنه لن يوقفه، ويمكن أن تصبح عدم المقاومة بغتة غير مريحة، ولا يمكن إيقاف السيل، – ثمة خوف من السماح له بالمرور، بينما تفيض الروح بالكآبة.

تكدر ليوفا اليوم عندما قيل له وكذلك لسريوجا إنه عليل وهزيل. أنا أردت أن أحنو عليه، لأنني اشفقت عليه، لكن حدث العكس وانزعج.

أنهيت اليوم مطالعة «فسيولوجيا الحب المعاصر» لبورجيه، باللغة الفرنسية طبعاً. إنه كتاب يتسم بالحكمة لكنني سئمت منه، إذ يدور جميع الحديث فيه حول شيء واحد بينما أنا غريبة عنه.

6 مارس. سافر سريوجا إلى نيقولسكويه. بينما ذهبت ماشا إلى تولا برفقة امرأة مريضة والصبية ساشكا. عادت الحياة إلى مجراها الطبيعي اليومي. وقد سرني أن أرى حول المائدة في يومي السبت والأحد جميع أبنائي التسعة، معنا نحن العجوزين. أنا ألازم البيت وأنفذ مختلف الأعمال. وبعد الغداء، ولغرض الحركة، انضممت إلى ليوفوتشكا باللعب مع أصغر الأطفال: ساشا وفانيا وكوزكا. ويذهب ليوفوتشكا بعد كل غداء معهم في كافة أرجاء البيت، ويجلسهم في سلة فارغة مغلقة يسير بها في البيت، وبعد ذلك يتوقف في مكان ما ويسأل الموجودين في السلة في أية غرفة يوجدون. ليوفا نحيل جداً، جلد وعظم، وقلبي يرثي له، لكنه ابتهج، ويجب عليه أن يشرب حليب الخيل حتماً في الصيف.

قرأنا بصوت عال الرواية الروسية «عند الغسق»، بينما طالعت لوحدي سبينوزا. علماً أن اهتمامه بحياة الشعب اليهودي لا يثيرني البتة، وسنرى ما كتبه في قسم Ethique. أنا أحب كل ما يلهيني، والأفكار العامة فحسب، وليس *دراسة* موضوع ما.

تحدثنا في أثناء شرب الشاي عن الطعام، وعن الترف، وتناول الطعام النباتي الذي يدعو إليه ليوفوتشكو باستمرار. وروى أن قائمة الأطعمة النباتية في وجبة الغداء، الواردة في صحيفة ألمانية، تتضمن: الخبز واللوز. يبدو أن دعاة التمسك بهذا الريجيم يذكرون مثل هذه الحكمة التي يوردها ليوفوتشكا في رواية «سوناتا كريتسر».

8 مارس. استلمنا مجلد شهر مارس من مجلة «نيديليا» (الأسبوع) التي نشرت فيها رواية ليوفا. علماً أن أول مرة نشر فيه أحد أعماله باسم *ل. لفوف*.

وأنا لم أقرأ بعد القصة مرة ثانية لأننا استلمنا المجلد اليوم، بينما كنت في تولا. إن كتابات ليوفا تقلقني كثيراً، وبصورة خاصة فيما يمس مستقبله. فهل هي ظاهرة طارئة ناجمة عن شدة الحساسية واختبار ظواهر الحياة، التي لم يعرفها، أم هي بداية نشاطه الأدبي؟ حسناً لو أصبح ذلك من مهام الحياة، وعندئذ سيحب الحياة نفسها. لقد أصبحت صحته ومظهره أفضل، لكنه مع ذلك هزيل جداً.

في تولا أقضي بعض الأعمال مرة أخرى إنها تتعلق بـ: رهن جرينوفكا، واستلام النقود من المصنع لقاء الخشب، ونقود المربية في بنك الدولة، شراء الحاجيات، وأخيراً، زيارة أسرتي زينوفييف ودافيدوف. إن هذه الرحلة متعبة دائماً. والزيارة بهدف *الضيافة* يجب أن تكون قصيرة جداً، أي أن تستمر فترة ساعة، لأن كل زيارة من قبل آخرين تنتهك الحياة العائلية والداخلية وتكون أحياناً ثقيلة الوطأة، والجميع يتحسسون ذلك.

10 مارس. ليوفوتشكا جالس الآن، يتناول الفطور، وجلبت الصحف والرسائل من كوزلوفكا، وقلت له: «لا ترد لي أية أنباء بصدد المجلد 13». وقال لي ليوفوتشكا تعقيباً على ذلك: «ما لك تهتمين بالأمر، فأنا سأضطر إلى التنازل عن حقوق نشر جميع ما يتضمنه المجلد 13 هذا». وقلت له: «انتظر فقط صدوره». وقال: «طبعاً». بعد ذلك انصرف، بينما تملكني الغيظ، لكونه يريد مجدداً حرماني من إمكانية الحصول على شيء من النقود التي يحتاجها جميع أبنائي. وفكرت في إغاظة ليوفوتشكا عندما خرج للتنزه، فقلت له: «أنت ستعلن أنك تتخلى عن الحقوق، وأنا سأنشر فوراً أنني آمل في أن الجمهور الأريب في التعامل مع الأمور لن يستغل استخدام الحقوق العائدة إلى أبنائي». فراح يثبت لي أنني قليلة الأدب، ولكن بلطف. ولزمت الصمت. ثم قال لو كنت أحبه لنشرت بنفسي التنازل عن حقوق نشر أعماله الجديدة. ثم انصرف، وشعرت بالرثاء له، فقد بدت لي مصالح التملك تافهة بالمقارنة مع الألم الذي أعاني منه بسبب النفور المتبادل بين أحدنا الآخر. وبعد الغداء قلت له إنني تفوهت بعبارات آسف بسببها، وإنني قلت له كلاماً مزعجاً، وإنني لن أنشر شيئاً، وأعز شيء لدي هو ألا أكدره. وذرف كلانا

الدموع، وعندئذ وقف فانيتشكا خائفاً: ماذا؟ ماذا؟ فقلت له: «ماما أساءت إلى بابا، وتصالحنا». فسرّه ذلك وصاح: «ها!».

برد، ريح. جاء معلم الرسم، وطلب قرضاً، لكنني لم أعطه شيئاً من النقود فهو معلم رسم رديء جداً.

أشعر بألم في ظهري وصدري وبضعف شديد. بعد الغداء رقصت تانيا وصونيا مامونوفا وماشا وفانيا وكذلك ميشا بقدر أقل بمصاحبة ألحان الأرمونيكا والبيانو. ارتدت صونيا زي فلاحة. ذهب إلى تولا ألكسي ميتروفانوفتش مع الصبيان الأربعة الذين يعلمهم. قرأت مقالة بعنوان «بصدد سوناتا كريتسر» بقلم م. دي فوغويه، إنها تتسم بالدقة والفطنة. فهو يقول بالمناسبة إن تولستوي بلغ الحد الأقصى للتطرف في تحليل (analyse creusante) قضى على كل حياة شخصية وأدبية. في المساء قرأ ليوفوتشكا بصوت عال رواية بوتابينكو «ابنة الجنرال». لا بأس بها. وقمت بالحياكة وأرضعت الطفل وخطت مع صونيا بلوزة من أجل أجافيا ميخايلوفنا.

ليوفوتشكا يصحح ويعيد استنساخ مقالة «حول عدم المقاومة»، وتقوم ماشا بالاستنساخ. يجد *المؤلف* صعوبة في كتابة هذه المقالات الثقيلة الوزن، بينما لا يمارس عمله الأدبي.

11 مارس. زارنا فياتشيسلاف، وغادرت صونيا مامونوفا. أنا مسرورة بقدوم فياتشيسلاف وأرى وأتذكر بحيوية لدى رؤيته والدتي ومحبتها له.

رافقت تانيا صونيا إلى تولا وهناك تناولت الغداء عند المحافظ. كما ذهب ليوفوتشكا إلى تولا على صهوة جواد لزيارة أسرتي دافيدوف وزينوفييف، ولقضاء بعض أشغال الفلاحين. قضيت اليوم كله مع أخي. وفي المساء قرأنا بصوت عال.

12 مارس. زارنا أمريكي رئيس تحرير جريدة «هارولد» قادماً من نيويورك. إنه *قاتم السحنة*. كما جاء السفيه نيكيفوروف. وتواصل الحديث معه بلا توقف. تلقيت تبليغاً من رقابة موسكو جاء فيه إن المجلد 13 قد حظر نشره بصورة قطعية. سأشد الرحال إلى بطرسبورغ. وهذا يكدرني للغاية. وأشعر

بأنني لن أفعل شيئاً، وإنني فقدت السعادة والإيمان بقوتي. لربما سيساعدني الرب. ثلوج، رياح، زمهرير، وليكن السفر حتى بالزحافات مجدداً.

13 مارس. ذهبت إلى تولا، ولم ألتق أحداً، باستثناء الأفراد ذوي العلاقة بالعمل. كل شيء حول تقاسم الأرض مع القس. في المساء جرى الحديث مع الأمريكي، وهو يريد من أجل الجريدة معلومات عن ليوفوتشكا، وأعطيتها له ولكن بحذر شديد، فقد أعطتني درساً التجارب مع كثير من الأشخاص الآخرين. سافر فياتشيسلاف في وقت مبكر في الصباح. إنه انفصل عنا، ويا للأسف. تلقيت رسالة من الكونتيسة ألكسندرا أندرييفنا تولستايا، وكتبت فيها أن القيصر لا يستقبل السيدات، وينبغي انتظار الجواب أسبوعاً أو عشرة أيام.

أسافر إلى موسكو من أجل إصدار 12 مجلداً والإعلان عن احتجاز المجلد 13. أنا لا أود التحرك، وأضيق بثقل تقديم الالتماسات! ولمن؟.

برد، رياح، تساقط الثلج، ومرة أخرى التنقل في الزحافات.

20 مارس. أمضيت في موسكو يومي 15 و16 من الشهر. وكنت خلال اليومين مع ليوفا. وكان مسروراً جداً لنشر قصته «مونتكريستو» في عدد إبريل من مجلة «رودنيك». وأنا مسرورة أيضاً. فتسرني وتهمني محاولته في التأليف ونجاحه في التعامل مع الناشرين، وأبديت التعاطف مع عمله الأول. وعلمت بموسكو أن المجلد 13 محظور في بطرسبورغ. وحظرت بموسكو فقط «سوناتا كريتسر». سأسافر إلى بطرسبورغ وأبذل كل جهدي من أجل لقاء القيصر ورفع الحظر عن المجلد 13. التقيت بموسكو أولاد أولسوفييف وفسيفولجسكي وسررت بلقائهم، وأنا أعرف جميع الشبان الثلاثة جيداً. دونايف معتكف وعليل تماماً. رجعت إلى ياسنايا برفقة فارينكا ناجورنوفا، الفتاة اللطيفة والوضاءة. وقد سر بها الجميع، وسافرت اليوم فقط. ذهبت تانيا وماشا بعربتين صغيرتين جديدتين الآن لمرافقتها إلى تولا، والمبيت عند أسرة زينوفييف ومشاهدة معرض لوحات الفنانين المتجولين «بيريدفيجنيكي». وأنا سأسافر إلى هناك مع الأولاد في يوم الأحد. لم يعد

يهمني أي شيء ولا أفكر بشيء حتى يتقرر مصير المجلد 13. أكتب الخطب والرسائل الموجهة إلى القيصر، وأفكر وأتأمل وأنتظر فقط الرسائل من أ.أ. تولستايا، التي ينبغي أن تخبرني فيما إذا سيستقبلني القيصر ومتى. قال ليوفوتشكا إنه تبلد عقلياً ولا يكتب بصورة جيدة. ويشعر بألم تحت الإبط، لكن مظهره يدل على انشراح الصدر.

رياح، ذوبان الثلوج، 5 درجات فوق الصفر، أوحال، التنقل بواسطة العربات.

21 مارس. طالعت سبينوزا. أذهلتني فكرتان: الأولى حول السلطة والقوانين، وأن السلطة يجب أن تتحكم بالناس، ليس بالخوف من معاقبتهم على ارتكاب الجرائم، بل بطرحها المثل العليا، وإرغام الناس على إدراك مصلحتهم الذاتية، والسعي إلى هذه المثل العليا التي يمكن أن يؤمنوا بها باعتبارها تمثل تجسيداً للخير العام. والفكرة الأخرى حول المعجزات. إن الناس غير الناضجين (le vulgaire) يرون يد الرب فقط *خارج* قوانين الطبيعة والاحتمالات. ولهذا فإنهم ينتظرون من الرب المعجزات، أي حدوث شيء ما خارج الطبيعة.

عادت الفتيات من تولا، وبقين في الليل للمبيت عند أسرة دافيدوف، وشاهدن معرض العام الماضي، الخاص بالفنانين المتجولين (بيريدفيجنيكي)، وقد تجمدن من البرد. الرياح شديدة، كالعاصفة تماماً... في نقطة التجمد ومع ذلك الثلج يذوب. وقعت منغصات لأندريوشا اليوم في أثناء درس الموسيقى. إنه لا يستطيع الاحتفاظ في ذاكرته *بالموضوع* نفسه، بينما يتذكر كل شيء حواليه. يسحب يده بنفور حين أمس يده، ويدير ظهره حين أستوقفه عن العزف وهلم جرا. أنا أصبر، وأصبر، وفي نهاية المطاف لا أطيق صبراً، فأصرخ نحوه، أو أضربه على يده ويصيبني الكدر الشديد.

وردت رسالة من ليوفا إلى تانيا. ليوفوتشكا ظريف للغاية، وجذل وحلو المعشر. وهذا كله، ويا للأسف لسبب واحد.لو أن الذين قرؤوا بإجلال «سوناتا كريتسر»، وتطلعوا للحظة واحدة إلى حياة العشق التي يحياها ليوفوتشكا، فهو عندئذ وفيها فقط يغدو جذلاً وطيباً، – لأسقطوا تمثال الإله

من القاعدة التي أقاموه فوقها! أنا أحبه فقط حين يكون إنساناً عادياً وضعيفاً في العادات وطيب القلب. لاحاجة لأن يكون المرء حيواناً، كما لا حاجة لأن يكون مبشراً بصورة قسرية بالحقائق التي يؤمن المرء بها.

22 *مارس*. أمضيت اليوم كله في قياس وجمع وترتيب الملابس الصيفية للأطفال. وبعد الغداء عزفت مع ليوفوتشكا عزفاً ثنائياً بأربع أيد. وفي المساء قام بدلاً من اللعب بالورق (باسيانس) بمساعدتي في فك الخيوط التي تعقدت جداً، وتولع بهذا العمل جداً. كتبت رسالة إلى صونيا. أشعر بوعكة وبالتعب.

23 *مارس*. أحسست بالربيع لأول مرة اليوم. فبالرغم من أن الثلج ما زال باقياً، كانت الشمس ساطعة، والطيور تغرد، وبدت في غاية الجمال أشجار البتولا الفتية السامقة في الأجواء الربيعية في تشيبيش. وبعد الغداء أخذت أندريوشا وساشا، وأزلنا الثلج من الشرفة الحجرية. وذهب ليوفوتشكا إلى تولا على صهوة جواد، وزار أسرة دافيدوف فقط وعاد في الساعة الثامنة مساء. إنه معافى ومنشرح الصدر. جلس صباح اليوم لتناول الفطور، بينما انهمكت بالعمل في الصالة، فقال: «أي أحمق أنا حين فكرت Quand est – ce – qu`on se porte bien? – Quand on a une bonne et qu`on ne lui donne pas du thé, c`est à dire qu`on a une bonne sans thé (bonne santé)»[1].

إنه تناول الكيسيل بالشوكولاتة، فقلت له: إن الشوكولاتة غير ضارة، ليست عشبة الفانيليا بل الصحة. بينما وردت في ذهنه المزحة بالتورية.

أعطيت دروس الموسيقى للأطفال، عزفنا عزفاً ثنائياً بأربع أيد Gavotte Bach`a[2] المعد من أجل الأطفال. جاء إلينا بيتيا رايفسكي. لم ترد أية أنباء من بطرسبورغ، وأنا أعاني من المجهول والانتظار.

---

1 – تورية فرنسية غير قابلة للترجمة: «متى يكون المرء معافى؟ حين تكون لديه مربية لا تعطى الشاي، فعندئذ يكون بصحة جيدة» (بالفرنسية). (المترجم)

2 – مقطوعة لآلة الغافوت لباخ. (المترجم)

24 مارس. كتبت في الصباح ثلاث رسائل: اثنتان رداً على رسالتي ليوفا ودونايف وواحدة إلى الكونتيسة أ.أ. تولستايا. لقد عذبني الانتظار، وقررت أن أرسل طلباً مرة أخرى. إن رسالة ليوفا طويلة مليئة بالتفاصيل، وحسناً ألا يقطع الصلات مع العائلة ويكتب بصراحة كل شيء عن ذاته. ثم جلست وحيدة وطالعت. ثمة مقالة ممتازة في «روسكويه فيدوموستي» بعنوان «أفكار شوبنهاور بصدد الكتاب». إنه يقسم الكتاب إلى ثلاث فئات: «فئة تورد أفكاراً مقتبسة من كتب أخرى بصراحة، وفئة أخرى تجلس للكتابة وعندئذ تبتدع ما تود كتابته. أما الفئة الثالثة فتفكر كثيراً مسبقاً، وعندئذ توجد أفكار كثيرة للكتابة». هذا قول حكيم جداً.

ذهب جميع الأطفال إلى غابات روفسكيه كازارمي في نزهة لشرب الشاي. وفي الساعة الثالثة جاء دافيدوف مع ابنته وبوخمان الصغير. بعد الغداء تحولنا، وشاهدنا الأبقار والخنازير، وذهبنا إلى الجرن واعتلينا كومة التبن. وعندما رجعنا عزفت مع دافيدوف عزفاً ثنائياً بأربع أيد، ثم مارس الجميع شتى الألعاب، وكان الجميع مرحين. واتسم التعامل مع ليوفوتشكا بالمودة والبساطة. وهو معافى، وقد تنزه، وكتب شيئاً قليلاً من مقالته. متى سيختتمها وتفرغ يداه! درجة الحرارة 2 فوق الصفر، وبحلول المساء يبدأ الجو بالبرودة. ما زال هناك الكثير من الثلج، ولاسيما في الغابة.

27 مارس. ذهبت في يوم 25 إلى تولا برفقة أندريوشا وماشا. زرنا معرض لوحات الفنانين المتجولين (بيريدفيجنيكي). إن اللوحات الفنية تجلب لي دائماً متعة كبيرة، لكن لم تكن هناك لوحات جيدة كثيرة: هناك مناظر طبيعية جميلة بريشة فولكوف وشيشكين.وبعد المعرض ولجنا محل بيع المعجنات، ومخزن الكتب التعليمية المدرسية وزرنا أسرة رايفسكي. وذهب إيفان إيفانوفتش ويلينا بافلوفنا لتناول الغداء لدى صوفيا ديمترييفنا سفيربييفا فرافقتهما. الصبيان، ستة أفراد، تناولوا الطعام على انفراد. وفيما بعد تبين وجود تذكرة إضافية لدى أسرة سفيربييف لحضور حفلة موسيقية، فرافقت لوبا وهي فتاة لطيفة، أما رايفسكي فذهب أيضاً مع جميع الصبيان. إن الحفلة الموسيقية والغنائية المصحوبة بإلقاء النصوص الأدبية، كانت

بمستوى متوسط جداً، كما هو الحال في الأقاليم، لكنني لم أشعر بالضجر، وفقط شعرت بالتعب، بينما كان الأطفال راضين جداً.

عدت من الحفلة إلى بيت أسرة دافيدوف للمبيت هناك، أما الأطفال فقد باتوا لدى أسرة رايفسكي. وفي صباح اليوم التالي توجهوا إلى بيوتهم. فيما كنت أسير في شارع كيفسكايا انبجس إيليوشا أمامي فجأة. فدهشت كثيراً، وطلبت منه أن يرافقني لمشاهدة العربات المعروضة للبيع. كانت الجولة مديدة ومضجرة. وبعد ذلك ذهبت إلى كاتب العدل الأقدم لاستلام شهادة الرهن، وبعد ذلك عدت مع إيليا إلى البيت. وكان قد جاء لجمع المعلومات حول ضيعة معروضة في المزاد، وطلب مني مبلغ 35 ألف روبل، فرفضت، فزعل، لكن مر الحدث بسلام. وبعد الغداء ولجت غرفة تانيا وأردت الجلوس مع الأطفال. قال إيليا فجأة: «أنا لن أعطيك الفرس من أجل الكوميس»[1]. فانفجرت غاضبة وقلت: «أنا لن أطلب منك ذلك، وسأعطي الأمر لمدير إدارة الضيعة». لكنه انفجر غاضباً أيضاً وقال: «مدير إدارة الضيعة هو – أنا». – «وأنا – صاحبة الضيعة». هل كنت تعبانة أم عذبني جداً الحديث عن النقود والضيعة، فقلت وقد تملكني الغضب الشديد: «هل بلغ الأمر بك أن تحرم أباك من حليب الفرس، ولمَ أتيت، أغرب عن وجهي إلى الشيطان، لقد عذبتني!» وصفقت الباب وخرجت. «شعرت بالألم والخجل والحزن على ابني – وعموماً هذا أمر مقرف».

بعد ذلك جرت لأول مرة الأحاديث بجد حول أن وضع الأمور هذا لا يمكن أن يبقى، ويجب على الجميع تقاسم الممتلكات. أنا سعيدة جداً بذلك، لكنني أوافق على أن يتم التقاسم بين الأبناء بالقرعة فقط. أظن أن إيليا لن يوافق على ذلك أيضاً، ويريد البقاء في جرينوفكا ونيقولسكويه، وأنا لا أوافق على الإساءة إلى الأطفال الصغار. وفي واقع الأمر إن الصعوبة مع إيليا وحده، فهو أناني للغاية وبخيل جداً، وربما إن السبب يكمن في أن لديه عائلة. أما بقية الأبناء فهم جميعاً رقيقون وسيوافقون على كل شيء. علماً أن ليوفوتشكا كان دائماً في موقف ضعف حيال إيليا ولم ير عيوبه. وفي هذه المرة أراد أيضاً أن يتم كل شيء وفقاً لرغبة

1 – الكوميس: حليب الفرس. (المترجم)

إيليا، وأخشى أن تتواصل هذه المتاعب إلى ما لا نهاية. ولحسن الحظ إن جرينوفكا مسجلة باسمي وإذا لم يوافق على تقاسم الممتلكات مع الأبناء الآخرين جميعاً بالقرعة، فلن أوافق على إعطاء جرينوفكا وأوفسيانيكوفا. ولن أسمح بالإساءة إلى الصغار أبداً. إن جميع هذه الأحاديث ثقيلة الوطأة على ليوفوتشكا، كما أنها ثقيلة الوطأة علي بعشرة أمثال، لذا تجب حماية الأطفال الصغار من الأبناء الكبار. وتانيا تؤيد إيليا دائماً، وهذا الأمر لا يسرني. سأسافر غداً إلى بطرسبورغ، ولا أرغب في ذلك جداً، ويساورني الخوف والشعور الداخلي بأنني سأفشل في مسعاي. أصبح الجو أكثر دفئاً، لكن الرياح شديدة. 7 درجات فوق الصفر ظهراً.

22 إبريل. لم أدون يومياتي خلال شهر تقريباً. والشهر شيق على الأخص ومترع بالأحداث. لكن يحدث دائماً: الوقت ضيق، والأعصاب متوترة إلى أقصى حد، وتجب كتابة رسائل كثيرة إلى البيت. ولهذا لم أسجل يومياتي.

اليوم هو ثاني أيام عيد الفصح، واليوم الثاني الحار والصيفي تماماً. وفي خلال يومين تحولت أغصان الاشجار من اللون البني إلى الأخضر اليانع، وهو أول يوم غرد فيه العندليب طوال الصباح. وفي مساء يوم أمس كان قد ضبط الإيقاع فقط.

رجعت من بطرسبورغ في صباح يوم أحد الشعانين. وفي بداية أسبوع الآلام أخذت قسطاً من الراحة، ومرضت، وأعطيت الأطفال عدة دروس، وتمتعت بالسكون وبالمحيط العائلي، وبعد ذلك جرى بيننا حديث حول تقاسم الممتلكات شارك فيه الأبناء والبنات بكل حماسة، ولاسيما إيليا. وتمت القسمة كالتالي: تعطى لإيليا جرينوفكا وجزء من نيقولسكويه، بينما يعطى الجزء الآخر منها لسريوجا، والجزء الثالث يعطى لتانيا أو ماشا، وقسم كبير من نيقولسكويه مع الالتزام بدفع النقود. يعطى لليوفا البيت في موسكو وقطعة أرض بوبروفسكي في سامارا، وتعطى تانيا أو ماشا ضيعة أوفسيانيكوفو مع 40000 روبل. يعطى لأندريوشا وميشا وساشا معدل 2000 ديسياتينا[1] من الأراضي في محافظة سامارا، وتعطى ياسنايا بوليانا

1 – ديسياتينا: وحدة قديمة للمساحة في روسيا وتعادل 1.09 هكتار. (المترجم)

لي ولفانيتشكا. في البداية طلبت إجراء القرعة للجميع، لكن فيما بعد احتج ليف نيقولايفتش والأطفال فاضطررت على الموافقة. علماً أن الأراضي في سامارا جيدة بالنسبة للصغار لأنه سيرتفع ثمنها بالنسبة لهم، علاوة على ذلك لا يمكن سرقة وقطع الأشجار أو إتلافها، فالإدارة هناك بيد واحدة. وأعطيت ياسنايا لي وفانتشكا لأنه لا يجوز استبعاد الأب، وحيثما أكون يبقى معي ليف نيقولايفتش وفانتشكا.

أمضى إيليا عندنا فترة ثلاثة أيـام، وقد ودعنا أيضاً تسوريكوف وناريشكين. وبقي عندنا الآن سريوجا وليوفا. لقد انعزل سريوجا جداً عن العائلة، ويرغب الآن مجدداً في الانتقال إلى موسكو لتولي منصب الرئاسة في مجلس الزيمستفو[1]، فقد سئم من الوحدة في نيقولسكويه، وهو شيء مفهوم. ليوفا يسافر اليوم إلى موسكو لأداء الامتحان. إنه ما زال نحيف الجسم، لكنه في معنوية جيدة جداً. نشرت قصته «مونت كريستو» في مجلة «رودنيك» وتلقى مكافأة بمبلغ 26 روبلاً. بينما نشرت في عدد مارس من مجلة «نيديليا» قصته «الحب» وتلقى مكافأة بمبلغ 65 روبلاً. إنها النقود الأولى التي يحصل عليها لقاء عمله! لقد أعجب ليوفوتشكا والجميع بقصة «مونت كريستو».

في أسبوع الآلام أرسلت أندريوشا وميشا للصوم وحضور القداس، لكنني لم أستطع أنا نفسي ذلك. وقد التزما بذلك لكن بلا مبالاة وبصورة عفوية سوية مع بقية الناس. وفي يوم السبت أقيم عندنا قداس الفجر بطلب من جميع الخدم. ولم يكن ليوفوتشكا في البيت، وعندما سألته في الصباح فيما إذا سيزعجه أن يقام قداس الفجر في الصالة أجاب: «كلا البتة».

يوم أمس أمرت، بعد تناول الشاي وطعام الفطور، بإعداد العربات الصغيرة الجديدة وذهبنا مع جميع الأطفال، ليديا والمربية وتانيا وميشا والصبيتين (الاثنتان اسمهما ساشكا) إلى زاسيكا في الجادة لجمع الفطر. وكنت أمشي طوال الوقت مع فانيتشكا وساشا، وبالرغم من قصر نظري وعدم قدرتي على رؤية الفطر تقريباً، فإنني أحب الغابة، والطبيعة المتفتحة والناهضة في الربيع، والسكون وسط الأشجار الكثيفة، ولهذا كنت أتمتع

---

1 – الزيمتسفو: مجلس محلي منتخب في الريف الروسي قبل عام 1917. (المترجم)

جداً بالنزهة. وذهب ليوفا وأندريوشا لصيد السمك، ولو إنه لم يمس الطعم، واصطاد ليوفا بطة. اليوم ذهب جميع الأطفال، مثل يوم أمس، إلى الروضة الكائنة مقابل البيت، وهم يتراكضون بـ pas – de – géant [1] ويلعبون ويتدافعون ويتصايحون.

في مساء يوم أمس مارس أطفالنا شتى الألعاب مع أولاد القرية، والغريب فقد أصبح الصبيان في سن 11 و13 عاماً يعاملون الصبايا الريفيات *كصبيان* وليس كرفاق في اللعب. كم إن هذا مقرف ومحزن!

حل دونايف ضيفاً عندنا. يبدو ليوفوتشكا كئيباً لحد ما وعندما سألته: «ما السبب» – قال:

«لا شيء، لا أجد القدرة على الكتابة». طبعاً إن رحلتي إلى بطرسبورغ وصوم الأطفال، وقداس الفجر، لا يتفق هذا كله مع *عقيدته*، ولهذا فهو حزين. وموقفي غريب من هذا كله. فليس بوسعي سوى أن أشفق بكل تعاطف صادق على جميع القواعد الأخلاقية التي وضعها ليوفوتشكا لنفسه وللآخرين. لكنني لا أرى ولا أجد القدرة على تطبيقها في الحياة. كما أنني لا أستطيع التوقف في منتصف الطريق، فهذا لا يتفق مع طبعي. بينما لا تتوفر القدرة للمضي حتى النهاية.

بينما يشب الأطفال بلا عقيدة دينية أبداً. ويحتاج الأطفال والناس إلى *الأحكام* الضرورية، ولا بد من وجود شيء ما يمكن أن يحفظ ويتجسد فيه الموقف من الرب. والكنيسة موجودة لهذا الغرض. ولا يمكن أن ينفصل الناس عن الكنيسة مهما كانت معتقداتهم الأخلاقية السامية واهتماماتهم، وإلا سيصبحون في فراغ مطبق.

ودعت ليوفا إلى موسكو الآن. وذهبت لتوديعه تانيا مع فانيتشكا حتى ياسينكي.

وأسعى الآن لأستعيد في ذاكرتي وأصف بنزاهة جميع جهودي في بطرسبورغ المتعلقة بالمجلد 13 المحظور من المؤلفات الكاملة وحديثي مع القيصر في 13 إبريل 1891.

---

1 – خطوات عملاقة (بالفرنسية). (المترجم)

رحلتي إلى بطرسبورغ

غادرت ياسنايا بوليانا ليلة 28 على 29 مارس. وصلت إلى موسكو في الصباح، وجلست مع ليوفا ثم ذهبت إلى بنك الدولة لتحويل الأوراق المالية من فئة 5٪ إلى 4٪. وفي الساعة الرابعة جئت إلى محطة قطار نيقولايفسكي، ووجدت مقصورة مريحة جداً في الدرجة الثانية مع سيدة من أصحاب الأطيان في موغيليوف، زوجة مدير قضاء ما، وهي هادئة وطيبة.

كان أفراد عائلة كوزمينسكي قد استيقظوا لتوهم حين وصلت إليهم. وكان ساشا في مهمة تفتيشية في محافظات البلطيق، وارتدت تانيا ملابسها، أما ماشا والأطفال فقد كانوا يؤدون طقوس المناولة. وقد فرحنا أنا وتانيا كثيراً للقاء إحدانا الأخرى، وسمحت لي بالإقامة في مخدعها. ودعونا فوراً ميشا ستاخوفتش. فقال إنه كتب لي واستدعاني للقاء القيصر، لأن يلينا جريجوريفنا شيريميتوفا، ابنة عمة القيصر، ولقبها الأصلي ستروغونوفا، وهي ابنة ماريا نيقولايفنا (ليختنبرجسكايا) التمست الحصول على موافقة القيصر على استقبالي. واتخذت كذريعة لطلب لقاء القيصر المطالبة بأن يتولى القيصر شخصياً الرقابة على نشر أعمال ليف نيقولايفتش. ويبدو أن الرسالة التي بعث بها م. ستاخوفتش إلي، إما فقدت في الطريق أو إنه لم يكتبها أصلاً. فهو رجل غير صادق جداً، ولهذا سمحت لنفسي بإبداء الشك في أقواله. وقد أراني م. ستاخوفتش مسودة الرسالة الموجهة إلى القيصر، والتي لم تعجبني البتة. لكنني أخذتها. ولا بد لي لغرض الوضوح أن أشير إلى أن شيريميتوفا التمست أن يتم لقائي مع القيصر بناء على طلب زوسيا ستاخوفتش التي تكن لها شيريميتوفا بالغ المحبة. في صباح اليوم التالي لوصولي ذهبت إلى نيقولاي نيقولايفتش ستراخوف، في شقته، التي تشغلها كلها رفوف المكتبة الرائعة التي جمع فيها كتبه. وقد دهش وسر لرؤيتي. وطفقنا نناقش سوية موضوع الرسالة وحديثي المنتظر مع القيصر. ولم تعجبه مسودة رسالة ستاخوفيتش، كما لم تعجبني، وفي الساعة الخامسة بعث لي صيغة رسالة بقلمه. لكنها لم تعجبني أيضاً، فكتبت من الصيغتين الاثنين رسالة ثالثة بقلمي. جاء شقيقي فياتشيسلاف فأدخل تعديلات نهائية على الرسالة. وأرسلت صيغته في 31 مارس. وإليكم نص الرسالة:

«صاحب الجلالة الإمبراطورية، أرجو أن تسمح لي أنا المخلصة لكم بأن أتجاسر وألتمس من جلالتكم الموافقة على لقاء مقامكم السامي من أجل أن أقدم شخصياً لجلالتكم التماساً بشأن زوجي، الكونت ل.ن. تولستوي. إن عطفكم السامي يا صاحب الجلالة يمنحني الفرصة لعرض الظروف التي يمكن أن تساعد على عودة زوجي إلى الأعمال الإبداعية والأدبية السابقة، وإيضاح أن بعض الاتهامات الموجهة له خاطئة أحياناً وثقيلة الوطأة جداً، مما يفقد الكاتب الروسي آخر القوى الروحية بعد أن فقد صحته، والذي ربما ما زال قادراً على أن يخدم بمؤلفاته مجد الوطن.

المخلصة لجلالتكم الإمبراطورية،
الكونتيسة صوفيا تولستايا
31 مارس 1891»

وبما أنني لا أعرف كيفية إرسال هذه الرسالة فقد استفسرت عن ذلك شقيقتي تانيا بواسطة الهاتف من سكالكوفسكي، أحد المعارف الطيبين، الذي يتولى منصباً رفيعاً في دائرة البريد، وفي صباح اليوم التالي بعث سكالكوفسكي مع مراسله مذكرة قصيرة وعد فيها بأن الرسالة ستبعث إلى القيصر في غاتشينا في المساء ذاته. ووصلت الرسالة في 1 إبريل وفي اليوم ذاته توفيت الأميرة المعظمة أولجا فيودوروفنا في خاركوف في طريقها إلى القرم لإصابتها بذات الجنب الحاد وبمرض القلب. وقد انشغلت بطرسبورغ بأسرها بهذا الوفاة، لارتباط ذلك بزواج ابنها ميخائيل ميخايلوفتش بالكونتيسة ميرينبورغ، بدون موافقة القيصر ووالديه. ودارت الأحاديث في كل مكان حول ذلك فقط. وحسب العادة والأتيكيت ففي خلال 9 أيام لا تجري أية أحداث في البلاط، وكانت العائلة القيصرية غارقة في الحداد والانعزال. وشاهدنا من نافذة شقة كوزمينسكي كيف نقل جثمان الأميرة المعظمة في شارع نيفسكي من محطة القطار باتجاه قلعة بتروبافلوفسكايا. وسار القيصر وميخائيل نيقولايفتش وراء النعش مباشرة. وأبدت القوات ورجال الكنيسة (كان عددهم كبيراً على الأخص) تضامناً أثار الدهشة. فمثلاً لدى التوقف من أجل الصلاة أمام كنيسة زنامينيا تم *قرع الطبول*، وبدأ عزف

موسيقى غريبة مصحوبة بصفير. أنا لم أر شيئاً كهذا أبداً من قبل. فهذا يشبه الطقوس الوثنية.

وبغية أن أعرف بصورة تقريبية كيف سأتحدث مع القيصر، وكيف سأطلب السماح بنشر المجلد 13 من الأعمال الكاملة قررت الذهاب إلى لجنة الرقابة، إلى فيوكتيستوف، لمعرفة دوافع الحظر. ورافقتني شقيقتي تانيا. فدخلنا. وبعد تبادل التحية مع فيوكتيستوف الذي عرفته من قبل بموسكو حين كان شاباً، وكان قد اختطف سراً زوجته الحسناء من أمها، سألته عن سبب منع المجلد 13 كله؟ ففتح بجفاء وبصورة تلقائية كتاباً ما وقرأ بصوت رتيب ما يلي: «حظرت كتاب» حول الحياة «الرقابة الدينية بأمر من السنودس المقدس. وأضاف أما المقالة «ماذا يجب أن نعمل؟» فقد منعتها دائرة الشرطة. وبصدد «سوناتا كريتسر» فقد منعت بأمر من المقام السامي». لكنني بدأت بحمية بإثبات أن فصولاً من كتاب «حول الحياة» قد نشرت سابقاً في «نيديليا» ولم تبد الرقابة أية اعتراضات عليه، وأن فصل: «ماذا يجب أن نعمل؟» قد سمح بنشره في المجلد 12 – لذا تبقى فقط رواية «سوناتا كريتسر» التي آمل أن ألتمس من القيصر السماح بنشرها.

امتعض فيوكتيستوف مجدداً حين عرف أن «حول الحياة» و«ماذا يجب أن نعمل» لم ينشرا بصورة كاملة. فاستدعى السكرتير وأمره بمراجعة الملف ووعد بإعطاء الجواب بعد يومين. وعاتبته جداً لأن الرقابة تتعامل بتهاون ولا مبالاة مع مؤلف مثل ليف تولستوي، كما عاتبته لأن الرقابة حتى لم تقرأ *العناوين* ولذا كدرتني وأحزنتني أنا والمؤلف. ويبدو أنه قد أدرك بأنه ارتكب حماقة، فجلب لي في 3 إبريل بنفسه المجلد 13، وقال إن من الممكن نشره.

وكان قد نشر آنذاك في صحيفة «نوفويه فريميا» ربرتوار المسرحيات التي ستقدم في الموسم القادم في المسارح الإمبراطورية ومنها مسرحية «ثمار التنوير» بقلم الكونت ل. ن.تولستوي. وبما أنني كنت أعرف بأن هذه المسرحية محظور عرضها في المسارح الإمبراطورية، لذا ذهبت إلى اللجنة المسرحية لمعرفة ما المسألة؟ وتبين أن هذا حق. فسألت هناك هل كانت لديهم أية اعتراضات على المؤلف وسؤاله عما يرغب فيه؟ فأجابوا بالنفي. فاحتدمت غضباً وقلت للموظف هناك إنهم يتعاملون مع المؤلف

بكل وقاحة وسوء أدب، ورجوتهم بالمناسبة التوجه منذ الآن فصاعداً بشأن المفاوضات ليس إليه، بل إليّ. وفي اليوم التالي جاء المخرج حاملاً ورقة تتضمن الشروط مثل: إنني أتعهد بقبول شتى الالتزامات، ومنها إنني *أتعهد* بألا أسمح بتقديم المسرحيات على خشبات المسارح الأهلية، *وأتعهد* بدفع غرامة قدرها 2000 روبل لدى عدم التنفيذ وهلم جرا. وقد اغتظت بسبب هذه الالتزامات، وفي صباح اليوم التالي جئت مرة أخرى إلى اللجنة المسرحية وأعلنت للموظف قائلة بأنني لا أوافق على قبول *أية* التزامات، ودعهم وهو الأفضل لا يقدموا المسرحية، وأنا لن أوقع بأي حال من الأحوال. فقال إن من الواجب قول ذلك للمدير. فأمرت بإبلاغ المدير فسيفولجسكي أنني أريد مقابلته. فرفض. وقلت: «يا لها من أنظمة غريبة أنا يمكن أن أقابل القيصر، بينما لا يمكنني رؤية المدير الذي يعتبر من *واجبه* أن يقابلني». فذهب للإبلاغ عني. إن كبريائي جعلته يضطرب. وكنت في قرارة نفسي أكرر: «أوباش، لا تعرفون سوى الصراخ عليكم». فقابلني فسيوفولجسكي بفتور، وقدم لي المدعو بوغوجيف مساعده قال: «أنتِ لا تريدين إعطاءنا المسرحية يا كونتيسة!». فقلت: «إنني أريد فقط عدم أخذ أية التزامات لا يمكنني تنفيذها»... – «لكن هذه مجرد شكليات». – «إنها لدى البعض مجرد شكليات، أما لدي فهي – مسألة ضمير، ولن أوقع أي شيء». فتدخل بوغوجيف على الفور قائلاً: «إذا لا توقعين الالتزامات فتحصلين بدلاً من 10 % على 5 % فقط من الوارد الإجمالي». فانتابتني سورة غضب وخاطبته قائلة: «أنا لست في سوق «غاستيني رياد» ولم أعتد المساومة كالتجار. أرجو أن تتركوا كافة المسائل النقدية جانباً، فهي لا تهمني، ناهيك عن أنها لا تهم الكونت، ولن أعطي المسرحية». ثم استدرت إلى فسيفولجسكي وقلت: «كيف؟ أنت رجل من أوساطنا ولا تفهم بأنه لا يجوز وضع ليف نيقولايفتش في مرتبة واحدة مع مؤلفي الفودفيلات، ونحن جميعاً، وقبل كل شيء أنا، بصفتي زوجة وامرأة مستقيمة، يجب أن نأخذ أفكاره بنظر الاعتبار، ولهذا لا يمكنني توقيع الالتزام بصدد عدم السماح بتقديم هذه المسرحية على خشبات المسارح الأهلية. ومما يبهج ليف نيقولايفتش أن هذه المسرحية الكوميدية لم تجلب له حتى الآن كوبيكاً واحداً، والالتزام يسلب المسارح

الحق في تقديم هذه المسرحية في كافة العروض الخيرية...». إنني احتدمت غيظاً جداً، وطلب فسيفولجسكي حذف بعض الالتزامات. لكنني لم أوافق على هذا أيضاً، وأخيراً عرض أن أكتب رسالة خاصة أعطي فيها الحق بتقديم المسرحية في المسارح الإمبراطورية مع الحصول على نسبة 10 % من الوارد الإجمالي. وهذا ما فعلته.

واقترح ابني سريوجا أن يتم التبرع بهذه النقود إلى المؤسسات الخيرية التابعة للإمبراطورة ماريا. إنني كنت سأفعل هذا بطيبة خاطر، لكن لدي 9 أبناء وبنات. وأحتاج إلى نقود كثيرة فمن أين آتي بها؟

انتهزت فرصة توفر وقت الفراغ فزرت معرضين للصور الفنية، أحدهما للفنانين المتجولين «بيريدفيجنيكي» والآخر لفناني الأكاديمية. ربما كان مزاجي عكراً أو ربما كنت تعبة، لكن المعرضين لم يتركا لدي انطباعاً يذكر. وبعد ذلك ذهبت مع تانيا لشراء الحاجيات، وخطت فستاناً لنفسي وجلست طويلاً مع الضيوف. التقيت بسرور الكونتيسة ألكسندرا أندرييفنا تولستايا، وتبادلت الحديث معها طويلاً حول الدين وليوفوتشكا وحول الأطفال ومكانتي في العائلة. إنها عاملتني بكل لطف وبمودة طوال الوقت. تناولنا الغداء مرة لدى أسرة ستاخوفتش ومرة أخرى لدى أسرة منجدين ومرة ثالثة لدى أسرة تروخيموفسكي، ومرة لدى أسرة أورباخ ومرة لدى ألكسندرا أندرييفنا. وفيما عدا ذلك نجلس عادة جميعاً في البيت. وأغريت مرة بالذهاب لمشاهدة الممثلة الإيطالية الشهيرة – دوزيه. لكنني كنت متوترة الأعصاب جداً وحرصت على النقود. كنت أنام طوال الوقت فترة لا تزيد عن خمس ساعات.

في نهاية المطاف وفي يوم الجمعة 12 إبريل فقدت صبري في انتظار لقاء القيصر. وقررت العودة إلى بيتنا في يوم الأحد بعد أن تملكتني الوحشة إلى البيت وأسبوع الآلام القريب وبسبب حالتي العصبية. فارتديت ملابسي وذهبت لتقديم الشكر لشيريميتيفا لمساعيها، وقلت بأنني لا أستطيع الانتظار أكثر. وكانت لدى شيريميتيفا آنذاك أميرة ميكلينبورغ، واعتقدت بأن الكونتيسة صوفيا أندرييفنا تولستايا هي الفتاة شقيقة ألكسندرا أندرييفنا، لذا لم تستقبلني. وعندئذ ذهبت إلى زوسيا ستاخوفتش وقلت لها إنني سأسافر

في يوم الأحد، وطلبت منها أن تبلغ شيريميتيفا أن تقول ذلك للقيصر. ومن هناك توجهت إلى ألكسندرا أندريفنا لتوديعها.

في الساعة 11 مساء، وكنت قد أويت إلى فراشي قبل لحظات، وردت رسالة قصيرة من زوسيا بأن القيصر يطلب مني عبر شيريميتيفا هذه المرة بالمجيء في اليوم التالي في الساعة الحادية عشرة ونصف صباحاً إلى قصر أنيتشكوف.

تملكني أكبر شعور بالبهجة في أول لحظة، وهو أنني أستطيع السفر غداً. وبدأت بجمع حوائجي فوراً وكتبت مختلف الرسائل القصيرة وطلبت من مدام أورباخ عربة مع خادم وأويت إلى الفراش في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وقد فاضت روحي بالاضطراب. لكنني لم أستطع النوم وراودتني شتى الأفكار وقررت ماذا سأقول للقيصر.

في الصباح أمرت بصورة عاجلة ما ينبغي دفعه إلى مختلف الأفراد، ورجوت تانيا أن تحزم بقية الحاجيات وجلست بانتظار موعد الخروج. كنت قد خطت فستان حداد أسود، واعتمرت بقبعة سوداء من الدنتيلا مع خمار. وانطلقت إلى القصر في الساعة الحادية عشرة والربع. كان قلبي يدق قليلاً حين ولجنا باحة قصر أنيتشكوف. وقابلني الجميع عند البوابة بتحايا الاحترام، وأجبتهم بانحناءة. وعندما دخلت الدهليز، وسألت البواب فيما إذا أمر القيصر باستقبال الكونتيسة تولستايا؟ أجاب بالنفي. وسألت آخرين فكان الجواب بالنفي أيضاً. وعندئذ تم استدعاء ساعي القيصر. فجاء شاب حسن المظهر يرتدي بدلة قرمزية مطعمة بالذهب، وعلى رأسه قبعة ثلاثية عريضة. فسألته: «هل يوجد أمر من القيصر باستقبال الكونتيسة تولستايا؟». فأجاب: «طبعاً، تفضلي، يا صاحبة السعادة، لقد عاد القيصر لتوّه من الكنيسة وسأل عنك». وكان القيصر قد شارك في ذلك اليوم في طقوس تعميد الأميرة المعظمة يلزافيتا فيودوروفنا التي تحولت إلى العقيدة الأرثوذكسية. انطلق الساعي إلى الأعلى فوق سلم شديد الانحدار مغطى بسجاد أخضر ساطع غير جميل، وأنا أتبعه. كنت أهرول بسرعة لا تتناسب مع قواي، وحينما انحنى الساعي وانصرف، وجدت نفسي في صالة الاستقبال، فشعرت بتدفق الدم بعنف في قلبي، مما جعلني أفكر بأنني سأموت فوراً. كنت في حالة

نفسية فظيعة. وكان أول ما خطر ببالي أن قضيتي لا تستحق حياتي: وسيأتي الساعي الآن ليدعوني إلى مقابلة القيصر، فيجد جثة هامة، أو أنني لن أستطيع التفوه بكلمة واحدة. إن القلب يدق بعنف بحيث لا أستطيع التنفس والنطق أو الصراخ. بعد أن جلست قليلاً أردت أن أطلب قدح ماء من أحد ما لكنني لم أستطع ذلك. وعندئذ تذكرت أن الجياد حين ينطلقون بها بسرعة لحد الإجهاد يجري اقتيادها ببطء. فنهضت من الديوان وأخذت أمشي بهدوء. لكن لم تصبح حالتي أفضل. ففككت بحذر وبشكل غير ملحوظ خيوط الكورسيه، ثم جلست مجدداً، وطفقت أمسد صدري بيدي وأفكر بأطفالي، وكيف سيتلقون نبأ وفاتي. ولحسن الحظ فإن القيصر أبلغ بأنني لم أصل بعد ولهذا استقبل شخصاً آخر، وتوفر لدي ما يكفي من الوقت لكي أستعيد أنفاسي وأستريح. فتمالكت نفسي وأطلقت زفرة، وفي هذه اللحظة عاد الساعي مجدداً وأعلن: «صاحب الجلالة يدعو سعادة الكونتسية تولستايا إليه». فتبعته. ولدى بلوغنا مكتب القيصر انحنى وانصرف. استقبلني القيصر عند الباب، ومد لي يده، فانحنيت، بإيماءة خفيفة، فنبر قائلاً:

– أرجو المعذرة يا كونتيسة لكوني أرغمتك على الانتظار طويلاً، لكن نشأت ظروف جعلتني لا أستطيع ذلك من قبل.

فأجبته بقولي:

– أنا في غاية الامتنان أصلاً لكون جلالتكم قد تفضلتم باستقبالي.

ثم بدأ القيصر يتحدث بكلمات لا أتذكرها عن زوجي، وبصدد ماذا أطلب منه بالذات.

وشرعت في الحديث بكل ثبات وهدوء:

– يا صاحب الجلالة، في الفترة الأخيرة بدأت ألاحظ في زوجي ميلاً إلى الكتابة الأدبية كالسابق، وقد قال منذ فترة قريبة: «إنني ابتعدت كثيراً عن أعمالي الدينية – الفلسفية، بشكل يجعلني أستطيع كتابة عمل أدبي، ويتولد في رأسي من حيث الشكل والحجم شيء يشبه رواية «الحرب والسلام». بينما تزداد المواقف المتحيزة ضده أكثر فأكثر. فمثلاً جرى حظر المجلد 13 والآن وجدوا أن من الممكن تمريره، ومنعت مسرحية «ثمار التنوير»، بينما الآن أعطي الأمر بتقديمها في المسارح الإمبراطورية. كما منعت «سوناتا كريتسر»...

فعقب القيصر على ذلك بقوله:

- للأسف إن شكل هذه القصة متطرف جداً، لدرجة أن المرء لا يمكن أن يعطيها لأبنائه لقراءتها...

فقلت:

- حقاً إن شكل هذه القصة متطرف جداً، ويا للأسف، لكن الفكرة الأساسية هي أن المثل الأعلى بعيد المنال دوماً. وإذا وضع المثل الأعلى بشكل عفيف للغاية، فإن الناس سيكونون عفيفين في الحياة الزوجية.

وأذكر بأنني عندما قلت للقيصر إن ليف نيقولايفتش يميل كما يبدو إلى ممارسة النشاط الأدبي قال القيصر: «آه، كم سيكون ذلك حسناً! فهو كيف يكتب، كيف يكتب!».

وبعد أن حددت المثل الأعلى في رواية «سوناتا كريتسر» أضفت قائلة:

- كم أكون سعيدة لو رفع الحظر على «سوناتا كريتسر» في الأعمال الكاملة. سيكون ذلك موقفاً رحيماً من ليف نيقولايفتش، ومن يدري، فلربما إن هذا يمكن أن يشجعه جداً على العمل.

فقال القيصر تعقيباً على ذلك:

- نعم يمكن السماح بنشرها في الأعمال الكاملة، فلا يستطيع كل فرد شراءها، ولا يمكن نشرها على نطاق واسع.

إنني لا أتذكر متى أعرب القيصر في سياق المحادثة عن أسفه لابتعاد ليف نيقولايفتش عن الكنيسة. كما أضاف قائلاً:

- ثمة كثير من الهرطقة الناشئة لدى بسطاء الناس وتؤثر فيهم تأثيراً ضاراً.

فقلت بهذا الصدد:

- بوسعي أن أؤكد لجلالتكم بأن زوجي لم يبشر أبداً بين الناس وفي أي مكان بأي شيء. إنه لم يقل كلمة واحدة للفلاحين، ولم يروج أي شيء من مخطوطاته، بل إنه غالباً ما يتألم لكون الآخرين ينشرونها. فمثلاً، إن أحد الشباب سرق مرة مخطوطة من حقيبة زوجي، واستنسخ بعض يومياته وبعد مضي عام راح يطبعها بطريقة الليثوغرافيا ويوزعها.(قلت ذلك من دون أن أذكر اسم نوفوسيلوف وفعلته مع قصة «نيقولاي بالكين»).

فدهش القيصر وقطب وجهه:

- هل هذا ممكن! ما أشنع ذلك، هذا فظيع فحسب. إن كل إنسان يستطيع أن يدون في يومياته ما يريد، لكن سرقة المخطوطة - هذه فعلة شنعاء للغاية!

كان القيصر يتحدث باستحياء وبصوت رقيق حلو الجرس جداً. وعيناه فيهما حنان وتطفو فوقهما الطيبة البالغة، وابتسامته خجولة وتنم عن الطيبة أيضاً.علماً أنه فارع الطول. إن القيصر يميل إلى البدانة، لكنه متماسك البنية، ويبدو أنه قوي. والشعر في رأسه مفقود تقريباً كلياً. والمسافة من أحد الفودين إلى الآخر ضيقة جداً، كما لو ضغطت قليلاً. وذكرتني هيئته لحد ما بفلاديمير جريجوريفتش تشيرتكوف، وبالأخص صوته وأسلوبه في الكلام. وبعد ذلك سألني القيصر عن موقف الأبناء من تعاليم الأب؟ فأجبت بأنهم لا يستطيعون اتخاذ موقف من القواعد الأخلاقية السامية لأبيهم غير موقف الاحترام، لكنني أرى من الواجب تربيتهم بموجب عقيدة الكنيسة، ولهذا التزمت مع أبنائي بالصيام وارتياد الكنيسة في أغسطس، ولكن في تولا، وليس في القرية، لأن القسس عندنا، الذين يجب أن يكونوا آباءنا الروحيين، قد تحولوا إلى جواسيس يكتبون الوشايات الكاذبة عنا.

فقال القيصر معلقاً على ذلك: «لقد سمعت بذلك». ثم رويت له إن ابني الأكبر رئيس مجلس إدارة الناحية، والثاني متزوج ويدير شؤون ضيعته، والثالث طالب، والباقون في البيت.

كما أنني نسيت كتابة أنه حين دار الحديث عن رواية «سوناتا كريتسر» قال القيصر:

- ألا يستطيع زوجك تعديلها قليلاً؟

فقلت: - لا يا صاحب الجلالة، إنه لا يعدل أبداً مؤلفاته. وقال بصدد هذه الرواية القصيرة إنها أصبحت مكروهة لديه، حتى إنه لا يريد سماع شيء عنها.

ثم سألني القيصر:

- هل ترون في أحيان كثيرة تشيرتكوف، ابن جريجوري إيفانوفتش ويليزافيتا إيفانوفنا؟ إن زوجك قد سيطر على فكره تماماً.

إنني لم أكن مستعدة لهذا السؤال، وتلعثمت في الكلام للحظة. ولكني استعدت رباطة جأشي وقلت:

- إننا لم نر تشيرتكوف خلال أكثر من عامين. زوجته مريضة ولا يستطيع تركها لوحدها. أما الموضوع الذي جعل تشيرتكوف يرتبط بزوجي فلم يكن دينياً في البداية، بل كان موضوعاً آخر. فقد لاحظ زوجي وجود الكثير من الكتب السخيفة والفاسقة في الأدب الشعبي وطرح على تشيرتكوف فكرة تغيير الأدب الشعبي بإكسابه اتجاهاً أخلاقياً وتربوياً. وكتب زوجي عدة قصص من أجل الشعب التي بعد أن نشرت بعدة ملايين من النسخ صارت تعتبر الآن ضارة، ولم توافق أهل الكنيسة ومنعت. علاوة على ذلك إنه نشر الكثير من الكتب العلمية والفلسفية والتاريخية وغيرها. وهذا عمل طيب جداً وتقدمي جداً، لكنه تعرض للملاحقة أيضاً.

لم يعلق القيصر على هذا بأي شيء. وفي الختام أقدمت على القول:

- يا صاحب الجلالة، إذا ما عاد زوجي إلى التأليف بالشكل الأدبي وسأتولى نشر مؤلفاته، سأكون سعيدة للغاية إذا ما كان الحكم على إبداعه يتم بإرادة جلالتكم شخصياً.

فأجاب القيصر على ذلك قائلاً:

- سأكون في غاية السرور، فأرسلوا مؤلفاته لي مباشرة للاطلاع عليها.

أنا لا أتذكر جيداً فيما إذا قيل شيء آخر، فقد دونت كل شيء. وأذكر أنه أضاف:

- اطمئني فسيتم تدبير كل شيء. أنا سعيد جداً، - ثم نهض ومد يده لي.

فانحنيت مجدداً وقلت:

- أنا آسفة جداً لأنني لم ألحق في طلب مقابلة الإمبراطورة، وقيل لي إنها ليست معافاة.

- لا، الإمبراطورة في أتم عافية اليوم وستستقبلك، فاطلبي مقابلتها.

وبعد ذلك خرجت، ولكن عند الباب، ولدى الخروج إلى الغرفة الصغيرة المجاورة لمكتبة القيصر أوقفني وسأل:

– هل ستبقين في بطرسبورغ فترة طويلة أخرى؟
– لا، يا صاحب الجلالة، إنني سأسافر اليوم.
– بهذه السرعة؟ لماذا؟
– إن طفلي غير معافى تماماً.
– ماذا به.
– إنه مصاب بجدري الماء.
– هذا ليس بالجدري البتة، بشرط ألا يصاب بالبرد.
– هذا ما أخشاه، يا صاحب الجلالة، أن يجعلوه يصاب بالبرد في غيابي، فالبرد شديد في هذه الأيام.

خرجت بعد أن انحنيت مرة ثانية، وبعد أن صافح القيصر يدي بكل لطف.

عدت مجدداً إلى غرفة الاستقبال حيث الأثاث المنجد بقماش الأطلس القرمزي، وينتصب في الوسط تمثال امرأة، وعلى الجانبين تمثالان لصبيين، وهناك مرآتان في القوسين اللذين يفصلان غرفة الاستقبال عن الصالة. وفي كل مكان أصص النباتات والزهور. وأنا لن أنسى أبداً زهور الأزاليا الحمراء القانية ذات اللون الفاخر، ولدى التطلع إليها فكرت في أنني سأموت. أما المنظر من النافذة فهو كئيب، ويطل على فناء مبلط تقف فيه عربتان، ويتمشى الجنود.

وقف خادم فتي بسحنة ولكنة أجنبيتين عند باب غرفة استقبال الإمبراطورة. ومن الجانب الآخر وقف زنجي بالملابس القومية. كما وقف عند باب مكتب القيصر ثلاثة زنوج، كما أظن. وطلبت من الخادم أن يبلغ القيصرة بوجودي، وأضفت... برخصة من القيصر.

فقال إن هناك سيدة جالسة ولدى خروجها سيقوم بالإبلاغ عن حضوري.

انتظرت 15 – 20 دقيقة. وخرجت السيدة وقال لي الخادم إن القيصر كان لدى الإمبراطورة وذكر لها أنني أرغب في تقديم نفسي لها. فدخلت. هبت للقائي الإمبراطورة، إنها ميساء القد سريعة الخطو. لون الوجه مليح جداً، وشعرها مصفف بعناية كما لو كان ملصوقاً بالصمغ وبلون كستنائي جميل، وترتدي فستاناً أسود من الصوف، وخصرها نحيل جداً، وكذلك ذراعاها

ورقبتها. لم تكن طويلة، كما أنها ليست قصيرة القامة. وصوتها يبعث على العجب في رطانته وعلوه. مدت لي يدها، وطلبت مني على الفور، كما فعل القيصر، الجلوس.

وسألتني:

– Je vous a y déja vu une fois, n`est ce pa?

– J`ai eu le bonheur d`être presente à votre majesté il y a de cela quelques annes à l`institut de St.Nicolas , Schostag Chez m – m.

– Ah, certainement ,et votre fille aussi.Dites moi, est – ce vraiment on vole les manuscrits du comte et on les imprime sans lui demander la permission? Mais c`est une horreur,c`est trés mal,c`est impossible.

– C`est vrai,votre majesté, c`est bien triste. Mais que faire! (1)

بعد ذلك سألت الإمبراطورة كم عدد أبنائي، وماذا يفعلون. فأعربت لها عن بهجتي لكون صحة ابنها غيورغي ألكسندروفتش أصبحت أفضل، وإنني تألمت جداً لمعاناتها، عندما عرفت مدى ألمها لفراق ولديها، وأن أحدهما مريض. فقالت إنه الآن تعافى تماماً، وإنه أصيب بالتهاب الرئتين، وقد استفحل المرض لعدم علاجه فوراً، كما أنه لا يعتني بصحته، وإنها جزعت جداً؟ فأعربت لها عن أسفي لكوني لم أر أولادها، فقالت القيصرة إنهم جميعاً الآن في غاتجينا.

وأضافت القيصرة قائلة:

– Ils sont tous si heureux,si bien portants, Je tien qu`ils aient des souvenirs heureux de leur enfance(2).

1 – – أنا التقيت بك من قبل، أليس كذلك؟

– كنت سعيدة بتقديمي إلى جلالتكم منذ عدة سنوات في معهد نيقولاي لدى السيدة شوستاك.

– نعم، طبعاً، وكذلك ابنتك. قولي لي: هل صحيح أن مخطوطات الكونت تسرق وتطبع بدون رخصة منه؟ لكن هذا شيء فظيع ومقرف ومستحيل.

– حقاً، هذا صحيح يا صاحبة الجلالة، وهو أمر محزن جداً. لكن ما العمل! (بالفرنسية). (المترجم)

2 – إنهم جميعاً سعداء، وأصحاء جداً! – وأنا أريد أن تكون لديهم ذكريات سعيدة عن الطفولة. (بالفرنسية). (المترجم)

وقالت:

Dans une famille comme celle de sa majesté, tout le monde doit se sentir heureux[1].

وتابعت الإمبراطورة قولها:

– Ce petit Michel aux joues roses,il joues une grande fille à 16 ans[2].

ثم نهضت الإمبراطورة ومدت لي يدها وقالت بلطف:

– Je suis trés contente de vous avoir revu encore une fois[3].

فانحنيت وخرجت.

نقلتني عربة أورباخ إلى بيت أسرة كوزمينسكي وصعدت الطوابق الأربعة للمبنى إلى الأعلى من دون أن أشعر بجهد وقد غمرتني سعادة بالغة.

استقبلتني شقيقتي تانيا، ثم زوسيا ومانيا وميشا ستاخوفتش وأيردلي وألكسندر ميخايلوفتش وجمع أبناء أسرة كوزمينسكي. واضطررت لرواية كل شيء. وأبدى الجميع مشاعر العطف تجاهي، وقدم الجميع التهاني. أرسلت برقيتين: واحدة إلى ليوفا في موسكو، والأخرى إلى بيتنا، وتناولت الفطور، وركبت القطار في الساعة الثالثة بعد الظهر في اليوم نفسه. وودعني الجميع وقد آلمني جداً أن أفارق شقيقتي تانيا، لدى النظر إلى وجهها المعذب وتذكرت كم من الهموم والمشاغل جلبت لها، وكم أثرت تعاطفها مع شؤوني.

لقد نسيت كتابة مقطع واحد من الحديث مع القيصر. فقد تطرق بعد السؤال حول تأثير ليف نيقولايفتش على الشعب، عن الشباب الذين أثر فيهم. فقلت له إنهم جميعاً تقريباً من الأشخاص الذين سلكوا الدرب الخاطئ السياسي، وأن ليف نيقولايفتش جذبهم إلى العمل في الأرض، وإلى عصيان الشر، وإلى المحبة. على أي حال إنهم إذا لم يكونوا مع الحق، فهم إلى جانب النظام.

في يوم الأحد الموافق 14 إبريل استقبلني في محطة قطار كورسكي بموسكو كل من ليوفا وديمتري أليكسييفتش دياكوف ودونايف. فتناولنا

---

1 – يجب أن يعتبروا أنفسهم سعداء في أسرة صاحب الجلالة. (بالفرنسية). (المترجم)

2 – لعب ميشا الصغير الأحمر الخدين دور فتاة في السادسة عشرة من العمر. (بالفرنسية). (المترجم)

3 – أنا سعيدة جداً برؤيتك مرة أخرى. (بالفرنسية). (المترجم)

الفطور ورويت لهم كل ما حدث مرة أخرى. وأبدى ليوفا وديمتري أليكسييفتش اهتماماً بالغاً. والتقيت على الرصيف لدى تحرك القطار ناديا زينوفييفا التي ولجت عربة القطار أيضاً. فدعتنا جميعاً إلى مقصورتها بموجب التذكرة العائلية، وسافرنا في غبطة ومرح: ليوفا وناديا وسيدتان والأم وابنتها، وصاحبات الأطيان من خاركوف. في البداية بكت الابنة بسبب مفارقة خطيبها.

استقبلتنا في البيت تانيا والأطفال الصغار. لكن ليوفوتشكا ذهب إلى تجيبش، ثم خرج إلى الحديقة من أجل أن ينتظرني ولم يرجع خلال فترة طويلة. لكنني وصلت قبل الموعد. وكانت ماشا في غرفتها. كنت سعيدة جداً بالعودة إلى البيت. إن ليوفوتشكا لم يكن راضياً عن رحلتي ولقائي القيصر. وقال إننا كما يبدو قد أخذنا على عاتقنا التزامات ما لا نستطيع تنفيذها، وسابقاً كان والقيصر يتجاهل أحدهما الآخر، ويمكن الآن أن يسيء هذا كله لنا ويخلق المشاكل لنا.

23 إبريل. منذ الصباح خرجت لغرس الأشجار التي اقتلعتها أمس في تجيبش ومن بينها أشجار الشوح وكذلك جوزات البلوط التي جمعها فانتشكا والمربية من أجلي. وكان معي دوماً فانتشكا وليديا، بينما ساعدني دونايف في غرس كل شيء في البستان، بالقرب من البركة السفلى. وقد حزنت بسبب تساقط وهلاك أشجار البستان القديم، وأردت أن تنمو أشجار فتية بدلاً منها. إن موقفي من دونايف غريب، ويتسم بشيء من النفور والتقزز، بالرغم من أنه رجل طيب.

وفي موعد الغداء جاء كافة أفراد عائلة زينوفييف، فتنزهنا وتبادلنا الأحاديث. وفي المساء غنى الزوجان زينوفييف، وعزفا ثنائياً، بينما أجاد سريوجا كل الإجادة عزف بالادا للملحن شوبان.

تذكرت في هذا المساء (تراودني الذكريات دوماً لدى اقتراب الصيف) المرحوم أوروسوف. وشعرت بالرثاء جداً لرحيله، وفقدانه ولا عودة له أبداً. وكيف كان يستطيع أن يملأ حياة الآخرين بذاته، وكيف كان يدللني بحضوره الدائم هذا، وقناعته بأنني أستحق أفضل شيء، وأنني أستطيع عمل كل شيء

أريده، وإن كل ما أفعله رائع. من جانب آخر إن المحيطين بي احتقروني وعاملوني بلا شفقة، وبروح الأنانية والغيرة. لماذا يكون المقربون مني أكثر صرامة في التعامل معي من الجميع دائماً؟ كم يبعث هذا على الحزن، وكيف يفسد علاقاتنا المتبادلة وحياتنا. الجو بارد وصاح. جاءت تانيا الآن وقالت إن ليوفوتشكا أمر بأن تخبرني بأنه رقد وأطفأ الشمعة.

24 إبريل. ودعت اليوم ابنتي زينوفييف وسريوجا إلى ياسينكي، وذهبوا جميعاً إلى تولا. ابنتاي تانيا وماشا سافرتا من هناك إلى بيروجوفو. أما أنا فأخذت ساشا وفانتشكا إلى ياسينكي. تساقط المطر وهبت ريح الشمال، وتملكني الفزع والخوف من أن يصاب الطفلان بالبرد. وفيما بعد كتبت رسائل: إلى ليوفا وجايديبوروف والجواب حول طلب إصدار الطبعة الجديدة، وكذلك إلى زوسيا ستاخوفتش وفيت. ساد الهدوء وقت الغداء... ليوفوتشكا ودونايف وليدا وأنا والأطفال الأربعة. وبعد الغداء قرر ليوفوتشكا فجأة الذهاب إلى تولا مشياً على الأقدام مع دونايف. كانت ريح الشمال عاتية جداً، وتوسلت إليه ألا يذهب. لكنه عنيد، ولم يحدث أبداً في حياتي أن استجاب إلى طلبي، بالأخص فيما يتعلق بصحته هو. وهكذا انطلق مع دونايف مرتدياً معطفاً خفيفاً. وخرجت للتنزه قليلاً مع الأطفال، وفجأة رأيت في الموضع الذي غرست البلوط والشوح يوم أمس قطيعاً كبيراً من أبقار القرية، يتجول في البستان، عند البركة السفلى. وكانت ترعاها فتيات ونساء بهدوء لحين سماع صراخي وعويلي الشديد. وأشفقت على ما أصاب عملي وشجيراتي. ثم ذهبت إلى فاسيلي وأمرته بأن يطرد الأبقار، اذا ما جاءت إلى الضيعة. من العسير التعامل مع الناس هنا فقد دللهم ليوفوتشكا. وبعد العودة أعددت الحمام من أجل فانتشكا، وحضرت بنفسي وأرقدته في الفراش. وبعد ذلك استنسخت يوميات ليوفوتشكا. الآن بلغت الساعة الحادية عشرة، ويسمع عويل الريح، وغمرني الخوف على جميع الغائبين. أرسلت إلى كوزلوفكا من يستدعي ليوفوتشكا. وهيهات أن يصل إلى تولا ويركب القطار. عاد ليوفوتشكا مع دونايف بالقطار، وكان الجو بارداً، حتى إن ليوفوتشكا قد فرح لدى تسلم معطف الفرو القصير.

29 إبريل. لم أدون اليوميات خلال عدة أيام. وفي المساء قبل ثلاثة أيام أصابتني مرة أخرى نوبة اختناق، كما لو أن شيئاً ما قد أمسك بخناقي وأغلق بلعومي بسدادة. ورافق ذلك اشتداد دقات القلب، وتدفق الدم في رأسي. فاندفعت إلى المربية وقلت: إنني سأموت. وقبلت فانتشكا وهرولت إلى الأسفل، إلى ليوفوتشكا، لتوديعه قبيل الموت. كنت أتعذب جسدياً، وليس معنوياً البتة. لكن ليوفوتشكا لم يكن موجوداً في الطابق الأسفل. فرسمت علامة الصليب، وانتظرت وقد توقفت أنفاسي حلول موعد الموت. ثم رجعت إلى حجرتي مرة أخرى. ولحقت في طريقي بطلب وضع لبخة خردل بسرعة على صدري وتزويدي بمرذاذ. وعندما رقدت في الفراش وتنفست البخار شعرت بوضع أحسن. لكن ما زال هناك شيء ما يضيق صدري، وأعتقد بأنني لن أبقى على قيد الحياة فترة طويلة. فقد تمزق شيء ما في جسدي. وبعد أن فقدت كل هذه الطاقة والقوى الحيوية لن تحسب الآن حياتي بالسنوات.

نحن نستضيف لليوم الثاني العجوزان جي، بعد عودتهما من بطرسبورغ. كتبت رسالة إلى وزير الداخلية وذكرته بأن القيصر قد سمح لي شخصياً بنشر «سوناتا كريتسر» ضمن المؤلفات الكاملة. استلمت رسالة حزينة من ليوفا يذكر فيه أنه لا يرغب في أداء الامتحانات، وسيترك الجامعة. وقد كتب له ليوفوتشكا وكذلك أنا، بأننا لا ننصحه بترك الجامعة، بدون أن يحدد بوضوح ماذا سيعمل لاحقاً، وماذا سيفعل حين يتركها. وأنا لا أعتقد بأنه سيستجيب للنصح. دعه يفعل ما يراه أفضل، لكن يجب دعمه دائماً. بعد غد ستسافر تانيا إلى موسكو. الجميع عندنا في جذل وابتهاج، وبدأ الأطفال اليوم الدراسة. تساقط المطر طوال اليوم والجو بارد. أنا معتلة الصحة منذ ثلاثة أيام، ولزمت البيت، وغمرت الفناء الخضرة... حيث الأعشاب والأوراق على الأشجار، والعنادل تغرد.

30 إبريل. رحل الزوجان جي، وأصبحنا لوحدنا، في العائلة، وهذا يبعث على الارتياح جداً. الجو بارد ويسود الزمهرير في الليالي. جلست في البيت طوال اليوم ولوحدي في غالب الأحيان. أنا لم أشعر منذ وقت بعيد بمثل هذا

الفضاء الرحب كما هو الحال اليوم. ثمة رحابة في العقل، وحرية في الروح، وأفهم كل شيء. وحلقت مع أفكاري في الفضاء الرحب بلا حدود. ثمة أيام يكون فيها الوضع بالعكس: أشعر بالضيق، وبأنني مسحوقة كما لو كنت في السجن. طالعت «La vie Eternelle»، كتاب رائع، وليس بجديد. امتطى ليوفوتشكا الجواد وذهب إلى ياسينكي واستلم هذا الكتاب مع الرسائل. يبعث نيكيفوروف بالكتب إليه.

لقد كان شيئاً سيئاً أن عشت في فترة شبابي في مثل هذه العزلة. إنني أتذكر جميع التفاهات مثل الطعام المطبوخ أو غير المطبوخ لدرجة النضج، والتي بلغت نطاقات كبيرة. وكيف كانت كل مصيبة تقابل بالغلو، وكيف كان يمر من دون أن يلحظ، كل ما هو جيد ولا نظير له. وكيف يقابل كل ضيف باهتمام بالغ. وكيف مضت الأيام بشكل رتيب وبخمول، ولم تولد أي نشاط وأي اهتمام بأي شيء. كلا، أنا لم أخلق للعزلة والتوحد، وهذا الأمر سحق جميع قدراتي الروحية.

1 مايو. سافرت تانيا صباحاً إلى موسكو. جاء إيليا وذهب إلى تولا لإجراء معاملات التقسيم. وعند الظهر جاء دافيدوف مع ابنته والأمير لفوف. وهذان الرجلان تسرني رؤيتهما وقضينا يوماً طيباً، لولا اعتلال صحتي. التهاب المسالك التنفسية جميعاً، والسخونة ليلاً، وأشعر بنوع من الضيق.

استنسخت يوميات ليوفوتشكا، وطالعت «La vie Eternelle». إنه كتاب جيد جداً وممتع. بعد الغداء خرج الجميع للنزهة، وعزفت طوال ساعتين مقطوعة «أغنية بلا صوت» «Lieder ohne Worte» لمندلسون وسوناتا بيتهوفن. ومما يؤسف له أنني لا أعزف بصورة جيدة، وأحياناً أريد التعلم فحسب، بغية إتقان عزف الموسيقى. ذهب ليوفوتشكا للقاء دافيدوف. إنه يواصل التجول وكتابة مقالته. دار في أثناء تناول الشاي حديث حول التربية. أنا لا أريد أن يلتحق أبنائي بالجمنازيا، لكنني لا أجد بديلاً آخر، وعموماً لا أعرف ما العمل. أنا لا أستطيع تعليمهم لوحدي، أما ليوفوتشكا فهو *يطرح تأملاته* بصورة جيدة حول كل شيء طوال حياته، لكنه *لا يفعل شيئاً البتة* (في هذا المجال). جاء سيد ما برسالة من أورلوف، وسيرحل الآن. صار الجو

أكثر دفئاً، الجميع يحملون زهور البنفسج اليانعة والنضرة. تناولنا الفطر من صنف «سمورتشكي» والعندليب يغرد وتتفتح الأوراق بصعوبة. وعموماً فإن الربيع غير بهيج وبطيء وخامل وبارد. ما أظرف دافيدوف بمشاعره الرقيقة.

15 مايو. مرة أخرى لم أدون اليوميات خلال فترة طويلة، ومرة أخرى وقعت أحداث كثيرة. جاءت في يومي 2 و3 مايو أوروسوفا (لقبها في الولادة مالتسيفا) مع ابنتيها الكبريين: ماري وإيرا. وقد أعاد حضورهما ذكريات مؤلمة للغاية لدي عن المرحوم الأمير أوروسوف نفسه، ولم أستطع التخلص من هذا الشعور. وفي فترة الغداء كنت أواصل رؤيته جالساً قبالتي إلى جانب ليوفوتشكا، أو بالقرب مني وسؤاله لدى انتظار مجيء أسرته: «أنت ستحبينهم يا كونتيسة أليس كذلك؟ وستحبين زوجتي *المسكينة*؟». وتلفظ بكلمة *المسكينة* بلكنة أجنبية. أنا أحب فعلاً زوجته *المسكينة وأبنائه*، وبالأخص ماري التي تشبهه بشكل مدهش وهي عزفت سوناتا بيتهوفن بصورة أبعدت كل شك في موهبتها الفذة والرائعة. كم هما ساذجان وفي الوقت نفسه متحضران! وقد تغيرت الأميرة نحو الأفضل جداً، وغدت وادعة ونادمة لحد كبير. وأنا لا أعرف سبب قولها في كل مرة لدى لقائي، وفي هذه المرة أيضاً بجد وهدوء، إن زوجها كان يحبني حصراً وأكثر من ليوفوتشكا، وأنني وهبت له السعادة العائلية في أسرته، وهو ما كان يجب أن تهبه له زوجته أي: الحنان والصداقة واللطف والرعاية. فقلت لها إنها على خطأ إذا ما اعتقدت أن زوجها كان يحبني، وإنه لم يصارحني بهذا أبداً ونحن كنا مجرد صديقين. فأجابتني قائلة:

«Jamais il n`aurait osé vous avouer son amour, et il aimait trop le comte pour se l`avouer même à soi – même»[1].

أمضينا سوية فترة طيبة خلال ثلاثة أيام، وافترقنا بمودة.

إنهما سافرا إلى القرم، بينما استدعتني تانيا إلى موسكو لحضور امتحانات أندريوشا وميشا. فسافرت مع ألكسي ميتروفانوفتش بالقطار

---

1 – إنه ما كان ليتجرأ أبداً على المصارحة بحبه، وقد أحب الكونت كثيراً لدرجة ما كانت تجعله يعترف بذلك (بالفرنسية). (المترجم)

السريع السادس. كان الطقس حاراً، فانشغلت بالحياكة بينما تسلق الأطفال فوق المقاعد، وأقاموا علاقات صداقة مع الركاب الذين قدموا لهم ما لذ وطاب. وفي المساء وصلنا إلى خاموفنيكي، فذهبت إلى بوليفانوف وعرفت كل ما يتعلق بالامتحانات. لقد سهد أندريوشا طوال الليل وتملكه القلق، أما ميشا فقد كان هادئاً وغفا بسرعة. قدم الامتحان الأول في أصول الدين بنجاح أي إن الخوف قد أصبح أقل حدة. وعشنا في جناح المبنى خمسة أيام، وفي لحظات الفراغ كنا نستخدم حديقتنا الرائعة. كان أداء ولدي في الامتحانات سيئاً، ولا أعرف السبب، وهل إنه يرجع إلى ضعف مداركهم أو لسوء المعلمين.

وتم قبول أندريوشا في الصف الثالث وميشا في الصف الثاني، وأنا لم أقرر بعد فيما إذا سأرسلهم إلى مدرسة الجمنازيا، وراودني الإشفاق والخوف. ولكن أنا خائفة ولن أعطيهم إلى المدرسة. سأترك كل شيء إلى الأقدار. علماً أن أندريوشا وميشا مختلفان كلياً. فالأول هياب وعصبي وكثير التطلع حواليه، أما الثاني فمتوتر الأعصاب وكثير الكلام ويحب التمتع بكافة ملذات الحياة.

زرنا المعرض الفرنسي، وشاهدنا النافورة الضوئية، لكن المعرض لم يكن جاهزا تماماً ومغلقاً. فشاهدنا أعمال البرونز والخزف فقط.

شاهدت لدى المرور بمحاذاة الكرملين الكثير من العربات عند القصر الصغير. كان الأمير المعظم سيرغي ألكسندروفتش قد استلم إدارة موسكو كلها، وشغل منصب محافظ موسكو العام.

لم تسمح الرقابة بنشر المجلد 13، واعترضوا على ثلاث عبارات هي تقريباً: «من برج إيفل وحتى التجنيد الإجباري العام»... وكذلك: «حين تكون جميع الشعوب الأوروبية مشغولة بتلقين الشباب كيفية ممارسة القتل...» وكذلك «ينفذ ويدير البشر كل شيء بحالة سكر». لكن هذه العبارات نشرت سابقاً في المقالة بشكل مقدمة لكتاب أليكسييف: «حول شرب الخمر». وقد كتبت عن ذلك في رسالة إلى رقابة موسكو، وإلى فيوكتيستوف في بطرسبورغ. وفي أثناء غيابي عن ياسنايا وردت إلى هناك رسالة من الوزير يسمح فيها بنشر «سوناتا كريتسر» و«المقدمة» في المؤلفات الكاملة. وفي

موسكو عرفت ذلك في المطبعة حيث كانت تحت الطبع. ولا أستطيع عدم الشعور بالنصر في أعماقي، لأنه بخلاف الجميع في العالم، جرى لقاء لي مع القيصر، وأنا، المرأة، وتحقيق ما عجز الجميع عن بلوغه. ومارس نفوذي الشخصي، بلا ريب، الدور الرئيس في ذلك. وكنت أقول للجميع بأنه إذا ما انبثق لدي للحظة ذلك الإلهام، الذي أستطيع به أن أؤثر معنوياً في القيصر، كإنسان، فسأحقق ما أبتغيه، وقد راودني هذا الإلهام، واستملت إرادة القيصر، ولو أنه طيب جداً، ويمكن أن يقع تحت التأثير الطيب. إن من يطالع كلماتي هذه يعتقد بأنني أتباهى وأفتخر، لكنه سيكون على خطأ وغير عادل.

بعد أيام سيصدر المجلد 13، وبودي كثيراً إرساله إلى القيصر، مرفقاً بصورة الأسرة كلها التي أبدى اهتمامه بها. وقد سألني هو وكذلك القيصرة عن الأطفال.

الربيع في أوجه. وأشجار التفاح تزهر بصورة خلابة. ثمة شيء سحري وجنوني في إزهارها. أنا لم أر شيئاً مماثلاً لها أبداً. وعندما أتطلع في كل مرة من النافذة إلى الحديقة تذهلني سحب الأزهار البيضاء والشفافة هذه السابحة في الهواء، والمائلة إلى اللون الوردي في بعض الأماكن، وخلفها ينداح بساط أخضر يانع.

الجو حار جداً وجاف. ويسود في الغرف كلها عبير باقات أزهار زئبق الوادي.

أصيب ليوفوتشكا المسكين بورم في الأجفان، وهو يجلس وحيداً في الطابق الأسفل في الغرفة المظلمة طوال اليومين الماضيين. واليوم أصبح وضعه أفضل قليلاً. يوم أمس بعثت في طلب الطبيب رودنيف بغية استشارته، فأمر باستخدام غسول الرصاص الذي أرسله. وكتب ليوفوتشكا يوم أمس بمعونة ماشا رسالة إلى أليخين (البصير) حول القضايا الدينية، وكانت جيدة وتتفق كلياً مع آرائي لحد أذهلني. قضية الخلود والحياة القادمة، التي يجب ألا نتطرق إليها، ما دمنا قد سلمنا أمورنا إلى أيدي الرب وقلنا: «لتتحقق إرادتك!». ولا يمكن معرفتها، فلا تشغل نفسك بهذه القضية.

غداً سيزورنا أفراد أسرة كوزمينسكي وحزن الأطفال اليوم في أثناء الغداء حيث ستنتهي حياتنا العائلية الخالصة والهادئة والسعيدة وسيدخل في حياتنا

عنصر غريب، ولو أنه عزيز، سيجلب البلبلة فيها. أنا أحب شقيقتي حباً جماً مما يجعلني لا أشعر أبداً بالضيق من عائلتها، بل أشعر بالبهجة للغاية. سافر سريوجا إلى تولا فوراً. وفي مساء أمس جلست تانيا وسريوجا وليوفا حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل وتبادلوا الأحاديث الطيبة وأعربوا عن رضاهم جميعاً.

أملى ليوفوتشكا يوم أمس على تانيا بداية رواية ما – إنها لم تخبرني ما هي، وأنا لا أرغب في الطلب منها أو من ليوفوتشكا بالتحدث عما كتب، ويكاد يكون في طور الولادة. فهذا لا يجلب دوماً مشاعر الارتياح.

22 مايو. حل أسبوع الجلبة والضوضاء. فقد جاء أفراد أسرة كوزمينسكي، كما وصل أيرديلي خطيب ماشا. وبدأت الحياة الصيفية بما فيها من سباحة، وحشد الأطفال الصاخب والمضطرب بلا عمل، والكسل والقيظ وجمال الطبيعة. جاء فيت مع زوجته وقرأ أشعاره، جميعها عن الحب والغرام. وقد أبدى إعجابه بكل ما رأى في ياسنايا بوليانا، وكان راضياً، كما يبدو، عن زيارته، وعن ليوفوتشكا، وعني شخصياً. إنه في سن 70 عاماً، ويولد فيّ دائماً بحيويته، وبشاعريته الغنائية، الأفكار والأحاسيس الشاعرية الفتية في غير محلها والباعثة على الشكوك. لتكن في غير وقتها، لكنها مع هذا جيدة وعذرية تماماً، لأنها تبقى في مضمار التجريد.

سافرت ماشا مع بنات أسرة فيلوسوفوف إلى ضيعتهن في بانيكي. فدعها تتلهى وتروح عن نفسها، لأنها، المسكينة، غير منشرحة الصدر ولا تبدو كشابة في سن 20 عاماً. ذهبنا للنزهة لكن المطر أعاقنا، وعاد الجميع إلى البيت تدريجياً. وفي المساء أردنا قراءة شيء ما، لكننا انشغلنا في الحديث جيداً عن الروايات والحب والفن والتصوير. وقال ليوفوتشكا إنه لايوجد ما هو أردأ من اللوحة التي تصور الشهوة في الحياة العادية، وعلى سبيل المثال الراهب الذي يحدق في امرأة، أو مشهد تتري ينطلق مع سيدة على صهوة جواد إلى القرم، والحمو الذي يحلق في الكنة بعينين فاحشتين وهلم جرا. وأن هذا كله يبعث على النفور في الحياة، بينما يتعين عليك أن تنظر *دائماً* إلى هذه الحقارة. وقد وافقته على ذلك كلياً، وقلت إنني أحب فقط الجمال والطبيعة أو الفكرة السامية.

اليوم عيد ميلاد إيليا. كيف يعيش المسكين في الوسط الغامض والسخيف لإدارة الأعمال في الضيعة، والعائلة، والشك الدائم وعدم الرضى عن مصيره. ويحزنني أن العلاقات بيننا قد ساءت بسبب قضايا الممتلكات. لكنني آمل بأن يزول هذا بمرور الزمن. يوجد فيه ذلك الغموض الذي يحجب أفعاله، وإذا ما تم إيضاحها، فيجب عندئذ وصف أمور كثيرة بأنها غير نزيهة، وهذا ما يخشاه، وأنا كذلك.

27 مايو. تحل ضيفة عندنا آنينكوفا، وجلبت معها فتاة يمكن أن تتولى تعليم ساشا وفانيا بدلاً من المربية. لكنها لم تعجبني: فهي عليلة ومتكلفة. جاء إيليوشا لأخذ خريطة نيقولسكويه. لقد أصبح أفضل وأكثر لطفاً. وقد أخذ معه ليوفا. سألني ليوفا يوم أمس أين راحت الأيام الشتوية الرائعة، حين تلاقت الشمس مع القمر، وكانت الإنارة جميلة جداً. استنسخت له صفحة من يومياتي ليوم 9 ديسمبر عام 1890 وأعطيتها له: ويرد فيها بالذات وصف ذلك اليوم. لا بد أنه يكتب شيئاً ما ويحتاج إلى ذلك. خرجنا يوم أمس للنزهة في كوزلوفكا مع آنينكوفا وليوفوتشكا وتلك الفتاة، فالتقينا زينوفييف مع ابنتيه اللتين رافقتا تانيا في طريقها إلينا، وكذلك ابنتي كوزمينسكي. أنشدت ابنتا زينوفييف الأغاني، وسررنا للغاية. كما غنت شقيقتي تانيا ولا يمكن مقارنة نبرة صوتها مع أي أحد...

جاء اليوم من تولا رايفسكي وابنه لتناول طعام الغداء. وودعناهما بعد الغداء، والتقينا في الطريق بناشر صحيفة «كورسكي ليستوك» الذي دنا من ليف نيقولايفتش، ماسكاً الدراجة بيديه، وقال إنه كان يحلم بالتعرف إليه، وطلب السماح له بزيارتنا. وعندما اقتربنا من البيت التقينا الحوذي ميخايلو في عربة تقل الخادمات والمنطلقة خبباً بجواد الأطفال. وقد غضبت لخروجهن من دون أمر مني، وأعدت الجميع إلى البيت. وكانت تانيا قد أصدرت الأمر بذلك، فعنفتها. وقمت لدى العودة بتصحيح مسودات «سوناتا كريتسر» التي لا أحبها وتولد لدي النفور دائماً.

الطقس بارد جداً وغائم. وهبت طوال ثلاثة أيام رياح شمالية شديدة وجلس الجميع في البيت. أطلق فاسيا كوزمينسكي النار من مسدس

الأطفال، فأصاب ساشا في عينه، وتولدت بقعة دامية فيها. فانتشكا لم ينم طوال الليلة الماضية بسبب الآلام في بطنه، وانشغلت به حتى الساعة الثالثة، ثم لم أغفُ حتى الساعة الخامسة. أزهرت أغصان الليلك وزنبق الوادي. وجلب فانتشكا مع المربية أزهار البنفسج. ونبت الفطر الأبيض. الجو جاف جداً، والأعشاب ذابلة. وقال رايفسكي إن الجوع يتفشى عندهم في قضاء يبيفانسكي. وردت رسالة من ماشا، ويبدو أنها مبتهجة جداً، فقد وجدت التسلية في كنف أسرة فيلوسوفوف، وقد سررت لذلك.

1 يونيو. جاءنا ضيوف كثيرون. جاء زوج أنينكوفا، من أصحاب الأطيان، حقوقي، ورجل جلف وغريب، لكن يقال إنه طيب القلب ورقيق المعشر للغاية. ورافقه نيلوبوف المحقق العدلي من لفوف، مدينتهم الواقعة في الأقاليم، الرجل النحيل الجسم، المثالي المتشائم، المتحمس لكل شيء والعابس. ثم أمضى المساء عندنا سوفورين «نوفويه فريميا». إنه يترك انطباعاً بكونه رجلاً هياباً ويهتم بكل شيء. ورجا السماح له بأن يستدعي نحاتاً يهودياً من باريس، لكي يصنع تمثالاً كاملاً لليف نيقولايفتش، فرجوته أن يستدعيه، بينما لزم ليوفوتشكا الصمت كحاله دوماً. ويبدو أن هذا حاز على رضاه. وفي مساء يوم أمس جاء ب.ف. سامارين والجنرال بيستوجيف ودافيدوف. ذهب ليوفوتشكا إلى تولا مشياً على الأقدام، وأراد مشاهدة نحر البقر والغنم، لكنها لم تنحر أمس، وشاهد فقط المكان. وجاء به من تولا دافيدوف في عربته. خرجنا في المساء للنزهة، إن صحبة دافيدوف أيسر والعلاقات معه أفضل، فهو رجل حلو المعشر جداً. اضطررت لأن أروي لسامارين وبيستوجوف كيف التقيت القيصر وجميع ما دار بيننا من أحاديث. إن الجميع يبدون اهتماماً شديدا بذلك! لكن لا يحزر أحد الدافع الحقيقي وأعمق شيء في رحلتي إلى بطرسبورغ. إن السبب الرئيس هو «سوناتا كريتسر». فهذه الرواية القصيرة ألقت عليّ الشبهات، وصارت الشكوك تراود البعض في أنها مستوحاة من حياتي الشخصية، بينما رثى لي البعض الآخر. وحتى القيصر قال: «أنا أرثي لزوجته المسكينة». وقال لي العم كوستيا في موسكو بأنني أصبحت ضحية «une victime» وأن الجميع

يشفقون علي. فأردت أن أظهر نفسي للجميع بأنني لا أشبه البتة الضحية، ولا حاجة لإرغام الجميع على التحدث عني. فعلت هذا بصورة غريزية. وكنت أعرف نجاحي مسبقاً لدى لقاء القيصر: فأنا لم أفقد بعد تلك القوة، التي تمتعت بها، لكي أجذب عطف الآخرين، وقد جذبته بحديثي وكسبت عطفه. ووجب علي أيضاً أن ألتمس منه نشر هذه الرواية من أجل أن يرى الجمهور ذلك. ويعرف الجميع بأنني *التمست* من القيصر السماح بنشرها. لو كانت هذه الرواية مستوحاة مني ومن العلاقات بيننا لما طلبت، طبعاً، نشرها. فهذا ما يدركه ويفطنه كل شخص. إن آراء القيصر حولي كانت تلقى الثناء من قبل الجميع. فقد قال القيصر لشيريميتفا إنه يأسف لأنه كانت لديه مشاغل عاجلة في ذلك اليوم، وإلا لأطال الحديث الشيق جداً واللطيف جداً معي. وكتبت لي الكونتيسة ألكسندرا ألكسندروفنا تولستايا تقول إنني تركت انطباعاً *بالغاً* لديه. وقالت الأميرة أوروسوفا إن جوكوفسكي أبلغها بأن القيصر يعتقد بأنني صادقة جداً وبسيطة وظريفة وإنه لم يكن يظن بأنني ما زلت شابة وجميلة بهذا القدر. وهذا كله يمثل غذاء لغروري النسوي وانتقاماً من زوجي نفسه الذي لم يصبُ أبداً إلى رفع مكانتي في المجتمع، بل عمل بالعكس على تهوين مكانتي. وأنا لم أستطع أبداً أن أفهم ما السبب؟ المطر يهطل منذ الصباح، قر ورياح، ونحن نجلس في البيت. والآن سأذهب لإعطاء أول درس صيفي في الموسيقى للأطفال. لم يرجع ليوفا وماشا بعد. لكن الجو في البيت طيب. والتعامل مع ليوفوتشكا ودي فحسب. الأطفال هادئون وظرفاء. جاء منذ ثلاثة أيام باعة حليب الفرس، لكنهم غير الذين جاؤوا في العام الماضي، بل هم أم مع ولديها. يبدو أنهم هادئون ومساكين. ليوفوتشكا يردد القول إنه لا يريد حليب الفرس ولن يشربه، لكنه يعاني في هذه الأيام من اضطراب في المعدة.

3 يونيو. كان عندنا طوال يوم أمس ألماني جاء من برلين، للنظر إلى *تولستوي*، وطلب الدعم إلى اليهود الألمان – ليفينفيلد وغيره، بإعطائهم بعض مقالات ليف نيقولايفتش من أجل الترجمة. أما التاجر نفسه فهو يتعاطى شراء الصوف في روسيا، وهو رجل منافق وبغيض أفسد النهار كله. في المساء

تحدث ليوفوتشكا وشقيقتي تانيا وأنا حول أمور متفرقة. وقال ليوفوتشكا إن هناك أفعالاً لا يجب *القيام بها* أبداً، ولهذا وجد الشهداء والمسيحيون. فما كان في وسعهم تقديم القرابين إلى الأصنام، والفلاح لا *يستطيع المناولة* وهلم جرا. فقلت إن مثل هذه الأفعال لا يمكن القيام بها فحسب، لكن إذا ما جرى ذلك من أجل إنقاذ أحد أو عمل الخير لإنسان قريب - فهذا ممكن. فقال: «وقتل الطفل». قلت: «هذا غير جائز، إذ لا توجد فعلة أسوأ من ذلك، مهما كان الدافع لذلك - وهذا غير ممكن، ولا يوجد شيء *أسوأ منه*». فلم يعجبه قولي هذا، وعارضني بانزعاج شديد تجلى في صوته. وصار يصرخ بصوت متحشرج: «آخ، آخ، آخ!» - لكن هذه اللهجة أثارتني، فقلت له الكثير من الأشياء السمجة: فلا يمكن التحدث معه، وإن أصدقاءه قرروا منذ وقت بعيد أنه يجب إلقاء المواعظ، وأنا لا أستطيع التحدث بمرافقة آهاته الحاقدة، كما لا أستطيع التحدث بمرافقة عواء الكلاب... كان كلامي سيئاً للغاية، لكنني فقدت السيطرة على أعصابي جداً...

ذهبت إلى تولا، وتحدثت فترة طويلة مع كاتب العدل حول تقاسم الممتلكات البغيض إلى نفسي. وعرجت على أسرة رايفسكي، وتناولت الغداء مع أسرة دافيدوف. وفي المساء جاء زينوفييف (المحافظ) مع أخيه المهندس.

يوجد لدى ليوفوتشكا الآن موضوعان يجسدان أقواله *المتطرفة* وهما: نفي الإرث والدعوة إلى تناول الطعام النباتي. وثمة موضوع ثالث لكنه لا يقول شيئاً بصدده، بل يكتبه - وهو رفض ودحض الكنيسة بقوة أكثر من أي وقت مضى.

أطفالي يتنزهون طوال اليوم، ويمتطون صهوة الجياد، ويتجولون في مكان ما. وأنا قليلة الاختلاط معهم، وهذا يحزنني. وخرج فانتشكا وساشا وتانيا وابنتا أسرة كوزمينسكي للقائي مع شقيقتي تانيا. وجاء تسينغر الابن. الجو بارد ولا يشبه الجو الصيفي.

5 يونيو. النهار دافئ وصاح، والليل مقمر. أنا مضطربة جداً في قرارة نفسي. فأنا غير راضية عن أفعالي، ويبدو كل ما أفعله متكلفاً وغير حقيقي، ويجب أن أفعل شيئاً آخر، وهو ما لا أحسنه ولا أستطيع فعله. منذ الصباح قرأت مع شقيقتي تانيا بصوت عال رواية بوتابينكو «ابنة الجنرال» التي

حظيت بإعجاب ليوفوتشكا. وبعد تناول الفطور تحدث ليوفا وتانيا وماشا مع فيرا كوزمينسكايا عن القيام برحلات في أرجاء روسيا، وأعربوا عن رغبتهم الشديدة في القيام بها. وقد أيدتهن لأنني نفسي لم أر الكثير. وغضبت شقيقتي تانيا وقالت إن هذا بسبب «إشباعنا بشتى أنواع الترف» وإننا «أصبحنا متخمين ولا ندري ما نفعله بثرواتنا». بعد ذلك ذهب الشباب لزيارة أسرة زينوفييف، بينما تجولت مع ليوفوتشكا في القرية، وتبادلت الحديث معه. لكن هذا أصبح غير ممكن الآن. علماً بأنه كان دوماً صارماً، لكنه الآن أصبح لا يطاق، كما حدث مساء اليوم، حين جرى الحديث عن موضوع ما يتسم بحدة منذ وقت بعيد. فقد بدأ الحديث عن قيام الأبناء برحلات، وإذا به يؤكد أن هذا ناجم عن الإفراط، وعن سوء التربية، وبدأ الجدال عن المسؤول عن هذا كله؟ وتحدثت عن كيف بدأنا بها في البداية، وكيف أفعمنا بالحياة الأسرة كلها. وقال إنه تغير قبل 12 عاماً، وكان يجب أن أتغير أيضاً، وأن تجري تربية بقية الأطفال وفقاً لمعتقداته. وقلت له رداً على ذلك بأنني لم أكن أبداً قادرة على ذلك وما كان بوسعي *ذلك*، وإنه تحدث كثيراً وكتب طوال الأيام، لكنه لم يشارك في تربية الأطفال، كما كان ينسى وجودهم في غالب الأحيان.

وانتهى كل شيء بسلام، وافترقنا بمودة. ذهب ليوفا وأندريوشا على صهوة جواد إلى بيروغوفو. والآن انتهيت من تصحيح مسودات ملزمة أخرى من «سوناتا كريتسر». الساعة الآن الثانية بعد منتصف الليل.

6 يونيو. ذهبت إلى تولا بصحبة ساشا وفانيا وميشا والمربية وليديا. والأخيرة كانت بحاجة إلى الحصول على هوية الأحوال الشخصية، بينما التقطت صوراً فوتوغرافية للأطفال الصغار، وعنيت بتسوية جميع القضايا المتعلقة بتقاسم الممتلكات. وهذا عمل معقد وصعب وثقيل من حيث المبدأ ومن حيث التطبيق. وأسفت كثيراً لطرح الأوراق المالية من فئة ألفي روبل للتداول قبل عامين، ولكنها بقيت بلا فوائد.

سبحت مساءً لأول مرة مع تانيا وماشا وكذلك مع ماشا كوزمينسكايا. وعاد ليوفا وأندريوشا من بيروجوفو في الساعة 11 ليلاً. الجو حار في النهار،

ومنعش في الليل. فكرت طويلاً في الموت وتصورته بوضوح. استضفنا بيتيا رايفسكي، وقد أنهى اليوم صف الجمنازيا، وهو سعيد جداً، وجاء كذلك ألكسندر فاسيليفتش تسينغر.

7 يونيو. ميشا كوزمينسكي مريض، إصابته تشبه الدفتيريا، وشعرت بضيق يلقي بثقله على قلبي كالحجر: فقد تملكني القلق عليه وعلى بقية الأطفال. وقد استبعدت شقيقتي تانيا فكرة وجود خطر، لكنني لا أستطيع ذلك. عندما تداهم المصيبة غير المستعدة لها، يصيبها الجزع البالغ. أرسلنا في طلب الطبيب رودنيف.

ذهب ليوفوتشكا إلى تولا، وأراد تلبية لطلب أحد *السفهاء* *رؤية* عشيقة هذا السيد، الذي لا أعرفه، وهو من أتباع ليوفوتشكا ولقبه دودتشينكو. علماً أنها كانت في طريقها إلى المنفى في تفير، من المكان الذي نفيت فيه. وعرض عليها أن تسافر على حسابها، بحرية، لكنها لم توافق لذا فهي تسافر مع المعتقلين. ما مغزى هذا؟ هل هو التباهي والغندرة *بأفكاره* أو عقيدته؟ ليس بوسعي الحكم على هذا، من دون معرفة الأمر. لم تكن هذه الفتاة في تولا، ويبدو أن ليوفوتشكا كان مسروراً لتنفيذه *الواجب*، لكنه لم يرها. كما ذهب إلى مسلخ نحر الثيران وحدثنا بكل انفعال عن بشاعة هذا المشهد، وكيف تخاف الثيران لدى اقتيادها، وكيف يسلخون في البداية الجلود من رؤوسها، حينما كانت لا تزال تحرك سيقانها ولم تنفق بعد. هذا شيء فظيع حقاً، ولكن أي موت فظيع! جاءت ماريا نيقولايفنا شقيقة ليوفوتشكا. وأطالت الحديث عن الدير والأب امفروسي ويوحنا كرونشتادسكي، وفعل هذه الأيقونة أو تلك، وعن القسس والراهبات، علماً أنها تحب أكل ما لذ وطاب، وتنفعل بغضب، ولا يوجد فيها شيء من المحبة إلى أي أحد. في المساء سبحنا، وكان النهار قائظاً جداً. وبينما كنت أحلق رأس فانتشكا وخزته بالمقص بالصدفة. فتدفق الدم منه وصار يبكي بحرقة. وقلت له: «اغفر لماما، وماما حزينة». لكنه واصل البكاء. فقلت: «هيا، الطم ماما». فأمسك بيدي وصار يقبلها بانفعال، بينما واصل البكاء. يا له من طفل حبيب، وأخشى ألا يعيش طويلاً.

9 يونيو. عيد الثالوث الأقدس. يوم صيفي صاح ودافئ ورائع وجميل، والمساء مقمر ودافئ وبهي أيضاً. كم من الأعوام تتكرر بهجة العيد المألوفة هذه! منذ الصباح توجه الأطفال في عربات صغيرة حاملين الزهور، وهم في أبهى حلة وفي أجواء العيد، لحضور القداس الإلهي مع الراهبة ماريا نيقولايفنا وبرفقة المربي والمربيات. ثم رجعوا، وشربوا القهوة، ولعبت الأسرتان لعبة الكروكيت. ثم جرى تبادل الأحاديث فترة طويلة. تحدثت شقيقتي تانيا بحماس وبانفعال عن كيف يجب أن تكون العلاقات بين الزوجين. ثم تفرقوا جميعاً: البعض ليكتب، والبعض للسباحة. وذهبت ماشا كوزمينسكايا مع خطيبها إيردلي الذي وصل عندئذ. إنه فتى كريم المحتد وطيب القلب ولطيف. لكنه صبي! وهذا ما يولد الخوف، فهو في سن 20 عاماً. أخذت فانتشكا وميتيتشكا إلى غرفتي، بعد أن رقدت وطالعت قليلاً، ورويت لهما، ونحن في الفراش، الحكايات. لا بد من تطويرهم. وبعد ذلك سمعنا غناء النساء القادمات إلينا وذهبنا وراء ذلك الحشد الكثير الزاهي الألوان إلى جيبيتش، حيث قمنا بصنع الأكاليل. ثمة شيء من الكآبة، لكن المشوبة بالتأثر والشفقة، في تكرار الانطباع ذاته، كما لدى صنع الأكاليل ثم رميها في الماء، على مدى 30 عاماً من حياتي في ياسنايا بوليانا. وقد شبت ثلاثة أجيال تقريباً أمام سمعي وبصري، وأنا أراهم سوية مرة في كل عام. واليوم أيضاً راودتني مشاعر الحنان واللطف ذاتها إزاء هؤلاء الناس الذين عشت معهم طيلة تلك الأعوام ولم أفعل الكثير من أجلهم.

أقيمت مأدبة الغداء في جو المرح، وكانت مشاعر الجميع طيبة، لكوننا سوية معاً جميعاً. وكان حضور الماشتين واللينوتشكيين، كعنصر عائلي من جانب أسرة تولستوي، يجلب السرور لي، كما كان يبهجني دوماً حضور سريوجا معنا. ويوم أمس كان إيليا معنا، وجرى الحديث مجدداً في المساء حول تقاسم الممتلكات في الإرث. ولم يقرر الجميع بعد ونحن لا نعرف أفضل شكل للتقسيم. فهذا الطرف أو ذاك لا يوافق أو يبدي مخاوفه. وهذا ما يكدرني، أما ليوفوتشكا فلا يبدي أي اهتمام ويتجاهل كل شيء. إنه عموماً يبدو كالح المزاج ولا يهتم بأي أمر بشكل عجيب. انهمك يوم أمس واليوم في صنع حذاءين. لكن تراه في أوقات الصباح يكتب مقالاته، ويأكل بصورة

رديئة للغاية، لا حليب ولا بيض، ولا يشرب حليب الفرس. يملأ معدته بالخبز وحساء الفطر والقهوة، المصنوعة من الجودار أو الهندباء البرية. صنع لنفسه خفين من القش وذهب لحرث الأرض بالمسحاة من أجل زراعة الحنطة، بدلاً من استخدام المحراث. وثمة جنون آخر، إنه يجهد نفسه في حرث الأرض الجافة والصلدة كالصخر. سريوجا يعزف على البيانو، وتصغي إليه شقيقته ماشا، وتتعاطف معه، وأنا كذلك أصغي إليه بمتعة كبيرة. ذهبنا للسباحة، بينما انصرف ليوفوتشكا إلى مكان ما. أنا فكرت اليوم فيه: فقد كان يسرني أن أراه بأتم صحة وعافية، لكنه يفسد معدته (حسب قول الدكتور) بأسوأ أصناف الطعام. وكان سيبهجنا أن نراه أديباً مبدعاً، لكنه يكتب مواعظ بشكل مقالات. وكان سيسرني أن أراه رقيقاً وحانياً وذا مودة، لكنه غليظ الإحساس، علاوة على أنه يبدي لا مبالاة حيال كل شيء. والآن حراثة الأرض هذه، ثمة شيء مهلك في هذا الخيال الجديد.والقيظ هذا! ما أكثر ما حز ويحز في قلبي أن أرى طبيعته المضطربة والميالة إلى الخيال.

12 يونيو. لم أدون شيئاً خلال ثلاثة أيام. في يوم الاثنين، في عيد الروح القدس، وقع حادث مؤسف عندنا. ففي الصباح رحل إيرديلي وذهبت ماشا لتوديعه حتى محطة ياسينكي. وكان يجب أن أبعث أحداً إلى القس لاستلام بعض الأوراق الرسمية منه وبضمنها شهادات الأبناء بغية إجراء معاملات تقسيم الممتلكات. وقال أحدهم إن ماشا ذاهبة لتوديع خطيبها حتى تولا. فقلت: «مستحيل». فسألت ماشا فيما إذا كانت ذاهبة إلى تولا إنها إذا ذهبت، فسأرسل الحوذي إلى القسيس، لأنني لا أريد إزعاجها إذ ستكون حزينة لدى توديع خطيبها. وجاءت ماشا. وسألتها: «هل أنت ذاهبة إلى تولا؟». فقالت: «كلا، كلا لست ذاهبة إليها». وعقدت العزم على الذهاب بنفسي. فأعدت العربة، وسألت بيرجر هل سيذهب أحد ما إلى كوزلوفكي، لأنني أريد إرسال برقية من هناك. قال فيليب إن ماريا ألكسندروفنا أمرت بأن يأتي لنقلها من قطار محطة داتشني. وقد أثار غضبي أنها فعلت غير ما قالته لي، وكذلك إصدارها هذا الأمر. لكن تبين أنها لم تأمر بذلك، وطلبت إذا أمكن إرسال حصانها. إنها لا تذكر جوابي، ومن أين لها أن تتذكره حين فارقت

خطيبها. إنني أحبها جداً ولهذا قبلت ذلك على مضض. زد على ذلك فقد أرغمني وماشا على الانتظار في العربة كل من الطفلين سانيا وفاسيا، وعندما جاءت شقيقتي تانيا شكوت إليها بانزعاج شديد سلوك طفليها. فاستفسرت عن جلية الأمر وقلت لها إنني لا أفهم لماذا كذبت ماشا علي، وعندئذ نزلت تانيا من العربة وحملت ميتيا وانصرفت. وأحسست بألم أشد، وانهمرت الدموع من عينيّ، فحملت فانيا، ونهضت أيضاً، لكنني أشفقت عليه وانطلقت في العربة. لكن ليوفا نزل أيضاً، وكذلك ماشا، ووقعت *حادثة محزنة* كاملة. والشيء الرئيس أن سببها هو ملاحظة ليوفا بأنني بمزاج عكر. فزعلت، لاسيما أنني عملت طوال الصباح في تصحيح المسودات وأداء بعض الأعمال، وشعرت بصداع ونزف الدم من أنفي. وبعد ذلك تصالحنا، لكن بقي الألم. وفي المساء جاءت م.ي.زينوفييفا مع ابنتها، وقضينا الأمسية كلها في الغناء، وكانت أمسية طيبة جداً.

يوم أمس جاء اثنان من السفهاء (أتباع ليوفوتشكا) خوخلوف واليوخين، عالم الكيمياء، وكان قد ترك الجامعة، والآن ارتدى لباس الفلاحين وصار يرافق إخوانه في العقيدة. إنهم الجوالون عابرو السبيل أنفسهم لكن بهيئة أخرى. إن ظاهرة التجوال تكمن في طبع الإنسان الروسي. وهذا أمر مؤسف، فهو عمل 10 سنوات في الجامعة، والآن يضيع كل شيء. وخوخلوف عامل تقني شاب يبدو دوماً وكأنه يفتقد إلى شيء ما. والاثنان صموتان وعبوسان مثل جميع الأتباع الآخرين. إنهما لا يأكلان اللحم ويرتديان ملابس الفلاحين الرثة. أنا لا أفهم هذا العالم. فلا يمكن ألا يفهم بأن حياة التجول والتشرد والعيش على حساب الآخرين لا يمثل الحياة الحقيقية. ويردد ليوفوتشكا دائماً بأنهما يعملان. لكنني لم أر ولم أسمع أبداً أنهما يعملان بجد، وتراهما يجلسان دائماً وقد أطرقا برأسيهما والتزما الصمت.

ذهبت اليوم إلى تولا لمرافقة شقيقتي ماشا، واستلمت النقود، وأودعتها، وزرت كاتب العدل، كما زرت كاتب عدل آخر في محكمة القضايا المدنية، واشتريت الحاجيات وتعبت كثيراً. تناولت طعام الغداء لوحدي. مشيت وحدي إلى البركة لكي أسبح. وساعدتني الوحدة على التأمل في شؤوني وفي الحياة.

في المساء جلسنا جميعاً سوية، وبعد ذلك قرأنا رواية روسية سخيفة في صحيفة «سيفرني فيستنيك».

الجميع نيام. سيسافر أندريوشا وميشا ومدام بوريل إلى إيليا في وقت مبكر من الصباح.

13 يونيو. نهضت في الساعة الرابعة فجراً واقتدت الطفلين إلى إيليا. كان الجو صاحياً وبارداً. وبعد ذلك رقدت في الفراش ولم أستطع النوم إلا بعد لأي. وفي الصباح أعلن ليوفوتشكا أنه سيذهب مع سفيهيه مشياً على الأقدام إلى بوتكيفتش، ويقطع مسافة 40 فرستاً تقريباً. وبالرغم من خشيتي أن يصيبه التعب مع هذه الصحبة الكريهة، إلا أنني أرى قلقه، وإذا لم يفعل ذلك فسيفتعل في أغلب الظن شيئاً شاذاً وغريباً آخر، وذلك من أجل تغيير الجو. ووضع الثلاثة جميعاً أكياساً على أكتافهم وانطلقوا تحت أشعة الشمس المحرقة. كانت الليالي باردة جداً، والنهارات حارة وجافة. وتركبني الهموم جداً حين أسمع من كافة الأطراف الشكوى من الجفاف والجوع المقبل. ولا أفهم كيف سيحيا الشعب الروسي كله تقريباً في العام الحالي. وفي بعض الأماكن لم ينبت أي زرع، واضطررنا لحرث الأرض. إن الوضع في ياسنايا بوليانا ما زال مقبولاً – لكن هناك بعض الأقاليم التي لا تجد الحبوب لنفسها وللماشية.

نظفت كل شيء في البيت بعد الغداء، واستخرجت مع فوميتش ونيكيتا ما يوجد في الزوايا المحشوة بسقط المتاع. بعد ذلك استدعيت إيفان ألكسندروفتش والبستاني، وذهبنا ثلاثتنا لحساب محصول التفاح، كم يوجد تقريباً من التفاح وكم عدد أشجار التفاح. وهكذا عملنا حتى حلول المساء. وغداً سأفعل الشيء ذاته.

في المساء اجتمعنا في الشرفة، وشربنا الشاي، وارتجفنا من البرد، وروت ماشا حول الفسق المتفشي في القرية. وقد آلمني أن ماشا والفتيات يعرفن بوجود هذا الفسق، لكن لا مناص من معرفة ذلك انطلاقاً من أسلوب حياة ماشا. فهي تخالط الدهماء باستمرار، وتصغي هناك إلى شتى الروايات.

جاء ليوفا وإيفان ألكسندروفتش، كما وصل ميشا كوزمينسكي من لوديجينسكي، فتغير موضوع الحديث. الآن الجميع نائمون، وسأذهب

للمطالعة. أشعر بالضجر في غياب أندريوشا وميشا، وأشعر بالخوف على ليوفوتشكا وجميع أبنائي.

14 يونيو. كان اليوم طيباً ومفعماً بالنشاط، بالرغم من أنني لم أنل قسطاً من النوم في الليلة الماضية كلها. في الصباح طالعت الأخبار الروسية في الصحيفة. ثم عملت كثيراً في تنظيف البيت وترتيبه. أنا لا أعرف السبب، فحين يغيب ليوفوتشكا تنبجس لدي طاقة كبيرة من النشاط. وبعد ذلك ركبنا جميعاً العربات إلى البركة من أجل السباحة. وقبل الغداء قرأت مسودة سيرة حياة ليوفوتشكا باللغة الألمانية، التي بعث بها ليفينفيلد. وبعد ذلك اصطحبت ساشا وفانيا وميتيا كوزمينسكي وفيرا والمربيات للنزهة عبر حقل الجودار، واقتطفنا أزهار القنطريون العنبري، ومضينا عبر تشيرتا إلى الغابة، وجمعنا أزهار البنفسج الليلي، وجلسنا ومتعنا النظر بالمساء. وبدا كل شيء هناك جميلاً وهادئاً وصافياً ونضراً للغاية! وبعد ذلك تجولت في الحديقة كلها، وتفحصت شجيرات البلوط والشوح التي غرستها هناك. ولدى عودتي قمت بتصحيح المسودة الثانية من كتاب المطالعة، وكتبت رسائل، وشربت الشاي مع تانيا لوحدنا، فقد ذهب الشباب إلى كوزلوفكا. ذهب فيليب إلى كرابيفنا لمراجعة دائرة الوصاية على القاصرين لجلب أمر تعييني وصية على أبنائي الصغار الأربعة من أجل تقسيم الممتلكات. ورأى ليوفوتشكا في الساعة الخامسة مساء في مكان يبعد 3 فرستات عن كرابيفنا. الحمد للرب، إنه بخير وعافية. وجاءت أنباء من الأبناء أيضاً. الساعة 2 بعد منتصف الليل، سأذهب للنوم. الليالي باردة جداً.

15 يونيو. ذهبت إلى تولا مع ابنتي ماشا. أنا قمت بالأعمال المتعلقة بتقسيم الممتلكات، بينما سعت ماشا إلى توفير الفرصة للصبي ابن فيلكا لتعلم مهنة الإسكافي. وقد نفذت مهمتها. أما أعمالي فقد تعثرت بسبب رفض ماشا أخذ حصتها من تقاسم الممتلكات. أنا أرى بجلاء أن المسكينة لا تدرك ولا يمكن حتى أن تتصور معنى البقاء بلا قرش بعد مثل هذه الحياة. إنها تسلك سلوك الواقع تحت تأثير التنويم المغناطيسي، وليس بموجب

قناعة. إنها تنتظر عودة أبيها من أجل أن تستشيره، لأنها في كافة الأحوال يجب أن توقع عدة وثائق بعد الاعتراف بالوصاية.

في المساء دار الحديث عن الأموات والموت، وعن الحدس الداخلي وعن الأحلام، عموماً، التي تؤثر في الخيال. وعرقلت الحديث سيدة هي زوجة الدكتور كودريافتسيف القادمة من القوقاز. لقد أرادت رؤية ليوفوتشكا، لكن لم يتسن لها ذلك. ثم جاء ميشا كوزمينسكي وروى قصة ظريفة جداً حول مجنونة. ومجمل القضية أن مختلف حاجيات تانيا قد اختفت اليوم ليلاً من الجناح. وعرفنا حسب مختلف المعطيات بأنه سرقتها المجنونة شقيقة مرضعة ميتيا. فذهب ميشا إلى هذه المجنونة وسألها بحذر أين أخفت كل الحاجيات؟ وتبين أن مغامراتها طريفة. وقد اعترفت شيئاً فشيئاً بكل شيء: إذ أخفت الألبوم تحت شجيرة في ياسينكي، وأخفت في حفرة الصندوق الصغير الذي يحتوي على أغراض ومفاتيح في المقبرة بالقرب من الكنيسة ووضعت فوقها الأحجار، وأخفت منشفتين وقميصاً تحت الجسر، وأغرقت في الوحل في حفرة ثوب السرافان النسائي والسروال الرجالي، وعلقت المحبرة الفضية العتيقة ذات السلسلة على شجرة في الحديقة، في تيلياتينكي. علماً أنها تذكرت هذا كله، وجمعت كل حاجة شيئاً فشيئاً باستثناء المحبرة فلم يتم العثور عليها بسبب العتمة ولم يلحقوا في أخذها. تساقط المطر مساء اليوم وأصبح الجو أكثر دفئاً. لكن المطر كان قليلاً، وأدعو الرب إلى أن يكون أكثر.

16 يونيو. تساقط المطر طوال اليوم وهدر الرعد، وغمرت البهجة الطبيعة والبشر. عاد ليوفوتشكا من عند أسرة بوتكيفتش كئيباً وصموتاً. اطلعت ابنتي ماشا على أشياء رهيبة في القرية، في أوساط العاملين والفتيات الريفيات، إنها تتلوث أخلاقياً بهذا كله، ويصيبها الذهول، وتحزن، وتحمل كل هذه القذارة الأخلاقية إلى البيت لدى روايتها. هذا كله شيء فظيع! وقد حدثت ليوفوتشكا عن ذلك فقال يجب ألا نغض الطرف بل أن نقدم المساعدة لإخراجهم من هذا الجهل الفظ. تقديم المساعدة... نعم يمكن أن يحاول هو وأنا تقديم المساعدة، لكنها فتاة عذراء بريئة في العشرين من العمر! علماً أنه هو بالذات دفعها إلى هذا الوسط القذر، ودعه يحاسب عن هذا أمام الرب

وضميره، أما أنا فبحكم طبعي لا أستطيع ذلك، وسأموت، لدى تواجدي في هذا الوسط، إذا ما اندسست فيه، وأنا أرى في ماشا إلى أية درجة قد فرض عليها ما يجب على كل فتاة أن تنأى عنه برعب وألا تعود إليه أبداً.

عملت النهار كله في تنجيد الحاجز والأثاث في غرفة ساشا وليديا. أشعر أحياناً بالحاجة إلى ممارسة العمل البدني. والآن وجدت الراحة النفسية لأمد طويل.

18 يونيو. عيد ميلاد ساشا، لقد بلغت سن سبعة أعوام. قدمت لها في الصباح الهدايا، ثم ذهبت معها ومع فانيا وفاسيا كوزمينسكي إلى ياسينكي، حيث التقينا أندريوشا وميشا ومدام بوريل العائدين من إيليوشا. رجعنا مرحين، وروى الأطفال كيف أن كل شيء رائع لدى إيليا، وما أكثر المسرات هناك. بعد ذلك ترجمت من اللغة الإنجليزية مقدمة الكتاب حول الطعام النباتي.عملت بجهد وأنجزت العمل. عادت ماشا من تولا في موعد الغداء وجلبت لي مختلف الوثائق من كاتب العدل، وبعد الغداء انهمكت في مراجعتها خلال أكثر من ساعة.

في المساء حملنا الأطباق والسماور إلى جيبيش، وتجمعنا كلنا، وأوقدنا النار *وقمنا بجولة بكنيك*، كما يقول الأطفال. وحاولت الفتيات ممارسة لعبة ما، لكن بلا أي حماس ونشاط. وعندما احلولكت العتمة، هرعت إلينا امرأتان من أسرة كوزمينكي وقالتا إن ثوراً قد جن جنونه وهو يندفع نحونا في جيبيش. فسارعنا في جمع حاجياتنا، وهرعنا عائدين إلى البيت. وفعلاً كان الثور يندفع ويطارد راعياً كاد أن ينطحه بقرنيه. وأثار قلقي فقط غياب ليوفوتشكا عن البيت، فقد ذهب للسباحة. لكنه سرعان ما عاد، ولبس الرداء المنزلي، وأعلن بأنه غير معافى، ويعاني من البرد وآلام تحت الإبط. وكنت أتوقع ذلك. ففي الأيام الأخيرة كان لا يتناول الطعام بانتظام كما ينبغي: فكان يتناول الخبز فقط، ويملأ به معدته، بالرغم من تحذيرات الطبيب، بأن هذا ضار جداً للصحة. ولم يأكل البيض البتة، وكان يشرب فقط قهوة الجودار كثيراً، كما كان يمشي مسافة مائة فرستٍ إلى بوتكيفتش ويقفل راجعاً، وهو منحني الظهر، وبمعدة مضغوطة تحت ثقل الكيس. أنا لم أر في خيالاتي العجيبة شخصاً أكثر عناداً منه. فمثلاً كان يرفض، بروح التناقض

معي، شرب حليب الفرس، ولا يذكر السبب. وكم يحزنني أن أرى من الجانب هلاك إنسان. وتحدثت ابنتي تانيا في الصباح بلهجة غير طيبة وتلفظت بأقوال حول تربية أطفالي، وفي المساء انهالت بهاجر القول وغليظ الكلام بصدد كيف يجري إهلاك الجياد. وأشكر الرب لكوني لزمت الصمت في الحالتين.

ذهب الجميع مساء يوم أمس إلى أسرة زينوفييف، بينما خرج ليوفوتشكا للنزهة، وجلست طيلة المساء وحدي وطالعت «Vie Eternelle» ثم تركته. لم يعجبني تعريف الرب، ففيه شيء من التفكير المادي: الرب هو الحياة الأبدية العامة في خلود الزمن وخلود الفضاء، في جميع العصور وكذلك في كل لحظة، وفي جميع العوالم وكذلك في كل ذرة.

فالرب عنصر موجود، لكن أين الرب المحبة والطيبة، وهو الرب الذي أصلي إليه؟

ليوفا يكتب شيئاً ما، بينما تقوم ماشا كوزمينسكايا باستنساخه. ويثير اهتمامي أن أعرف ماذا وكيف، لكنني أخشى أن أعكر عليه مسيرة العمل، لو طلبت منه أن يقرأ لي أو يخبرني عن أي شيء يكتب.

29 يونيو. عشنا برتابة وهدوء، بلا ضيوف، وبلا أحداث، وبلا مسرات وأوجاع. لقد ارتفعت حرارة كل واحد من الأطفال الصغار خلال يوم كامل. واليوم جاء ريبين وكوزمينسكي. وبعد الإفطار أخذت ساشا وفانيا للنزهة، أما المربية فقد سافرت إلى أمها في سودتكوفو، بينما بقيت ليديا المتعبة في البيت. ورافقنا ريبين أيضاً. جلسنا لأخذ قسط من الراحة في البستان، بينما راح يرسم بالقلم مجموعتنا في الألبوم. إن الصورة لا تشبهنا لكنها معبرة. كان نهاراً رائعاً وصافياً، وثمة زهور كثيرة جداً. كما جمع الأطفال ثمار الغابة، ودار بيننا حديث شيق. يبدو أن ريبين إنسان حطمته الحياة.

سافرت تانيا مع لينوتشكا إلى سريوجا بمناسبة عيد ميلاده، وستعودان غداً بالتأكيد.

وسيرسم ريبين تخطيطات، ويريد أن يرسم ليوفوتشكا في جو العمل، في أثناء الكتابة.

ننتظر قدوم ألكسندرا أندرييفنا في يوم الثلاثاء.

16 يوليو. زارتنا ألكسندرا أندرييفنا ثم رحلت إلى تسارسكويه، حيث سارعت إلى هناك بسبب مرض أختها العمياء صوفيا. وكما هو الحال دائماً فقد جلبت معها طبعها المرح والرقيق والحاني الذي يبدي الاهتمام بكل شيء. لكنها تنتمي إلى حاشية البلاط حتى نخاع العظم. إنها تحب البلاط والقيصر وجميع الأسرة القيصرية، أولاً، لأنها مستعدة لحب الجميع، وثانياً لأنهم جميعاً من الأسرة القيصرية، وهي تعترف بالأرثوذكسية، وبالأفراد المباركين المسيحيين.

سافرت إلى موسكو في اليوم التالي لرحيلها من أجل أن أطلب طبع 20000 نسخة من المجلد 13 بالإضافة إلى الطبعات السابقة وعددها 3000، لكنها نفدت بسرعة جداً. وبذلت جهداً كبيراً في العثور على كمية الورق اللازمة والمطبعة المستعدة لتنفيذ الطلبية في غضون أسبوعين. كما اشتريت جهاز العروس من أجل ماشا كوزمينسكايا، وعملت طلبية من الفضة. وكانت معي فيرا كوزمينسكايا ونزلنا عند دياكوف الذي يعيش في مبنانا. زرت المعرض الفرنسي مع فيرا، وأردت مشاهدة اللوحات، لكنني شاهدت قليلاً منها، بسبب إغلاق المعرض بحلول المساء. وكابدت لوعة من الأسى، ولم أحلق في المنطاد لأنني بخلت ولم أرغب بدفع 5 روبلات.

كتب لي ليوفوتشكا وأنا بموسكو يقول إنه يرغب في إعطاء المجلدين 12 و13 إلى الجمهور، وبوسع أي أحد أن ينشرهما. لكن من جانب أنا أشفق على فقدان النقود التي ستحرم منها العائلة، ومن جانب آخر، ولمعرفتي بأن الرقابة سمحت بطبع جميع المقالات فقط ضمن مجموعة *المؤلفات الكاملة*، وسيكون من الدناءة السماح للجمهور بنشرها وبذلك يتعرض للخسائر والضلال. لكنني لم أرد أن أجلب الكرب لليوفوتشكا فقلت له يوم أمس بأنه يستطيع أن ينشر ويفعل كل ما يريد، وأنا لن أعارضه ولا ألومه. إنه يلتزم الصمت حتى الآن ولا يقدم على عمل أي شيء.

الضيوف كثيرون عندنا في هذه الأيام. وقد رحل ريبين بعد أن أنجز التمثال النصفي ولوحة صغيرة تصور ليوفوتشكا في أثناء الكتابة بغرفة مكتبه، كما بدأ برسم لوحة كبيرة بكامل قوامه سيكملها في بيته. ويبدو ليوفوتشكا فيها واقفاً في الغابة حافي القدمين ويده تحت الحزام.

ينحت جينزبورج تمثالاً نصفياً لم يوفق فيه، كما أنجز منحوتة صغيرة

يبدو فيها ليوفوتشكا يكتب وراء الطاولة، لا بأس بها. كما زارتنا فاريا ناجورنايا وفيرا وفاريا تولستوي والزوجان زينوفييف، والآن لدينا Helbig الأخ والأخت، واليوم التقطت مع الفتى Helbig صوراً فوتوغرافية للتمثال النصفي الذي نحته ريبين وكذلك لفانيا مع ميتيا، غير موفقة جداً.

وردت من ليوفا في طريقه إلى سامارا رسالتان تتسمان بالفتور... وقد سافر سريوجا إلى سامارا أيضاً في مهمة لها علاقة بأعمالي. قبل ثلاثة أيام جاء كاتب العدل بيلوبورودوف حاملاً الوثائق، ومسألة تقاسم الممتلكات ماشية في مسارها. كما جاء فيجنر في مساء يوم الأحد ومارس الغناء قليلاً، لكن بصورة ليست جيدة جداً.

ليوفوتشكا حزين وواجم، وقيل اليوم إنه أعلن نيته في السفر إلى موسكو. لا أعرف ما يجب عمله، ولا أعرف ماذا يجب أن أقرر، إن قلبي غالباً ما ينفطر بسبب المخاوف والشكوك والمسؤولية الفظيعة في معالجة الأمور بهذه الجهة أو تلك. وكيف تتم تربية الصبيان في القرية؟ أنا لا أعرف ولا أرى البتة الإمكانيات المحتملة.وهل سيبقى ليوفا وحيداً مجدداً لدى ترك الجامعة! وتانيا التي توجد لها فرص أكثر بالزواج لدى وجودها بموسكو. ومن ثم ليوفوتشكا الذي يكابد لوعة حارة لدى وجوده في المدينة. أنا أنتظر من الرب دائماً الدفعة التي ترغمني في هذه اللحظة على القيام بهذه الخطوة أو تلك.

يسود طوال الوقت القيظ والجفاف الفظيع، لكن الليالي منعشة، والجوع، إن الجوع فظيع، ترد من كافة الأنحاء الأنباء حوله، ولا تمر ساعة من دون تذكر ذلك. وباعتقادي أن *اليأس وعدم وجود مخرج* من هذا الوضع قد بلغ ذروته.

إن صحة ليوفوتشكا ليست جيدة تماماً. يوم أمس تناول البازلاء والبطيخ الأحمر بكميات كبيرة جعلتني أرتعب. ودفع الثمن ليلاً بشكل اضطراب المعدة. إنه يرفض شرب حليب الفرس كالسابق فهو لا يشربه ولم يشربه.

أخرج في الأمسية الثانية للنزهة مع فانيا وساشا. يوم أمس ذهبنا إلى وهدة زاكاز، واليوم ذهبنا إلى البئر بالقرب من موضع قطع الأشجار. وفانيا يحب إطلاق العنان لخياله فيتصور أن المكان مخيف وفيه ذئاب، وأن الماء في البئر ذو صفة متميزة خاصة.

جينزبورج لا يوفق كثيراً في نحت التمثال النصفي.

21 يوليو. يجب علي أن أدون الحادثة السخيفة وغير المعقولة والمؤسفة التي وقعت لي اليوم. أنا لا أعرف بالذات ما السخف في هذا الأمر: هل أنا سخيفة أم الأوضاع التي كنت فيها. لكن نفذ إلى أعماقي حزن قهار وتعذبت روحاً وجسداً.

اليوم قال لي ليوفوتشكا قبيل الغداء إنه يكتب رسالة موجهة إلى عدة صحف يعلن فيها رفضه لحقوق نشر مؤلفاته الأخيرة. وعندما تحدث حول هذا الموضوع في المرة السابقة قررت تحمل ذلك بهدوء، وهذا ما فعلت. لكن مضت عدة أيام، وإذا به يتطرق إلى الموضوع مجدداً. وفي هذه المرة لم أكن مستعدة لسماع كلامه، وكان أول شعور راودني هو لوعة حارة، فقد أحسست مباشرة بكل الحيف الذي يلحق الأسرة بسبب هذه الفعلة، وتحسست لأول مرة بأن هذا الاحتجاج هو إعلان جديد عن عدم وفاقه مع زوجته وأسرته. وهذا ما أثار مخاوفي بأكبر قدر. وتفوه كل واحد منا بحماقات كثيرة. ووجهت إليه اللوم بكونه يتعطش إلى المجد والشهرة بينما صرخ قائلاً إنني أحتاج إلى الروبلات وإنه لم يلق امرأة أكثر حماقة وجشعاً مني. كما ذكرت له أنه عاملني طوال حياتي بإذلال، لأنه لم يعتد التعامل مع نساء محترمات ومستقيمات، ولامني بأنني أفسد الأبناء فحسب بالنقود التي أستلمها... وفي نهاية المطاف راح يصرخ بي قائلاً: «اذهبي، اذهبي!». وانصرفت. تجولت في الحديقة من دون أن أعرف ما يجب عمله. ورأى الحارس أنني أبكي، وأحسست بالخجل. وهكذا بلغت بستان أشجار التفاح. فجلست في حفرة صغيرة هناك ووقعت جميع الإعلانات بقلم رصاص كان في جيبي. ثم دونت في مفكرتي أنني سأنتحر في كوزلوفكا، لأنني ألقى العذاب في الحياة مع ليف نيقولايفتش، ولم أعد أستطيع أن *أقرر* لوحدي جميع القضايا العائلية ولهذا سأضع حداً لحياتي.

إنني أتذكر أيام الشباب كنت أود الانتحار دوماً حين أتشاجر، لكنني كنت أشعر بعجزي عن القيام بذلك، وأنا كنت سأقدم على ذلك اليوم، لكن أنقذني حادث وقع لي. فقد جريت إلى كوزلوفكا في حال اختبال تام. ولأمر ما كنت طوال الوقت أستعيد في ذاكرتي ليوفا، وأفكر بأنني إذا ما استلمت الآن برقية أو رسالة بأن ليوفا غير موجود لسبب ما، فسيستحث

ذاك تنفيذ قراري. وعندما وصلت إلى مكتب البريد تقريباً، عند الوهدة الكبيرة، استلقيت هناك من أجل استرجاع أنفاسي. وآنذاك بدأ الغسق يلقي بظلاله، لكنني لم أشعر بالخوف البتة. ولغرابة الأمر أنني شعرت *بالخزي* إذا ما رجعت إلى البيت من دون أن أنفذ نيتي. وهكذا واصلت مشيتي بهدوء وبيلادة، وقد غلبني صداع شديد، وغمرني ضيق في كياني كله. وعندما نويت مواصلة السير انبجس من بعيد شبح شخص ما يرتدي قميصاً، قادم من جهة كوزلوفكا. فسررت وظننت بأنه ليوفوتشكا، ونحن سنتصالح. لكن تبين أنه ألكسندر ميخايلوفتش كوزمينسكي. وغلبني الكدر لكونه حال دون تحقيق نيتي، وشعرت بأنه لن يتركني لشأني. وقد دهش للغاية حين رآني لوحدي، وأدرك من رؤيته لسحنتي بأنني في وضع مضطرب. أنا لم أتوقع البتة رؤيته وحاولت إقناعه بأن يتركني لشأني ويذهب إلى بيته. صرت أؤكد له بأنني سآتي لاحقاً. لكنه لم ينصرف وراح يقنعني بأن أمضي معه مشيراً إلى جماعة سائرة في الجانب الآخر، وقال إنهم سيبعثون الخوف لدي، والرب وحده من يتسكع في هذه الأنحاء.

ثم قال إنه كان يريد الالتفاف والمضي عبر فورونكا وغوريلايا بوليانا، لكن هاجمه النمل الطيار، فاضطر إلى الهرب إلى دغل ونزع ملابسه، ولكنه تلكأ وقرر العودة في الطريق نفسه. ورأيت أن الرب لم يرغب في أن أرتكب المعصية فاستسلمت لإرادته، ومضيت وراء كوزمينسكي. لكنني لم أرغب في الرجوع إلى البيت، وذهبت لوحدي إلى زاكاز من أجل السباحة. وفكرت بأن هذا سيكون مخرجاً آخر فلربما سأغرق. وكانت تلاحقني البلاهة ذاتها واليأس والرغبة في أن أضع حداً لحياتي التي تتطلب مني إنجاز مهام تتجاوز طاقتي. وكان ستارالظلام قد خيم على الغابة كلياً. وبدأت أقترب من الوهدة، وفجأة انبجس وحش ما – لا أدري ما هو، فأنا ضعيفة البصر ولا أرى شيئاً من بعيد – هل هو كلب أم ثعلب أم ذئب، وقفز باتجاهي بغية عبور الطريق. فصرخت بأعلى صوتي. واستدار الوحش بسرعة نحو الغابة، وتردد بعده حفيف الأوراق. لحظتئذ فقدت شجاعتي، فرجعت إلى البيت وذهبت إلى فانتشكا. وكان قد رقد في الفراش. فصار يلاطفني ويردد باستمرار: «أمي، أمي!».وأذكر بأنه كان يتفق أن ألج غرفة الأطفال بعد مثل هذا المزاج العكر فيمنحني الأطفال مجدداً مغزى

الحياة، واليوم لاحظت العكس، ويا لفظاعة الأمر، فإن لوعة الحزن والأسى كانت أشد، وترك الأطفال في تأثيراً يتسم بنوع من الكدر وضياع الأمل.

بعد ذلك رقدت في فراشي في البداية، ثم تملكني القلق بصدد خروج ليوفوتشكا، فرقدت في الهواء الطلق في أرجوحة شبكية، وطفقت أصغي لكي أعرف فيما إذا رجع من الخارج. وإنضم الجميع إليّ في الشرفة شيئاً فشيئاً ثم جاء ليوفوتشكا. انهمك الجميع في الثرثرة والصراخ والضحك. وأبدى ليوفوتشكا حيوية كما لو أنه لم يحدث أي شيء. فإن متطلبات عقله، باسم الفكرة، لم تمس قلبه البتة كما يبدو. وكذلك ما سببه لي من ألم، وما أكثر المرات التي آلمني فيها. ولن يعرف أبداً بأنني كنت على وشك الانتحار، وإذا ما عرف فلن يصدق ذلك.

غفوت في الأرجوحة نظراً لما كابدته من إجهاد نفسي وجسدي. وقد بحثت ماشا عن شيء ما بواسطة الشمعة فأيقظتني. وذهبت لشرب الشاي. وعندما احتشد الجميع قرأنا بصوت عال: «الرجل الغريب» لليرمنتوف. وعندما تفرقوا وانصرف جينزبورج، دنا ليوفوتشكا مني وقبلني وتفوه بكلمات صلح ما. فطلبت منه أن ينشر بيانه وألا يعود أكثر إلى الحديث عن ذلك. وقال إنه لن ينشره حتى *أتفهم* أنا الأمر، فهذا ضروري. وقلت له إنني لا أحسن الكذب ولن أكذب، لكنني لا أستطيع أن أتفهمه. إن حالتي اليوم قاربتني من الموت: فقد تحطم شيء ما في أعماقي بشكل خطير، بروح الشيخوخة، وبصرامة وقتامة. «دعهم يجهزون علي! فقط أن يتم ذلك بأسرع وقت». هذا ما جال في خاطري.

وتلاحقني المرة تلو المرة «سوناتا كريتسر» ذاتها. وقلت له اليوم مجدداً إنني لن أعيش معه أكثر كزوجة لن أفعل ذلك. بينما أكد لي أنه يود هذا فقط. لكنني لم أصدقه.

إنه نائم الآن، وأنا لا أستطيع الذهاب إليه. غداً عيد القديس شفيع ماشا كوزمينسكايا، وينشغل الأطفال تحت إشرافي في تحضير الأحجية والألغاز. أدعو الرب ألا يعيقهم أحد وألا يكدر مزاج أحد منهم.

23 يوليو. إن الأثر الذي تركه الحدث البغيض الأخير لن يمحى أبداً. وذهبت

مرتين إليه لكي أقول له إنني أرجوه أن يعلن جهاراً بيانه حول التخلي عن حقوق نشر مؤلفاته في فترة الأعوام الأخيرة. ودعه يعلن أمام الملأ وجود خلافات في العائلة، وإنني لا أخشى أحداً، ويهمني فقط ما يمليه علي ضميري. إن النقود التي أتلقاها لقاء كتبه أنفقها كلها على أطفاله. لكنني أتحكم فقط بالنفقات حيث أبقيها بيديّ، لأنها لو كانت بأيديهم كلياً لبذروها بشكل أخرق وبصورة غير عادلة. والآن يراودني شعور واحد هو أن أتخلص من ملامة أخرى توجه إليّ، ومن ذنب آخر فرض علي فرضاً. وما أكثرها الملقاة على عاتقي وهي: تقاسم الممتلكات الذي فرض خلافاً لإرادتي، وتربية الصبيان، الذي يتعين عليّ الانتقال إلى موسكو معهم، جميع القضايا المتعلقة بنشر الكتب وإدارة شؤون الضيعة والبيت، وجميع المسؤولية الأخلاقية عن الأسرة. وينتابني خلال هذين اليومين الشعور بأنني أنوء بكل كياني تحت وطأة أعباء الحياة، ولولا النمل الطيار الذي هاجم كوزمينسكي وأرغمه على العودة إلى ذلك الطريق بالذات، لربما ما كنت سأبقى على قيد الحياة. ولم يحدث أبداً أن مضيت نحو تنفيذ قراري بمثل ذلك الهدوء والحزم.

بالرغم من هذه الصخرة الجاثمة على صدري فإنني توليت يوم أمس قيادة الأطفال لدى فك ألغاز الحزورة كلها. فقد مارسنا لعبة الحزورة كول – اوده = كولودا. وشارك فيها أبناء أسرة كوزمينسكي ميشا وسانيا وفاسيا وبوريس ناجورنوف وأندريوشا وميشا. وظهرت ساشا لحظة بهيئة ملاك، ومنها تشكلت اللوحة الحية.

مارس الجميع اللعبة فترة طويلة. وأنا أعتقد أن مثل ألعاب التسلية هذه ضرورية من أجل تطوير الصبيان وإشغال خيالهم. إنها ليست ضارة الاتجاه، الذي تلبيه وسائل التسلية هذه. وحضر بالإضافة إلى أطفالي والأهل كل من إيرديلي والصبيتان من أسرة زينوفييف وجميع الخدم والبشكير والحوذيون وجميع العاملين في البيت. وكان النجاح باهراً، وأعرب الجميع عن رضاهم. وعندما انتهى كل شيء كنت أتمايل فحسب من الإجهاد، أما الصخرة فقد بقيت جاثمة على القلب وما زالت حتى الآن.

تقرر يوم أمس أن يكون موعد زفاف ماشا كوزمينسكايا في ياسنايا بوليانا في 25 أغسطس. أنا مسرورة جداً. فهذا ييسر ويقلل من نفقات الزفاف كلها. ولا حاجة لسفر أي أحد إلى بطرسبورغ، وسيسود جو المرح جداً لدى الجميع.

الجفاف يسود في الباحة كلها، وتهب الريح والليالي باردة. وطال الجفاف كل شيء – المزرعة البيتية والبساتين وأوراق الأشجار والأزهار والروضة. كتب ليوفا من سامارا إن الوضع هناك مماثل أيضاً.

التمثال النصفي الذي صنعه جينزبورج جاهز. ويبدو قبيحاً جداً. إن جينزبورج نفسه شخص جلف ذو روح خسيسة، وأنا سعيدة لكونه رحل.

لقد تغير رأيي حول جنيزبورج تماماً. فهو رجل طيب ونزيه. (السطر الأخير كتب في وقت لاحق).

26 يوليو. توفيت يوم أمس في القرية امرأة شابة، زوجة بيوتر، ابن الحوذي فيليب. وكانت ماشا قد زارتها مراراً لعلاجها وقالت إنها مصابة بورم في الحلقوم. وفي نهاية الأمر ذكرت أن المرض هو، كما يبدو، الدفتيريا. وعندئذ منعتها من الذهاب إلى هناك. لكن إذا ما نقلت العدوى فقد فات الأوان لمنعها. أنا كنت أرثي جداً لهذه المرأة اللطيفة. لكنني تكدرت للغاية بسبب ماشا التي جازفت بنقل العدوى إلى أسرتين فيهما أطفال صغار. وحسب قولها فإنها داء الدفتيريا في أغلب الظن، وقد أخفت ذلك طوال الوقت بما تتميز به من مكر. والآن أصبحت مضطربة الأعصاب، إنها تشكو من ألم في البلعوم، ويبدو أنها جبنت. إن هذه الابنة التي أرسلها الرب لي بمثابة صليب، لا تجلب لي سوء الحزن والقلق والكدر والأسى.

عملت طوال اليوم في تصحيح الـ «الألفباء». إن اللجنة العلمية لن توافق على هذا الكتاب بسبب وجود كلمات مختلفة فيه مثل: القمل، البق، الشيطان، وكذلك بسبب وجود أخطاء، كما اقترحت حذف القصص: حول الثعلب والبق، وحول الموجيك الأهبل وغيرها، وهو ما لم يوافق عليه ليوفوتشكا.

أصيب بالزكام كل من فانيا وميتيا وفاسيا وليوفوتشكا. هطلت أمطار غزيرة، وهدرت العاصفة الرعدية...أصبح الجو منعشاً الآن. ليوفوتشكا انطلق إلى تولا يوم أمس على صهوة الجواد لاستدعاء طبيب من المحسنين. لكن تبين أن الأخير في موسكو، أما المرأة التي أراد استدعاء الطبيب من أجلها فقد فارقت الحياة. سافرت تانيا وماشا ابنتا كوزمينسكي إلى بطرسبورغ يوم 24 يوليو من أجل عمل طلبية خياطة أشياء ما من أجل الزفاف.

27 يوليو. أنا غير راضية عن نفسي البتة. أيقظني ليوفوتشكا في الصباح وانهال علي بقبلات شبقة... بعد ذلك تناولت الرواية الفرنسية «Un coeur de famme» لبورجيه وواصلت القراءة في الفراش حتى الساعة الحادية عشرة والنصف، وهو ما لم أفعله سابقاً أبداً. وسبب ذلك هو السكر غير المغتفر لي الذي أدمنته، وفي أعوامي! أنا أشعر بالحزن وتأنيب الضمير. أنا أشعر بأنني خاطئة وتعيسة، ولا أستطيع عمل أي شيء بالرغم من بذل كل جهد في ذلك. وأنا بهذا الوضع بدلاً من النهوض بصورة مبكرة، وإرسال البشكيريين الذين يتأخرون عن الذهاب إلى طريق السكك الحديدية، بغية أن أكتب إلى كاتب العدل وأطلب إرسال الوثائق، وبغية النظر إلى ما يفعله الأطفال. وقد جلس ساشا وفانيا طويلاً في فراشي وواصلا اللعب والضحك. رويت لفانيا حكاية حول ليبونيوشكا، وكان مسروراً جداً. وفانيا مصاب بالزكام، بينما يعاني ساشا من اضطراب في المعدة. بعد ذلك أعطيت لميشا درساً في الموسيقى، باختصار وبصورة جيدة. أندريوشا يترجم من الإنجليزية وتخلى عن الموسيقى نهائياً. تزورنا صونيا مامونوفا وخوخلوف. الجو صاح ومنعش.

آه، يا له من رجل غريب زوجي هذا! فبعد ذلك *الحادث* بيننا، صارحني في صباح اليوم التالي بحبه الجارف، وقال إنني سيطرت عليه لدرجة أنه لم يكن يفكر أبداً بإمكان وجود مثل هذا العشق. إن كل هذا *نداء الجسد*، بينما يوجد سر الخلاف بيننا. والشهوة تتملكني أيضاً، لكنني لا *أريد هذا* بكل كياني المعنوي، ولم *أرد* ذلك أبداً، وكنت أحلم بشكل عاطفي وصبوت طوال حياتي إلى العلاقات المثالية، والتعامل مع كل شيء، ولكن باستثناء *هذا*. فقد مضت الحياة، وقتل جميع ما هو طيب تقريباً – على أي حال إن المثل الأعلى قتل.

لقد جذبتني رواية بورجيه لأنني وجدت فيها تلك الفكرة، وذلك الشعور الذي كنت نفسي قادرة على معاناته جداً. إن المرأة في المجتمع الراقي تحب في آن واحد شيئين: الشخص السابق والنبيل والمحب والرائع – الزوج تقريباً، ولو أنه غير معترف به، والشخص الجديد الوسيم الذي يحبها أيضاً. أنا أعلم إلى أي حد يمكن أن يوجد هذا الحب المزدوج – وقد تم وصفه بشكل صحيح. فلم يجب أن يستثني هذا الحب الحب الآخر؟ ولم لا تحب المرأة وتبقى شريفة؟

29 يوليو. يستضيف عندنا ستراخوف: إنه ظريف وذكي للغاية كعادته. زارنا بازيليفتش وطالبة ما من قازان وجهت أسئلة مختلفة إلى ليوفوتشكا عن قضايا تتعلق بحياته واهتماماته.

ليوفوتشكا يشعر بوعكة فهو غير معافى تماماً بسبب اضطراب في المعدة، وفي الليل ارتفعت درجة حرارته. تانيا في بيروجوفو. مطر وضجر. أنا قلقة بشأن ليوفا وسريوجا. كتبت رسائل: إلى تانيا وجينزبورج ومدير أعمال الضيعة في سامارا.

12 أغسطس. ذهب ليوفوتشكا إلى بيروجوفو على صهوة الجواد. الجو المعنوي في البيت ثقيل. وأعلن ليوفوتشكا اليوم لماشا أنه سيبقى هنا طوال الشتاء ولن يذهب إلى موسكو أبداً، ولهذا أقنعها بدخول الدورات الطبية للممرضين التي قدمت طلباً للانضمام إليها فعلاً. وقد أثر هذا النبأ في تانيا، كما يبدو، تأثيراً فيه لوعة الحزن والأسى، وكذلك كانت حالي. لكنها لزمت الصمت.

نفذ إلى أعماقي حزن قهار فظيع! ما العمل؟

لقد استنفدت كل طاقتي، وجميع محاولاتي لتربية الأطفال في البيت. ولا أطيق هذا أكثر! أنا لا أعلم ما العمل لاحقاً، ومن أين نحصل على المعلمين، وهل سيدرس أندريوشا، فقد خمد فكرياً طوال الشتاء. أنا لا أعلم ماذا سيفعل ليوفا، وكيف سأفارقه مجدداً. ولا أعرف كيف سأحيا بلا ليوفوتشكا وبدون الفتيات وكيف سيعشن هن بدوننا، إذا ما سافرت إلى موسكو مع الصبيان. رحماك يا رب، علمني! من جانب آخر أن انتقال ليوفوتشكا إلى موسكو سيعني أنه سيكابد لوعة حارة وسيغضب. على أي حال إن حياتنا ستمضي في اتجاهين مختلفين: أنا مع الأطفال، وهو مع أفكاره وأنانيته، فلا يمكن رتق ما تمزق.

أضع كل أملي في الرب، فحين ستحل لحظة اتخاذ القرار سيعلمني كيف سأعمل.

أحاول بكل السبل تسلية نفسي، وإلا فستداهمني مجدداً الرغبة في الانتحار، ووضع حد للحياة المزدوجة هذه، فتجولت اليوم أربع ساعات

مع ساشا الصغيرة في جمع الفطر، كما ذهبت قبل ثلاثة أيام إلى الحفلة الموسيقية لفيجنيروف مع فيرا كوزمينسكايا وأندريوشا وميشا. كان هناك عدد كبير من المعارف، والغناء فيها جيد، ووجدت نفسي مشرقة الوجه متهللة الأسارير.

وردت رسالة من ليوفا في أستراخان، إنه يبحر في بحر قزوين، لكنه لن يذهب إلى القوقاز، إلى بياتيغورسك كما أراد مسبقاً، لأنه حدث في الطريق الجورجي الحربي انهيال الصخور الجبلية ولن يفتح الطريق قبل 10 سبتمبر. إنني غالباً ما أقلق وأحزن عليه. تساقط التفاح، بكثرة، وثمة كميات كبيرة من الفطر: الأبيض والحوري والبتولي. واليوم جمعنا فطر الأوبيونكي.

14 أغسطس. ذهبت إلى تولا. قام أندريوشا وميشا بقياس البدلات لدى الخياط، بينما استلمت النقود من ديون نيقولسكويه (2000 روبل)، والتقت ماشا كوزمينسكايا مع خطيبها واصطحبته معها. ابنتي ماشا مريضة، سخونة شديدة، ترقد شاحبة الوجه وتثير الشفقة. تلقيت برقية من ليوفا يسأل عن موعد زفاف ماشا؟ كتبت رسائل تتعلق بالأعمال وإلى الكونتيسة ألكسندرا أندرييفنا. تجولت نصف ساعة لجمع الفطر مع ساشا وفانتشكا، لكنني تبللت جداً تحت المطر. في المساء جلست مع ماشا، ثم تحدثنا عن الزواج، والحب، والنساء.

قالت شقيقتي تانيا: «سافري إلى موسكو حتماً وابقي هناك. صدقيني إن الشوق سيدفع زوجك والفتيات إلى المجيء إليك عاجلاً».

15 أغسطس. الجو رائع. وأغراني ذلك للذهاب مع الأطفال لجمع الفطر وتجولت أربع ساعات. ما أطيب الجولة! ما أروع رائحة الأرض، وما أجمل الفطر الأحمر المبلل والمغطى بالطحالب، وغيره من أصناف الفطر. ما أكثر ما تبعث هدأة الغابة الطمأنينة في النفوس، وما أكثر نضارة العشب المرصع بقطرات الطل، والسماء الصافية، والأطفال بوجوههم الطافحة بالبشر والفرح وبسلالهم المليئة بالفطر. هذا ما أسميه بالمتعة الحقيقية! تلقيت رسالة من ليوفا من فلاديقوقاز وبرقية من كيسلوفودسك. الحمد لله، إنه حي يرزق ومعافى. صحة ماشا أفضل.

في المساء جلست عند أسرة كوزمينسكي مع تانيا وماشا وفانتشكا أيرديلي. تحدث عن العلاقات الزوجية، فحدثتهم عن كيف تزوجت، فانبجست أمامي حياتي الماضية كلها، الخالية من المسرات. وقد تعرت هذه الحياة الخالية من المسرات الآن بصورة خاصة. فلئن يعيش الناس في أيام الشباب حياة الحب، يجب أن يعيشوا في حياة النضوج حياة تسودها المودة. فماذا كانت حياتنا؟ فورات من الهيام وبرودة مديدة، ثم الهيام مجدداً وتعقبه البرودة. وأحياناً ثمة حاجة إلى هذا الحنان المتبادل والرقيق والمودة، ويعتقد المرء بأن الحال سيكون طيباً هكذا دائماً، ويقوم بمحاولات للتقارب، وإقامة علاقات بسيطة، وتعاطف، ومصالح مشتركة، لكنه لا يجد أي شيء، أي شيء، سوى عيون طافحة بالصرامة، تتطلع بتقزز وعجب، واللامبالاة، والبرودة، والقر الفظيع. وثمة ذريعة واحدة حول السبب الذي جعلنا بعيدين عن أحدنا الآخر بهذا القدر، وهي: «أنا أحيا حياة مسيحية، وأنت لا تعترفين بها، وأنت تفسدين الأطفال» وهلم جرا.

أية جياة مسيحية هذه حين لا يوجد أقل قدر من الحب تجاه الأطفال، ولا تجاهي أو أي أحد قطعاً، باستثناء حب الذات. وأنا وثنية، لكنني أحب أطفالي جداً، ولسوء الحظ، أحبه جداً أيضاً، هو المسيحي البارد، لدرجة أن القلب ينفطر الآن بسبب السؤال المطروح: هل أذهب إلى موسكو أم لا؟ ما العمل لكي يشعر الجميع بالارتياح. لأن الرب يعرف بأنني أشعر بالارتياح فقط عندما أستطيع أن أرى وأقيم السعادة حولي.

20 أغسطس. زارنا فرنسيان: العالم النفساني ريشيه وقريبه، وجاء بهما البروفيسور جروت. توجهت ماشا يوم أمس إلى بيروجوفو لاستدعاء ليوفوتشكا، واليوم أصبحت طريحة الفراش وارتفعت درجة حرارتها إلى 39.6. صباح يوم أمس قمنا بـ «بكنيك» إلى الغابات برفقة الجيران جميعاً. وكدر فرحة الأطفال والشباب تساقط المطر بين الفينة والفينة عدة مرات، ولهذا رجعنا كلنا مبكراً. ليوفوتشكا هادئ ومشرق الوجه بمودة ومحب جداً. أثار اهتمامنا جداً الإصغاء اليوم إلى أحاديث ليوفوتشكا وريشيه وجروت. وفي المساء بدأت الحديث حول إلحاق الأبناء بالجمنازيا والانتقال إلى

موسكو. فقال ليوفوتشكا: «لكن هذه المسألة منتهية، فما الداعي للكلام؟». لم يتقرر أي شيء، بل ثمة أسئلة موجعة فحسب...

19 سبتمبر. يحدث دائماً حين تكون الحياة مفعمة بالأحداث، ألا أجد الوقت لتدوين اليوميات، بينما هي شيقة للغاية. سأسترجع جميع الأحداث.

جرت حتى 25 أغسطس التحضيرات بفرح لزفاف ماشا كوزمينسكايا. فقمنا بالمشتريات وصنعنا الفوانيس ولوازم الزينة للجياد والأعلام وهكذا دواليك. وفي صباح يوم 25 باركت فانتشكا إيرديلي وشقيقه ساشا ورافقته في العربة إلى الكنيسة. وكلانا في حال انفعال المشاعر. وراودني شعور الإشفاق على هذا الفتى النقي، الفتي الرقيق، لكونه يأخذ على عاتقه الالتزامات الزوجية مبكراً، ولكونه وحيداً بهذا القدر. وتمت مباركة ماشا من دون حضوري. ويقال إنها بكت كثيراً، كما بكى أبوها. ثم أقيمت الطقوس، وكانت الدموع تنحبس في حلقي بلا توقف، فكابدت لدى استرجاع ذكريات ماضيَّ نفسي، ومستقبلها، واحتمال فراق تانيا وحتى ماشا، التي كنت أرثي لها دائماً، وأشعر بكوني مذنبة حيالها دوماً لأنني لا أمنحها القدر الكافي من الحب.

ثم تناولنا طعام الغداء في ساحة لعبة الكروكيت. كان الجو اليوم صاحياً ورائعاً ودافئاً، والجميع في مرح، والجميع بخفة الروح والابتهاج، أبنائي وأقربائي وجيراني. وفي المساء مارسنا الألعاب ورقصنا وأنشدنا الأغاني. وكان غناء فيجنر رائعاً جداً في ذلك المساء. أنا تابعت اليوم كله تانيا، وخطابها السابقين، أي الذين طلبوا يدها، وتابعت ستاخوفتش، الذي كنت أتمنى أن يتزوجها. ففي أغلب الظن أنه كان سيثمنها ويحبها. وانصرف الضيوف في وقت متأخر، بينما جلست حتى الفجر مع الذين خافوا الذهاب ليلاً بسبب العتمة. وجلست أيضاً:كنتي صونيا وتانيا وستاخوفتش الذي تبادل الأحاديث حول أشياء قاسية تتعلق بالأطفال وأعباء إنجابهم. كان ليوفوتشكا مريضاً قبل يومين من حفل الزفاف، لكن حالته الصحية تحسنت في ذلك اليوم. اجتمع كافة أبنائي التسعة مجدداً، وكنت سعيدة للغاية وأبعدت جهدي كافة الهموم والتساؤلات. وبات الشباب ليلتهم كل واحد في مكانه القديم: ماشا مع شقيقتها، وفانتشكا أيرديلي مع ليوفا. وفي صباح اليوم التالي قضينا أوقاتنا كما في السابق، وفي

الساعة السادسة مساء ودعنا الشباب إلى ياسينكي، وذرف الجميع الدموع الكثيرة. كان الجو بارداً، وهبت الريح، غمرت أرواح الجميع لوعة من الحزن والأسى، وعادت الحياة إلى مجراها القديم مجدداً، وعادت لي هواجس القلق مرتين. فإنني لم أطرح موضوع الانتقال إلى موسكو حتى يوم 29. لكن الوقت يمضي، ولا مجال لتضييعه، ولهذا طلبت من ليوفوتشكا أن يتمشى معي وأن يبلغني بقراره بصدد الانتقال إلى موسكو والتحاق الأطفال بالجمنازيا. وقلت له إنني أعرف مدى صعوبة ذلك بالنسبة له، وسألت فقط كم من الوقت من حياته، يمكن أن يضحي به من أجلي، ويعيش معي في موسكو؟ فقال: «أنا لن أذهب إلى موسكو أبداً». فقلت عندئذ: «حسناً جداً، وبهذا تتقرر المسألة، وأنا لن أذهب إلى موسكو أيضاً، والأطفال لن يذهبوا، وسأبحث مجدداً عن المعلمين لهم». - «لا، أنا لا أرغب في ذلك، أنت سافري حتماً، خذي الأطفال، لأنك تعتقدين أن هذا واجب وأفضل». - «لكن هذا يعني الطلاق، فلن تراني ولن ترى أبناءك الخمسة طوال فترة الشتاء». - «إنني لا أرى الأطفال كثيراً هنا أيضاً، وأنت ستأتين إليّ». - «أنا؟ كلا البتة».

ألمت بي مشاعر الأسف لكوني أحببته، وكنت ملكاً له وحده طوال الحياة، والآن حين يرميني جانباً مثل فردة حذاء عتيقة، ما زلت متعلقة به ولا أستطيع تركه.

لقد استبد به الارتباك لدى رؤية دموعي. ولو وجد لديه ظل من ذلك التفهم النفسي الوارد في الكتب بكل قوة، لوجب عليه أن يدرك ذلك الألم وشدة الكرب اللذين اعتملت نفسي بهما لحظتئذ.

قال «أنا أرثي لك. وأرى مدى معاناتك، لكنني لا أعرف كيف أساعدك».

- «أنا أعرف. أعتقد بأن تمزيق العائلة إلى نصفين ليس شيئاً أخلاقياً، وبلا سبب، أنا أضحي بالأطفال، ليوفا وأندريوشا، وتعليمهما ومصيرهما، وسأبقى معك ومع البنات في القرية».

- «ها أنت تتحدثين عن *التضحية* بالأطفال وستلومينني بسبب ذلك».

- لكن ما العمل، قل، ما العمل؟».

- لزم ليوفوتشكا الصمت. ثم قال «أنا لا أستطيع قول شيء الآن، دعيني أفكر حتى يوم غد».

افترقنا في ميدان جرومونت، فذهب هو لعيادة مريض في جرومونت، بينما قفلت راجعة إلى البيت. أي حزن عميق لا يمكن إصلاحه قد شق في قلبي بموقفه الجديد القاسي بطردي من حياته. ادلهم الغسق. مشيت في الطريق وأنا أواصل بلا توقف النحيب الذي أكتمه في صدري. ومر بي رجال ونساء من الفلاحين وصاروا يتطلعون إلي بدهشة. كنت أغذ الخطى خائفة في الغابة. ولكن الأنوار مضاءة في البيت، وكانوا يشربون الشاي، واندفع الأطفال للقائي.

في اليوم التالي قال لي ليوفوتشكا بصوت هادئ: «سافري إلى موسكو، وخذي معك الأطفال، وبلا ريب سأعمل كل ما ترغبين فيه؟». ترغبين؟ إن هذه الكلمة فظيعة بالنسبة لي. إنني لم أرغب في شيء منذ وقت بعيد من أجل نفسي، وأرغب فقط في سعادتهم ومسرتهم وعافيتهم.

في المساء جمعت حاجيات الأطفال وحاجياتي، وجمعت الأوراق، وفي 1 سبتمبر أخذت الصبيين إلى موسكو. وستبقى إلى الأبد الشكوك والمخاوف فيما إذا أحسنت عمل ذلك. لكنني فكرت بأنني أعمل ما هو واجب. وقبيل سفرنا سمعت من ليوفا قصة فظيعة حول تورط ميشا كوزمينسكي مع مرضعة ميتيتشكا، وأن أولادي يعرفون كل تفاصيل ذلك. الضربة تلو الضربة. طفح قلبي بالتقزز، والحزن على شقيقتي، والألم لبراءة أولادي. هكذا سافرت، وهكذا عشت في موسكو مع هذه الأوجاع. لكن جلب الطمأنينة في نفسي انشغالي بتدبير الأمور المادية والدعم المعنوي للأولاد في وضعهم الجديد. ثم جاء ليوفا وحدثني عن حزن ويأس شقيقتي تانيا، وكيف أنها كابدت بحزن لدى سماع هذا النبأ. كنت أشعر بالمرارة منذ وقت بعيد، ولهذا وقفت موقفاً أكثر بلادة من ذلك، وأنا أحسست بذلك سابقاً، علماً أن تانيا تكدرت لكوني أعاملها ببرود ولا أتعاطف معها كما ينبغي. لكن هذا الحكم غير عادل. فالموقف الواهن من القضية لا يقل تعاطفاً عن الموقف الناشط والحار، الذي قد يظهر فقط بعد أن يبتلي الناس بالحدث مباشرة، ولا يمكن أن يستمر فترة أسبوعين.

جاء إلى موسكو ليوفا أيضاً. وسيقدم الامتحان المتأخر للانتقال من الصف الأول إلى الثاني. ليوفا شاب لطيف جداً. فهو لبق ونقي السريرة

وموهوب، ويعامل الصبيين عاملة طيبة. وقد شارك على الفور في تحضير دروسهما، وفي حياتهما. وكرر مع أندريوشا الدروس، وبث فيه الثقة فيما يتعلق بالقضايا الأخلاقية، وما يخص تورط ميشا كوزمينسكي في الإثم، وبث فيهما روح التفاؤل والانشراح.

بقيت في موسكو أسبوعين معهم، وتوليت الإشراف على أعمال طلاء بعض الحجرات ولصق ورق الجدران وتغيير ترتيب بعض الأماكن في البيت، وتنجيد الأثاث، كما ضبطت نظام حياة الأولاد ثم سافرت. بقي هناك أولادي الثلاثة ومدام بوريل وألكسي متروفانتش والآن فوميتش.

وصلت إلى بيتنا في ياسنايا بوليانا صباح يوم 15. ولامني ليوفوتشكا في الصباح لكوني وضعت «النير» في أعناق أولادي. واحتدم التوتر في الحديث بيننا مجدداً، لكن سرعان ما مر الأمر بسلام. وكان يمكن حدوث شجار بيننا. وأعربت لتانيا عن غيظي وغضبي على ميشا، وأشرت إلى احتمال فراقنا في الصيف القادم. وقد أكد لي ليوفا ضرورة ذلك من أجل مصلحة الأولاد، بيد أن هذا الأمر ثقيل الوطأة للغاية بالنسبة لي. فما هو تأثير ذلك في تانيا. لقد احمرت سحنتها وقالت: «كفى يا صونيا، لقد مزقت نياط قلبي كلها!». لقد تركت هذه القضية حتى الربيع وحتى معرفة كيف سيكون سلوك ميشا قبل الربيع. وبعد ذلك تحدثت مع ليوفوتشكا بصدد الرسالة التي أرسلها في 16 سبتمبر إلى الصحف بشأن التخلي عن حقوق نشر المقالات التي يتضمنها المجلدان 12 و13. إنها المنابت ذاتها من حيث النوع: الغرور والرغبة في كسب المجد مجدداً ومجدداً، والمزيد من الحديث عن مناقبه في المجتمع. ولا يستطيع أحد تغيير اعتقادي هذا.

لقد أرسلت الرسالة. وفي المساء وردت رسالة من ليسكوف تتضمن قصاصة من جريدة «نوفويه فريميا». والقصاصة بعنوان: «ل.ن.تولستوي عن الجوع». وقد نشر ليسكوف تلك المقاطع من رسالة ليوفوتشكا إليه حول الجوع. علماً أن رسالة ليوفوتشكا غير مترابطة في الفكرة، وفي بعض الأماكن فيها غلو، على أي حال هذا لا يصلح للنشر في الصحف. وأثار قلقه نشر أقواله، استبد به السهاد في الليل، وفي صباح غد قال إن الجوع يقض مضجعه، ويجب تنظيم مطاعم شعبية يمكن أن يأتي إليها الجياع

لتناول الطعام، وينبغي – وهو الأمر الرئيس – بذل الجهد الشخصي ويأمل في أن أعطيه النقود لهذا الغرض(بينما أرسل بنفسه لتوه رسالة يتخلى فيها عن حقوق نشر المجلدين 12 و13 بغية *ألا يحصل* على النقود. فحاول أن تفهمه!). إنه سيذهب فوراً إلى بيروجوفو لكي يبدأ هذا العمل وينشر الخبر عنه. لكن لا يجوز الكتابة والنشر من دون مكابدة ذلك فعلاً، ولهذا يجب بمساعدة أخيه وأصحاب الأطيان المحليين افتتاح مطعمين أو ثلاثة، بغية نشر الخبر عنها.

وقال لي قبيل السفر: «لا تتصوري، رجاء، بأنني أفعل ذلك من أجل أن يتحدث الناس عني، إن العيش بهدوء حيال ذلك غير ممكن فحسب».

حقاً، لو أنه فعل ذلك تلبية لنداء القلب والألم لدى التفكير في الجياع، لكنت قد جثوت على ركبتي أمامه ولمنحته الكثير. لكنني لم أسمع ولا أسمع نداء قلبه. دعه يبث الحركة على الأقل في قلوب الآخرين بواسطة قلمه وقدرته.

نحن نعيش حياة هادئة، تانيا وأنا وماشا وفيرا وفاسيا وفانيا وساشا وميتيا. الجو رائع، صاف، وهادئ. تلقيت من الأولاد رسائل طيبة. أنا سعيدة بالعزلة وبالراحة، وركزت اهتمامي على عالمي الداخلي، وأطالع وأفكر وأكتب وأصلي. في الأمس عصفت بي الانفعالات التي أثارها زوجي في، أما اليوم فكل شيء صاف ويتسم بالقدسية والهدوء والطيبة. الصفاء والوضوح، هذا هو مثلي الأعلى.

21 سبتمبر. تلقيت رسالتين من ليوفا وميشا. خرجت يوم أمس واليوم في نزهة بعيدة، يوم أمس مع ساشا، واليوم مع فيرا وليدا. إن جمال الطبيعة في هذه الأيام مذهل. الجو دافئ لدرجة أن المرء يشعر بالحر في الملابس الصيفية. جمعت عدة باقات، وكتبت إلى الأبناء في موسكو رسائل وأنا مسرورة بالعيش في هذا الهدوء المنعش، وبالاستجمام روحاً وجسداً. لا أريد عمل أي شيء. طالعت جميع كتاب «Les trois cœurs» للكاتب Rod دفعة واحدة. إنه رديء وقاتم، بالرغم من كونه مثيراً. أنا لا أستطيع قراءة الأعمال الجادة، فقد تضعضعت جداً معنوياً ومادياً في هذه الفترة. كتبت

يوم أمس مخططاً طويلاً لرواية كنت أود تأليفها ولكنني لم أستطع ذلك. أنا لا أعرف شيئاً حول ليوفوتشكا وتانيا وأنا أشعر بالشوق ولاسيما إلى تانيا. يا لغرابة الأمر، فإن ليوفوتشكا رفض السفر، بينما أقنعني بالسفر إلى موسكو، ومفارقته طوال الشتاء – إنه قضى إلى هذه الدرجة على مشاعر التمسك به، والآن لم يعد فراقه شيئاً رهيباً كما بدا لي سابقاً. نعم، لا بد أن أعتاد ذلك. وعندما تبلغ نهايتها حياته في *العشق* معي سيطردني بكل بساطة وبوقاحة وبلا رحمة من حياته. وسيحدث ذلك قريباً. يجب أن أصون قلبي من هذه الضربة وأن أحب الآخرين، أي أحب أطفالي أكثر من زوجي. الحمد لله إن عددهم كبير وكثير منهم أطفال طيبون.

أنا أكابد لوعة حارة في هذه الأيام لكون أولادي الثلاثة في موسكو، بينما أنا أتمتع بالجو والطبيعة والصمت. لكننا شببنا جميعاً في المدينة، وحان الحين لكي نستجم.

8 أكتوبر. لم أطق صبراً فسافرت إلى موسكو للقاء الأولاد. وحدث ذلك كالآتي: ما زالت علاقتي بشقيقتي تانيا ليست ودية تماماً بعد ما حدث لميشا كوزمينسكي. فإنها طالبت بالمزيد من الإشفاق والتعاطف معها، وأنا أبديت الحزم تجاه ميشا، وغضبت لأن ميشا أفسد أولادي بأحاديثه. ولهذا قررت مرافقة تانيا إلى موسكو. الجميع عندنا في أتم صحة وعافية، واستضفنا ليزا أوبولونسكايا مع ماشا. وفي 26 سبتمبر سافرنا في عربة منفردة ربطت بالقطار من أجلنا في تولا، وودعنا زينوفييف، وفتحت لنا الحجرات القيصرية. ورافقني في موسكو فاسيا إلى عمته فيرا ألكسندروفنا، وجاء إلى هناك من المعرض أولادي الثلاثة يفيضون مرحاً وحيوية. إنهم انتظروا تانيا، بينما تطلع في ميشا طويلاً ولم يتعرف علي فوراً. وأخيراً هتف: «ماما!». أمضينا سوية معاً أمسية طيبة جداً، وفي اليوم التالي بقيت معهم، وفي يوم السبت، 28، أخذت الأبناء وسافرت معهم إلى ياسنايا بوليانا. ورافقتنا ليزا وميشا أولسوفييف. وقد أثار هذا قلقي جداً بسبب تانيا. كما ساور القلق الشديد جميع الأبناء والبنات، ولاسيما الفتيات. ولم يرافقنا ليوفا فهو مشغول جداً بالمحاضرات والموسيقى ولم يرغب في التسلية. في اليوم التالي (الأحد)

جاء ضيوف آخرون: زينوفييف ودافيدوف مع بناتهما وميشا ستاخوفتش. وحضر الميخائيلان اللذان جذبا، كما أعتقد، اهتمام تانيا في احتمال الزواج بأحدهما. ولكن، حسب ملاحظتي، لم يبد أي واحد منهما ميلاً إليها، لكن وجدت فقط في العلاقات المتبادلة بينهما مسحة من العداء، وما يشبه النزال بصمت. سافر الجميع في يوم الاثنين. ارتفعت درجة حرارة أندريوشا. في يوم الأربعاء ودعت أندريوشا وميشا من ياسينكي إلى تولا حيث تولى زينوفييف رعايتهما حتى الوصول إلى موسكو. وعدنا من تولا إلى ياسينكي مجدداً برفقة ماشا وسريوجا، وناقشنا موضوع زواج تانيا.

عندما سافر الصبيان مجدداً نفذت الكآبة إلى أعماقي مجدداً. وكانا قد ناما طيلة ثلاث ليال في الغرفة المجاورة لغرفتي، وأصغيت لهما، ولم يساورني القلق حولهما، لكن سفرهما أثار في لوعة الحزن والأسى. ولم يظهر ليوفوتشكا أي عطف، وأية كلمة رقيقة، نابعة من القلب، وحقيقية لم يظهر ذلك أبداً. إن جميع نياط قلبي كانت معذبة في الفترة الأخيرة، مما ولد في عسر التنفس والألم العصبي في الصدغ. ولم أستطع أن أغفو في الليالي البتة. ولم أستطع أن أتحدث، وأن أبتهج، وأن أعمل أي شيء أبداً. كنت أمضي إلى مكان ما وأواصل البكاء عدة ساعات. أنا أبكي لأي سبب، وبكيت أيضاً على فترة حياتي الماضية. ولو سألوني أين يكمن العصب الرئيس لمحنتي، لقلت إنه فقدان أي حب من جانب ليوفوتشكا، الذي يتجاهلني الآن كلياً ويعذبني فقط، ولم يكن يحبني *أبداً*. ويرى هذا في كافة تصرفاته: في موقف اللامبالاة من العائلة، والأبناء، واهتماماتهم، وحياتهم وتربيتهم. وقد تحدثنا قبل لحظات عن الرسائل، وعن من كتبها. فصار يعدد رسائله – إلى السفهاء. فسألته أين بوبوف، وأين زولوتاريوف وأين خوخلوف. الأول ضابط متقاعد شرقي النمط، والآخران شابان من أبناء التجار. وجميعهم يعتبرون من مريدي ليف نيقولايفتش. «بوبوف عند أمه، فهذه رغبتها، وخوخلوف في الكلية التكنولوجية، فهذه رغبة أبيه. أما زولوتاريوف فهو في الجنوب مع أبيه ذي العقيدة السلفية الذي يعيش في مدينة بالأقاليم، ووضعه صعب جداً!».

صفوة القول إنه قال بأن أحوالهم صعبة جداً في العيش مع الوالدين.

فسألته: «أين الحياة غير صعبة؟». فأنا أعلم بأن والدة بوبوف فاسقة للغاية، ووجد الحياة صعبة مع زوجته الحسناء والطيبة، فافترق عنها، وعاش في كنف تشيرتكوف، لكن تشيرتكوف لم يتحمله وضاق به ذرعاً، وكانت حياته هناك صعبة، ولهذا فهو يعيش مع والدته، ومعها الحياة صعبة أيضاً. أنا أعلم بأن ليوفوتشكا يجد الحياة معي صعبة، وعموماً ثمة مبادئ غريبة تكون الحياة بموجبها صعبة في كل مكان ومع الجميع. كان هناك عدد كبير من أتباع تولستوي، وجميعهم يعانون من الحياة *الصعبة*، إنهم انحلوا جميعاً عن ذويهم. هكذا اختتم حديثنا المزعج، وذهب ليوفوتشكا بعده إلى كوزلوفكا، بينما شعرت مجدداً بتشنج في صدري، وبدأت الدموع مجدداً تخنقني، لكنني سرعان ما جلبت الهدوء إلى نفسي. فلا يجوز لي أن أمرض، ولا أن أنهار معنوياً. فلدي كثير جداً من الأعمال والواجبات! فإما أن أعمل وأحيا من أجل العائلة بنشاط، وإما - إذا لم أستطع الصمود - ألا أعيش أبداً.

الآن طالعت اليوميات التي سبقت هذا. فقد كتبت آنذاك، عندما سافر ليوفوتشكا مع تانيا إلى بيروجوفو وواصلا الطريق للاطلاع على الأماكن التي تسود فيها المجاعة. استقبلهما أخي سريوجا في بيروجوفو بلا مودة جداً، وقال إنهما جاءا لتعليمه، بزعم أنتما أكثر ثراء مني، وأنتما تقدمان المساعدة، بينما أنا فقير معدم وهلم جرا. عندئذ ذهب ليوفوتشكا وتانيا إلى أسرة بيبيكوف، وسجلا عدد الجياع هناك، وبقيت تانيا عند عائلة بيبيكوف، بينما واصل ليفوتشكا السفر لاحقاً إلى صاحبة أطيان ما وإلى سفيتشين. وقابلت عائلة بيبيكوف وصاحبة الأطيان فكرة افتتاح مطاعم من أجل الجياع بكل برود. فلم يكن لدى أحد منهم نقود زائدة، ولهم مشاغلهم. بينما أبدت أسرة سفيتشين التعاطف مع الفكرة بقدر أكبر.

في يوم 5 عاد ليوفوتشكا وتانيا، وفي يوم 23، في يوم ذكرى زفافنا (29 عاماً)، سافر ليوفوتشكا مع ماشا بالقطار إلى قضاء يبيفانسكي. وأقاما في كنف ر.أ. بيساريف ومن هناك درسا أوضاع القرى الجائعة. وسافر إلى هناك أيضاً رايفسكي. وناقشوا موضوع افتتاح مطاعم للجياع. وقرر ليوفوتشكا على الفور أنه سيبقى فترة الشتاء كلها في بيت رايفسكي مع ابنتيه وسيفتتح المطاعم، وتبرع بمبلغ 100 روبل لشراء البطاطس والبنجر. وكان قد أخذ المبلغ مني في البيت.

وعندما رجعوا وأعلنوا أنهم لن يسافروا إلى موسكو، وسيعيشون في البرية، جزعت. الفراق فترة الشتاء كلها، وفي مكان يبعد 39 فرستاً عن المحطة، وليوفوتشكا يعاني من نوبات الوجع في المعدة والأمعاء، والفتاتان في هذه العزلة، وقلقي الدائم بشأنهم. وقد ذهلت لهذا كل الذهول، وتمت تسوية مسألة واحدة بألم. فمن أجل ألا يشعر بالضيق من العيش في موسكو وافقت على نشر بياناته حول المجلدين 12 و13 من المؤلفات الكاملة، ومجدداً سويت مسألة جديدة، واتُخذ قرار جديد. وقد مرضت لهذا السبب. من جانب آخر كتب ليوفا، الذي لم يعرف بعد بالقرار حول الذهاب إلى رايفسكي، داعياً إلى أن نبقى جميعاً في ياسنايا، وأن قدومي إلى موسكو سيعرقل ثلاثتهم من أداء دروسهم، وأنه لا حاجة إلى وجودي معهم البتة. وكان هذا سبباً جديداً لمصيبتي. لقد عشت 29 عاماً من أجل العائلة فقط. وتخليت عن كل ما يعطي البهجة والحياة الكاملة لكل كائن شاب. والآن لا يحتاجني *أي أحد*. ما أكثر ما بكيت خلال هذه الحقبة من الزمن! يبدو أنني سيئة للغاية. لكن كيف أحببت كثيراً، والحب يعتبر شعوراً طيباً...

في مساء اليوم طالعت كتاباً مع ساشا ولعبت معها ومع فانتشكا، ورويت لهما الحكايات والقصص. وفي النهار غرسنا وراء منطقة جيبيتش 2000 شتلة من شجر الشوح، وغداً سنغرس 4000 شتلة من شجر البتولا. ثم اصطحبت نيكيتا وميتيا وغرست في الحديقة مختلف الأشجار: الصنوبر والشوح واللارقس والبتولا والحورة الرومية الوبرية. وغداً سأغرس المزيد منها. أعتزم السفر إلى موسكو في يوم 29. أنا لا أرغب البتة في السفر! أنا لا أعلم ماذا سيفعل ليوفوتشكا والفتاتان، لا أعرف البتة. إن موضوع المطاعم يبعث الشك لدي. سيستطيع الحركة الأصحاء والأقوياء والأحرار. أما الأطفال والنفاس والشيوخ والنساء مع الأطفال الصغار فهم لن يستطيعوا الحركة، ويجب إطعامهم.

عندما لم ينشر ليوفوتشكا بعد بيانه حول التخلي عن حقوق نشر المجلدين 12 و13 أردت أن أعطي مبلغ 2000 روبل من أجل إطعام الجياع، وفكرت باختيار مكان ما، ومنح الأسر الفقيرة شهرياً قدراً من الدقيق والحبوب أو البطاطس لكل بيت. أما الآن فأنا لا أعرف ماذا سأفعل. فلا

يجوز العمل بموجب مبادرة الغير ومع وضع العراقيل (البيان). وإذا ما منحت النقود فسأسلمها إلى سريوجا، فهو يشغل منصب سكرتير الصليب الأحمر في المنطقة. وواجبه المباشر خدمة قضية الجوع، علماً أنه حر ونزيه وشاب، ويعيش في المنطقة.

16 أكتوبر. ذهبت إلى تولا وأنهيت معاملات تقسيم الأراضي مع سوكولوفا، زوجة القس، وأنا لا أدري فيما إذا سيصادق كاتب العدل بيلوبورودوف على ذلك. وهذا كله في غاية السأم والضنى. تساقط الثلج في الصباح وركبت زحافة يجرها حصانان، ثم رجعت وكانت درجة الحرارة قد بلغت 8 درجات تحت الصفر. وفي أطراف القرية أقيمت خيام الغجر وهناك أطفال ودجاج وخنازير و40 حصاناً وحشد من البشر. وذهبت البنات إليهم لدعوتهم إلى مطبخ مبنى الجناح. في ليلة أمس بعث ليوفوتشكا مقالة بعنوان «حول الجوع» إلى مجلة جروت «قضايا الفلسفة وعلم النفس». والآن أجرت ساشا وفانيا القرعة: فحصلت ساشا لدى سحب القرعة بنفسها على القاطع *الأيسر* من بيستروم، وسحب فانيتشكا بدلاً من أندريوشا وميشا، فحصل ميشا على قاطع توتشكوفو، وأندريوشا على القاطع الأيمن من بيستروم و...

ذهبت لزيارة سريوجا وإيليا في الـ 13 من الشهر. وأمضيت اليوم الأول مع صونيا، وفي المساء جاء إيليا. لقد تركا لدي انطباعاً ثقيلاً. فالحب بينهما فاتر، والاهتمامات ضئيلة وإدارة الضيعة سيئة. ومظهر إيليا واجم وتعيس، وأنا أشفق عليه كثيراً. من منهما المذنب، الرب يعرف، لكن السعادة عندهما وانية. ولعل أسوأ شيء هو الصغير نيقولاي. فهو مهمل بجلاء وأضنته أمه: إنها أم سيئة ولا محبة، فهذا جلي للعيان. وأنوتشكا ظريفة للغاية. أما الصغير نيقولاي فسيموت أو تصيبه عاهة. وهذا بمثابة حجر يجثم على قلبي.

يبدو سريوجا مرحاً وهادئاً وطيباً من جميع النواحي. وقد تطلعت إلى كل ما لديه، وأردت أن أدخل أي شيء في حياته لكي تصبح أفضل. إنه مشغول بعمله كرئيس لمجلس إدارة القضاء والآن أصبح سكرتير الصليب الأحمر. وتسود بيته النظافة والإناقة والترتيب. ولديه عادات إنسان بسيط، ولو أن

كل ما هناك ينم عن الفقر والتواضع. أدعو الرب أن يمنحه القوة لكي يعيش عيشة طيبة لاحقاً أيضاً. وتحمس ليوفا على حين غرة للسفر إلى سامارا بمناسبة الجوع. إن اضطرابه يقلقني: فهو في حيص بيص مجدداً، وسيترك الجامعة وينطلق إلى المجهول خالي الوفاض – وهذا نشاطه.

رفضت إدارة مسارح بطرسبورغ دفع المكافأة عن عروض مسرحية «ثمار التنوير». وقد غلبني الحنق والموجدة على الإدارة وعلى ليف نيقولايفتش الذي سلبني مسرة إعطاء هذه النقود للجياع. وكتبت يوم أمس رسالة إلى وزير البلاط فورونتسوف راجية دفع هذه المكافأة، ولا أعرف ما سيتمخض عنه ذلك. نحن نحزم الحقائب ونعتزم السفر إلى موسكو، سأم، ووعكة، وأشعر بالتشوش في الدنيا كلها وفي العائلة. وجوع الشعب يلقي بثقله على الجميع وفي كل مكان.

19 أكتوبر. أشعر بالفتور التام. لا أسافر، ولا أحزم الحقائب، وقضيت النهار كله في رسم دفتر فانيا.

يزورنا بيتيا رايفسكي وبوبوف (السفيه) وعابر طريق مثقف بعث به سيوتايف، وهو عبوس وممتعض وخائب ومريض. ليوفوتشكا مرح بشكل غريب وبصورة أنانية. مرح في الحياة والجسد، ولكن ليس في الروح.

12 نوفمبر. أنا بموسكو منذ 22 من الشهرمع أندريوشا وميشا وساشا وفانيا. وفي 26 من الشهر سافر زوجي ليوفوتشكا مع البنات إلى قضاء دانكوفو، إلى ي.ي. رايفسكي في ضيعة نبيجتشيفك، وفي 25 من الشهر سافر ابني ليوفا إلى قرية باتروفكا في محافظة سامارا. وكان يشغل بال الجميع، عقلاً وروحاً، تقديم المساعدة للشعب الجائع. ولم أرغب خلال فترة طويلة بالسماح لهم بالسفر، وبقيت فترة طويلة أشعر بالخوف وبالضيق لفراقهم جميعاً، لكنني كنت أشعر في دخيلة نفسي بأن هذا واجب، فوافقت على ذهابهم. وفيما بعد حتى أرسلت لهم مبلغ 500 روبل، وقبل ذلك أرسلت 250 روبلاً. علماً أن ليوفا أخذ 300 روبل فقط حتى الآن، بينما أرسلت إلى الصليب الأحمر 100 روبل. وهذا قليل جداً مما يجب إنفاقه!

وعندما جئت إلى موسكو استبدت بي كآبة شديدة. ولا أجد الكلمات للتعبير عن الوضع النفسي الذي كابدته. فقد تضعضعت صحتي، وشعرت بأنني قريبة من الانتحار. كما توفي د.أ.دياكوف. وخسرنا بوفاته أفضل وأقدم أصدقاء ليف نيقولايفتش. وقد رافقته في لحظات النزع الأخير وفي جنازته. وبعد ذلك أصيب بالإنفلونزا جميع أبنائي الأربعة. اتفق لي في إحدى الليالي أن لم أجد سبيلاً للنوم، وبغتة قررت أن من الواجب توجيه نداء إلى الهيئات الخيرية في المجتمع. وفي الصباح قمت وكتبت رسالة لإدارة صحيفة «روسكيه فيدوموستي» وأرسلتها فوراً. وعلى حين غرة شعرت بالانشراح في القلب، وتحسن حالي، وبأنني في أتم صحة وعافية، فانهالت التبرعات من كافة الأنحاء. لقد استجاب الناس لدعوتي بكل عطف وتأثر! وكان البعض يذرف الدموع حين يسلم النقود. وفي الفترة من 3 إلى 12 من الشهر تلقيت مبلغ 9000 روبل. وقد أرسلت 1273 روبلاً إلى ليوفوتشكا، وأعطيت يوم أمس 3000 روبل لبيساريف لشراء الجوادار والذرة. والآن أنتظر من سريوجا ولوفا الرسائل لإبلاغي بما يجب القيام به بالنقود الباقية. وكنت طوال الصباح أستلم التبرعات، وأسجلها في الدفتر، وأتبادل الحديث مع الناس، وهذا يسليني. وأحياناً تتهدل يداي وتعتملني رغبة شديدة في أن أرى ليوفوتشكا وتانيا، وحتى ماشا، ولو أنني أعرف بأن ماشا تكون دائماً مرحة ومسرورة أكثر خارج البيت. ولغرابة الأمر فحين أكون سوية مع ليوفوتشكا فإن عدم لطفه وغياب اهتمامه بالعائلة، ينصب فوقي كالماء البارد، وأفكر: «ماذا تريدين؟ ولماذا هو هنا؟». لكن حين نفترق أفكر فيه وحده. هذا لأنني أحببت فيه أفضل الخصال وأكثر مما كان بوسعه إعطاؤه.

اليوم لم أستطع النوم مجدداً بسبب المقالة المنشورة في «موسكوفسكويه فيدوموستي». وقد جرى تأويل مقالة ليوفوتشكا «قضية رهيبة» المنشورة في الصحيفة منذ أيام بصورة متباينة. وقد فسرت من وجهة نظر الصحيفة بكونها تمثل «التشجيع مجدداً على ظهور حزب ليبرالي ذي مآرب سياسية»، ويكاد يتهم الكاتب في وجود نوايا ثورية لديه. وهذا التلميح إلى احتمال أن طرح الفكرة فقط حول وجود حركة ما، غير الحركة لإغاثة الشعب الجائع، ينطوي على الدعوة إلى الحركة الثورية من قبل «موسكوفسكويه فيدوموستي» نفسها.

إنهم يلمحون إلى الثوريين الضعيفي العقول بأنهم يمكن أن يعتبروا أنفسهم متضامنين مع تولستوي وسولوفيوف، وهذا يمثل، حسب اعتقادي، تلك الشرارة التي توجه إلى حلقتهم ويمكن أن ترفع معنوياتهم.

يا لها من صحيفة دنيئة وفظيعة! وسيقف كل إنسان شريف موقف العداء منها. وأنا فكرت فعلاً في أن أكتب إلى الوزير وإلى القيصر حول ما تجلبه هذه الصحيفة من أضرار، وفكرت في الذهاب إلى أصحاب إدارة الصحيفة وتعنيفهم، لكنني قررت عدم القيام بذلك قبل التشاور مع أحد ما.

يدرس أندريوشا وميشا في مدرسة (جمنازيا) بوليفانوف، ودراسة ميشا سيئة، ودراسة أندريوشا متوسطة. وأنا أشفق عليهما دائماً، وأرغب في جلب السرور إليهما، والترويح عنهما، وعموماً يراودني دائماً السعي إلى تدليلهما، وهذا شيء سيئ. اليوم جلسنا مع الأطفال لتناول الغداء. إن حياتنا البرجوازية في المدينة تتسم بالأنانية والجشع والخمول لدى عدم الاحتكاك مع الشعب، الذين لا يقدم لهم أحد المعونة والمواساة! وحتى إنني لم أستطع الأكل، وشعرت بالحزن البالغ على الذين يموتون الآن من الجوع، وعلى نفسي وأطفالي الذين يموتون معنوياً في هذا الوضع، وبلا أي نشاط حياتي. فما العمل؟

تلقيت جواباً من وزير البلاط. وقد وعد بمناسبة قيامي بالأعمال الخيرية أن يقدم نسبة من عوائد عروض مسرحية «ثمار التنوير»، وقد كتبت حول هذا الموضوع للمدير فسيفولوجسكي.

1892

16 فبراير. مضت ثلاثة أشهر أخرى ومضت بسرعة غير عادية. أنا الآن وحيدة بموسكو مجدداً مع أندريوشا وميشا وساشا وفانتشكا. وقد زارنا ليوفوتشكا مع تانيا وماشا مرتين. المرة الأولى من 30 نوفمبر إلى 9 ديسمبر، والمرة الثانية من 30 ديسمبر إلى 23 يناير. وزارنا الكثير من الضيوف، وكنا جميعاً مسرورين لكوننا معاً، لكن الفراق كان أكثر صعوبة. وعندنا قررت أن أسافر أيضاً مع ليوفوتشكا وماشا إلى بيجيتشيفكا، وأبقيت تانيا مع الأطفال في موسكو. وفي يوم رحيلنا تلقينا المقالة في «موسكوفسكويه نوفوستي» العدد 22، بعد أن أعيدت فيها صياغة مقالة ليوفوتشكا «حول الجوع» التي كتبها من أجل مجلة «قضايا الفلسفة وعلم النفس» والمرفقة بتعليق يوصف فيها ليف نيقولايفتش بالثوري. وكتبت مع ليوفوتشكا تكذيباً أرغمني على توقيعه، ثم سافرنا.

لدى الوصول إلى تولا وجدنا يلينا بافلوفنا رايفسكايا، التي استضافتنا، طريحة الفراش وتعاني من ألم فظيع في الساق ومن السخونة. إنها المسكينة لم تبرأ من الصدمة بعد وفاة زوجها. وقد توفي إيفان إيفانوفتش في 23 نوفمبر بعد إصابته بالإنفلونزا في ضيعته في بيجيتشيفكا، حينما كان أهلنا هناك.

توجهنا من تولا إلى كليكوتكا في الـ24 من الشهر في درب سيزرانو – فيازيمسكايا. وشعرت في عربة القطار باختناق وبنوبة عصبية. وتولى ليوفوتشكا العناية بي، كان متململاً وغير مبال وصامتاً. وكان الطقس رديئاً للغاية: بدأ ذوبان الثلوج وتساقط المطر والسماء رمادية تقبض الروح والريح تصفر بشكل رهيب. وواصلنا الرحلة في مزلجتين: في إحداهما ماشا وطباخ أسرة رايفسكي العجوز فيدوت، وفي الأخرى ماريا كيريلوفنا،

وفي المزلجتين الصغيرتين الأخريين أنا وليوفوتشكا. زحمة وعتمة وفظاعة. كانت ماشا تعاني من الغثيان طوال الطريق، بينما ساورني القلق خشية أن يصاب ليوفوتشكا بالبرد بسبب تلك الريح.

في نهاية المطاف وصلنا مع حلول الليل. وجرى استقبالنا في بيجيتشفكا، وكان في البيت: إيليا وغاستيف وبيرسيدسكايا وناتاشا فيلوسوفا وفيليتشكينا. وتملك إيليا شعور غريب بالخوف، فكان يخاف من رؤية شبح أ.أ.رايفسكي. في صباح اليوم التالي رحل، وبقينا نحن مع مساعدينا.

كنت أسكن مع ليوفوتشكا في غرفة واحدة. فأخذت جميع الأعمال الكتابية واستوضحت ما يمكنني عمله بها. وبعد ذلك ذهبت لتفحص المطاعم الشعبية. ولجت الكوخ: كان هناك عشرة أشخاص، ثم تجمع لدى حضوري حتى 48 شخصاً. جميعهم في أسمال، وبوجوه نحيلة، ترتسم فيها الكآبة. كانوا يدخلون، يرسمون علامة الصليب، ثم يجلسون. تم صف طاولتين، المصاطب طويلة. وجلسوا عليها بوقار. تم تقطيع خبز الجوادار في غربال. وحملته ربة البيت إلى الجميع، فأخذ كل واحد قطعة من الخبز. ثم وضعت قصعة كبيرة فيها حساء الملفوف. الحساء بدون لحم، ووضع فيه قليل من الزيت. جلس من جانب جميع الصبيان. كانوا مرحين، وضحكوا وشرعوا في الأكل بابتهاج. وبعد حساء الملفوف قدمت عصيدة البطاطس أو الحمص أو هريسة الحنطة ونقيع الشوفان والبنجر المهروس. وعادة يقدم صنفان من الأطباق في الغداء واثنان في العشاء. وقمنا بجولات على عدة مطاعم. في بادئ الأمر استغربت من موقف الناس. لكن في المطعم الثاني تطلعت إلي صبية شاحبة الوجه بعينين حزينتين وكدت أن أذرف الدموع وأنتحب. ويبدو أنه ليس من اليسير بالنسبة لها وللشيخ الجالس إلى جانبها تقبل مثل هذه الصدقة. وهنا يصح المثل الروسي «ندعو الرب ألا يأخذ بل أن يعطي». بعد ذلك نظرت إلى هذه المطاعم بشيء من أقل من المبالاة، التي بدونها كان الوضع سيغدو أسوأ.

ولعل أصعب شيء في هذا العمل الذي أخذناه على عاتقنا هو اختيار الناس الأكثر فقراً. فهذا أمر صعب أن نختار من سيذهب إلى المطاعم، وتوزيع الحطب والملابس التي تم التبرع بها، وجميع الحاجيات. وعندما أعددت

القوائم أدرج فيها خلال الأيام الأخيرة 86 مطعماً شعبياً. والآن بلغ عددها حتى المائة. وحدث مرة أن تجولت مع ليوفوتشكا في القرى وكان الجو صاحياً رائقاً. واستفسرنا في المطاحن عن كميات الدقيق، وعرجنا على مستودع آخر للمواد الغذائية وأمرنا بمنح جريش الدخن (من أورلوفكا) واستفسرنا عموماً عن كيفية توزيع مواد الإغاثة، وأخيراً افتتحنا مطعماً شعبياً في كوليكوفكا، حيث يوجد المنكوبون بالحرائق. جئنا إلى المختار وسألنا عن النفوس الأكثر إدقاعاً[1]. وطلبنا منه استدعاء الشيوخ والموجيك أيضاً إلى اجتماع. فاجتمع الموجيك، وجلسوا على المصطبات. فسألناهم عن العوائل الأكثر إدقاعاً، وحددنا عدد أفراد الأسر الذين سيرتادون المطاعن الشعبية. وعندما سجلت أسماء الجميع، أمرهم ليوفتشكا بالمجيء لاستلام المواد الغذائية، بينما طلب من المرأة، زوجة المختار، أن تفتح مطعماً في بيتها أسوة بجميع المنكوبين بالحرائق.

رجعنا إلى محل سكنانا عند الغسق: كانت الشمس من جانب قد غابت وراء الأفق بصورة جميلة، بينما طلع القمر من جانب آخر. وسرنا بمحاذاة الدون والسهوب. المنطقة مسطحة وكئيبة. وتنبجس البيوت القديمة والحديثة فقط على ضفاف الدون في مشهد ساحر.

في الصباح عملت مع الخياط في تفصيل جاكيتات من قماش الجوخ الذي تبرع به المحسنون وصنعت 23 قطعة منها. وابتهج الصبيان كثيراً بهذه السترات ومعاطف الفرو القصيرة. *إنها دافئة وجديدة*. وهي شيء لم يمتلكوه منذ أن جاؤوا إلى هذه الدنيا.

أمضيت في بيجيتشيفكا عشرة أيام. وهبت عواصف ثلجية، وحدث أن توزعت جميع النساء مساعداتنا في المناطق ولم يعدن للمبيت في بيوتهن. وقلقنا للغاية. وبينهن آنستان طيبتان: إحداهن القوزاقية بيرسيدتسكايا، حمراء الوجنتين ونشيطة وتولت معالجة الناس ودعاها الجميع بلقب «الأميرة». والأخرى عليلة المظهر ونحيفة ابنة قس. إنها ذات همة وعاطفية. إلا أنها قامت بالمهمة وبأفضل شكل. وقد أرسلتا لتفقد أو لافتتاح المطاعم الشعبية، وتوزيع الملابس، وتسجيل أسماء المحتاجين إلى الدفء، والطعام أو الملابس الدافئة.

---

1 – الإدقاع: من أدقع يدقع إدقاعاً، فهو مدقع والمفعول مُدْقَع، أي افتقر وذلّ، وأصلها لصق بالدقعاء وهو التراب. (الناشر)

عندما رجعت إلى موسكو صرت أسمع شيئاً فشيئاً الكثير من الأقوال تزعم أن ليوفوتشكا كتب عن الجوع في روسيا إلى إنجلترا، والجميع غاضبون، وفي نهاية المطاف صرت أتلقى رسائل من بطرسبورغ بأنني يجب أن أتخذ التدابير من أجل إنقاذنا، إنهم يريدون نفينا وهلم جرا. لكنني لم أفعل شيئاً خلال فترة طويلة. وكنت أرتاد طوال أسبوع كامل طبيب الأسنان لعلاج أسناني. وشيئاً فشيئاً بدأ القلق يدب إلى نفسي. فكتبت الرسائل: لوزير الداخلية دورنوفو، ولشيريميتيفا وللرفيق الوزير بليفه وألكسندرا أندرييفنا وأسرة كوزمينسكي. وأوضحت الحقيقة في جميع الرسائل، ونفيت أكاذيب «موسكوفسكويه نوفوستي». ولكن منع نشر تكذيبي في الصحف، ولو أنني كتبت رسالة لصحيفة «الأخبار الحكومية». وعندئذ توجهت إلى الأمير المعظم سيرجي ألكسندروفتش ورجوته أن يأمر بنشر تكذيبي. فقال إنه لا يستطيع ذلك، ودع ليف نيقولايفتش نفسه يكتب إلى «الأخبار الحكومية»، وهذا *سيطمئن كلياً العقول القلقة ويرضي القيصر.* عندئذ كتبت لليوفوتشكا راجية أن يفعل ذلك. واليوم تلقيت رسالته وبعثت بها إلى «الأخبار الحكومية» في اليوم نفسه. وأنا أنتظر بفارغ الصبر ورود الأخبار – هل نشرت أم لا.

عاد إلى بيجيتشيفكا مجدداً كل من ليوفوتشكا وتانيا وماشا وفيرا كوزمينسكايا. كما جاء ليوفا من سامارا. أنا أنتظره بفارغ الصبر ولا أعرف ما سيفعله لاحقاً. وقد صبرت على أحوالي وأعيش هموم ومشاغل أطفالي الأربعة. بدأت بكتابة رواية قصيرة، وأجمع التبرعات، وأتبادل الكثير من الرسائل، وأدفع ثمن الحبوب المشتراة عبر البنوك، وأقوم بمختلف العمليات المصرفية. علاوة على ذلك، فإن مشاغلي الشخصية كثيرة. أحياناً يتملكني الحزن، وأحياناً تراودني لحظات طيبة.

غداً يبدأ الصوم، وأريد أن أصوم.

1893

2 أغسطس. علمت الآن من تشيرتكوف أن قسماً كبيراً من مخطوطات ليف نيقولايفتش موجودة لديه، والقسم الآخر لدى العقيد تريبوف في بطرسبورغ، وليعرف ذلك أولاده وبناته.

في وقت لاحق جمع تشيرتكوف كافة مخطوطات ليف نيقولايفتش ونقلها إلى بيته في إنجلترا، في Christchurch. (أضيفت هذه العبارة في وقت لاحق).

5 نوفمبر. موسكو. أنا أصدق بوجود أرواح طيبة وأخرى شريرة. وتسيطر الأرواح الشريرة على الشخص الذي أحبه، لكنه لا يلاحظ ذلك. ويكون تأثيرها مهلكاً. ولكن ابن مثل هذا الشخص يهلك، وبناته يهلكن، ويهلك كل من يمسه. أنا أصلي ليلاً ونهاراً من أجل الأطفال، وهذا جهد روحي ثقيل، ويصيبني الهزال، وأنا أهلك جسدياً، لكنني روحياً وجدت الخلاص، لأن تواصلي مع الرب، وهذه الرابطة لا يمكن أن تنقطع، ما دامت غير واقعة تحت تأثير الذين تجسدت فيهم القوة الشريرة، وأصابهم العمى والبرودة، ومن ينسى ولا يرى الفروض التي كلفه الرب بأدائها، والمتكبر والمغرور. أنا لا أصلي بعد من أجل الأصغر سناً، فلا يجوز لهم الآن الهلاك. لقد أصبح ليوفا هنا بموسكو أكثر مرحاً وبدأ يستعيد عافيته. فهو لا يقع تحت أي تأثير، باستثناء تأثير صلواتي. وأوعز الرب بأن يبعث إنساناً طيباً معه. وكل مبتغاي فقط ألا تضعف طاقة صلواتي، وإلا فسيضيع كل شيء. يا رب ارحمنا خلصنا من أي تأثير فيما عدا تأثيرك.

1894

2 مارس. سافرت تانيا إلى باريس، لكي تعيش مع ليوفا هناك. لقد ساءت صحته. تضطرم في قلبي لواعج الخوف في ألا يعيش طويلاً في هذه الدنيا. فهو إنسان فذ وطيب جداً وغير متوازن. أنا أحيا من يوم لآخر بلا حياة. أنا قلقة على ليوفا، والآن لحد ما على تانيا – لقد تخليت عن أية اهتمامات في الحياة. كما تدهورت صحتي فوراً. واليوم تدفق الدم من البلعوم وبكثرة، وتنتابني السخونة في الليالي، وصدري يؤلمني، ويتصبب العرق من جبيني. كما أصيب ليف نيقولايفتش بوعكة أيضاً. لكن حياته تمضي في مسارها المعتاد: يستيقظ في وقت مبكر صباحاً، ويرتب الغرفة، ويتناول عصيدة الشوفان المطبوخة بالماء، ثم يبدأ بالعمل. وجدته اليوم يقلب أوراق اللعب (الباسيانس). وقد تناول طعاماً دسماً جداً في الفطور، بينما كان دونايف يروي بصوت عال أحداثاً ما ولم يلاحظ أنها لم تعد تلقى اهتمام أي أحد. وبعد ذلك توجه ليف نيقولايفتش للرقاد، وهو الآن منشرح الصدر للغاية، وتطلع عبر النافذة إلى الشمس الساطعة وتناول من النافذة التمر، وذهب مع دونايف إلى سوق الفطر بغية إلقاء نظرة على بائعي الفطر والعسل وعنب الدب وغير ذلك. ماشا متنرفزة، ونحيلة وبائسة. وسريوجا ظريف ومشرق النفس جداً، وأنا حزينة لأنه سيفارقنا عاجلاً إلى نيقولسكويه.

4 أغسطس. يعتقد زاخارين أن حالة ليوفا الصحية متضعضعة، وقلبي يتوجس ذلك منذ وقت بعيد. فكيف سأكابد هذه الفاجعة لدى رؤية ابني الشاب المحبوب والطيب للغاية، وقد احتبلته حبول الردى! إن قلبي ينفطر، وثمة ألم يخنقني باستمرار، واستبد بي حزن شديد وأكاد أشعر بأنني أكاد

أفقد قواي. لكني يجب أن أعيش: من أجل الصغير فانتشكا، ومن أجل ميشا وساشا وحتى من أجل أندريوشا، الذي فقد الكثير، لكن ما زالت تتألق فيه بوارق نور المحبة والرقة حيالي. لقد ركبتني الهموم. إن اغتراب زوجي الذي أكابد بسببه من لوعة حارة، فهو ألقى على كاهلي كل شيء: الأطفال وتدبير شؤون الضيعة والتعامل مع الناس والأعمال والبيت والكتب، وأكابد بسبب من لامبالاته الأنانية والانتقادية. و*حياته*؟ إنه يتنزه، ويمتطي الجواد، ويكتب قليلاً، ويحيا أينما وكيف يرغب ولا يفعل أي شيء من أجل الأسرة، ويستغل كل شيء: خدمات بناته، والراحة في المعيشة، وتملق الناس وخضوعي له وعملي من أجله. ويمكن أن يحيا مثل هذه الحياة فقط الأفراد القساة القلوب. مسكين ليوفا كيف كابد من عذاب بسبب موقف أبيه منه طوال الفترة الأخيرة. وما أثار غضب الأب هو أن مظهر الابن المريض أعاقه من العيش بهدوء وطمأنينة. وأنا لا أستطيع أن أتذكر من دون ألم عيني ليوفا العليلتين السوداوين، وكيف كان يتطلع إلى أبيه بملامة وتفجع حين كان هذا يلومه لكونه مريضاً ولم يصدق ما يكابده من آلام. فهو لم يكابدها أبداً، وعندما كان يمرض يغدو فاقد الصبر ونزقاً.

إن تانيا موجودة بموسكو أيضاً مع ليوفا، وهذا ما يحزنني فالحياة بدونها مترعة بالكآبة، فلم يبق لدي أي *صديق* في البيت، علماً أن أتباع ليف نيقولايفتش، وهو نفسه، قد ألقوا على طبيعتها المرحة التي تفيض بالعافية والحيوية، عبئاً ثقيلاً وأبعدوها عني. اليوم غادرنا ستراخوف. الجو حار في البيت، السباحة مع ساشا، اجتماع الرجال الموجيك، والجري لحد انقطاع الأنفاس في الحقول التي لم تحصد المحاصيل فيها بعد. والليلة المقمرة الرائعة، الدافئة والجميلة لحد معاناة الألم. لقد ذهب ليف نيقولايفتش إلى بوتيومكينو للاطلاع على أحوال ضحايا الحرائق ومساعدتهم بأموال التبرعات الخيرية. بينما سافر أندريوشا إلى أوفسيانيكوفو لزيارة م.أ. شميدت، بينما بقي ميشا معي، وذهبت ماشا مع ماريا كيريلوفنا إلى كوزلوفكا.

23 نوفمبر. نحن نعيش الأسرة كلها في موسكو. ويبقى ليوفا المريض في مركز كل حياتي وجميع اهتماماتي. لا يجوز أن يعتاد المرء على مثل هذه

المصيبة. وأنا أتذكر في كل لحظة من حياتي وضعه البائس بسبب المرض. كما يعذبني باستمرار الخوف عليه. أنا لا أتواصل مع كثير من الناس، ونادراً ما أغادر البيت. زارتنا إنجليزية أخرى هي Miss Spiers. ذهب ليوفوتشكا وتانيا وماشا إلى باسترناك لسماع الموسيقى. إن زوجته تعزف سوية مع غرجيمالي وبراندوكوف. أصبح أندريوشا مطيعاً بعد الكثير من المنغصات التي سببها لي في الفترة الأخيرة. حالته الصحية ليست جيدة: لديه 14 قرحة، واضطراب في المعدة باستمرار، أما ميشا فهو صبوح الوجه ومرح، لكنه متأخر في الدراسة.

لم يتساقط الثلج بعد ولم يبدأ التنقل بالزحافات. رياح ودرجة الحرارة 2 تحت الصفر. أطبع المجلد 13، وأطالع «Marcella». عشت مع ليوفوتشكا فترة طويلة بمودة جداً، لكن في الأيام الأخيرة أصبحت العلاقة غير طيبة جداً. وقد أثار غضبي عدم مبالاته حيال أفعال أندريوشا، ولكونه لا يساعدني في تربيته، أنا المذنبة، بصورة رئيسية، لأنني ما زلت آمل بعد سن 32 عاماً، في أنه يمكن أن يعمل ليوفوتشكا شيئاً ما من أجلي والأسرة. ينبغي الابتهاج والرضى بالخصال الطيبة لديه.

1895

1 و2 يناير. يجب تدوين اليوميات، ومما يؤسف له للغاية، أنني لم أكتب الكثير منها في حياتي.

سافر ليوفوتشكا يوم أمس مع تانيا إلى أسرة أولسوفييف في نيقولسكويه. عندما أصبح لوحدي بلا زوجي أشعر بأن روحي غدت طليقة وأقف لوحدي أمام ربي. ويغدو من الأيسر لي أن أستوضح بعد التأمل اختلاط الأمور وتشوشها، والتي أحيا فيها.

الأحداث: بدأ ليوفا العلاج بواسطة الكهرباء، وصار أكثر هدوءاً، وسافر إلى أسرة شيدلوفسكي.

ماشا راقدة، وساشا وفانيا يعانيان من الإنفلونزا، ويشعران بالسأم ويلاعبان فيركا وكوليا (من التعاونية). وأندريوشا في القرية عند إيليا، وذهب ميشا حاملاً الكمان إلى عائلة مارتينوف. هبت عاصفة ثلجية، درجة الحرارة 7 تحت الصفر.

أيقظني اليوم ليلاً صوت الجرس في الساعة الرابعة. فذب في الخوف، وانتظرت، دق الجرس مجدداً. فتح الخادم الباب فتبين أن القادم هو خوخلوف، أحد أتباع ليوفوتشكا، الذي أصابه مس من الجنون. إنه يلاحق تانيا، ويريد الزواج منها! والآن لا تستطيع تانيا المسكينة الخروج إلى الشارع. إذ يطاردها في كل مكان هذا الرجل الرث الثياب، والمقمل، *والسفيه*. إن هؤلاء الأشخاص الذين أدخلهم ليف نيقولايفتش الآن في حياته العائلية الخاصة، – يجب علي أن أطردهم.

يا لغرابة الأمر! إن الاشخاص الذين انحرفوا بسبب ما عن الطريق

القويم في الحياة، الأشخاص الضعفاء والحمقى، يقبلون على تعاليم ليف نيقولايفتش ولكنهم يلقون الهلاك بهذا الشكل أو ذاك بلا رجعة.

إنني أخشى حين أدون يومياتي أن أجد ميلاً لإدانة ليف نيقولايفتش. لكن ليس بوسعي إلا أن أجأر بالشكوى لأن جميع ما يطرح في المواعظ عن سعادة الناس يجعل الحياة صعبة بحيث يجعلني أكابد من العيش أكثر فأكثر.

إن الالتزام بالطعام النباتي جعل الغذاء مزدوجاً، وجلب المزيد من النفقات والجهد من قبل العاملين في البيت. إن المواعظ حول المحبة والطيبة خلقت اللامبالاة حيال الأسرة وزج شتى الحثالات في حياتنا العائلية. إن التخلي (قولاً) عن طيبات الدنيا يولد لدي الإدانة والنقد.

وعندما تحتدم جميع هذه المنغصات، وأنا في سورة غضب، أقول كلمات جارحة، لكنني أغدو بعدها مهمومة النفس وأطلب المغفرة، لكن بعد فوات الأوان.

زارتنا يلينا بافلوفنا رايفسكايا، وجاءت لتمضية المساء معي، وطلبت قراءة روايتي. إنني أعدت النظر فيها وأحببت روايتي كثيراً. هذا سخف، لكنه يبعث على السرور جداً!

تراودني مشاعر رقيقة حيال ماشا. إنها تفيض حناناً وخفة وظرفاً. وبودي كثيراً أن أساعدها في التواصل مع بيتيا رايفسكي! لقد بدأت أحب تانيا بشكل أقل من السابق، وأتحسس فيها قذارة حب السفهاء مثل: بوبوف وخوخلوف. أنا أشفق عليها، فقد خمدت روحياً ودبت فيها الشيخوخة. أنا أشفق على شبابها هي الجميلة والمرحة والواعدة. وآسف لكونها لم تتزوج. وعموماً إن عائلتي الجميلة الكثيرة العدد لم تمنحني الكثير. أي إنهم جميعاً يفتقدون السعادة كثيراً. وهذا أشد ما يؤلم الأم.

كتبت ثلاث رسائل: رسالة عمل إلى براغ، والجواب إلى كل من مانجدين وس.أ.فيلوسوفوفا. أرقد في الفراش في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل. قرأت في الصباح لساشا وفانيا رواية «80000 فرسخ تحت الماء» لجول فيرن. وقلت لهما: «إنها صعبة، وأنتما لا تفهمانها». بينما قال لي فانيا: «لا بأس يا ماما، اقرئي، وسترين كيف سنغدو أكثر إدراكاً من قراءة هذه و«أبناء القبطان غرانت»».

عاد ليوفا من عند أسرة شيدلوفسكي محزوناً وجأر بالشكوى كثيراً.

3 يناير. استيقظت متأخرة. ذهبت إلى ماشا وليوفا، وعنفت ميشا لكونه لا يعزف على الكمان ولا ينهض من الفراش حتى الساعة 12. بعد ذلك ذهب ليوفا إلى المستوصف لممارسة العلاج الكهربائي، وبعد ذلك سيزور أسرة كولوكولتسيف. وقد تكدرت للغاية لأنه لم يرسل لي الحصان خلال فترة طويلة. غادرت البيت لزيارة مارتينوفا وسوخوتينا وزايكوفسكايا ويونغه.

استعاد أفراد أسرة زايكوفسكي ذكريات أيام الشباب. لكن أي انطباع حزين ودميم تولده حياة العوانس!هل يصدق أن بناتي لن يتزوجن؟ في المساء جاء الأطفال لممارسة الألعاب، بينما قرأت بصوت عال لليوفا رواية فونفيزين «النميمة». أرى أنها لحد الآن غير جيدة جداً وغير رقيقة وغليظة. أرسلت روايتي إلى رايفسكايا لغرض المطالعة. بودي كتابة شيء آخر، لكن تعوزني الطمأنينة، وأعصابي مضطربة، ويؤسفني دائماً أن أسلب الوقت من أولادي، الذين يحبون كثيراً صحبتي. غمرت الثلوج جميع الشوارع والباحات وحديقتنا كلها والشرفة. درجة الحرارة 4 تحت الصفر.

5 يناير. لم أدون شيئاً يوم أمس، وقرأت لليوفا بصوت عال رواية فونفيزين، وقد أثارت الاهتمام، لكن فيها غلاظة.

انشغلت حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل في مراجعة الحسابات، وكلها مشوشة لدي. أنا لا أجيد ذلك. جلست في النهار فترة طويلة مع فانيا، وقرأت له، وخرجت معه للتنزه وذهبنا إلى أسرة تولستوي. إنه أصيب بوعكة صباح اليوم. أنا أرتعب الآن بشكل غريب لكل شيء، وبالأخص لدى توعك فانتشكا. لقد ربطت وجودي به ارتباطاً وثيقاً، وهذا أمر خطر وسخيف. لكنه صبي ضعيف البنية، ورقيق الحاشية، وظريف جداً! ذهبت يوم أمس إلى فاريا ناجورنوفا وماشا كولوكولتسيفا. وفي كل مكان أشعر بانقباض النفس. وطبيعتي تتطلب النشاط أو وجود انطباعات ما، وإلا فإنني أكابد لوعة حارة. والآن يتعين علي أن ألازم الأطفال المرضى طوال الوقت، وهذا أسوأ شيء. أنا لا أشعر بالشوق إلى ليوفوتشكا وتانيا. جاء إيليا وأندريوشا. مطر ودرجة الحرارة درجة واحدة فوق الصفر. خرجت ساشا بالرغم من كل شيء لممارسة التزلج مع ميشا وMiss Spiers.

8 يناير. فانتشكا مريض في هذه الأيام، سخونة وألم ما في المعدة. وفجأة أصابه الشحوب والهزال، وأنا لا أستطيع التطلع إليه بلا معاناة الألم في قلبي. يوم أمس شارك أندريوشا وميشا وساشا في حفل أقيم للأطفال لدى أسرة جليبوف، بينما رقد فانيا في حضني طوال المساء وقد اشتدت به السخونة. وقد أحزنني كثيراً أن يحرم من التسلية والمسرة. إنه أصيب قبل هذا بالإنفلونزا ولم يعرف الهواء الطلق خلال ثلاثة أسابيع. والصراع مع الأولاد الكبار، بغية تعليمهم كيفية الالتزام بواجباتهم، تسلبني طاقتي، والألم الذي يسببونه لي في هذا الصراع المستمر، ينفر قلبي منهم كلياً. وهذا كله مؤلم جداً، وكم تؤلمني رؤية إفلاس إيليا بشكل أحمق وسخيف، وحياة سريوجا الفاسقة، ومرض ليوفا، وبقاء البنات بلا زواج، وبصيص نور الحياة في العزيز فانتشكا المسكين.

مشاغل منذ الصباح: دفع أجور الغسالة والآخرين، إعطاء الأوامر إلى رئيس التعاونية الزراعية، طلب العاملون إجازة لحضور حفل زفاف، جلبوا تبليغاً من الشرطة حول قضية السرقة في ياسنايا بوليانا، الشكاوي، والهويات المنتهية الصلاحية وهكذا دواليك. بعد ذلك جلسنا نحن الثلاثة: ليوفا وفانتشكا وأنا لمشاهدة الصور في كتب التاريخ، ورويت لهما عن مصر كل ما في جعبتي من معارف قديمة، وقرأت لهما حكايات جريم.

زارتنا فيسيليتسكايا، وجلست مع ليوفا. بينما قمت بقياس درجة حرارة فانتشكا – 37.8.

تناول الغداء عندنا كل من الزوجين ناجورني وإيليا وفاسيليتسكايا. بعد الغداء جاءت مانيا راتشينسكايا الذكية والظريفة. أعطيت إلى إيليا 500 روبل. لا يمكن مساعدته بأي شكل. إن الإحساس بالقيمة لدى أبنائي معدوم تماماً، فهم جميعاً غير متزنين ولا يفهمون الإحساس بالواجب. وهذه إحدى صفات أبيهم. لكنه عمل طوال حياته للتحكم بها، أما الأبناء فهم ينفلتون منذ أيام الشباب – إنه ضعف شباب اليوم.

في المساء قضيت ساعتين في تصحيح تلخيص ميشا السيئ لرواية «ابنة القائد». وقد وجدت الآن للفظاعة أنه لم يستنسخ نصفها، والخاتمة معدومة كلياً. سيحصل على درجة رسوب، وسيعاد مجدداً ليكرر مقرر نصف عام.

فيما بعد جاء أبناء ستوروجينكو ثم أبوهم نفسه، وبعد ذلك جاء ميتيا أولسوفييف. وثرثرت معهم فترة طويلة، علماً أنه يفهم كل شيء فهماً جيداً، لكن يبقى بعد الثرثرة دائماً تأنيب الضمير.

لم تهدأ الضجة بعد حول الصورة الفوتوغرافية. فجاء بوشا واتهمني، بينما أنا اتهمت الجميع بالمسؤولية عما حدث. إذ إنهم أقنعوا ليف نيقولايفتش بواسطة الخداع بأن تلتقط له صورة مع جميع *السفهاء*. وقد أثار ذلك غضب البنات، فيما أبدى جميع المعارف امتعاضهم. وتكدر ليوفا، بينما تملكني اليأس. وتلتقط الصور لمجموعات في الجمنازيا، ولرحلات النزهة (البيكنيك)، وللمؤسسات وغيرها. ومعنى هذا أن التولستويين أصبحوا يمثلون مؤسسة. والجمهور سيتلقف ذلك، ويرغب الجميع في شراء *صورة تولستوي مع مريديه*. وقد يثير هذا الضحك والسخرية لدى الكثيرين. ولكنني لم أسمح بأن ينزل ليف نيقولايفتش من منصة التكريم وتلطيخه بالأوحال. وفي صباح اليوم التالي ذهبت إلى الأستديو الفوتوغرافي وسحبت جميع نسخ النيجاتيف قبل أن يتم طبع الصور. وقد لقيت التفهم لدى ميي المصور الفوتوغرافي الألماني الرقيق الإحساس والأريب الذي سلمني عن طيب خاطر جميع نسخ النيجاتيف.

أنا لا أعلم موقف ليف نيقولايفتش من خطوتي هذه. فقد كان في غاية اللطف معي، لكنه *سيدينني* مبدئياً في يومياته، التي لا يبدو فيها أبداً صادقاً وطيباً.

أما ماشا فلم تكن اليوم لطيفة كما في الأيام الماضية. علماً أنها غير طيبة دائماً، حين تريد أن تتميز *بشكل ما* في حضور الآخرين. ويتعين عليها اليوم أن تكون في حضور فيسليتسكايا كما ينبغي حسب اعتقادها.

الإنجليزية Spiers ليست بمزاج طيب. إنها جافة وغير لطيفة المعشر وتنعزل في غرفتها بعيداً عن الأطفال وتهتم فقط بتعلم اللغة الروسية وبما يجلب لها التسلية. أنا أطالع رواية إنجليزية رديئة وسأرمي بها جانباً. أريد قراءة كتب التاريخ لكي أحدث الأطفال عن الأحداث في الصور. سأرقد في وقت متأخر.

9 يناير. جلب ميشا أولسوفييف رسالة من ليف نيقولايفتش. إنه يؤاخذني فيها لأنني غير مشرقة الوجه وغير متهللة الأسارير، بينما عمل نفسه على تعقيد

وإفساد حياتنا فهو أصل علتي ومصدر بلائي. لكن الرسالة طيبة، وجلبت لي المسرة، هذا بالرغم من أنني لم أعد أحبه كالسابق! ولم أعد فقط أعاني من الضجر في غيابه، فأنا أعاني ذلك ولكن بقدر أقل. وما أكثر المرات التي عانيت فيها من الشوق بلا ثمرة وكابدت لغيابه، ورجوته أن يبقى معي، وأن ينتظر تحسن صحتي أو أي شيء آخر. وما أكثر المرات التي تلقيت فيها اللطمات بلا رحمة لتعلقي به. وإذا ما كنت غير منشرحة الصدر فهذا فقط لأنني تعبت من الحب، وتعبت من تسوية كل شيء، وإرضاء الجميع، ومعاناة الألم من أجل الجميع. والآن يؤثر فيّ اثنان فقط وبلا معاناة وهما: وضع ليوفا وفانتشكا. أنا أتلمس عدة مرات في اليوم يديه وساقيه، كم هي هزيلة، أنا أقبل وجنته الشاحبة والخاسفة وأعاني ما أعاني من الهموم، وأشعر بالألم. إنه يأكل قليلاً من الطعام في أثناء الغداء، وأنا أيضاً لا آكل. لقد ابتليت بكثير من المحن بسببه.

سافر إيليا. تحدثت مع فيسيليتسكايا بهدوء يفيض طيبة وبذكاء مترع بالرقة. وروت لي كل قصة طلاقها من زوجها. شيء مؤسف أن م. أولسوفيف لا يتزوج تانيا، ولو أن فراقها سيجلب الكدر.

زارنا دونايف، كما جاءت ماشا زوبوفا في الصباح. وسافرت مانيا راتشينسكايا. أمضيت اليوم بعطالة جداً ومع الضيوف. لقد هدني التعب، وتنرفزت وأصبحت بلا حياة. الطقس جيد، درجة الحرارة 3 تحت الصفر.

10 يناير. لو سئلت عما أشعر به الآن، لقلت بأنني لم أعد أحيا. فلا يبهجني أي شيء، وكل شيء يجلب لي الغم والحسرة.

مضى اليوم بلا نشاط: جلست مع ليديا إيفانوفنا (لقد سافرت اليوم) وقرأت لفانيا حكايات جريم، وذهبت إلى الصيدلية والسوق لشراء الكافيار الأسود. أندريوشا وميشا مؤدبان جداً. وعزفت ساشا لحن فالس على آلة الأرغن الصغيرة ورافقها ميشا بالعزف على الكمان، وهو يثير العجب دائماً لما يتسم به من رهافة السمع الجيد وأسلوبه الرائع في العزف. سافر ليوفا إلى شيدلوفسكي. لقد أصبح أكثر هدوءاً لكنه معتل وهزيل كالسابق. قال فانتشكا لدى سماع العزف: «كم أود أن أتعلم وأعزف شيئاً ما جيداً جداً! علميني يا ماما الموسيقى بسرعة».

في المساء ذهبت إلى الحمام العمومي لأستحم. شربت الشاي مع ماشا، وتحدثنا عن أسرة أولسوفييف، وعن تانيا. يهطل المطر بغزارة، درجة الحرارة 3 فوق الصفر وثمة أوحال.

في الليل نقرت نسخ نيجاتيف جماعة السفهاء بقرطي الماسي محاولة قبل كل شيء أن أقتطع منها صورة ليف نيقولايفتش، ولكنني لم أفلح في ذلك. رقدت في الفراش عند الساعة الثالثة ليلاً.

11 يناير. بدأ فانيا منذ الصباح بالسعال المصحوب بالشخير. جلست طوال الوقت معه، وقرأت له حكايات جريم. ثم طلبت منه أن يرسم حديقتنا. لا يمكن عمل شيء بلا تعليم. ثم خرجت لإزالة الثلج في ملعب التزلج، بدافع الصحة أكثر من أي دافع آخر. رأيت في النافذة أن فانيا قد خرج من البيت وصار يهرول بلا ملابس دافئة. ولدى عودتي عنفت المربية بشدة، وملأت البيت ضجيجاً وعجيجاً، بينما انخرط فانيا في البكاء. تناول الجميع الغداء في البيت. ميشا احتفل بعيد القديس شفيعه، وأعطيته 10 روبلات، وفي المساء أخذوا أبرامكا حوذي إيليا إلى القرية، وذهبوا إلى السيرك ودهشوا لمدى سروره المترع بالبراءة. وكان إيليا قد أرسله لجلب حصان اشتراه إيليا. في المساء ذهبت وجلست مع ليوفا، وأشرت بالصدفة إلى موضوع أعصابه وكررت قول الدكتور بيلوجولوف بأن كل شيء يكمن في الأعصاب. فانتفض ليوفا على حين غرة، وصار يطلق الشتائم بموجدة وغضب: حمقاء وحقودة وعجوز وكل ما تقولينه كذب!... كيف يمكن معاناة مثل هذه الأمور؟ إنني بدأت أشفق عليه بقدر أقل فأقل، فما أشد حنقه وغيظه، ولو أن هذا كله بسبب المرض، ويمكن أن يرثى له مع ذلك لمرضه.

لكن أندريوشا روى لي كل شيء بعد عودته من السيرك، فهم جميعاً لا يقدروني كثيراً، وإنني طيبة للغاية، وإنه يحبني أكثر من الجميع في الدنيا.

قلبت حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل رسائل ليف نيقولايفتش إلى تانيا ورسائلي إليها، وبعد ذلك قرأت رسائل ليف نيقولايفتش إلى فاليريا آرسينيفا، التي أراد أن يتزوجها في زمن ما. إنها رسائل طيبة جداً، لكنه لم يحبها أبداً.

زمهرير ودرجة الحرارة 5 درجات تحت الصفر، الجو صاح وجميل.

12 يناير. استيقظت مبكرة، وأعطيت فانيا عقار أبومورفين ضد السعال الذي اشتد. فتحت كوة النافذة، 10 درجات تحت الصفر، اغتسلت بالماء البارد، ومع ذلك لم أكتسب الحيوية والنشاط. فثمة أمر لا يبعث على السرور. جلست مع فانيا، وقرأت له، واستقبلت الضيوف. زارنا تشيتشيرين ولوباتين الذي خضنا معه الحديث عن الموت، بالمناسبة إنه قال إن الحياة ما كانت ستصبح ممتعة لولا وجود هذا اللغز الأبدي أمامنا – أي الموت. ثم جاءت بتروفسكايا وتسوريكوفا. بقيت تسوريكوفا معنا لتناول الغداء والمبيت. إنها تمثل ذلك الطراز من فتاة من النبلاء التي تمسك بيدها أوراق البخت، ولديها عدد كبير من المعارف ومن العشاق حتى سن 40 عاماً.

في المساء ارتفعت درجة حرارة فانتشكا مجدداً إلى 38.3، وتملكني القلق الشديد مجدداً. لقد تمزق شيء ما في داخلي وبدأت أحس بألم في أعماق نفسي، وفقدت القدرة على التحكم بذاتي كلياً. استجمعت قواي، وذهبت إلى حفل عزاء لوبوخينا، ثم عرجت على أسرة جليبوف لاصطحاب ميشا من هناك، كما جلست ساعة أخرى لدى أسرة تولستوي. ورجعت من هناك مشياً على الأقدام، وراودني شيء من الخوف. ليوفا قليل الكلام كالسابق، وماشا ظريفة جداً وتعمل جهدها لمساعدتي، والصبيان ظرفاء. تحدث تشيتشيرين اليوم عن ليوفوتشكا فقال إنه يكمن فيه شخصان: الأديب العبقري، والمتفلسف السيئ الذي يذهل الناس بالتأثيرات المتناقضة لأفكار متضادة للغاية. وأورد عدة أمثلة على ذلك. إن تشيتشيرين يحب ليف نيقولايفتش، لكن كما عرفه فيما مضى. إنه يرى في ليف نيقولايفتش ذلك الشخص الذي يحتفظ بكثير من رسائله.

13 يناير. رتبت رسائل زمن المجاعة الواردة من المتبرعين، ومزقت تلك التي تحتوي على الأرقام والعبارات الرسمية فقط، وأبقيت تلك التي تتضمن تعبيراً عن الأفكار أو المشاعر. وساعدني فانيا بلطف بالغ. الصغير المسكين، في كل يوم سخونة، وقد شحب وهزل جداً.

14 يناير. جلست مع فانيا، وقرأت له. في المساء ثرثرت مع بوغايفا وزايكوفسكايا وليتفينوفا. درجة حرارة فانيا في الصباح 37.8 وفي المساء

38.5. أصبح السعال أقل، والزكام أشد. توقفت الحياة والروح والجسد. أنتظر الصحوة واليقظة.

15 يناير. لم تحل اليقظة، واشتدت الكآبة. ربما لأن التعب أضناني، وأنا أرنو طوال أيام بأكملها إلى فانتشكا المريض وإلى ليوفا، وهذا يؤثر في الأعصاب والمزاج. إنني انشغلت اليوم كله في العناية بفانتشكا بتوتر وبجهد. في المساء جاء الطبيب فيلاتوف ولم يجد لديه أية تعقيدات في الرئتين ولا في البلعوم ولم يتضخم الطحال. إنها الإنفلونزا وليس شيئاً آخر. ذهبت لاصطحاب ساشا من بيت عائلة جليبوف، حيث قدم درس الرقص الأول. في المساء جاء أخي وزوجته، البائسة والنحيفة. وقامت ماشا بكشف البخت بورق اللعب. وطالعت بخت ميشا أولسوفييف، فكشف الورق موته. وقد تكدرت لدى كشف البخت، وتملكني الخوف على تانيا وليف نيقولايفتش. وتمنيت أن يعودا عاجلاً. لكم كنت سأحب ليف نيقولايفتش لو أنه أبدى قليلاً من الطيبة تجاهي والاهتمام بالأطفال والصبيان.

أبدى ليوفا شيئاً من النزق، لكن اليوم جال في خاطري لأول مرة أنه جم النشاط ونضر المحيا. وماشا بائسة لكنها طيبة لرغبتها في مساعدة الآخرين.

16 و17 يناير. لم يتغير وضع فانيا الصحي. إذ ترتفع درجة حرارته عند منتصف الظهر وتستمر حتى الليل. السعال أفضل، والزكام على حاله. وساشا مصابة بالزكام أيضاً. زارنا أمس واليوم م. ستاخوفيتش، لكنه لم يبعث البهجة لدي. وجاءت مساء يوم أمس ماشا كولوكولتوسفا – يطيب لي جداً تعاطفها الروحي وعلاقات المودة الحقيقية معها. زارتنا مساء اليوم يلينا بافلوفنا رايفسكايا مع دونايف. أنا متعبة جداً بسبب مرض فانيا، ووضعي النفسي. أشعر بأنني ضعيفة، وأصاب بالاختناق لدى أية حركة. شكا أندريوشا من آلام في بطنه. وميشا ينام مع ليوفا، وماشا وديعة جداً، ورقيقة ونافعة.

عاصفة ثلجية، الرياح تدوي، درجة الحرارة 6 تحت الصفر. وعد ليف نيقولايفتش وتانيا بالعودة غداً من بيت أسرة أولسوفييف. أطالع «Les

Rois»، إنها ممتعة لحد الآن. عملت في الخياطة، وجلست مع فانيا طوال النهار. أعيش بلا حيوية وبكآبة.

18 يناير. إنني أتذكر دائماً هذا اليوم فهو يوم وفاة ولدي أليوشا. لقد توفي قبل تسعة أعوام مضت.

استيقظت في الساعة 6 صباحاً، وأعطيت فانيا 4 غرامات من الكينين. نهضت في الساعة الثامنة والنصف وقست درجة حرارته. وكانت 36.7. ورقدت ثانية ثم ما لبثت أن ارتددت إلى الوسن. استيقظت في وقت متأخر، شعرت بألم في صدغي. ذهبت لشراء الأقمشة والجوارب والعلب وهلم جرا، أي كل ما هو ضروري للبيت. كما جلبت للأطفال مسرحيات من أجل صندوق الدنيا. بعد الغداء عزفت سوناتا موزارت بمرافقة ميشا على الكمان، ثم سوناتا شوبرت. وأسفت لكوني لا أجيد التوزيع الموسيقي. أما هو فقد انخرط في العزف، وأسفت لإيقافه عن العزف من أجل ذهابه إلى الدروس مع معلمه. أندريوشا يعاني من ألم في بطنه، إنه كسول وضعفه لا يبعث على الارتياح.

عاد ليف نيقولايفتش وتانيا من بيت أسرة أولسوفييف. لم يكن اللقاء بيننا بهيجاً بعد فراق دام 18 يوماً، كما كان الحال سابقاً. إن تانيا تتحدث بلهجة جافة غليظة تنم عن الإدانة، أما ليوفوتشكا فكان عديم المبالاة وغير حافل بأي شيء. لقد عاشا هناك في بهجة وخلو بال: وكانا يتبادلان الزيارات، وليف نيقولايفتش حتى مارس لعبة فينت وعزف عزفاً ثنائياً بأربع أيد. ولم تكن هناك النظرات الانتقادية لأتباعه وبوسعه العيش ببساطة وكسب الراحة من ذلك الزيف الهزيل الذي صنعه بنفسه في أوساط سفهائه. تحدثت صباح اليوم مع Miss Spiers حول عدم وجود نفع من عملها عندنا. إنها غير ودودة جداً، ولا تحب الأطفال. ويتعين الافتراق معها أيضاً. لا توجد الآن البتة مربيات جيدات للأطفال الصغار. هذا كله شيء محزن.

19 يناير. نهضت مبكراً، وانشغلت برعاية فانيا. وقد رسم سلات على طريقته ومن الطبيعة، بينما حاولت أن أصور بالألوان المائية حديقتنا، وكانت النتيجة فظيعة، إنني لم أتقن عمل أي شيء بصورة جيدة! ويا للأسف.

طالعت «Les Rois»، انه كتاب رديء جداً. تناولنا الغداء العائلة كلها في جو طيب. إنني لا أحسن العيش وحيدة، فقد اعتدت العيش في كنف ليوفوتشكا وفي كنف العائلة، وعندما أكون وحيدة مع الصغار يراودني السأم.

عملت بعد الغداء في مراجعة حسابات الضيعة في سامارا وشؤونها. يطالع غولتسيف عند ليوفوتشكا نداء مجلس إدارة تفيرسكوي والالتماس الجديد المقدم إلى القيصر. وهناك دونايف أيضاً. فانيا ما زال مريضاً، وتلازمه السخونة منذ ثلاثة أيام ونصف حيث ترتفع يومياً في حوالي الساعة الثالثة والنصف. الجو صاح، درجة الحرارة 6 تحت الصفر، الليلة مقمرة، ما أروع ذلك! أما أنا فأواصل كآبتي وأغفو روحياً.

20 يناير. تدهورت صحة فانيا كثيراً، السخونة عالية. زرت في المساء الدكتور فيلاتوف، فأمر بزيادة جرعات الكينين. ليوفوتشكا غير راض لكوني أطلب الاستشارة الطبية. إنه لا يعرف نفسه ما العمل. وهو منشرح الصدر، وجلب الماء من البئر، تم كتب شيئاً ما. وفي المساء انهمك بالمطالعة، والآن ذهب إلى سيرجي نيقولايفتش. درجة الحرارة 17 تحت الصفر، ندى مثلج، ضباب، الجو صاف والليلة مضيئة. السآمة المضنية تأخذ بخناقي، وثمة شيء لا يطاق!

26 يناير. السخونة لم تفارق فانتشكا طيلة هذه الأيام. ينفذ إلى أعماقي حزن قهار يعتمل في روحي وجسدي لدى التطلع إليه. اليوم وضعه أفضل، وقد أعطيت له 8 غرامات من الكينين في جرعتين. خرجت لأول مرة واشتريت النوتات واللعب والجبن والبيض الطازج وغير ذلك. جلست هنيهة مع فانيا، وبعد الغداء عزفت برفقة ليف نيقولايفتش عزفاً ثنائياً بأربع أيد، واخترت من أجل ساشا وناديا مارتينوفا مسرحية لتقديمها في حفلة الأطفال الموسيقية المرتقبة. وبعد ذلك انصرف الجميع، وتحدث ليوفا عن البيت الذي يعتزم بناؤه في الباحة، وطلب مني النقود لهذا الغرض، مما أزعجني. فرفضت، لكنه سرعان ما غير لهجته *بأخرى ودية أكثر*. بعد ذلك قمت مع ماشا بتصحيح وبإعادة استنساخ قصة ليوفوتشكا «المالك والعامل». ولازمتني لوعة من الحزن والأسى لكونه أعطاها لـ «سيفرني

فيستنيك». لا يدرك أحد ما مغزى أفكاره. أنا أفهم بأنه إذا ما نشرها *مجاناً* في «بوسريدنيك» سيشتريها أي شخص بمبلغ 20 كوبيكاً ويقرأ رواية تولستوي. لكن في هذه الحالة يرغم الجمهور على أن يدفع 13 روبلاً، لكي يقرأ هذه الرواية. لهذا فإنني لا أشاطر زوجي فكرته، لأنه غير صادق وغير محق. إن كل شيء مبتدع ومصطنع ومتكلف، والبطانة غير جيدة، والشيء الرئيس، أنه يسود في كل شيء الغرور، والتعطش النهم إلى الشهرة والمجد، والرغبة العارمة في كسب المزيد والمزيد من الشهرة. قد لا يصدقني أحد، ويؤلمني أن أقول ذلك، لكنني أكابد لوعة الحزن لهذا السبب، بينما لا يرى الآخرون ذلك، فالأمر سيان لديهم!

الآن الساعة الثانية بعد منتصف الليل. ذهب ليوفوتشكا لحضور اجتماع ما لدى الأمير دميتري شاخوفسكوي، لا أدري بأية مناسبة. جميع المصابيح مضاءة، والخادم ينتظر، طبخت له عصيدة الشوفان الآن وقمت بتصحيح المسودات، بينما هم يتبادلون *الأحاديث* هناك. وغداً في الساعة الثامنة صباحاً سأقوم بقياس درجة حرارة فانتشكا وأعطيه الكينين، أما هو فينام. وبعد ذلك سيذهب لجلب الماء، وحتى لا يعرف فيما إذا تحسنت صحة الطفل وفيما إذا تكابد الأم الإجهاد. آه، كم هو غير طيب القلب حيالنا، نحن عائلته! إنه فقط صارم وعديم الاكتراث. وسيدون في سيرة حياته أنه كان ينقل الماء بدلاً من الكناس، ولن يعرف أي أحد موقفه من زوجته، وفيما إذا أعطاها الفرصة للراحة، وأعطى طفله جرعة ماء وجلس خمس دقائق مع الطفل المريض خلال 32 عاماً، بغية أن أسترجع أنفاسي وأنال قسطاً كافياً من النوم، والخروج للنزهة أو لمجرد الراحة بعد العمل.

درجة الحرارة 11 درجة تحت الصفر، ندى مثلج، هدوء، القمر مضيء.

1 فبراير. فانيا بلا سخونة لليوم الثالث، وأنا أعطيه لليوم الرابع الزرنيخ بمعدل 5 إلى 6 قطرات مرتين في اليوم بعد الغداء. وانشرح لذلك صدري واغتبطت. أما ليوفا فلا يبعث في السرور. العلاقات مع ليوفوتشكا طيبة.

بالمناسبة قمت منذ أيام بقياسه. الطول 71 سم تقريباً.

الجو دافئ، بعد زمهرير وصل إلى 25 درجة تحت الصفر، أصبح أمس 5

درجات، واليوم درجة واحدة ونصف مئوية. حالتي الصحية ليست على ما يرام: يعذبني باستمرار الاختناق واشتداد نبض القلب. النبض خلال خمس دقائق يكون إما 64 وإما 120، إذا ما مشيت بسرعة.

طالعت كتاب «حول المكان والزمان» لتشيتشيرين. لا موهبة وسأم. زرت مدرسة (جمنازيا) بوليفانوف الذي اشتكى من عبث ميشا وسلوكه السيئ في الصفوف. كتبت رسالة إلى كانديدوف ورئيس إدارة الضيعة.

مكتبة

5 فبراير.أنا إما سيئة الطبع وإما ذات نظرة سليمة. كتب ليف نيقولايفتش قصة رائعة بعنوان: «المالك والعامل». وكانت غوريفتش الدساسة ونصف اليهودية تطلب على الدوام عن طريق التملق وبمكر أن يعطى لها شيء ما لنشره في مجلتها. علماً أن ليف نيقولايفتش لم يعد يأخذ مكافأة نقدية لقاء نشر أعماله. وإذا ما نشر طبعة رخيصة من قبل دار النشر «بوسريدنيك» من أجل أن يحصل الجمهور *كافة* على الفرصة لقراءتها، فإنني عندئذ كنت سأتعاطف مع ذلك، وأتفهمه. لكنه لم يمنحني المجلد 13 بغية ألا أحصل على نقود نافلة، فلم يسلم القصة إلى غوريفتش؟ هذا يخرجني عن طوري، وأنا أبحث عن الوسيلة لإحقاق العدل من أجل الجمهور وليس لمصلحة غوريفتش، بل نكاية بها. وسأجد هذه الوسيلة.

حدث مرة في عيد القديس شفيعي أن جلب لي ليف نيقولايفتش في حقيبته طبعة جديدة من رواية «موت إيفان ايليتش». ولكنه أخذها مني لاحقاً، ونشرها، ووضع حقوق طبعها في متناول الجميع. آنذاك بكيت وغضبت. لماذا هو فظ معي دائماً؟ وكيف غدا كل شيء، وكل أمر لا يبعث البهجة لدي! زارت ماشا أمس البروفيسور كوجيفنيكوف فقال لها ما يبعث على السلوى بشأن مرض ليوفا. صباح اليوم عنفت أندريوشا لأنه خدعني وخدع أبيه قبل ثلاثة أيام حين وعد بالمجيء إلى البيت، بينما ذهب إلى الغجر مع كلينميخيل وسيفرتسيف. وفجأة اضطرب أندريوشا وقال إنه إذا ما خدع أبيه فذلك لأنه لم يسمع منه طوال العام سوى كلمتين: «تعال إلى البيت». وإن أباه لم يعامله أبداً بلطف، وإنه لا يهتم بأبنائه أبداً، ولم يقدم له المساعدة أبداً في أي شيء. إن سماع مثل هذا الكلام يبعث على الحزن، ولكنه يتضمن الكثير من الحق.

زارنا مامونوف والكونتيسة كابنيست، النحيفة والحزينة جداً بسبب غياب النظام في الجامعة ولكنها لطيفة جداً. ليوفوتشكا يسعل ويصحح مسودة «المالك والعامل». مساء أمس اجتمع رفاق ميشا وقرأت لنا س.م.مارتينوفا «فاوست» بقلم تورجينيف.

فتذكرت تورجينيف حين زارنا في ياسنايا بوليانا ووقفنا في الربيع بموضع مرابطة الدجاج البري. آنذاك وقف ليوفوتشكا عند شجرة وأنا مع تورجينيف عند شجرة أخرى. فسألته لمَ توقف عن التأليف؟ فانحنى وتطلع حواليه في حركة هزلية نوعاً ما وقال: «أعتقد أنه لا يسمعنا أحد سوى الأشجار. فاسمعي يا روحي (كان يخاطب الجميع بالتعبير القديم «يا روحي»)، يجب قبل أن أكتب شيئاً جديداً أن تخضني دائماً حمى العشق، أما الآن فهذا شيء مستحيل!». فقلت «يا للأسف»، وأضافت بمزاح: «هيا اعشق أي أحد ولو اعشقني أنا، فلربما ستكتب شيئاً ما». - «كلا لقد فات الأوان!».

كان ميالاً إلى المرح وراقص بناتي وبنات كوزمينسكي بما يشبه رقصة «كانكان» الباريسية، وجادل ليف نيقولايفتش والمرحوم الأمير ليونيد أوروسوف بلهجة ودية. وأذكر أنه طلب أن يعد للغداء حساء الدجاج بالسميد وفطيرة محشوة بلحم البقر والبصل مؤكداً على أن الطباخين الروس وحدهم يستطيعون صنعها بهذا الشكل. كان يعامل الجميع بلطف ورقة وقال مخاطباً ليف نيقولايفتش: «لقد أحسنت بالزواج من زوجتك». وحث ليف نيقولايفتش طوال الوقت على الكتابة الأدبية وتحدث بحماس شديد عن موهبته الرفيعة. الآن من الصعب تذكر كل شيء، وآسف لأنني لم أدون أشياء كثيرة في يومياتي. فلم يوح لي أحد بأن هذا أمر مهم، وعشت طويلاً بجهل صبياني.

نشر اليوم في «نوفويه فريميا» خبر مذهل حول وفاة ماري أوروسوفا. فقد كانت في سن 25 عاماً فحسب وتميزت بخصلة خاصة فنية وموسيقية ورقيقة. الآن ذهبت روحها إلى جوار أبيها، إنها لم تتحمل فظاظة أمها. الفتاة المسكينة!

21 فبراير. لقد كابدت وما زلت أكابد فترة صعبة في حياتي. لا رغبة لدي في الكتابة، فما أشد صعوبة الحياة، وما أشد الرهبة وإدراك أنه ستبدأ حياتي بالانحسار اعتباراً من هذه الفترة. أنا لا آسف عليها البتة، وتلاحقني

فكرة الانتحار أكثر فأكثر. ليساعدني الرب في ألا أقع تحت سلطان هذه الخطيئة الخطيرة. اليوم كدت أن أترك البيت. يبدو أنني مريضة، ولا أسيطر على نفسي، ولكم احتدم في روحي جميع ما عانيته من آلام بالسبب الرئيس الأكثر حدة وهو قلة حب ليفوتشكا لي وللأطفال. هناك عجائز وشيوخ سعداء عاشوا حياة محبة كالحياة التي عشناها على مدى 33 عاماً، ثم تحولوا إلى علاقات المودة. أما لدينا؟ تحدث لي باستمرار دفقات من الرقة والحب العاطفي السخيف تجاهه. وعندما مرضت جلب لي تفاحتين رائعتين، وزرعت بذورهما كذكرى تجسد مثل هذه الرقة والحنان النادر تجاهي. فهل سأرى كيف ستنمو هذه البذور؟...

نعم، إنني أردت أن أدون جميع *قصتنا* الحزينة هذه. أنا المذنبة فيها، طبعاً، لكن ما الذي *أوصلني* إليها! دع أبناؤنا لا يدينوننا، لأنه لن يعرف أحد ولن يفقه أبداً بواطن علاقاتنا الزوجية. وإذا ما رغبت، بالرغم من كل سعادتي الظاهرية، في أن أضع حداً لحياتي، وكم من المرات راودتني هذه الرغبة – فهل يكون ذلك بلا سبب؟ لو عرف أحد ما مدى صعوبة انطلاقات ومحاولات الحب الدائمة، التي لم تجد استجابة لها باستثناء الترضية الجسدية المستهلكة بصورة مؤلمة. وهذا يؤكد بشكل مؤلم أكثر اعتقادي بأنه لا يوجد تواصل متبادل في الأيام *الأخيرة* من حياتي ومن حبي الوحيد والراسخ نحو إنسان أناني قدم لي بالمقابل حكمه الصارم الذي لا يعرف الرحمة.

إذن، هذه هي *القصة*. لقد عذبتني الرواية القصيرة «المالك والعامل»، كما يتبين ذلك من يومياتي السابقة. لكنني عملت في تطوير نفسي. وساعدت ليوفوتشكا بجهد في تصحيح المسودات، وعندما أصبح كل شيء جاهزاً لديه، رجوته أن أستنسخ مسودات المطبعة لكي أحتفظ بها، بغية أن أنشرها في المجلد 13 من المؤلفات الكاملة.

وأردت أن أستنسخها ليلاً بغية عدم تأخير إرسالها إلى بطرسبورغ. ولأمر ما غضب ليوفوتشكا، وقال إنه سيرسل المسودات بنفسه، وعارض بشدة استنساخها وذكر سبباً واحداً هو أن هذا سخف وجنون. بينما كان يعذبني التفكير في أن صحيفة «سيفيرني فيستنيك» وحدها ستكون لها الأفضلية، وتذكرت قول ستوروجينكا أن غوريفتش (الناشرة) استطاعت أن تخلب لب

الكونت، فحصلت على موافقته على نشر مقالتين له في العام، بينما كنت أفكر في أن أنشر الرواية بنفسي في آن واحد بطبعتي وطبعة «بوسريدنيك». لقد كنا نحن الاثنين منفعلين وغاضبين. وبلغت شدة غضب ليوفوتشكا حد أنه صعد إلى الطابق الأعلى وارتدى ملابسه وقال إنه سيترك البيت إلى الأبد ولن يرجع.

لقد أحسست بأن ذنبي يكمن فقط في رغبتي في استنساخ الرواية القصيرة، وبغتة طرأ في ذهني بأن هذا مجرد ذريعة، وأن ليوفوتشكا يريد هجري لسبب آخر أكثر أهمية. وطرأت في خاطري على الفور الفكرة حول وجود امرأة قبل كل شيء. وفقدت كل سيطرة على نفسي، وبغية ألا يكون البادئ في هجري، انطلقت نفسي إلى الشارع، وصرت أغذ الخطى في الزقاق. فتبعني. كنت في الروب المنزلي، بينما كان يرتدي السروال بلا قميص، والسترة. وطلب مني العودة، بينما سيطرت علي فكرة واحدة هي أن أهلك بهذه الصورة أو تلك. كنت أنتحب وأذكر بأنني صرخت قائلة: ليأخذوني إلى مركز الشرطة، وإلى مستشفى المجانين. سحبني ليوفوتشكا فسقطت على الثلج، وكنت عارية القدمين في الحذاءين بلا أجربة، وأرتدي قميص النوم فقط تحت الروب المنزلي. غمرني البلل كلياً وأصبحت مريضة وغير طبيعية، كما لو أغلقت في داخل قمقم بإحكام، وكل شيء ضبابي غامض.

عاد إلينا الهدوء نوعاً ما. وفي صباح اليوم التالي ساعدته مجدداً في تصحيح المسودات من أجل صحيفة «سيفرني فيستنيك». وبعد تناول طعام الفطور أنهى العمل وأراد أن ينام. فقلت له: «الآن هل يمكن استنساخ النص، وسآخذه». كان ليوفوتشكا راقداً على الديوان وحين قلت له ذلك، انتفض بسحنة تفيض غيظاً في سورة انفعال ورفض طلبي مجدداً، من دون أن يوضح السبب. (أنا لا أعرفه حتى الآن). لكنني لم أغضب، بل تذرعت إليه بالسماح لي باستنساخ النص. كانت الدموع تخنقني في البلعوم وتنهمر من العينين. ووعدته بأنني لن أنشر الكتاب بدون موافقته، لكنني أرجو فقط أن يسمح لي بالاستنساخ. وبالرغم من أنه لم يرفض طلبي لكن غضبه أذهلني. ولم أستطع أن أفهم شيئاً. لماذا تعتبر مصالح غوريفتش ومجلتها عزيزة لديه لدرجة أنه لم يسمح بأن يصدر نص الرواية القصيرة في آن واحد في ملحق المجلد 13 وفي طبعة «بوسريدنيك»؟

لقد غمرني شعور الغيرة والكدر والجزع لكونه *لن يفعل أي شيء من أجلي أبداً*، إنه الشعور القديم بالكرب لكون حب ليوفوتشكا قليلاً مقابل حبي الكبير له، لقد انبجس هذا كله أمامي بيأس ممض. رميت المسودات على الطاولة وارتديت معطف الفرو الخفيف ولبست الكالوشين والقبعة، وغادرت البيت. لكن، لأسفي أم لا، فقد لاحظت ماشا اضطراب سحنتي وتبعتني، أنا لم أر ذلك في البداية، بل لاحقاً فقط. توجهت نحو دير ديفيتشي وأردت أن أتجمد من البرد في مكان ما فوق تلال فوروبيوف، في الغابة. وراقت لي، كما أذكر، فكرة موت فاسيلي أندرييتش تجمداً، كما ورد في الرواية وسأموت أيضاً متجمدة بسبب هذه الرواية. ولم أشعر بأي أسف وإشفاق. لقد وضعت حياتي كلها على ورقة واحدة، على حبي لزوجي، وقد خسرت هذه اللعبة، ولا يوجد مغزى لحياتي. ولم أشفق على الأطفال. يراودني دوماً الشعور بأننا *نحن* نحبهم، ولكنهم لا يحبوننا، ولهذا فهم يمكن أن يعيشوا بدوني. وقد تبين أن ماشا لاحقتني طوال الوقت ولم تبعد نظرها عني وأعادتني إلى البيت. تواصل كدري طوال يومين آخرين. وأردت السفر مجدداً. فأوقفت حوذياً ما في صباح اليوم التالي وذهبت إلى محطة كورسكي. أنا لا أعرف كيف فطن أولادي إلى أنني ذهبت إلى هناك بالذات. لكن سريوجا وماشا أوقفاني مرة أخرى وأعاداني إلى البيت. وكانت العودة إلى البيت في كل مرة مقترنة بمشاعر الخجل وعدم الارتياح. وفي العشية مساء (كان ذلك في 7 فبراير) كنت مريضة جداً. لقد احتدمت جميع المشاعر في نفسي إلى أقصى حد. وأذكر بشيء من الغموض أنه تراءى لي أن الهلاك سيكون مصير كل إنسان تمسه يد ليوفوتشكا. ورثيت كل الرثاء وبألم لخوخلوف الذي أصابه مس من الجنون. أردت أن أبعد الجميع عن تأثير ليوفوتشكا. وأنا أشعر الآن بأن حبي له سيقضي علي، وسيقضي على روحي. وإذا ما تحررت منه، أي من هذا الحب، سأجد الخلاص، وإلا فسأهلك بهذا الشكل أو ذاك. إنه قضى علي في دخائل نفسي، وأنا الآن قتيلة، لكنني أحيا.

عندما انخرطت في البكاء وغرقت في نشيج حار دخل هو إلى الغرفة، وجثا على ركبتيه حتى بلغ الأرضية، وانحنى علي وطلب المغفرة. إنني كنت سأصبح سعيدة لو بقيت قطرة واحدة من ذلك الحب الذي كان لديه سابقاً ولفترة طويلة.

جرى استدعاء الأطباء من أجل علاج روحي المعذبة. وكان شيئاً مضحكاً حين أعطى كل طبيب الوصفة حسب اختصاصه. فوصف طبيب الأعصاب البروم، بينما وصف طبيب الأمراض الباطنية تناول المياه المعدنية (فيشي) وقطرات. وفي نهاية المطاف جرى استدعاء طبيب التوليد سنيغيروف أيضاً فقال إنها «الفترة الحرجة» ووصف دواءه. لكنني لم أتناول الأدوية. لست أشعر بتحسن.

بعد أن هرولت قبل ثلاثة أيام في الشوارع، وبلا ملابس دافئة تقريباً، وفي درجة الحرارة 16 تحت الصفر، وكنت أرتجف من القر حتى العظام، ومعذبة متوترة الأعصاب، أصبحت عليلة، ضعيفة الصحة وضاوية الجسد. كانت البنات يتطلعن إلي بفزع وغم. ماشا تنتحب، بينما ذهب أندريوشا لينقل جزعه إلى إيليا. وراحت ساشا وفانيا يجيلان على الحضور نظرات طفولية قلقة، وبدا ليوفوتشكا مضطرباً ملتاعاً، لكن أعجبني سريوجا أكثر من الجميع بحنانه الهادئ وغياب أية إدانة لديه. أما أنت يا ليوفوتشكا، المسيحي، فقد وجدت فيك الإدانة أكثر من الحب والشفقة. ومجمل القضية أنه يكمن في فقط حبي اللامتناهي لك. إنه يبحث في شخصي دوماً عن الموجدة، آه لو عرف أنها غير موجودة لدي، بينما الموتيفات الأخرى كثيرة. ما العمل إذا ما وهبني الرب هذا الطبع المضطرب والمنفعل؟

كانت شقيقتي ماريا نيقولايفنا طيبة جداً، وحانية، وقالت، إنني ذكرت في أثناء هياجي وانفعالي الحقيقة وحدها، لكن مع بعض الغلو. نعم، لكن لا يمكن إصلاح هذا الهياج وغفرانه.

الآن نحن في وئام ووفاق مجدداً. سافر ليوفا إلى المستوطنة الصحية لأوغرانوفتش، ولم يرسل كلمة واحدة. إنه لا يضمر مشاعر طيبة للعائلة ولا يريد إقامة أية علاقات معنا. ربما إن هذا أفضل بالنسبة إلى وضعه العصبي. جاء طبيب من هناك يوم أمس بأنباء مشجعة.أنا أدعو الرب إلى أن لا يريني موت أي أحد من أبنائي، وليأخذني قبلهم إلى جواره حيث لا تكون المحبة مصدر عذاب بل مصدر بهجة.

لقد سلمت لي ولصحيفة «بوسريدنيك» الرواية القصيرة. ولكن بأي ثمن!

أنا أصحح المسودات وأتابع العمل الأدبي الرقيق بلطف وحنان. وغالباً ما أذرف الدموع وأبتهج بسببها.

22 فبراير. الوقت صباحاً. لقد مرض فانيا مجدداً منذ مساء أمس. وظهر في جسده اليوم طفح الحمى القرمزية، وهو يعاني من ألم في البلعوم ومن الإسهال. جاء فيلاتوف وشخص المرض ووصف العلاج.

23 فبراير. فاضت روح حبيبي فانتشكا وذهبت إلى بارئها عند الساعة 11 مساء. رباه، ويلاه! بينما أنا ما زلت على قيد الحياة!

1897

1 يونيو. انصرمت فترة عامين على يوم 23 فبراير حين توفي ولدي فانتشكا، ومنذ ذلك الحين، دونت آخر سطر في دفتر اليوميات، وأغلقته كما أغلقت حياتي، وقلبي، وسرعة إدراكي، والبهجة في الحياة. لكن ما ثاب إلي رشدي، والعزلة الروحية التامة ولدت لدي مجدداً الرغبة في تدوين اليوميات. فلتبق على الورق صورة آخر زمن من حياتي والشيء الرئيس من حياتي الزوجية. وسأكتب الحقائق حصراً، وعندما سأغدو في وضع أكثر اطمئناناً سأصف أيضاً وقائع هذين العامين من حياتي المترعة بأحداث هامة للغاية من حيث محتواها في دخائل نفسي.

اليوم عيد الثالوث الأقدس. الجو صاح، وجميل. في الصباح. ودعت تانيا وسريوجا إلى موسكو لحضور حفل زفاف ماشا غداً. وبعد ذلك قرأت مسودات المجلد 12 من الطبعة الجديدة التي أنشرها بنفسي. ليف نيقولايفتش يكتب مقالة عن الفن، وأنا لا أراه قبل الغداء. في الساعة الثانية تناولنا طعام الغداء. وفي الساعة الثالثة دعاني ليف نيقولايفتش لمرافقته في النزهة على صهوة جواد. فرفضت، لكن اعتملتني فيما بعد رغبة شديدة في الذهاب معه، لأن روحي، وهو الأمر الرئيس، تفيض جزعاً وسأماً لبقائي لوحدي. انطلقنا بالجياد نحن الثلاثة (كان الثالث دونايف) في ربوع زاسيكا الجميلة جداً. وبلغنا المناجم التي تستخرج المعادن منها شركة بلجيكية، وكذلك «مملكة الأموات» المهجورة ونزلنا وصعدنا في الوهاد. كان ليف نيقولايفتش رقيق الحاشية جداً وحانياً في التعامل معي، وقد أثر ذلك فيّ ومس عواطفي، لكن في السابق كانت معاملته هذه تجلب لي سعادة غامرة، أما الآن وحين علمت موقفه الحقيقي مني اعتماداً على يومياته، فإنني أتأثر فقط لطيبته كشيخ

حيالي، ولن أنساق أبداً إلى الإحساس بالسعادة، والانفعالات التي كانت تغمرني عندما أحببته، قبل قراءة يومياته. سأصف في وقت ما قصة يومياته هذه، التي قلبت رأساً على عقب جميع حياتي العاطفية.

تجولنا قرابة ثلاث ساعات، وكانت نزهة طيبة جداً. ولدى عودتنا وجدنا في البيت أ.أ.زينوفييف. وقرأ ليف نيقولايفتش مع ضيوفه رسالة ألمانية ما، بينما واصلت تصحيح المسودات مجدداً. جاء أندريوشا، ويا للأسف!فقد ذهب مع ميشا إلى جوقة الإنشاد. بينما استضافت ساشا صونيا كولوكولتسيفا، وتنزهتا بمرافقة المدموازيل أوبرت.

2 يونيو. مرة أخرى...تصحيح المسودات في الصباح، والنزهة مع ليف نيقولايفتش ودونايف وماكلاكوف في المساء. وواصل دونايف الحديث (بصوت عال جداً) عن الموضوع نفسه أي تصدير واستيراد السلع من الخارج. مشهد الغسق جميل: كرة الشمس المتألقة في السماء الصافية وسحابة سوداء واحدة. دارت في خلدي أفكار طيبة وذكريات سعيدة. حياتنا الآن سقيمة. حقاً إن ليف نيقولايفتش يخيفني كل الخوف: إذ يصيبه الهزال، ويشعر بصداع دائم، بالإضافة إلى ما يكابد من غيرة. عندما ربطتني صلة قريبة بتانييف كنت غالباً ما أفكر بأنه من الخير أن يكون لي بعد أن بلغت سن الشيخوخة صديق هادئ الطبع وطيب القلب وذو موهبة. وأعجبتني علاقاته مع أسرة ماسلوف وأردت أن تكون لدينا مثل هذه العلاقة... فماذا كانت النتيجة!

زارنا في المساء زينوفييف وفيريه وقرينته. ذهبت مع ساشا إلى كوزلوفكا، والتقيت مس فيلش. قمر، رطوبة، برد...أشعر بغم شديد!

3 يونيو. جاءت ماشا مع زوجها كوليا عقب زفافهما. كما جاء تانييف وتوركين لإعطاء درس في الموسيقى لميشا. الجزء المؤلم بسبب قدوم سيرجي إيفانوفتش قد غطى على جميع المشاعر الأخرى. أنا أشفق على ماشا، ولهذا أتعاطف معها، وطبعاً سأحبها، وسأساعدها في الحياة، بقدر ما أستطيع. يترك كوليا الانطباع ذاته كصبي طيب، لكن فكرة كونه زوج ابنتي يستثني الآن احتمال نشوء مشاعر طيبة حياله. إنها ليست قوة، وليست

دعماً في الحياة...على أي حال سنرى ما سيحدث لاحقاً. إن قوة زوجي قد حطمت وقضت على شخصيتي وعلى حياتي. وأنا لم أكن قوية بمعنى الطاقة والنشاط. يغمرني الآن شعور طيب ومهادن. لكن آلمني للغاية أن أرى فظاعة وغيرة ليف نيقولايفتش المؤلمة لدى سماعه نبأ مجيء تانييف. ومعاناته لا تطاق بالنسبة لي أحياناً. أما معاناتي...

4 يونيو. منذ الصباح دار حديث مع ليف نيقولايفتش حول تانييف. إنها الغيرة ذاتها التي لا تحتمل. تشنج في البلعوم، ولوم مرير لزوجي المتعذب، وتكدر مؤلم لازمني طوال اليوم. قرأت مسودات المطبعة لمسرحية «سلطان الظلام». إنها عمل أدبي رائع ومتكامل وغير زائف. بعد ذلك توجهت للسباحة، والتقيت تانييف، وتذكرت بحزن اللقاءات الظريفة في العام الماضي. وبعد الغداء عزف من أجل تانيا أغانيه العاطفية (رومانس). أنا أحب موسيقاه وطبعه الهادئ والنبيل والطيب. وبعد ذلك استنسخت من أجل ليف نيقولايفتش مقالته حول الفن. ودعاني بلطف للنزهة معه، وقمنا بنزهة ممتعة. مشهد ثقيل الوطأة مع أندريوشا بسبب النقود. وقد بكى ورثيت له. لكنه يبعث لدي النفور منه بسبب ضعف شخصيته، إنها ليست شخصية رجل. عزف تانييف «أغان بلا كلمات» لمندلسون وقلب روحي كلها. استنسخت مجدداً نصوص ليف نيقولايفتش حتى حان موعد النوم.

جاءت ماشا مع كوليا، إنهما بائسان ونحيلان وضعيفا البنية... تانيا عزيزة جداً لدي ولطيفة. لكن أين ذهب ذلك النشاط البشري الحيوي، الذي يسعى إلى أن ينطلق إلى الخارج بمثل هذه القوة؟

5 يونيو. غادرنا سيرجي إيفانوفتش اليوم. وصار ليف نيقولايفتش منشرح الصدر وعاد إليه الهدوء، كما ثاب الأمن إلى قلبي لأنني رأيته. إن مطالبة ليف نيقولايفتش المترعة بالغيرة في أن أقطع أية علاقة مع سيرجي إيفانوفتش لها أساس واحد هو معاناة ليف نيقولايفتش.علماً أن قطع العلاقات معه يجلب لي المعاناة أيضاً. وأنا لا أشعر بأي إثم، كما أشعر بتلك المسرة الهادئة جداً والباعثة على الطمأنينة من علاقتي النقية والهادئة مع هذا الرجل، لدرجة

أنني لم أستطع إزالتها في أعماق روحي، كما أنني لا يمكن ألا أنظر، وألا أتنفس، وألا أفكر. بدأت منذ الصباح بقراءة مسودات المطبعة، وانتظرت سيرجي إيفانوفتش في الشرفة من أجل شرب القهوة معه، وجاء بالذات في اللحظة التي خرجت فيها إلى الحديقة، إلى البرج، وتحدثت في الحديقة مع شبح فانتشكا، وسألته عما إذا كانت مشاعري حيال سيرجي إيفانوفتش سيئة. اليوم أبعدني فانتشكا عنه، يبدو أنه يشفق على أبيه، لكنني أعرف بأنه لا يدينني. إنه بعث لي سيرجي إيفانوفتش كما لا يريد انتزاعه مني...

بعد ذلك ذهبت مع ماريا فاسيليفنا للسباحة. تذهلني قوتي وخفة الحركة في المشي. وبعد الغداء خرج ليف نيقولايفتش وسيرجي إيفانوفتش وتوركين معي للنزهة، وجمعت باقة زهور رائعة. طرح ليف نيقولايفتش بحماس شديد وبصورة جيدة أفكاره حول الفن على سيرجي إيفانوفتش، وقد أدهشني ذلك بعد كل ما أظهره من غيظ ونفور نحوه بسبب الغيرة. أكابد لكوني لم أصحح نص الترجمة الذي أعطيته لساشا. زارتنا فيرا وماشا من أسرة تولستوي. عملت طوال المساء: في البداية قرأت مسودات المطبعة مع ماريا فاسيليفنا، وبعد العشاء قضيت ثلاث ساعات باطراد في استنساخ مقالة ليف نيقولايفتش حول الفن.

الحياة لدينا في البيت فاترة، ثمة عدد قليل من الناس، والشيء الرئيس يسود السأم بسبب غياب سيرجي إيفانوفتش.

6 يونيو. لم أستطع النوم في الليل إلا بعد لأي بسبب الصداع وآلام الظهر والكآبة والضجر الذي لا يطاق. لا بد أنه الوضع الجسدي الثقيل بسبب الفترة النسائية الحرجة. ذهبت للسباحة مع تانيا وفيرا وماشا من أسرة تولستوي. لا توجد إلا مسودات مطبعة، وانهكمت طوال اليوم بهمة في استنساخ مقالة ليف نيقولايفتش. إن هذه المقالة أثارت اهتمامي الشديد وجعلتني أستغرق في التفكير.

ذهب الجميع إلى أوفسيانيكوفو، بينما بقيت مع ليف نيقولايفتش. صعدت إلى الطابق العلوي للكتابة، بينما ذهب هو إلى مكتبه، ولكننا توقفنا قبل هذا للحديث عن ماشا وكيف أن تفكيرها الديني، الذي ساعدها في

حياتها سابقاً، لم يعد باقياً. وقال ليف نيقولايفتش إن تفكيره الديني قد قلب حياته رأساً على عقب. فقلت بدوري ربما هذا في أعماق النفس أما ظاهرياً فكلا البتة. فغضب وراح يصرخ، وقال إنه كان سابقاً يمارس الصيد ويدير شؤون الضيعة والبيت ويعلم الأطفال ويوفر النقود، أما الآن فهو لا يفعل ذلك. فقلت إن هذا أمر مؤسف جداً: إذ كان هذا لمصلحة العائلة، وإدارة الضيعة لمصلحة الناحية، حيث غرس الكثير وأجرى تحسينات، كما أن تعليم الأطفال وتوفير النقود هو عون لي. أما الآن ففي مظاهر الحياة الخارجية ذاتها، أي الغرف ذاتها والطعام والوضع ذاته، يأخذ بعد القيام بأعماله بركوب الدراجة (كذا الحال طوال هذه الأيام)، ويمتطي صهوة الجياد، التي تروق له، ويتناول الطعام الممتاز الجاهز، بينما لا يعتني بالأطفال فقط، بل يتجاهل وجودهم كلياً في غالب الاحيان. إن جميع أقوالي هذه جعلته ينفجر غاضباً. إنها الحقيقة القاسية التي كان يجب ألا أذكره بها. وهو ينبغي بعد أن بلغ من العمر أرذله أن يخلد إلى الطمأنينة ويستجم ويغرف من مباهج الحياة ما طاب له ذلك. لكنه وجه إليّ أنواع الملامات وعلى سبيل المثال قال إنني أفسدت حياته عندما عشت فقط من أجله والأطفال، وهذا ما لم أستطع تحمله.

إنني لم أكابد منذ وقت طويل مثل عذاب الروح هذا. فهربت من البيت، وأردت أن أنتحر، وأسافر بعيداً، وأموت، وكل شيء، فقط باستثناء ألا أعاني من عذاب الروح. ما أعظمها من سعادة أن أقضي بقية حياتي بهدوء ومودة مع إنسان طيب وهادئ الطبع، لا أن أكابد مشاهد الغيرة الجنونية، كحالي في هذه الأيام الثلاثة الأخيرة، أو تبادل الملامات القاسية كما حدث اليوم. بينما السماء صافية والجو يتألق بالجمال والسكينة. الطبيعة ثرة ونضرة وساطعة. كما أن كل شيء قد بلغ الذروة في الطبيعة، بغية أن تبرهن للإنسان أن الطبيعة ثرة ونضرة وساطعة. كما أن كل شيء قد بلغ الذروة من البهجة في الطبيعة، بغية أن تبرهن للإنسان بأنه عاجز أمامها بانفعالاته وكآبته.

تصالحنا في المساء من دون تقديم أية إيضاحات. فذهبت عند الغسق للسباحة في فورونكا، وجاء ليف نيقولايفتش إليّ لاحقاً في عربة وقال بلهجة لطيفة إنه يجب علينا ألا نعشق بمثل هذه القوة ونتخاصم بمثل هذه القوة.

إنني لن أكسب أبداً الصداقة الهادئة والرقيقة والروحية. كنت أغذّ الخطى وحيدة في الغابة في المساء، وأنا أصلي ثم أطفق أنتحب، أنتحب لدى تذكر فانتشكا أيضاً، حيث كنت أجد معه الحب المقدس والقوي الوحيد في حياتي، حين كان أحدنا يحب الآخر. أما الآن فلن أجده مع أي أحد أبداً، وبدلاً من ذلك هناك الشهوة الجسدية العارمة والغيرة، والتي تسلبني جميع أشكال الحب الأخرى في قلبي.

7 يونيو. استيقظت اليوم وقد راودتني لأول مرة انطباعات حول جمال الطبيعة، وكان شعوري نحوه عذرياً، أي بلا ذكريات، وبلا أسف على الذين أحببت بسببهم أيضاً الطبيعة الرائعة في ياسنايا بوليانا. ومنذ فترة وجيزة ابتدعت لنفسي نظرية كاملة حول الموقف العذري من الدين والفن والطبيعة. إن الدين نقي وعذري عندما لا يرتبط بمن يسمون بالآباء(Confesseur) إيوان وأمفروسي أو رجال الدين الكاثوليك، ويتركز كل شيء في روحي حيال الرب. عندئذ يمكن أن يساعد.

والفن عذري ونقي حينما يحبه الإنسان بحد ذاته، بلا يتعلق بشخص الفنان (جوفمان، تانييف،جي، الذين يميل إليه ليف نيقولايفتش ميلاً قوياً. وكذلك بشخص ليف نيقولايفتش نفسه وهلم جرا)، وعندئذ يمثل الفن تراثاً رفيعاً وخالصاً.

وكذا حال الطبيعة. فإذا ما كانت أشجار البلوط والزهور والمراتع الجميلة مرتبطة بالذكريات حول الأشخاص الذين أحببتهم وعشت معهم في تلك الأنحاء، ولم يعد لهم وجود هنا الآن، فإن الطبيعة نفسها تنحل بذاتها أو تتخذ شكل المزاج الذي نحن أنفسنا فيه. يجب أن نحبها بصفتها هبة ربانية رفيعة، وبصفتها الجمال، وعندئذ تمنحنا البهجة الخالصة أيضاً.

استنسخت منذ الصباح الكثير من أعمال ليف نيقولايفتش. ثم أعطيت درساً لساشا. إن تدريسها ممتع، لكن طبعها نسبي، إنه لا يشبه طبعي، وهي طيبة في التعامل معي، لكنها مع الآخرين لا تطاق، إنها تنهال بالضرب حتى على مربيتها، والصبية رفيقتها،وماريا فاسيليفنا وكل من هب ودب.

ذهبت مع الجميع صباحاً إلى السباحة، ثم استنسخت مجدداً، وفي

المساء سبحت مرة أخرى، وعملت في قص الشجيرات في الممر، وربطت أغصان أشجار الزيزفون والورود ومضى اليوم كالعادة وبهدوء.

ليف نيقولايفتش هادئ أيضاً: مارس الكتابة وركوب الدراجة. ثم ركب صهوة الجواد وانطلق إلى أوفسيانيكوفو، لكنه لم يصل إلى هناك حيث التقى ماشا وكوليا بالقرب من كوزلوفكا. وفي المساء تطلع بكل ارتياح إلى الرسوم في «Salon» التي تستلمها تانيا. ذهبت تانيا إلى كوزلوفكا مع ماريا فاسيليفنا. ميشا توجه على صهوة جواد إلى غورياتشكينا لزيارة رفيقه كوليشوف.

هدرت عاصفة رعدية جافة، الجو حار، وفي المساء هطل المطر لفترة قصيرة.

تملكتني رغبة شديدة في سماع الموسيقى، وفي أن أعزف بنفسي، لكن يعوزني الوقت. عزفت اليوم فقط «أغنيتين بلا كلمات» لمندلسون. أوه، يا لهما من أغنيتين. بالاخص إحداهما التي انغرزت في قلبي بقوة.

8 يونيو. أبذل جهوداً مضنية لاستعادة نشاطي، لكي أبلغه إن لم يكن من أجل المسرة فمن أجل العمل. في الصباح قراءة مسودات المطبعة ثم الذهاب مشياً على الأقدام للسباحة في فورونكا. وبحلول موعد الغداء ارتديت (لأي غرض ولأي أحد؟ فقط من أجل ألا أستسلم لوهن العزيمة) الفستان الأبيض، وبعد الغداء ذهبت إلى ملعب التنس حيث كانت تلعب تانيا وماشا وميشا وكوليا وساشا وليف نيقولايفتش. خواء! بلا تشيرتكوف، وبلا تانييف. ثم ذهبت لربط وقص الأغصان اليابسة في جنينة الورود، وقطعت باقة زهور من أجل ليف نيقولايفتش. وبعد ذلك قرأت المسودات مجدداً، وفي المساء ذهبنا في العربات الصغيرة للسباحة، ثم دونت الحسابات، وراجعت العناوين في الطبعة الجديدة، ومجدداً عدت إلى قراءة المسودات. الآن الساعة 2 بعد منتصف الليل. الجو رائع: دفء وصحو وحر وجمال. تانيا منشرحة الصدر أيضاً. المسكينة، كم بودها أن يكون لها حب طيب، وهو حق مشروع لها: حب الزوج والصديق، وحب الأطفال. والأخير يمنح فعلاً البهجة النقية والطيبة، أما الأول فيمنح البهجة غير النقية والزائفة و...

يوم أمس رقدت بمزاج هادئ وطيب وبدأت التحدث مع ليف

نيقولايفتش بهدوء وبمودة. فأجابني برقة وبرضى. وقال: «إن صوتك اليوم حلو وأنثوي، وأنا لا أحب عندما تصرخين».

عملت اليوم بتصحيح مسودات «سوناتا كريتسر»، وغمرني مجدداً الشعور بالضيق ذاته، فما أكثر الوقاحة والتعرية الفاضحة للجانب السيئ في السلوك البشري. ويردد بوزدنيشيف في كل مكان: نحن انحدرنا إلى شهوة الخنازير، ونحن أحسسنا بالتخمة، ونحن، في كل مكان. لكن المرأة تتسم بصفات مغايرة تماماً، ولا يجوز تعميم الأحاسيس، ومنها الأحاسيس الجنسية. ويختلف موقف الرجل والمرأة الطاهرة منها.

بزغت بوادر الفجر، ولا توجد لدي رغبة في النوم، الساعة دقت الثانية بعد منتصف الليل، والقمر ينير في النافذة. إنه اليوم يتألق، وينتصب في الأعالي وينير بكل أناقة، في جداله مع الفجر المبكر في يونيو.

*10 يونيو.*لم أكتب يوم أمس كيف تمضي الأيام برتابة وبملل يوماً بعد يوم. يوم أمس زارتنا م.أ. شميدت. إنها تحيا بكامل كيانها في عبادة ليف نيقولايفتش لحد التعصب. علماً أنها كانت في زمن ما متدينة أرثوذكسية متطرفة. لكنها بعد مطالعة مقالات ليف نيقولايفتش أزالت الأيقونة والقنديل جانباً وعلقت في كل مكان صوره وجمعت عدداً كبيراً من أعماله المحظورة، التي تستنسخها من أجل الآخرين مقابل مبلغ من المال. إنها نحيفة بوجه ضامر للغاية، تعمل بجهد فوق طاقتها، وتنجز كل شيء بنفسها، وتسر بحديقتها، وببقرتها مانيتشكا وبالعجل وبكل شيء في هذه الدنيا. نحن النساء لا نستطيع أن نحيا بدون معبود، ومعبودها: ليف نيقولايفتش. وكان معبودي فانتشكا، أما الآن... فحياتي فارغة. وفقدت ليف نيقولايفتش كمعبود. وبقي لدي تعلق كبير به، وسأكون في وضع صعب للغاية إذا ما حرمت من حضوره المتعاطف معي في كل لحظة، هذا وتبهجني رؤيته دائماً، أينما حل، ومهما فعل وجدّ في البحث عني في كل مكان. لكنه لا يستطيع منحي السعادة، السعادة الحقيقية.

يتكرر كل شيء يومياً: قراءة مسودات المطبعة والسباحة - صباحاً، وظهراً، ومساءً - الشيء ذاته يتكرر. قبيل الغداء عملت في تفصيل وخياطة

قميص قطني من أجل ليف نيقولايفتش. وفي المساء راجعت وكتبت عناوين الفصول الأخيرة. علماً أنني دعوت بعد الغداء للقيام بنزهة كلاً من ليف نيقولايفتش وتوركين والصبي الرسام، الذي حل ضيفاً عندنا. وتمتعنا بروعة الطبيعة. جاء سريوجا على دراجة من نيقولسكويه. بينما جاء سيميون إيفانتش في عربة لاصطحاب ماشا. الجو رائع: ثمة عواصف رعدية وأمطار قليلة ودفء وصحو، وكثافة ونضارة وخضرة.

استبد بي كرب خانق وأنا مهمومة النفس. وأخمد أية ذكريات بجهود روحية فظيعة. تطلعت منذ حين إلى صورة فانتشكا. إنني لا أجد السلوى، لا، لا أجدها. تلقيت برقية من ليوفا أعرب فيها عن قلقه بشأن العائلة. هل يحبنا؟ إذا كان يحبنا فلم يعذبنا بهذا الشكل؟ ما أكثر ما كابدت من عذاب بسببه في الآونة الأخيرة! تانيا صارت حلوة المحضر أيضاً. كان الرب في عونها وبودي أن أساعدها لكن هذا فوق سلطتي.

11 يونيو. الجميع مشرقو الوجوه ومتهللو الأسارير. استيقظت في وقت متأخر، لم أستطع النوم ليلاً. ذهبت للسباحة مع ساشا وMiss Welsh. قرأت مع ماريا فاسيليفنا مسودات المطبعة، وعملت مع البستاني في تشذيب أشجار التفاح، وفي التطعيم وتطهير أصص الزهور وغرس شتلات أشجار الشوح. غضبت على دونياشا بسبب فساد نخالة الدقيق التي جلبتها من موسكو من أجل ليف نيقولايفتش. ذهبت في المساء برفقة تانيا للسباحة. وتحدثنا عن الحب الجنسي. ويبدو أن هذا الأمر يقلقها وأنا أخاف كثيراً عليها. إنها ذات طبع حكيم، وحاشا الرب أن تتزوج شخصاً لا يحبها أو رجلاً كريهاً مثل سوخوتين. في المساء تجولنا في الممرات، وسريوجا والعجوز سيميون إيفانتش عندنا. كان الجميع في مزاج مرح ومارسوا الغناء واللعب والرقص. أنا جئت اليوم إلى بيتنا، سريوجا يعزف، وفجأت انبثقت في قلبي بصورة مؤلمة الرغبة في سماع تلك الموسيقى التي تجعلني في أروع حال وتمنحني قدراً كبيراً من السعادة. في المساء تصحيح المسودات، التقاط بعض الصور، رسائل والتحضيرات للسفر إلى تولا. الساعة 2 بعد منتصف الليل.

12 يونيو. ذهبت إلى تولا مع سريوجا والمربية. استلمت مع المربية فوائدها من صندوق التوفير، وسويت مع سريوجا القضايا النقدية لماشا، وأخذنا من أجل ميشا طلب تعييني وصية عليه. وبعد ذلك أجرينا المشتريات للجميع. الطقس حار وغبار وكآبة فظيعة! تذكرت زيارتي الأخيرة إلى تولا مع تانيا وساشا وسيرجي إيفانوفتش. ونزهتنا في القارب، وتناول طعام الغداء في محطة القطار، والعودة ليلاً في القطار، وظهور أندريوشا المفاجئ في تولا، والمزاج الرائق الخالي من الهموم. رجعت فوجدت الجميع في مرح، وجلست لقراءة المسودات. ثم ذهبت وحدي للسباحة. وعندما خرجت من زاكاز ذهلت لمرأى غروب الشمس. ساد المكان الصفاء والصحو والهدوء، والشمس المهيبة والغابة التي بدت قاتمة جداً. أي جمال وبهاء! وسبحت بحزن تحت الضباب الحليبي. مشيت وحيدة إلى البيت، كان الظلام قد ادلهم في المكان ولكنني لم أشعر بأي خوف البتة. وقفت دائماً كما أفعل لحظة عند رابية فانتشكا التي كان يجمع فيها الفطر الأبيض، حيث كنا نجلس للاستراحة، وتلوت صلاة «أبانا في السموات...». عندما أسير لوحدي لا أشعر بالوحدة، فروحي تبقى دائماً مع الذين أحببتهم في حياتي، ومن فارقني ولم يبق معي. وهذا الأمر لا ينتزع مني مهما حدث لي ومهما كانت قسوة الناس حيالي.

في المساء جاءت أولجا فريديريكس، ولديها مع سريوجا ذكريات عاطفية من الماضي، وكلاهما تعيسان! لا بد أن تانيا اختارت القدر الأفضل.

قلبت مع توركين الصور الفوتوغرافية القديمة، ومجدداً فاضت روحي حزناً على الماضي.

ليف نيقولايفتش مرح وسعيد. ليساعدني الرب في أن أصون طمأنينته، وأن لا يتحمل ضميري وزر أي شيء يمكن أن ألام عليه. كتبت رسالة إلى ليوفا. ثمة هفوات غير مقبولة في عناوين الطبعة الجديدة.

13 يونيو. لازمني السهاد، واستيقظت في وقت متأخر، وانطلقت لممارسة السباحة. وقابلت في الطريق أطفال الفلاحين، وكانوا يحملون إلى الموجيك العاملين في الحصاد طعام الغداء. كانوا جميعاً صغار السن

وبدوا لي ظريفين جداً جميعاً بعيونهم الحانية والفضولية والجادة! فتذكرت فانتشكا وسرت وأنا أذرف الدموع الغزيرة إلى منصة السباحة. قالت لي تانيا: «أنا كنت أفكر فيك الآن». فسألتها: «بم فكرت بالذات؟».

- «بفانتشكا. لئن استبد بي أنا الكرب الخانق لدى تذكره، وكيف كان يبكي، وقد لوى شفتيه، وليس أبداً عن غيظ أو نزوة عابرة، بل دوماً عن الألم، فكيف تكون حالك أنت؟». فقلت لها: «هل أنت تذكرتيه لدى رؤية الأطفال؟».

- «نعم». وانخرطت كلتانا في البكاء. إنني غالباً ما أجد في قلب تانيا صدى لما يراود قلبي وفكري. نحن لم نتفق مسبقاً، لكننا كابدنا في آن واحد بصدد أمر واحد وشعور واحد.

اختنقت ساشا بالقرب من منصة السباحة بدوني فانتشلتها تانيا وحملتها بجهد بالغ إلى المنصة. رجعت إلى البيت فوجدت ليف نيقولايفتش مرحاً ومنشرح الصدر فقد أنجز العمل الكتابي اليوم بصورة ممتازة. ثم كتبت طيلة أربع ساعات واستنسخت من أجل ليف نيقولايفتش مقالته حول الفن.

في المساء ذهبنا للسباحة مجدداً. وجاء ماكلاكوف. وبعد العشاء توجهنا بالعربات إلى مصنع الشركة البلجيكية بالقرب من سوداكوفو وشاهدنا الماكينات، وكيف جرى صب الحديد الزهر الملتهب. هذا شيق جداً، لكن من المحزن التطلع إلى جهنم هذا، حيث يشوى البشر ليلاً ونهاراً. هناك فرنسية حلوة المعشر، وكثير من البشر، حر شديد، أحجار وقطع حديد تحت الأقدام، أفلتت الخيول وبدأت ملاحقتها لربطها. ليف نيقولايفتش يعاملني بلطف وحنان، وهذه مسرتي الرئيسية. فهل سيواصل ذلك فترة طويلة؟ ليلة هادئة وباردة منعشة، السحر يعقب السحر، والذكريات حول الجولات في العربات في العام الماضي.

وقع في بيتنا حادث مكدر جداً: فقد وردت من موسكو نوتات بلا غلاف، والأمر المحزن بأكبر قدر، هو أنه جرى تمزيق الغلاف الذي يحمل توقيع سيرجي إيفانوفتش على رباعيته ورمي في القمامة. أنا كدت أنتحب.

قابل ليف نيقولايفتش لوعتي بلا ارتياح، بينما عملت جهدي لكي أتحلى بالصبر، لكنني امرأة ذات طبع جامح وحار، ولم أتعلم البتة السيطرة على نفسي. فكتبت إلى مسؤول الشركة رسالة غاضبة، وأنا لا أغفر لنفسي كثيراً.

14 يونيو. أعطيت منذ الصباح درساً مكثفاً لساشا. صححت موضوع الإنشاء الذي كتبته بعنوان «الحيوانات المنزلية».والترجمة من الإنجليزية ووجهت إليها الأسئلة في درس الجغرافيا «حول الصين»...إنها تدرس جيداً، وباهتمام، ولا أجد صعوبة في تعليمها. أنا أحب التعليم، وهذا العمل شيء مألوف لدي. ذهبت للسباحة مع تانيا وساشا وماريا فاسيليفنا. وأعقب ذلك الغداء وتصحيح مسودات المطبعة حتى حلول الليل. في المساء انطلقت إلى فورونكا مجدداً للسباحة مع ساشا ومس ويلش ومدموازيل أوبرت وماريا فاسيليفنا. بينما ذهبت تانيا وكوليا وماشا وميشا إلى بيروجوفو على ظهر الجياد وفي عربة مكشوفة. سافر ماكلاكوف وتوركين إلى موسكو. في المساء احتسينا الشاي: ليف نيقولايفتش وسريوجا وأنا. أشعر بالوحدة دائماً. التواصل مع ليف نيقولايفتش قليل. إنه يجلس في الصباح بمكتبه، ويكتب حتى حلول موعد الغداء، وحتى الساعة الثانية. وبعد الغداء ينطلق للنزهة في الدراجة أو على صهوة الجواد. وبعد ذلك يرقد للنوم. إنه ذهب إلى كوزلوفكا لتوديع فتى من كييف، أراد كما يبدو المبيت عندنا، لكن ليف نيقولايفتش ألمح له بقوة بأن هذا غير جائز. وعاد بعد العشاء وتناول العشاء لوحده. رقد للنوم مبكراً، بينما أجلس أنا حتى وقت متأخر من المساء.

حباً بالطبيعة وبالعمل المجهد، بالإضافة إلى ذلك أشعر بالسأم الشديد والتوحد. لكنني أسعى إلى أن أبدو مشرقة المزاج أمام الآخرين، كما أشعر بأنني مذنبة حيال ضميري والقدر الذي منحني مع هذا الكثير نسبياً.

15 يونيو. لم أنم الليل كله. وفي الصباح غفوت، وأيقظني سماع صوت نحيب. شاهدت في الحلم أنني كنت مع المربية أجمع ألعاب فانتشكا وأبكي. لا يستطيع المرء إخماد البلوى الشديدة والحب الشديد بأي وسيلة. وتأتي أيام لا يستطيع المرء الحياة فيها: أحياناً هناك وفرة كبيرة من الحياة، وتفيض عن الحاجة، وأحياناً يوجد منها بالقدر اللازم بالضبط من أجل السعادة، وأحياناً لا يوجد القدر الكافي منها، ولن تشدها – فالقماش يتمزق فجأة إذا ما شددته بقوة.

توجهت بعد أن نهضت لرؤية ليف نيقولايفتش. وكان يوزع ورق اللعب

(الباسيانس) وقال إنه يعمل بصورة ممتازة. ثم رنا نحوي مبتسماً وقال: «أنت تقولين إنني احدودبت، بينما أنا أسعى إلى أن أقف بقامة معتدلة»، - وصار نفسه يعدل قامته ويمددها.

تساقط المطر ليلاً، والآن الكون صاف والهواء عليل. بعد تناول القهوة عملت في تصحيح المسودات، سأنتهي منها عاجلاً. زارنا ب.أ. بولانجيه وشقيقته ليزا مع ابنتها. وفرحت بمقدمهم جميعاً. وبالرغم من الريح الشمالية الباردة ذهبنا للسباحة مرتين. وفي المساء دار الحديث مع بولانجيه عن ليف نيقولايفتش باعتباره مصلحاً عظيماً. وأنا وشقيقته لم نوافق على رفض الكنيسة وعلى الفكرة الواردة في المقالة الجديدة حول الفن بأن درجة تقييم العمل الفني تتوقف على درجة مصداقيته وتأثيره. والمسألة هي تأثيره في من... تمحي كل شيء. فالفلاح الموجيك يتأثر لدى سماع الأرمونيكا والأغنية، بينما يؤثر في سماع بتهوفن أو «أنشودة بلا كلمات» لمندلسون أو «روسلان ولودميلا» لستراخوف، وتتأثر مدام هلبيغ لدى سماع فاجنر، والبشكيري لدى سماع المزمار.

الجو بارد، رياح، غيوم.

16 يونيو. استيقظت في وقت متأخر. لم أر ليف نيقولايفتش حتى الغداء. عملت بهمة في تصحيح المسودات. في موعد الغداء عاد الجميع متعبين من بيروجوفو. جاءت الأخت ليزا ودار الحديث عن الدين. أسفت لإبداء رأيي حول الموضوع. يجب أن يصون المرء بقدسية موقفه في دخيلة نفسه من الرب مباشرة بالذات: يجب أن يؤخذ من الكنيسة ما جاء به الآباء المباركون والرب نفسه، والشيء الرئيس هو: يجب ألا تؤخذ الشكليات ولا قواعد الأخلاق أو القواعد الدينية - فهي شيء ثانوي، - بل يجب بالدرجة الأولى تربية الأحاسيس الداخلية لدينا بصرامة، والتي من شأنها أن تتحكم بأفعالنا، بغية أن نعرف دخائل نفوسنا بصورة أكيدة، ما هو خير وما هو شر. ذهبت إلى نهير فورونكا للسباحة مع ماريا فاسيليفنا، رفيقتي الوحيدة في المحادثة في هذا الصيف. فأنا في عزلة لوحدي تقريباً:علماً أنها فظة وكثيرة الصخب. وكان يمكن ألا أطيقها لولا طيبة روحها. في المساء - تصحيح المسودات مجدداً.

برد، الجو غائم، رياح.

17 يونيو. أرى في الحلم وكأنني راقدة في فراش مجهول. يدخل سيرجي إيفانوفتش فلا يراني ويسير إلى الأمام نحو الطاولة. توجد على الطاولة حزمة من الأوراق التي يبدو وكأنها قطعت من مفكرات ودفتر حسابات، إنها قصاصات صغيرة. يضع النظارات على أنفه ويطالع بسرعة هذه الوريقات. كنت أخشى أن يراني ولهذا بقيت راقدة بسكون في مكاني. وبعد أن كتب شيئاً ما في جميع قصاصات الورق هذه، صار يكدسها، ويرفع النظارات ويخفيها ثم يخرج. نهضت مسرعة من الفراش وأخذت هذه القصاصات وطفقت أقرأ ما فيها. إنها تتضمن وصفاً وافياً لوضعه النفسي: صراع، رغبات – طالعت هذا كله بسرعة – وفجأة طرق أحد ما الباب، فاستيقظت. وبهذا لم أقرأها كلها. لقد أحزنني جداً أني استيقظت، فقد أردت أن أغفو وأطالعها. لكن لم يتسن لي ذلك طبعاً.

قراءة المسودات مجدداً، السباحة في الماء البارد وفي الجو البارد، وعودتي وحيدة إلى البيت في الطريق ذاتها التي اعتدت عليها طوال 35 عاماً من حياتي الزوجية. بعد تناول الشاي ذهب الجميع للنزهة إلى كوزلوفكا: تانيا وساشا وفيتوتشكا وأ.أ.بيرس وتوركين ومس ويلش ومس أوبر. سرنا في صحبة جيدة، ودار الحديث مع توركين حول الفلسفة، وحدثني عن الفلسفة الإنجليزية الجديدة واتجاهاتها. فكرت في نزهات العام الماضي إلى كوزلوفكا أيضاً. ما أعظم الفرق! كيف جرت آنذاك في أجواء الحيوية والمرح والسعادة.

كما يكمن الفرق في أنه بدلاً من الموسيقى الجميلة والرائعة التي كان يعزفها سيرجي إيفانوفتش، يطرق ليف نيقولايفتش في هذه اللحظة مفاتيح البيانو بأصوات زائفة وصارخة، وهو ينتقيها من أجل مرافقة ميشا الذي يعزف على البالالايكا بمهارة جداً، لكنه يعزف تلك الأغاني الروسية غير المحبوبة لدي. وتطرح بصورة عفوية المقارنة: فهل يمكن أن تغدو في صالح الأخيرة؟ ويسرني شيء واحد هو أن ميشا في البيت، وتتوفر لديه ولو بهذا الشكل الفرصة لمعاشرة أبيه ولو نادراً. سأقرأ مجدداً مسودات المطبعة، ويمضي يوم آخر من حياتي.

أحوال ساشا ما زالت ليست على ما يرام. إنها فظة ومتوحشة وعنيدة

وعذبتني، بتوجيهها في كل لحظة الإهانة إلى جميع أفضل مشاعري الإنسانية. زار ليف نيقولايفتش مرتين قسطنطين الفلاح الموجيك الذي يعاني النزع الأخير على فراش الموت. وعندما تنزهنا كان قد كتب بنجاح ثم ركب الدراجة. إنه مرح ومتهلل الأسارير.

18 يونيو. يوم عيد ميلاد ساشا، 13 عاماً. أية ذكريات مؤلمة تتعلق بمولدها! أذكر أننا جلسنا جميعاً في المساء لتناول الشاي، وكان الزوجان كوزمينسكي ما زالا عندنا، وكانت عندنا المربية مدام Seuron وابنها Alcide (توفي المسكين لإصابته بالكوليرا) ودار بيننا الحديث حول الجياد. فخاطبت ليف نيقولايفتش قائلة إنه يفعل كل شيء دائماً بخسارة: فقد اشترى جياداً ممتازة لمزرعة تربية الخيول في سامارا وقادها كلها إلى الهلاك. ولم يحصل على النسل ولا على المال، بينما أنفق آلاف الروبلات. هذا ما حدث فعلاً، ولكن المسألة لا تكمن في هذا. كان يعنفني دائماً عندما أكون حاملاً، ويبدو أن مظهري لم يكن يروق له، وفي الفترة الأخيرة كان طوال الوقت يظهر انزعاجه مني. وفي هذه المرة أيضاً، كان يرد كلمة بكلمة، غضب غضباً شديداً، وجمع في كيس من الخيش بعض الحاجيات، وقال إنه سيترك البيت إلى الأبد، وربما سيسافر إلى أمريكا، وبالرغم من توسلاتي غادر البيت.

فبدأت عندي آلام المخاض. كنت أتعذب بينما هو غائب. جلست وحدي في الحديقة على مصطبة، واشتدت آلام المخاض أكثر فأكثر بينما هو غائب. جاء ابني ليوفا وAlcide وطلبا مني أن ألازم الفراش. وتملكني نوع من الذهول بسبب وطأة البلية. وجاءت القابلة وشقيقتي والفتيات الباكيات واقتدنني من ذراعيّ إلى غرفة النوم في الطابق العلوي. واشتدت آلام المخاض أكثر فأكثر. في نهاية المطاف عاد هو في الساعة الخامسة فجراً.

نزلت إليه في الطابق الأسفل فوجدته معتكر المزاج قاتم الوجه. وقلت له: «ليوفوتشكا، بدأت عندي آلام المخاض، وسألد الآن. لماذا أنت غاضب مني هكذا؟ إذا ما كنت مذنبة، فأرجو أن تسامحني، ولربما إنني لن أحيا بعد آلام المخاض هذه...». وصمت. وفجأة مرّت في ذهني فكرة فيما إذا كانت الغيرة أو شكوك ما وراء موقفه هذا؟ وقلت له: «الأمر سواء، سأموت أم أبقى

على قيد الحياة، يجب علي أن أقول لك إنني سأموت طاهرة أمامك روحاً وجسداً. ولم أحب أحداً غيرك...».

أجال عينيه ذاهلاً، وفجأة أدار بصره نحوي ولم يقل أية كلمة طيبة لي. ثم انصرف، وبعد ساعة ولدت ساشا.

وأعطيتها إلى المرضعة. فأنا لم أستطع آنذاك أن أرضع الطفلة عندما سلمني ليف نيقولايفتش على حين غرة كافة الملفات المتعلقة بإدارة الضيعة، ووجب علي أداء عملي كأم، وعملي كرجل أعمال.

ما أصعب تلك الفترة! وحدث لدي الانعطاف نحو المسيحية! نحو مسيحية عذاب الشهداء، طبعاً أنا اعتنقت المسيحية هذه وليس هو.

نهضت اليوم في وقت متأخر وذهبت للسباحة مع تانيا وماريا فاسيليفنا. برد قارس. درجة الحرارة الآن 5 فقط. أصابني الكسل ظهراً ولم أقرأ الكثير من المسودات ودارت في خاطري وسجلت الأفكار لتأليف رواية. في المساء ركبت العربة إلى أفسيانيكوفو لزيارة ماشا. كان اللقاء معها ساراً. وفي كوزلوفكا تجمهر حشد من الناس وهم يرددون الأغاني لدفع عربة قطار من أجل اتخاذها مسكناً مؤقتاً، عبر القضبان. وكان معنا بيرس وابنته وتوركين وساشا والمربيتان. بينما مضت تانيا وميشا على صهوة جوداين. في وقت لاحق تم تظهير الصور الفوتوغرافية لساشا وفيتوتشكا التي التقطتها ظهر اليوم.

سبح ليف نيقولايفتش صباحاً في البركة الوسطى، ثم عمل في الكتابة. وبعد الغداء مارس لعبة التنس مع الفتيات وميشا. ثم ركب الدراجة لوحده، وجاء فيما بعد وحيداً على صهوة الجواد للقائنا. وفيما انهمكت في تظهير الصور الفوتوغرافية تحدث هو مع بيرس وتوركين عن الفن: إن هذا الموضوع يشغل فكره كثيراً الآن. وأنا لا أتفق معه كلياً حول هذا.

ثم عزف بيرس مع تانيا، كانت تعزف على الماندولين، وعزف ألحاناً راقصة بينما رقص ميشا وثلاث بنات، وأنا رقصت مع ميشا الفالس بخفة لدرجة أثارت دهشتي نفسي. دقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

19 يونيو. بدأت منذ الصباح وقبل استبدال ملابسي بطبع الصور الفوتوغرافية لساشا مع فيتوتشكا. بعد ذلك ودعت فيتوتشكا وأبيها ثم جلست

لمتابعة تصحيح المسودات. ذهبت للسباحة مع ماريا فاسيليفنا، الماء بارد جداً. كانت درجة الحرارة في الساعة 9 يوم أمس 5 درجات فقط. بعد الغداء قرأت مرة أخرى المسودات. ذهبنا إلى كوزلوفكا لاستلام الرسائل. تبادلت الأحاديث طوال الوقت مع توركين معلم ميشا حول التربية، ونماذج وطباع البشر. في طريق العودة التقينا ليف نيقولايفتش الذي كان يودع شخصاً ما دخل السجن لنشره قصيدة حول كارثة خودينسكويه. ففارقه ليف نيقولايفتش مودعاً على الفور، وانضم إلينا في طريق العودة إلى البيت، مما سرني كثيراً جداً. ألمت بي وعكة، وارتفعت درجة حرارتي، وشعرت بألم في ساقيّ، وسبب هذا كله، كما يقال، يرتبط بالفترة النسائية الحرجة التي يهدني قبلها التعب هداً في غالب الأحيان. مرة أخرى تحطم شيء ما في قرارة نفسي.

جرى اليوم قطع الأشجار في جو غير مريح، وطلب فلاح من جرومونت في أسمال مني الصفح وسجد على الأرض. أردت أن أبكي وحزنت لذاك (أنا نفسي لم أعرف لمن) الذي جعلني في هذه الظروف خلافاً لإرادتي، أمارس إدارة شؤون الضيعة والمنطقة، أي حماية الغابة، ولغرض حمايتها يجب معاقبة مثل هؤلاء الفلاحين التعساء. أنا لم أحب أبداً، ولم أرغب ولم أحسن شؤون الإدارة. إن الإدارة هذه هي صراع من أجل البقاء مع الشعب، لكنني غير قادرة على ذلك البتة.

وقررت معاقبة الفلاحين الذين قطعوا الأشجار بالعمل لصالحنا، وعدم إبلاغ الشرطة، أما الأشجار المقطوعة من أجل البناء، فتعطى لهم.

كما وردت رسالة مزعجة من خوليفينسكايا التي نفيت إلى أستراخان لحيازتها كتباً ممنوعة أعطتها لنساخ في تولا لغرض المطالعة بطلب من تانيا. وخوليفينسكايا غاضبة ومتألمة وتطلب مساعدتي. لا أعرف ما يجب عمله، لكنني أود جداً أن أقدم التماساً للعفو عنها.

ليف نيقولايفتش يكتب بشكل محموم كتابه «حول الفن» ويشارف على الانتهاء منه، ولا يقوم بأي عمل آخر. في مساء اليوم قرأ لنا بصوت عال الكوميديا الفرنسية «Revue Blanche».

20 يونيو. بدأت منذ الصباح بقراءة مسودات المطبعة، وانشغلت بذلك

طوال اليوم بصورة مكثفة، ويا لفرحتي! فقد انتهيت من قراءتها كلها. لقد عملت فترة ستة أشهر في تصحيح المسودات، واليوم حلت النهاية. لكن هل هذا شيء طيب حقاً؟

ذهبت للسباحة مع تانيا وماريا فاسيليفنا. درجة حرارة الماء 12 ونصف، والليالي باردة. ليف نيقولايفتش ذهب في المساء إلى تولا لإرسال برقية لتشيرتكوف في إنجلترا. إن تشيرتكوف يعاني من القلق بصدد مشاعر ليف نيقولايفتش حياله. لكن ما أشد حب ليف نيقولايفتش له! في المساء عزفت «أناشيد بلا كلمات» لمندلسون وتذكرت لدى سماع الألحان كيف كان يعزفها سيرجي إيفانوفتش.

في وقت لاحق قرأت أيضاً الرسائل الواردة إليّ من ليوفا من السويد ومن ف.ف.ستاسوف. بعد ذلك لصقت الصور الفوتوغرافية وكتبت رسالة إلى ليوفا. بقينا لوحدنا، أنا وليف نيقولايفتش، وأعادني ذلك إلى ذكريات أعوام الشباب، حيث ساد الاطمئنان الروحي الكامل، وحتى اللامبالاة، لكن بلا إثم وبلا انفعالات وشهوات. أود أن أدفن كل هذا أعمق فأعمق في وجداني وأن أسد بقوة وبإحكام الفوهة التي يتدفق منها سيل بركان طبيعتي الجامحة إلى الخارج.

انهمكت تانيا في الاستنساخ، وعزفت على الماندولين والجيتار. قامت ساشا بتنظيف وترتيب غرفتها بإمعان، وطبخت المربى، وصنعت باقات زهور. ذهب ميشا إلى مكان ما ومعه 22 روبلاً، كما راح يغني بصوت عال ويطرق مفاتيح البيانو بألحان ما، وارتدى فستان ساشا ولم يدرس كثيراً.

21 يونيو. لم أنم، ونهضت من الفراش في وقت متأخر، وبدأت الدرس مع ساشا. فلاحظت شحوبها الشديد ولديها غثيان وصداع في الرأس. شيء مؤسف، لكن الدرس لم يتم. وتقيأت ثم رقدت في الفراش. يحدث أن تصاب بوجع في الرأس مثل أبيها. دعوت تانيا وماريا فاسيليفنا وذهبنا للسباحة في نهير فورونكا. قمت بقياس الفستان. وتناولنا الغداء. زارنا أفراد أسرة أوبولينسكي، ومارس الجميع لعبة التنس، lawn – tennis، بينما خرجت للتجول وحدي، وجلست فوق البرج، ثم تحدثت مع فانتشكا

وجمعت باقة زهور لوضعها أمام صورته البورتريه. رجعت إلى البيت، واستقبلني الجميع، لكنني رجعت إلى البيت لوحدي وجلست إلى آلة البيانو من أجل تحريك أصابعي. أريد أن أعزف مجدداً. جاء إيليوشا، أنا أرثي جداً له، فأحواله سيئة جداً، بالمناسبة لا يمكن أن أعطي النقود لأبنائي كيفما اتفق، من دون أن أدير أعمالهم. أنا لا أعرف أبداً لأي غرض أعطيها وما هي الحدود القصوى. وقد حاولت ألا أرفض إعطاء النقود، فرأيت بأنه لا توجد حدود قصوى لمطالبهم، بينما يتعين علي الآن دفع بدل إيجار البيت وتكاليف المعيشة، ولا يكفيني ما لدي من نقود. إن أصعب شيء في الحياة هو الأمور النقدية.

في المساء خرجت للنزهة في جرومونت، وكانت نزهة طيبة جداً، فكل شيء جميل، وتغمر روحي الطمأنينة.

إذا لا توجد في الحياة السعادة الكاملة والمجنونة، وإذا لم تكن الحياة مثل العيد دائماً، فإن توفر الطمأنينة التامة شيء طيب، وينبغي أن نشكر الرب لهذا.

أشعر بوعكة. لقد تحطم شيء ما في قرارة نفسي منذ أن جئت إلى هنا، وأنا أشعر بذلك لحد الآن. يراودني شعور غريب: يبدو كما لو أنني أنتظر ذريعة ما للانتحار. إنني أربي هذه الفكرة في دخيلة ذاتي منذ وقت بعيد، وتغدو ناضجة أكثر فأكثر. إنني أخافها للغاية، كما أخاف الإصابة بالجنون. لكنني أحبها، ولو يعيقني عن تنفيذها الإيمان في الخرافات ومجرد الشعور الديني. أنا أؤمن بأن هذه خطيئة، وأخشى أن روحي ستحرم بنتيجة الانتحار من التواصل مع الرب، وبالتالي مع الأرواح الملائكية، وبالتالي مع ابني فانتشكا. ها أنذا أسير اليوم وأفكر: سأكتب مئات الرسائل وأرسلها للجميع، إلى مختلف الأشخاص، وسأروي في هذه الرسائل لماذا انتحرت. إنني أكتب هذا الاعتراف، وهو مؤثر جداً، حتى أردت أن أبكي نفسي...والآن أخشى أن أصاب بالجنون. والآن أفكر بابتهاج كلما تداهمني مصيبة، أو توجه لي ملامات، أو تحدث منغصات أقول: سأذهب إلى نهير كوزلوفكا وأنتحر. ولتفعلوا ما ترغبون فيه. إنني لا أستطيع أكثر أن أكابد المعاناة، لا أستطيع، لا أستطيع، لا أستطيع. فأما العيش بلا معاناة، وإما الموت، بل حتى إن الأفضل من كل شيء هو الموت. سامحني يا رب!

سأكتب الآن قائمة الغداء: حساء ربيعي (Printanière) آه! يا للسأم! 35 عاماً، وفي كل يوم حساء ربيعي...أنا لا أستطيع الكتابة أكثر: الحساء الربيعي وهلم جرا، بينما أريد أن أستمع إلى أصعب مقطوعة فوغا أو سيمفونية، أريد في كل يوم سماع أعقد الموسيقى وأكثرها انسجاماً، بغية أن يشمل روحي التوتر من الانتباه والجهد للإدراك: ماذا يريد المؤلف أن يعبر بلغة الموسيقى الغامضة والمعقدة هذه، وبمَ كان يكابد في أعماق روحه حين لحن هذا العمل الموسيقي.

عزف ميشا وإيليا على الجيتار والبيانو بعض الألحان ورددا بصخب الأغاني الروسية... كيف يمكن التعبير بالكلام أو بالحاجات البسيطة: أريد أن آكل، أريد أن أقبل، أو يمكن التعبير عن أكثر الأفكار الفلسفية تعقيداً: ما هو موقفي من الخلود. هل توجد صلة بين روحي ومنبع الخلود – الرب، وما هي هذه الصلة... – وكذلك حال الموسيقى. لحن بسيط، أغنية – إنها كلمات بسيطة، ويفهمها إيليا وميشا والفلاح الموجيك والطفل. إن الموسيقى المعقدة، السيمفونية، السوناتا – إنها كلام فلسفي، لا يدرك كنهه سوى الإنسان المتطور الرقيق الإحساس. إنني كنت سأدفع ثمناً غالياً من أجل أن أستمع بدلاً من هذه الطقطقة إلى تلك الأصوات الجميلة التي سمعتها في الصيف الماضي. نعم كان ذلك عيد الحياة. شكراً للقدر ولتلك الذكريات.

22 يونيو. نهار صيفي رائق ورائع. في الصباح عزفت على البيانو مقطوعات موسيقية متباينة. ثم سبحت. تغدى عندنا إيليا وكوليا لوبوخين. ثم عزفت مرة أخرى خلال ساعة. وبعد الشاي خرجنا نحن النساء فقط للنزهة. دمدمت ساشا مغتاظة لأنني استدعيتها من لعبة التنس التي كانت تشاهدها فحسب، لكي تذهب للنزهة معي.

انضمت إلينا تانيا، وقد سررت بذلك جداً. وقالت: «إنني أميل إليكم أكثر فأكثر، وفي نهاية المطاف سأنجذب إليكم بشكل يجعلني في الوضع البدائي فأبدأ بالامتصاص مجدداً». أنا أنجذب إليها أكثر فأكثر أيضاً. أنا لم أعط إيليا نقوداً، بينما ردد هو على مسامعي كلمات غير طيبة. وقال عبثاً إن منحني ليف نيقولايفتش الضيعة بالتمليك وليس مدى الحياة، وإنني سأحب النقود في

الشيخوخة وهلم جرا. يا ربي! وأندريوشا أيضاً يردد - هات النقود والنقود! شيء فظيع!

في المساء كتبت ست رسائل: إلى ستاسوف وخوليفينسكايا وأمدريوشا ومطبعة كوشنير ورايفسكيا والمتاجر.

23 يونيو. في نهاية المطاف احتضنتني الطبيعة بكل جمالها وروعتها، وأبعدت عني كل ما ضاقت به النفس، وما كابدت منه الروح، وأضاءت النور في حياتي. لقد كنت خلال فترة طويلة بليدة تجاهها ووقفت بلا مبالاة إزاء الربيع الحالي، وبقيت منغلقة على نفسي، والآن زال هذا كله، وما أطيب ذلك! يجري الحصاد في كل مكان، وتعبق رائحة التبن، والأيام صافية الجو، والهلال رفيع ساطع (اليوم انعكس في فورونكا)، والناس من مختلف الأنحاء، الدلاء معلقة بالمرجام[1] والأكواخ المبنية من الأغصان في الحقول (يبيت فيها الحاصدون)، والماشية متخمة، وأوراق الأشجار قاتمة وناضجة وثرة جداً في هذا العام.

في الصباح عزفت خلال ساعة التمارين الموسيقية، ثم ذهبت للسباحة. وبعد الغداء استنسخت من الساعة 3 إلى 7 مقالة «حول الفن» من أجل ليف نيقولايفتش. كتبت كثيراً جداً. وبعد احتساء الشاي ذهبنا جميعاً للنزهة في غوريلايا بوليانا، وبعد ذلك أتينا إلى الجسر والطريق العام. أقيمت تحت الجسر على امتداد ضفة النهر منصة سباحة جديدة، فسبحنا برفقة ساشا، الماء بارد، لكنه طيب. أرجعنا إلى البيت في العربات، وقد التقانا ليف نيقولايفتش راكباً الدراجة، وبعد ذلك شكا من التعب. في أثناء الغداء تكلم ميشا بحدة مع الخادم إيفان، فوبخه أبوه، لكن ميشا واصل الكلام باللهجة ذاتها، فغضب ليف نيقولايفتش وحمل صحنه وذهب إلى غرفة مكتبه. ساد جو مقرف جداً. استلمت رسالة من أندريوشا، إنه يطلب النقود مجدداً، وأي نفع منه غير هذا. لا نجد سوى المصائب من الأبناء! تانيا فقط لا تجلب لي محنة، وأحصل منها على المسرات فقط، إلى حين من الزمن.

لدى عودتنا وجدنا ماريا ألكسندروفنا. إنها معجبة لحد التعصب بليف نيقولايفتش وتحيا بهذا فقط. إنها تنهل من هذه العبادة القوة التي تحيا

---

1 - المرجام: ما ترجم به الحجارة. (المترجم)

وتعمل وتكابد بها. وإلا فمن أين لها هذه القوى بجسدها الهزيل والنحيل وبمرضها؟ أية قوة تكمن في أي حب! إنه المحور الذي تستند عليه أية حياة.

في المساء وبعد العشاء قرأ ليف نيقولايفتش حول آخر أيام هيرتسن، بينما أكملت من أجل ليف نيقولايفتش استنساخ الفصل الأخير، وتحدثنا كثيراً أيضاً وتذكرنا لوحة الفنان ن.ن.جي وتجادلنا حول تصويره لمشهد صلب المسيح. أنا أكره هذه اللوحة، بينما أشاد بها ليف نيقولايفتش وماريا ألكسندروفنا. وقد بالغنا في الغلو في إصدار الأحكام، ولهذا سرعان ما توقف الحديث عن هذا الموضوع. تلقيت رسالة من ليوفا من السويد.

24 يونيو. هطل المطر منذ الصباح، ونهضت في وقت متأخر، وقد عانيت طوال الليل من ألم في ذراعي. أعطيت ساشا الدرس جيداً جداً، وأبدت نفسها الاهتمام به. والشيء الرئيس أنها ليست بحاجة إلى التعليم بل إلى التطوير، وهذا ما أسعى إليه. درسنا فترة ساعتين. وبعد ذلك جلست مع ماريا ألكسندروفنا شميدت، وانشغلت في خياطة فستاني – الأكمام. تحدثنا عن شؤوننا العائلية، إنها متعاطفة وطيبة جداً. ذهبت في العربات الصغيرة للسباحة مع ساشا وماريا فاسيلييفنا ومس ويلش وأوبر. كانت الخيول تتعثر، شيء لا يطاق. الماء بارد، وصاف، بعد المطر. ليف نيقولايفتش يركز جل اهتمامه على العمل، وجميع العالم غير موجود بالنسبة له. بينما بقيت الآن كحالي معه طوال حياتي وحيدة. إنه يحتاجني في الليل وليس في النهار، وهذا شيء محزن، وبلا إرادتي آسف على الرفيق والمحدث السابق. ذهب ليف نيقولايفتش على صهوة الجواد إلى أوفسيانينوكوفو، ومن ثم جلس طوال الوقت في الطابق الأسفل. وعندما دخلت عليه وجدته يرتب أوراق اللعب «باسيانس». عزفت حين لم يكن أحد في البيت سوناتين لبيتهوفن و«أنشودة بلا كلمات» لمندلسون. إنني أختتم العزف بها دائماً – ما مثل الصلاة، فأنا أحبها كثيراً. من وقت العشاء وحتى الآن انهمكت في استنساخ أعمال ليف نيقولايفتش واستنسخت الكثير منها. الآن الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وسأرقد للنوم.

وردت رسالة من سوخوتين، توفيت زوجته. أسفنا كثيراً أنا وليف نيقولايفتش لعلاقات ومراسلات تانيا مع سوخوتين.

25 يونيو. لم أستطع النوم الليل كله، كما لو غمر جسدي في بخار ساخن. أعاني جسدياً من وقت صعب. عزفت فترة ساعتين سوناتات موزارت وتمارين موسيقية مختلفة. استنسخت الكثير من أعمال ليف نيقولايفتش. لا تعجبني مقالاته، وهذا يحزنني كثيراً. ثمة حدة منفرة وحتى حاقدة في مقالاته. وأنا أشعر بأنه يهاجم عدواً خفياً في خياله (ليكن سيرجي إيفانوفتش الذي يشعر بالغيرة منه جداً)، وهدفه كله: القضاء على هذا العدو. ذهبت ماشية إلى نهير فورونكا للسباحة، وابتهجت للطبيعة الساكنة، وحتى لم أتحدث مع ماريا فاسيليفنا. مضى اليوم، مثل موسم الصيف كله، بوهن وضجر. جاءت ماشا مع كوليا، كما جاءت ناديا إيفانوفا... كل شيء كدر، وكدر... أطالع كتاباً فرنسياً مقرفاً، لقد وجدته بالصدفة، فأخذته وصعقت لمحتواه الشهواني. ويكفي عنوانه وحده ليكشف محتواه «Aphrodite». ما أشد فسق الفرنسيين. لكن لدى قراءة هذا الكتاب يمكن إعطاء تقييم صائب لجمال المرأة وجسدها.

إنها لسعادة كبرى أن تجهل المرأة حتى بلوغها الشيخوخة جمالها، وفتنتها، لاسيما الجسدية، مما يجعلها تحتفظ بطهارتها ونقاوتها الأخلاقية. ومثل هذه الكتب تعني الهلاك.

26 يونيو. حر، حصاد، صداع شديد في الرأس. ذهبت صباحاً للسباحة مع ناديا إيفانوفا وحدثتها عما يجول في خاطري، ففي أعماق نفس كل إنسان يوجد محرك لحياته. لدى الرجال: حب المجد، وكسب الثروة، ولدى القلة منهم حب الفن والعلم بشكله الخالص، وأهم شيء لدى المرأة هو الحب، وأحياناً التعصب. في دير شامودرين غرست راهبة شجرتين من حبتي برتقالة كان الأب أمفروسي قد أكلها ثم بصقهما. إنها تعبد هاتين الشجرتين وتحيا معهما. علماً أنها كانت قد تلقت العلم في معهد، وتنتمي إلى أسرة من النبلاء. كذلك م.أ. شميدت إنها تعبد ليف نيقولايفتش. وليف نيقولايفتش يحب بأكبر قدر المجد والشهرة، وهلم جرا.

بعد الغداء عزفت بمرافقة مس ويلش، وسأتقن عزف سوناتا بيتهوفن b mi majeur. يسرني جداً أن أعزف معها. سافرت تانيا وماشا إلى تولا. جاء سريوجا،

وغداً سأذهب مع ساشا إليه وإلى إيليا. قضيت المساء كله في استنساخ مقالات ليف نيقولايفتش. وكالعادة، لم أره تقريباً. فقد ذهب راكباً الدراجة إلى تولا، وأعطاها للإصلاح، ثم عاد في قسم من الطريق مشياً على الأقدام، وفي القسم الآخر في عربات العائدين من هناك. صحتي تتدهور أكثر فأكثر.

30 يونيو. رجعت مساء أمس من سريوجا وإيليا. وقد ذهبت إليهما مع ساشا. أردت أن أحتفل مع سريوجا بعيد ميلاده الـ 28 لكي لا يشعر بالوحدة في هذا اليوم بالذات. إنه مسكين جداً ويبعث على الشفقة لأن التعاسة جعلته رقيقا للغاية: فهو وديع وهادئ وحزين، ومتسامح ولطيف أكثر مع الآخرين. أما زوجته المخبولة التي هربت منه فهي بانتظار طفل منه ولقساوة قلبها لم تأسف ولو مرة واحدة على زوجها، الذي لم يرتكب أي ذنب بحقها. لقد تركت حياة إيليا وحياته انطباعاً لدي لا يبعث على البهجة، ها هم أربعة أبناء رائعون (وبالأخص ميشا فهو ظريف) فما هي المثل العليا التي يضعها أبوهم أمامهم؟ جياد، كلاب، وكيف أمسكوا بتلابيب كلاب الصيد؟ وهل ركبوا صهوة الجواد بارختني؟ ومن ثم شرب الفودكا في كل مناسبة وغير مناسبة مع كل من هب ودب من الصعاليك، ولا شيء أكثر من هذا. فإذا لم يتغير سيشب الأبناء سيئين. وصونيا، زوجته، لا تتحسس ذلك بشكل واضح، وأنا أشفق عليها. إنها تحاول بشتى السبل الخروج من هذا الوضع، وتعمل كثيراً، بينما هو لا يساعدها في أي أمر، لكنها لا تدبر الأمور لوحدها في الحياة وفي تربية الأطفال.

قمت بنزهة رائعة في نيقولسكويه عند سريوجا حيث تجولت في الطبيعة الساحرة، ولقيت الضيوف، وخضت في أحاديث مع سريوجا حول نظرية الموسيقى، وذكر لي شيئاً من معارفه وأعطاني بعض الكراريس الموسيقية والكتب المدرسية لمطالعتها. وسررت لتمضية اليوم مع فاريا ناجورنايا. قرأت في الطريق في القطار كتاباً فظيعاً بعنوان «Les Demi – Vierges Prèvost»، وشعرت بالخجل، وبنوع من الوهن، الجسدي تقريباً، الذي يتولد لدي لدى قراءة كتاب قذر تقريباً. ما أفظع فقدان الطهارة في الحب، وكيف يأتي الحب الرفيع نفسه إلى الشيء نفسه، أي الرغبة في التملك والتقرب. لكن في الكتاب الفرنسي لا يبعث على القرف انحطاط المرأة وترديها في

حمأة الرذيلة، بل شبه الفسق ذاك، أي كل شيء فيما عدا الخطوة الأخيرة ذاتها، وهذا أسوأ شيء.

عندما رجعت وجدت تانيا في كوزلوفكا. كانت في طريقها إلى أسرة أولسوفييف، وأنا سعيدة لكونها تترك ولو لفترة ما الوضع الصعب الذي أضحت فيه تحت تأثير سوخوتين، ودعها تفرج عن نفسها وترى الناس المحترمين...

لقيت ميشا في البيت يعاني من الزحار الشديد، ولم يساعده أي أحد بأي شيء: ماشا مشغولة بزوجها الشاب، وتانيا سافرت، أما الأب... إن أولادي بلا أب منذ وقت بعيد.

أما ليف نيقولايفتش نفسه فهو معتكر المزاج قاتم الوجه، وحزنت جداً لرؤيته المرة تلو المرة، كيف يقف بلا مبالاة حيالي وإزاء حياتي حينما أجلس في العائلة ولا أرى أحداً. وبغية أن يلاحظني ويقدرني حق التقدير يتعين أن ينبثق خطر فقدان حبي أو تقاسمه، ولو بأنقى وأكثر الأشكال براءة، لكن بشرط تقاسمه مع شخص آخر. كما لو أنني حين لا أرى أحداً، ربما أحطم في روحي التعلق بالآخرين أو تقويته نحوه.!

ولم أر في اليوم كله سوى المنغصات، كالحديث مع توركين. فنحن تحدثنا عن التربية وطباع الأطفال وعن رواية «Emile» لروسو. ثم تحدثنا عن الرحلات، فحدثني عن القرم. قمت بخياطة أشياء كثيرة، وكان اليوم مع هذا مترعاً بالفراغ. يهطل المطر منذ الصباح، ولا يوجد ما يبعث على البهجة.

2 يوليو. لم أدون شيئاً أمس. ليف نيقولايفتش يعاني من نوبات ألم في المعدة والأمعاء. وجلست واستنسخت مقالته ذاتها، وجاء ميشا فزعاً وقال: «بابا يصرخ ويتأوه من الألم». فجئت ووجدته يلوي جسده ويتأوه، بينما يترقرق العرق منه مدراراً، ووجب فوراً تغيير قميصه. وفور ذلك بدأت أتململ مع ماشا وميشا: لبخات من بذور الكتان والصودا والراوند. لم يجد ذلك نفعاً، وكانت جميع العقاقير التي يتناولها تبعث على التقيؤ والغثيان، ويعقب التقيؤ ألم شديد لا يطاق. ولم ينم طوال الليل، وتواصل الألم، وتملكني الخوف ليلاً على حياته. وشعرت كيف سأصبح فجأة وحيدة كلياً

من دونه، وبالرغم مما أكابده بسببه في أحيان كثيرة، إلا أنه يحبني جسدياً أكثر من الحب المعنوي، لكن إذا ما فقدت حضوره الدائم، فلن تكون لدي رغبة في الحياة. اليوم حين ربطت اللبخة له صار يمسد شعري بيده بحنان، وبعد أن انتهى من ذلك، يقبل يدي ويتابعني بنظراته، حين أنظف المكان أو أعد له شيئاً ما في الغرفة.

جاء اليوم الدكتور رودنيف وقرر أن ليف نيولايفتش قوي الجسم جداً، أما مرضه فهو التهاب غشاء المعدة الحاد، ولا يوجد أي خوف عليه. سيكون من الصعب إرغام ليف نيقولايفتش على التزام الحمية. وقد مرض بسبب تناول الخيار والفجل بالرغم من توسلاتي بألا يأكلهما الآن في زمن انتشار الوباء بالإضافة إلى آلام ما تحت الإبط. وميشا مريض أيضاً: إذ تتواصل لديه الإصابة بالزحار. لكنه هادئ جداً وذو سلوك صبياني وظريف بالرغم من مرضه. ذهبت للسباحة، الجو دافئ، ورطب، والليل مقمر ورائع – لكن الأقدار حكمت بأن أنشغل بوضع اللبخات ومصارعة السهاد والرغبة في التمتع بمسرات الطبيعة وهلم جرا، بدلاً من القيام بنزهات والتمتع بجمال الطبيعة وبالموسيقى، وبكل ما يجعل الحياة بهيجة. قرأت لليف نيقولايفتش بصوت عال قصة سخيفة في «نوفويه فريميا»، بينما أنهيت أنا مطالعة «Les Demi – Vierges Prèvost».

3 يوليو. تحسنت صحة ليف نيقولايفتش اليوم، وزال الألم، وعملت المعدة، واطمأن قلبي بعد زوال المحنة التي ولدها مرضه. لكنه بقي راقداً في الفراش طوال اليوم. زاره شاب، من أتباعه، وتحدث معه طويلاً. وهذا الشاب شأنه شأن جميع الأتباع وحيد الجانب وضيق الأفق جداً. لكنه طالع كثيراً، ويهتم بقضايا مجردة وبالحكمة البشرية. قرأ من منشورات «بوسريدنيك»: ايبيكتيتوس ومارك وأفريل وغيرهم.

انتقلت اليوم إلى غرفة ماشا من مخدعي حيث كنت أنام طوال 35 عاماً. لقد اشتدت رغبتي في التوحد والعزلة، لكن الجو هناك في المخدع كان حاراً جداً، وصرت أعاني من ضيق النفس باستمرار، بينما كنت أصلاً أتصبب عرقاً في اليوم كله. ذهبت في المساء لوحدي إلى فورونكا للسباحة، وجاء توركين لملاقاتي لاعتقاده بأنني سأخاف السير لوحدي. جلسنا جميعاً

في المساء في الشرفة، الجو حار، القمر ساحر بصورة غير عادية، ذهبت ماشا وكوليا إلى أوفسيانينكوفو.

في الصباح أعطيت درساً قصيراً لساشا. إنها أصبحت تتعلم بشكل أفضل. أنا أفزعتها بقولي إنني سأرسلها إلى المعهد. ميشا يدرس، ولطيف جداً، لكنه متوحش في سلوكه العام، وهذا يخيفني بصورة مزعجة فهو: يطفئ الشمعة بواسطة الغدارة، ويعتزم صنع شراب ناليفكا، ويطرق على مفاتيح البيانو الألحان بصوت عال، ويردد الأغاني بسخف وبصورة نشازٍ. ربما إنه ما زال فتياً وسيتعلم الكياسة والأدب وستغدو روحه رقيقة أكثر. وردت رسالة باردة قصيرة من سيرجي إيفانوفتش، سيزورنا في يوم الأحد. أنا لم أبلغ ليف نيقولايفتش بهذا بعد، وأخشى أن يتكدر. فهل سيغار مجدداً! وهذه الفرضية تعذبني، والشيء الرئيس أن ليف نيقولايفتش مريض، وأخاف أن يصيبه أذى. لو كان سيرجي إيفانوفتش يعرف لاندهش عندئذ! وأنا لا أستطيع التغلب على شعور المسرة فستكون هناك موسيقى ومحدث ظريف، ومرح ومستقيم. وقد لحن رومانسات من أجل تانيا ويبدو أنه يحبها كثيراً.

4 يوليو. صحة الجميع أفضل، لكن حدثت منغصات مجدداً. فقد تطرق ميشا في أثناء الغداء إلى موضوع زيارة سيرجي إيفانوفتش، فانتفض ليف نيقولايفتش بكامل كيانه وقال: «أنا لم أعرف ذلك». وبعد الغداء دار حديث ثقيل مجدداً، ووجهت الملامة لي بالكذب، والمطالبة باجتثاث مشاعر ما لدي حيال سيرجي إيفانوفتش أو قطع كل علاقة معه. قال هذا وغيره سخف. اجتثاث مشاعر ما إن وجدت، هذا خارج سلطة أي أحد. إن الأفعال وحدها تقع ضمن سلطتنا، ومن هذه الناحية لا يمكن توجيه أي لوم إلي. إن مطالبته بقطع أية علاقة مع رجل مستقيم ودمث الخلق وطيب، معناه إهانته بلا أي سبب، والتشنيع بالزوجة بلا أي سبب، ناهيك عن وجود ذنب.

عزفنا اليوم طوال أربع ساعات وتمتعنا بألحان موزارت. وفي وقت متأخر من المساء ذهبت للسباحة مع مس ويلش. زارنا بوميرامنتسيف. وجرى تعنيفه بشتى الكلام السيئ إنه تلميذ سيرجي إيفانوفتش.

حدثت عاصفة رعدية وهطل المطر.

5 *يوليو*. لم تخفف من انزعاج ليف نيقولايفتش بسبب زيارة سيرجي إيفانوفتش أية ملاطفات من جانبي، ولا رعايتي الحانية له، ولا صبري على جميع ملاماته الفظة والظالمة. إن هذه المسألة شخصية أمام الرب وضميري. جاء بوميرانتسيف ومورمتسيفا. أمضيت النهار كله بلا عمل، بل بالأحاديث. إن مورمتسيفا ذات طبع يتسم بالموهبة، ولهذا فإنها تتفهم الكثير إن لم يكن بعقلها فبإحساسها.

تحدث ليف نيقولايفتش عن الفن أمام بوميرانتسيف ومورمتسيفا وميشا، فأنكر فاجنر، والموسيقى الحديثة، وآخر أعمال بيتهوفن وهلم جرا. إذا ما كان الجدل وإثبات الرأي يرافقهما دوماً الانفعال الغاضب فإنني لا أستطيع الاستماع لهذا وأخرج.

6 *يوليو*. تحدثت في الصباح مع مورمتسيفا ثم ذهبنا للسباحة. الجو حار أكثر من أي وقت مضى، وأنا أحب ذلك. قفلنا راجعين وفي الطريق التقينا ليف نيقولايفتش ويوشا لدى توجههما للسباحة كما في العام الماضي. ولدى عودتهما دخلت على ليف نيقولايفتش. فوجدته مغتاظاً وعبوساً وغيوراً، ولم تنفع أية كلمات مبتسرة وطيبة في تخفيف حدة غضبه.

سافرت مورمتسيفا. إنها أمسكت وتشبثت بسيرجي إيفانوفتش بصورة بغيضة لدى الانطلاق بالعربات الصغيرة، ورأيت فيها سمة أخرى غير طيبة.

زارنا ميتيا دياكوف وذهب جميع الصبيان إلى حلقات الغناء. عادت تانيا ظريفة ومنشرحة الصدر. لم يتناول سيرجي إيفانوفتش شيئاً في أثناء العشاء، وقال إنه يعاني من الصداع. حمداً للرب ألا يكون قد لاحظ شيئاً!

10 *يوليو*. كابدت محنة عصيبة، عصيبة. إن ما كنت أخشاه للغاية بالنسبة إلى تانيا قد تحقق. إنها تعشق سوخوتين وتحدثت معه بشأن الزواج. وقد تطرقنا إلى ذلك بالصدفة وبصورة طبيعية. ويبدو أنها أرادت بل وجب عليها التحدث حول هذا الموضوع. إنها تهلك وتبحث عن الخلاص. كما أنها تحدثت حول الأمر مع ليف نيقولايفتش أيضاً. وعندما أبلغته بذلك في أول مرة ذهل، علماً أن هذا قد كدره وقهره بصورة ما، وحتى لم يقهره بل أصابه

بالقنوط. وبكت تانيا كثيراً في هذه الأيام، لكنها تدرك كما أعتقد بأن ذلك سيجلب لها التعاسة، ولهذا كتبت له معلنة رفضها.

تحسنت علاقاتي مجدداً مع ليف نيقولايفتش.

13 يوليو.اليوم غادر سيرجي إيفانوفتش. مضت هذه الأيام بسلام وبصورة طيبة. عزف سيرجي إيفانوفتش عدة مرات. عزف في المرة الأولى يوم 10، وكان ليف نيقولايفتش قد ذهب إلى تانيا للحديث عن سوخوتين، فرجوت سيرجي إيفاونوفتش أن يعزف سوناتا موزارت. كنا لوحدنا في الصالة، وساد الهدوء والمزاج الرائق. فعزف اثنتين، وبأداء رائع! ثم عزف Andante ممتازة من سيمفونيته، أنا سمعتها سابقاً في موسكو وأحبها كثيراً.

وفي المساء عندما اجتمع الجميع لشرب الشاي عزف سوناتا شوبان. لا يعزفها أي أحد في العالم مثله. إنه يجسد النبل والاستقامة والاعتدال. وأحياناً السعي إلى أمر ما، كما لو أنه، لدى النسيان، ينقاد إلى شيء ما وعندئذ يبهر السامع. في اليوم التالي، 11 يوليو، عزف مجدداً: مقطوعة روندو لبيتهوفن، ومنوعات موزارت «Ah!: Vous dirai – je,maman»[1]، ثم عزف شوبرت، أغنية مرجريتا من «فاوست»، وبالادا شوبان، وبولونيز شوبان.

بات واضحاً أنه كان يختار ما يحبه ليف نيقولايفتش، ولكن عزفه مزق فؤادي. وحينما شارف على الانتهاء من عزف بولونيز شوبان أخذت العبرات تتساقط من عيني سيلاً غزيرة، وانخرطت في بكاء منتحب أصم صادر من الأعماق. وكرر يوم أمس، 12 يوليو، عزف شوبان...

اليوم تغير الصيف. قضيت أسبوعاً طيباً جداً مع سيرجي إيفانوفتش. فزرنا مرتين مصنع الشركة البلجيكية، وقمنا بجولة حول غوريلايا بوليانا، وسبحنا بالقرب من الطريق العام تحت الجسر. كما ذهبنا إلى المناجم، ونزهة رائعة في زاسيكا. وتنزهنا يوم أمس في كوتشاك، وزرنا بستان الليمون وقمنا بجولة التفافية جيدة. كما كنا نذهب يومياً في مجموعة كاملة للسباحة معاً. قمت اليوم وأمس بالتقاط صور فوتوغرافية للجميع، وفعل الشيء ذاته ن.ف. توركين. وكانت جميع صوري تقريباً جيدة.

1 – آه، سأقول لك، يا ماما (بالفرنسية). (المترجم)

وصورت سيرجي إيفانوفتش مرات عديدة، لكن ليف نيقولايفتش لم يغضب هذه المرة. فقد أصبح على حين غرة هادئاً وطيباً، وتجول أمس على صهوة الجواد والدراجة ولم يغضب مني. ولأي سبب يغضب! أي سوء في تعلقي الودي بهذا الصديق النقي والطيب والموهوب؟ لكن ويا للأسف إن غيرة ليف نيقولايفتش قد أفسدت العلاقات بيننا. استنسخت قليلاً من أعمال ليف نيقولايفتش، وظهرت الصور الفوتوغرافية، ولم أجتمع كثيراً مع ماريا ألكسندروفنا، وهو ما آسف عليه. الساعة الثانية بعد منتصف الليل، لا أرى جيداً بعيني اليمنى. إنني لا أخشى الموت - فأنا أرحب به - بل أخشى العجز في الشيخوخة.

كرس بوميرانتسيف رومانسياته (الموسيقى الشاعرية الغنائية) من أجلي. وجلب لي تانييف ثنائياته. سأعزف الموسيقى مجدداً.

الجو يتغير. كان القيظ شديداً في هذا الأسبوع، بينما اليوم الجو دافئ، وبحلول المساء هطل المطر واشتدت الرياح.

أي أسبوع دافئ وصاح وبهيج كان هذا الأسبوع لولا محنة تانيا.

14 يوليو. عملت منذ الصباح وطوال اليوم في تظهير الصور الفوتوغرافية، وعملت من أجل جميع من طلب مني ذلك. ها هي صورتي البورتريه المقصوصة من مجموعة غير موفقة مع تانيا[1]. ويقال إنني أبدو أكثر شباباً في هذا البورتريه بسبب وجود ألوان ساطعة في وجهي. ذهبنا مشياً على الأقدام إلى السباحة، الرياح شمالية، والسماء صافية. في المساء تعبت. دعاني ليف نيقولايفتش إلى النزهة وقد سررت جداً لذلك. بدأ ميشا فجأة يحدثني بصراحة وبحماس عما يكابد بسبب الإثارة الجنسية، وحين يشعر بأنه مريض، وتمنى أن يبقى طاهراً ويخشى ألا يستطيع الصمود. يا فتياني المساكين! لا يوجد لديهم أب وكيف بوسعي أن أنصحهم في مثل هذه الأمور؟ أنا لا أعرف شيئاً من هذا المجال في حياة الرجال. كانت تانيا في تولا. ليف نيقولايفتش روى كيف انضم في تولا إلى نادي هواة ركوب الدراجات، وتركزت كافة أحاديثه على المسابقات وعلى كل ما

1 - كتبت صوفيا أندريفنا تحت الصورة الفوتوغرافية الملصقة في النص «عمري هنا 53 عاماً».

يتعلق بركوب الدراجات. فهذا صار يثير اهتمامه أيضاً! أشعر بوهن، وكتبت رسالة إلى ليوفا، رداً على شتى شكاويه المتعلقة بالأعمال، ودفعت الأجور، وسجلت الحسابات واستنسخت قليلاً من مقالة ليف نيقولايفتش «حول الفن». دبت فيّ الحيوية وأصبحت جذوة من نشاط. واصلت الاستنساخ من أجل ليف نيقولايفتش حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.

15 يوليو. نهضت من الفراش في وقت متأخر، عملت نسخاً من الصور الفوتوغرافية، ثم ذهبت إلى السباحة برفقة ساشا والمربيات. ثم عملت نسخاً من الصور مجدداً، وأعطيت درساً لساشا، وكان الدرس جيداً جداً اليوم، وأعطيتها مادة إنشاء حول الغابة، وقرأنا مقاطع مختلفة من أعمال تورجينيف وغيره من الكتاب التي يرد فيها وصف الغابة. وقد أشرت لها إلى جمال تفاصيل الوصف، التي استوحاها الكاتب من انطباعاته مباشرة ولم يبتدعها. بدا لي أن ساشا فهمت كل شيء. صححت ترجمتها لقصة من الإنجليزية حول الفلاسفة القدماء وطرحت عليها أسئلة عن جغرافية أمريكا.

بعد احتساء الشاي ذهبنا جميعاً إلى أوفسيانيكوفو. يزورنا طالب سويدي، إنه فتى ظريف. عزيزي نيقولاي فاسيليفتش توركين لقد صورت مختلف المشاهد مع الخراف وفي المحطة ولدى التوقف مع خيولنا. حسناً لو أنها كانت ناجحة. جلسنا عند ماشا، ورجعنا بالعربات الصغيرة. كرة الشمس الحمراء الساطعة في الغسق، السماء زرقاء صافية، الجو منعش والمشهد جميل. عاد ليف نيقولايفتش والطالب السويدي ركوباً على صهوة جوادين. أدهشني ليف نيقولايفتش مساء اليوم حيث شرب ثمانية أقداح من الشاي، هذا بعد أن أكل قدراً كاملاً من عصيدة جريش الشوفان، وطبقاً كاملاً من سلطة الفينيغريت، وشرب الخشاف.

الآن الساعة الثانية بعد منتصف الليل. بينما أنا أواصل الاستنساخ. هذا العمل ممل وثقيل جداً، ربما لأن ما استنسخته اليوم سيشطب غداً وسيعيد ليف نيقولايفتش كتابته مجدداً. ما أكثر صبره وحبه للعمل، هذا شيء مذهل!

فكرت كثيراً في سرجي إيفانوفتش بعد حديثه مع ليف نيقولايفتش، وبعد أقوال الإعجاب حوله الصادرة عن الطالب السويدي الذي عرفه بموسكو.

ثمة خصلة فيه تجعل الآخرين يحبونه. أنا أفكر فيه بهدوء. هذا ما يحدث دائماً حين ألتقيه. لكنني أفتقده في حياتي دوماً، وبالأخص في الصيف.

أنا أتلهف لسماع الموسيقى، ولو بأن أعزفها بنفسي. لكن إما لا يتوفر لدي الوقت أو إن ليف نيقولايفتش يعمل، أو ينام، والجميع يزعجونه. إن السآمة المضنية تأخذ بخناقي حين لا تكون لدي مسراتي الشخصية التي تتجسد الآن في الموسيقى. إنني أسعى إلى إقناع نفسي بأن المسرة تكمن في أداء الواجب، وأرغم نفسي على استنساخ وعمل كل ما يمثل واجبي، لكن أحياناً تتحطم إرادتي، وأرغب في المسرات الشخصية، والحياة الشخصية، وعملي، وليس العمل من أجل الآخرين، كما كانت الحال طوالي حياتي، وعندئذ يدب فيّ الضعف وأشعر بالتعاسة.

16 يوليو. نهضت في وقت متأخر، يوم أمس استنسخت مجدداً النصوص حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل. وفي الصباح واصلت الاستنساخ مرة أخرى حتى موعد الغداء. وبعد الغداء ذهبت لمشاهدة كيف يتم تطعيم أشجار التفاح، وبعد ذلك تجولت مع البستاني في أماكن الغرس وأعطيت بعض الأوامر النافعة. جمعت الفطر من صنف سيرويجكا ورجعت إلى البيت فالتقيت الملاك قادماً من بستان التفاح، الذي يستأجره منا.وصرخت فيه بصورة بعثت في الخجل والألم لكونه لا يضع أعمدة الإسناد تحت أشجار التفاح، ولهذا انكسرت جذوع الكثير منها. وقررت تقديم شكوى لرئيس الزيمتسفو لكنني لم أقدمها. بعد ذلك انطلقت إلى السباحة. كنت طوال اليوم نشيطة ومنشرحة الصدر، وبغتة غمرتني موجة الكدر المؤلم لدرجة جعلتني أرتعب. يجب أن أحيا بخفة ونشاط وأمضي إلى الأمام، إلى الأمام، من دون الالتفات إلى الوراء، وبلا أسف وبقناعة راسخة بأن الرب يفعل كل شيء نحو الأفضل. كنت أمشي في الغابة في طريق عودتي إلى البيت وانا أصلي باستمرار وأتكل على إرادة الرب ونعمته.

في المساء لصقت الصور الفوتوغرافية وغداً سأوزعها ولن أشغل نفسي بعد هذا في التصوير الفوتوغرافي. لصقت اليوم 80 صورة.

سافر توركين معلم ميشا، للأسف، فقد كان إنساناً ومربياً ممتازاً. الجو

دافئ، صحو، صيف رائع! ليف نيقولايفتش جالس في مكتبه، ويكتب مقالته ورسائل ويطالع، كما يذهب بالدراجة للسباحة. لا يكترث بأي أحد وأي شيء.

17 يوليو. أنا أواصل الاستنساخ وطبع الصور الفوتوغرافية. اليوم وزعتها كلها وسأكف عن هذا العمل الآن. ذهبت للسباحة وبعد الغداء جاء جيراننا من أسرة شينشين، وقمنا بنزهة حول المشتل وإلى منصة السباحة. مساء رائع، رائق، صاف، وغروب الشمس الوردي الغامق، تانيا حزينة، وليوفتشكا الغريب زائغ البصر، والحزن في أعماق روحي. ذهب ميشا لتعميد ابنة الخادم إيفان. وساشا تصنع المربى من أجل ماشا، وكتبت نصاً في الإنشاء، إنها تقهقه طوال اليوم، وأصبحت ممتلئة وفاتنة وغليظة في التعامل مع الجميع. جاءت ماشا مع كوليا، ولعبا التنس.

زارتنا الحفيدة أنوتشكا مع معلمتها الروسية. غداً ستأتي صونيا مع ثلاثة صبيان، بينما سيأتي إيليا في يوم السبت. علماً أنهم سيأتون جميعاً من ضيعة إيليا لأنه جاء إلى بيتهم ضيوف من الجيران وقصفوا وأولموا هناك. أنا أحب وأثني على صونيا لكونها تسعى إلى أن تبعد عن إيليا والأسرة كل ما هو شائن وفاسق. أنا مسرورة بالأحفاد ولا سيما ميشا. حلمت اليوم بأن أبقى وحيدة لكي أكتب وأعزف وأطالع، وبغتة جاء ضيوف، كما جاءت أسرة إيليا، وسأنشغل طوال الوقت مع الأحفاد. استنسخت فصلاً طويلاً و50 صفحة ونيف وأنهيت العمل. إن هذا العمل شاق وممل. لكن، الأمر سواء لدي! سأمدد حياتي طويلاً حتى النهاية. ومسراتي قليلة، والآن صارت أقل فأقل.

18 يوليو. حل يوم 18 يوليو. لا أدري فيما إذا أريد أن يمضي الوقت أم يتوقف. لا أريد أي شيء. اليوم تجلس تانيا في المقعد في الصالة وتبكي بحرقة، وجئت مع ماريا ألكسندروفنا وأخذنا نبكي أيضاً. مسكينة! إنها تحب ببهجة، ولكن بجرأة كما يحب الشباب عن إيمان بالمستقبل، وبشعور، بأن كل شيء ممكن، وكل شيء سار، وكل شيء يمضي قدماً إلى الأمام! إنها أحبت بألم رجلاً كهلاً عمره 48 عاماً، بينما هي في عمر 33 عاماً، أحبت رجلاً ضعيفاً! أنا أعرف هذا الشعور المؤلم، حين لا تجد في الحب شيئاً مشرقاً،

ويومض عالم الرب، حين يكون ذلك شيئاً سيئاً، ولا يجوز، بينما لا تتوفر القوة لتغييره. ليساعدنا الرب!

جاءت الكنة صونيا مع جميع أحفادي. وقد سررت بهم كثيراً، ولكن وا أسفاه! إنهم لا يملؤون حياتي، لقد نضب جميع حبي نحو الأطفال حتى القاع. ولا أستطيع أكثر العيش من أجل هؤلاء. لقد ذهبوا جميعاً إلى أوفسيانينكوفا، ورقد ثلاثة صبيان للنوم عندنا، بينما عزفت تمارين موسيقية على البيانو. لكن جاء أوبولينسكي مع الكونت شيريميتيف الشاب وأعاقاني عن العزف. هناك دائماً من يعيقتي، وهذا شيء محزن وثقيل الوطأة.

اليوم نحن، أنا وليف نيقولايفتش، نعاني من أوجاع في المعدة، ولهذا ركبتنا الهموم فحسب جسدياً. قمت بأعمال كثيرة: كتبت رسالة إلى رئيس إدارة سامارا، وكتبت إعلاناً من أجل الصحف حول صدور الطبعة الجديدة من المؤلفات، وكتبت التماساً لرئيس الزيمتسفو حول تلف أشجار التفاح، وأرسلت الكتب إلى ليوفا، وأعددت الأوراق الرسمية للعمل، وأذونات السفر إلى موسكو، وأرسلت رداً إلى ليفينفيلد في برلين، ودونت ملفات العمل في تولا من أجل يوم غد وهكذا دواليك. وهذه كلها ضرورة لكنها مملة ومملة! كتب ليف نيقولايفتش في الصباح، وبعد ذلك استلقى طوال الوقت على الديوان وواصل المطالعة. وهو لا يسر لوجود الأحفاد، وكذلك الأبناء. إنه لا يلقي بالاً إلى أي شيء أو أي أحد. بينما يعلن كل فرد حواليه عن حقه في الحياة، والحركة، واهتمامه الشخصي بالحياة...

20 يوليو. يوم أمس لم أكتب شيئاً، وانشغلت مع الأحفاد، وفيما بعد انشغلت مع الصور الفوتوغرافية غير الناجحة حتى وقت متأخر في الليل. ولم أجد سبيلاً إلى النوم بقدر كاف. ساشا ألحقت نوعاً من الأذى بآنوتشكا، فعنفتها تانيا، وطفقت ساشا تنتحب بحرقة، ولم تذهب إلى الغداء. وتكدرت لأنها أفسدت مأدبة غداء مكرسة لعيد القديس شفيع إيليوشا، فصرخت بها وأمرتها أن تخرج. فخرجت وأجهشت بالبكاء طيلة فترة الغداء ولم تأكل شيئاً. وتذكرت كيف كان فانتشكا الرقيق الحاشية سيتألم لدى التطلع إلى

مصيبة ساشا وألمها، فما كان يطيق مصيبة أي أحد، وغلبني الحزن. لكنني رثيت قليلاً لساشا لأنها كانت قبل الغداء ترتدي ملابسها وتهزأ طوال الوقت بمربيتها بلا شفقة، وقد سمعت ذلك من الغرفة الثالثة.

عود على بدء ومرة أخرى ذهبت للسباحة، ثم استنسخت كثيراً. وشعرت حيال ليف نيقولايفتش بحنان هادئ، ففي لحظات المصاعب والمحن أرفق به، وأبحث عن الدعم والمواساة، بالرغم من أنني أعرف أنه نادراً ما يستجيب لي، وبقدر نادر أكثر يقدم لي المساعدة. يا إلهي، كم عانيت من القضايا الروحية والعائلية ووجب علي حلها بنفسي ولوحدي!

فمثلاً اليوم وردت برقية من أندريوشا جاء فيها: «بحق الرب أرسلي لي 300 روبل من النقود». ما العمل؟ بعد التشاور مع الجميع قررنا عدم إرسال النقود. واقترح إيليوشا أن يسافر إلى موسكو لمقابلة أندريوشا، في المعسكر، غداً. وأنا ممتنة له جداً.

ثمة خيبة أخرى: إن ن.ف. توركين معلم ميشا لن يستطيع مواصلة تقديم الدروس لميشا. لأن الزوجين سابانييف مريضان وسيبقى وحيداً لدى العائلة، ولدى مجلة «الطبيعة والصيد». فأية خيبة لميشا؟ وهذا يمكن أن يسيء إلى امتحانه للالتحاق بالصف السابع. إنه لن يفعل شيئاً لوحده، ومن سيكون معلمه القادم!

جربنا في المساء عزفاً ثنائياً ورومانسات تانييف، لكننا لم نفلح في ذلك. إنها صعبة ومعقدة ولا بد من التدرب على أدائها في البداية.

القيظ شديد، ودرجة الحرارة في الشمس 34 وفي الظل 30. إن عائلة إيليوشا تعجبني جداً، وأنا ممتنة للعزيزة صونيا، لمجيئها وجلبها الجميع. أية امرأة وأم وزوجة طيبة وحقيقية. وطبعها رقيق.

واصلت تانيا البكاء يوم أمس ولليوم الثالث، أما اليوم فيبدو أنها أصبحت أكثر هدوءاً.

عزفت أمس واليوم بمعدل ساعة. لكن ما أقل هذا العزف! لابأس بذلك من أجل النجاحات، لكن لا بد من شيء من أجل تهدئة الأعصاب والتسلية.

21 يوليو. شاهدت يوم أمس في الحلم فانتشكا، هزيلاً، راقداً، ومادّاً يده

الصغيرة الشاحبة. واليوم راودني في الحلم سيرجي إيفانوفتش راقداً أيضاً وماداً يديه نحوي بابتسام.

قالت لي ماشا إن إيليا أصابته الكآبة لأنهم في بيت أختي في كييف، ولدى عائلة فيلوسوفوف، وفي كل مكان لا يكفون عن الحديث حول تعلقي بسيرجي إيفانوفتش. شيء غريب كيف يتشكل رأي المجتمع! أن يحب الإنسان أحداً ما هو شيء سيئ. إن مثل هذه الأحاديث لا تكدرني ولا تربكني. بل أنا حتى مسرورة وفخورة بربط اسمي باسم مثل هذا الإنسان الرائع والمستقيم والطيب القلب والموهوب. وضميري هادئ، فأنا طاهرة أمام الرب، والزوج، والأبناء مثل طفل وليد، جسداً وروحاً، وحتى في النيات. أنا أعرف بأنني لم أحب ولا يمكن أن أحب أي أحد بقدر أكبر وأشد غير ليف نيقولايفتش. وعندما أراه بغتة في أي مكان بصورة غير متوقعة أشعر بالمسرة دائماً، وأحب كامل قيافته وعينيه وابتسامته وحديثه الذي لا يتضمن أبداً الجفوة (فيما عدا في حالة الغضب، لكن لننس هذا) ورغبته الدائمة في تطوير ذاته.

سافر ميشا وميتيا دياكوف إلى بولتافا إلى عائلة دانيليفسكي. بينما سافر إيليا إلى موسكو لزيارة أندريوشا، وسافرت ماشا وكوليا أبولينسكي إلى ذويه.

سبحنا، وقد حشدت مرة أخرى مجموعة انطلقت بالعربات الصغيرة إلى الماء. عملت النسخ لصور يوم أمس، واستنسخت نصوص ليف نيقولايفتش خلال ثلاث ساعات متوالية. عاصفة، رياح، الغبار يتصاعد، هزيم الرعد الآتي من بعيد، وإنذار بحدوث حريق في مكان ما بعيد. القيظ شديد، في الظل 28 درجة، وفي الشمس 43 درجة، وفي الغرف 20 ونصف درجة.

تانيا متوعكة، شاحبة، يا إلهي كم أرثي لها، وكم أحبها! بودي أن أمسك بها وأحتضنها وأحملها إلى مكان ما. آه، يا أبنائي الكبار سريوجا وتانيا، ما أكثر ما وهبناكما من حب ورعاية وأحلام، لكن الرب لم يشملكما برحمته، وكان قدركم نيل قليل من السعادة.

22 يوليو. مرة أخرى تدهورت صحة ليف نيقولايفتش. فقد داهمته في منتصف الليل نوبة هيضة خفيفة: استمر التقيؤ أربع ساعات بلا توقف. لم يشعر بآلام شديدة وفي الصباح توقفت. يوم أمس تناول كمية كبيرة من البطاطس

المشوية، وشرب الكفاس[1] رغم وجود ألم تحت الإبط، وشرب خلال ثلاث أيام مياه «إيمس» المعدنية وأكل الدراق. يثير العجب لدى ليف نيقولايفتش فقدانه للمعلومات الصحية وعدم ضبط النفس بالرغم من رجاحة عقله.

جاء سريوجا، وعزف عزفاً جيداً على البيانو. أنا أحيا مثل الأوتوماتون: أسير، وآكل، وأنام، وأسبح، وأستنسخ... حياتي لذاتي معدومة: أنا لا أطالع ولا أعزف ولا أفكر – هذه حياتي كلها. فهل هذه حياة؟

Hélas, la plus grande partie de notr vie n`est pas vie, mais durée[2].

لكنني أحيا – je dure [3].

قال سريوجا اليوم: «ماما تعود إلى فترة الطفولة، وسأهديها دمية، وكذلك... وليكن...طاقماً خزفياً». مضحك، قوله هذا، لكن عودتي إلى فترة الطفولة ليست مضحكة البتة، بل مأساوية جداً. فلم يكن لدي أبداً الوقت لممارسة أية لعبة بصورة مستقلة، ولم يتوفر لدي الوقت للعناية بنفسي. لقد وجب علي أن أكرس قواي ووقتي إلى ما تتطلبه عائلتي مني في تلك اللحظة، الزوج أو الأطفال. والآن زحفت الشيخوخة ووهبت عائلتي كل قواي العقلية والروحية والجسدية وأصبحت كما يقول سريوجا كالطفل. وعندما منحت كل قواي إلى العائلة ذهلت لكوني لم أتعلم كما يجب، ولم أتقن أية مهنة، ولم أعرف الناس بقدر كاف ولم أتعلم منهم شيئاً بقدر أكبر، لكن فات الأوان.

لقد تغير الطقس، رياح، السماء رمادية، كتبت رسالة إلى توركين، وأعدت استنساخ فصل كامل من «حول الفن» من أجل ليف نيقولايفتش. انصرم يوم آخر من الحياة. تحسنت صحة ليف نيقولايفتش بحلول المساء، وهو يجلس في الصالة ويلعب الشطرنج مع ابنه سريوجا.

23 يوليو. منذ الصباح أثارني مجيء إيليوشا مع أندريوشا وسوبوليف المعلم الجديد لميشا الذي سيحل محل توركين. أنا آسفة على ذهاب

1 – الكفاس: شراب روسي غير كحولي يصنع من تخمير خبز الجوادار مع إضافة عرق سوس له. (المترجم)

2 – إن الجزء الأكبر من حياتنا ما هو بحياة، بل بتزجية وقت الفراغ (بالفرنسية). (المترجم)

3 – أنا موجود (بالفرنسية). (المترجم)

توركين! فهو كيميائي حيوي ومتحرر ومتحمس، وقد تحدث مع ميشا كثيراً عن الجامعة والكيمياء.أندريوشا تورط مرة أخرى مع الغجر واستدان 300 روبل ويؤلمني كثيراً ويزعجني طراز حياته. لا بد أن يحدث له شيء في حياته. إن أحواله سيئة جداً والشيء الرئيس أنه يفرط في الشرب، وعندما يكون سكران يصبح طائشاً ولا يبالي بأي شيء. جاء إيليوشا إلى غرفتي اليوم وراح يلومني بأنني تغيرت، ولم أعد أهتم كثيراً بالأبناء، وصرت أبتعد عنهم. فبررت موقفي وأعدت إلى ذاكرته (بحضور تانيا وصونيا وأندريوشا أيضاً) كيف أنني قضيت حياتي في العمل الدائب في رعاية أبنائي، وفي الاستنساخ وخدمة أبيهم، كما ذكرته بالوقت العصيب حين ولد فانتشكا: فقد كان ليوفا يؤدي امتحان بلوغ سن الرشد، وبقي الصبيان بلا مربية، بينما رضعت الطفل الضعيف البنية بثديين مريضين، والربيع، والبحث عن معلمين، والتنضيد، والضعف بعد الولادة. بينما ذهب ليف نيقولايفتش إلى ياسنايا بوليانا مشياً على الأقدام وتركني، بالرغم من دموعي وتوسلاتي بأن يساعدني... وهكذا كم كابدت، وكم عملت بإجهاد، والليالي المسهدة، والدموع، وما ساورني من شكوك، وكم من ربيع أمضيته في المدينة، بغية عدم ترك أولادي الذين يؤدون الامتحانات، والآن بقيت الملامات والملامات فقط. كنت أصغي، وأبرر نفسي، ولم أطق صبراً، فذرفت الدموع.

مهما لامني الأبناء فإنني لن أغدو ما كنت عليه سابقاً أبداً. فكل شيء يصيبه البلى ويتهرأ، أمومتي وموقفي المشبوب العاطفة حيال أسرتي. أنا لا أستطيع ولا أريد أن أكابد أكثر، لدى رؤية ضعفهم وعيوبهم وحياتهم الفاشلة. أنا أرتاح إلى الغرباء، وأنا بحاجة إلى علاقات أكثر محتوى وطمأنينة مع الناس. إن جميع العلاقات العائلية صارت تحزّ في قلبي.

كما عاتبوني بسبب موقفي من سيرجي إيفانوفتش. فدعهم يوجهون العتاب! إن ما منحني إياه هذا الإنسان هو كنز غني ويفيض بهجة في حياتي. فقد فتح أمامي أبواب الموسيقى التي صرت بعد عزفه فقط أجد المسرة والتهدئة فيها. إنه أيقظني بموسيقاه إلى الحياة، التي انسلت مني كلياً بعد موت فانتشكا.

لقد منحني طمأنينة الروح بحضوره الرقيق والبهيج. والآن بعد أن التقيته

أصبحت فجأة أكثر اطمئناناً ومنبسطة الأسارير. دعهم يعتقدون ما يرغبون فيه، وبأنني عاشقة! كيف ينحدر الجميع عندنا إلى الابتذال! أنا امرأة عجوز، وتردد مثل هذه الكلمة والفكرة غير المعقولة.

خرجنا للنزهة بعد تناول الشاي مع ليف نيقولايفتش وسريوجا وتانيا وساشا والمربيات. كان ليف نيقولايفتش يتحدث مع سريوجا بلهجة بغيضة ومنفرة عن أهمية العلم. فابتعدت جانباً لأنني لا أطيق مثل هذه اللهجة التي تنطوي على خطر أن تتحول في أية لحظة إلى جدال عنيف وحتى مشاجرة. لكن سريوجا ضبط نفسه، وانتهى الأمر بسلام. فرجعنا لدى حلول الظلام، وصار الرجال يلعبون الشطرنج، بينما أنا طالعت قليلاً، وقضيت اليوم كله في الاستنساخ.

برد الجو، رياح شمالية، جفاف، وفي المساء صفا الجو. ومع ذلك ذهبنا للسباحة. لا توجد أية رغبة في اللعب، وضجر شديد في المعيشة. حلقت شعر رؤوس الأحفاد، وانشغلت بهم في المساء. إنهم ظرفاء جداً لكن لا يستحوذ علي الشعور بأنني الجدة. وجب عليّ أن أهبط مجدداً إلى الأرض، وأن أحب المشاغل الأرضية مع الأطفال، لكنني رحلت، ولم تعد حياة الأطفال تشغل بالي. كفى إياها!

24 يونيو. في الصباح درست مع ساشا، وصححت موضوع الإنشاء حول الغابة.

ثم سبحنا. وبعد الغداء استنسخت لليف نيقولايفتش والآن أستنسخ أيضاً وأنهيت فصلاً كاملاً. في المساء مارس الجميع لعبة التنس: إيليا، أندريوشا، ليف نيقولايفتش، فاكا فيلوسوفوف. بينما هرول الأحفاد ملوحين بالأسواط، وراقبت هذا اللعب مع تانيا وصونيا وانشغلنا مع الأحفاد الثلاثة: ميشا وأندريوشا وإيليوشا. أنا لا أحب الجلوس فترة طويلة، فأخذت المنشار والمقص وقطعت الأغصان الجافة وغير الصالحة في الممر. لكن المطر طردنا جميعاً إلى داخل البيت. كنت سابقاً أتمشى في الحديقة وأتطلع إلى عمل البستاني السيئ. في البيت تحدثت أولاً مع إيليا، ثم مع أندريوشا وفاكا. والشيء الرئيس أنني أكدت لهم على الضرر الشديد الذي يسببه السكر،

ونصحتهم كل النصح بترك شرب الخمر. إن جميع الأخطاء والأفعال السيئة لأبنائي ناجمة، في الأساس، عن تناول الخمر. كانت تانيا في تولا، وعادت منشرحة الصدر جداً. لقد رحلت، عزيزتنا تانيا، رحلت عنا وعن نفسها وعن الحياة السعيدة الهانئة وهي تنزلق نحو الهلاك. فهل ستبلغه؟ وهل ستعود في أي وقت. آه، كم أن هذا محزن، محزن!

سأذهب الآن لقراءة «رسائل حول الموسيقى» لأنطون روبنشتين. انفرد ليف نيقولايفتش مع سفيه ما اسمه يارتسيف. يبدو أنه يشعر بالسأم الشديد معه. وبعد ذلك أصابته وعكة، ألم في المعدة وضعف. ما زال راقداً في الطابق الأسفل، يطالع، قاتم السحنة، متجهم جداً. إن تانيا تجلب له الكدر البالغ.

25 يوليو. ما برح ليف نيقولايفتش غير معافى تماماً بسبب المعدة، ولهذا فهو عبوس، ولا يستطيع العمل، ومزاجه عكر، ولكنه حتى طلب مني العفو لأمر ما. قضيت النهار كله اليوم في عطالة. استنسخت نوتات رومانس سيرجي إيفانوفتش الذي ألفه بطلب من تانيا وبكلمات الشاعر فيت: «أية سعادة، في الليل ونحن وحدنا». قرأت «رسائل حول الموسيقى «لأنطون روبنشتين، وحلمت بالعزف، لكن لم يتسن لي ذلك. بعد احتساء الشاي، في المساء، وددت جداً الذهاب للنزهة بعيداً. ركبت تانيا وصونيا الزورق، وذهبت المربيات مع ساشا إلى كوزلوفكا. واختلى ليف نيقولايفتش مع زائر، طالب ما في الأكاديمية الدينية، بعثت به أنينكوفا. دعيت ليف نيقولايفتش إلى النزهة، لكن انتهى غروب الشمس الرائع، وبرد الجو. وبلغ ليف نيقولايفتش القرية وشعر بالبرد فعاد إلى البيت لوحده. بينما واصلت التمشي مع صونيا. لكن أية نزهات هذه!

إنها قصيرة وخالية من المعنى! وشكراً لصونيا الظريفة التي رافقتني، وتسرني صحبتها دائماً. اشتريت مع تانيا دنتلا روسية من إحدى العجائز. وبعد العشاء قرأ ليف نيقولايفتش لنا دراما فرنسية في مجلة «Revue Blanche» وهي سخيفة جداً. سترحل صونيا مع الأطفال غداً صباحاً، وقد أحزنني ذلك كثيراً. إنهم لم يجلبوا لنا أية متاعب، ومنحونا الكثير من المسرات والحيوية.

أنا جالسة اليوم في الشرفة لوحدي وأفكر بما يحيط بي: ياسنايا بوليانا

الجميلة، وحياتي الهادئة للغاية، ومدى إخلاص زوجي لي، - كما أنا مستقلة فيما يتعلق بالنقود - ، إذن فلماذا أنا لست سعيدة تماماً؟ هل يقع الذنب علي؟ أنا أعرف جميع أسباب آلام روحي. أنا أعرف، أولاً، بأنني حزينة لأن أبنائي ليسوا سعداء، مهما رغبت في ذلك، ولأنني وحيدة للغاية في جوهر الأمر. إن زوجي ليس صديقاً لي، وكان مع اقتراب الشيخوخة على الأخص عشيقاً متيماً. لكنني كنت وحيدة طوال عمري. إنه لا يتنزه معي لأنه يحب التأمل في مؤلفاته وحيداً. إنه لم يهتم بأمور أبنائي، فقد كان ذلك صعباً ومضجراً بالنسبة له. إنه لم يسافر معي إلى أي مكان، ولم تكن لدينا أية انطباعات سوية، فقد امتحن بها سابقاً وجاب شتى الأنحاء. وعشت طائعة وصامتة معه طوال الحياة الرتيبة والهادئة والخالية من المعنى والتافهة. والآن غالباً ما تنبثق بشكل مؤلم الحاجة إلى الانطباعات عن الفن والطبيعة الجديدة والتطور الذهني والرغبة في اكتساب معلومات ومعارف جديدة، والرغبة في التواصل مع الناس، ومجدداً ينبغي على أن أكبح هذه الرغبات وأواصل العيش بصمت وبخنوع من دون أية رغبة شخصية وبلا معنى. لكل إنسان قدره. وقدري أن أكون عنصر خدمة لزوجي الكاتب. وحسناً فعلت: فقد خدمت على أقل تقدير إنساناً جديراً بالتضحية من أجله.

زرت صبياً مريضاً، وضعت له لبخة على بطنه، وأعطيته الدواء، وقد أطاعني بكل رضى في كل شيء.

26 يوليو. في الصباح استنسخت النوتات الموسيقية. الجو بارد جداً، رياح، زارنا الإنجليزي مود وبولانجيه وزينوفييف وناديا فيريه. مود ضخم الجسم ويبعث على السأم، وزينوفييف أريب ويفيض حيوية، لكنه غير ظريف. بولانجيه ذكي وطيب، ومخلص جداً لليف نيقولايفتش وجميع عائلتنا. إنه مشغول جداً الآن بإصدار كتب دار نشر «بوسريدنيك».

دار الحديث عن الموت واختلاف موقف الناس من هذه المسألة. أنا أتخذ من هذه المسألة الموقف التالي: أنا أشعر منذ وقت بعيد بأن روحي خارج جسدي، بعد أن تجردت من كافة الاهتمامات الدنيوية. وقد منح هذا لـ «الأنا» الروحي مجالاً واسعاً لا حدود له - وبالتالي الرحابة اللامتناهية والخلود. زد على ذلك أن صلتي الراسخة بالسر الرباني ثابتة، لذا فإنني

أتحسس الطريق الذي أعود فيه إلى حيث بدأت. أنا لا أستطيع التعبير، لكنني أعتقد بأنه حين أموت سأنفض عني كل ما هو نافل، وكل العبء الثقيل، وسأغدو رقيقة وخفيفة الوزن، وسأحلق إلى مكان ما.

عزفت كثيراً في المساء. أعدت باهتمام وفضول قراءة مختلف المقاطع من سوناتات بيتهوفن وحفظت ارتجالات باخ. أطالع وسأنهي قراءة «رسائل حول الموسيقى» لأنطون روبنشتين. ما زال ليف نيقولايفتش غير معافى تماماً. طعامه النباتي وعدم إطعامه كما يجب. ذهب راكباً صهوة جواد إلى كوزلوفكا وتبادل أحاديث كثيرة مع الضيوف.

سافرت صونيا والأطفال في وقت مبكر صباحاً. بينما ذهب أندريوشا إلى بيبيكوف. تبدو تانيا أكثر هدوءاً.كم أصبحت هزيلة الجسم! ذهبت ساشا مع المربيات لجمع الجوز.أصبح الجو بارداً. كمية التفاح كبيرة في هذا الموسم. ما أجمل منظرها في محصول اليوم.

27 يوليو. ذهبنا صباحاً للسباحة. درجة حرارة الماء 14 والهواء 11.الجو بارد جداً.لم تتحسن صحة ليف نيقولايفتش، ومع ذلك ذهب على صهوة الجواد إلى ياسينكي. كما ركبنا أنا وتانيا جوادين وانطلقنا إلى أوفسانينكوفو. الغسق صاف وساطع، بينما خمد ضوء القمر بحلول المساء، والجو لطيف جداً. أنا أعيش الآن كالتالي: في اللحظة الراهنة كل شيء جيد، والحمد لله. وجدت ماريا ألكسندروفنا منهكة جداً ومحبطة جداً. إنها تعمل كثيراً. زارنا مرة أخرى زينوفييف ومود وبولانجيه. فتح بولانجيه معي حديثاً مطولاً حول أنني لو اتبعت نظرية ليف نيقولايفتش وتخليت عن جميع ممتلكاتي ولبدأت العمل، فإن الآخرين لن يجعلونا بلا عمل، ومعاناة شظف العيش، ولتدفقت من كل مكان النقود وكذلك المساعدات والمحبة لنا.

أية سذاجة! فنحن مع هذا نحيا ونكتب ونمرض، بينما لا يكتب إلينا أي أحد، باستثناء بناتنا، ولا يأتي أي أحد لرعاية المريض، ولا يقدم أية مساعدة.

عزفت قليلاً. تدربت على عزف ابتكارات باخ وراجعت مقدمة «أوبيرون»، وعزفت مقطوعاتي المحببة: «ميلوديا» لروبنشتين و«أنشودة بلا كلمات» لمندلسون «رومانس» لدافيدوف.

28 يوليو. أحيا برتابة وكسل، بالرغم من أن الحياة ممتلئة ظاهرياً. ذهبنا للسباحة، وزارنا جينزبورج وأ. رايفسكي، كما جاء في المساء تسينجر وألكسندر فاسيليفتش. جينزبورج يريد صنع تمثال لي بكامل قامتي بهيئة تمثال صغير. وقد أثنى على طول قامتي وهيئتي وقال إنني لم أتغير كلياً خلال ستة أعوام. لماذا يقول هذا كله؟ وما هو الأمر الحسن المشوب بالغرور في هذا التملق، إذا ما كان تملقاً! مارسنا جميعاً، ومعنا ليف نيقولايفتش، لعبة lawn – tennis، بينما عزفت على البيانو خلال ساعتين للترويح عن النفس. وبعد احتساء الشاي ذهبنا للتنزه إلى غوريلايا بوليانا وعبرنا النهير بمعونة العصي وبلغنا الدرب في زاسيكا. ثم جلسنا في المشتل الحكومي ورجعنا إلى البيت حين بزغ الهلال الرائع، المتألق والكامل تقريباً. وفي الغرب صبغ الغسق السماء الصافية بلون وردي ناعم مدهش جعل العيون تتنقل باستمرار من القمر إلى هذه السماء الوردية، وكان الاثنان رائعين. ويبدو أن الإنكليزي مود وجد من الواجب أن يرافقني ويتبادل الحديث معي. بينما كنت أود أن أمشي لوحدي صامتة وغارقة في التأمل...

في المساء عزفت السيمفونية الثامنة لموزارت مع سوبوليف معلم ميشا الجديد عزفاً ثنائياً بأربع أيد. كما بدأت عزف مقطوعة سيبتور لبيتهوفن ولكننا لم نكملها.

تلقيت رسالة من سيرجي إيفانوفتش. كنت أنتظرها طوال الوقت فقد بعثت إليه الصور الفوتوغرافية، وكان لا بد له وهو الرجل المهذب أن يشكرني.

تحدثت مع تانيا مجدداً عن سوخوتين، ومرة أخرى كابدت الألم من رؤية إلى أي مدى بعيد بلغت العلاقة بينهما. ليف نيقولايفتش معافى، لكنه غير منشرح الصدر. مارس لعبة التنس، والآن يلعب الشطرنج مع الإنكليزي مود.

يبعث على الحزن عدم مجيء ميشا إلى البيت. أندريوشا سيسافر الليلة مجدداً إلى الفوج.

تلقيت من ليوفا رسالة رقيقة. إنه يشتاق إلى روسيا وتساوره المخاوف بشأن زوجته فهي متكدرة لعدم وجود ذويها معها. لا يمكن تحقيق كل ما يريده المرء في الحياة!

29 يوليو. يوم ممل آخر! ماذا عملت؟ في الصباح عملت ساشا على مضض، ثم ذهبت للسباحة، وهذا يتطلب وقتاً كثيراً، لكنه يحفظ طراوة الجسد، وهذا حسن جداً. بعد الغداء كتبت رسالتين: إلى ليوفا وسيرجي إيفانوفتش. لقد أعدت كتابة الرسالة إليه مرتين، ومع ذلك لم تكن بالشكل المطلوب. غضبت تانيا مني اليوم لأنني كتبت لليوفا حول موضوع علاقتها مع سوخوتين. لكنني تكدرت آنذاك فكتبت لابني حوله. علماً أنها تتحدث نفسها حول الموضوع مع جميع المربيات. عند الظهر خطت قبعة من التريكو الأسود من أجل ليف نيقولايفتش. لم أعزف على البيانو ولهذا أشعر بالسأم.

كان عندنا طوال اليوم الإنكليزي مود، ومن ثم فليتشر رئيس تحرير «سيفرني فيستنيك»(إنه يرغب في تعاون ليف نيقولايفتش معه، ولهذا شعرت بالاستياء منه). خرجنا جميعاً للنزهة، لكن ليف نيقولايفتش سار معهما بعيداً عنا، نحن النساء، ولهذا لم أستمع إلى حديثهم. لكنني ما كنت سأسمع شيئاً جديداً أو شيقاً. لقد سئمت من هذه الحذلقة، وتحطيم كل شيء، والإنكار والبحث ليس عن الحقائق، فمن شأن هذا أن يكون حسناً، بل البحث عما لم يقله أحد إلى البشرية، بل عن الجديد، والمدهش وغير الاعتيادي، هذا أمر يبعث على السأم. حسناً أن يبحث الناس برغبة صادرة من أعماق القلب عن الحقيقة من أجل أنفسهم، فهذا أمر جدير بالتقدير وجميل دائماً، وليس من أجل إدهاش الآخرين، لا حاجة لهذا. فكل فرد يبحث عنها لنفسه.

يسود الصحو في هذه الأيام مجدداً، جفاف شديد، وليال مقمرة بديعة. أتمنى لو يمكن الاستفادة من جمال الطبيعة هذا. فإن الأيام تمضي برتابة...

30 يوليو. ما أجمل القمر الذي ينير في نافذتي الآن! كما كان يحدث في أيام شبابي حينما كنت أتطلع إلى القمر فيبدو لي أنني أتحدث في أعماق روحي مع شخص محبوب غائب عني، عارفة بأنه يتطلع أيضاً إلى القمر ذاته، فيجذبني ويجذبه وأنظاري بجماله، كما لو أنه تجري بواسطته محادثة غامضة.

عزفت اليوم حوالي أربع ساعات، ورفعتني الموسيقى فوراً من الأرض، وتحول في أعماقي ما كان كئيباً وهاماً إلى أقل كآبة وأخف وطأة. واليوم

كدرني أمران: وردت برقية من دانيليفسكايا أبلغتني فيها أن ميشا معافى ومنشرح الصدر، وسيأتي في يوم السبت فقط. لقد كدرني جداً هذا الانحلال وغياب الرقة والأدب والنزاهة لدى ميشا. المعلم موجود، وقد التمست من مدير المدرسة أن يسمح له بتأدية الامتحانات في الخريف، بينما يتجول ميشا الآن في بولتافا، وأنا أكابد الخجل أمام المعلم بسبب ميشا، وسأكابد الخجل أمام المدير. كلا، لا أستطيع أكثر تحمل كل عبء تربية الأبناء الضعفاء والسيئين! إنهم عذبوني. أنا بكيت الآن فحسب لدى تلقي البرقية. وأعرب عن القلق حتى ليف نيقولايفتش الذي يبدي اللامبالاة إزاء كل ما يتعلق بأبنائه. أرسلت برقية ثالثة إلى ميشا. لكن ضاعت فترة أسبوعين تقريباً!

والأمر المكدر الآخر يتعلق بساشا. فقد صارت تدرس بصورة سيئة جداً معي، وأنا أعطيتها درساً للحفظ مجدداً، فلم تحفظه مرة أخرى، ولذا لم أسمح لها بالذهاب على صهوة الجواد مع تانيا. أنا لا أحب معاقبة أحد، لكن نفد صبر جميع المربيات مع ساشا.

مضى اليوم بصورة عادية: سبحت، واستنسخت، وعزفت، بينما ذهب ليف نيقولايفتش على صهوة الجواد إلى مياسويدوفو لمعرفة أحوال المنكوبين بسبب الحرائق. زارنا النحات جينزبورج. الجو عندنا اليوم كما في أفريقيا والجفاف شديد. البومة تصرخ بصوت حاد ومزعج. بينما الليل رائع، وما أشد الهدوء!

31 يوليو. عود على بدء وكل شيء يتكرر: استنسخت الكثير جداً من نصوص ليف نيقولايفتش. وقد وجدتها شيقة في بعض الأماكن، بينما أنا لا أتفق معه البتة في بعض الأماكن ويتملكني الغضب بعجز، حيث إنني لا أستطيع مبادلته الحديث. إنه يغضب كل الغضب حينما لا يوافقه أحد في الرأي، ويجب أن يتوقف فوراً أي حديث معه. يتضمن كتابه «حول الفن» فكرة طيبة مفادها أن الفن كان يخدم قبل كل شيء الكنيسة والدين، ولهذا اتسم بالصدق، ولكن عندما ضاع الإيمان وعندما لم يعد الفن يعرف من يخدم، فإنه ضل السبيل.

لكنني أعتقد أن هذه الفكرة ليست جديدة. وأنا أذكر بأنني قلت حين

أروني كاتدرائية المخلص بأنها لا تعجبني، لأنه يبدو جلياً للعيان أنها كلها مصطنعة، وبضمن ذلك الشيء الرئيس: الأيقونات وجميع الصور تفتقر إلى الشعور الديني، ولهذا فإن الكاتدرائية معبد وثني، أما كاتدرائية رقاد السيدة العذراء فهي بالعكس، إذ يفوح منها كلها عبير الإيمان القديم والساذج لكنه الحقيقي، لذا فهي أفضل بكثير، وتمثل معبد الرب.

ذهبنا للسباحة، ثم عزفت التمارين الموسيقية خلال ساعة. في المساء ذهب ليف نيقولايفتش على صهوة الجواد إلى تولا لجلب البريد. ورافقته تانيا إلى ياسينكي على صهوة جواد أيضاً. زارنا جولدينفيزر، وعزف لي جميع الرومانسيات والمقدمات وكل ما يتوفر لدي من مؤلفات سيرجي إيفانوفتش التي استنسختها سابقاً. إن جولدينفيزر يعزف التقاسيم بصورة ممتازة. قام جينزبورج عند الظهر بعمل تمثال صغير لي. إنه لحد الآن قبيح جداً وخال من الذوق الرفيع ولا يشبهني. ماذا سيكون بعد؟ لم يأت ميشا، شيء مؤسف جداً. في المساء قمت بخياطة قميص لنفسي وأعدت خياطة طاقية ليف نيقولايفتش. ثم استنسخت وواصلت الاستنساخ. سأم وشعور باعتلال الصحة. في المساء مارس ليف نيقولايفتش لعبة الشطرنج مع جولدينفيزر. ليف نيقولايفتش معافى ومتهلل الأسارير، والحمد للرب! استلمت رسالة من ليوفا، سيعود في 12 أغسطس.

1 أغسطس. أعمل اليوم في استنساخ كتاب ليف نيقولايفتش «حول الفن»، ويكتب في كل مكان بغيض عن الدور الكبير الذي يمارسه الحب (الإثارة الجنسية) في جميع الأعمال الفنية. قالت لي ساشا في الصباح: «إن بابا اليوم منشرح الصدر لحد ما، ولهذا فالجميع مرحون!». لو عرفت أن بابا مرح دائماً بسبب ذاك الحب الذي ينكره.

الجو في هذه الأيام صاح وجاف جداً. ويسود في كل مكان الغبار والجائحة. ذهبنا للسباحة. وقفت أمام جينزبورج، كموديل لصنع التمثال. قمنا في المساء بنزهة في ضوء القمر.عزف جولدينفيزر سوناتا شوبان مع النشيد الجنائزي عزفاً رائعاً. أية ملحمة موسيقية رائعة تثير العواطف. وتتضمن سرداً كاملاً حول الموت. والرنين الجنائزي الرتيب، وأصوات الأنين الموحشة،

والذكريات الرقيقة الشاعرية حول المتوفى، وصرخات اليأس الفظيعة، هكذا يتابع السامع السرد القصصي. آمل أن يكون هذا حقيقي من وجهة نظر ليف نيقولايفتش. وعزف جولدينفيزر أيضاً مقدمات شوبان وسوناتا بيتهوفن – المقطوعة 90، ومتغايرات تشايكوفسكي. وقد ارتحت لهذا جداً!

جاء الزوجان أوبولينسكي. تانيا بدأت تتغنج أمام المعلم الجديد. ما أقوى عادة التغنج. مارس ليف نيقولايفتش اليوم خلال ثلاث ساعات لعبة lawn – tennis، ثم ذهب إلى كوزلوفكا على صهوة جواد، أراد ركوب الدراجة لكن أصابها عطل. كما كتب اليوم كثيراً، وعموماً يبدو فتياً ومنشرح الصدر ومعافى. يا لها من طبيعة قوية! قال لي يوم أمس بلهجة حزينة بأن الشيخوخة دبت إليّ في هذه الأيام. وهو يحتاج إلي، بالرغم من فارق السن بيننا البالغ 16 عاماً، وإلى هيئتي التي تتسم بالعافية وبروح الشباب (هذا ما يقوله الجميع). إنني لم أكن أعزف ولا أطالع ولا يتوفر لدي الوقت بسبب انشغالي بالعمل الكثير في استنساخ أعماله. في المساء أصابتني الكآبة مجدداً فخرجت للنزهة. أي عجز يتملكني أحياناً أمام التوق إلى تحقيق رغبة ما، أي عجز يعذبني! هذا ما يجب أن يشعر به الإنسان إذا ما احتجز، وحتى إذا ما دفن تحت التراب ولا يوجد لديه مخرج. هذا ما كنت أشعر به بعد موت فانتشكا. والآن غالباً ما أشعر بذلك خلال بعض اللحظات العابرة. ما أشد الألم وما أكثر ما يتمنى المرء الموت عندئذ!

2 أغسطس. في الصباح عاد ميشا من مالوروسيا[1] حيث استضافته عائلة دانيلفسكي. أردت أن أعنفه بسبب تأخره لكن لم تسعفني إرادتي: عاد سعيداً لما حصل عليه من مختلف الانطباعات في رحلته. ما أروع أن يكون المرء شاباً: طرافة الانطباعات عن الطبيعة، والناس، وبالأخص الطبيعة. ثم إنه شيء حسن أن أمتحن تجارب الحياة، ففي الفترة الأخيرة كانت تقلقه الإغراءات الجنسية التي تحيره.

اليوم ذهبت للسباحة مع ناديا إيفانوفا، وسبحت بعيداً. ومن ثم استنسخت فترة طويلة وطويلة، وقال لي ليف نيقولايفتش اليوم: «ما أحسن ما تستنسخين

---

1 – أوكرانيا حالياً. (المترجم)

وترتبين أوراقي». شكراً له على هذا أيضاً، فلا أنتظر منه الشكر عاجلاً مهما بذلت من جهد. وقفت مجدداً من أجل صنع تمثالي أمام جينزبورج. إنه لا يشبهني البتة، وخال من الذوق، ومشوه، وأنا آسفة لضياع وقتي. إن تمثال ليف نيقولايفتش لا يشبهه أيضاً وقبيح. ان جينزبزرج هذا نحات بلا موهبة. في المساء ذهبت برفقة ساشا إلى كوزلوفكا للقاء الحصان الذي جاءت على صهوته ماشا وكوليا. مسكينة ماشا في العيش مع هذا الكسلان! يا لها من سقيمة ومسكينة وهزيلة. إنها تتحمل جميع الهموم والمشاغل، بينما هو يلهو ويلعب ويعيش على حساب الغير ولا يفكر في أي شيء.

يستضيف ليف نيقولايفتش أحد الصناعيين. وبالرغم من أن ليف نيقولايفتش يؤكد بأنه رجل ذكي جداً، إلا أنه يشعر بالضجر كما يبدو ولا يعرف ما ينبغي فعله وكيف يتخلص منه. أنجزت قراءة أحاديث عن الموسيقى لأنطون روبنشتين وحدثت عزيزتي ساشا عنها.

في المساء روى سوبوليف، معلم ميشا، حديثاً شيقاً عن مناجم الذهب والبلاتين وغيرذلك في الأورال. الجو دافئ، هدوء، السماء مقمرة، ولو أنها تلبدت بالغيوم قليلاً. ليف نيقولايفتش متكدر اليوم: فقد أصاب الدراجة العطل، ولم يستطع ركوبها إلى منصة السباحة، فذهب إلى هناك على صهوة الجواد. وأثار دهشتي في الصباح حين لعب lawn – tennis فهو الذي يعتز كثيراً بألعابه، قد ولع بهذه اللعبة لحد ممارستها منذ الصباح. كم لديه من روح الشباب! أنا أستطيع الولع فقط بالموسيقى أو بالعمل في الحديقة: قطع وغرس وإزالة النباتات الضارة، وليس أكثر من هذا.

3 أغسطس. قلبت في الصباح رسائلي إلى ليف نيقولايفتش ورسائله إليّ. يجب استنساخها وتسليمها للحفظ في مكتبة رومیانتسيف بموسكو. لقد سلمت بعضها فعلاً. سبحت لوحدي. ثم وقفت كموديل مرة أخرى أمام النحات. وبعد الغداء عزفت. عزفت مختلف المقطوعات: شوبان، بيتهوفن، تشايكوفسكي. أجلس وحيدة في الطابق الأسفل، هدوء، الجو طيب. في المساء راجعت واستنسخت مقالة ليف نيقولايفتش حول الفن. أنا الآن في خدمته تماماً، وهو مطمئن وسعيد. إنه يبتلع حياتي كلها مرة أخرى. هل أنا سعيدة بذلك؟ وأسفاه!

لا، فأنا أفعل ما يجب فعله، وفي هذا يكمن جزء من السعادة، لكنني غالباً ما أعاني أيضاً من الكآبة العميقة لشوقي إلى الرغبات الأخرى.

4 أغسطس. اليوم كله في زحمة الزائرين. حالما استيقظت جاء لزيارة ليف نيقولايفتش رجل فرنسي يجوب أوروبا لأغراض جيولوجية. إنه مهذب، لكن حظه من التعليم قليل، هو من أصحاب الأطيان، ويقطن في ضيعته في بيرينيه. ثم جاء كاساتكين الرسام. أرانا الكثير من الصور الفوتوغرافية لمختلف اللوحات والرسوم، والتي جلبها من الخارج. وقد منحني ذلك متعة جمالية كبيرة. سبحت مرة أخرى لوحدي، ووقفت أمام النحات كموديل مرة أخرى.

وقف ليف نيقولايفتش أمام جينزبورج قليلاً من أجل نحت تمثاله الذي يقوم بصنعه، ويبدو فيه واقفاً. في المساء خرجنا للنزهة: الجو جاف، هدوء، السماء وردية عند الغسق، والآن طلع القمر. وجاء أيضاً لمدة نصف ساعة طبيبان من أوديسا في طريقهما لحضور مؤتمر الأطباء في موسكو. أحدهما شميدت، والآخر جولدينفيزر، طبيب عسكري. وكلاهما يبعثان على النفور. عزف جولدينفيزر قبيل النوم سوناتا بيتهوفن و«كرنفال» شومان. يشكو ليف نيقولايفتش من الضعف، والبرد، سبح وشرب الكثير من الشاي. عبثاً أن سبح.

5 أغسطس. تمضي الحياة بلا توقف، يوماً بعد يوم. ذهبت صباح اليوم إلى السباحة، أخذت معي ساشا وفيروتشكا في عربة. التقطت صوراً فوتوغرافية لقطيع من الماشية والصبيتين مع العربة والحصان. وتطلب هذا كثيراً من الوقت. بعد الغداء توقفت لمدة ساعتين أمام جينزبورج، الذي عمل بحماس كبير، ومع ذلك لا يبدو التمثال شبيهاً بي. وبعد الغداء التقط كاساتكين وسوبوليف وأنا صوراً فوتوغرافية لليف نيقولايفتش على صهوة جواد. لكن لم يفلح أي أحد منا في التقاط صورة لأن الحصان اضطرب ولم يمكن السيطرة عليه. وفي المساء خرج الجميع للنزهة، وذهب ليف نيقولايفتش على صهوة الحصان إلى مياسويدوفو لتقديم النقود إلى المنكوبين بالحريق. تجولنا في القرية وولجنا الأكواخ. وأصرت تانيا على زيارة بيوتر أوسيبوف ابن مرضعة ليف نيقولايفتش، وهو فلاح موجيك يطالع الكتب والصحف، ويحتقر سراة القوم والعلماء، لأنه

يعتبر نفسه أفضل من الجميع بعقله. إنه رجل غير ظريف البتة. رجعنا وقد ادلهمت العتمة، وقمنا بتظهير الصور الفوتوغرافية، وتناولنا طعام العشاء. تلقيت رسالة من أندريوشا وأخرى من جوريفتش التي تطلب إحدى مقالات ليف نيقولايفتش لنشرها في مجلتها. ما علاقتي بالأمر! فهو عمل كل شيء دائماً وفق رغباته وفي غالب الأحيان ضد إرادتي عن قصد. أنا لا أحب جوريفتش ولن أفعل أي شيء من أجلها. وفي هذه اللحظة تجده يقرأ هذه المقالة أمام كاساتكين وجينزبورج وسوبوليف وج ولدينفيزر. ولسانه ثقيل جداً لدى القراءة. الجو جاف، صحو، دفء. ماشا تعاني من وعكة، بينما يراود تانيا الحلم المفتعل المكرس لحياتها في أسرة سوخوتين، لكنها والحمد لله، هادئة وبشوشة.

كان الدرس مع ساشا اليوم جيداً جداً. وقمت بتصحيح موضوع الإنشاء لها «وصف حديقتنا». وسألتها مرة أخرى في موضوع الجغرافية وشرحت لها طويلاً أنواع الإدارات المختلفة.

6 أغسطس. تعبت للغاية، وقد استنسخت فصلاً كاملاً من كتاب ليف نيقولايفتش «حول الفن». كما أن جينزبورج عمل فترة طويلة في صنع تمثالي، فتعبت أيضاً. إن هذه الأعمال تنهك الروح كلها. التعب والجهد في أداء عمل غريب، ولو أنه شيق. بينما إن أي عمل من أجل ذاتي شخصياً يكون أكثر بهجة ويسراً. ذهبت للسباحة مع الأطفال: ساشا ولينكا وماشكا. إن التعامل مع الأطفال مهم بلا ريب في الدنيا، وما أكثر ما يتسم به من بهجة ومسرات. في المساء قدم جينزبورج عرض الترزي (مشهد هزلي صامت)، وأعقبت ذلك كلمة الإنجليزي وقراءة الألماني. ضحك الجميع، والبعض افتعل ذلك، وأنا لا أجيد الضحك ولا أفهم الهزل. وهذا عيب لدي. عزف جولدينفيزر عزفاً رائعاً كونشرتو الملحن جريج: وهي مقطوعة قوية ومتميزة جداً وأعجبتني كثيراً. وبعد ذلك عزف مقطوعتي نوكتيورن لشوبان ومقطوعة ما لشوبرت وفالس روبنشتين. يكتب كاساتكين مع تانيا مشهداً صغيراً. التقط سوبولين صوراً لنا مجدداً، وطبعت عدة نسخ من لقطاته النيجاتيف الجيدة. وأردت اليوم أن ألتقط صوراً فوتوغرافية أخرى، لكن لم يتوفر الوقت لانشغالي بالاستنساخ والوقوف أمام النحات.

ماشا وكوليا يقيمان عندنا. ماشا بائسة جداً، شاحبة الوجه، ونحيفة، وبودي مساعدتها، المسكينة. لا أريد كتابة شيء عن تانيا. كل شيء لديها فظيع. وميشا قلق جداً بصدد الإشاعات في ياسنايا: أحدهم يريد إقصاء آخر ووضع أحد أتباعه مكانه وهلم جرا. هذا يكدره، بينما هو شيء مألوف جداً عندنا! ينبغي فقط عدم الالتفات إلى ذلك.

ذهب ليف نيقولايفتش على صهوة جواد إلى ياسينكي ورافقه كوليا. وقد صُنع له أيضاً تمثال لا يشبهه أبداً. وفي المساء قرأ أمام الضيوف ثلاثة فصول من مقالته «حول الفن» وفي المساء، في وقت لاحق، لعب الشطرنج مع جولدينفيزر ومع ابنه سريوجا. ليف نيقولايفتش معافى ومنشرح الصدر.

8 أغسطس. مرضت ماشا، وورودنيف يعتقد أنها مصابة بالتيفوئيد. إنني تلقيت هذا النبأ بجزع وألم شديد في القلب. واختنقت بالنشيج وسحت عيناي بالدموع الساخنة، الدموع المألوفة والفظيعة بسبب القلق والجزع الجاهزة دوماً في مكان ما. لقد رأت ماشا في الحلم باستمرار فانتشكا، ولربما هو يدعوها إليه، لكي تتخلص من حياتها الزوجية الصعبة والتعيسة والمعقدة مع كوليا هذا الفاتر المزاج. لقد عاشت ماشا قبل الزواج حياة طيبة ونافعة ومتفانية، فماذا ينتظرها في المستقبل... الرب وحده يعرف. وأنا شخصياً أرثي لها، فقد أصبحت بائسة منذ أن غادرت العائلة. وتحضرني في الذاكرة بلا إرادتي وفاة ساشا فيلوسوفا، بعد إصابتها بالتيفوئيد أيضاً، فغمرني الرعب أكثر.

يبدو البيت كالمحموم من كثرة الضيوف. جاءت ماشا ونيقولاي ماكلاكوف، والشقيقتان ستاخوفتش، وناتاشا أوبولينسكايا وناتاشا كولوكولتسيفا. ثم جينزبورج وغولدينفيزر وكاساتكين. وجلس وراء المائدة أكثر من 20 شخصاً يسرني حضورهم متفرقين. وللأسف فقد اجتمعوا مرة واحدة. لا نزهات، ولا خلو مع الذات، لا عمل، ولا استنساخ، بل زحمة ما من البشر. وجرى مرة أخرى صنع تمثالي، ومرة أخرى طبعت الصور الفوتوغرافية، وسبحت، لكن لم أنجز أي عمل، وثمة شيء يذهب بلا رجعة، ثمة شيء فسد في الحياة وراح يدور في دوامة.

يوم أمس نسيت دفتر يومياتي على الطاولة: فقرأه ليف نيقولايفتش مرة أخرى وتكدر لأمر ما. ولماذا هو يتكدر؟ أنا لم أحب أحداً في العالم، كما أحببته، وخلال فترة طويلة.

وردت برقية من لومبروزو، العالم الأنثروبولوجي الذي جاء إلى موسكو لحضور مؤتمر الأطباء. إنه يود زيارتنا للقاء ليف نيقولايفتش.

جينزبورج يعمل في نحت تمثال ليف نيقولايفتش أيضاً، وفي أثناء ذلك يطالعان مقالة «حول الفن». شيء جيد أن يشار في مقالة ليف نيقولايفتش إلى أنه يعارض الاتجاه الجديد لنزعة الديكادنس[1] التشاؤمية. يجب إيقاف اتجاه الفن هذا الخالي من المعنى والمنحط. ومن سيفعل هذا إن لم يفعل هو ذلك.

11 أغسطس. لم أكتب شيئاً خلال ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث نقلت ماشا المريضة من أوفسيانيكوفا. إنها مصابة بالتيفوئيد ودرجة حرارتها 40 درجة وتستمر منذ عدة أيام. في البداية فزعنا جداً جميعاً، ولكن اعتدنا الآن على فكرة كونها مريضة. زارنا الدكتور رودنيف وقال إن الإصابة بالتيفوئيد خفيفة، لكنني أشفق عليها، فهي تتعذب وتعاني من آلام شديدة، ولا تنام تقريباً. يوم أمس جلست معها حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل واستنسخت مقالة ليف نيقولايفتش. واستنسخت كثيراً جداً منها، بينما شعرت ماشا بألم في بطنها. نهض ليف نيقولايفتش وأراد أن يعد بنفسه السماور من أجل عمل اللبخات، لكنه وجد الموقد ما زال ساخناً بقدر كاف ويمكن وضع المناديل في داخله لتدفئتها. ينتابني الضحك دوماً حين يحاول عمل شيء تطبيقي، إذ يقوم بذلك بصورة بدائية وساذجة وخرقاء. يوم أمس لطخ جميع المناديل بالسخام (بالسناج)، وأحرق لحيته بلهب الشمعة، وعندما رحت أطفئها بيدي احتدم غضباً مني.

في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل حلت تانيا محلي للجلوس إلى جانب ماشا. وفي الصباح وصل لومبروزو. شيخ صغير الحجم، ضعيف جداً ولا يكاد يقف على قدميه، شيخ هرم ويدل مظهره على أنه في حوالي 62 عاماً. يتحدث بلغة فرنسية ركيكة جداً، وبلكنة غير صحيحة وشديدة، فيما يتحدث بالألمانية بشكل أسوأ. إنه إيطالي، وعالم أصيل، أنثروبولوجي وعمل كثيراً

---

1 – اتجاه الانحطاط في الأدب والفن ساد في الفترة ما بين الرومانسية والمودرن. (المترجم)

في دراسة قضية الجريمة لدى البشر. وقد بادلته الحديث فلم أحصل منه على أمور شيقة كثيرة. يقول إن الجريمة تزداد في كل مكان باستثناء إنكلترا. كما أنه لا يصدق المعلومات الإحصائية الروسية، حيث لا توجد عندنا حرية الصحافة. وقال أيضاً إنه درس كل حياة المرأة ولم يستطع فهمها. وقال لدى الحديث عن النساء، وحسب تعبيره – la femme latine [1] – فإن الفرنسيات والإيطاليات لا يتمتعن بالقدرة على ممارسة أي عمل، وهدف حياتهن كله ينحصر في اقتناء الأزياء والرغبة في كسب الإعجاب. أما النساء la femme slave [2]، والروسيات ضمناً، فهن قادرات على ممارسة أي عمل كما أنهن أكثر تمسكاً بمبادئ الأخلاق. وقال بصدد التربية إنها عاجزة تقريباً عن الوقوف ضد الصفات الخلقية الموروثة بالولادة، – وقد وافقته على ذلك.

سافر جينزبورج اليوم. وقد أنجز صنع تمثالي وتمثال ليف نيقولايفتش. يوم أمس تم صنع النموذج الطيني لتمثال ليف نيقولايفتش، وجاءت ثلاث نساء تعلقن بفاسيا ماكلاكوف لكي يتيح لهن فرصة رؤية ليف نيقولايفتش. فتم اقتيادهن إليه. فسألهن: هل يرغبن في سؤاله عن شيء ما، فقلن إنهن يرغبن برؤيته فقط. فنظرن إليه وانصرفن. ثم جاء شاب ما للهدف ذاته، لكن تم إبلاغه بأن ليف نيقولايفتش غير موجود في البيت. ثم جلسنا لنشرب الشاي، وفجأة جاء شخص ما تسيل منه الدماء مع دراجة وسأل عن ليف نيقولايفتش. وتبين أنه معلم من مدرسة الجمنازيا في تولا وقد سقط من الدراجة وأصيب بجروح. فتم اقتياده إلى الجناح حيث غسلت جروحه وضمدت، وبعد ذلك تناول طعام العشاء معنا...

رحلت النتاشاتان أمس، ولن يبقى عندنا أحد الآن وغداً. أنا أرغب جداً بالانفراد بنفسي. ويوم أمس سافر ميشا إلى موسكو للالتحاق بمعلمه الذي عين عضواً في هيئة المحلفين بموسكو. قيظ في جميع الأيام، وجفاف وغبار شديد. أشعر بوعكة، وبألم في جميع مفاصل جسدي، وأحس بوجع في الكبد والكليتين. ليف نيقولافتش معافى، ولعب اليوم lawn – tennis فترة طويلة. هل سأبقى إلى الأبد غير مرحة، وغير سعيدة؟ ويلاحقني الفشل دوماً. أنا لا أرغب في الكثير من أجل كسب المتعة والارتياح: أن أتمكن من العزف على

1 – المرأة اللاتينية (بالفرنسية).

2 – المرأة السلافية (بالفرنسية).

البيانو ساعتين يومياً وأن أجد خمسة أيام من أوقات الفراغ لزيارة شقيقتي تانيا في كييف. لقد حال مرض ماشا دون تحقيق كل ذلك. ومن الطبيعي أن تكون هنا في بيت والديها، وأنا نفسي أردت أن أعتني بها لدى مرضها. أما وجود كوليا هنا فيثير غضبي، وأريد دوماً التخلص منه، وكأنه ذبابة لجوجة. أنا لا أحب ذوي الطبع البارد والوقح، والطفيليين الذين يعيشون على حساب الغير.

13 أغسطس. ما زالت ماشا تعاني من السخونة، ودرجة الحرارة تربو على 40 درجة، منذ الصباح وحتى المساء. أنا أشفق كثيراً على المسكينة، وما أشد العجز حيال السريان الصارم لهذا المرض الفظيع وإصراره. أنا لم أر من قبل أبداً مثل هذا التيفوئيد. زارنا الطبيب مرة أخرى، فقد ذهب ليف نيقولايفتش في طلبه على صهوة الجواد يوم أمس. لا يرى الطبيب وجود خطر، بينما أشعر دوماً بحجر يجثم فوق قلبي.

إنني أستنسخ في هذه الأيام الكثير من صفحات مقالة ليف نيقولايفتش. يوم أمس تحدثت معه بشأنها وسألته كيف يريد أن يوجد الفن بلا مدارس خاصة؟ فهو ينكر وجودها. لكن التحدث معه غير ممكن أبداً. إذ ينزعج بشدة ويصرخ، ويغدو الحديث بغيضاً لدرجة تجعل ما كان يهتم به يصبح أمراً ثانوياً، ولا أرغب سوى أن يكف عن الكلام. وهذا ما حدث يوم أمس...

عندما كان عندنا الضيوف قرأ عليهم هذه المقالة، فلم ينبس أحد بكلمة. وبدا كما لو أن الجميع يوافقون على كل ما ورد فيها. حقاً توجد أفكار ممتازة في بعض المواضع. وعلى سبيل المثال إن الفن يجب أن يلهم الناس وليس أن يسليهم. وهذه حقيقة لا ريب فيها. وإنه يجب أن تدرس في جميع المدارس مواد الرسم والموسيقى وشتى الفنون، لكي تتاح لذوي المواهب الفرصة لإيجاد طريقهم في الإبداع. وهذه فكرة ممتازة أخرى.

قيظ شديد، وجفاف. جرى بذر الجوادار وسط الغبار. الأعشاب والأوراق – يبست كلها. لا توجد أنباء من موسكو عن ميشا.

14 أغسطس. عاد ليوفا ودورا من السويد، مرحين وسعيدين. الحمد للرب. وسيكون أكثر مرحاً عندنا. جاء الطبيب فوجد أن حالة ماشا ليست

خطرة وبعث لدينا الطمأنينة جداً. طلبت مشورته بشأن صحتي. فأكد أن جهازي العصبي مضطرب جداً، ولكن الجسد معافى، وأعطاني وصفة البروم.

ذهب ليف نيقولايفتش إلى بابورينو على صهوة جواد تلبية لدعوة معلمة ما من بطرسبورغ. قضيت اليوم بكسل، فقد أصابني الإجهاد ليلاً حيث جلست مع ماشا طوال الليل وحتى الساعة الرابعة والنصف. إنها عانت كثيراً من السخونة وتقلبت في الفراش، وبلغت درجة حرارتها 40.7. ذهبت للسباحة، ولصقت الصور الفوتوغرافية، وطالعت قليلاً «Taine à Philosophie de l`art» ثم جلست مع ماشا. ما زال الجفاف شديداً.

16 أغسطس. تغدو الحياة صعبة أكثر فأكثر. ما زالت ماشا في وضع سيئ. نهضت اليوم من النوم مخبولة تماماً، فقد وقفت عندها وقد تملكني الفزع طوال الليل، وحتى الساعة الخامسة صباحاً، بينما واصلت الهذيان بشكل فظيع وحتى مطلع الفجر. في الساعة الخامسة صباحاً ذهبت إلى غرفتي ولم أستطع أن أغفو. المنغصات تنهال علي من كل مكان. ذهبت تانيا إلى تولا للقاء سوخوتين، وجلست معه في الفندق، ثم ركبت القطار معه. إنها لم تتخل لحظة واحدة عن فكرة الزواج منه. ميشا لم يسافر إلى موسكو حيث ينتظره المعلم، ولم يدرس، وفي أغلب الظن أنه لن ينجح في الامتحان. وبدلاً من ذلك تسكع في القرية حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل مع الفتيان والأرمونيكا ومع ميتيا دياكوف الصامت والتافه. وصل أندريوشا صباح اليوم وسيبقى عندنا مدة شهر ونصف. ويعتزم الذهاب إلى إيليا في سامارا. وهذا شيء طيب. ولعل أصعب الأمور التعامل مع ليف نيقولايفتش. فلا يمكن التحدث معه حول أي موضوع، ولا يمكن إرضاءه. جاء يوم أمس بولانجيه، ودار بيننا الحديث حول أنه يستحسن أن يعاد النظر في «حول الفن» من وجهة نظر الرقابة، وحذف جميع المقاطع التي لا تسمح بها الرقابة، وهي ليست كثيرة، ونشرها في آن واحد في «بوسريدنيك» وفي الأعمال الكاملة بصفتها المجلد 14. ولم أعتزم البدء بالحديث، لأنني أخشى تلك اللهجة الغاضبة التي يتحدث بها ليف نيقولايفتش معي دائماً تقريباً، والآن مع الجميع تقريباً الذين لا يوافقونه في الرأي.

لقد تحدث بولانجيه مع ليف نيقولايفتش وقال إنه يوافق. ولكن عندما تحدثت أنا بدأ ليف نيقولايفتش بالكلام بغضب، وقال إن تشيرتكوف نصح بعدم نشر أي عمل لليف نيقولايفتش قبل أن يصدر باللغة الإنجليزية. هو ذا تشيرتكوف يفرض سلطته على ليف نيقولايفتش حتى من إنجلترا.

تحدثنا اليوم بشأن تانيا. قال ليف نيقولايفتش إن من الواجب أن نفكر بأنفسنا فقط، بغية أن لا نقع في خطأ بشأن تقديم النصيحة في أي جانب والرغبات من أجل تانيا. بينما قلت إنه لا يجوز الكذب، ويجب على المرء قول ما يدور في فكره حتماً حتى لو أخطأ، ويجب أن يكون المرء نزيهاً بغية الحذر. أنا لا أعرف من منا على حق، ربما هو على حق، بيد أن المسألة لا تكمن في الأحقية، بل في أنه لا يستطيع التحدث بلا غيظ وانزعاج.

واليوم حين خرج ليف نيقولايفتش من غرفة مكتبه انهال بغليظ الكلام على ميشا وعلى ميتيا دياكوف، ولو أنه كلام له ما يبرره. لكن ماذا حقق بهذا؟ لو أنه قال لميشا بحزم وبهدوء صباح اليوم بأنه يجب أن يسافر إلى موسكو وألا يضعف عزيمته في التحضير للامتحان – ألم يكن هذا أفضل. لكن تعنيفه أثار غضب الأبناء أيضاً، وصاروا يرددون أن أباهم يكيل الشتائم فقط، وأنهم لم يلقوا منه الرعاية والعطف والنصح أبداً. وصاروا يقولون إن أمهم وحدها تتمتع بالحق في تعنيفهم، إنها وحدها أولتهم عنايتها. حقاً، إنني أوليتهم عنايتي، ولكن ماذا فعلت، وماذا حققت: إنني لم أستطع عمل أي شيء! إن أندريوشا فاشل في الحياة، وميشا ضعيف العزيمة، فماذا سيحقق في مستقبله!...أوه، كم أن هذا كله يبعث على الحزن...

ليوفا يدبر مع دورا أمورهما البيتية، ويضعون الحاجيات في مكانها. مسكينة دورا إنها تعاني من الصعوبة في العيش في بلد غريب وفي عائلتنا غير السارة جداً. وغالباً ما تراودني فكرة الهرب إلى مكان ما، فقد تعبت، تعبت من الحياة للغاية! نعم، يبدو أنه ينبغي علي تحمل عبء عملي الأبدي وعملي فقط حتى النهاية. ينبغي أن أستنسخ مجدداً أعمال ليف نيقولايفتش، لكنني لا أستطيع العمل أكثر، ثمة شعور ثقيل حياله لكونه استغل حياتي كلها في العمل ولم يبد أية عناية ملموسة بي وبالأطفال، والشيء الرئيس أنه يواصل استعبادي، بينما لا توجد لدي القوة للعمل وتقديم شتى الخدمات له.

جلست الليلة إلى جوار ماشا، وعلاوة على ذلك استنسخت الفصل الخامس كله. أنا أعمل دائماً بما يعادل الضعفين.

تساقط مطر خفيف، لكن الهواء ثقيل ودافئ جداً. أنا أطالع قليلاً Taine à. علماً بأنني بدأت بقراءته من قبل، لكن ليف نيقولايفتش احتاج إلى هذه الكتب، ووضعها في مكان ما، والآن وجدته وسأنهي قراءته. لديه تعريف جيد للفن: «L`art a pour but de manifester le caractère capital ,quelque qualité saillante et notable,un point de vue important,une manière d`être principale de l`objet»[1].

ليف نيقولايفتش لا يمدح Taine à. بينما نصحني سيرجي إيفانوفتش بقراءته.

17 أغسطس. تصالحت مع ليف نيقولايفتش تماماً، (بالمناسبة إنني لم أتشاجر معه، بل تكدرت بسبب موقفه مني). جاءت ممرضة جليسة لماشا، وتحسنت حالة ماشا اليوم، فقد هبطت درجة حرارتها بقدر ما إلى 38.6. أما ليوفا ودورا فهما ليسا بأتم عافية ويسودهما الخمول والفتور. أنا أرثي لها، المسكينة، فحياتها صعبة جداً في روسيا بعيداً عن ذويها. الجو جاف مجدداً، رياح، لكن الهواء منعش منذ الصباح. ذهبت للسباحة مع تانيا، وتحدثنا عن سوخوتين. وقالت إنها لم تقرر نهائياً بعد أي شيء. سافر ميشا مساء أمس إلى موسكو، بينما اختفى أندريوشا بصورة غامضة. أستنسخ مجدداً أعمال ليف نيقولايفتش، وأجلس مع ماشا. لكنني لم أعد أجد في واجباتي المباشرة أية متعة وأعاني من الكدر والسأم. ورد نبأ ثقيل حول حدوث حريق مجدداً لدى إيليا: لقد احترق جميع محصول العام الحالي، والمستودع، والأدوات وهلم جرا. آه، لهذه الحياة، ما أثقل العبء فيها عموماً! زارنا دونايف وميتيا دياكوف. سألت نفسي اليوم، لماذا أجهد نفسي باستنساخ أعمال ليف نيقولايفتش مجدداً؟ إن هذا *واجب* بلا ريب. لقد وجدت الجواب. إن كل عمل يتطلب الاهتمام به، ومدى إتقان إنجازه،

1 - يكمن هدف الفن في كشف الطابع الأساس للشيء، وكشف صفة ما بارزة وملحوظة فيه، ووجهة نظر ملموسة بشأنه، والخاصية الرئيسية لوجود هذا الشيء.(بالفرنسية).

ومتى سينجز كلياً. أنا أعمل في خياطة حاجة ما، وأرى النتيجة. وتهمني عملية إنجاز هذا العمل، وسرعته، وفيما إذا عملت ذلك بصورة جيدة أم سيئة. أنا أعلم وأرى النجاحات، وأنا أعزف بنفسي وأحقق تقدماً، وأدرك فجأة شيئاً جديداً، وأكتشف الجمال. وأنا لا أتحدث عن تأليف عمل ما، وعن اللوحة الفنية، ولو أنها بدائية للغاية، ومجرد التأمل حول مظاهر العمل في الحياة اليومية. لكنني لا أجد أية متعة في إعادة استنساخ مقالة ما عشر مرات ولا يجوز إنجاز أي عمل جيد عندئذ. وأنا لا أرى النهاية أبداً. فيعاد وضع العبارات مجدداً، ومجدداً يعاد الشيء ذاته. كما أنني لا أجد، كما في الماضي، أي *عمل فني* أيضاً. أنا أذكر كيف كنت أنتظر استنساخ «الحرب والسلام» بعد انتهاء العمل اليومي لليف نيقولايقتش. وكيف كنت أستحث بشكل محموم مواصلة الكتابة أكثر فأكثر، وأجد فيها جماليات جديدة وجديدة. أما الآن، فيتملكني السأم. يجب أن أبدأ نفسي بتأليف شيء ما بصورة مستقلة، وإلا فستذوي روحي كلياً.

18 أغسطس. تنزهت أروع نزهة مساء يوم أمس مع ليف نيقولايفتش ودونايف. مشينا عبر زاسيكا، ثم عبر خط السكك الحديد إلى كوزلوفكا. غمرتني في الغابة طمأنينة شاعرية، لا أتذكر مثيلاً لها منذ وقت بعيد. ومن ثم أصابني الإجهاد الشديد، فقد سرنا مسافة 12 فرستاً، وغدت المسيرة مضنية ومضجرة.

تحسنت حالة ماشا. زارتنا ماريا ألكسندروفنا شميدت. تساقط رذاذ خفيف. ذهبنا للسباحة. جاءت يوم أمس الممرضة (لليوم الثالث في المساء) من أجل متابعة نبض وصحة ماشا. زارنا الدكتو رودنيف. ذهبت إلى ليوفا في «ذلك» البيت. عملت بسأم في الأمور المنزلية في صنع الحشيات والمربى وتنظيف الفوانيس، أي أحللت النظام في البيت. وبعد ذلك استنسخت أعمال ليف نيقولايفتش. استنسخت الكثير من الصفحات. السن الأمامية السفلى تتحلحل كلياً، ولهذا فإنني عكرة المزاج. آه، لكم أود ألا أدلف إلى الشيخوخة، لكن يجب علي الاستسلام لهذا الأمر. أمضيت اليوم بلا فائدة ومتعة، سأذهب لمطالعة الفيلسوف هيبوليت تين.

21 أغسطس. غمرني طوال هذه الأيام شعور الخوف على ماشا. فتارة ارتفعت درجة الحرارة إلى 40 درجة، بينما كانت صباح اليوم 35.6. قدمنا لها النبيذ والشمبانيا. وفي الظهر لم تستطع احتساء أي شيء، حيث كانت تتقيأ كل شيء. أرسلنا في طلب الدكتور، وفي المساء أصابتها بعد رجفة البرودة سخونة بلغت 40 درجة. هذا كله شيء فظيع! أنا أشفق عليها، المسكينة، فقد أرهقت للغاية. جاءت ليزا أوبولينسكايا للمساعدة في العناية بماشا. استدعينا ممرضة لمتابعة حالتها العامة وتقديم المساعدة ليلاً. زارنا القوقازي، الأمير ناكاشيدزه الثقيل الظل، وهو شقيق الأميرة ناكاشيدزه التي سلمت في تفليس النقود من أجل الطائفة الدوخوبورية ثم سافرت إلى إنكلترا للالتحاق بشيرتكوف. سيزورنا اليوم ميتيا أولسوفييف.

أمارس التصوير الفوتوغرافي لليوم الثاني. صورت الزهور، وجني محصول التفاح، وأشجار التفاح، وكوخاً صنع من الأغصان وهلم جرا. خرجت للنزهة مع رودنيف، غروب الشمس نقي وجميل والسماء مرصعة بسحب وردية، تحيط بها أطر نارية، والجفاف شديد! تجول ليف نيقولايفتش على صهوة الحصان في الأماكن الجميلة في زاسيكا. بدأ بتصحيح مقالته حول الفن منذ البداية. إنه مشغول البال جداً ورقيق في التعامل معي، بينما أنا أبدو وكأنني جمدت كالحجر، ولا أشعر بأي شيء بسبب القلق على ماشا وليالي السهاد، ومتنرفزة جداً.

أعطيت في الصباح درساً لساشا، ولكن بصورة غير كافية. إنها تطرز من أجلي منديلاً ستهديه لي غداً. فغداً، 22 أغسطس، عيد ميلادي وسأبلغ من العمر 53 عاماً.

23 أغسطس. تحسنت حالة ماشا، وأصبح الجميع مرحين. لكن قلبي ينوء بثقل حجر جديد. فغداً سيصل سوخوتين، وتانيا منفعلة. ذهب ليوفا مع دورا وكوليا وأندريوشا إلى تولا، فسيقام هناك معرض للصناعات اليدوية. يوم أمس قمنا بنزهة طويلة إلى زاسيكا، إلى الوهاد، ورجعنا راكبين العربات الصغيرة. بحث ليف نيقولايفتش، على صهوة الحصان، عن أماكن جميلة يمكن التنزه فيها معي في يوم عيد ميلادي بغية جلب المسرة إلى نفسي.

وكان ذلك لطفاً منه. وفعلاً كانت النزهة في يوم أمس والأماكن رائعة. لكن أصابني الإجهاد الشديد بألم، ولم أستطع إخفاء ذلك، والتعبير عنه مما كدر ليف نيقولايفتش، وأنا آسفة جداً لذلك. بالمناسبة إننا أخذنا فترة استراحة طويلة في عزبة العاملين في الغابة، وقد أوقدت شعلة نار متألقة، وبدت أشجار البلوط العتيقة القاتمة اللون ذات جمال بهي، مما جعلني أنسى تعبي ورجعت إلى البيت وقد غمرتني نشوة من المرح وانشراح الصدر. أنا حزينة بسبب الصور الفوتوغرافية غير الموفقة، وأنا لا أستنسخ في هذه الأيام وأشعر بالذنب جداً لذلك. زارنا بولانجيه، وتغادرنا ليزا أوبولينسكايا.

غداً سأسافر إلى موسكو، ولدي أشغال كثيرة هنا، كما يجب أن أزور ميشا وأبقى معه في غضون يومين لدى أداء الامتحانات. وأنا لا أرغب في ذلك جداً، وأجد صعوبة، لكنني أشعر بأن هذا واجب علي.

26 أغسطس. اليوم الثاني بموسكو. يوم أمس تجولت في البنوك، واستلمت الفوائد، ودفعت مبلغ 1300 روبل بصفة كفالة مالية لضيعة إيليا. ووجب أن أدفع مبلغاً آخر لكن حدث في ضيعته حريق، وضاع مبلغ ألفي روبل كان قد دفع بمثابة عربون في محافظة فولينسكايا، حيث أراد أن يشتري مع سريوجا ضيعة هناك. وهذا كله يثير غضبي وكدري. لقد كان إيليا غير موفق في أي شيء، سواء في الدراسة أم في إدارة الأعمال وكل مجال عموماً.

في 23 أغسطس ولد ابن لمانيا زوجة سريوجا. مسكين سريوجا، ومسكين هذا الصبي عند مثل هذه الأم!

الهدوء يسود بموسكو جداً، لكن ثمة ضجراً بسبب عدم مجيء أحد بعد. جاء ن.ف.توركين الظريف للغاية، وتحدثت معه بكل سرور عن تربية الأطفال. لم يأت سيرجي إيفانوفتش إلى موسكو بعد، وحزنت جداً لأنني لن أراه.

لم أنهض من الديوان طوال النهار اليوم وسويت الحسابات مع ممثل الجمعية التعاونية. أرقام وأرقام لا نهاية لها، وتوتر فظيع خشية عدم حساب شيء وعدم نسيان شيء.

هطل المطر، وأصبح الجو بارداً وغائماً. غداً سيقدم ميشا الامتحان، ولدي أشغال في الرقابة، ومع ممثل التعاونية في البيت.

28 أغسطس. اليوم عيد ميلاد ليف نيقولايفتش، وبلغ الستين من العمر. أعتقد أنها أول مرة لا أحتفل معه بهذه المناسبة منذ زواجنا، وهذا يحزنني. ما هو مزاجه اليوم! فكرت يوم أمس طوال الوقت في مقالته «حول الفن»، إنها تعذبني، لأنها كان يمكن أن تصبح جيدة جداً، بينما توجد فيها أشياء كثيرة غير منصفة ومتناقضة ومتحدية.

اليوم يقدم ميشا آخر امتحان، وأنا أنتظره بفارغ الصبر. فهل سينتقل إلى الصف السابع؟

أجتهد في العمل هنا مع ممثل التعاونية، وراجعت الحسابات باستمرار خلال يومين. ذهبت يوم أمس إلى الرقابة مع كتاب سبير من أجل إصداره في «بوسريدنيك»، وقمت ببعض المشتريات، لكنني لم أفعل شيئاً من أجل البيت، والقذارة تسود هنا.

معيشتي هنا لوحدي تمنحني الهدوء والعافية، وسأعود مرة أخرى في 10 سبتمبر. أصبح الجو بارداً، أي منعشاً، وغائماً. ذهبت اليوم إلى الحمام.

31 أغسطس. يتملكني الحزن، وألقى الإحباط في كل مكان. بقي ميشا في الصف السادس. وأندريوشا عمل لي مجدداً مشهداً ثقيلاً بموسكو، أما هو نفسه، المسكين، فقد غادر إلى جورجيا وهو يذرف الدموع برفقة ميشا. أعتقد بأنه كان ثملاً قليلاً، فقد بدا شيئاً غريباً تماماً تحوله من الفظاظة البالغة إلى الرقة البالغة. ميشا أحزنني لفشله في الامتحان. فهو لم يتكدر البتة، وذهب على التو مع أندريوشا وميتيا دياكوف وبوريس ناجورنوف إلى الحديقة، وراحوا يرددون الأغاني بصوت عال وغير متناسق وبفظاظة. إن أولادي في حال غير ما كنت أتمناه لهم: فقد رغبت أن يحصلوا على التعليم، وأن يدركوا الواجب وأن يتمتعوا بذوق جمالي مرهف. بينما كان ليف نيقولايفتش يتمنى لهم أن يمارسوا العمل البسيط والصارم والحياة البسيطة، كما تمنى كلانا أن يتمسكوا بالقواعد الأخلاقية الرفيعة. لكن لم يتحقق أي شيء من هذا! رجعت قبل ثلاثة أيام صباحاً إلى ياسنايا بوليانا متعبة ومتألمة وحزينة. واستقبلني ليف نيقولايفتش بالقرب من البيت، وجلس معي في العربة الحنطور ولم يسأل عن التفاصيل فوراً. ما أكثر ما يؤلمني ذلك دائماً! وجدت في البيت حشداً من الضيوف:

دونايف ودوبينسكي مع زوجته(تسوريكوفا) وروستوفتشيف وسيرجيينكو. كانت الغرفة كلها تغص بالضيوف، هرج ومرج، أحاديث. لقد أتعبني هذا كله للغاية. إن جميع هؤلاء السادة ينتظرون شيئاً ما من ليف نيقولايفتش، وقد جال في خاطره أن يكتب رسالة وينشرها في الخارج. لقد ترك نوبل بائع الكيروسين السويدي وصية جاء فيها إنه يعطي كل ثروته البالغة عدة ملايين إلى من يفعل أكثر من غيره من أجل السلام (la paix)، وبالتالي يعمل ضد الحرب. وتشكل في السويد لهذا الغرض مجلس قرر أن الفنان فيريشاجن عمل في لوحاته أكثر من غيره في الاحتجاج ضد الحرب. لكن لدى التحقق من الأمر يتضح أن فيريشاجن أعرب عن الاحتجاج ليس انطلاقاً من المبدأ بل بمحض الصدفة. وقيل عندئذ إن ليف نيقولايفتش يستحق هذا الإرث. طبعاً إن ليف نيقولايفتش ما كان سيأخذ هذا المال، لكنه كتب في رسالته أن أتباع طائفة الدوخوبوريين عملوا من أجل السلام أكثر من الجميع برفضهم الخدمة العسكرية ولهذا تعرضوا للملاحقات.

إنني ما كنت سأبدي أي اعتراض على هذه الرسالة، لكن تبين أن ليف نيقولايفتش ينهال في هذه الرسالة بالهجوم الفظ على الحكومة الروسية، وهذا ليس في صلب الموضوع قيد الذكر، بل لمجرد التحدي. لقد تكدرت كثيراً بسبب هذه الرسالة، وأثرت في أعصابي وغمرني اليأس فحسب، وعذلت ليف نيقولايفتش، لكونه لا يصون نفسه، ويتحرش بالحكومة بلا معنى. وأردت حتى السفر بعيداً، لأنني لا أستطيع العيش أكثر في مثل هذه النرفزة، وما أكثر الصعوبة وتحت مثل هذه التهديدات المستمرة، حين يكتب ليف نيقولايفتش شيئاً ما بتهور وحقد على الحكومة، وعندئذ سيحكم علينا بالنفي.

لقد تأثر بسبب مخاوفي ووعد بألا يرسل الرسالة. واليوم قرر أن يرسلها مجدداً ولكن بصيغة مخففة. أما أنا فقد أصبحت على حين غرة أبدي اللامبالاة، وذلك انطلاقاً من مشاعر صيانة الذات فحسب. فلا يجوز أن أعاني من الأرق في الليالي، كما حدث حين أصابني السهاد أمس، ولا يجوز أن أبكي دائماً وأن أتعذب دائماً. ففي كل مكان مصيبة. زارنا إيليوشا. حدث حريق في ضيعته، ويبدو أنه كان ينتظر معونتي. لكنني غارقة أصلاً في المدفوعات وقد أودعت لتوي مبلغ 1300 روبل في البنك، كما ينبغي

أن أسدد مبلغاً مماثلاً في الشتاء. لكنه لم يطلب المال، بل ألمح فقط إلى أن أحواله سيئة جداً. وفي نهاية المطاف قال مخاطباً ليوفا: «أنا طلبت من ماما في الربيع 1000 روبل (وكنت قد سلمته 2500 روبل عن الشتاء)، فلم تعطني، وأنا لم أسجل في التأمين أي شيء، والآن احترق كل شيء، وأنا لا أحصل على أي شيء». فقال له ليوفا: «أنت احترقت، وماما المذنبة مجدداً، هذا أمر غير منصف». وانصرف. عندئذ ذكرت إيليوشا بأنهما، هو وسريوجا، قررا نظراً لعدم الارتياح من طلب النقود من ماما، بأنني سأقوم حتماً وبصمت بدفع مبلغ 2000 روبل سنوياً بصفة رهن، وقد رضي إيليا بهذا تماماً.

أما الآن فهو يلومني لكوني لم أعطه في يديه النقود، وقال كان الأفضل ألا أسدد النقود في البنك بل أن أدفعها له. عندئذ غضبت جداً، ويا للأسف، وحتى قلت بأن هذه دناءة، حين يطلب أن أدفع في البنك ثم يلومني على هذا. ما أكثر شعوري بالخجل والألم والحزن لكوننا قد تشاجرنا بسبب النقود، التي لا أبخل بها، لكنها غير متوفرة لدي الآن.

1 سبتمبر. انصرف جميع الضيوف، وشيء حسن أن أصبحنا لوحدنا؟ وفي مساء الأمس تحدثت لفترة قصيرة مع ليف نيقولايفتش. كنت متوعكة جداً، بينما تحرش بي، وتذكرنا موضوع اليوميات (أنا أعتزم الكتابة عن هذه القصة القديمة).

علاقتنا اليوم ودية، واستنسخت له فصلين، ونظفت غرفته، ووضعت فيها باقة أزهار رائعة. وذهبت مع ساشا للسباحة: درجة حرارة الماء 11 درجة، الليالي باردة، ومقمرة ومتألقة مع سحب صغيرة، تنزلق على سطح القمر، الجو في هذه الأيام يسوده الصحو والجفاف والرونق. ذهبت تانيا إلى تولا لزيارة معرض أقيم هناك. حالة ماشا أفضل. حزنت ساشا لفقدان أرنبها الحي الذي كان يعيش في العنبر. ليف نيقولايفتش امتطى الحصان في نزهة واستقبل الكاهن Chanion الكاثوليكي، الذي يقوم بجولة لدراسة الأديرة الروسية.

أحسست بشوق شديد إلى الموسيقى وراودني طوال اليوم *الحلم حولها*. قريباً سأسافر إلى موسكو، وسآخذ آلة البيانو الكبيرة وسأعزف وآمل

أن يزورنا سيرجي إيفانوفتش ويعزف لنا. سيكون ذلك أمراً طيباً، وأنا أنتعش حتى من هذه الفكرة.

فكرت اليوم: ما هو المكان الذي نحبه أكثر من غيره؟ إنه المكان الذي لم تمسه يد إنسان مثل: الصخور والجبال والبحر والغابة الكبيرة والنهر الكبير وحتى الوهاد الكبيرة. ومجدداً سنحب الحلم في الطبيعة. نحن لا نحب الحقول المتراصة والبساتين والرياض حيث توجد في كل مكان يد الإنسان. نحن نحب العذرية والغموض - الحلم وفي الطبيعة.

2 سبتمبر. قمت بترتيب الكتب في المكتبة. سبحنا في ماء درجة حرارته 11، ذهبت إلى هناك مع فيروتشكا. التقطت في البستان صوراً فوتوغرافية لأشجار التفاح، المترعة أغصانها بالتفاح. واستنسخت رسالة ليف نيقولايفتش، المعدلة وذات الصيغة المخففة، حول تراث نوبل لصالح طائفة الدوخوبوريين. أنا لم أكملها بعد، لكن بدايتها معتدلة جداً. يعكر مزاجي اهتزاز السنين الأماميين. وآفاق وضع أسنان اصطناعية زائفة لا تحتمل جداً. ما العمل، يجب أن أعتاد على الشيخوخة.

سأذهب للنوم، وسأطالع الكتاب الفلسفي Spirà. تساقط رذاذ خفيف، لكن الجو ليس بارداً بعد.

4 سبتمبر. أنا أجهد وأجهد نفسي - لكنني لا أجد أية مسرة في الحياة. إن كل فرد في أسرتنا يعاني من العزلة والوحدة، ولو أنهم يبدون المودة ظاهرياً. كما أن ليف نيقولايفتش يشكو من الوحدة، ومن *الهجر*. تانيا تعشق سوخوتين، وماشا تزوجت، ولا يوجد تواصل تام معي منذ وقت بعيد، ونحن جميعاً تعبنا من العيش في سبيل خدمة ليف نيقولايفتش فقط. كان يتمتع بالسعادة في استغلال ثلاث حيوات نسائية: حياة ابنتيه وحياتي. فكنا نستنسخ له، ونعتني به، ونرعاه بهمة لدى تدهور صحته بشكل صعب وشاق جداً أحياناً تقديم الطعام النباتي له، ولم نتركه لوحده أبداً وفي أي مكان. والآن أعلنت كل واحدة منا بغتة عن حقها في أن تكون لها حياتها الخاصة بها، وقد تركه الأصدقاء ولم يعد لديه أتباع جدد، لذا فهو تعيس.

إنني أستجمع آخر ما لدي من قوة حياتية لكي أساعده. أنا أستنسخ مقالاته، ويوم أمس استنسخت رسالة مطولة تتألف من 15 صفحة حول مساعدة أتباع طائفة الدوخوبوريين في تلقي ميراث نوبل. أنا أرعاه، لكنني أشعر أحياناً بأنني لا أطيق البقاء بلا عمل لشخصي، وبلا اهتمامات شخصية، وبلا استجمام، وبلا أصدقاء، وبلا موسيقى، أنا أتدهور روحياً وأتكدر.

يتحدث ليف نيقولايفتش ويكتب دوماً وفي كل مكان عن الحب، وعن خدمة الرب والبشر. وأنا أقرأ وأصغي إلى ذلك بحيرة دائماً. إن حياة ليف نيقولايفتش تبدأ منذ الصباح وتستمر حتى وقت متأخر من الليل من دون إبداء أي تعاطف شخصي مع الناس. فهو يستيقظ ويشرب القهوة ويتنزه أو يستحم في الصباح، من دون لقاء أي أحد، ثم يجلس ويكتب. وفيما بعد يركب الدراجة أو يستحم مرة أخرى أو يتجول كيفما اتفق. ويتناول طعام الغداء، أو ينزل إلى الطابق الأول للمطالعة، أو لممارسة لعبة lawn – tennis. يقضي الوقت في المساء في غرفته، وبعد العشاء يقضي بعض الوقت فقط معنا، حيث يطالع الصحف أو يقلب مختلف الصور. وتتواصل هذه الحياة يوماً بعد يوم بلا حب، وبلا تعاطف مع العائلة، ومع اهتمامات ومسرات وأحزان الناس المقربين إليه. وقد ذهلت لهذه البرودة، وأخذت أبحث عما يملأ حياتي الروحية، وصرت أحب الموسيقى، والقراءة حولها، والشيء الرئيس إدراك جميع المشاعر البشرية المعقدة الكامنة فيها، لكن الموسيقى لم تجد ترحيباً في البيت، كما هاجموني بعنف بسببها، وها أنذا أصبحت مجدداً بلا معنى في الحياة، وأسعى منحنية الظهر، وطوال ساعات من العمل في إعادة استنساخ المقالة المضجرة حول الفن، إلى إيجاد متعة في تنفيذ *الواجب*، لكن طبيعتي الحية تستنكر ذلك، وتبحث عن الحياة الشخصية، فأهرع خارجة من البيت إلى الغابة، وأسعى إلى نهر فورونكا وأرمي بنفسي في النهر مع الريح العاصفة، حيث درجة الحرارة 9 درجات مئوية، فأجد متعة صغيرة في هذا الشعور الجسدي.

لم يقل لي ليف نيقولايفتش كلمة واحدة، حين امتطى الجواد لزيارة بوليجين في خوتونكا التي تبعد مسافة 16 فرستاً. فقد جاء أمريكي ما، بروفيسور، وأنا لم أره بعد. والآن أعيد النظر في أوراق ليف نيقولايفتش بفزع، وبدأت بالاستنساخ. كم ينتظرني من العمل هناك!

في الصباح أعطيت درساً لساشا استغرق ساعة ونصف الساعة. صححت مادتها في الإنشاء «رحلة إلى دير لافرا الثالوث وسرجيوس». طرزت مناديل ميشا بعلامة مميزة، وطالعت، وفصلت القماش، وكنت طوال اليوم مشغولة، وكان شعوري كما لو أنني لم أفعل شيئاً. هذا هو معنى ألا يجد القلب متعة في عمل أي شيء.

اليوم ذهبت إلى السباحة مجدداً، ودار في خاطري أن الإنسان يعيش فقط في *الحلم*. وإذا ما أمضى الحوذي حياته كلها في الجلوس على مقعد العربة، فإنه لا تراود رأسه في المدينة غير المحبوبة الأحلام حول القرية والعائلة، وعما يدور في قريته من أعمال، وكيف يجري حصد العشب، وكم يجمع من الجوادار، وهل تم شراء بقرة أو حصان وهلم جرا. إن الحوذي ما كان ليطيق أعباء هذه الحياة، لكنه يتحملها.

وهذا هو الحال في الحياة كلها. لكن أحلى الأحلام هو ملكوت السموات بعد الموت، أو الاعتزال مع الرب، أو الانضمام إلى المتوفين من الأشخاص المحبوبين لديه.

آه، يافانتشكا، لقد رأيت اليوم بالصدفة قطعة قماش من سترته المقلمة الزرقاء فبكيت بمرارة. لماذا تركني وحيدة على الأرض، بلا محبة، أنا لا أستطيع أن أحيا بدونه، وغالباً ما أشعر أنه حمل معه روحي، وإن جسدي الخاطئ يواصل العيش في الحياة الدنيوية.

8 ديسمبر. جلبة وضجيج في كل مكان. جاء ضيوف مجدداً. دونايف وبولانجيه وسان - جون، الإنجليزي الذي بعث به تشيرتكوف، كما أعتقد. قررت السلطات إبعاد بولانجيه إلى خارج البلاد. فقد اعتبر رجلاً ضاراً لأنه يدعو إلى أفكار ليف نيقولايفتش ولهذا كتب ونشر في صحيفة «بيرجيفيه فيدوموستي» رسالة حول الوضع البائس لأتباع الطائفة الدوخوبوروفية. وتم استدعاؤه إلى بطرسبورغ إلى الشعبة الثالثة، أي الشرطة التي تتابع إحلال النظام الإداري، أي التعسف، - وهناك أبلغوه بذلك.

بولانجيه رجل ذكي جداً ونشيط ومفعم بالحيوية، لكنهم خافوا منه. أية حكومة طغيان عندنا! ويبدو كما لو أن القيصر غير موجود، وهناك أغبياء

حاقدون من طراز غوريميكين (وزير الداخلية) وبوبيدونوتسيف، يقومون بأفعال تثير الغضب على القيصر الشاب، وهذا أمر مؤسف. ليف نيقولا يفتش يعاني من بثور ظهرت على خده، ويكثر من الحديث عن الموت. كم يخشاه، وهذا الأمر يخيفني. تشارف مقالته «حول الفن» على الانتهاء، وتعيش عندنا فتاة تطبعها على الآلة الكاتبة «رومنغتون»، ويراد إرسال ترجمتها إلى إنجلترا لكي ينشرها تشيرتكوف هناك.

سافرت تانيا إلى موسكو، وقد أرادت فقط التجوال، وفكرت بطبع صور ما حتى قبل سفر بولانجيه، أي قبل 1 أكتوبر. سقط سن من أسناني. ويجب علي السفر لتركيب سن، ولكنني لا أرغب في الذهاب إلى طبيب الأسنان والانشغال بأمر فمي.

عملت في هذه الأيام فقط في التصوير الفوتوغرافي من أجل شقيقتي تانيا وبولانجيه. اليوم التقطت الصور في بستان التفاح وصور النساء العاملات في البستان. ذهبت للسباحة، ولم أشعر بالبرد أبداً.

لقد ضجرت جداً من تدبير الأفرشة للضيوف، والطعام، وجميع الأمور المادية. يوم أمس عزفت على البيانو لمدة ساعتين، ووجدت الوقت لذلك بصعوبة.

ذهب أندريوشا وميشا إلى القرية حيث تتلقى ساشا التعليم لدى أربوزوفا، علماً أن ميشا لم يلتحق بمدرسة الليسيه، مما أحزنني للغاية.

9 سبتمبر. لدي رغبة شديدة في العزف على البيانو، والمطالعة، والتنزه، وحتى شرب الشاي. وبدلاً من ذلك قمت باستنساخ صفحات من «حول الفن» من أجل ليف نيقولا يفتش، وذلك خلال عدة ساعات. لكن لدى عودته من زيوسرمان راكباً صهوة الجواد حتى لم يقل لي كلمة شكر، وانصرف ممتعضاً حين رجوته أن يفسر لي بعض المقاطع الغامضة مما كتب.

لقد حزنت لكوني أقدم التضحيات بعملي، ولذا يبدو هذا العمل رخيص الثمن. وأنا لم أعطه، وقبلت بأن يأخذوه مني. وكما قال الفيلسوف سينيكا: «qu`il s`est laissè prendre,ce qu`il n`a pas su retenir»[1].

---

1 – لقد سمح بأن يؤخذ منه ما لم يستطع الاحتفاظ به (بالفرنسية).

الجو اليوم دافئ، وصاح، شبكة من السحب تحلق وتتألق، فذهبت للسباحة. بينما ركب ليف نيقولايفتش أيضاً الدراجة.

يا لها من قصة غريبة قصة هذا الجنرال العجوز زيوسرمان. لقد بلغ السبعين من العمر، وشارك في الحروب، لكنه لقي نحبه لدى سقوط شجرة جرى قطعها في الحديقة، وسقطت على رأسه مباشرة وصرعته. وبقيت أرملته وبناته وأبناؤه. ما أشد حزنهم الآن!

يعذبني أنني لم أعط درساً لساشا اليوم. كانت لدي مشاغل بيتية كثيرة.

12 سبتمبر. أنا في موسكو لليوم الثاني، وحيدة تماماً مع المربية، وبمزاج رائق تماماً. ميشا يرتاد مدرسة الليسيه، ويأتي في وقت الغداء فقط، أما تانيا فحلت ضيفة لدى أسرة وولف، وأنا نادراً ما أراها. في الصباح أذهب إلى طبيب الأسنان، الذي يعذبني بقياساته، وبالماستيكا الحمراء الساخنة، وغير ذلك من اللوازم الكريهة لتركيب الأسنان. وحلت اللحظة العصيبة التي تركب فيها الأسنان، وسقط سن آخر، ولم أحتمل هذه الشناعة وانعدام الراحة. سيكون صعباً تحمل الأسنان الزائفة، وأنا أرى ذلك فعلاً. حسنا أن أكون هنا حيث لا يوجد الغرباء والضيوف الثقلاء الذين يزورون ليف نيقولايفتش، ولا توجد علاقات عائلية وزوجية معقدة مع أي أحد. ولا تتردد الأحاديث حول الدوخوبوريين والحكومة والمقالات والرسائل من الخارج وفضح أفعال الحكومة، ولا توجد شتى المطالب مني والملامات لي... كم وهنت من هذا كله، وكم أحتاج إلى الراحة! عزفت في المساء وكتبت بعض المواد الخاصة بالرواية التي بودي كثيراً تأليفها. لم ترد أنباء من البيت بعد. ولم ألتق أحداً هنا، لكن بودي كثيراً أن أرى سيرجي إيفانوفتش، والشيء الرئيس أن أستمع إلى عزفه. آمل كثيراً أن يأتي في عيد القديس شفيعي ويعزف لي.

14 سبتمبر. زرت يوم أمس الطبيب مرة أخرى. ثم جلست في البيت طوال اليوم، طرزت، وطالعت، وفي المساء عزفت على البيانو. أتقنت عزف مقطوعتين: المقطوعة الإبداعية لباخ لصوتين، وسوناتا بيتهوفن. لكن يجري هذا الإتقان بصورة رديئة، ويجب التدرب فترة طويلة. في المساء اتفقت مع

تانيا على أن نلتقي عند عائلة كولوكولتسيف لكي أرى هناك فاريا ناجورنايا، لكنها لم ترجع من القرية بعد. وهناك ثرثرنا مع الأطفال والشباب، وحتى رقصنا. وأنا أيضاً رقصت الفالس مع ساشا بيرس وابتهجت ببلاهة حين قيل لي إنني أؤدي رقصة الفالس بخفة غير عادية.

أمضيت نهار اليوم في حركة تامة. فمنذ الصباح المبكر انطلقت حاملة سلة إلى سوق سمولينسكي لشراء الفطر. وكانت كميات الفطر المعروضة للبيع كثيرة جداً. وقد اشتريته لكي أبعث به مع تانيا إلى ياسنايا بوليانا حيث لم ير أحد مثل هذا الفطر الأبيض. كما اشتريت العنب وجلبت هذا كله إلى بيت أسرة وولف التي استضافت تانيا، ومن ثم أوقفت حوذياً وذهبت مع المربية في العربة إلى قبري فانتشكا وإيليوشا. إن زيارة هذين القبرين تثيران دوماً مشاعري وألم لا شفاء منه.

لقد رغبت بكل كياني أن أموت، وأتوغل في عالم المجهول الذي ذهب إليه ولداي. أما المربية فقد شهقت وانتحبت، وبعد تلاوتي لصلاة «أبانا الذي في السموات» بذلت جهدي لكي أنضم روحياً إلى الطفلين، ورجوتهما أن يصليا إلى الرب من أجلنا نحن الخاطئين، ثم انصرفت مبتعدة عن المصيبة التي مزقت فؤادي.

وأردت أن أسلي المربية فذهبت معها والبنات من أهالي القرية إلى الغابة لجمع الفطر، لكننا لم نجده هناك. ورجعنا إلى البيت في موعد الغداء فوجدنا مجموعة من الصبيان أصحاب ميشا هم: ميتيا دياكوف وساشا بيرس والأخوان من عائلة دانيليفسكي. وبعد الغداء عملت مع المربية في صنع المربى وتحميض الفطر وانتهينا من العمل في وقت متأخر من المساء. وفي الختام عزفت مختلف رومانسات تانييف وبوميرانتسيف وجولدينفيزر المهداة إلي. بالمناسبة جاء تانييف إلينا اليوم مع يوشا بوميرانتسيف فلم يجداني في البيت. وقد أثارتني جداً زيارة تانييف، فقد رغبت جداً في رؤيته، ولا أدري كيف أدبر ذلك الآن. ليساعدني الرب بشكل ما، وإذا لن أراه، فهذا خير أيضاً.

لا أعرف شيئاً عن الأحوال في البيت، فإن ليف نيقولايفتش لا يكتب شيئاً، كما أن ليوفا لا يكتب عنه، بل فقط عن تكليفاته فقط.

15 سبتمبر. نهضت من النوم في وقت متأخر، وانهمكت في تدبير الشؤون المنزلية. ثبتنا إطارات النوافذ وغسلنا الأرضية والأبواب، ونفضنا الغبار عن الأثاث والحشيات، وبعد ذلك سكبنا الخل في الفطر والعنب وهكذا دواليك. ولم يكن باستطاعتي القيام بأي شيء لكثرة المشاغل والناس: عمال البناء والصباغة وصقل الأرضية الخشبية وعلى رأسهم المربية آنا ستيبانوفنا. وبعد ذلك ذهبت إلى طبيب الأسنان، وركب لي الأسنان بصورة موفقة جداً ظاهرياً، لكنني خدشت شفتي بصورة مؤلمة، مما استوجب عيادته مرة أخرى. كم إن هذا مثير للضجر! رجعت إلى البيت، وعلمت أن سيرجي إيفانوفتش زارنا مرة أخرى ولم يجدني. وقد أثار قلقي هذا مجدداً، فقد أردت التواصل معه. وذهبت إلى الأمير أروسوف في «بيت الأمراء» لكي أراه هناك، لكنه انصرف، ويا للأسف، إلى القرية. كما عرجت على كونيوشكي لكي أعرف فيما إذا وصلت فارينكا أو ماشا كولوكولتسيفا، لكنني لم أجد أحداً. في الساعة الثامنة مساء جاء سيرجي إيفانوفتش. وأمضينا المساء سوية. وكان ميشا قد تغدى معي وفي المساء ذهب لزيارة دياكوف. يؤسفني أن ليف نيقولايفتش يلاحقني بسبب سيرجي إيفانوفتش. إن العلاقات بيننا طيبة وعميقة المحتوى! وجادة وهادئة. وقد تحدثنا طوال المساء بلا توقف عن الفن والموسيقى ومؤلفات ليف نيقولايفتش التي يحبها كثيراً... وعن كيف أمضينا الصيف، وكيف كانت حياتنا عموماً، ولكن كيف أن كل شيء يضيق في الشيخوخة، وعن الأبدية التي كانت أمامنا في فترة الشباب، هي الأبدية في الأهداف، وفي بلوغها، وفي القوة الذهنية والجسدية، وهلم جرا، وكيف أن هذه الأبدية تزول، وينتصب بدلاً منها جدار هو الخاتمة القصوى للقوة والحياة.

وعندئذ يجب نقل هذه الأبدية إلى خارج *هذه* الحياة، والدخول في مجال حياة *المستقبل*. أنا فعلت ذلك، ولو بدرجة ما زالت ضعيفة جداً. ليمنحني الرب العون في تطوير سعيي هذا في قرارة نفسي إلى الأبدية «l`infiniti» الروحية والدينية والأخروية. عزف لي سيرجي إيفانوفتش سيمفونيته الرائعة، وقد تأثرت جداً لسماعها. إنها عمل رائع، وبأسلوبه الموسيقي الرفيع.

17 سبتمبر. اليوم عيد القديس شفيعي، وأنا مشغولة بالتحضير له طوال اليوم. غيرت ترتيب الأثاث، واشتريت زهوراً رخيصة، ونظفت المكان وزينته، كما كان يحدث في أيام الطفولة لدى التحضير للعيد. كان حبيبي فانتشكا يحب *إقامة* الاحتفالات، حسب لغة مربيته، بمناسبة عيد قديسه الشفيع وكذلك أعياد الآخرين. تلقيت رسالة من ساشا وفرحت بها. لا يكتب ليوفوتشكا لي شيئاً، كما لو أنه يتجاهلني، وهذا يؤلمني. وعموماً كان الحفل في البيت اليوم يحمل *كل معنى* عيد القديس الشفيع. وقدمت إلى الضيوف ما لذ وطاب، وصنعت لهم فطيرة، وطبخت أوزة، كما قدمت الشاي مع الكعك، وكانوا راضين جميعاً جداً. وفي المساء جاء العم كوستيا وألكسي ماكلاكوف وس.إ. تانييف وبوميرانتسيف وكورسينسكي، ثم جاء مختلف رفاق ميشا منهم: جوليتسين وبوتينيف ودياكوف ودانيليفسكي ولوبوخين. فأنشدوا الأغاني في جوقة، وتقافزوا، وتصارعوا، وأكلوا، وشربوا. بينما طلب العم كوستيا من سيرجي إيفانوفتش أن يعزف، فأنا لم أقدم على ذلك، وعزف مجدداً سيمفونيته. ويحدث لموسيقى سيرجي إيفانوفتش ما يحدث لبعض البشر: فكلما تتعرف عليها أكثر تزداد حباً لها. وقد أصغيت للمرة الثالثة إلى هذه السيمفونية، وفي كل مرة أجد فيها المزيد من الصيغ الجمالية الجديدة، وهذا أمر شيق جداً.

زرت العمة فيرا ألكسندروفنا بمناسبة عيد القديس شفيعها، فوجدتها راقدة في الفراش لإصابتها بالإنفلونزا ووحيدة كلياً. وما زالت معها حفيدتها فيرا سيفرتسيفا، لكنها ستغادرها. هذه عظة لمن يلد أحد عشر طفلاً ثم يبقى وحيداً في هذه الدنيا. يجب أن يكون المرء مستعداً لهذا وألا يتذمر.

طالعت اليوم قليلاً، وعزفت قليلاً، واشتريت الفطر من سوق الخضار. وعموماً قضيت النهار في خواء وبلا عمل مثمر.

18 سبتمبر. نهضت من الفراش في وقت متأخر، وبدأت العزف على البيانو. تدربت بهمة في عزف المقطوعة الابتكارية ذات الصوتين لباخ. صعبة جداً. ومن ثم، وبعد أن توقف سقوط المطر، ذهبت إلى طبيب الأسنان ومن ثم إلى معمل جيوبنر لشراء القماش القطني الموبر. التقيت سيرجي

إيفانوفتش بصورة مفاجئة تماماً. ولم أتعرف عليه للوهلة الأولى، وبعد ذلك دهشت تماماً. فلا يغني الحذر عن القدر الذي يلعب ألاعيبه معي دائماً. فقد خرج سيرجي إيفانوفتش للنزهة ماشياً إلى دير العذراء، وعند اللقاء معه بادلته الحديث ورافقته حتى محطة ترامواي الخيل. ولم أذهب إلى المعمل لكنني لم أتأخر على طبيب الأسنان. يبدو لي أنه ركب الأسنان اليوم بصورة جيدة جداً. عبثاً إن حدثت سيرجي إيفانوفتش عن كيف أردت الانتحار، وكيف تجمدت من البرد فوق تلال فوروبيوف. وطبعاً لزمت الصمت ولم أذكر السبب والتفاصيل. بيد أن الذكريات الحادة والمؤلمة دفعتني إلى الحديث عن هذا الموضوع.

أقيم تمثال لبيروجوف أمام العيادات الطبية. إنه عمل فني قبيح! والتمثال من كافة الجوانب قبيح ويخلو من الذوق الفني.

رجعت إلى البيت وتناولت طعام الغداء مع ميشا، ثم عزفت على البيانو خلال أربع ساعات، وأصابني الإجهاد الشديد. جاء ميشا مع بوتينيف. جلس ميشا لتحضير الدروس، بينما انهمكت في تطريز العلامات، وقرأ بوتينيف لي بصوت عال، وهو يلثغ، كتاب «Pensées et Maximes». تلقيت برقية تهنئة، متأخرة، من العائلة. أحياناً أشتاق إلى ياسنايا. لكن حالما أتذكر منغصات وصعوبات حياتنا العائلية، تفارقني مجدداً الرغبة في السفر إلى هناك، والتوق إلى الجلوس وحيدة كحالي الآن. ويكفي وجود الزائرين الغرباء لكي لا أرغب في العيش في ياسنايا.

19 سبتمبر. الإنسان الموهوب يودع كل الفهم والرهافة الروحية في مؤلفاته، بينما ينظر إلى الحياة بفتور وبلا مبالاة. ويوم أمس تأملت رومانسيات سيرجي إيفانوفتش. ولدي الكثير منها الآن. إن الموسيقى في هذه الرومانسيات تطابق المزاج وكذلك حتى كل كلمة تقريباً (وما أشد وقعها في بعض المقاطع)، وفي الوقت نفسه يبقى فيها طبع وأسلوب سيرجي إيفانوفتش، وأنا الآن أميز موسيقاه في كل مكان. إنه في الحياة العادية هادئ وغير ميال للمخالطة ولا يعبر عن أية مشاعر، ونادراً ما يطرح أفكاره ويبدو دائماً ظاهرياً بهيئة اللامبالاة إزاء الجميع وكل شيء.

أما زوجي فهو أكثر موهبة بما لا يقاس! وما أعجب الإدراك في أعماله للحياة السيكولوجية للبشر، بينما لا يفهم ويبدي اللامبالاة حيال حياة أقرب الناس إليه! فهو لا يعرف كلياً ولا يفهم حياتي وحياة أبنائي والناس والأصدقاء.

رياح، الجو غائم وكئيب. أنا أنجذب إلى الموسيقى، والموسيقى فقط. أشعر بوعكة في صحتي، لكنني أود الحب، ومخالطة الناس أين أجدهم؟ وكل فرد يريد الحب، ولكن نادراً ما يستطيع أحد ما منحه. وعندما تهبه بشوق وبتفان، فإنهم لا يتقبلونه - فلا حاجة لهم إلى الحب، فهو عبء عليهم فقط. وفي أغلب الأحيان يكون خطا الحب متوازيين ولا يلتقيان ═════، ولا يكون أبداً تقريباً هكذا بهيئة خط مستقيم ―――――. ودائماً نجد أحدهم يحب، بينما الآخر يسمح بأن يحبه الآخر.

22 سبتمبر. رجعت إلى ياسنايا بوليانا. وتركت ميشا بموسكو مع المربية والسكير إيفان. وقد أسفت لفقدان وحدتي، وإمكانيتي في العزف والعودة إلى الحياة المترعة بالمشاغل والهموم، والتي أعدها لي ليف نيقولايفتش. وجدت هنا شاربو اللبن أو اللبنيين[1]، الذين سلبوا أطفالهم بسبب انتمائهم إلى طائفة الدوخوبوريين. وقد كتب ليف نيقولايفتش عن قضيتهم إلى القيصر الشاب، لكن بلا نتيجة. والآن كتب إليه مجدداً، ولحسن الحظ فإن القيصر في خارج البلاد، وفي أغلب الظن لن تصل الرسالة إليه. وأنا نفسي كنت سأعمل كل ما في طاقتي من أجل أن أطمئن الأمهات وأواسي الأطفال.

لكن ما دام *لم* يتسن عمل أي شيء لمساعدتهم، فلمَ المجازفة بأمنهم. ومن ثم بعث رسالة إلى الصحف بشأن مساعدة الدوخوبوريين، فهو يرغب في إثارة الضجة والعلانية والمجازفة. إنني لا أصدق طيبته وحبه للبشر.أنا أعرف مصدر جميع أفعاله. إنه حب المجد والمجد المحموم والنهم وبلا حدود. وكيف أصدق محبته حين لا يحب ليف نيقولايفتش أبناءه وأحفاده، أي ذويه جميعاً، بينما أحب فجأة اللبنيين وأطفال الدوخوبوريين! ظهرت دملة على رقبته، فأصبح تعيساً، وقد لف رقبته بمنديل، وتراوده أشد الوساوس.

---

1 - من طائفة الدوخوبوريين وينسبون أنفسهم إلى بطرس الرسول، «اللبن الروحي» - (الإنجيل! بطرس الرسول 2:2).

ذهب إلى الطبيب بدوني مرتين، وفي المرة الثالثة نقلوه إلى هنا. إنه يؤكد إصابته بالسرطان وسيموت قريباً. وكان كئيباً وفارقه النوم. الآن حالته أفضل. آه، المسكين، كيف سيجد صعوبة في مفارقة الحياة وتحمل الآلام! ليساعده الرب! أتمنى ألا أرى نهايته وألا أكابدها.

تعتزم تانيا السفر إلى القرم، إنها ما زالت ضعيفة روحياً، بينما ماشا ضعيفة جسدياً. أما ليوفا ودورا فهما في حالة طيبة. سافر كوليا أوبولينسكي إلى موسكو لقضاء بعض الأعمال. مكتبة

أعدت استنساخ بعض أعمال ليف نيقولايفتش. كما طبعت الصور الفوتوغرافية من أجل ميشا، وفصلت القماش لخياطة فستان من أجل الصغيرة فيرا ابنة الخادم إيليا. بودي كثيراً عزف الموسيقى، ولكنني حالما أقول بأنني سأعزف تقابلني ابنتاي بالعداء.

26 سبتمبر. تمضي الأيام تباعاً بجلبة لا معنى لها. كان يوم ذكرى زفافي في 23 من الشهر بهيجاً جداً، بالرغم من عدم إقامة أي احتفال على الأخص. لقد مضت فترة 35 عاماً على زواجنا، ومهما كان عسر حياتي المعقدة، فإنني أشكر الرب لبقائنا طاهرين أمام أحدنا الآخر ونحيا الآن بسلام وحتى بمحبة. زارنا الابنان الكبيران واجتمع شمل العائلة كلها باستثناء ميشا. والآن وصل هو أيضاً. وقد سررت جداً لذلك. وحضر من الأصدقاء سيرجيينكو وبولانجيه مع ابنه البالغ التاسعة من العمر. سيسافر بولانجيه إلى إنجلترا في 28 من الشهر، بهدف نشر أفكار تولستوي.

كتب ليف نيقولايفتش خاتمة مقالته «حول الفن» ثم أجرى تصحيحات فيها مجدداً، وسأقوم الآن باستنساخها. زد على ذلك أنني استنسخت له الآن رسالة لصحيفة «روسكيه فيدوموستي». وتنشر الصحف المختلفة أنه لا يجوز سلب أتباع الطائفة الدينية المنشقة أطفالهم. ولهذا السبب ونظراً لمجيء آباء وأمهات الأطفال الذين فقدوا فلذات أكبادهم إلى ليف نيقولايفتش راجين إياه طرح قضيتهم، فقد كتب ليف نيقولايفتش عن هذا كله إلى «روسكيه فيدوموستي». فهل ستنشر الصحيفة هذا – إنها مسألة فيها نظر.

عشنا خلال يومين بهدوء ووئام في العائلة. واليوم جاء الضيوف مجدداً:

فقد جاء الضابط الأمير تشيرلاكاسكي ومعلم الجمنازيا توماشيفتش. ومساء أمس جاءت ليزا أوبولينسكايا، وذهبت معها في نزهة بعيدة، ما أجمل الطبيعة هناك! مشينا عبر أشجار الشوح، ومن ثم بمحاذاة الأشجار المغروسة وضفة النهير، وبلغنا منصة السباحة، وولجنا غابة أشجار الشوح الكبيرة، وعدنا في حركة التفاف في الطريق وسط الغابة. إن هذه التلاوين من الأصفر الفاقع، وكافة الألوان، إلى الأخضر وفي أحيان كثيرة الأحمر والبني الغامق لأوراق الشجر في الخريف... إنها مشهد أخاذ. وهناك حيث أشجار الشوح، أشجار الشوح القاتمة والباسقة، نمت بالصدفة شجيرات بتولا فتية. وتنبجس الوريقات المتفرقة الصفراء لها عبر الخلفية القاتمة وكأنها الدنتلا الشفافة. وكنت أتوقف مع ليزا فنتطلع ونمتع النظر، وحتى نعرب عن دهشتنا بصوت عال. كما أن الغروب كان رائعاً، وضاءً ونقياً. وبانت من بعيد غابات جرومونت.

أجبت في طريق العودة على تساؤلات ليزا حول قصة صلتي بسيرجي إيفانوفتش، وغيرة ليوفوتشكا، ومشاعري نحوه الآن، وقد أثارت هذه الأحاديث اضطرابي، وفي البيت جرى حديث ثقيل مع ماشا حول انتقالها للإقامة في بوكوفوسكويه مع والدة زوجها، فلم أستحسن ذلك وقلت إنه يجب عليه، أي كوليا، أن يمارس العمل أو يجد وظيفة ما، وألا يعيش عالة على هذه الأم أو تلك. إنها تشد الرحال إلى القرم مع تانيا وكوليا وماشا.

29 سبتمبر. يوم أمس سافرت ماشا وكوليا أوبولينسكي إلى القرم. ولم أشعر بالأسف كثيراً، ولو أنني عموماً أكن لهما المحبة أكثر مما في بداية زواجهما. إن خوفي من وفاة ماشا في أثناء مرضها جعلني أرتبط بها أكثر. أما كوليا فهو فتى طيب وحسن، لكنه خامل وكسول. فهو لا يريد أن يعمل، لا يستطيع ولا يجيد العمل، *وهذا أمر* لا يسرني النظر إليه.

زارتنا فيرا تولستايا وماشا تولستايا. كما جاء لزيارة ليف نيقولايفتش من تولا قسيس السجن، وهو رجل عليل ووديع وساذج. إنه يقول بأنه يجد تجاوباً كبيراً مع أفكار ليف نيقولايفتش ويريد أن يتحدث معه. لكن ما أثار دهشتي أن القسيس اضطر إلى أن يأخذ موافقة الكاهن الأعلى رتبة لكي يزورنا. فهل إنهم يعتبرون ليف نيقولايفتش هرطوقاً إلى هذا الحد؟ كما زارنا اللبنيون الذين

حملوا رسائل ليف نيقولايفتش إلى كوني وأشخاص آخرين في بطرسبورغ، لكنهم لم يجدوهم هناك. وقد طرحت الآن قضية أطفال اللبنيين في مجلس الشيوخ، ويأمل كوني أن يُتخذ هناك قرار بإعادة الأطفال إلى ذويهم، لكن القضية يمكن أن تناقش أيضاً في مجلس الدوما وعندنا سيتأجل إقرارها خلال عامين. وروى هؤلاء اللبنيون أن صبية في العامين من العمر بقيت مع راهبة أحبتها، وتشجب نفسها سلب الطفلة من والديها، لكنها ترعاها بصورة طيبة. وقالت الصبية لأبيها: استدع الحوذي بسرعة ولنذهب إلى البيت من هنا. والصبيان يحتجزون في الدير أيضاً، لكنهم لا يلقون الرعاية اللازمة. وجميعهم مقملون ويرتدون ثياباً قذرة. وطلبوا من الرهبان السماح لهم بإخراج الجياد من البوابة لمشاهدة أطفالهم. وقال الرهبان إنهم يمكن أن يروا الأطفال في الكنيسة، واقتادوهم إلى هناك. لكنهم عندما جاؤوا إلى الكنيسة لم يجدوا الأطفال هناك، بل شاهدوا كيف يتم تصبؤ[1] اللبنيين إلى الأرثوذكسية وأن يحذوا حذوهم. واحتضن رئيس الدير اللبنيين القادمين وقبلهم وقال لهم: «إنكم تكدرتم لأن أطفالكم قد انفصلوا عنكم، لكن أمكم الكنيسة تكدرت أيضاً لأنكم انفصلتم عنها». بيد أن اللبنيين أصروا على موقفهم.

الجميع رحلوا اليوم: أندريوشا وليزا أوبولنسكايا والشقيقتان من عائلة تولستوي والفتى بوبوف المسافر إلى إنجلترا للقاء تشيرتكوف. يهطل المطر، هدوء، عزلة وكل شيء حسن.

ثمة مصيبة واحدة هي أن الدملة على صدغ ليف نيقولايفتش لا تلتئم، ويبقى الورم المتقيح الكبير، الأحمر اللون، الدموي. إنها تؤلمه خلال ثلاثة أسابيع، ولا يحدث أي تغيير فيها.

إن المطر جعلنا جميعاً نلازم البيت، وهذا شيء طيب من أجل ممارسة الأعمال. فتجب مراجعة التعديلات في الفصول التالية من «حول الفن» بغية إرسالها إلى المترجم.

منذ ثلاثة أيام ذهبت إلى تولا لإجراء معاملات تحويل ملكية ياسنايا بوليانا إلى الأبناء بعد وفاة فانتشكا. وكنت الوصية على أندريوشا وميشا. كما قمت بأعمال كثيرة مختلفة هناك.

---

1 – التصبؤ يعني تخلي المرء عن دينه لاعتناق دين آخر. (المترجم)

يوم أمس قمنا بنزهة رائعة في زاسيكا وغوريلايا بوليانا وحول المزرعة الحكومية ثم رجعنا إلى البيت. كان غروب الشمس جميلاً بشكل أخاذ. وعاد حشد من الناس في الدرب الرئيس بعرباتهم ذات الطقطقة من السوق في تولا. ومضت جمهرة من عمال المياومة من المزرعة الحكومية حيث غرسوا الأشجار، ووسط كل هذا الضجيج والجلبة، كما في أيام الأعياد، أنارنا ضوء الغسق جميعاً، نحن العائدين إلى بيوتنا.

في المساء شربنا الشاي عند ليوفا، في جناح البيت. وخرجنا إلى الشرفة، الجو دافئ هناك، والليلة مقمرة رائعة، والسحب شفافة، وهبت الريح الجنوبية لتدفعها بمحاذاة القمر، فتارة تكشفه وتارة تحجبه بغلالة شفافة. جلسنا حتى وقت متأخر، وقرأنا البخت بأوراق اللعب ببلاهة لتانيا وليزا أوبولينسكايا وفيرا ولي. ومارسنا أعمال الخياطة وثرثرنا وتبادلنا الأحاديث في جو حميمي وودي. والنساء يكشفن *كل شيء* بصراحة وبضعف فقط عندما تحب وتعرف إحداهن الأخرى حتى أعماق الحياة والشخصيات والأحداث منذ الطفولة وحتى اللحظة الراهنة. وأنا أكون أقرب ما يكون إلى شقيقتي تانيا.

30 سبتمبر. سافرت تانيا إلى القرم لكي ترافق إلى هناك أندريوشا ابن إيليا.أصبح بيتي خالياً، وبقيت ساشا وليوفا وزوجته في الجناح. أنا أشفق للغاية على ليف نيقولايفتش. فما أكثر الأعوام التي أمضاها مع بناته في أشهر الخريف الهادئة، وكن يتولين خدمته، وكتبوا له، وتناولوا الطعام النباتي معه، وجلسن معه في الأمسيات الخريفية الطويلة والمملة. بينما كنت أسافر في هذه الأشهر الخريفية مع الأبناء الدارسين إلى موسكو، وأعاني من الشوق إلى زوجي وبناتي، وكنت في أعماق قلبي أحيا معهم بالرغم من كل شيء، فقد كنت أحب ليوفوتشكا زوجي وابنتي تانيا. أما الآن فقد تغير كل شيء: فقد تزوجت ماشا، ووقعت تانيا المسكينة في الغرام، وأضناها وأضناني هذا الحب لرجل غير جدير بذلك. إنها في الطريق إلى القرم، لكي تمعن الفكر في الأمر جيداً. كان الرب في عونها! بعد ستة أيام سأسافر مع ساشا إلى موسكو. إنني أدركت في وقت متأخر بأن من الواجب أن تتعلم، فهي لا تعمل أي شيء، وقد بلغت سن الرابعة عشرة. كما تقلقني حياة ميشا. وأنا

أخشى باستمرار مسألة فساده أخلاقياً، كما أعتقد بأن الحياة العائلية مع هذا أفضل بالنسبة إلى صبي. ويبقى ليف نيقولايفتش مع ليوفا، وأنا أرى بأن هذا لا يجلب السرور كثيراً إلى هذا وذاك. سأصطحب ساشا إلى موسكو من أجل تدبير موضوع دراستها ومعيشتها هناك، ثم أعود مجدداً إلى ليف نيقولايفتش. كم أن هذا كله صعب ومعقد! وأدعو الرب إلى أن لا يضعفني في أداء واجباتي، وإدراك مغزاها، وتحقيق ذلك بالطاقة نفسها في الحياة الصعبة التي تزداد تعقيداً وعسراً من كافة الجوانب.

رذاذ خفيف، دفء. أوراق الأشجار القليلة تميل إلى الاصفرار، لكن شجرة البلوط وأشجار الليلك ما زالت مترعة بالخضرة بوريقاتها الثخينة. قمت اليوم بأعمال التنظيف في البيت وبتدبير الشؤون المنزلية. طبعت الصور الفوتوغرافية: فيها مشاهد سفر ماشا وكوليا، وقد رغبا في الحصول عليها وسأرسلها إلى الجميع. علّمت ساشا قليلاً التي كتبت موضوع إنشاء سيئاً جداً. وفي المساء سأعيد للمرة الخامسة استنساخ «خاتمة» مقالة «حول الفن»، وسأخيط ردائي المنزلي اليومي الذي تهرأت الدنتيلا فيه وأنا أعنف نفسي لعادتي هذه في التعامل مع الأشياء الجميلة والمتهرئة.

إنني لا أسمح لنفسي، لكنني أشتاق جداً إلى تانيا. إنها صديقتي (33 عاماً) التي ترتبط بها حياتي الزوجية الماضية السعيدة. وقد تعاطفت معي في جميع المسرات والأوجاع، وأشفقت علي دائماً. ولا يوجد شخص آخر قريب مني غيرها.

2 أكتوبر. هدوء خريفي، والأوراق الصفراء في كل مكان وتتألق بلون ذهبي في ضوء الشمس. وكان يومي طيباً: فقد طالعت سينيكا في الصباح: «Consolation à Varcia b Consolation à Helvini». رتبت الكتب في المكتبة. وبعد الغداء خرجنا للتنزه في كوزلوفكا ذهاباً وإياباً. الطريق خال وحزين، والذي شهد الكثير من الذكريات! آه، لا حاجة إلى الذكريات، وإبداء الأسف!... ولماذا لدي مثل هذا الطبع، فشتى الانطباعات توغلت في أعماق روحي. لدى عودتنا عرفت أن ليوفا سافر إلى كرابيفنا وبقيت دورا لوحدها. فزرتها وجلست معها. وبعد ذلك أعطاني ليوفوتشكا القسم

العاشر من مقالته «حول الفن»، ونقلت التعديلات من نسخة إلى أخرى. إنه عمل ميكانيكي مجهد وصعب. جلست ثلاث ساعات، وفرحت لكونه قد هاجم أنصار الديكادنس وفضح خداعهم. ويورد أمثلة من الأشعار الخالية من أي معنى التي نظمها مالارميه وجريفين وفيرهرن وموريياس وغيرهم. وفي المساء دعاني ليوفوتشكا لغرض الترويح عن النفس لممارسة لعبة البادمنتون، بينما رجوته أن يعزف عزفاً ثنائياً بأربع أيد على البيانو. وأنا لا أجد أية صعوبة في عزف المقطوعة السباعية لبيتهوفن. ما أطيب الحال، وما أكثر البهجة، وما أكثر المشاعر ظرافة بعد الموسيقى! رقدنا للنوم في وقت متأخر. وطالعت في صحيفة «نيديليا» مقالة «حول الحب الجنسي» لمينشيكوف. لا يستطيع أحد في العالم أن يقرر شيئاً حول هذا الموضوع مهما فكر وتأمل فيه.

إن أقوى شعور، وأفضل شعور، وأكثر المشاعر إيلاماً، هو الحب والحب فقط، أما بقية الأمور فإنها تتمحور حول الحب وتسترشد به. إن الحب يهب إلى الفنان والعالم والفيلسوف والمرأة وحتى إلى الطفل، ويهب إلى الجميع نهوض الروح والطاقة والقوة للعمل والإلهام والسعادة. وأنا لا أتحدث عن الحب *الجنسي* بالذات، بل عن الحب عموماً. وعلى سبيل المثال إنني أحببت في الحياة طفلي الصغير فانتشكا أشد وأفضل وبتفان أكثر من أي أحد آخر. كما أن جميع تعلقي بزوجي وبالآخرين في حياتي كان دوماً أشد في المجال الروحي والإبداعي والذهني مما في مجال التعلق الجسدي. وبدءاً بزوجي فمهما جعلني أنفر فيزيقياً من إهماله المعتاد، ومن إفراطه في العادات القبيحة ذات السمة الجسدية الخالصة، فكان يكفيني غنى محتواه الداخلي، لكي أحبه طوال حياتي، بينما أغمض عيني عن الأمور الأخرى. وقد أحببت...عالمه الفلسفي الذي أدخلني إليه حين قرأ لي مارك أفريل وإيبيكتيت وسينيكا وغيرهم. فقد كشف لي لأول مرة ذلك المجال الرفيع من التفكير البشري الذي وجدت فيه السلوى في حياتي. وقد تعلقت بسيرجي إيفانوفتش أيضاً ليس بشخصه الجسدي بل لموهبته الموسيقية المدهشة. وأعتقد أن ذلك النبل والجدية والنقاوة في موسيقاه إنما تنبع من روحه.

وكان فانتشكا من أحب الأطفال لدي للسبب ذاته: فقد كان ضامر الجسد

وهزيلاً، وكله روح: مرهف الحس، رقيق الحاشية، وحنون. لقد كانت هذه مادة روحية رقيقة للغاية، وطبعاً ليس من أجل الحياة الدنيوية.

ليساعدني الرب في الخروج من مجال الجسد وأرهف نفسي روحياً وفي التحول طاهرة القلب إلى المجال الذي يوجد فيه فانتشكا الآن.

6 أكتوبر. سافرت إلى موسكو برفقة ساشا ومدموازيل أوبرت. فارقت ليوفوتشكا يوم أمس والألم يحز في قلبي. ولم أشعر بالشفقة عليه منذ وقت بعيد كما جرى يوم أمس. إنه وحيد وعجوز وأحدب الظهر(يجعد جسده أكثر فأكثر، وربما هذا بسبب كثرة الجلوس، وحيث يكتب ملتوي الجسم أياماً كاملة تقريباً).

قمت بتنظيف غرفة مكتبه، ورتبت جميع حاجياته والأفرشة، وأعددت كافة اللوازم المنزلية لديه: الجوادرا، البن، القدور المختلفة، الأطباق وهلم جرا... وكذلك العسل والتفاح والعنب وكعك البرت، أي كل شيء يحبه. وقد ودعني بحنان بالغ، كما لو كان لا يريد فراقي، ولو أنني سآتي إليه بعد ستة أيام، وسأسافر معه إلى أخيه سيرجي نيقولايفتش في بيروجوفو. ووضعت كل آمالي على ابننا ليوفا وزوجته دورا اللذين سيتوليان رعاية ليف نيقولايفتش. وقد زال الورم في صدغه، لكن أنفه أصيب بالزكام، وتملك ليف نيقولايفتش الجبن بشكل فظيع. آمل ألا يستفحل المرض.

ذهبت اليوم إلى طبيب الأسنان، ثم إلى عائلة كولوكولتسيف، ومن ثم لتسوية أعمال ليف نيقولايفتش ذهبت إلى دونايف في البنك، من أجل أن يبعث برسالة ليف نيقولايفتش حول سلب اللبنيين أطفالهم إلى صحيفة أخرى، بعد أن رفضت صحيفة «روسكيه فيدوموستي» نشرها، وتسليمها إلى الأمير أوختومسكي في صحيفة «س. - بطرسبورغسكيه فيدوموسيت».

لقد تعبت، وأكتب بصورة ركيكة...

10 أكتوبر. لم أكتب شيئاً خلال عشرة أيام، وعشت بصورة محمومة بسبب المشاغل الكثيرة في هذه الأيام. لا موسيقى ولا مطالعة ولا أية بهجة في الحياة. ما أشد نفوري من هذه الحياة! لقد أخذ مني وقتاً كثيراً الاستنساخ

من أجل ليف نيقولايفتش. نقلت التعديلات من نسخة إلى أخرى، نظيفة، واستنسخت جميع «الخاتمة». ثم بحثت عن معلمين روس من أجل ساشا، واليوم اتفقت مع المعلمة س.ن. كاشكينا ابنة نيقولاي ديمتريفتش كاشكين معلم سريوجا السابق في الموسيقى. سقط ميشا وأصيب برضوض في ساقه، ويرقد في الفراش لليوم الثالث، ولهذا لا يرتاد المدرسة (الليسيه)، ولا يفعل أي شيء. الخدم يتعاطون الخمر بشكل لا يطاق. وقد أدمن أحدهم على شرب الخمر وترك العمل، بينما لا يزال الآخر مخموراً لليوم الثالث. لم يحدث هذا أبداً من قبل، وهذا يبعث على الحزن والأسى للغاية.

أمضى سيرجي إيفانوفتش مساء اليوم معي، وبقي من العلاقة بيننا شيء من عدم الرضى، بل وحتى الاغتراب. ولم أجد متعة في حضوره، وشعرت بالتكلف وأحياناً حتى بالضيق. ربما هذا لأنني تلقيت من ليف نيقولايفتش رسالة طيبة وانتقلت روحاً وفكراً إلى ياسنايا بوليانا، وإليه، وربما إنني شعرت بتأنيب الضمير، لأن تدخل سيرجي إيفانوفتيش في حياتي جلب لي الكثير من المصائب وربما سيصيب ليف نيقولايفتش الآن الكدر. لقد حدث أمر ما في علاقتي مع سيرجي إيفانوفتش، ولو أنني في أعماق روحي كنت مع هذا أتغلب على عدم ارتياح ليف نيقولايفتش، ولا أريد التخلي عن حريتي في العمل ومشاعري، ولا أحس في قرارة نفسي بأي ذنب.

لقد تم تركيب الأسنان بصورة سيئة جداً وينبغي إعادة صنعها، ومضت عبثاً زياراتي اليومية إلى طبيب الأسنان. ومرة أخرى تملكني الكدر والحزن.

غداً ستقام حفلة التشيكيين وسيعزفون بيتهوفن، ورباعية تانييف وهايدن. هذا أمر بهيج للغاية.

11 أكتوبر. تلقيت رسائل: من ليف نيقولايفتش وليوفا ودورا، وتتضمن الشيء نفسه وهو أن حالة ليف نيقولايفتش الصحية ليست جيدة كلياً، وقررت السفر إلى ياسنايا بوليانا في اليوم نفسه. لقد كانت الكونشرتو الرباعية ممتعة للغاية. وجرى عزف رباعية بيتهوفن بصورة فذة، بينما كانت رباعية تانييف انتصاراً حقيقياً للموسيقى. ما أروع الرباعية! إنها آخر كلمة في الموسيقى الجديدة، أي انسجام جاد ومعقد وغير متوقع في التراكيب الموسيقية، وأي

غنى في الأفكار والمقدرة. لقد تلقيت متعة موسيقية حقيقية. وتم استدعاء سيرجي إيفانوفتش مرتين من قبل الجمهور، وصفقوا له وللتشيكيين الذين عزفوا الرباعية بصورة لا ثلب فيها. توجهت إلى بيتنا بمثل هذه الانطباعات الرائعة، وأفلحت في الوصول إلى محطة القطار خلال ربع ساعة. كما شعرت بالبهجة في عربة القطار، وفي الصباح في طريق كوزلوفكا، وخلال اليوم الأول من وصولي إلى ياسنايا بوليانا غمرتني الانطباعات الموسيقية.

(تم تدوينه بعد يوم 11 أكتوبر).

20 أكتوبر. عشت في ياسنايا بوليانا مع ليف نيقولايفتش من 12 إلى 18 أكتوبر. وتحسنت صحته كثيراً خلال هذه الأيام. وفي 17 أكتوبر خرج للنزهة على صهوة الجواد في ياسينكي، وتوقف عن شرب مياه إيمس. وعشت معه في الطابق الأسفل في غرفتين. وكنت أصعد إلى الطابق العلوي فقط من أجل تبديل ملابسي في غرفة نومي الباردة، فأصبت بالبرد ومرضت: في البداية شعرت بأوجاع في الرأس، ومن ثم بألم نورالستي[1] شديد في الذراع والكتف، وأخيراً أصبت بالإنفلونزا. كانت الحياة في ياسنايا بوليانا خلال هذا الأسبوع صعبة ورطبة. وسادت الرطوبة في الباحة، والجو غائم وقاتم. بينما ساد في البيت السكون والبرد والأوساخ. أنا كنت مريضة لكنني كنت أستنسخ طوال اليوم، دون أن يعتدل ظهري، حتى إنني في بعض اللحظات وددت أن أضحك وأصرخ وأبكي. في البداية أدخلت في النسخ النظيفة التعديلات في عشرة فصول. ثم أعدت استنساخ كثير من النصوص. ومن ثم قام ليف نيقولايفتش بإدخال التعديلات مجدداً، ووجب علي أن أدخلها من جديد في النسخة السابقة. علماً بأنه يكتب بصورة مشوشة، وغير واضحة، ودقيقة، ولا يكمل كتابة بعض الكلمات، ولا يضع علامات الترقيم... ويسود التوتر الشديد لدى فك رموز كل هذا التشويش المتعلق بنقل المقاطع، وشتى أصناف العلامات والأرقام!

إن هذا يكون مؤلماً بصورة رهيبة لدى معاناة الصداع والزكام. في اليومين الأخيرين زارتنا م.أ. شميدت فساعدتني قليلاً، وبهذا أنهينا العمل كله *تقريباً* الواجب إنجازه من استنساخ وإدخال التعديلات.

---

1 – ألم عصبي. (المترجم)

لم يوجد أي أحد من الخدم باستثناء فلاح صغير، أبله تقريباً، كان يساعد الحوذي وجاء لإشعال الموقد وإعداد السماور. علماً أنني كنت أعد السماور بنفسي أحياناً ولو بلا خبرة وبشعور من الكرب، فقد كان ذلك من مبادئ ليف نيقولايفتش أن أفعل كل شيء بنفسي، وهذا جعلني لا أستطيع مساعدته أكثر واستنساخ المزيد من أعماله. كما أنني مسحت الغبار في الغرف، ونظفت بجهد هاتين الغرفتين المهملتين في فترة غيابي، وساد فيهما أكبر قدر من الإهمال والقذارة.

تناولنا الغداء والطعام في جناح دورا وليوفا المرتب والنظيف والوضاء. وفي البداية كان الجلوس في ذلك المكان غير مألوف وغريب، لكنه أصبح في نهاية المطاف مريحاً وطيباً جداً.

كان زوجي ليوفوتشكا لطيفاً وطيباً معي. وكان يشد بحنان اللبخات على ذراعي المريضة وكتفي، وشكرني لقيامي باستنساخ أعماله وحتى طبع قبلة على يدي، وهو ما لم يفعله منذ وقت بعيد.

وقع حادث ثقيل الوطأة ومزعج في ياسنايا بوليانا إبان وجودي هناك فإن جارنا الوغد الشاب بيبيكوف، وهو رجل سكير وعديم الأخلاق وأحمق، اقتطع مساحة من الأرض اشتريناها من أبيه قبل 33 عاماً، وتم فيها غرس الأشجار منذ 30 عاماً. فاستدعى موظف المساحة، وثبت أعمدة فيها الختم الرسمي، وحفر الحفر العازلة والخنادق. علاوة على ذلك استولى على الحطب اليابس، وقطع اثنتين من أشجار البتولا وزعم أن الأرض غير مباعة من قبله. وجاء مأمور القضاء ورجل الشرطة، وجرى الجدل والمماحكة وشتى أصناف المنغصات. وقد انزعج المسكين ليف نيقولايفتش وليوفا للغاية، ولهذا كان ذلك مصدر كدر شديد لدي أيضاً.

وقد تمت تسوية القضية حالياً، لكن لا تعرف نهايتها. فالقضاء عندنا سيئ.

عدت إلى موسكو في 18 أكتوبر. وانطلقت منذ الصباح لقضاء بعض الأشغال، وقمت بقياس فستان، وفي المساء حضرت الحفلة السيمفونية الأولى، وتم عزف السيمفونية الرابعة لمندلسون ثم مقطوعة «حلم ليلة صيف» مع الكورال، وبعد ذلك عزف كونشرتو الكمان. وبدا لي أن قيادة سافونوف للأوركسترا كانت مائعة وضعيفة.

في 19 أكتوبر أقيم حفل زفاف فانيا رايفسكي. وكان حفلاً مهيباً، لكنه مؤثر في علاقة الأم وابنها. وقد شعرا كلاهما بكل أهمية الزواج وأول فراق بينهما، لأن ابنها صار يتقاسم الآن الحب مع زوجته الشابة أيضاً. وأنا لم أفهمها بعد. إنها هزيلة وشاحبة، وذات ابتسامة تنم عن الهيبة. وساد جو كئيب جداً. أنا رثيت من أعماق القلب لوضع يلينا بافلوفنا المضطرب. وكان لا بد أن تتذكر المرحوم زوجها في مثل هذا الحدث الهام، وقد تحدثنا عن ذلك وحتى بكينا. علماً أنني لم أتزين منذ وقت بعيد كما في هذا المساء، وغلب علي للحظة شعور الفخر بمظهري، ولكن بقدر قليل.

سقط سيرجي إيفانوفتش وأصيب برضوض في ساقه، وهو يرقد في الفراش منذ عدة أيام. ولم أطق صبراً فذهبت إليه للحظة قصيرة وقد أصابني الفزع. وقالت لي أ.أ.ماسلوفا في الحفلة الموسيقية: اذهبي فوراً إلى سيرجي إيفانوفتش، فسيكون مسروراً جداً برؤيتك.

أحقاً ذلك؟ ربما إنه العكس تماماً. كان يجلس معه أ.أ. ماكلاكوف، وانغمرا في لعبة الشطرنج. بدا سيرجي إيفانوفتش شاحباً، وبائساً، مثل طفل فرضت عليه العقوبة. وجأر بالشكوى بأنه حتى لا يستطيع العمل بسبب فقدان الحركة والهواء.

وردت رسالتان من تانيا وميشا. يتملكني شعور الحزن نفسه بسبب بناتي. ماشا مع زوجها الصبي الكسول وغير الحكيم. وتانيا بسبب غرامها المؤلم بسوخوتين. يبدو وكأنني فقدت كلتا الابنتين.

ساشا تدرس جيداً مع المعلمة الجديدة وتبذل جهدها في ذلك.

ذهبت اليوم إلى كاتب العدل بتكليف من دورا ولتسوية قضية بيبيكوف. دورا حامل. إنها رقيقة للغاية، وتبدي الحنان والطيبة لليف نيقولايفتش ولي أيضاً، ويحزنني ويشغل بالي كونها حاملاً وتتقيأ.

أمضيت مساء اليوم مع العم كوستيا وماكلاكوف. إن صحبتهما خواء وعبث، لكنهما مع ذلك أفضل من الآخرين.

21 أكتوبر. زرت سيرجي إيفانوفتش. وكان قد سقط وأصيب في ساقه برضوض، وانتفخت ساقه، والآن يرقد في الفراش منذ عدة أيام، ووجب

عليّ أن أزوره. وكالعادة تبادلنا الحديث بجد وببساطة وبهدوء. وحدثني عن المنشقين وعن حرق المرء لنفسه، بينما حدثته عن مؤلفات أتباع نزعة الديكادنس التشاؤمية التي استنسخت مقتطفات منها من أجل ليف نيقولايفتش في ياسنايا. وبعد ذلك تحدثنا عن الموسيقى وعن بيتهوفن، كما روى لي بعض المشاهد من سيرة حياته وأعطاني مجلدين عن حياة بيتهوفن لغرض المطالعة. وكما هو الحال دائماً فقد ترك اللقاء مع سيرجي إيفانوفتش لدي شعوراً بالطمأنينة وبالارتياح والمزاج الطيب. ورجاني جداً أن أزوره مرة أخرى، وأنا لا أدري فيما إذا سأفعل ذلك. كما زرت ناتاشا دين لكنني لم أجدها في البيت. ورأيت مسكنها البائس. إن جميع بناتنا هؤلاء ينحدرن إلى حياة التعاسة والفقر، بغية أن يهبن أنفسهن ويأخذن الشخص المحبوب. بينما إنهن عشن في بيوت كبيرة فيها عدد كبير من الخدم، وكن يتناولن أفضل طعام... يبدو أنه لا يوجد شيء أثمن من الحب. زرت يلينا بافلوفنا رايفسكايا. يبدو أنها كابدت بألم شديد زفاف ابنها، والآن تحسن مزاجها مجدداً. قضيت المساء مع شقيقي ساشا وشقيقتي ليزا. دار الحديث عن الأمور المنزلية والتهافت على كسب الأرباح وغلو الروح المادية وغياب الاهتمامات الفكرية والفنية، وهو شيء فظيع في شقيقتي ليزا. الضيوف والفواكه والبسكويت والأناقة في تقديم الشاي وكرم الضيافة لدى انيتشكا والصبايا الصغيرات والزوجان كولوكولتسيف... وفي نهاية المطاف ضاع اليوم سدى وبلا منفعة...

وردت رسالة من ليف نيقولايفتش، باردة واغترابية. إنه حاول التعامل معي بلطف، لكنه لم يفلح في ذلك. يبدو أنه متكدر لكوني أعيش بموسكو وليس معه في ياسنايا، حيث ينبغي أن أستنسخ أعماله منذ الصباح وحتى المساء. لكنني لا أستطيع، لا أستطيع ذلك أكثر. فأنا متعبة وعجوز، ومحطمة روحياً، وربما حتى أصبحت مدللة. أنا أتذكر الأسبوع الذي أمضيته هناك: الأوساخ في الباحة، والأوساخ في الغرفتين اللتين عشت فيهما مع ليف نيقولايفتش في زمن ما. أربع مصائد للفئران، تطقطق باستمرار لدى اصطياد الفئران. فئران، وفئران بلا نهاية... البيت بارد وفارغ، السماء رمادية، رذاذ المطر، العتمة: الانتقال من مبنى إلى آخر لدى تناول طعام الغداء والعشاء مع ليوفا، ونحمل المصباح وسط القاذورات، والاستنساخ والاستنساخ منذ

الصباح وحتى الليل. السماورات التي تنفث الدخان، غياب البشر، السكون المطبق. لقد كانت حياتي صعبة للغاية، والآن خالية من المعنى في ياسنايا. هنا العيش أفضل، لكن فقط يجب العيش بشكل *أكثر نفعاً وأكثر محتوى*.

23 أكتوبر. في الصباح ذهبت إلى طبيب الأسنان - مرة أخرى أعدت الكرة هناك، ثم زرت العمة ف.أ.شيدلوفسكايا، وثرثرت كثيراً وعبثاً مع ماشا سفيربييفا. العم كوستيا تناول طعام الغداء، ثم رافقته لزيارة سيرجي إيفانوفتش. شعرت بالضجر وتأنيب الضمير، *ويبدو* أنه لآخر مرة. بقينا هناك فترة قصيرة، وجئت إلى هنا لسماع مزاح أ.أ.ماسلوف القليل الحياء، مما جعلني أشعر بالضجر والخجل أكثر. ثم ذهبت إلى حفل موسيقي للرباعي. وتم عزف خماسي برامز، وشعرت بالسأم الشديد، وحتى غفوت.

ثمة كآبة في أعماق روحي. وقد شعرت بحزن ووهن للغاية حين تلقيت نبأ مرض أندريوشا، ويبدو أنه مرض شديد الوطأة. وفكرت كثيراً في أمر تانيا، واليوم حدث لها شيء ما خصوصي، وفكرت فيها كثيراً جداً. تلقيت رسالة من م.أ. شميدت ذكرت فيها أن ليف نيقولايفتش في أتم عافية ومنشرح الصدر، ويجلس مع الفلاحين الموجيك ويشربون الشاي معه وهلم جرا. نحن نشعر باليسر والارتياح حين نفترق، وسابقاً لم يكن لدي هذا الشعور. لكنني لا أشعر بذلك بدون الإنسان الذي قد يهتم بحياتي، ويمكن أن أعيش معه بوئام. بيد أن ليف نيقولايفتش عاش معي *جسدياً* فقط ولم يحبني سوى الحب الجسدي. لكن هذا الجانب أخذ بالانحسار، وتنحسر معه أيضاً الرغبة في العيش معي بلا فراق.

قرأت سيرة حياة مندلسون وأخذت مجلدي سيرة حياة بيتهوفن. وأي سير حياة هذه! من يدرك روح الإنسان؟ إنه يبدع بروحه ويحيا الفن بالحياة الروحية لمبدعه. أما الحياة المادية فهي غالباً ما تكون إما سيئة أو تافهة.

فما هو الشيق في حياة ليف نيقولايفتش؟ وما هو الشيق في حياة سيرجي إيفانوفتش؟ إن المرء يحبهما لذاتهما، ولا لحياتهما ومظهرهما، بل مرة أخرى يحبهما بسبب ذلك *الحلم* الأبدي والعميق الذي ينبثق منه إبداعهما والذي يجب أن تشعر وتتسامى نحو المثل الأعلى فيه.

إنني أشعر بأنني غير طبيعية، وغير متوازنة نفسياً. واليوم حزنت لدرجة جعلتني قادرة على قتل نفسي أو اقتراف أمر مناف للعقل، ومتطرف...

24 أكتوبر. زرت طبيب الأسنان مرة أخرى. استيقظت في وقت متأخر، وقد غمرني شعور من الكآبة، كما في الماضي، في أيام الخريف. كما لو أنه تمزقت حولي خيوط ما، وأنا عزلاء وحيدة...بلا هدف... ولا يربطني رابط بأي شيء، وبلا شغل، ولا أحتاج إلي أي أحد... جاء ماكلاكوف في المساء برفقة المحامي المعروف بليفاكو. إنه مثل جميع الشخصيات البارزة يثير الاهتمام. وهذا شأنه مثل غيره. يبدو أنه إنسان لا يحتاج المرء إلى أن يوضح له أي شيء. إنه مرهف الحس ويدرك كل شيء وجاد. رأسه عريض، وتنبجس جوزتان في جبهته، وهو عريض المنكبين، وغير جميل، لكنه ظريف، بالرغم مما يقال عنه من أشياء غير محمودة.

في المساء بدأت بكتابة الفصل الأول من الرواية. ولدي شعور بأنني أجيد كتابتها. لكن لمن سأعطيها لإصدار حكم عليها؟ بودي أن أكتبها سراً ثم أنشرها.

أشعر بألم في عينيّ وأنام يومياً حوالي ثلاث ساعات. لم ترد أية أنباء من أفراد أسرتي. بينما كتبت يوم أمس إليهم جميعاً، وبعثت النقود. وأنا أصبو إلى عدم إبداء القلق بشأن أي أحد، فقد أنفقت الكثير جداً من قوتي بالقلق على الجميع. ولا يجلب لي أحد منهم البهجة والطمأنينة...

25 أكتوبر. أود جداً رؤية ليف نيقولايفتش، وأحن إليه طوال اليوم. عزفت على البيانو خلال أربع ساعات، من أجل الترويح عن النفس. جلست فترة طويلة لدى طبيب الأسنان الذي عذبني، فقد كنت أتألم بالرغم من كل شيء بسبب الأسنان المركبة. إنني بلغت مرحلة معاناة هذا العذاب، ووجب تركيب عدة أسنان، بينما كنت أخاف ذلك للغاية...

زرت ماشا كولوكولتسيفايا وتحدثنا عن ابنتيّ تانيا وماشا، ومرة أخرى استبد بي الكرب وتمزقت نياط قلبي. في المساء زارنا بوميرانتسيف وإيجومنوف. وعزف إيجومنوف كثيراً: مقدمته، ومؤلفات سكريابين،

وفوجو باخ (للأرغن) ومقطوعة ما لبابست. كما عزف رومانسيات سيرجي إيفانوفتش تانييف ويوشا بوميرانتسيف. أنا اليوم خامدة إزاء الموسيقى، وعموماً ميالة للنوم. وأعتزم في يوم الاثنين السفر إلى ليف نيقولايفتش لكي أرافقه إلى بيروجوفو.

26 أكتوبر. رافقت ساشا وصونيا كولوكولتسوفا إلى الحفلة الخيرية التي أقيمت تخليداً لذكرى تشايكوفسكي. وذهبنا بعد ذلك إلى متحف التاريخ وشاهدنا معرض لوحات الفنانين الروس. لا يوجد بينها عمل بارز. وقد أدهشتني كثرة لوحات المناظر الطبيعية الخريفية. حقاً كان الخريف في هذا العام رائعاً. وبقيت الأوراق على الأشجار فترة طويلة، والأيام المشمسة كثيرة، والانطباع الناشئ عن الخريف أنه – ذهبي. جاء سريوجا، وكحالي دوماً لازمني شعور ما بالخجل حال دون إبداء الحنان القلبي نحوه. علماً بأنني أرغب دوماً في ملاطفته، وأن أقول له بأنني أحبه، وأتألم لمصابه. في المساء زارنا جولدينفيزر وناتاشا دين مع زوجها. عزف جولدينفيزر بشكل رائع. وعزفه أخاذ ورقيق ويتميز بذوق رفيع للغاية وعزف:Nocturne Chopin ومقطوعات قصيرة لرحمانينوف وإبداعات شوبرت Schubert à Impromti وغيرها. لقد تمتعت جداً بالعزف، وما أكثر ما لدينا من فن اليوم، وأنا في غاية الانشراح.

27 أكتوبر. انهمر الثلج، الناصع البياض، في الحديقة وتحت أشعة الشمس. لكن لا يوجد ذلك الانطلاق الفتي للطاقة الحيوية وتلك البهجة العذرية البسيطة التي يتركها *أول ثلج*.

تجولت لأداء بعض الأعمال ثم للعزف على البيانو قليلاً، وبعد ذلك بدأت الاستعداد للسفر إلى ياسنايا بوليانا.

2 نوفمبر. وصلت إلى ياسنايا بوليانا والتقيت ليف نيقولايفتش. ففي صباح 28 أكتوبر انطلقت في الزحافة من كوزلوفكا فرحة للغاية ومستعدة للحب وللعمل ومساعدة ليف نيقولايفتش. كان الجو في الصباح مشرقاً

وصافياً، وفي السماء مال نحو المغيب قمر هائل وبدت طلائع الشمس المشرقة: لقد ترك الصباح لدي انطباعاً أخاذاً وساحراً!

وعندما وصلت إلى ياسنايا لم يحالفني الحظ فوراً وتم قص جناحيّ. ليف نيقولايفتش غير رقيق الحاشية ومعتكر المزاج. ثم وقع حادث مزعج: فحين بدأت بتنظيف الغرفة، وتهيئة إحدى مصائد الفئران انغلقت علي وتلقيت ضربة في عيني بالعصا، فسقطت واعتقدت بأنني سأصاب بالعمى.

وبدلاً من الانهماك في إعادة استنساخ النصوص من أجل ليف نيقولايفتش بقيت خلال يومين ونصف واللبخة موضوعة على عيني. في اليوم التالي ذهب ليف نيقولايفتش إلى تولا على صهوة الجواد. وكانت درجة الحرارة 15 تحت الصفر، وقد أثار ذلك قلقي للغاية، بينما رقدت *لوحدي* في المبنى الحجري الكبير طوال اليوم مغمضة العينين وراودتني شتى الأفكار القاتمة حول أبنائي وموقفي من ليف نيقولايفتش ومن الأبناء.

أردت عدة مرات أن أنهض وأستنسخ، ولو بالنظر بعين واحدة، فاستنسخت مع ذلك جميع الفصل الثاني عشر من كتاب «حول الفن»، وذهبت إلى الجناح الذي يعيش فيه ليوفا ودورا لتناول طعام الغداء والعشاء، وشعرت هناك بالطمأنينة.

في اليوم التالي ذهبت مع ليف نيقولايفتش إلى بيروجوفو لزيارة سيرجي نيقولايفتش شقيق ليف نيقولايفتش. ولكن حدث عشية سفرتنا مشهد مزعج، ولد ذلك *الحز* في العلاقات بيننا، الذي لا يذهب سدى، كشخصين يحب أحدهما الآخر، بل يبعد أحدنا عن الآخر. فماذا حدث؟ هذا شيء لا يمكن إدراك مغزاه. وفي الواقع لم يحدث شيء. في النتيجة شعرت مجدداً بتلك البرودة في قلبه، التي جعلتني أنتفض ألماً مراراً في حياتي. لقد شعرت بلامبالاته التامة تجاهي وتجاه أبنائي وحياتنا. ورد على أسئلتي حول ما إذا سيأتي إلى موسكو ومتى بالتهرب من الجواب، وبشكل غير محدد. وأجاب بنفور عن رغبتي في التقرب منه أكثر، وأن أكون أكثر مودة معه، ومساعدته في الكتابة والاستنساخ وزيارته وتوفير الطعام النباتي له والعناية به، وعموماً حاول بكل السبل أن يحرمني من بهجة التفكير في أن أكون نافعة له، ناهيك عن المعاملة اللطيفة. وهذا لدينا، نحن النساء، أعز شيء: في الشعور بأننا نستطيع أن نجلب المنفعة أو المسرة إلى ذوينا.

في البداية بكيت، ثم تملكتني الهستيريا إلى الحد الأقصى الذي جعلني لا أتمنى شيئاً سوى الموت.

إن الشيء الرئيس هو أن موقف ليف نيقولايفتش البارد في التعامل معي يولد في القلب تلك الحاجة القوية للتعلق بأحد ما، وسد ذلك الفراغ، المتبقي في القلب بسبب اللطف المرفوض إزاء من يمكن أن تحب شرعاً وببساطة. إن هذه مأساة كبيرة لايفهمها الرجال ولا يعترفون بها.

وتمت المصالحة بيننا بشكل ما، عندما كدت سأفقد عقلي بسبب البلية المحتدمة والدموع. في اليوم التالي، وفي بيروجوفو، قضيت النهار كله في استنساخ نصوص ليف نيقولايفتش. وقد تبين أن كل شيء أكثر من ضروري، القبعة الدافئة التي فطنت إلى أخذها، والفواكه والتمر وجسدي وعملي في الاستنساخ. يا ربي! ساعدني إلى آخر حياة ليف نيقولايفتش في أداء *واجبي* حيال زوجي، أي خدمته بصبر وطاعة. لكنني لا أستطيع أن أخمد في أعماقي تلك الحاجة إلى علاقات المودة والعناية بهدوء التي يجب أن تسود بين شخصين قريبين.

وبالرغم من كل الألم الذي سببه لي ليف نيقولايفتش، وكيف كابدت حين علمت بأنه قطع مسافة 35 فرستاً على صهوة الجواد، وخشيت أن يصاب بالبرد ويأخذ منه التعب كل مأخذ. والآن بقي في بيروجوفا لدى شقيقه، وغادرت بيروجوفو يوم أمس. وحضرت حفلة موسيقى سيمفونية حيث عزفت بشكل رائع: سرينادا سي – دور لتشايكوفسكي بالآلات الوترية وكونشرتو شومان. ورأيت كثيراً من الناس، ولكن لم يكن بينهم سيرجي إيفانوفتش، فقد كان ما زال يعاني من الإصابة في ساقه.

تمضي الأمور بصورة طيبة لدى ساشا، لكنها فقط لا تجد لغة مشتركة مع المدموازيل أوبرت. وأبلغني ميشا بأنها تحصل على علامات الرسوب جميعاً بسبب الـ extemporale، فاحتدمت غضباً، أي بالأحرى غلبني القلق، وعاتبته لكونه يرفع صوته وهذا شيء غير طيب.

وأثار قلقي على الأخص يوم أمس عندما علمت أن سريوجا زار زوجته، فقد استدعته، ورأى ابنه الصغير، وعندما سألت ماذا جرى بينه وبين زوجته قال: «شيء قليل من هذا وذاك»، لكنه تهرب من ذكر التفاصيل حول اللقاء بينهما. وأعتقد أنه صار هادئاً أكثر.

مانيا تسعل وستسافر إلى مدينة كان خارج البلاد.

إن حياتي هنا بموسكو هادئة وأفضل، لكنني سأعود إلى بيروجوفو اليوم. وبعد غد سنسافر إلى ياسنايا حيث سأمضي يوماً واحداً، في عيد ميلاد دورا، ثم أعود في صباح يوم الخميس المصادف السادس من نوفمبر إلى موسكو، ولن أغادرها. يريد ليف نيقولايفتش أن يعيش بصورة منفصلة عني – فهذا شأنه. يجب علي أن أتولى تربية ساشا وأن أؤثر في ميشا. كما أنني لا أستطيع العيش أكثر في ياسنايا بوليانا. إن الحياة سابقاً مع الأبناء كانت طيبة، ومترعة بالمشاغل وذات محتوى، أما الآن فإنني لا أستطيع أن أكون عبدة من الرقيق كلياً، إن ليف نيقولايفتش لا يحبني كثيراً (فهو لا يحب أي شيء)، وبدون أن يتوفر لدي العمل *الشخصي* ولا الحياة والاهتمامات الشخصية. لقد هدني التعب هداً من هذه الحياة!

7 نوفمبر. لم تتحقق جميع خططي. فقد عدت إلى بيروجوفو في صباح يوم الاثنين، ولم نغادرها إلا في مساء يوم الخميس. لقد كانت حياة شقيق ليف نيقولايفتش حافلة بالمشاق. فهذا الشيخ البالغ من العمر 71 عاماً ما زال يتمتع بعقل صاف تماماً، لكنه صار طاغية في عائلته، ومبغضاً للمجتمع، ويقرأ كثيراً، ويهتم بكل شيء لكنه ينهال بالشتائم على العالم بأسره، باستثناء النبلاء. ولا تفارق لسانه الكلمات مثل: الأساتذة هم أبناء بـ ....، وأوغاد ... والتجار... قطاع طرق ومحتالون، أما الشعب فلا مجال للكلام لأن جميع الشتائم تنهال على عامة الناس. والعالم الموسيقي: هم حمقى وأنذال أيضاً... كان التواصل معه صعب للغاية. إنهم يعانون من شظف العيش، وطعامهم رديء، وبناته المسكينات الصامتات أمام الأب الطاغية يبحثن عن مجال إقامة علاقات مع الكائنات الحية في تلك البقعة المقفرة التي توجد فيها ضيعتهم. فتقوم فيرا بتقديم المصباح السحري لصبيان الفلاحين، وتعلم صبياً من الفلاحين اللغة الإنجليزية. كما أنهن يتحدثن مع الفلاحين والسراجين والنجارين عن الأمور الدينية والفلسفية. وسابقاً كان الأب يغضب لذلك، لكن الآن تتكدر الأم (الغجرية) لهذا كثيراً. كما توجد لدى البنات الثلاث بقرتان وحصان، فيقمن بإطعامها وحلب البقرتين وشرب الحليب لأنهن من أنصار الطعام النباتي.

لقد واصل ليف نيقولايفتش هناك الكتابة، بينما انشغلت طوال اليوم في الاستنساخ. وفي المساء عزفت لهن على آلة بيانو مختلة الأوزان، وسر الجميع لذلك. فهم لم يسمعوا الموسيقى منذ وقت بعيد.

لقد اعتزمنا الرحيل في يوم الثلاثاء، لكن هطل المطر، وكثرت الأوحال فبقينا. وفي اليوم التالي هبت رياح شديدة، فخشيت أن يصاب ليف نيقولايفتش بالبرد، وبقينا مرة أخرى. لكن في المساء بلغ ضجري ذروته، فقررنا الرحيل إلى ياسنايا. كانت الرياح ما زالت شديدة، بينما مضى ليف نيقولايفتش على صهوة الجواد مسافة الـ35 فرستاً كلها بحيوية وبمزاج مرح. أما أنا فقد ركبت عربة عتيقة وغلبني القلق عليه أكثر من أي وقت مضى. وبدت لي *كافة* الاهتمامات والارتباطات والخيالات في الدنيا تافهة أمام خشيتي من إصابته بالبرد ومرضه واحتمال أن أفقد زوجي!

وصلنا إلى البيت في غضون ثلاث ساعات، والحمد لله لم نصب بالبرد. وفي ياسنايا استقبلنا ليوفا ودورا بلطف، وبدت لي ياسنايا بوليانا بمثابة الجنة بالقياس إلى بيروجوفو! تناولنا طعام الغداء لدى ليوفا، وفي المساء أشعلنا نار الموقد عندنا. أجرى ليوفوتشكا تعديلات على الفصلين 12 و13، وأعطاني إياهما لإدخال التعديلات بنسختين.

شربنا الشاي سوية نحن الاثنين بمرح. وتساقط صباح اليوم ثلج خفيف، بلا رياح. وغمر الزمهرير المكان في الهواء النقي. كما شربنا القهوة سوية، وقمنا بتنظيف وترتيب غرفتينا، وتلقينا رسائل من جميع الأبناء والبنات تقريباً وابتهجنا لذلك. طالعنا الصحف، ثم ذهبت بالزحافة العتيقة مجدداً إلى محطة ياسينكوفسكايا ومنها إلى موسكو. وودعت ليف نيقولايفتش بمودة، وحتى شكرني لمساعدته كثيراً، في استنساخ المقالة «حول الفن». واليوم أرسلنا الفصلين 12 و13 إلى إنجلترا إلى مود من أجل ترجمتهما. وبقي مع ليف نيقولايفتش مجدداً ليوفا ودورا ونساخه القديم الملازم أول المتقاعد ألكسندر بتروفتش إيفانوف. وكان قد جاء إلينا قبل 19 عاماً بعد أن ساءت أحواله المالية ولفقره، ومن ثم بقي عندنا ليعمل في استنساخ مقالات ليف نيقولايفتش في الفترة بعد تحوله الأخلاقي.

واصلت في عربة القطار في الطريق قراءة سيرة حياة بيتهوفن، والتي

أثارت اهتمامي للغاية. إنه أحد العباقرة الذين يغدو مركز العالم بأسره متجسداً في عبقريتهم وإبداعهم - أما بقية العالم - فهو الوضع العائد إلى العبقري (Accesoire). وقد عرفت عن طريق بيتهوفن بشكل أفضل روح الأنانية لدى ليف نيقولايفتش ولامبالاته حيال الجميع. وبالنسبة له فإن العالم يتمثل أيضاً بما يحيط بالعبقري، وإبداعه. *إنه* يأخذ من كل ما يحيط به فقط ما يخدم العناصر الخدمية لموهبته، ولعمله. بينما يترك كل ما عدا ذلك. فهو يأخذ مني عملي في مجال الاستنساخ، وعنايتي بالجانب الفيزيقي لحياته، وجسدي... بينما لا يهتم البتة بالجانب الروحي لحياتي، ولهذا لم يحاول الإلمام به أبداً. كما قدمت البنات الخدمات إليه أيضاً، وعندئذ أبدى الاهتمام بهن، أما الأبناء فهم غرباء بالنسبة إليه تماماً. وهذا كله مصدر ألم لنا، والعالم ينحني إجلالاً لمثل هؤلاء الرجال.

وجدت بموسكو الكثير من المشاغل المتعلقة بنشر الكتب والأمور المصرفية، وكلها تبعث على السأم. وفرحت ساشا وميشا لمجيئي جداً، لكن أمورهما ليست طيبة، فهما يتخلفان في الدراسة، بينما تواصل ساشا التعامل بخشونة مع المربيتين.

وجدت الفرصة مساء اليوم للعزف على البيانو أيضاً...

10 نوفمبر. رجعت اليوم من تفير حيث زرت أندريوشا. وكنت قد سافرت إلى هناك صباح يوم أمس. استقبلني أندريوشا عند البوابة، إذ كان ينتظرني منذ الصباح وأعرب كحاله دوماً عن فرحه برؤيتي. وقد أصيب بحروق بحامض الكربوليك وبقي راقداً في الفراش خلال ثلاثة أسابيع. والآن التأمت كافة الجروح. وقضينا معاً يوماً طيباً جداً. وكنت أعمل بينما جلس إلى جانبي وتحدث عن أمور خاصة كثيرة وعن حياته الشخصية. ويبدو أن الحياة قد أعادت أندريوشا إلى الصواب وطورته. فهو أنيق ونظيف المظهر ولا يعاقر الخمر، وبعيد عن حياة التعطل لذلك فهو منشرح الصدر ولطيف المعشر. وبإلحاح منه سأسعى إلى إرساله إلى فوج سومسكي بموسكو.

إن الطريق كانت ستغدو متعبة لولا سيرة حياة بيتهوفن التي أطالعها بولع شديد. إن حياة كل إنسان ممتعة بحد ذاتها، لاسيما حياة رجل عبقري كهذا!

تلقيت رسالة وبرقية من تانيا. إنها بقيت في يالطا بسبب مرض الصغير أندريوشا (حفيدي). وستصل فيرا كوزمينسكايا وأنا فرحة بذلك.

تلقيت رسالة من ليف نيقولايفتش. ويكتب فيها أنه ينهي تماماً كتابة مقالة «حول الفن» ويريد أن يبدأ بكتابة عمل جديد. وكتب أيضاً: فكرت فيك *وفهمتك(؟)* ورثيت لحالك. أولاً، *كيف* فهمني. فهو لم يبذل جهده أبداً لكي يفهمني، وهو لا يعرفني. وعندما سألته عما ينبغي أن أطالع من الكتب ذكر لي ما يحظى باهتمامه وليس ما يجلب الاهتمام والنفع لي. وقد ساعدني كثيراً في هذا المضمار أي المطالعة الأمير ل.أورسوف، والآن يساعدني سيرجي إيفانوفتش. وعندما أكون بمزاج عكر لسبب ما، يعزو ذلك إلى عسر الهضم (علماً بأنني لا أعاني من هذا)، وعندما أرغب في الحصول على شيء ما أراه إما يتجاهل رغبتي أو يقول إنها نزوة من نزواتي وإنني مهمومة النفس. والآن أجده *يفهم شيئاً ما في ويرثي لي*. إن هذا الرثاء فيه الكثير من الإهانة وأنا لا أريده. وإذا لا يوجد الحب الصادق والحقيقي والودي والنقي، فلا حاجة لي إلى أي شيء، فقد تصلب عودي وبوسعي أن أجد بنفسي البهجة ومغزى الحياة.

11 نوفمبر. زرت مدرسة الليسيه لمعرفة أحوال ميشا، فسمعت هناك التهجمات الشديدة عليه لخموله وسلوكه السيئ. كم أنا تعيسة لأنني طوال حياتي أسمع فقط التقريعات والإهانات لأبنائي، وأكابد وأحمر خجلاً أمام جميع المدراء والمعلمين.

بينما توجد أمهات سعيدات يسمعن كلاماً غير هذا. وفي البيت جرى مرة أخرى حديث ثقيل مع ميشا، وأنا قررت عمل كل ما في وسعي من أجل إلحاقه كلياً بالليسيه. وقد أبدى معارضة لكنني أصررت على رأيي.

خرجت لأداء بعض الأعمال، ثلج رطب، رياح. في المساء عزفت بلا فائدة، ولكن باهتمام سوناتا بيتهوفن. أطالع باهتمام بالغ سيرة حياة بيتهوفن، هذا الموسيقار العبقري. جاءت فيرا كوزمينسكايا، ولم أعد أشعر بالوحدة. علماً أنني لست وحيدة: ففي أعماقي عالم الحياة الجديدة كله، ولست بحاجة إلى أي أحد وأي شيء من أجل *التسلية*. أنا سعيدة لرؤية أهلي

وسعيدة لعودة تانيا وليف نيقولايفتش، لكنهم جميعاً لا يضيفون المزيد من أجل سعادتي النفسية. وا أسفاه! بل بالعكس...

12 نوفمبر. ذهبت مع ساشا إلى الكونسرفتوار لحضور أمسية موسيقية. ولم تكن الأمسية متعبة بل طيبة. وتتعلم هناك عازفات بيانو ممتازات. وكان المدير سافونوف لطيفاً جداً، واقتادني في فترة الاستراحة، ودعاني إلى مكتبه، وقدمني إلى بروفيسور أجنبي هو الموسيقي ريتر، واضطررت للتحدث معه بالألمانية. وزارتني مدام دين، وإلا فإنني لا ألتقي أحداً. في الصباح كنت في الحمام. ولا أريد رؤية أي أحد.

13 نوفمبر. خرجت لشراء الحاجيات من أجل دورا، وكتبت لها رسالة، وأخذت أول درس في الموسيقى لدى مس ويلش. أشعر اليوم بالكآبة وأود أن ألقى المعاملة الودية من جانب من أحب.

زارتني فيرا تولستايا. وفيرا كوزمينسكايا تعيسة بسبب علاقتها السيئة بأبيها. ذهب ميشا إلى المسرح. بينما تعد ساشا الدروس. سأصعد إلى الطابق العلوي وأعزف، وستكون الأمور أيسر، وإلا فإنني بمزاج عكر.

عزفت كثيراً، طوال المساء، بلا فائدة. ما أعظم المتعة الأبدية في موسيقى بيتهوفن!

14 نوفمبر. أجريت منذ الصباح حسابات مملة مع ممثل التعاونية. وفي المساء جاء أ.ماكلاكوف وعزفنا عزفاً ثنائياً بأربع أيد، لكنه ضعيف جداً. وجربنا سيمفونية مندلسون وسيمفونية شوبرت (سيمفونية تراجيدية رائعة) ومقدمات مندلسون، وجرى عزفها جميعاً بشكل غير موفق، وقد أردت لعجزي أن أعزف أي شيء بصورة جيدة.

جاء أندريوشا لقضاء يومين معنا. وقد شعر بالوحدة والكآبة بعد رحيلي من تفير، ولهذا جاء بعد أن حصل على رخصة من قائد سرية الخيالة. استلمت رسالة طيبة من ليف نيقولايفتش.

تلقت فيرا كوزمينسكايا رسالة من أمها تذكر فيها أن «م» الذي أحبته

سيتزوج. فبكت كثيراً وكانت تعيسة عموماً. إن علاقتها مع والدها سيئة، ويوم أمس بكت لدى قراءة رسالته.

درجة الحرارة 10 تحت الصفر، ثم 7 درجات ونصف، ورياح. لم أغادر البيت اليوم. وغداً يوم الموسيقى السيمفونية...

15 نوفمبر. اليوم كله في الموسيقى، ولكن المتعة قليلة. في الصباح حضرت البروفات مع فيرا وساشا. ولم أرغب جداً في النهوض والذهب معهما، لكنني فعلت ذلك من أجلهما. وبعد الظهر عزفت بنفسي بعض التمارين. زارنا ميشا أولسوفييف، وسأل عن تانيا وسوخوتين. فقلت له إنها رفضت طلبه يدها. كلمة بكلمة، ودار الحديث عنها بمختلف التلميحات، وانفعل ميشا جداً. وفكرت هل إنه فكر بالزواج منها؟ حقاً، فكر، لكنه لم يقدم على ذلك. وقال: «إن بناتك متقدات بالعواطف وجميلات وموهوبات وأريبات، لكن الزواج بهن ينطوي على الخطر البالغ». انفعلت بدوري جداً.

تناول طعام الغداء عندنا كل من بوراتينسكايا والعم كوستيا. وفي المساء جاء أصدقاء ميشا، بينما ذهبت إلى حفل الموسيقى السيمفونية. وعزفت هناك ألحان «الحفلة التنكرية» لجلازونوف و«هارولد» لبرليوز و«اندانته» لروبنشتين، وأنشدت مغنية جيدة أغاني جريج وشيئاً من هاندل. ولكن عموماً كانت الأمسية باعثة على السأم. ويزعجني في ميشا ضعف إرادته. في الصباح طلب المغفرة بشكل مؤثر يتسم بطيبة القلب. وماذا بعد! كم إن هذا مؤلم، مؤلم!

إن عدم مجيء ليوفوتشكا يبعث لدي الحزن والكآبة. أنا لا ألتقي س.أ.تانييف، فساقه مريضة، وأنا لا أزوره، لأنني لا أريد إزعاج ليوفوتشكا، ولو أنني غالباً ما أشعر بالحزن لكونه لا يعيش معي ويبتهج لعزلته بدوني، بينما تضيق علي الخناق أفعالي وارتباطاتي. فما قيمتي بالنسبة له، إذا لم يكن معي؟

16 نوفمبر. مرة أخرى أمضيت اليوم كله في أجواء الموسيقى. في الصباح راجعت الحسابات ودونت، ثم عزفت خلال ساعتين ونصف الساعة. ولم أوفق في أداء الابتكار الثامن لباخ. وبعد الغداء راجعت سيمفونية شوبرت

وعزفت سوناتا بيتهوفن. ثم جاء جولدينفيزر ودونايف وفاريا ناجورنوفا. قرأ دونايف لنا قصة لتشيخوف، بينما عزف جولدينفيزر سوناتا «أباسيوناتا» لبيتهوفن ومقدمات ومقطوعة حزينة «نوكتيورن» لشوبان، وكان عزفه جيداً جداً. أنا أحب عزفه الأخاذ والمتسم بالذكاء، ولو أنني أتذكر كيف عزف هذه السوناتا تانييف، والفرق شاسع بينهما كالمسافة بين الأرض والسماء! آه، كم أود أن تتحقق رغبتي الجامحة في أن أستمع مجدداً إلى عزف هذا الرجل... يا ترى هل إنها لن تتحقق *أبداً!* عندما انصرف جولدينفيزر جربت مع فاريا عزف «السيمفونية التراجيدية» لشوبرت، ولكننا توقفنا عن ذلك حالما بدأنا. فنحن عزفنا بإلهام أكثر مما بمقدرة حرفية. ومن أين لنا بها. وكنا كلانا في ابتهاج؟ فاريتشكا الطيبة والعزيزة والرقيقة والموهوبة والمتعاطفة مع الجميع.

سافر أندريوشا. إنني أشفق عليه دوماً. ذهب ميشا إلى حفل الغجر. بينما كانت ساشا تتراكض وتلعب مع صونيا كولوكولتسيفا. لم ترد أية أنباء من أي أحد اليوم، ولم أغادر البيت اليوم. ثلوج، والبرد بلغ نقطة التجمد.

19 نوفمبر. تلقيت الدرس الثاني في الموسيقى لدى مس ويلش، ولم أستطع ترك آلة البيانو فواصلت العزف طوال أربع ساعات أخرى. وتملكتني رغبة شديدة في العزف مع أحد ما عزفاً ثنائياً بأربع أيد السيمفونية الناقصة لشوبرت، لكن لم يوجد أحد. فقد كانت فيرا كوزمينسكايا في حالة هستيريا وتعيسة جداً. بينما كان سريوجا في نوبة سعال ومشغول مع ستيوبا في شراء ضيعة ما، وهو أمر لا يعجبني البتة. وردت رسالة من ليف نيقولايفتش يذكر فيها أنه بالرغم من شوقه إليّ يريد الانعزال وحيداً من أجل العمل، فهو عجوز وبقيت لديه فترة قصيرة من أجل الكتابة. ربما أن هذه الحجج بالنسبة للبشرية مهمة جداً، لكنها تعني بالنسبة لي شخصياً، لابد من بذل جهود كبيرة من أجل الاعتقاد بأن كتابة المقالات أهم من حياتي، وحبي ورغبتي في العيش مع زوجي، والشعور بالسعادة في ذلك، وليس البحث *خارج* هذا الموضوع.

في المساء زرت العمة شيلدوفسكايا، وقد بلغت 72 عاماً من العمر، والحديث معها يبعث على الضجر، لكنني غالباً ما أتصور نفسي وحيدة في هذا العمر فيصيبني الرعب.

الأرض مغطاة بطبقة من الجليد، والسير فوق الطريق الزلق يولد الضنى، يوم أمس هطل المطر، واليوم تجمد كل شيء ويتألق الجليد تحت أشعة الشمس نهاراً وتحت ضوء القمر ليلاً.

الآن طالعت البخت بواسطة ورق الكوتشينة، فحصلت مرتين على نتيجة *الموت*. وفجأة فزعت من احتمال موتي، بينما كنت أتمناه منذ فترة قصيرة. حسناً، لتكن إرادة الرب! الأمر سواء فيما إذا مت إن عاجلاً أو آجلاً.

23 *نوفمبر. موسكو. زقاق خاموفنيتشيسكي*. أبدأ التدوين من يوم شاق، وعلى كل حال إن المصائب أكثر من المسرات في هذه الدنيا. مساء يوم أمس جمع أندريوشا وميشا حشداً كبيراً من الصبيان وذهبوا لمراقبة شبح في مبنى خيلكوفا في شارع آربات. وقد غابوا بهذه الحجة الليل كله، وعادوا إلى البيت في الساعة التاسعة صباحاً. بينما كنت أنتظرهم طوال الليل وحتى الساعة الثامنة صباحاً، وقد ساورني القلق وكدت أن أفقد أنفاسي فحسب. وبعد ذلك بكيت وغضبت وصليت... وعندما استيقظت (في الساعة الواحدة بعد الظهر) ذهبت إليهما وعنفتهما، وبعد ذلك أجهشت في البكاء، وأصبت بتشنج في القلب والبلعوم، فرقدت في الفراش طوال اليوم، والآن أصبحت محطمة روحاً وجسداً.

أما الصبيان فقد لزما الهدوء، وبالأخص ميشا الأصغر سناً، ولذا فإن ضميره أكثر نقاءً. وردت رسالة من ليوفا يعرب فيها عن انزعاجه لأن والده يجادل بعنف ويصرخ وينفعل.

تلقيت برقية من تانيا من سيفاستوبول يوم أمس تعلن فيها أنها ستعود إلى البيت. لا بد أنها ستفعل أمراً ما! بينما المسكينة ماشا لم تبرأ من المرض، إنها ما زالت ضعيفة ومريضة. لقد استلمت رسالة منها. وسريوجا هادئ وظريف جداً بعقله وبموهبته الموسيقية وبلباقته وتأدبه.

زمهرير وثلوج. أقرأ الجزء الثالث من سيرة حياة بيتهوفن التي أثارت إعجابي. تلقيت درساً آخر، الثالث، في الموسيقى والآن، من الساعة 11 وحتى الساعة 1، أواصل التمرين على البيانو.

24 نوفمبر. ذهبت في الصباح إلى الليسيه[1] لمقابلة المدير بصدد ميشا. فطلب مجدداً تقديم الامتحانات بصورة كاملة، ومرة أخرى بدأت بإقناع ميشا، ومحاولة التغلب على عدم موافقته، وفقدت القدر ة على عمل أي شيء.

قدمت إلى مجلس الدوما طلب ميشا من أجل الالتحاق بالخدمة العسكرية غير الإجبارية. ثم سلمت مقالة ليوفا إلى صحيفة «روسكويه فيدوموستي» - مترجمة من اللغة السويدية.

بعد عودتي استبدلت ملابسي وخرجت لتقديم التهاني لدونايفا ودافيدوفا ويرمولوفا بمناسبة عيد القديس شفيعهن. أنا أحب هذا الألق في المجتمع الراقي، والملابس الفاخرة الجميلة، والزهور الكثيرة، وأسلوب الكلام والسلوك الناعم واللبق والمتأدب. وكالعادة دائماً، وفي جميع مراحل عمري، أبدى الجميع دهشتهم لكوني أبدو شابة بشكل غير اعتيادي. وكان إيستومين لطيفاً معي للغاية. ولدى عودتي عزفت طوال ساعة ونصف على البيانو. وفي المساء جاء رايفسكي وشقيقه بيتيا مع ابنته. وفي الليل من الساعة الثانية عشرة وحتى الثانية بعد منتصف الليل عزفت مجدداً. أود تحقيق تقدم بينما لا أجد الوقت لذلك. وقد عزف سريوجا بصورة جيدة جداً. درجة الحرارة 10 تحت الصفر، طلع القمر.

لم يزرني سيرجي إيفانوفتش ولو مرة واحدة. ربما سمع شيئاً ما حول غيرة ل. ن. وفجأة غيّر علاقات الصداقة معي إلى علاقات باردة واغترابية تماماً. كم إن هذا محزن ومؤسف! وليس بوسعي أن أفسر بغير هذا برودته وعدم زيارتي. وهل كتب ل.ن. له شيئاً ما؟

25 نوفمبر. عادت تانيا من يالطا، وقد تعافت روحاً وجسداً. جاء إيليوشا، وكالعادة لطلب النقود. وفي المساء جاء سيرجيينكو وديني، صخب، وأحاديث، وهدني التعب. لقد ضاع اليوم عبثاً: لا عزف، ولا شغل، ولا مطالعة، لا شيء. خرجت للتسوق، أرسلت ساعة إلى أندريوشا بمناسبة عيد القديس شفيعه، وأرسلت الحلوى إلى الأحفاد، واقتنيت تذاكر للحفلات الموسيقية.

---

1 - المدرسة الثانوية. (المترجم)

قالت تانيا إن ل.ن. يتحدث عن الحياة بموسكو باعتبارها *انتحاراً*. ويبدو الأمر كما لو أنه يأتي إلى موسكو لخاطري، ومعنى ذلك أنني أقتله. هذا أمر فظيع! وقد كتبت له عن هذا الأمر كله، ورجوته ألا يأتي. إن رغبتي في العيش معه تنبعث من حبي له، بينما هو يطرح المسألة كما لو أنني *أقتله*. يجب علي أن أعيش هنا من أجل تربية أولادي، بينما هو يلومني على ذلك دائماً!أوه، كم تعبت من الحياة!

26 نوفمبر. أمضيت اليوم كله في المسارح. في الصباح اصطحبت معي ساشا وفيرا كوزمينسكايا وجينيا بيرس إلى مسرح كورش لمشاهدة عرض مسرحية «ذو العقل يشقى بعقله...»[1]. كان التمثيل رديئاً جداً وشعرت بالسأم. وفي المساء رجتني تانيا مرافقتها لمشاهدة الممثلة الإيطالية تينا دي لورنتسو. إنها حسناء إيطالية بمزاج إيطالي لكن لم يكن شيقاً مشاهدة وسماع أداءها نظراً لعدم معرفتي اللغة والمسرحية «Adrienne Le couvreur». لقد تعبت جداً، ولم أعزف تقريباً اليوم، وبودي الآن الجلوس في البيت.

جاء شقيقي بيتيا مع ابنته ودونايف وسوليرجيتسكي. الجو بارد جداً، ريح، ظهر احمرار في بلعوم ميشا.

27 نوفمبر. كان اليوم طيباً. في الصباح تلقيت الدرس الرابع في الموسيقى لدى مس ويلش، ثم ذهبت معها في الترام الذي تجره الخيول إلى ياكيمانكا، وعرجت على بيت عائلة روساكوف فلم أجدهم هناك. لدى عودتي طالعت، أو بالأحرى أعدت قراءة الجزأين الأول والثاني من سيرة حياة بيتهوفن، ثم عكفت على كتابة روايتي التي لم تعجبني جداً، ثم قرأت كتاب سينيكا «Consolation à Marcia». أنا أحب هذه الرسالة فهي تبعث فيّ الهدوء. وبعد الغداء أردت أن أعزف مع ميشا سوناتا موزارت للكمان، لكن جاء سريوجا، فأجلسته وراء البيانو نفسه. وقد سررت كثيراً عندما أمسك

---

1 – مؤلف المسرحية الشاعر والدبلوماسي والكاتب الروسي ألكسندر جريبويدوف (1795 – 1829) الذي اغتالته الدهماء في طهران حين كان يترأس البعثة الدبلوماسية الروسية هناك. (المترجم)

ميشا الكمان بيديه مجدداً، وكان شيئاً ساراً مشاهدة الأخوين، وهما يمارسان الفن المحبوب لدي. إن ميشا صار يعزف بشكل أسوأ، لكنه لم ينس العزف كلياً. أدعو الرب أن يجعله يمارس العزف مرة أخرى. وليعرف مدى ما يبعث ذلك السرور والسلوى لدي!

لا توجد أنباء من ليف نيقولايفتش. يطغى على قلبي حزن صامت واهتمام بشأنه، لكن يوجد إلى جانبه شعور ثقيل الوطأة بأنه يعيش طوعاً بعيداً عن العائلة، وتخلى بكل صراحة عن التعاطف مع أفراد العائلة ورعايتهم. لن أكتب له أكثر، وأنا لا أستطيع أن أحيا بهذه الصورة الانفرادية والتواصل عبر الرسائل فقط. أنا أشتاق جداً إلى سيرجي إيفانوفتش. أنا لا أعرف شيئاً عنه، فهل هو معافى أو فيما إذا كتب شيئاً إلى ل. ن. وإلا يبدو غير مفهوم سبب عدم زيارته لي ولو مرة واحدة. عزفت كثيراً على البيانو، وإجمالاً أربع ساعات، وقد بعث ذلك الهدوء جداً في أعماقي.

أنا أحيا مع بيتهوفن طوال هذه الفترة: بأفكاره وروحه وأصواته وصرت أحبه أكثر فأكثر وأعجب به عن وعي وبشكل مغاير جديد نوعاً ما.

29 نوفمبر. تلقيت يوم أمس رسالة طويلة وطيبة ورشيدة من زوجي. وقد بذلت جهدي لاستكناه مغزاها. لكن انبعثت منها برودة تتسم بالسخرية، مما أثار حزني وكدري. وأنا غالباً ما أنسى بأنه سيبلغ قريباً السبعين من العمر، وعدم توافق عمرينا ودرجة الهدوء لدينا. ومما يزيد من الطين بلة ويعيقني كذنب مظهري الفتي وروحي الفتية. ويحتاج ل.ن. الآن إلى *الهدوء* أكثر من أي شيء آخر. بينما أنتظر منه الشوق بالمجيء ورؤيتي والعيش سوية معي. وفي اليومين الأخيرين أشتقت كثيراً إليه وكابدت الرغبة المؤلمة في رؤيته. لكنني تحملت ذلك مرة أخرى، وطقطق شيء ما في قلبي وانغلق...

أمضيت النهار كله اليوم في الموسيقى. في الصباح ذهبت مع ساشا لحضور بروفة الحفلة السيمفونية، وفي المساء ذهبت إلى الحفلة الموسيقية مجدداً. وتم عزف السيمفونية التاسعة لبيتهوفن، وقد تمتعت بذلك كل المتعة. وتمتعت أيضاً بسماع مقدمة «أوبيرون» لفيبر. كما شعرت بالارتياح لمقابلة س.أ. وسررت بذلك جداً. وسيأتي غداً لتناول طعام الفطور، وذلك

بطلب منه، لكنني لا أستطيع القول إنني مسرورة: فالوقت قصير جداً عندئذ. وكانت تراودني الرغبة في أن أحيا معه فترة طويلة، كما عشنا خلال موسمي الصيف آنذاك، والشيء الرئيس الإصغاء إلى عزفه! تناول الغداء عندنا ألكسي ستاخوفتش. مرة أخرى أتألم بسبب تانيا: فهو وكذلك هي في حالة اضطراب معاً، وهو وسيم جداً وأنشد اليوم سيرينادا دون جوان بكل انفعال.

أعيد قراءة سينيكا كما أواصل مطالعة سيرة حياة بيتهوفن. إنها طويلة، والوقت المتوفر لدي قليل.

30 نوفمبر. جاء س.إ. لتناول طعام الفطور، وجلب معه روح المرح والهدوء واللطف إزاء الجميع. وقد راقبت موقفه من تانيا ولم أستطع ملاحظة أي شيء.

وزارتنا سافونوفا وابنتاها لزيارة ساشا، كما جاءت صونيا كولوكولتسيفا. ولعبت البنات بمرح في الحديقة وبممارسة التزلج. ثم جاء ماكوفتيكسي من ياسنايا وحدثني بلغة روسية ركيكة عن أن ل.ن. منشرح الصدر ويعمل كثيراً، ويرسل مقالة طويلة وطويلة إلى «سيفرني فيستنيك». أنا لم أصدق ما سمعته، وطلبت منه أن يكرر ما قال فكرره بكل سرور.

حدث قبل ثلاثة أعوام تقريباً، وقبل أسبوعين من وفاة فانتشكا، شجار سخيف وعنيف بيني وبين ل. ن. لأنه أعطى خفية القصة القصيرة الرائعة «السيد والعامل»، ليس لي تلبية لطلبي، وليس إلى ستوروجينكو تلبية لطلبه، (من أجل دعم الأدباء الفقراء)، بل إلى جوريفتش لنشرها في مجلتها. وبالرغم من أنني دافعت عن حقوقي من أجل إصدار المجلد الرابع، وحق الإصدار في «بوسريدنيك»، فقد نشرنا هذه القصة في آن واحد مع جوريفتش، مما أثار غيظها للغاية، ولكن هذه القصة كادت يومذاك أن تجعلني أفقد حياتي أو صوابي. عندئذ أعطاني كلمة شرف بألا يجعلني أبداً أكابد من ألم تذكر هذه الواقعة، *وعدم نشر أي شيء في مجلة «سيفرني فيستنيك»*. فهل إن كلمة الشرف، أو مجرد الوعد، لا تعني شيئاً بالنسبة له؟ وأردت أن أبعث له برقية، من أجل تذكيره بكلمته، لكنني عدلت عن ذلك. إنني كابدت اليوم مجدداً من استعادة قصة الماضي، وجميع الآلام والمعاناة.

في اللحظة الأولى أردت أن أنتحر، ثم أردت أن أرحل بعيداً، فقد تعبت، ولم أتناول اليوم كله شيئاً من الطعام، وغفوت في غرفة الاستقبال، حيث لا ينام المرء إلا عندما تداهمه مصيبة كبرى أو بسبب شدة الانفعال، وهمدت كالصخرة.

لا يمكن الكتابة، وبالأخص الآن، عن كل مأساوية حياتي وعلاقاتي القلبية، وحبي حيال ل.ن.

10 ديسمبر. مضت عشرة أيام منذ أن دونت يومياتي. فماذا حدث؟ من الصعب جمع كافة الأحداث، لاسيما وأنها كانت صعبة كما تكشفت لي أمور جديدة كثيرة أليمة. وسأحاول تذكر كل شيء.

في 2 ديسمبر ذهبت إلى الحفلة الموسيقية «أمسية بيتهوفن». وعزف آور ودالبير أربع سوناتات مع الكمان. وكانت المتعة كاملة، وهدأت روحي لفترة من الوقت. لكنني رأيت في الصحف في اليوم التالي إعلاناً تعلن فيه «سيفرني فيستنيك» عن مقالة ل.ن. علاوة على ذلك تشاجرت تانيا معي حيث لامتني على علاقة ما مع س.إ.، بينما أنا لم أره طوال شهر كامل. وقد شعرت بالإهانة البالغة. إن أهلي يعرفون دوماً كيف يجعلوني دوماً مذنبة بلا ذنب، إذا لم أفعل ما فعلته طوال حياتي، لم أخدمهم كالعبدة وألبي جميع طلبات العائلة، واخترت طريقي الخاص بي، كما اخترت الآن دراسة الموسيقى. وهذا ذنب برأيهم!

ففي اليوم التالي تلقيت برقيتين من دورا وليوفا يبلغاني بقدومهما، من دون ذكر أي شيء عن ل.ن. وكما أبلغني فيما بعد فإنه لم يأت بسبب الغيرة من سيرجي إيفانوفتش(أية غيرة هذه في عمرنا، وفي أغلب الظن إنها *الحسد، لكوني أحببت فناً آخر وليس أدبه فقط*، وبمعونة شخص غريب، وليس بمعونته هو).

انتظرت ل. ن. بفارغ الصبر. وكنت مستعدة للكتابة إليه، وخدمته بكل السبل، وإعلان حبي له، وعدم جلب أية إساءة إليه، وعدم لقاء س. إ. إذا كان ذلك يسبب له الألم. لكن أصابني القنوط الشديد عندما علمت بأنه لن يأتي إليّ (إلى موسكو)، بعد مضي شهر من الفراق، كما سمح بنشر مقالته

في «س. ف.». فجمعت حاجياتي وقررت الرحيل إلى مكان ما. وعندما جلست في العربة لم أكن أعرف بعد إلى أين سأذهب. فجئت إلى محطة بطرسبورغ، وأردت السفر إلى بطرسبورغ، وأخذ المقالة من جوريفتش. لكنني عدلت عن ذلك وسافرت إلى دير ترويتسا. جلست وحيدة في الفندق مساء، وصامتة كالحجر أمام شمعة واحدة في غرفة قذرة، وكابدت من كل مرارة الملامات إلى لامبالاة زوجي إزاء حياتي وحبي. وأردت أن أهدئ خاطري بأنه لا يجوز انفعال الأحاسيس في سن السبعين تقريباً ولكن لم هذا الخداع وإقامة علاقات خفية عني وإرسال المقالة إلى «س.ف.»؟ وفكرت بأنني سأفقد عقلي.

عندما رقدت وغفوت أيقظتني أصوات المربية وتانيا والطرق على الباب. وقد حزرت تانيا لسبب ما بأنني سافرت إلى ترويتسا بالذات، وتملكها القلق وجاءت إليّ. وقد شعرت بالامتنان لذلك، لكن هذا لم يغير وضعي في القنوط. وأبلغتني تانيا بمجيء دورا وليوفا وأن ل.ن. سيصل في اليوم التالي. لكن حتى هذا لم يؤثر فيٍ. فقد انتظرته طويلاً جداً وبشوق، وحينئذ تمزق شيء ما في أعماقي مجدداً، وأصبحت أتعامل بلا مبالاة مع الجميع.

سافرت تانيا، بينما ذهبت لحضور القداس الإلهي. وأمضيت يومي كله (تسع ساعات) في الكنيسة. وصليت بحرارة من أجل ألا أقترف خطيئة بالانتحار أو الانتقام لما أعانيه من الآلام التي يسببها لي زوجي باستمرار، وصليت من أجل أن أمتثل للطاعة، وأن تحدث معجزة من شأنها أن تجعل علاقاتي بزوجي صادقة حتى النهاية، وتتسم بالمحبة، وصادقة. وصليت من أجل شفاء روحي المريضة.

كان اعترافي أمام الرب، لأن مرشدي الروحي الإسكيم فيودور، قد بلغ من العمر أرذله، لدرجة أنه حتى لم يفهم كلماتي، وصار ينشج بلا توقف بسبب نرفزته وضعفه. كان ثمة شيء غامض وشاعري جداً في صيامي هذا، وفي الممرات الحجرية والمحاريب وعامة الناس، والرهبان الذين يتجولون في كل مكان، والصلوات والقداس الإلهي المديد والوحدة التامة وسط حشد المصلين الذين لا يعرفونني. ولدى عودتي في المساء طالعت فترة طويلة الفروض والصلوات في كتاب وجدته في الفندق. وفي صباح اليوم التالي قمت بطقس

تقديم القربان المقدس في كنيسة ترابيزنايا. وكان يصادف يوم عيد اعتلاء القيصر للعرش (6 ديسمبر)، وتم إعداد مائدة فخمة للغداء في الدير: أربعة أطباق سمك، وجعة، وعسل. أما الأواني: فهي أطباق وأقداح من القصدير، وغطيت الموائد بشراشف، وتولى الخدمة طلاب رهبنة يرتدون صديريات بيضاء.

وبعد أن أنهيت الوقوف في القداس الإلهي خرجت للتجول في الدير. ولحقت بي غجرية في الساحة وقالت: «يعشقك رجل أشقر، ولكنه لا يتجاسر على الاقتراب منك، فأنت سيدة معروفة ورفيعة المقام، ومتنورة ومتعلمة، بينما هو ليس في منزلتك...أعطني روبلاً و6 جريفينات، وسأخلب لبه بالسحر: اتبعيني، الجميع يعرفون ماريا إيفانوفنا، وبيتها.سأخلب لبه، وسيحبك مثل الزوج...».

وأصابني الفزع وأردت أن أتناول منها السحر. لكنني عندما رجعت إلى غرفتي، رسمت علامة الصليب وأدركت مدة سخافة وخطيئة هذا كله.

لدى عودتي إلى الفندق، شعرت بالحزن. ولم ترد برقيات من تانيا حول وصول ل.ن. وبعد تناول الطعام ذهبت إلى مكتب التلجراف فوجدت هناك برقيتين: واحدة من تانيا، والأخرى طويلة ومؤثرة من ل.ن. يدعوني فيها للرجوع إلى البيت.

فتوجهت فوراً إلى القطار.

استقبلني ليف نيقولايفتش في مدخل البيت والدموع تنهمر من عينيه. فتعانقنا. وقد وافق (كما أبلغني بذلك في البرقية عبر تانيا) على عدم نشر المقالة في «سيفرني فيستنيك»، بينما وعدته بألا ألتقي س.ن. عن قصد، وأن أخدم ل.ن. وأرعاه، وأعمل كل شيء من أجل سعادته وراحته.

جرى بيننا حديث طيب جداً، وكان شيئاً يسيراً أن أقدم له الوعود، فقد أحببته بقوة وحرارة وكنت مستعدة لحبه...

وورد في يومياته اليوم بأنني *اعترفت بذنبي* لأول مرة وهذا أمر سار! يا إلهي! ساعدني على تحمل هذا! مرة أخرى يجب أن يبدو أمام الأجيال القادمة بصفة *الشهيد وأنا الخاطئة!* ولكن ما هو ذنبي؟ لقد غضب ل.ن. لأنني ذهبت قبل شهر مع العم كوستيا لزيارة س.ن. الراقد في الفراش بعد إصابة ساقه. لقد غضب ل.ن. لهذا السبب غضباً شديداً، ولم يأت إلى موسكو واعتبر ذلك *ذنباً*.

عندما قلت له إنه يستطيع أن يغفر لي، في حياتي كلها النقية والخالية من الذنوب، وأنا زرت الصديق المريض برفقة العم العجوز، انهمرت الدموع من عيني ل.ن. وقال: «طبعاً، هذا حق فأنت كنت خلال حياتك كلها دوماً طاهرة ورائعة». لكن لم ير أحد دموعه السخينة، ولا يعرف حياتنا، بينما كتب في يومياته عن ذنبي! ليسامحه الرب على قسوته حيالي وإجحافه بحقي.

يزورنا ضيف في كل يوم. ضجر، وهرج ومرج. ليوفا غير مرتاح لوجوده بموسكو. ويوم أمس ذهبنا إلى مسرح مالي برفقة ليوفا ودورا. قدم عرض مسرحية «الجنتلمان» بقلم الأمير سومباتوف. واليوم تناول الغداء عندنا Beaunier مراسل الصحيفتين الفرنسيتين «Temps» و«Dèbats». لا مجال للعزف على البيانو. أجهد نفسي في استنساخ أعمال ل.ن. وتصحيح نسخ المطبعة وتقديم شتى الخدمات له.

عانيت ليلة أمس من صداع شديد...

11 ديسمبر. زارتنا جوريفتش فبكت وصورت نفسها كامرأة تعيسة أمام تانيا. لكن ل.ن. لم يخرج للقائها. وقد طلب منها أن تعيد المقالة حالياً. فماذا سيحدث لاحقاً! فقدت كل ثقة بمصداقية ل.ن. بعد أن خدعني في موضوع نشر المقالة في «سيفرني فيستنيك».

لو لم أكن أعيش تحت الطغيان العائلي لسافرت إلى بطرسبورغ لحضور الحفلة الموسيقية لنيكيش. لقد توقفت الموسيقى في حياتي مجدداً. اليوم سافر ليوفا ودورا إلى ياسنايا بوليانا. لقد كان عصبياً جداً بموسكو.

مساء يوم أمس زار ل.ن. الممثل الألماني ليفيتسكي، وعزف جولينفيزر سوناتا بيتهوفن «Appassionata»، فتذكرت مرة أخرى عزف سيرجي إيفانوفتش لها بشكل لا يقارن. أنا التقيته في حفلة إيجومنوف الموسيقية. ولعبث الأقدار تبين أن مقعدي حسب التذكرة كان إلى جانب مقعده. وأنا اقتنيت التذكرة قبل أسبوعين. بينما أهدى التذكرة إليه إيجومنوف في يوم الحفلة. تحدث مثل هذه المصادفات. أنا لم أقل شيئاً لـ ل.ن. عن ذلك، بغية عدم إزعاجه. بينما كان الأمر سواء لدي.

14 ديسمبر. يعاني ل.ن. من ألم خفيف في الكبد ومن سوء الهضم. وأنا أخشى أن يمرض، كما مرضت أنا في هذه الأيام. فقد أصبت باضطراب شديد في عمل الكبد والمعدة. هبت اليوم عاصفة ثلجية هوجاء، ولربما أن توعك صحة ل.ن. له علاقة بالطقس.

لقد اشترى أمس، وربما قبل يوم أمس، أحذية التزلج، وذهب للتزلج، وتسلى وابتهج، ولم يشعر بالتعب البتة. وفعلاً، إنه منشرح الصدر، لكنه بدا منذ يوم أمس قاتم السحنة، وأنا لا أعرف لماذا. وردت من جوريفتش رسالة مفعمة باليأس والكدر لأن ل.ن. سحب مقالته من مجلتها، وأظن أن ل.ن. غاضب مني لهذا السبب. وبغية ألا يقع عليّ الذنب كنت أرجو ل.ن. دوماً أن يفعل ما يحلو له، وأعده بألا أتدخل، وألا أوجه إليه العتاب لأي أمر. لكنه يبقى بعناد قاتم السحنة وصامتاً.

ذهبت اليوم مع فيرا كوزمينسكايا وابنتي ساشا لسماع أوبرا «أورفيه» للملحن جليوك. إنها أوبرا جميلة جداً، وساحرة، وحلوة الأنغام. وكل ما فيها رصين وعلى أحسن ما يرام، وغير مبتذل، وخفيف الجرس. الكورال والرقصات والكواليس. يوم أمس ذهبت إلى حفلة موسيقية. سيمفونية بيتهوفن (باستورال) رائعة، وكذلك الكونشرتو رقم 1 لتشايكوفسكي. أما الباقي فيبعث على الضجر.

في جوهر الأمر، ومهما تظاهرت بالجسارة، ففي أعماق روحي أشعر بالحزن لكون علاقات المودة مع ل.ن. ليست طيبة حتى النهاية وكذلك لقلقي بشأن صحته. وقد عملت كل شيء بكل صدق وتمنيت بحرارة إقامة علاقات طيبة معه! آه، ما أصعب ذلك، ما أصعب كل شيء! اليوم حين خرجت إلى المسرح تعلقت بي زوجة صيدلي ما باكية، وطلبت 600 روبل، ثم 400 روبل من أجل تدبير شؤونها. إن وضعها صعب. بينما نحن جميعاً نرتكب الخطايا لكي يعاقبنا الرب...

16 ديسمبر. في المساء لازمني صداع شديد. وزارتنا آنا وصوفيا البنتان الظريفتان من أسرة إيفان ماسلوف. إنهما تتسمان بالتعاطف والطيبة والحيوية. وبعد ذلك جاء ستاخوفتش وجوربونوف. واليوم تناولت الغداء

عندنا ليزا أولسوفييفا. كما جاء ف.إ.ماسلوف، وجلب صور القوقاز من أجل ل.ن. لكي ترفق بروايته. ثم جاءت ناتاشا دين. كما تجولت لقضاء بعض الشؤون والمشتريات. أصيب ل.ن. بالإنفلونزا. ومزاجه عكر. عزفت قليلاً. إن الـ Rondo رائعة في سوناتا بيتهوفن.

قمت يوم أمس بزيارات في أوساط المجتمع الراقي. ودار الحديث في كل مكان عن: «ماذا يكتب الكونت الآن؟» و«ماذا تفعلين من أجل الاحتفاظ بشبابك؟» (بالفرنسية) وهلم جرا. إن مظهري الفتي أصبح حديثاً لازماً للجميع في العالم. ولكن ما حاجتي إليه؟ فالشيء الرئيس أن روحي تفتقد إلى المسرة. ول.ن. غير لطيف وبشوش معي، والشيء الرئيس أن ثمة أمراً لا يفصح عنه، ويذوب. أنا مستعدة لعمل أي شيء يطلبه مني إذا فعل ذلك برقة وحنان. أما الاحتجاج الحاقد والصامت فيولد لدي الاحتجاج والرغبة في أن أنعزل وأخلق عالمي الخاص بي، ومشاغلي وعلاقاتي. إنني لا أرى س.إ. وأسعى إلى عدم التفكير فيه.

ل.ن. يتكلم بصوت مبحوح ويسعل.

17 ديسمبر. في الصباح تلقيت درساً في العزف على البيانو مع مس ويلش. ثم قمت بزيارة أنينكوفا وذهبت إلى الحمام العمومي. أصيب ليف نيقولايفتش بالإنفلونزا. إنه لا يكتب، وهو صامت ومتجهم، ويبعث على النفور، وتحدث اليوم عن السفر إلى ماشا. إن هذه الحياة المحمومة ثقيلة الوطأة. فإذا جاء ل.ن. يعرب عن غضبه لقدومه، ويصبو طوال الوقت إلى الذهاب إلى مكان ما. لا يوجد ذلك الوضع الودي والهادئ والعائلي الذي أحبه، ولا يتوفر موقف محدد...

في الحمام وقع حادث عجيب: جرى الحديث كثيراً في موسكو في الفترة الأخيرة عن عائلة ما باسم سولوفيوف توفي فيها دفعة واحدة خلال أسبوع ثلاثة أطفال بمرض الحمى القرمزية. وحدث لي أن أكون في حجرة واحدة في الحمام مع أم هؤلاء الأطفال. فتبادلنا الحديث، وتذكرت بألم وتحدثت عن وفاة فانتشكا وعن المخرج (الديني) الذي بحثت عنه ووجدته جزئياً في مصيبتي. وأثار فيها ذلك نوعاً من الطمأنينة، وبعد ذلك سألتني من

أنا، وعندما أبلغتها أجهشت في البكاء وغمرتني بالقبل، ورجتني أن ألتقي بها مرة أخرى. إنها امرأة لطيفة وجميلة وبائسة.

في المساء جاء ضيوف: تشيتشيرين وليزا أولسوفييفا وماشا زوبوفا وآنينكوفا وروسانوفا وس.إ. تانييف. وقد أفزعني ظهوره بسبب ليف نيقولايفتش، وفي البداية شعرت بالارتباك والخوف. وعندما جلسنا وراء مائدة الشاي مر كل شيء بهدوء. طبعاً، كنت مسرورة برؤيته، كما كنت سأفرح أكثر لو عزف. لكنه لم يعزف.

راودني في الأمس الحلم التالي: صالة طويلة وضيقة، وفي وسطها بيانو، ويعزف س.إ. أحد مؤلفاته. وعندما أمعنت النظر وجدت فانتشكا جالساً في حضنه، وأنا لا أرى من الخلف سوى رأسه بشعره الذهبي المجعد وسترته البيضاء، وأمال رأسه على كتف س.إ. الأيسر. وشعرت بالبهجة والطمأنينة لسماع الموسيقى ولوجود فانتشكا مع س.إ. طقطقت شبكة الشعيرة في النافذة فاستيقظت. إنني تذكرت موتيف الموسيقى بكل وضوح في اليقظة، ولكنه سرعان ما زال من الذاكرة.

وشعرت بالحزن الشديد لغياب فانتشكا، وأنه لن يأتي أبداً، ولتلك الموسيقى التي جلبت الهدوء إلى قلبي المعذب بالمصيبة، ولن يمحى من ذاكرتي أبداً ل.ن. بسبب غيرته، والعلاقات مع ل.ن. التي فسدت كلياً إلى الأبد، ليس بذنبي أبداً، كما فسدت العلاقات البسيطة والطيبة مع س.إ. بنتيجة هذه الغيرة. ما أصعب الحياة! إنها صعبة.

روى ليف نيقولايفتش اليوم ما يلي: ولدت امرأة في الكرملين. وكان المخاض عسيراً، وصارت تنازع الموت، وبعث رسول إلى دير تشودوف لاستحضار راهب. فجاء كاهن مترهب مع اللوازم الكنسية. وتبين أنه كان في زمن ما طبيباً، وقرر أنه يمكن إنقاذ الطفل والأم باستعمال الملقط وتنفيذ العملية المعروفة. كان الوقت ليلاً. فذهب إلى صومعته وأحضر الأدوات الجراحية. وأجرى الكاهن المذكور العملية الجراحية، وتم إنقاذ الأم الواضعة والطفل. ويقال إنه حينما علم المتروبوليت بالأمر أرادوا تحريم الكاهن، لكنهم نقلوه فيما بعد فقط إلى مدينة أخرى ودير آخر.

أرتني صونيا مامونوفا اليوم صورة فوتوغرافية لابنها مانيا البالغ من

العمر شهرين وسريوجا. وقد تأثرت جداً مع ل.ن. لمرآها. مسكين الابن وكذلك الأب.

18 ديسمبر. نهضت من الفراش في وقت متأخر، ومشيت إلى البنك لإجراء المعاملات المالية للأطفال. أشعر بأنني مريضة وضعيفة روحاً وجسداً. وبعد الغداء عزفت قليلاً، ثم قرأت بصوت عال في البداية كراسة «الحياة»، ومن ثم قرأ ليف نيقولايفتش لي ولصونيا مامونوفا بصوت عال استعراض المسرحيات الفرنسية الجديدة ومحتوياتها. يود الجميع ابتكار شيء جديد وغير متوقع، بينما لا يوجد محتوى حقيقي.

زارت تانيا عائلة جوليتسين، ورسمت، وعزفت على الماندولين. ميشا في البيت. إن طبيعة ميشا فقيرة، فهو يجلس ويقلب أوراق الكوتشينة ببلاهة أو يطنطن لحناً واحداً على البيانو أو موتيفا عقيماً لأغنية روسية. أمر محزن! حدثت متاعب مع ساشا بسبب غلاظتها في التعامل مع المدموازيل وسوء الـ Extrait [1] الذي كتبته باللغة الفرنسية... تناول الغداء عندنا الزوجان دين وسريوجا دانيلوفسكي، وفي المساء جاء دونايف.

20 ديسمبر. ذهبت أمس لشراء حاجيات العيد، واليوم أيضاً. يجب شراء الهدايا للأبناء والأحفاد والكنائن، للجميع. أنا أفعل هذا كله بجهد وبضجر. في الأمس استيقظت من النوم وعيناي تذرفان الدموع في نشيج. فرأيت في الحلم أن فانتشكا عاد وصار يلعب مع ساشا بمرح، وأنا فرحت وهرعت إليه. وبعد ذلك رقد فانحنيت عليه وأغرقته بالقبل. مد نحوي شفتيه كعادته. وقلت له: «ما لك غبت طويلاً، وحسناً أن رجعت».

بدا كل شيء واقعياً، كما في الحياة، مما جعلني لدى الاستيقاظ أجهش في البكاء، ولفترة طويلة. فدهش ل.ن. لكنني لم أستطع التوقف عن البكاء، فصرت أبكي وأبكي. ما أشد مرارة الألم لهذه المصيبة. يقال إن البكاء على الطفل الصغير خطيئة، ربما!

---

1 – موضوع الإنشاء (بالفرنسية).

ذهب ليف نيقولايفتش يوم أمس على صهوة الجواد إلى المطبعة حيث تطبع مقالته «حول الفن» في «مجلة الفلسفة وعلم النفس». كما تزلج يوم أمس بأحذية التزلج، وفي المساء رافقته إلى التلغراف لإرسال برقية إلى مترجمه في إنجلترا.

علماً بأنه كان مبتهجاً باسم الثغر، وأنا اقتدت له الجواد للركوب، وهو ما كان يرغب فيه جداً.

21 ديسمبر. أين هي، أين السعادة البشرية؟

اليوم صعب مجدداً، يوم ثقيل الوطأة. تلقت تانيا رسالة من جوريفتش، تتعلق بالطلب أن يمنحها ل.ن. المقالة. وصل سريوجا اليوم، وانهال علي سوية مع تانيا بالتقريع بأنني لا أريد ذلك (أنا لا أطيق جميع هذه العلاقات مع «سيفرني فيستنيك»)، وطلبا مني الذهاب إلى ل.ن. والرجاء منه لكي يبقي «المقدمة» التي كتبها لمقالة كورنتر المترجمة. فذهبت إليه ورجوته أن يعطي هذه المقالة إذا ما كان هو والعائلة كلها تريد ذلك. أنا رجوته تقريباً أن يوافق. لكن هذه بالنسبة إلى ل.ن. أفضل وسيلة لتحقيق عكس ذلك، فهو يفعل العكس دائماً انطلاقاً من روح التناقض.

قلت عندئذ دون التزام الحذر إن موقفي من جوريفتش يتسم بالنفور مثل موقفه من علاقتي بتانييف. تطلعت إليه، وتملكني الرعب. في الفترة الأخيرة نما كثيراً شعر حاجبيه الكثيفين المتدليين على عينيه الحاقدتين، وطفح وجهه بالقتام، وفي الوقت نفسه، باللوعة والقبح، إن وجهه يكون وسيماً فقط عندما تغمره الطيبة والتعاطف أو اللطف والشوق. وغالباً ما أفكر ماذا كان سيفعل بي أو بنفسه، لو أنني كنت مذنبة فعلاً وفي أي وقت؟

أشكر الرب الذي خلصني من مثل هذا الوضع ومن الخطيئة أو الغواية. إنني لا أعطي أية قيمة لنفسي، والرب أنقذني. في النهار خرجت وقمت بزيارات. وفي المساء ودعت ميشا إلى القرية، وفيرا كوزمينسكايا إلى كييف، وصونيا مامونوفا إلى بيتها في محافظة كالوجا، وتانيا إلى عرض مسرحي اجتماعي، بينما ذهبت مع ساشا إلى بيت بوتينيف لأخذ درس في الرقص لها. الحياة عادية ومملة. ولدى عودتي وجدت تشيتشيرين لدى ليف نيقولايفتش. وعند الظهر عزفت لمدة ساعة.

في صباح اليوم أزال الثلج في حديقتنا من ساحة التزلج وتزلج هناك. ثم اعتلى صهوة الجواد وانطلق إلى تلال فوروبيوف وأبعد منها. إنه لا يجد رغبة في الكتابة.

25 ديسمبر. هل يصدق أنني لم أدون يومياتي خلال أربعة أيام؟ لقد وقعت أحداث كثيرة في هذه الأيام. فمنذ ثلاثة أيام توجه ليف نيقولايفتش إلى محطة قطار نيقولايفسكي للحاق بالمسافرين الإنجليزي سان جون وسوليرجيتسكي اللذين جلبا التبرعات النقدية إلى الدوخوبوريين بغية تسليمها. لكنه لم يجدهما، وهدّه التعب، وعاد إلى البيت سيراً على الأقدام، وقد تجمد من البرد، فرقد في الفراش. وعندما رجعت إلى البيت وجدته مريضاً. فارتفعت درجة حرارته إلى 38.5، وبعد ساعة وصلت إلى 39.4 ثم بعد ساعة أخرى وصلت إلى 40.2. علماً أن ل.ن. كان في العشية في الحمام العمومي، ولهذه الأمور مجتمعة توعكت حالته الصحية. أنا ذهبت إلى الطبيب بنفسي، ورافقني الشاب أوسوف. وانصاع ل.ن. طائعاً إلى الفحوص الطبية، من الإصغاء إلى الرئتين ودقات القلب وغير ذلك. ووصف الطبيب له شرب مياه إيمس وتدليك الجسم كله بالكحول الساخن، ووضع شيء ساخن على البطن. وقد أثر كل ذلك على الأمعاء والكبد والمعدة. لقد التهب كل شيء بسبب التعرق المفرط في العمل. وعملت كل ما يلزم وتحسن الوضع يوم أمس فبلغت درجة الحرارة: 38.6، واليوم 37.5. لكن ليف نيقولايفتش ما زال ضعيف البنية، ولو أن المرض انحسر. وقد أكل طعامه، وفي الساعة الثالثة جلبت له مياه إيمس، وفي الساعة الثالثة والنصف قدمت له حساء الجوادار، والبيوريه. فقال: «كم أنت ذكية، حيث حدست بأن من الواجب تقديم الحساء لي، فقد دب في الضعف قليلاً». ومن ثم تناول الغداء معنا، وكان عددنا قليلاً: نحن، العجوزان، وسريوجا وتانيا وساشا، وكذلك ساشا بيرس والمدموازيل أوبرت. لكن ساد جو ودي وهادئ وطيب، وسريوجا المسكين حزين جداً في هذه الأيام! تزلج الأطفال بأحذية التزلج قبل الغداء ثم شاهدوا الحيوانات في حديقة الحيوان، بينما نام ل.ن.، أما أنا فقد عزفت التمارين الموسيقية بهمة.

تلقينا رسالة بلا توقيع. هذا نصها:

الكونت ليف نيقولا يفتش!

لا مراء في أن طائفتكم تنمو وتمد جذورها عميقاً. ومهما كانت باطلة فإنه بمعونة الشيطان وحماقة البشر تسنى لك تماماً إهانة سيدنا عيسى المسيح، الذي يجب أن ننتقم من أجله. وقد شكلنا من أجل مكافحتكم سراً، لأنكم تعملون في السر، جمعية سرية باسم «الفرسان الصليبيون الجدد» من أجل قتلكم وجميع أتباعكم - أفراد طائفتكم - ونحن ندرك بأن هذا لا يتفق مع الروح المسيحية، ليغفر لنا الرب، وليحاسبنا في الدنيا والآخرة. مهما أبدى المرء الأسف على «ذراعه» فإنها حين تصاب بالغرغرينا، لا مناص من التضحية بها، ونحن نشفق عليك لكونك أخانا في الانتماء إلى المسيح، لكن يمكن بالقضاء عليكم إضعاف هذا الشر! لقد وقعت القرعة علي، أنا الحقير الشأن، ويجب علي أن أقتلك! وتم تحديد الموعد: 3 إبريل عام 1898 القادم. وأنا أبلغك بهذا لكي تنتجز رسالتي - باسم القديس العظيم ويمكنكم التهيئة للانتقال إلى العالم الآخر.

لربما، من اليسير عليك أن تطرح منطقياً السؤال: لماذا تجري هذه الدعاية فقط ضد طائفتكم؟ حقاً، إن جميع الطوائف المنحرفة هي «خساسة حيال الرب!»، لكن مبتدعي أحكامها هم مغفلون ناقصو العقل، وليسوا مثلك أيها الكونت. وثانياً: أنت عدو قيصرنا ووطننا!... إلى اللقاء في «3 إبريل».

حامل الصليب الثاني في القرعة جريبي الأول.

ديسمبر 1897، قرية سميلويه.

يحمل الختم بالشمع الأحمر علامة (ي س) وتاج النبلاء. وتاريخ الختم البريدي من بافلوجراد 20 ديسمبر.

لقد أقلقتني هذه الرسالة كثيراً لدرجة أنني لم أستطع تناسيها ولو لحظة واحدة. وفكرت أن أبلغ محافظ يكاترينوسلافل بشأنها ومدير الشرطة المحلية تريبوف، بغية أن يتخذا الإجراءات اللازمة. واذا رغبا فسيبحثان عن الأشخاص الخطرين.

أما ليف نيقولايفتش فلم يظهر أي قلق، وقال إنه لا حاجة لالتزام الحذر من أي شيء، وكل شيء يتوقف على إرادة الرب.

في المساء جاء الزوجان كولوكولتسيف وبوتينيف وفيرا سيفيرتسوفا. كانت درجة حرارة ليف نيقولايفتش 38.5، ودب فيه الضعف.

26 ديسمبر. ودعت صباحاً تانيا وساشا إلى جرينيوفكا ونيقولسكويه. سافر سريوجا مساء أمس. عاجلنا في إعداد الصناديق. أنا أرسلت كل شيء إلى شجرة عيد الميلاد من أجل الأحفاد، ومن ثم أرسلت الهدايا والفواكه إلى دورا وصندوق الأدوات الفضية ومعطف الفرو إلى ابنتي ماشا. أرسلت هذا كله مع تانيا، كما أرفقتها بسلة فيها الطعام والفواكه لتناولها في الطريق. وبقيت أنا مع ليف نيقولايفتش لوحدنا. هدوء، وكل شيء على ما يرام. وضعه الصحي صار أفضل بكثير، درجة الحرارة في الصباح 36.9، وفي المساء 37.5. وطلب في المساء تناول الحساء، والتفاح المشوي، وأصبح أكثر حيوية ومرحاً. تلاحقني رسالة يوم أمس.

أمضيت النهار كله عند آلة البيانو. وجرت محادثة موسيقية بلا كلمات تارة مع بيتهوفن، وتارة مع مندلسون وروبنشتين وآخرين، وهذا جلب لي متعة كبيرة بالرغم من أدائي السيئ. وتوقفت عن العزف لدى مجيء ميتيا أولسوفييف، فتحدثت معه بصراحة وببساطة وبمودة، ثم جاءت ابنة خالتي أولجا سيفيرتسيفا الباردة والعاقلة والحسناء وكذلك م.ن.مورمتسيفا الممتلئة حيوية (بانفعال) والذكية والموهوبة. إن لديها الكثير من العيوب، لكنني أجد دوماً البهجة معها. تلقيت أربع دعوات لي وللأطفال: إلى أسرة تريبوف، وأسرة جليبوف، وشقيقي ساشا ومورمتسيفا وكونيا مع الموسيقيين. وقالت إنها ستدعو س.إ. أيضاً. لكنني كنت أعلم بأنه سافر للعمل في دير «سكيت».

في المساء جاءت آنا ليفيتسكايا. بعد ذلك قمت بتحميض صور المجموعة التي التقطتها مساء يوم أمس في حديقتنا. غداً حفلة سيمفونية، وأنا مسرورة بذلك.

27 ديسمبر. حضرت الحفلة الموسيقية، وعُزفت فيها أعمال جديدة بالنسبة لي: سيمفونية فرانك و«Le roi s`amuse» لديليب، وقصيدة جلازونوف – «ستينكا رازيـن» وقد عزفت لأول مرة، وغير ذلك. إن

الأعمال الجديدة تثير اهتمامي، لكن لا تبهجني. حالة ليف نيقولايفتش أفضل، وخرج اليوم إلى الحديقة وتناول طعامه بشهية طيبة. من الصعب إطعام المريض النباتي. وأبتدع بجهد شتى أصناف الطعام له. اليوم قدمت له حساء الفطر مع الأرز، والهليون والخرشوف، وعصيدة السميد بأقل قدر من الحليب مع جريش الجوز والكمثرى المسلوقة.

زارنا نيقولاي فاسيليفتش دافيدوف، فحدثته عن الرسالة الواردة من مجهول، وكان الوحيد الذي نظر إلى هذه الرسالة بكل جد. وجرت زيارات مجاملة مختلفة:

جوليتسينا وسامارينا مع الزوجين خوفرين وغيرهم. في المساء تبادلت الحديث بسرور مع فتاة شابة، ومع س.ن. كاشكينا. كما جاء كل من: آنيكوفا ودونايف وسيرجيينكو وسنجر وبوبوف. وقد جلسوا مع ل.ن. حتى عودتي من الحفلة الموسيقية.

روى ل.ن. اليوم أنه حين كان يتجول ذلك اليوم، إبان مرضه، في شارع برتشيستينكا ظهرت أمامه على حين غرة قطة رمادية، وبعد أن تسلقت المعطف جلست على كتفه. يبدو أن ل.ن. يرى في ذلك علامة ذات مغزى سيئ.

وردت برقية من ماشا تشكرتني فيها على إرسال معطف الفرو والفضة. الجو دافئ، درجتان اثنان، الثلج رطب.

29 ديسمبر. انشغلت منذ الصباح في التصوير الفوتوغرافي. عزفت قليلاً وأديت بعض التمارين الموسيقية. وبعد الغداء عزفت مع ليف نيقولايفتش عزفاً ثنائياً بأربع أيد موسيقى شوبرت «السيمفونية التراجيدية». قال في البداية إن الموسيقى سخف وقضية ميتة. ومن ثم عزف بحماس، وسرعان ما أصابه التعب. إنه ضعيف البنية بعد المرض. ويشعر بألم تحت الإبط وأصابه الهزال، لدرجة أنني شعرت بالألم لدى النظر إليه. في المساء ذهبت خلال ساعتين لحضور حفلة عازف البيانو جابريلوفتش. طبعاً إنه عزف بصورة جيدة، وتبرز على الأخص النغمة piano الهادئة لديه. لكنني كنت أرى طوال الوقت سعيه وقصده، ولهذا لم يجذبني عزفه. لا يوجد عازف أفضل من هوفمان وتانييف.

ما أشد ضنى امتلاك الرغبة، ربما لن أسمعه بعد هذا أبداً! عاد أندريوشا وميشا من القرية. أندريوشا يسعل وأثار ذلك قلقي.

يوم أمس ذهبت مع ل.ن. لزيارة شقيقي ساشا: لعب ل.ن. لعبة الفينت، بينما أصغيت إلى عزف إحدى عازفات البيانو. وقد عزفت بولونيز شوبان ذاك الذي عزفه لنا س.إ في الصيف. وهز كياني تذكر عزفه الرائع وحلو معشره. وهذا كله طبعاً لن يعود إلى الأبد!

زرت أمس ستوليبين العجوز. ويجتمع لديه الشباب من مختلف الأصناف ويغنون أوبرا «نورما». إنه شيخ مفعم بالحيوية، وبلغ من العمر 76 عاماً!

وفكرت كيف أن ل.ن. الذي وجد في الكنيسة الكثير من الأمور النافلة، والخرافية، وحتى الضارة، فرفض الكنيسة *كلها*. وكذا الحال في الموسيقى، فلدى سماعه شتى السخافات، التي توجد الآن لدى الموسيقيين الجدد، رفض الموسيقى كلها. وهذا خطأ كبير.

وكما جرى خلال عشرات السنين التخلص من كل ما هو نافل، وجميع نفايات الموسيقى، وبقيت المواهب الحقيقية، كذلك الحال في الموسيقى الجديدة فسيتم التخلص من كل ما هو نافل وتبقى أعمال قليلة، وسيكون من بينها تانييف في أغلب الظن.

1898

1 يناير. استقبلنا يوم أمس العام الجديد: ليف نيقولايفتش وأندريوشا وميشا وميتيا دياكوف والصبيان من عائلة دانيليفسكي وأنا. علماً أن وعكة ألمّت بالسيدة دانيليفسكايا وبدلاً من لقاء العام الجديد في بيتها اضطر الصبيان إلى المجيء إلينا. وكان الاحتفال جيداً وسادته أجواء طيبة من المودة والهدوء والرونق. لقد شربنا شمبانيا الدون الروسية، بينما شرب ليف نيقولايفتش الشاي مع عصير اللوز.

في صباح اليوم عزفت، وتابعت ميشا لكي ينصرف إلى الدراسة. ثم ذهبت لزيارة العمة العجوز فيرا ألكسندروفنا شيدلوفسكايا، وثرثرت معها ومع أبناء عمي، كما زرت عائلة إيستومين. تناولت الغداء سوية مع ليف نيقولايفتش وحدنا. إنه ما زال معتل الصحة، وقليل الأكل، وتناول فقط حساء الفطر مع الأرز وعصيدة السميد المطبوخة مع عصير اللوز وشرب القهوة. إنه مرتخ وضعيف البنية، لأنه لم يألف المرض والضعف. وكم سيكون صعباً بالنسبة إليه لو استمر الضعف وفقدان القوة! وبوده كثيراً أن يتمتع بالحياة والنشاط. وعما قريب سيبلغ السبعين من العمر، في العام الحالي في أغسطس، أي بعد نصف عام. إنه يواصل المطالعة وحيداً في غرفته في الطابق العلوي، ويكتب رسائل قليلة. واليوم ذهب لزيارة روسانوف المريض المعجب به. وعادة يرقد على الديوان في غرفته كلب البوديل الأسود الذي تلقته تانيا مؤخراً كهدية من الكونتيسة زوبوفا. وقد اصطحب معه البوديل هذا.

غداً ستصل ابنتنا ماشا من أجل إجراء الفحوص الطبية. أما تانيا وماشا فما زالتا في القرية، وفي أغلب الظن أنهما ستسافران إلى ضيعة ياسنايا بوليانا غداً للانضمام إلى ليوفا ودورا. وأنا أيضاً أود السفر إلى ياسنايا بوليانا. كم أحب هذه الضيعة، وكم عشت هناك حياة هانئة!

3 يناير. زارنا صباح يوم أمس كل من ستاسوف والنحات جينزبورج ورسام شاب وفيريشاجين (كاتب سيئ). وقد استغل ستاسوف كونه في الرابعة والسبعين من العمر فراح يغمرني بالقبلات ويردد: «كم أنت وردية وممشوقة القوام!». فامتعضت ولم أعرف كيف أتخلص منه. صعدنا إلى الطابق الأعلى، إلى صالة الاستقبال، وتحدثنا عن مقالة ليف نيقولايفتش «حول الفن». وقال ستاسوف إن ل.ن. وضع الأمور رأساً على عقب. علماً أنني كنت أعرف ذلك بدون قوله هذا، لكنه عنفني بسبب ذلك!

حدثت مشادة مزعجة بيني وبين ل.ن. بصدد قولي إن الجمهور يجب أن يشترك في «مجلة الفلسفة وعلم النفس» قبل عامين من صدورها لكي يقرأ مقالته المنشورة في مجلد نوفمبر – ديسمبر وفي مجلد فبراير – مارس. وماذا لو أن أعماله ستنشر في المجموعة الكاملة، عندئذ كنت سأبيعها بمبلغ 50 كوبيكاً وسيستطيع الجميع قراءتها. وصار ل.ن. يصرخ أمام الجميع: «أنا لا أعطي! أنا أعطي للجميع!...يوجه الجميع اللوم إلي منذ أن منحت حق النشر للجميع مجاناً!».

علماً أنه لا يعطيني أي شيء من أعماله: فقد أرسل «السيد والعامل» إلى «سيفرني فيستنيك» سراً وخفية عني. والآن أرسل خفية أيضاً «مقدمته» التي استعادها، وسعى إلى الاحتفاظ بمقالته عن الفن بعيداً عني، – الرب معه! إنه على حق، إن *مؤلفاته – هي ملكه الخاص ولا ينتزعها أحد منه*. لكن لا تصرخ بي.

زارتنا مساء يوم أمس ماشا مع كوليا. إنها استسلمت كلياً لزوجها، ولم يعد وجودنا يعني شيئاً بالنسبة لها. كما أنها لا تعني الكثير جداً بالنسبة لنا أيضاً. وقد سررت برؤيتها. وحزنت لكونها هزيلة بهذا القدر، بينما سررت لكونها تحيا عن حب، وهذه سعادة كبيرة! فأنا أيضاً عشت فترة طويلة بهذا الحب البسيط، بلا تأملات ونقد. وأنا آسفة لكوني قد تنورت وأصبت بخيبة أمل في أمور كثيرة كان الأفضل أن أبقى عمياء ومحبة، بلهاء حتى آخر أيامي. إن ما كنت ألقاه من زوجي باعتباره حباً، كان إدراكاً حسياً فتجده تارة ينحسر، ويتحول إلى صرامة قاسية ومنفرة، وتارة يتنامى مع ازدياد المطالب والغيرة ولكن ليس اللطف والحنان. والآن أريد الصداقة الهادئة والطيبة، وأريد التجول مع صديق هادئ ولطيف وأريد التعاطف والطمأنينة...

حضرت في المساء عرض أوبرا «سادكو». إنها أوبرا جميلة ومسلية، والموسيقى جيدة في بعض المواقع، وتتسم بالموهبة. الجمهور استدعى الملحن إلى خشبة المسرح مراراً وبحماس، وصفقوا كثيراً. لقد كان سيسرني مرة أخرى الاعتقاد بأن من الأفضل سماع الموسيقى لو كان إلى جانبي مثل الكثيرات صديق هادئ وطيب - زوج.

أخرج في زيارات وأستقبل الزائرين بلا توقف وأشعر بوطأة ثقيلة لذلك...

في المساء. تناول الغداء عندنا ستاسوف وكاساتكين وجينزبورج وماتيه، أحدهما نحات والآخر رسام جرافيك. وبعد الغداء جاءت موروموتسيفا مرتدية فستاناً من قماش الأطلس أصفر اللون ومزينة بالزهور، وثملة، وأنا أصاب بالفزع، دائماً، حين أرى الآخرين بمظهر غير طبيعي. وفي وقت لاحق جاء ريمسكي - كورساكوف مع قرينته، وانصرفت موروموتسيفا.

جرت أحاديث ساخنة وصاخبة جداً حول الفن. ولزم ستاسوف الصمت، بينما صرخ ل.ن.، واحتدم ريمسكي - كورساكوف انفعالاً، ودافع عن *الجمال* في الفن والتطور في فهمه. وهذا كله مسجل في مقالته. ولم يوافق أحد منا مع ل.ن. في نفيه للجمال والتطور الناشئ في تفهم الجمال. وذكر الزوجان كورساكوف عدة مرات اسم سيرجي إيفانوفتش بشعور من الاحترام البالغ والمحبة، وهذا هو موقف الجميع منه باستثناء زوجي الصارم. ما أكثر ضجيجه اليوم لدى تبادل الأحاديث! أنا أخشى دوماً أن يوجه الإهانة إلى أحد ما بحدة كلامه.

لقد أضناني التعامل مع الآخرين طوال اليوم... الصبيان يرقصون في بيت عائلة لوجينين.

5 يناير. ذهبت أمس إلى بيت شرباتوف لحضور حفلة الرقص الصباحية. واجتمع هناك ما يسمى *نخبة المجتمع الراقي* بموسكو. وقد ذهبت إلى هناك من أجل ساشا التي عادت مع تانيا في الصباح من الأخوين في القرية، ولكي أرى كيف يرقص أبنائي. كان الحفل الصباحي مرحاً للغاية ومنسقاً جداً، ولم تلحق أحد إهانة بسبب الحدة في الكلام.

في وقت متأخر من المساء ذهبت لزيارة موروومتسيفا، بغية ألا تزعل مني، واستقبلت هناك بكل احترام. وقدمت هناك الأغاني وعزفت الموسيقى، وسرني ذلك. علماً أن عقلي يتبلد تماماً في فوضى الحياة الاجتماعية. زد على ذلك أن بناتي الثلاث مريضات: ماشا تعاني من الصداع الشديد، ونوبات هستيرية، بينما طلعت دملة في أذن ساشا، وسببت لها الكثير من الألم وانفجرت، كما أصيبت تانيا بورم في اللثة وتفكر في سوخوتين الذي سيصل يوم غد.

ليف نيقولايفتش تعافى مجدداً، ويتنزه، ويلاطفني. ذهبت اليوم مشياً على الأقدام لمشاهدة معرض التلامذة، وهو سيئ جداً وهناك بعض المناظر الطبيعية فقط لا بأس بها، وتذكرني بالصيف والغابة والمياه جيداً. تناول طعام الغداء عندنا اليوم الرسام ريبين وأمضى النهار كله معنا حتى المساء. وكان هناك الكثير من الضيوف غيره.

6 يناير. ذهبت اليوم إلى برك باتريارشيه للتزلج بأحذية التزلج هناك فترة طويلة مع الزوجين ماكلاكوف وناتاشا كولوكولتسيفا. بدأ موسم الدفء وتساقط المطر. إن التزلج بأحذية التزلج هذا يبعث على البهجة وانشراح الصدر كثيراً. في المساء طالعت، وجلست مع ساشا وأصغيت إلى موسيقى بول، وهو عازف شاب مجهول من كييف عزف مؤلفاته الموسيقية لليف نيقولايفتش ولنا، وهي تنم عن موهبة كبيرة. ل. ن. غير منشرح الصدر لأنه ما زال غير قادر على كتابة شيء. علماً بأنه مارس التزلج أيضاً في ملجأ الأطفال المشردين. وهذه ليست أول مرة. في الصباح بكيت وتذكرت فانتشكا حين كان على قيد الحياة، وفي المساء تملكني الكدر أيضاً لأمور كثيرة، بصدد ما كنت أتمناه في الحياة وما لا يتحقق ولن يتحقق أبداً...

ل.ن. منهمك في مطالعة المصادر حول الحياة في القوقاز والطبيعة هناك، وكل ما يتعلق بالقوقاز.

8 يناير. تناول ريبين طعام الغداء عندنا أمس، وألح في الرجاء أن يعطيه ليف نيقولايفتش موضوعاً للوحته القادمة. وقال إنه يود أن يهب الأعوام الأخيرة من حياته لإنجاز عمل فني جيد، يستحق العمل فيه. ولم يقدم ليف

نيقولايفتش أية نصيحة له بهذا الشأن، لكنه يفكر في الأمر. بينما هو نفسه لا يستطيع العمل. الطقس فظيع: رياح شديدة، والمياه تغمر كل مكان، أكثر مما يوجد في الربيع بموسكو عادة. درجة الحرارة 3 وتسود العتمة.

طالعت يوم أمس مقالة مديح كتبها الناقد كاشكين عن أوبرا «ادكو» التي أعجبتني كثيراً، كما أنني رغبت كثيراً في الذهاب لحضور تقديمها. وأقنعني ل.ن. بكل لطف بأن أذهب، كما أنني أحسست بكوني مذنبة لطيشي. كنت سأفرح لو لم أجد تذكرة. لكن حدث أنني اقتنيت آخر تذكرة... في الصف الثالث من المقاعد، بينما أنا أردت مقعداً في الشرفة. فصعدت إلى الطابق العلوي وصرت أطلب من أي أحد مبادلة التذكرة بحجة أن الصوت في الأسفل حاد جداً بينما أنا أعاني من وجع في أذني. واستجاب لي أحد ما: كانت الفتاة الظريفة كاشكينا معلمة ساشا. فأرسلت شقيقها إلى الأسفل بينما أجلستني بينها وبين أمها. والتقيت في فترة الاستراحة أ.أ.ماسلوفا. وكانت تجلس قريباً في شرفة في الطابق الأول، أبعد مني، مع ابنة عمها وسيرجي إيفانوفتش. وقد تجمدت في مكاني وتذكرت رجاء ل.ن. إن القدر يعبث بي دائماً. ففي المسرح 3000 شخص، وأنا أعاني من قصر النظر ولا أرى أي أحد من مسافة خطوتين. ولا يمكن رؤية الجالسين في الصف الثاني في الشرفة من الصالة، لكنني جلست في الموضع الذي يمكنني فيه أن أرى سيرجي إيفانوفتش. وعندما بحثنا عن معاطفنا، قال لي عدة كلمات، مفادها أنه أنهى تأليف سيمفونيته، وسيزورنا بعد عدة أيام.

عندما رجعت إلى البيت أردت أن أقول لـ ل.ن. بأنني التقيت سيرجي إيفانوفتش، لكنني لم أستطع ذلك. فحينما ذهبت إليه في غرفته بدا لي أن وجه ل.ن. هزيل جداً، ويتسم بالحزن. فأردت أن أرتمي عليه وأن أقول له بأنني لا أستطيع أن أحب غيره أكثر، وأنا مستعدة لعمل أي شيء في الدنيا لكي يغدو هادئاً وسعيداً. لكن بدا لي ذلك شيئاً غريباً، ومن يدري فقد يظن بي السوء مثل ماشا، ويفكر بأنني أضمرت شيئاً ما ودبرت وتواطأت...

ساشا تعاني من المرض. لديها دملة في الأذن، وأنا أشفق جداً على صديقتي الفتية في حياتي الراهنة. أنا أحب تانيا كالسابق حباً جماً، وأرثي لها وأتابع بألم صراعها القلبي. سافر أندريوشا إلى تفير، بينما سافر ميشا إلى

مدرسة الليسيه. أراد ل.ن. الآن ركوب الحصان والتنزه لكن الحصان يعرج، ولهذا خرج ماشياً على الأقدام.

10 يناير. زرت مع ماريوسا ماكلاكوفا المعرض الدوري للصور. وبالرغم من قلة اللوحات الجيدة فإنني أحب الفن. بالمناسبة لدى الحديث عن الفن: ففي يوم أمس قال أ.أستاخوف، مرافق الأمير المعظم سيرجي ألكسندروفتش إنهم قرؤوا لدى الأمير المعظم مقالة ليف نيقولايفتش «حول الفن» وأبدوا «أسفهم لكونها كتبت بريشة الكاتب العظيم ليف تولستوي». كما تحدثوا عن عائلتنا فقال الأمير المعظم - الذي التقاني في بيت جليبوفا يوم الأربعاء - مخاطباً ستاخوف إنه ذهل لهيئتي الفتية غير العادية. إنني اعتدت على مثل هذا المديح المبتذل، ولا أعيره أي قيمة. إنني سأكون سعيدة لو قيل شيء آخر أكثر من كوني زوجة ليف تولستوي *الفتية الهيئة*! وما أقصده هو الصفات الروحية.

ل.ن. هادئ ومعافى، لكنه ما زال غير قادر على العمل. علاقتنا ودية، وبسيطة، كما كانت منذ وقت بعيد. أنا سعيدة جداً! لكن هل يستمر ذلك فترة طويلة؟

13 يناير. في الأمس كان عيد القديس شفيع تانيا. وبدأنا التحضير للحفل منذ الصباح. بدأت تانيا بتوجيه الدعوات إلى الضيوف، وواصلت ذلك. هذا *واجب* في العلاقات في المجتمع الراقي. وعند الظهر كنت منهمكة في ترتيب الكارتون، وأنا في السترة الصباحية، وبشعر أشعث، ولا أسمع شيئاً، وبغتة انبجس أمامي سيرجي إيفانوفتش ويوشا بوميرانتسيف. فاضطربت وتلعثمت ولم أستطع قول شيء. علماً بأنني أمرت بعدم السماح باستقبال أي أحد، بينما سمح لهما بالدخول لسبب ما. جلسنا حوالي الساعة، وتحدثنا عن «سادكو» وعن ريمسكي - كورساكوف وهلم جرا. وعندما انصرف سيرجي إيفانوفتش، غمرني شعوربالكآبة المؤلمة، إذ وجب علي من أجل تهدئة خاطر ل.ن. أن أكره هذا الإنسان، أو على أقل تقدير، أن أعامله كشخص غريب كلياً - وهذا مستحيل.

لم تكن الأمسية مرحة ولا كئيبة، حيث قامت بالغناء فيها مورمتسيفا - كليمنتوفا وستاخوفيتش بينما عزف إيجومنوف وجولدينفيزر، في جو الإنارة، وتقديم المقبلات، والعشاء، وحضور الجنرال والأميرات والآنسات. ووجد ل.ن. صعوبة في ممارسة لعبة الفينت مع ستوليبين، وشقيق ساشا وهلم جرا.

سافرت ماشا وكوليا اليوم.

4 يناير. كان ليف نيقولايفتش نشيطاً ومنشرح الصدر في هذه الأيام.

تعافت ساشا، والحمد لله، وبدأت بالدراسة. درس ميشا أيضاً اليوم، ثم ذهب إلى مسرح مالي لمشاهدة عرض مسرحية «المصارعون» لموديست تشايكوفسكي.

أحيا *باجتهاد.* لكن، غالباً ما تغمر روحي كآبة شديدة... ليساعدني الرب!

16 يناير. تعتزم تانيا السفر إلى بطرسبورغ. وقد ألمحت أنا إلى رغبتي في السفر لمشاهدة عرض أوبرات فاجنر في بطرسبورغ، لكن ليف نيقولايفتش انهال علي بسيل حاقد من الملامات، وتحدث بسخرية عن ولعي الجنوني بالموسيقى، وعن عجزي وحماقتي وهلم جرا...، مما أفقدني الرغبة في تمني أي شيء.

انشغلت اليوم كله في مراجعة الحسابات مع مسؤول التعاونية، ورتبت بعناية شؤوني المتعلقة بالكتب والأطفال والأعمال المنزلية، ولكن أصابني الإجهاد الشديد والصداع. وخرجت في وقت متأخر من المساء للنزهة مع ليف نيقولايفتش، وودعنا ماروسا ماكلاكوفا إلى بيتها، ورافقنا ستيوبا - شقيقي ودونايف.

جاء سريوجا وإيليوشا. وجرى في وقت متأخر من المساء حديث ثقيل الوطأة مع ليف نيقولايفتش. إنه أصبح عنيفاً أكثر وأكثر في شبهاته وغيرته وتسلطه. فهو يغضب لكل خطوة مستقلة أقوم بها، وكل متعة بريئة لي، وكل ساعة أقضيها وراء البيانو.

راجعت ابنتنا تانيا وماروسا ماكلاكوفا صوراً فوتوغرافية لمختلف

الرجال وتحدثن عن الرجل الذي يرغبن بالزواج به. وعندما بلغتا الصورة الفوتوغرافية لليف نيقولايفتش صرختا كلتاهما: «كلا، أبداً!». حقاً، من الصعب العيش تحت نير الطغيان، أما الغيرة فأمرها فظيع!

17 يناير. واصل ل.ن. حتى وقت متأخر من المساء توبيخي، وقال إنه يرجو أن *أخلي سبيله* وأدعه يسافر إلى القرية، وأنني لست بحاجة إليه، وأن العيش بموسكو بمثابة اغتيال له، وهكذا دواليك. وعبارة *إخلاء سبيله* لامعنى لها، فأنا لا أستطيع *الإمساك* به. وإذا ما رغبت في مجيئه إلى موسكو، فهذا لأنني أبتهج وهذا شيء طبيعي للعيش مع زوجي الذي اعتدت أن أحبه وأرعاه. وبغية ألا يتعذب بالغيرة فقد عملت كل ما في وسعي من أجل أن أكسب ثقته. وإذا ما سافر إلى القرية فإنه سيتعذب أكثر. أما إذا سافرنا جميعاً فكيف ستكون حال ميشا وساشا، هل سيتركان الدراسة؟ أنا افكر وأفكر في الأمر...أما لا مبالاة ليف نيقولايفتش وعدم اهتمامه بتربية أولاده فهو أمر ثقيل الوطأة بالنسبة لي دائماً، وأنا ألومه على ذلك. كم عدد الآباء الذين يربون أطفالهم، بل ويطعمونهم بعملهم، مثل أبي. أما ل.ن. فيعتقد أنه حتى *العيش* مع العائلة بمثابة اغتيال له.

ذهبت في الصباح إلى البنك لقضاء بعض الشؤون ومن ثم شراء الحاجيات. الرياح شديدة، ودرجة الحرارة 6 تحت الصفر. وصل إيليوشا لمشاهدة معرض الكلاب وللحصول على النقود. ومعنا سريوجا أيضاً. بينما سافر شقيقي ستيوبا، وجاءت إلينا صونيا مامونوفا.

اليوم طالعت الجريدة حينما كنت أنتظر في البنك، وقد حزنت حتى ذرفت الدموع لمصرع العمال في انفجار الغاز في مناجم ماكييف في محافظة خاركوف. وصف الجنازة، وجزع ذويهم، والخيول الصريعة، وجثث العمال المشوهة، هذا كله فظيع للغاية! لقد هلك رجال بلا نور، وبلا بهجة، في العمل الدائم تحت الأرض! بينما يكتبون إلى جانب ذلك

ويصرخون بشأن قضية دريفوس في باريس[1]. إنها تبدو لي تافهة إلى جانب الكارثة في روسيا.

18 يناير. انهمك ليف نيقولايفتش في إزالة الثلج وملأ البرميل بالماء في الحديقة وكتب الكثير من الرسائل. إنه صموت جداً، وغير حلو المعشر، كما إنه أساء إلي حقاً بالشكوى مني في الرسائل إلى الإصدقاء.

20 يناير. جمعت ساشا صباح يوم أمس التبرعات من أجل الابن الصغير لخادمنا إيفان الذي ترك العمل في بيتنا. فقد انسكب الماء الساخن للسماور على الصبي ليونا، وهو يرقد في المستشفى الآن.

كان يوم أمس الأول مدهشاً. فقد ذهب أولادي إلى المسرح، وشاهد سريوجا أوبرا «سادكو» في مسرح سولودوفنيكوف. وتملكني الفزع بأن المسرح سيحترق، وقلت لليف نيقولايفتش إنني أتنبأ بحدوث حريق في المسرح. وفعلاً احترق المسرح ليلاً بعد انصراف الجمهور، وانهار سقفه.

ذهبت اليوم مع ساشا لشراء جزم وكورسيت لها. وبعد ذلك نقلت الثلج فوق عربة اليد في الحديقة. وانضم ليف نيقولايفتش إلي، وأزلنا الثلج سوية، وبعد ذلك أخذ يتزلج بحذاءي التزلج. بينما جلست إلى البيانو وعزفت التمارين الموسيقية زهاء ساعة ونصف الساعة.

في المساء ابتهجت كثيراً. فقد جلبت لنا ماريا نيقولايفنا مورمتسيفا عازف البيانو الشاب جابريليتش الذي عزف لنا طوال المساء عزفاً رائعاً: بالادا شوبان، وكذلك مقطوعته النيوكتيورن، وImpromto شوبرت و Rondo بيتهوفن. ثم جاء ميشا أولسوفييف وماروسيا ماكلاكوفا. تمتع ليف نيقولايفتش كثيراً بالموسيقى وشكر ذلك الفتى المرح والطيب والموهوب البالغ من العمر 20 عاماً.

---

1 – ألفريد دريفوس: يهودي نقيب المدفعية الذي حكم عليه بالسجن مدى الحياة في جزيرة الشيطان في غينيا الفرنسية. ونشر الكاتب الفرنسي أميل زولا مقالته «أنا أتهم» التي دافع فيها عن دريفوس بعد اتهامه بالتجسس، أراد إثبات براءته من التهمة. (المترجم)

طالعت مع صونيا مامونوفا التي تحل ضيفة عندنا مجموعة مقالات ل. ن. «حول الفن». إن جميع النقاد يكتبون عن هذه المقالة بشيء من التحفظ.

21 يناير. أردت وبدأت بقراءة مسودات الطبعة الجديدة من كتاب ل.ن. «الطفولة واليفاع»، وتبين أنها نضدت بحرف مغاير لما هو مطلوب، فأرسلتها إلى المطبعة وطلبت إعادة تنضيدها.

في المساء بذلت جهدي بالعزف لحفظ سوناتا بيتهوفن. وبعد أن تعبت صعدت إلى ليف نيقولايفتش في الطابق الأعلى، فوجدت لديه أحد عمال المصنع وجندياً وأحد السفهاء. لقد ضجرت تماماً في هذا الجدار الدائم من مختلف الزائرين (وأي زائرين) القائم بيني وبين زوجي.

تبادلنا طوال النهار أنا وصونيا مامونوفا وليف نيقولايفتش الأحاديث حول إصدار جريدة ريفية من أجل عامة الناس. وهدف الجريدة – توفير القراءة *الممتعة* لعامة الناس. الأحداث مثل انهيار القطارات، واصطدام السفن، والكوارث في المناجم، وزيارة الضيوف الصينيين والحبشيين وغيرهم القادمين من وراء البحار، والمعلومات حول الطقس والزراعة والتاريخ، ومن ثم المعطيات حول قيصرنا والعائلة القيصرية، ووصف مقتضب للأعياد والتعليقات الساخرة، هذه كلها مادة للقراءة الميسرة. وقد استولت هذه الفكرة على ذهن ليف نيقولايفتش لدرجة أنه كتب رسالة إلى سيتين (ناشر الكتب والصور الشعبية) لمناقشة الجانب المادي من المشروع. والشيء الرئيس أن ل.ن. يريد جذبي للعمل في هذه الجريدة. وأنا أستحسن الفكرة، ولكنني لست قادرة على إنجاز هذا العمل معه، فنحن نمثل اتجاهين مختلفين تماماً، وقد يفسد ل.ن. كل شيء لي بسبب عدم قدرته في إدارة الشؤون العملية. وبوسعي أن أعمل مع ليف نيقولايفتش فقط بصفته محرراً أدبياً.

لقد أضناني التعب، والكآبة، سأذهب للرقاد والعيش بروحي وأفكاري، ومواصلة الحياة التي لا أعيشها في الواقع. أنا أنام قليلاً، لكنني أفكر، وأفكر، وأستعيد الذكريات، وحتى أفكر في المستقبل وأنتظر شيئاً ما منه.

أدى ميشا اليوم امتحان نصف السنة في مادة اللغة اليونانية.

22 يناير. عزفت على البيانو طوال الصباح، وأنا بحالة عصبية إلى أقصى حد، فلم أنل قسطي من النوم الليلة الماضية كلها، وبقيت راقدة بعينين مفتوحتين في العتمة، خشية أن أوقظ وأقلق زوجي. وبينما كنت اليوم جالسة وراء البيانو ورد في خاطري فجأة أن ل. ن. يمكن أن يموت، فقد هددوه بالقتل، وبغتة انطلقت في البكاء...مهما كان زوجي صارماً معي فما زال لدي الكثير من الحب نحوه في قلبي.

في المساء ذهبت إلى حفلة موسيقية يقيمها رباعي فيينا من أساتذة الكونسرفتوار.

تنزه ل.ن. في الصباح في الحديقة مع كلب تانيا «البودل»: فقد ذاب جليد ساحته للتزلج. ثم تلقى رسالة من إحدى السيدات في محافظة فورونيج تشير فيها إلى المجاعة هناك وتطلب المساعدة والنصيحة. فكتب ل.ن. رسالة إلى صحيفة «روسكيه فيدوموستي» حول المجاعة، لكن هيهات أن تنشر. زار في المساء روسانوف العليل. زارنا بوبوف، وسيسافر إلى بيريوكوف وسيحمل إليه بعض الحاجيات من ل.ن. علماً أن بيريوكوف سيسافر من باوسك إلى إنجلترا. وقد سافرت فينر إلى هناك يوم أمس، وهي العشيقة السابقة للأمير خيلكوف المنفي أيضاً.

26 يناير. كنت أعاني من المرض طيلة الأيام الماضية. في البداية عانيت من الألم العصبي في الجهة اليمنى من الرأس، ثم من السخونة الشديدة، وبعد ذلك من البلعوم. جاء الطبيب، الشاب أوسوف، وأعرب عن خشيته من أنني مصابة بالدفتريا، لكن أظهرت الفحوصات عدم وجودها. عجيب أمر هؤلاء الأطباء الشباب: عالج ماليوتين ساشا ورفض أخذ النقود، ورفض أوسوف أخذها أيضاً. أرسلت إليه بعض أعمال ل.ن. موقعة من قبله. ما زالت تانيا في بطرسبورغ، وقام ل.ن. بدهن بلعومي بالمرهم بصورة مؤثرة جداً، بكل عناية ولكن بارتباك. وقد أصابه الخوف لمرضي وفجأة أصبح في هذه الأيام كئيباً وعجوزاً. يا لغرابة حبنا جميعاً! فهو، مثلاً، هادئ، وسعيد، أما أنا فأجلس في البيت ببلادة وبسكينة وأعاني من السأم، أعمل أو أطالع. واذا ما دبت فيّ الحيوية، وصرت أقوم بعمل ما، وأخالط

أحداً من الناس، أجده يضطرب، ومن ثم يغضب، ويبدأ بمعاملتي بفظاظة. وأشعر أحياناً بصعوبة الحياة حين أقمع دوماً الفورات الساخنة لطبعي الحيوي السريع التأثر!

كنت راقدة في الفراش يوم أمس، حين جاء لزيارة ل.ن. ثلاثة من طائفة «شاربي الحليب» قادمين من سامارا، راجين تزويدهم برسائل توصية إلى بطرسبورغ. إنهم يرجون مجدداً أن يعاد إليهم أطفالهم الذين انتزعتهم الدولة منهم وسلمتهم إلى الأديرة. مساكين... الأطفال والأمهات! أي أسلوب وحشي هذا لإرغام الناس على اعتناق العقيدة الأرثوذكسية قسراً! فلا يمكن أن يقتنع بأية عقيدة أي أحد بهذا الأسلوب، بل العكس.

وصلت اليوم شقيقتي ليزا قادمة من بطرسبورغ، وجلبت وقرأت مقالاتها حول التعريفة، والأمور المالية، والمشاعية الفلاحية. عجيب أن تشغل امرأة رأسها بمثل هذه الأمور! علماً أنها انغمرت بكامل روحها في الأمور المالية الروسية، وتلتقي باستمرار الوزير فيته. وقد وجد ل.ن. ودونايف أموراً كثيرة لديها تنم عن ذكاء، بالأخص فيما يخص التعريفة، والتي فرضت في روسيا مؤخراً ولكن تبين أنها غير صالحة كلياً في التطبيق.

تلقيت اليوم الدعوة إلى حفلة موسيقية لدى مورومتسيفا لكنني لم أستطع الذهاب. كما لم أحضرالحفلة السيمفونية في يوم السبت، وأسفت لعدم سماع مقدمة «ايجمونت» لبيتهوفن. وتنازلت عن التذكرة لسريوجا، وأنا سررت لكونه قد ابتهج لحصوله عليها.

يوم أمس واليوم جلست في الفراش وقرأت مسودات «الطفولة» التي تولد في كل مرة مشاعر الحنان. ظهري يؤلمني، وضعفت، وتعذبني الكآبة النفسية، باستمرار.

جاء ل.ن. الآن وقال: «جئت للجلوس معك». وأشار إلى ثقلين (الدنبلصات) يبلغ وزن كل واحد منهما سبعة أرطال، والتي يريد أن يقوم بتمارين الجمباز بهما، واشتراهما اليوم. إنه واهن القوى ويكرر باستمرار: «لقد بلغت سن السبعين تماماً». علماً أنه سيبلغ السبعين في أغسطس، أي بعد نصف عام. في منتصف النهار تزلج بأحذية التزلج، ثم جرف الثلج. لكنه لا يستطيع ممارسة العمل الذهني، وهذا ما يعذبه بأكبر قدر.

27 يناير. في النهار قرأت مسودات المطبعة، وفي المساء جاء ضيوف: تسوريكوف، وبوبوريكين العجوز، ومحافظ أوريول السابق، والبروفيسور جروت، وسوليرجيتسكي، وجوربونوف وغيرهم. لقد تعبت جداً، زد على ذلك أنني مريضة، ولم أستطع المشاركة في الأحاديث وفي أي شيء. تزلج ل.ن. قليلاً بأحذية التزلج وصحح مسودات «الفن».

28 يناير. نهضت بجهد، وشعرت بالدوار، وبالغثيان، وبجسدي كله يتضعضع، وبصداع في الرأس. يبدو مع هذا أنني عملت كثيراً في التصحيح وتدبير شؤون الأطفال. ويوم أمس واليوم نقلت أجزاء من سجل النفقات العام إلى عدة سجلات منفردة على حدة: لأندريوشا، ميشا، ليوفا. زارتني السيدة الظريفة م.ي.ليونتييفا، وتبادلت معها الأحاديث بمودة وبصراحة حول قضايا الحياة الجادة جداً.

بعث سيرجي إيفانوفتش المربية العجوز اللطيفة بيلاجيا فاسيليفنا يستفسر عن صحتي.

عمل ل.ن. مجدداً وبجهد شديد في إزالة الثلج من ساحة التزلج، ومارس التزلج. كما بدأت التمارين بالثقلين. وهذا كله جعله يعاني مجدداً من ألم في الكبد، وأكل العدس والجاودار بنهم في الوقت غير المناسب، وبعد ذلك لم يأكل أي شيء. الآن بعثت لشراء مياه إيمس المعدنية وقدمتها له فشربها عن طيب خاطر. إنه جالس ويطالع، وأنا أطالع الآن «الكارثة» لبول مارجويريت وأخيه. أعتقد أنها تتناول فترة الحرب الفرنسية – البروسية.

زارت ل.ن. السيدة كوجان، ودار الحديث معها حول الأمور الرفيعة التي تهم البشرية والسعادة وسبل بلوغها.

يقوم سوليرجيتسكي بأعمال المراسلة وتصحيح المواد (إنها ليست كثيرة) الآن، وهو شاب ذكي وكفوء وحر، تعلم في وقت ما التصوير مع تانيا في مدرسة الفنون الواقعة في شارع مياسنيتسكايا. ل.ن. راض جداً عن عمله.

29 يناير. عادت تانيا من بطرسبورغ. وقد سافرت إلى هناك لطبع

صورها، وأمضت الوقت بصورة ممتعة جداً. وقد التقت بوبيدونوستسيف وتحدثت معه بصدد انتزاع أطفال شاربي الحليب من والديهم في محافظة سامارا. فقال بوبيدونوستسيف إن رجال الكنيسة المحليين قد أبدوا غلواً في الأمر، وأضاف إنه سيكتب عن ذلك إلى محافظ سامارا، *ويأمل في أن تتم تسوية المسألة*. أي احتيال! إنه يتظاهر بأنه لم يكن يعرف أن تانيا هي ابنة ليف نيقولايفتش، وعندما نزلت من السلم لاحقها بالسؤال: «هل أنت ابنة ليف نيقولايفتش؟». فأجابت: «نعم». – «إذن أنت تاتيانا لفوفنا الذائعة الصيت؟». وقالت تانيا: «لم أكن أعرف بأنني ذائعة الصيت».

جاء مجدداً شقيقي ستيوبا مع زوجته المريضة والطرشاء والتعيسة. وقد اختتمت معاملتهما لشراء ضيعة مع سريوجا في محافظة مينسك. والمسألة هي هل أن الصفقة مربحة؟ تناول الغداء عندنا م.ستاخوفتش. انشغل ليف نيقولايفتش طوال النهار في تصحيح مسودات المقالة «ما هو الفن؟». والآن في المساء خرج للنزهة مع الكلب البوديل الأسود، وفي هذه اللحظة يتناول عصيدة الشوفان ويشرب الشاي.

استمرت العاصفة الثلجية خلال اليوم كله، ودرجة الحرارة من 3 إلى 5 تحت الصفر. ما زلت متوعكة الصحة، وأشعر بألم في ظهري. عزفت على البيانو خلال ساعتين، وفقط عزفت بعض المقطوعات. عزفت الكثير من ألحان الفالس والنيوكتورنات ومقدمات شوبان. لكن بصورة سيئة جداً! يجب عمل الكثير بغية تعلم العزف بشكل مقبول، بينما أنا أعزف بصورة سيئة جداً، وأحقق التقدم لصورة بطيئة للغاية.

30 يناير.يجب أن أعترف اليوم بتأثير سيرجي إيفانوفتش في، وهو أمر لايب فيه. لقد زارني اليوم، ولم نجلس لوحدنا فترة طويلة، فقد كان معنا شقيقي ستيوبا وابني سريوجا. لكن عندما انصرف سيرجي إيفانوفتش شعرت بهدوء الأعصاب والبهجة الرقيقة التي تملكتني، وهو ما لم أشعر به منذ وقت بعيد. فهل هذا أمر سيئ؟ لقد تحدثنا عن الموسيقى فقط، وعن مؤلفاته، وعن مفاتيح آلت والسوبرانو والتينور. وشرح لي ولسريوجا الاختلاف بين هذه المفاتيح. ثم تحدثنا عن راحة الضمير، حين يتخذ المرء موقفاً صارماً من

أفعاله، وعن مدى المشاعر الثقيلة التي تنتابه لدى وفاة شخص قريب منه فيما يخص ذنوبه تجاهه. إن تساؤلاته الرقيقة والحانية عن مرضي مؤخراً، وعن الأطفال، وعما كنت أفعله خلال كل تلك الفترة، تم هذا كله ببساطة وبكل سكينة وحنان، مما وهبني سعادة إضافية. ولكن للأسف فإن غيرة ليف نيقولايفتش تقف حائلاً دون وجود علاقة صداقة بيننا، وصداقة ل.ن. والعائلة كلها مع هذا الإنسان الرائع والمثالي. وكان سريوجا ظريفاً جداً مع سيرجي إيفانوفتش، وأبدى المودة والرفق والكياسة معه. إن سريوجا كان سيمدحه وسيحبه لولا أبوه. وقد تحدث سيرجي إيفانوفتش عن نفسه، فقال إنه يصحح الأوبرا، وفكر في تأليف رباعي جديد، وأرسل السيمفونية إلى بطرسبورغ حيث ستعزف في 18 أو 20 مارس. كم وددت لو أسافر إلى هناك!

زارتني زوجة ستيوبا، إن طرشها ثقيل جداً. استنسخت من أجل ليف نيقولايفتش التعديلات على مقالته «حول الفن»، واستغرق ذلك حوالي ثلاث ساعات. وبعد ذلك تناولت الغداء عندنا ماروسيا ماكلاكوفا، وقرأت لي التصحيحات لـ «الطفولة». استلمنا مجلة «رودنيك» وفيها مقالة ليوفا «ياشا بوليانوف» («ذكريات من أيام الطفولة»). وقد تأثرت كثيراً لقراءة ذكرياتهم من وجهة نظر أبنائي: فهي تذكرني بأمور كثيرة، ومقالته تمس ذلك الجانب من حياة العمل المقدسة مع الأطفال وخدمة زوجي، والتي عشتها خلال أيام شبابي كلها. لكنني لا أتمنى *استعادة شبابي*. *فما* أكثر الأحداث *الحزينة* فيها، وما أكثر الجوانب *المأساوية* في تلك الحياة التي اتسمت بالتفاني ونكران الذات، والمترعة بالتوتر والجهد والحب، وغياب أي اهتمام *بحياتي الشخصية*. وبمسرات الشباب، *وبالراحة* ولو بقدر قليل... ناهيك الحديث عن التطور الروحي أو المباهج الجمالية...

31 يناير. خرجت من البيت لأول مرة بعد المرض. أودعت مبلغ 1000 روبل باسم إيليوشا في بنك دفوريانسكي، واستلمت الفوائد، ودفعت المستحقات المختلفة. هذه *مشاغل* تبعث على الضجر، لكنها ضرورية. جاء أندريوشا ودار الحديث مجدداً عن النقود، وعن حاجته إلى المزيد والمزيد منها. متى ستحل تلك اللحظة السعيدة التي أتخلص فيها من الأعباء

المالية لأولادي! كنت أظن أن تقاسم الممتلكات سيحميني منها، ولكن هذا التقسيم قد فرض الهلاك على أبنائي.

ل.ن. عمل طوال الصباح في تصحيح مسودات «الفن»، ثم أزال بهمة أكوام الثلج في ساحة التزلج، وبعد ذلك لبس حذاءي التزلج وبدأ بالتزلج. والآن لدى حلول المساء جلس بارتياح مع الضيوف، وأحياناً تراه يدلف إلى حجرته من أجل المطالعة والراحة.

1 فبراير. لم أجد سبيلاً إلى النوم بهدوء، واستيقظت في وقت متأخر، وعملت في تصحيح المسودات ودونت في سجلات الحساب نفقات يوم أمس. تغلبت على كسلي وذهبت إلى ساحة التزلج في بركة باتريارتشيه برودي حيث كانت تتزلج ابنتي ساشا مع أندريوشا وميشا. فوجدت هناك الكثير من المعارف. وإني لفي ذلك جاء سريوجا وتانيا من أبنائي الأكبر سناً. وتزلجنا بكل سرور وارتياح. وكان أفضل شيء هو التزلج مع يوشا بوميرانتسيف. أي شاب طيب ومرح ومتفتح وموهوب يوشا بوميرانتسيف هذا. أنا أحبه جداً وأجد فيه الخصال الطيبة لمستقبله.

في البداية امتعض أبنائي لرؤيتي في حذاء التزلج، وبالأخص الصبيان، لكنهم حين رأوا أنني أتزلج بشكل غير ملحوظ وبخفة، هدأ خاطرهم كما أعتقد، وحتى إن أندريوشا رافقني في إحدى الدورات حول الساحة.

لكن التزلج أصابني مع هذا بالوهن، فنمت بعد الغداء، وهو ما لا أفعله عادة أبداً. وعندما استيقظت وجدت الضيوف: بوتينيف وماسلوف والرسام كاساتكين وباراتينسكايا. وتبادلنا الأحاديث حول النزعة السلافية، وحول الفن، وحول الفرق الدينية ورحلة تانيا إلى بطرسبورغ. صار ليف نيقولايفتش يعاني مجدداً من الألم في المعدة والكبد، وهو يعتقد أن السبب هو تناوله التفاح، لكنني على يقين بأن هذا ناجم عن الإجهاد في العمل يوم أمس حين أزال الثلج حول البيت. إنه حتى لم يتناول طعام الغداء. وأنا أرى بعذاب كيف يصيبه الهزال، وحينما يأوي إلى مضجعه يبدو في الفراش صغير الحجم، وتبرز العظام في كتفيه وظهره. لكن سحنته كانت في هذه الأيام تفيض حيوية، وهو مرح وفياض العافية وقوي البنيان، لكنه هزيل

الجسم. أنا أبذل جهدي لإطعامه بشكل أفضل لكن هذا صعب: يوم أمس طلبت أن يطهى له الهليون وحساء البوريه الخفيف، ومع ذلك فإن حالته الصحية اليوم ليست جيدة. وأنا أسعى بكل روحي إلى ألا يتكدر بأي شيء، ولا أعارضه في أي شيء ولا أذهب إلى أي مكان.

عندما تحدث ل.ن. اليوم عن الفن تذكر مختلف المؤلفات التي يعتبرها من الأعمال الإبداعية الحقيقية مثل قصيدة تاراس شيفتشينكو «الفلاحة الأجيرة» وروايات فكتور هوجو ورسوم الفنان كرامسكوي - كيف يزحف الفوج وامرأة شابة، والطفل والمرضعة يتطلعان من النافذة، ثم رسم سوريكوف كيف ينام المحكومون بالأشغال الشاقة في سيبيريا، والشيخ الجالس في تصوير قصة ل.ن. «الرب يرى الحق». كما ذكر، أنا لا أتذكر قصة أي كاتب (ربما هوجو أيضاً)، حول كيف ولدت زوجة صياد السمك توأمين ثم توفيت، وكيف أخذت زوجة صياد آخر لديها خمسة أطفال هذين الطفلين، وعندما عاد زوجها روت له بخفر كيف توفيت الأم ومولد الطفلين، فقال لها الزوج: «ما العمل يجب أخذهما». وأزالت الزوجة الستار وأرته الطفلين اللذين آوتهما في بيتها فعلاً. كما جرى ذكر أشياء أخرى كثيرة والتأمل فيها.

خرج ل.ن. بالرغم من توعك صحته إلى الحديقة حيث مارس التزلج وتنزه قليلاً مع دونايف.

أنا أشعر بالضجر بلا موسيقى، لكن ما العمل!

2 فبراير. أويت إلى الفراش أمس في وقت متأخر، ولم أغفُ طوال الليل تقريباً. لم أكن منذ وقت بعيد متدينة كثيراً بهذا القدر كحالي الآن. وغمر روحي وبعث في أعماقي فضاء واسع ما من ذلك الشعور الذي راودني بعد وفاة فانتشكا. وبدا كما لو أنني رفعت الستار، وتطلعت بجد إلى ذلك العالم، أي إلى ذلك الوضع غير الجسدي والروحي حصراً، الذي يتحول فيه كل ما هو دنيوي إلى فناء. وقادني هذا المزاج إلى الصلاة، والصلاة من أجل راحة النفس.

في الصباح قرأت مسودات المطبعة، ثم خرجت لزيارة أوفروسيموفا (ستوليبينا) وعرفت أنها ولدت ابناً بنجاح في 31 يناير. ثم عرجت على العمة العجوز، شيدلوفسكايا، وجلست معها. تناول الغداء عندنا أبناء ماكلاكوفا

الشباب. وفي المساء ذهبت تانيا وساشا وماريوسا لمشاهدة عرض أوبرا «سادكو». أردت أن أمارس العزف على البيانو لكن جاء أندريوشا، وقد أشفقت عليه، فجلسنا سوياً وتبادلنا الحديث بصورة طيبة. لكن في وقت متأخر من المساء، حين سافر المسكين إلى تفير للالتحاق بفوجه، جلست مع هذا للعزف طوال ساعة ونصف الساعة. أما ل.ن. فقد عمل ظهراً، وفي المساء قرأ رسائل الدوخوبوريين وكتاباً حول ماري أوروسوفا كتبته أمها. ثم كتب رسائل وسر كثيراً لوحدته.

تلقيت رسالة من ماشا وليوفا. الجو بارد، ريح، درجة الحرارة 12 تحت الصفر.

3 فبراير. اليوم عيد القديس شفيع المربية. وقد تجنبنا لقاءها لكي لا تذرف الدموع، مثل العامين الماضيين، لدى تذكر فانتشكا الذي كان يتحمس كثيراً *للاحتفال*، حسب تعبيره، بعيد شفيع المربية، وطلب شراء قدح ومنديل وحلويات لها. حاولت طوال اليوم ضبط أعصابي من المحنة، التي كانت تخنقني، ولم أتحدث عن ذلك مع أي إنسان، وفقط في المساء أخمدت *بالعزف آلامي الروحية بعزف المقطوعات الموسيقية التي عزفها وأخمد بها مصيبتي*، ذاك الرجل العزيز لكونه وهب لي هذا كله.

اجتمعت لدى ليف نيقولايفتش في المساء عصبته كلها: جوربونوف وبوبوف ومينشيكوف من بطرسبورغ، واثنان آخران جديدان أحدهما صديق بولانجيه والآخر لا أعرفه. هؤلاء الرجال صامتون دوماً تماماً. لم يتم تداول أحاديث شيقة. إنهم تحدثوا عن الفن، وتذكروا مختلف الأحداث ذات الأهمية... ل.ن. مصاب بالزكام. لقد وجد في الصباح في تصحيح مسودات «الفن» فقدان مقاطع ما فيها. فذهب أولاً إلى جروت، ومن ثم إلى هيئة تحرير «مجلة الفلسفة وعلم النفس» وأعاد المقاطع المفقودة.

4 فبراير. تلقيت درساً لدى مس ويلش، وعزفت كثيراً، وفي المساء جاء مينشيكوف. طفقت أغفو في صالة الاستقبال، وخرجت ورقدت في الفراش.

5 فبراير. ذهبت إلى الحفلة الموسيقية لطلاب الكونسرفتوار. للأسف تأخرت لأنني لم أعرف أن البداية ستكون في الساعة الثامنة. جلست طوال الحفلة الموسيقية إلى جانب سيرجي إيفانوفتش، أنا أحب الإصغاء إلى شروحه وتعليقاته على أي شيء موسيقي تقريباً. وأوصلته بزحافتي، وأعرب عن سروره بسذاجة لسرعة عدو الحصان.

غمرني في البيت على حين غرة شعور رهيب، كما لو أنني أخفيت جريمة ما. وأحسست بالشفقة على سيرجي إيفانوفتش، اذ كان في معطف خفيف، وهناك الريح والقر، وكان من الطبيعي أن أوصله إلى بيته. علماً بأنه كان يتكئ على العصا، حيث ما زال يمشي مشية رفلاء لإصابته بساقه.

وغداً سيعزف مع جولدينفيزر لنا عزفاً ثنائياً بأربع أيد سيمفونيته «أوريستيوس».

6 فبراير. المساء متوتر وثقيل الوطأة جداً. عزف سيرجي إيفانوفتش وجولدينفيزر بأربع أيد مقدمة سيمفونية «أوريستيوس» التي لحنها تانييف. وقد أصغى جميع أهل بيتنا بشيء من اللاأبالية المتسامحة. وساد جو من الارتباك، فلم يعرب أي أحد عن الثناء: وشكراً لليف نيقولايفتش الذي قال بما يتصف به عادة من كياسة وأدب إن *الموضوع* أعجبه. ولم يعرب عن التأثر والارتياح سوى آنا إيفانوفنا ماسلوفا وآنا. فنحن أصغينا إلى عزف «أوريستيوس» وكذلك المقدمة بعزف الأوركسترا. أما العزف على البيانو فكان تذكيراً بها فقط.

لم أر ل.ن. اليوم كثيراً. فقد طالع، وذهب إلى جروت، وحمل مسودات تصحيح «الفن»، وكتب الكثير من الرسائل، وأمضى المساء معنا. إنه مشرق الوجه لكن يوجد في سحنته شيء من التحفظ والانطواء على الذات. أنا لا أعرف أين وضع دفتر يومياته الأخيرة، وأخشى أن يكون قد بعث به إلى تشيرتكوف. أنا أخاف سؤاله. يا إلهي! يا إلهي! لقد عشنا سوية طوال الحياة، ووهبت ل.ن. كل حبي، وكل شبابي. ونتيجة حياتي هي أنني *أخافه*! أخافه من دون أن أرتكب أي ذنب بحقه! وعندما أصبو إلى تحليل شعور *الخوف* هذا، أجد نفسي مضطرة في أغلب الظن إلى إيقاف هذا التحليل. لقد أدركت الكثير جداً بمرور الأعوام ومع النضوج.

إنه غمرني في يومياته بالتشنيع بدأب وبذكاء، وأبرز في عبارات ساخرة ومقتضبة جوانب الضعف لدي فقط، ويبرهن ببراعة أيضاً كيف أنه يحمل هالة الشهيد، بينما أنا أحمل سوط كسانتيبا[1].

يا رب! أنت وحدك تصدر حكمك علينا.

7 فبراير. قرأت مع ماروسيا ماكلاكوفا طوال اليوم تقريباً مسودات «اليفاع» و«ما هو الفن؟». أما ليف نيقولايفتش فهو مشغول بتصحيح مسودات «الفن». عزف سريوجا كثيراً في المساء وفي بعض الأحيان كان عزفه جيداً جداً. هبت عاصفة ثلجية طوال النهار.

8 فبراير. راح ل.ن. يشكو من جديد من تضعضع صحته ووهن عافيته. إنه يعاني من الألم في ظهره ابتداءً من الرقبة، كما يشعر بالغثيان خلال النهار كله. أي طعام يتناول هذا شيء فظيع! فقد تناول اليوم الفطر المملح والفطر المخلل وأكل مرتين الفواكه المجففة والمغلية، هذا كله يولد الحموضة في المعدة، وهو لا يتناول أي طعام آخر، ويصيبه الهزال. في المساء طلب شيئاً من نقيع النعناع وشرب بعضه. علماً أنه أصبح كئيباً. وقال اليوم إن حياته تشارف على نهايتها، وإن الماكينة عاطلة، وحان الأوان للرحيل. في الوقت نفسه أرى موقفه من الموت عدائياً جداً. وقد شبهته اليوم لحد ما بالعمة بيلاجيا ايلينيتشنا يوشكوفا التي فارقت الحياة في بيتنا. إنها لم ترغب في الموت أيضاً، واتخذت من الموت موقفاً عدائياً وبضراوة حين أدركت بأنه قد حان أوانه. لكن ل.ن. لم يقل ذلك، إلا أن الكآبة واللامبالاة حيال كل شيء يظهر أن التفكير بالموت يجعله كالح المزاج أيضاً. لم يغادر غرفة مكتبه خلال اليوم كله ونام هناك بعد الظهر، ثم صحح المسودات، وطالع شيئاً ما. والآن في المساء يجلس عنده البروفيسور جروت الذي جلب مجدداً مسودات «الفن». وكانت الأحلام تراود ل.ن. في أن يمارس لعبة الفينت، بينما يشعر الآن بالغثيان، ولم يستطع اللعب أكثر.

1 – كسانتيبا: زوجة سقراط التي كانت تعذب زوجها، وأصبحت رمزاً للمرأة السليطة اللسان والسيئة الخلق. (المترجم)

ولجت غرفة ل.ن. مساء اليوم. كان يجلس هناك رجال غرباء تماماً: فلاح وعامل مصنع وواحد من السفهاء. إنه الجدار الذي يفرق ما بيني وزوجي في الأعوام الأخيرة. أصغيت إلى أحاديثهم. سأل العامل بسذاجة: «ماذا تعتقد يا ل.ن. مثلاً بشأن ظهور سيدنا عيسى المسيح مرة ثانية؟».

اختفى ابني ميشا خلال النهار كله، وأنا لا يعجبني غيابه عن البيت. لكنه وقد بلغ سن 18 عاماً يضجره الجلوس مع عمال المصانع، ومع الكبار في غياب الشباب. أما ساشا الخرقاء والمتكبرة فهي صغيرة جداً، ولا تبعث لديه الاهتمام كرفيقة في الصحبة. إنها ليست موفورة الحيوية وعطوفة وذكية مثل تانيا.

9 فبراير. كان شقيقي ستيوبا اليوم يتحدث مع ليف نيقولايفتش وسريوجا. وعندما دخلت الغرفة لزموا الصمت. فسألت عمَ كانوا يتحدثون؟ فتملصوا من الكلام.

نعم، مسكينة، مسكينة أنا! لقد كان يزعجه دوماً كوني أحب الجمال، وأحب *الطهارة* في كل شيء، في المظهر والمخبر. ما كان بحاجة إلى هذا كله. إنه كان بحاجة إلى امرأة خاملة ومعافاة وقليلة الكلام وبلا إرادة. والآن تعذبه موسيقاي، ويدين أزهاري في الغرفة، وحبي لكل فن من الفنون، ويسخر من مطالعتي لسيرة حياة بيتهوفن أو فلسفة سينيكا... لقد عشت هذه الحياة فلا ضرورة لاستذكار كل ما فيها من أوجاع.

12 فبراير. لم أدون شيئاً خلال اليومين الماضيين. لقد عملت كثيراً خلال هذين اليومين في تصحيح مسودات مقالة: «ما هو الفن؟». أدخلت الإضافات والتعديلات. وأنهيت كلياً تصحيح «الطفولة واليفاع». ومنذ يومين ذهب ل. ن. إلى عائلة روسانوف، بينما جاءت إليّ ابنتا شقيقته ليزا أوبولينسكايا وفاريا ناجورنوفا، وجلب الرسام كاساتكين رسوماً رائعة: صور الإنجيل للرسام الفرنسي تيسو. وقد أمعنا النظر جميعاً برفقة تانيا في هذه الرسوم الشيقة، المتميزة جداً من الناحية الإثنوغرافية والمترعة بالخيال.

يوم أمس ذهبت مشياً على الأقدام إلى شارع كوزنيتسكي موست ولدى

عودتي رأيت ل.ن. يمارس التزلج في الحديقة. فلبست حذاء التزلج بسرعة وانضممت إليه. ولكن بعد باترياشيه برودي وجدت أن التزلج في حديقتنا ضيق المجال لقلة المكان ولا يجلب المتعة. إن ل.ن. يمارس التزلج بهمة وبصورة جيدة، وصار مبتهجاً ومرحاً مجدداً خلال يومين. ذهبت يوم أمس إلى الحفلة الموسيقية وصرت أتصور بجلاء الكارثة الشعبية بسبب رداءة المحاصيل وشحة الخبز، والتي يتحدث الجميع عنها في كافة الأنحاء. وطفقت أتصور بجلاء وأرى بدقة الأطفال الذين يطلبون الطعام، بينما لا يوجد ما يؤكل، والأمهات اللواتي يتعذبن لرؤية الأطفال الجياع، وكذلك لرؤية الجياع أنفسهم، - وتملكني الرعب، وشعور بالعجز... لا يمنعني شيء من أن أكابد بهذا الشكل، وأن أفكر بجوع الأطفال. في أغلب الظن إنني حين كنت أرضع أطفالي بثديي، كانت تراودني هذه الفكرة، بأن الطفل جائع، وأنا الآن أشفق على جميع الأطفال في العالم وليس على أطفالي فقط.

داهمتنا صباح اليوم مشكلة كبيرة تتعلق بميشا. إنه لم يبت في البيت، فوبخته وراح يجيبني، وعندئذ تملكني الغضب. بعد ذلك خرج وهو يصفر لحناً ما. وغضبت كلياً، وانخرطت في البكاء، وقلت له: «أمك تبكي بينما أنت تصفر، أين الحنان في قلبك؟». فاضطرب وطلب المغفرة. وبغية جلب الهدوء إلى أعصابي وقلبي جلست إلى البيانو وبدأت بعزف «السوناتا الحماسية» لبيتهوفن. عزفت حوالي ساعة ونصف، ثم حفظت سوناتا أخرى. دخل ل. ن. وطفقت أحدثه عن سلوك ميشا، لكن هذا لم يجد أي اهتمام لديه، بل جلب لي عملاً، وهو إدخال التصحيحات في مقالة «ما هو الفن؟» بنقلها من نسخة إلى أخرى.

استغرق إنجاز هذا العمل حوالي الساعتين. فذهب لتسليم هذه الصفحات المصححة إلى المطبعة، بينما بدأت مع فيروتشكا بإعداد الغرفة من أجل دورا وليوفا.

عزفت قليلاً بعد الغداء. ووصل ليوفا ودورا. تبادلنا الحديث وجلسنا معاً، ثم جاء جروت، فتحدثنا بشأن المقالة. إنها لم تحظ بإعجاب أي أحد. وقد أغاظني في هذه المقالة اليوم أنها تتضمن إدانة بيتهوفن. فقد قرأت منذ فترة قريبة سيرة حياته، مما جعلني أسمو بهذا البيتهوفن العبقري وأحبه

أكثر. لكن حبي لأي أحد كان يولد دوماً الحقد فوراً لدى ليف نيقولايفتش، والحقد حتى إزاء من انتقل إلى جوار ربه. وأذكر أنني حينما طالعت سينيكا وأعجبت به قال على التو بأنه كان رومانياً أحمق ومتفاخراً بذاته. يجب علي إخفاء جميع مشاعري.

مسكينة تانيا... إنها محزونة وواجمة لأمر ما. وقد ذهبت للتزلج مع ساشا لكن هذا لم يجعلها مرحة متهللة الأسارير. ذهب سريوجا إلى بيت عائلة أولسوفييف، وأنا أعاني من الضجر وحيدة بدونه، فأنا أحبه كثيراً.

تلقيت رسالة رقيقة من أندريوشا. كما كتبت لي ماشا يوم أمس. اليوم هو عيد ميلادها حيث بلغت سن 27 عاماً. علماً أنها الابنة *الخامسة* لدي!. إنني لن أشعر أبداً بأنني عجوز. فكل ما بقي يرتبط بسن الشباب: سرعة التأثر، الاندفاع نحو العمل، والقدرة على الحب، والأسى، والولع بالموسيقى، والتزلج بمرح أو حضور الحفلات... وكذلك مشيتي الخفيفة وصحة جسدي، فقط سحنتي طرأت عليها الشيخوخة...

13 فبراير. عملت طوال المساء في تصحيح المسودات وإجراء التعديلات والإضافات في مقالة «الفن». ويوم أمس سمحت لليف نيقولايفتش بأن يرسل إلى جوريفتش في مجلة «سيفرني فيستنيك» المقدمة التي كتبها لترجمة سريوجا كاربنتر حول أهمية العلم. وقد سمحت بذلك لأنه بعد مقالة «الفن» نشرت في المجلد الخامس عشر هذه الأفكار حول العلم. وستكون من حيث الفكرة استمراراً للمقالة. وقد ابتهج ل.ن. كثيراً لموافقتي.

في المساء كتب ل.ن. كثيراً وكثيراً من الرسائل. إنه يشرب للمساء الثاني الصودا بعد أن أصابته التخمة من تناول الفطائر الجافة. مسكين! ومن حيث المبدأ هو لا يأكل الزبدة ولا الكافيار. وهذا شيء جميل – امتناعه عن أكلهما – ولكن إذا استسلم للإغراء، فهذا أسوأ.

14 فبراير. مشاغل عيد المرافع. ذهبت في المساء لشراء كافة الحاجيات، ثم مارسنا التزلج: تانيا وساشا ولوفا وأنا، أما دورا فقد حضرت للمشاهدة فقط،

لأنها حامل. تناولنا الغداء في جو عائلي، وساد مزاج طيب وأنيس، مما بعث البهجة في نفوسنا. يواصل ل. ن. العمل في تصحيح مقالة «الفن». وفي المساء ذهب لزيارة تاجر عجوز (72 عاماً) من أتباعه، يعاني من مرض سرطان الكبد. وقد جأر هذا التاجر بالشكوى إلى ل.ن. من أنه يشعر بالضجر من العيش مع أفراد عائلته، وأن زوجته وابنه *يصليان* أمام الألواح (أي الأيقونات).

في المساء اجتمع عدد كبير من الأطفال والصبيان، وكانوا في البداية خاملين، لكنهم صاروا فيما بعد يمارسون مختلف الألعاب البهلوانية، بينما جلس بعض الصبيان لممارسة لعبة الفينت. وخلال المساء جاء أشخاص مجهولون بملابس الدومينو والأقنعة (فيما بعد علمنا أنهم من أسرتي كالاتشيف وأوستينوف اللتين لا تربطنا بها وشائج التعارف). وكالعادة لم يسفر ذلك عن أية تسلية. ويؤسفني جداً أنني لا أستطيع توفير أية متعة *لليوفا ودورا*.

ما زال مزاجي وحياتي *الداخلية* بالحال السابق، الانفعال ذاته، والحزن الأبدي على فانتشكا. كنت يوم أمس أتمشى في نوفينسكي بولفار، وبغتة انبجست أمامي ذكريات *ذلك* اليوم الرهيب، حينما حملنا أنا ول.ن. تابوت فانيا في هذا الطريق...وفي كل مرة أصلي دوماً، لكي يساعدني الرب على أن أطهر روحي وأسمو بها قبل وفاتي، ولكي ألتحق بأطفالي الصغار عند الرب...

يبقى الحب ذاته للموسيقى التي تدعم توازني الروحي وتساعدني في حياتي. وتبقى ارتباطات القلب ذاتها مع بعض الأفراد والتي تدعم إيماني بالخصال الطيبة للبشر ومساعدتي في الحفاظ على الصفات الروحية السامية.

اختتمت الأمسية بأن عزف جولدينفيزر كونشرتو شوبان، ومقطوعة لليست وأخرى لشوبان.

15 فبراير. ينهمر الثلج منذ الصباح، والجو معتم. السكون يسود في البيت. روى لي أندريوشا أشياء فظيعة حول فسق النساء وسقوطهن في حمأة الرذيلة. شيء محزن أن يحظى هذا باهتمامه. ل.ن. يجلس مجدداً لتصحيح المسودات. تانيا حزينة، وساشا مريضة. أمضيت اليوم في تدبير الشؤون

المنزلية، وعملت طلبية بذور، الأمر الذي يتطلب دائماً فطنة كبيرة واهتماماً. لم أخرج إلى أي مكان. حاولت أن أعزف على البيانو، لكن وقف الجميع ضد ذلك. جاءت جليبوفا مع ب. ستاخوفتش. أنا لا أصدر الحكم على أي أحد الآن وأبتهل إلى الرب فقط قائلة: «اكشف لي ذنوبي واجعلني لا أدين غيري». تناول الغداء عندنا كل من فيرا سولوغوب وليوفا سوخوتين. وكان أندريوشا وميشا في البيت وساد جو عائلي وطيب. في المساء واصلت الكتابة، وجاءت الفتيات من عائلة بيلسكي وبوتينيف الأب وابنته، مارس ل.ن. معه ومع البنات لعبة البادمنتون. إنه معافى ومرح. دار الحديث بيننا عن «الديسمبريين»، وقد أراد ل.ن. أن يكتب عنهم في وقت ما، وقرأ الكثير من المراجع، وهو يتذكر ذلك وتحدث إلينا عن قصتهم كلها.

عاد سريوجا من بيت عائلة أولسوفييف. مسكين أندريوشا فقد سافر إلى تفير. ولم يكن راغباً في ذلك البتة! عندما جرت لعبة البادمنتون تذكرت مرة أخرى فانتشكا وغمرني الحزن. يا لغرابة الأمر، فكلما أعزف الموسيقى بقدر أقل يشتد حزني على فانتشكا، وكلما أعزف أكثر يقل حزني. إن موسيقى سيرجي إيفانوفتش تقضي على الحزن. إنها مثل الأثقال في الميزان، فأين تضعها تميل الكفة إلى تلك الجهة.

16 فبراير. اليوم الاثنين... اليوم الأول من أسبوع الصيام. أنا أحب هذا الوقت. وأحب مزاج الهدوء العملي والطمأنينة الدينية. كما أحببت اقتراب فصل الربيع، لكنني فقدت هذا الشعور الآن. فما حاجتي إلى فترة الربيع! إنها لا تضيف بل تنقص سعادتي حيث تولد لدي القلق في البحث عن السعادة والرغبة فيها، والتي لا توجد ولن توجد.

عملت في الصباح في خياطة فستان ساشا. ثم عزفت على البيانو فترة ساعتين ونصف الساعة. وقبيل الغداء ذهبت إلى س.أ. فيلوسوفا، وتحدثت معها عن الأطفال والأحفاد، والمنغصات العائلية المختلفة. وعندما انصرفت منها اعتملتني الرغبة في كسب الحركة والهواء والوحدة والحرية، فخرجت للتمشي. تأخرت عن موعد الغداء. وانهالوا علي بالعتاب. فقد جلس الجميع وراء المائدة، وأسرعت في تناول وجبة الصيام. سأصوم

طوال فترة الصيام، إذا ما ساعدني الرب. وبعد الغداء تطلع الجميع إلى الصور في مجلة من فيلادلفيا أرسلت إلى ل. ن. ودار الحديث حول شراء الضياع. بعد ذلك بدأت باستنساخ نهاية مقالة ل.ن. حول الفن بغية إرسالها إلى إنجلترا وعملت فترة ساعتين.

قرأ ل.ن. في المساء مسرحية «اللصوص» لشيللر وأبدى إعجابه بها. ورأيت على طاولته اليوم دفتراً أسود بدأ فيه، كما أعرف، كتابة قصص روائية.

17 فبراير. استطعت في الصباح العزف على البيانو لمدة ساعتين تقريباً. ثم اشتريت سرجاً لكي أقدمه كهدية إلى ليوفا بمناسبة عيد القديس شفيعه، كما اشتريت من أجل ليف نيقولايفتش العسل والتمر والبرقوق الممتاز والكمثرى والفطر المملح. إنه يحب أن يكون لديه على النافذة احتياطي من الطعام ويأكل التمر والثمار سوية مع الخبز حين يكون جائعاً. كتب اليوم كثيراً، وأنا لا أعلم ماذا كتب فهو لا يقول لي. ثم خرج للتزلج بحذاء التزلج مع ابننا ليوفا. تناولنا طعام الغداء في جو المرح والمودة. وفي المساء جلس دونايف. بينما انهمكت بالتطريز حيث لا يمكن عمل أي شيء حين يوجد ضيوف في البيت. بينما فرض علي اليوم استقبال مختلف الضيوف. فجاء المدعو أريستوف للقاء ل.ن. لكن ليف نيقولايفتش ذهب إلى الحمام، واختفى برفقة سيرجيينكو طوال ساعتين، بينما وجب علي أن أصغي إلى السيد أريستوف هذا الذي روى شتى الأحاديث حول ري الحقول وتربية الأسماك وشؤونه العائلية، وأقدم له النصائح حول زواج ابنته البالغة من العمر 22 عاماً من عجوز ثري في الخمسين من العمر. شيء غريب أن يبحث هذا الموضوع مع امرأة غريبة عنه، مثلي! ثم حدثني سيرجيينكو عن رغبته في إصدار كتاب حول ليف نيقولايفتش يحتوي على شتى الصور الفوتوغرافية له وعن عائلته وحياته وهلم جرا. هذا شيء لا يسر حين ما نزال على قيد الحياة.

18 فبراير. عيد القديس شفيع ليف نيقولايفتش وليوفا. إن ل.ن. لا يعترف بالأعياد عموماً، لاسيما أعياد القديسين. وقدمت إلى ليوفا كهدية سرجاً إنجليزياً ممتازاً من صنع شركة زيمرمان. عملت طوال النهار: في البداية

أصلحت فانيلا ليف نيقولايفتش الرمادية، ثم طرزت على قماش صوفي أبيض شريطاً، هو عملي القديم الجميل ولكن التافه. حينما يزورنا كثير من الضيوف لا أجد شيئاً أفضل من الخياطة والتطريز، وإلا فإن حضورهم يبعث فيّ الوهن جداً.

لدينا غداء عائلي. فقد جاء العم كوستيا إيسلافين. وجاءت ابنتا أخت ليف نيقولايفتش - ليزا أوبولينسكيا وفاريا جاغورنايا. وكذلك سريوجا وتانيا وليوفا مع دورا وميشا وساشا - لقد اجتمع عدد كبير من الأبناء والبنات، وأنا أحب عندما يجري الاحتفال بالأعياد العائلية.

شربنا شمبانيا الدون نخب صحة المحتفى بهما. لكن الانطباع الذي خلفه اليوم هو الخواء.

ذهب ل.ن. حاملاً المسودات المصححة لمقالة «الفن» إلى هيئة التحرير، ثم أجرى تعديلات على المقدمة المرسلة إلى كاربنتر من أجل «سيفرني فيستنيك».

ذهلت مساء يوم أمس لدى سماع حديث ل.ن. حول قضية المرأة. فقد كان يوم أمس ودائماً ضد حرية وما يسمى *مساواة المرأة في الحقوق*. فقال يوم أمس على حين غرة إن هدف المرأة واحد مهما كان عملها - كمعلمة وطبيبة وفنانة - وهو الحب الجنسي. وحالما تبلغه تضيع جميع أفعالها هباءً.

وقد أثار هذا الرأي غيظي للغاية فرحت ألوم ليف نيقولايفتش لرأيه الوقح الدائم هذا بشأن المرأة، وما أكثر ما سببه لي من عذاب وألم. فقلت له إنه ينظر إلى المرأة هذه النظرة لأنه حتى بلوغه سن 34 عاماً لم يعرف أية امرأة شريفة. أما فقدان المودة وتعاطف الروح والحياة الداخلية، الذي يعذبني ويحزنني حتى الوقت الحاضر، فقد تكشف وتوضح لي بكل جلاء بمرور الأعوام، لقد أفسد لي حياتي وأرغمني على الاكتئاب واليأس وحب زوجي بقدر أقل الآن.

19 فبراير. أمضى سيرجيينكو النهار كله عندنا، وهو يكتب دراما مع تانيا سوية، والشيء الرئيس أنه يعد مجموعة سيرة حياة ليف نيقولايفتش ويكثر من توجيه الأسئلة. واليوم رسم له ل.ن. مخطط البيت الذي وجد في ياسنايا بوليانا، حيث ولد وشب فيه ل. ن. وباعه لتسديد ديون الخسارة في القمار

إلى صاحب الأطيان جوروخوف في قرية دولجويه. والبيت قائم حتى الآن شبه مهدم، وسيذهب سيرجيينكو إلى هناك لالتقاط صور فوتوغرافية له ووضعه في مجموعة سيرة الحياة.

عندما رسم ل.ن. مخطط هذا البيت ارتسمت على سحنته سمات الحنان والطيبة. فهو يتذكر هناك كيف كانت حجرة الأطفال حيث عاشت براسكوفيا سافيشنا، وهناك غرفة المكتب الكبيرة لأبيه، والصالة الكبرى، وغرفة *العزاب*، وغرفة الندل، وغرفة الديوان الخ. لقد كان بيتاً كبيراً. سألني سيرجيينكو ما الذي سيجلب السرور إلى قلب ليف نيقولايفتش في عيد ميلاده في العام الحالي، المصادف في 28 أغسطس. وسيبلغ ل.ن. سن 70 عاماً. وقد فكر: هل يشتري هذا البيت ويضمه مجدداً إلى ياسنايا بوليانا في مكانه السابق وبالشكل الذي كان عليه سابقاً. أم يفتتح فيه ملجأ للأطفال الصغار الذين تذهب أمهاتهن للعمل؟ لكننا لم نتوصل إلى رأي بهذا الصدد، ويبدو أن لديه بعض المال في مكان ما من أجل تحقيق هذا الغرض.

يخفي ل.ن. يومياته بحرص في مكان ما. وكنت سابقاً إما أحزر أين يخفيها، أو أجدها. أما الآن فلا أستطيع إيجادها البتة ولا أتكهن أين وضعها.

20 فبراير. العاصفة الثلجية مستمرة لليوم الثالث مما يبعث على الكدر. أما مشاغلنا فهي كالسابق: يجتهد ليف نيقولايفتش في تصحيح الباب العاشر من كتابه «الفن»، بينما أنا أعزف على البيانو.

ميشا يصوم في مدرسة الليسيه، بينما أنا لم أذهب إلى الكنيسة ولو مرة واحدة في هذا الأسبوع، وهذا لا يسرني.

زار ل.ن. ضيفان من السفهاء الموجيك، فما هو موضوع حديثه معهما! الآن الساعة 12 ليلاً، بينما هو يريد أن يحمل التعديلات إلى جروت، في بوليفار نوفينسكي، وأقنعته بعد بذل جهد جهيد بالعدول عن ذلك والبقاء في البيت.

21 فبراير. ألقت مس ويلش علي في الصباح درساً في الموسيقى. ثم عزفت لوحدي. العاصفة الثلجية مستمرة. خرجت للنزهة ومشيت طوال

ساعة ونصف. ل.ن. مشغول كالسابق في إجراء التعديلات على الباب العشرين. ذهب اليوم مع آنوتشكا، حفيدتنا، إلى متحف روميانتسيف، وأراها اللوحات وقسم الإثنوغرافيا، والدمى الشمعية بالأزياء الروسية المميزة للمحافظات. في المساء تحشد عندنا جمع من الناس: الصبيان أصدقاء ميشا، الأطفال أصدقاء ساشا وآنوتشكا. أنشد سوليرجيسكي الأغاني، وعزف المدعو ساتس من الكونسرفتوار على الفيولونسيل، بينما عزف ناجورنوف على البيانو. وجدت لحظات موسيقية متميزة، لكنني تعبت جداً.

22 فبراير. عدت روسانوف المريض وتحدثنا عن ل. ن، وعن تناول الطعام النباتي، وعن تشيرتكوف الذي لا تطيقه عائلة روسانوف، وتصفه بأنه رجل غير طبيعي، وترتاده نوبات من الجنون تتجلى في: الريبة وكثرة الكلام والتسلط والاهتياج. وعموماً إنه يفتقر إلى الطيبة كثيراً. كما زرت فيلوسوفوفا. بعد ذلك تناول الجميع الغداء عندنا، وقدمت الفطائر. وقبل الغداء بنصف ساعة رجعت وقيل لي إنه يوجد عندنا الكونت أولسوفييف وسيرجي إيفانوفتش تانييف. ففرحت كثيراً، وأسرعت بالصعود إلى الطابق العلوي. فوجدت الاثنين جالسين مع تانيا الجالسة على الأريكة. وجلب لي سيرجي إيفانوفتش مقطوعته «شروق الشمس» المستوحاة من كلمات تيوتشيف لأربعة أصوات وعزفها لي. والمقطوعة المؤلفة ببراعة تتألف من مزاجين وحالتين نفسيتين: انتظار بزوغ الشمس ثم طلوعها البهيج المشرق.

إننا لم نلتق ولم نتحادث كثيراً. وستجري المحادثات بيننا مجدداً حين أعيش مع ميشا وحتى مع ساشا، ولكن بدون ليف نيقولايفتش، وبدون تانيا. وزلق لسان تانيا يوم أمس بالكثير من الأقوال الحادة بصدد زيارة سيرجي إيفانوفتش. يمكن أن يقف البعض حائلاً دون إقامة أحد ما علاقات ودية وظريفة.

23 فبراير. يوم ذكرى وفاة فانتشكا. مضت ثلاثة أعوام. وكالعادة ذهبت إلى الكنيسة، وصليت، وفكرت بالأطفال الصغار المتوفين، وبالوالدين، وبالأصدقاء. أقيم بطلب مني قداس الميت. وبعد ذلك ذهبنا لزيارة ماشا زوجة الطباخ. وقد ولدت اليوم صبياً في دار الولادة. وبعد ذلك زرت

جيليايفا صاحبة الأطيان من كورسك التي طالها البؤس، ولديها ابن بموهبة غير عادية، وهو تلميذ سيرجي إيفانوفتش. فلم أجدها، وأردت أن أعرف أحوالها. اشتريت الزهور ووضعتها حول صورة فانتشكا. اشتريت العسل والكعك من أجل المربية. ولدى عودتي وجدت ل.ن. مشغولاً بإزالة الثلج من ساحة التزلج في الحديقة. ثم مارس التزلج وتعب لحد أنه نام خلال فترة الغداء كلها وتناول الطعام فيما بعد لوحده. لقد أنهى التعديلات ولن يشغل نفسه أكثر بمقالة «الفن». يريد بدء كتابة عمل جديد، علماً أنه بدأ الكثير من الأعمال ولكن ماذا ستكون نهايات هذه الأعمال!

في المساء مارس ل.ن. لعبة الورق «الفينت» مع الكونت أولسوفييف ومع شقيقي ساشا وس.أ. فيلوسوفا. ودعت صونيا وآنوتشكا إلى بيتهما. جاء سريوجا من تولا ليوم واحد.

أشعر بالحزن والحزن في أعماقي طوال اليوم. دنوت من الكنيسة اليوم وفجأة راحت الطيور تغرد من مكمنها تحت السقف وحوالي بوابة الكنيسة. والشمس ساطعة ومرحة وربيعية حقاً بالرغم من القر. وعندئذ تذكرت قول ليرمنتوف: «هي ذا الطبيعة اللامبالية تتألق بجمالها الأبدي». إنها لامبالية بالذات بالرغم من أية مشاعر بشرية، وبالرغم من قلوبنا الحائرة والمهذبة، ولكن ليست لا أبالية أبداً».

24 فبراير. إن ليف نيقولايفتش يشكو مجدداً من *المعدة*. المغص والصداع والخمول. ولاحظت اليوم وجزعت في أثناء الغداء كيف كان يأكل: تناول في البداية الفطر المملح المتلاصق بسبب تجمده، ثم أكل أربع بقصمات كبيرة من الشوفان مع الحساء، وشرب الكفاس الحامض، والخبز الأسود. وأكل هذا كله بكميات كبيرة.

أنا الآن أتناول الطعام ذاته معه، أي كل شيء بلا لحم وزيت بمناسبة الصوم الكبير، وأعاني طوال الوقت من سوء الهضم، لكني آكل أقل منه بمقدار النصف. وكيف حاله وهو الشيخ في عمر 69 عاماً، حين يأكل هذا الطعام غير المغذي والذي ينفخ البطن!

وردت رسالة من سيرجي نيقولايفتش كدرت ل.ن. وكدرنا. فإن ابنته

فيرا مصابة بالسل كما يبدو. إنها ضحية أخرى لمبادئ ل.ن.! فقد كانت لا تنال القسط الكافي من الطعام ودب فيها الوهن، بينما عملت فوق طاقتها في المدرسة، وكانت ترفع صوتها لدى تعليم الصبيان، وتحدثها إلى الصبيان عن القنديل السحري. وها هي ذا مثل ابنتنا ماشا تعاني من المرض والضعف، بسبب الاقتصار على الطعام النباتي والإجهاد في العمل. إنني حذرتهن دائماً، ولاسيما ماشا، من أنه لا توجد لديهما القوة لتحمل المرض إذا ما داهمهما. وهذا ما حدث.

طالع ل.ن. المراجع عن القوقاز، وهو يريد كتابة رواية عن القوقاز، لكن تنقصه الطاقة والقوة. هل إن كل شيء على ما يرام في روحه؟ وترد إلي الأنباء فقط عن أتباعه: أحدهم أرسل إلى المنفى، والآخر مريض، وآخر ثالث دب فيه الضعف. وعلمت اليوم أن سان جون أبعد من تفليس إلى وطنه. إنه أيضاً إنجليزي من الأتباع الذي كان ينقل الأموال إلى الدوخوبوريين واعتنق مبادئ ل.ن.

بدأت اليوم بمحاولة عزف «شروق الشمس»، مع غناء الكورال من كلمات تيوتشيف، وموسيقى تانييف. إنها مقطوعة موسيقية جيدة جداً واحتفالية وتعبر عن الفكرة في خلال لحظتين من مزاجين مختلفين.

25 فبراير. مارس ل.ن. التزلج اليوم وكتب الكثير والكثير من الرسائل: إلى بيريوكوف وإلى شقيقه وإلى فلاح وهلم جرا. وفي الصباح تلقيت درساً طويلاً بالموسيقى مع المس ويلش (الثاني). بينما عملت في المساء كله في تصحيح المجلد الـ 15 من عملي «ما هو الفن؟». هل ستسمح به الرقابة؟ طالعت 6 ملازم مطبعة وأصابني الوهن جداً. تحدث سوليرجيتسكي حديثاً شيقاً عن رحلته. شربنا الشاي في جو عائلي وهادئ: ل.ن. وميشا وساشا وتانيا وأنا، وسوليرجيتسكي أيضاً.

26 فبراير. تلقيت في الصباح جريدة «روسكي ليستوك». ويروي فيها مراسلها، الذي زار ل.ن. قبل أيام، حديثه معه (وقد ترك لدي انطباعاً سيئاً للغاية). ويشير المراسل إلى أن بوبيدونوستسيف قد وعد بطلب من تانيا

تسوية قضية «شاربي الحليب». لكنه لم يذكر أية قضية هي. ويورد أيضاً رأي ل.ن. بالكاتب أميل زولا ودريفوس وكل القصة المتعلقة به.

بدأت بالتحدث إلى ل.ن. عن الحفلة الموسيقية. فقاطعني بشكل فظ بقوله إن هذا كله هذر أو شيء من هذا القبيل. فلزمت الصمت. ثم قال لي إن جروت زاره وأمضيا معاً أمسية ممتعة جداً.

27 فبراير. أشعر بألم فظيع في ذراعي، وانتفخ العرق مثل ورم وتصلب، وتحملت الألم لكي لا أبكي.

عزف إيجومنوف في المساء مقطوعة «باركارولا» لشوبان وكذلك «فانتازيا» من تأليفه، و«بولونيز» للملحن ليست، ومنوعات شوبرت. لقد صار يعزف بشكل رائع كما أنه أصبح أكثر تعقلاً، يا له من فتى طيب. تجولت كثيراً لقضاء بعض الأعمال والمشتريات: عملت طلبية صنع صناديق من أجل متحف روميانتسيف، لكي ننقل إليه يوميات ومخطوطات ورسائل ليف نيقولايفتش.

لم أر ليف نيقولايفتش اليوم كثيراً. وفي المساء جاء إليه ضيوف: جوربونوف والدكتور بوتكيفتش وشخص آخر يتولى تدبير أعمال «بوسريدنيك».

1 مارس. حدث قبل يوم أمس الأول عندما ارتدينا، أنا وتانيا، ملابس النوم من أجل الرقاد، وكان جميع الخدم قد ناموا، أن دق الجرس الكهربائي بإصرارلفترة طويلة. فذهبت تانيا إلى الباب الخارجي وفتحته ثم صمتت فترة طويلة. وناديتها فجاءت بهدوء إلى مخدعي وسلمتني برقية.

« توفيت ابنتنا ليزا. عائلة أولسوفييف».

أنا لن أنسى أبداً الانطباع الذي ولدته هذه البرقية في. أية مصيبة كبيرة أن لا أرى أبداً أكثر هذا الكائن النير والرقيق، وهذا الصديق العزيز لدى جميع أسرتنا، والألم لمصاب الوالدين، إنه لشيء فظيع فحسب أن تغيب هذه الفتاة النافعة في كل النواحي والمحبوبة لدى الجميع، وسيبقى هذا المصاب كله في الذاكرة ويستعاد بصورة مؤلمة.

ذهبت تانيا وسريوجا إلى هناك أمس. نحن لا نعرف التفاصيل بعد: توفيت ليزا أولسوفييفا بعد إصابتها بالحمى القرمزية، مثل ولدي فانتشكا.

لقد بكيت كثيراً، وانحبست الدموع الآن أيضاً في البلعوم والمقلتين. لم تنتحب تانيا وبدا كما لو أنها تحجرت، أما سريوجا فقد لزم الصمت، وقد جلس أمس وراء البيانو، ومس المفاتيح بهدوء، ووجهه مفعم بالحزن والحزن...

نعم، ما هو الموت؟ نحن نروح جميعاً إلى مكان ما ونغوص مجدداً في الخلود بإرادته «هو»، تلك الإرادة التي كنا نحيا بها هنا على الأرض.

ليف نيقولايفتش حزين أيضاً. ولغرابة الأمر فإن حياتنا تمضي أيضاً في مجراها السابق بحكم القصور الذاتي.

في المساء ذهبت للاستماع إلى محاضرة دوكوتشايف البروفيسور من بطرسبورغ حول القضايا المعقدة لبساطة تركيب الأرض، وحول قانون الجاذبية والتنافر وحول القانون الذي ينبثق من ذلك الصراع والحب... الخ. وبعد عودتي إلى البيت وجدت عندنا كافة أسرة بوتينيف، وبيساريف مع قرينته، وس.أ. فيلوسوفوفا، وكاساتكينا، والأمير ناكاشيدزه، الذي نفي من القوقاز بسبب علاقته مع الدوخوبوريين. وتبادلنا الأحاديث حتى حلول الليل، وجميع هؤلاء الأشخاص من فضائل الناس وتحلو صحبتهم. وكنت مسرورة بوجودهم.

قام ل.ن. مع إيفان بإزالة الثلج من ساحة التزلج في الحديقة، ثم تزلج قليلاً وقبيل الغداء تجول على صهوة الجواد. وفي المساء أخذ غفوة ثم جلس مع الضيوف باستمتاع. كتب رسائل ومجدداً أجرى تعديلات وإضافات ما في مقالته «ما هو الفن؟» في طبعتي.

*4 مارس.*كنت في جميع هذه الأيام في حزن وبكاء على ليزا. ذهبت إلى المستشفى. فحص البروفيسور ليفشين ومساعدوه بواسطة أشعة الورنتجن فيما إذا لا توجد أبر في ساعدي التي تؤلمني. بل وجدوا تورم جدران الشرايين، وعملوا ضمادة وأرادوا عمل قطع. ورافقني البروفيسور دوكوتشايف إلى البيت وجلس عندنا طوال المساء. جاء اليوم شخص غير

عادي ومختل عقلياً لمشاهدة صوري الفوتوغرافية وطلب بعضها. حضرت تأبين ليزا في الكنيسة حيث اجتمع أقاربها وأصدقاؤها في موسكو.

في مساء أمس لم أستطع البقاء في البيت لشدة اضطرابي فذهبت إلى الشيوخ اللطيفين أو بالأحرى الشيخات من عائلة ماسلوف. ورأيت هناك سيرجي إيفانوفتش لكنه بقي لفترة قصيرة. وكان يأكل النقانق بشكل غير جذاب، ولم يتسن لي التحدث معه، وسرعان ما انصرف. إنه يتهرب مني، وهذا أمر لا ريب فيه، حسب اعتقادي. لكن ما هو السبب؟ في الحفلة الموسيقية حيث عزفت (Requiemà) للملحن فيردي كانت لديه تذكرة تحت... لكنه ذهب إلى مكان وقوف الجوقة... ربما أن هذا كان بسبب وجود جميع أفراد high life هناك. لكنه تفاداهم سابقاً.

في المساء عملت في تظهير الصور الفوتوغرافية لليف نيقولايفتش خلال التزلج. وكانت رديئة.

جاء خبر سيئ بشأن مقالة «حول الفن». فقد سمحت الرقابة المدنية بنشرها، لكن وردت برقية بصدد تحويلها إلى الرقابة الكنسية. ومعنى ذلك أن المقالة أي جزء منها قد غرق إلى الأبد. خبر محزن! بينما أنا جمعتها وصححتها، وكل ذلك...عبثاً. ستنشر في خارج البلاد.

7 مارس. ل.ن. خامل ومماحك. لا يجد مجالاً للعمل، فالضيوف يبعثون فيه الوهن، وغالباً ما يأتي أشخاص لا نفع منهم، بينما كان يرد على مطلبي بعدم استقبالهم، إذ لديه ساعات الراحة الخاصة به، بالرفض القاطع. إن *فضوله* يرغمه على استقبال الجميع مهما كانوا. زد على ذلك أنه يبدي العناد الدائم، والرغبة في معارضتي في كل شيء.

اتضح لي اليوم أن جميع أعمال ل.ن. في الأعوام الأخيرة تمثل التناقض التام، *والاحتجاج* التام. وإذا ما كان يحتج *ضد البشرية كلها* وجميع النظام القائم، فكيف لا يحتج ضدي أنا المرأة الضعيفة؟

رأيت سيرجي إيفانوفتش في الحفلة الموسيقية لجولدنفيزر. تلقيت اليوم منه قصاصة ورق يطلب فيها الجزء الثاني من مقالة ل.ن. ليقرأها مع موديست تشايكوفسكي الذي سيزوره في مدينة كلين بعد عدة أيام.

جرى صباح اليوم حديث غير طيب مع ل.ن. إنه يريد إدخال بعض الإضافات إلى مقالته بينما أنا أخشى مماحكة الرقابة لها ويتوقف عندئذ نشر الكتاب مجدداً، بينما أريد طبع 30 ألف نسخة. كلمة بكلمة، كنا نلوم أحدنا الآخر، وعاتبته لأنه يسلبني حريتي، ولا يسمح لي بالسفر إلى بطرسبورغ. بينما عاتبني لأنني أبيع كتبه. فأجبته بأنني لا أستغل النقود شخصياً، بل تنفق على أولاده الذين أهملهم، ولم يقم بتربيتهم ولم يعلمهم كيفية إدارة الأعمال. وقلت له أيضاً بأنني أنفق على حصانه الذي يركبه، وعلى خضار الهليون والفواكه، وعلى أعماله الخيرية، وشراء دراجاته وغير ذلك، فكل هذا يتطلب النقود التي أوفرها، وأنا أنفق على نفسي أقل من الجميع. وما كنت سأقول له ذلك لولا صراخه وقوله بأنني أنسى بأنه يستطيع أن يمنعني من بيع كتبه. وقلت له: سأكون مسرورة جداً، فامنع، وسأذهب لكسب رزقي بنفسي في صفوف السيدات وفي التصحيح وهلم جرا. أنا أحب العمل ولا أحب حياتي هذه حيث يوجد كل شيء خلافاً لذوقي، وأحيا بفعل القصور الذاتي الذي حددته لي العائلة – الزوج والأطفال.

التقطت صورة فوتوغرافية ل ل.ن. على صهوة الجواد ثم عملت على تظهير وطبع مختلف الصور الفوتوغرافية. فصلت فستان ساشا وقمت بكيه بالمكواة. ذهبت اليوم مع س.أ. فيلوسوفا لزيارة العم العجوز كوستيا.

قيل إن مقالة «ما هو الفن؟» قد عادت من الرقابة الكنسية. وقد شطب بعض المقاطع منها، وسمح بنشرها. لم أعد أخاصم ل.ن. بالعكس شعرت بالخجل وجنحت إلى الدعة والتصالح.

8 مارس. شربت الشاي مع ل.ن. وسريوجا وستيوبا وتحدثت عن الخوف من الموت، وجزئياً بصدد مقالة توكارسكي «الخوف من الموت»، وجزئياً بصدد وفاة ليزا أولسوفيفا. وقال ل.ن. إنه توجد أربعة أصناف للخوف من الموت: الخوف من الآلام، والخوف من العذاب، والخوف من فقدان مباهج الحياة، والخوف من الفناء. لدي القليل من هذه المخاوف: فأنا أخشى الآلام بقدر ضئيل، ويبعث الخوف لدي مشهد *الحفرة، وغطاء النعش، والظلام*...أنا أحب النور والنظافة والجمال. أما القبر فهو الظلام والقاذورات – التراب والمنظر البشع للجثة.

ذهب ل.ن. لزيارة جروت على صهوة الجواد، ثم جاء إلينا في بركة باترياشيه برودي. إنه يطالع المصادر حول القوقاز، فهل يكتب!؟ أنا لا أعرف وأخشى طرح السؤال عليه.

سمح بنشر المقالة، وشطبت منها صفحتان فقط. لقد سعى س.تروبيتسكوي وأبدى غيظه من الخيانة والدسائس والرشوات من قبل رجال الكنيسة تقريباً وأفراد الرقابة الكنسية. صار الثلج يذوب اليوم، وأصبح دون نقطة التجمد.

يدور في أعماق روحي صراع الرغبة الشديدة في السفر إلى بطرسبورغ لحضور عرض فاجنر وغير ذلك من الحفلات الموسيقية والخوف من إزعاج ليف نيقولايفتش وتحمل ضميري لعواقب هذا الإزعاج. وفي الليل بكيت بسبب الوضع الصعب *لفقدان* الحرية، والذي صار يضيِّق الخناق علي أكثر فأكثر. طبعاً، في الواقع أنا حرة فلدي النقود والخيل والملابس، كل شيء موجود. ويكفي أن أحزم حقائبي وأجلس ثم أسافر. أنا حرة في قراءة المسودات وشراء التفاح من أجل ل. ن. وخياطة الفساتين من أجل ساشا والقمصان لزوجي والتقاط صور له في جميع الأوضاع وتهيئة الغداء وتدبير شؤون الأسرة كلها. أنا حرة في الأكل والنوم والصمت وإبداء الطاعة. لكنني لست حرة *في التفكير كما أريد*، ومحبة هذا أو ذاك من وماذا اخترت بنفسي، والذهاب والسفر إلى أين أجد المتعة وحيث يطيب ذلك لي ذهنياً. أنا لست حرة في ممارسة العزف، ولست حرة في أن أطرد من بيتي الكثيرين ممن لا حاجة بهم والمملين وغالباً ما يكونون ذوي خلق سيئ للغاية، وأن أستقبل الناس الطيبين والموهوبين والأذكياء والظرفاء. نحن لا نحتاج في بيتنا إلى مثل أولئك الأشخاص، فيجب أخذهم بنظر الاعتبار والوقوف على قدم المساواة معهم. لكن عندنا يحبون تزجية الوقت وإلقاء المواعظ معهم...

أنا لست مرحة، وأشعر بوطأة الحياة...أنا لم أستخدم الكلمة المناسبة: أنا لا أحتاج إلى *المرح*، بل أحتاج إلى الحياة ذات المضمون والهادئة، بينما أنا أعيش بنرفزة وبمشقة وبقدر ضئيل من المضمون الغني.

9 مارس. يوم الأربعين شهيد، في أيام طفولتي وأطفالي كانت تريفونوفنا، طباختنا العجوز في بيت أبي، ونيقولاي الطباخ في ياسنايا بوليانا، يعدان في

الصباح معجنات لذيذة بهيئة قبرات ذوات عيون من الزبيب الأسود وبمناقير محمصة. وكان في هذا نوع من الشاعرية. بعد ذلك كانت تحلق القبرات الحية، وتحط على بقع الأرض التي ذاب الجليد فيها، وعلى الأكمات البنية، ثم تحلق عالياً في السماء مطلقة تغاريدها الفضية الرقيقة. أنا أحب الربيع في القرية. لكن عندما كان الربيع يجلب دوماً الآمال البهيجة بلا سبب بمجيء أمر ما في المستقبل... أما الآن فتعيد إليّ الذكريات الحزينة وتولد الرغبات العاجزة في بلوغ المستحيل...آه، الشيخوخة... إنها بلا مسرة!

في المساء أعطاني ل.ن. قصته «حجي مراد» التي تصور الحياة في القوقاز، من أجل استنساخها، وكنت سعيدة جداً وجداً، واستنسخت بهمة رغم الألم في ذراعي اليمنى، لكن أعاقني سيرجيينكو. ثم جاء دونايف والعم كوستيا كما جاء أخي ستيوبا، وسريوجا. تحدثنا كثيراً عن شؤون الدولة، وعن شراء الأسطول بمبلغ 90 مليوناً. وروى سيرجيينكو أن اليابانيين كانوا في البداية قد طلبوا من الإنجليز صنعه بمبلغ 130 مليوناً، لكن اليابانيين قد أخفقوا في الدفع في الموعد المقرر، حيث إن المبلغ كان سيحول من البنك الصيني – الروسي الذي لم يحول المبلغ في الموعد المقرر. وتأخر موعد دفع الصفقة فعرضت الحكومة الروسية شراء الأسطول واشترت من الإنجليز إسطولاً جاهزاً.

انطلق ل.ن. على صهوة الجواد إلى مقابلة المس شانكس لترجمة رسالة كتبها إلى أحد ما في أمريكا إلى اللغة الإنجليزية. وعموماً كتب الكثير من الرسائل وبذلك أصابه الإجهاد في كتابتها.

10 مارس. لم يغمض لي جفن في الليل. وبحلول الفجر غفوت لمدة ساعتين ونهضت في وقت متأخر. آه، من هذه الليالي. إنها تكشف بجلاء فظيع الحالة الروحية للإنسان! لقد تعذبت كلياً. وعند الظهر أقع مجدداً في دوامة الحياة، ولا يبقى فيها ما يستحق الذكر...ومن ثم يحل الليل مرة أخرى بلا نوم وتفكير، بل يبدأ العذاب...

استنسخت بكل ارتياح رواية ل.ن. القوقازية «حجي مراد». وأعتقد أن هذا سيكون أمراً جيداً: رواية ملحمية، وآمل *ألا تكون هناك غيرة وجدل سراً.*

ذراعي اليمنى المريضة تعبة جداً، ولكنني قررت في المساء الذهاب إلى حفلة موسيقى الحجرة. وجرى عزف مقطوعتي «تريو» لبيتهوفن و«ساناتا سي مول» واحدة مع الكمان. لقد تمتعت كثيراً ولم أشعر بالتعب كلياً. كانت معي ماروسيا ماكلاكوفا. وعندما رجعت إلى البيت وجدت سيرجييينكو والبروفيسور برياوبرجينسكي وسوليرجيسكي وناكابيدزه، وكان منظر ليف نيقولايفتش ينم عن الضنى الشديد. فقد كتب اليوم الرسائل مجدداً، وقرأ وراجع التصحيحات لمقالة «الفن» التي أصدرتها. *إنه هادئ ومعافى.*

14 مارس. أنا لا أذكر ما جرى. وأذكر فقط الليالي المسهدة الطويلة. وفي إحدى الليالي جلست حتى الساعة الرابعة والنصف صباحاً واستنسخت بكل ارتياح «حجي مراد» من أجل ل.ن. لقد بقيت طوال هذه الأيام في البيت، وانهمكت في العمل والاستنساخ، أو ذهبت لشراء الحاجيات من أجل الصيف. بينما كتب ل.ن. من دون توقف الرسائل المختلفة التي ينوء بكتابتها جداً، ويطالع كثيراً بالأخص المراجع القوقازية التي جلبها له ف.ي.ماسلوف. أمضيت الأماسي الثلاث بصورة مختلفة، بحيث يعجب المرء حين يرى حياتي العائلية المستقرة ظاهرياً، بشأن كيف أكابد بقدر كبير حياتي الروحية الداخلية. لم يكن ل.ن. منذ وقت بعيد رقيقاً وطيباً معي بهذا الشكل. وفي اليوم التالي تغيرت لهجته بصورة بطيئة. كنت مشغولة جداً في تصحيح مجلدي الخامس عشر. وعملت طوال اليوم ولم ألحظ مزاجه. وفي المساء واصلت عملي بفترات راحة قصيرة (وجب أن أقرأ 12 ملزمة للمطبعة). ولعلمي بأن السهاد سيمنعني في كافة الأحوال من النوم، رجوت زوجي أن يرقد من دوني، وارتديت الروب والخفين ووعدت بأن أدخل الغرفة بهدوء حين أنتهي من قراءة المسودات. فامتلكت ل.ن. نزوة من النزوات مطالباً بالرقاد فحسب. لكن عملي... كان ينبغي إنجازه في عجلة، ويجب إرساله إلى المطبعة في الصباح. ولم أستمع إليه وواصلت العمل. لكنه وثب من السرير وارتدى الروب وصعد إلى الطابق العلوي حيث يوجد مكتبه. بينما واصلت العمل من دون أن أعلم بأنه خرج من حجرة النوم. وبعد نصف ساعة جاء إليّ وصرخ في بأنني لا أدعه ينام، وإنه

يشعر بالصداع. بينما جلست وأصغيت وصبرت وفي نهاية المطاف ومن دون أن أقرأ الملزمة الأخيرة، ذهبت إلى حجرة النوم (جلست إلى جانبه في غرفة الطعام) ورقدت هناك. لكن أعصابي لم تعد تحتمل. وقد أثار العمل المجهد والإزعاجات، والشيء الرئيس موقف زوجي غير العادل مني، أثار كله الكدر في روحي المريضة أصلاً، مما جعلني أشعر فجأة بنوبة من الألم في قلبي وصدري، حتى إنني بالكاد لحقت في العتمة بقول «إنني أموت»، إذ شعرت بالاختناق، واشتدت ضربات قلبي، كان هذا كله شيئاً فظيعاً. ولم يحدث لي من قبل أن أشعر بالاختناق بهذه الصورة. الماء البارد على القلب، والسعي إلى ضبط نفسي قد ساعداني في تقليص هذه النوبة. لقد غضب ليف نيقولايفتش ثم صار نفسه يرتجف وينشج...كان نومنا سيئاً، وتملك كلانا التعب...فلماذا، *لماذا هذا كله!* في صباح اليوم التالي ذهبت إليه واعتذرت منه، وأبديت أسفي لما حدث. بينما اعتذر هو أيضاً، وبدا أن الصلح تم بيننا. ولكن هل سيستمر طويلاً؟

جاء يوم أمس س.إ.تانييف. وترك حضوره تأثيراً طيباً ومسكناً فيّ. إنه رجل طيب وهادئ ومتزن وذو موهبة رفيعة. وعزف سيمفونيته الرائعة، وسأل ليف نيقولايفتش عن رأيه فيها. وقد اتخذ ل.ن. منها موقفاً جاداً ومشوباً بالاحترام وأورد انطباعاته. وبرأيه إن هذه السيمفونية والموسيقى الجديدة كلها عموماً خالية من التتابع: سواء في اتساق الأصوات أم في الإيقاع، وحتى في تناسق الأنغام. وحالما يتابع المستمع لحناً ما – تجده ينقطع. كما لا يلحق في تتبع الإيقاع فهو ينقطع وينتقل إلى آخر. بينما يتحسس المستمع عدم الارتياح طوال الوقت. علماً بأنه في العمل الفني الحقيقي بأنه لا يمكن وجود شيء *آخر*، وينبثق الشيء من الشيءالآخر، وفكر قائلاً: «إنني كنت نفسي سأفعل هذا بالذات». أصغى سيرجي إيفانوفتش إليه باحترام، لكن يبدو مع هذا أنه تكدر لأن سميفونيته لم تحظ بإعجاب ل.ن. إنه سيسافر اليوم إلى بطرسبورغ حيث ستعزف سيمفونيته بمرافقة الأوركسترا.

في صباح اليوم التالي، بعد ليلة المنغصات، نهضت محطمة الجسد والروح، وفجأة جاء ل.ن. برفقة حفيدي ميشا. ففرحت كثيراً بصحبة هذا الكائن الطاهر والمفعم بالحيوية، بهذا الطفل المعافى والحبيب والذكي.

وأمضيت النهار كله معه حيث أخذته إلى حديقة الحيوان ودكاكين اللعب ومحل بيع السكاكر والمعجنات والكرملين. وقد ابتهج لهذا كله، لكنه لم يعرب عن دهشته لما رأى. لذا كان يوم أمس بالنسبة لي هبة من الرب مقابل مزعجات الليل التي سببها زوجي لي.

17 مارس. يوم أمس استنسخت رسالة ليف نيقولايفتش «حول مساعدة الدوخوبوريين» الراغبين في الهجرة إلى الخارج. يعتقد ل.ن. أن صحيفة «بيتربورجسكيه فيدوموستي» ستنشرها، وأنا واثقة بأنها لن تنشر. المساعدة مزدوجة: إيجاد مكان لإسكانهم وإيجاد المال لهذا الغرض. ويبلغ عددهم 10000 شخص. فكم يجب توفير المال؟

زارنا في المساء النحات الشهير أنتوكولسكي. دار الحديث حول الفن: أورد ل.ن. ما في مقالته، بينما قال أنتوكولسكي إن أفضل مهمة للفن هي تصوير *الروح* الإنسانية. إنني أمسك بجميع مسودات الـ15 مجلداً. وقريباً سأنهي قراءتها. استنسخت مجدداً رسالة ل.ن.، فقد أعاد كتابتها بصورة جذرية. خرجت لقضاء بعض الشؤون واقتناء الفساتين من أجل الصيف. العلاقة مع ل.ن. ودية جداً وطيبة. هل سيتواصل هذا فترة طويلة؟ أعتزم السفر إلى بطرسبورغ لمدة عدة أيام من أجل سماع فاجنر وسيمفونية سيرجي إيفانوفتش تانييف. ستعزف لأول مرة في 21 من الشهر. علماً أنها أول سيمفونية له.

جاء أندريوشا. بينما سافر إيليا والحفيد الصغير أول أمس مساء، وتكدرت كثيراً لفراق ميشا، لكن يجب ألا أتعلق أكثر بالأطفال، فأنا أفتقدهم أكثر جداً لدى وفاتهم.

لا يوجد... لا يوجد إلهام لكتابة شيء حقيقي. يبدو أن الشيخوخة تقف حائلاً دون ذلك.

ما زال الشتاء قارس البرد. كانت درجة الحرارة صباح اليوم 10 درجات تحت الصفر كما تهب الرياح، ويشتد الزمهرير بالرغم من طلوع الشمس.

18 مارس. سارت الأمور على ما يرام، وعشنا بمودة. اليوم أقرأ مسودات «مقدمة» ليف نيقولايفتش إلى «سفريمنايا ناؤوكا» لكاربنتر وبغتة لاحظت

أن كل شيء قد تغير فيها ولم تعد كالسابق. ودهشت كثيراً وانزعجت. فحينما جرى تنضيدها في مطبعة «سيفرني فيستنك» رجوت ل.ن. أن يعطيني *آخر التصحيحات بغية إدخال* مقالة ل.ن. *في المجلد الـ 15* بشكلها النهائي. والآن عاتبته بهدوء جداً لكونه قد خدعني، فغضب للغاية. إن هذه المنغصات توجه الضربات إلى الجروح القديمة، وتغدو بشكل لا يطاق. فقد أخفى عني التعديلات الأخيرة بغية كسب المنافع من «سيفرني فيسنيك» وعدم تأخير صدورها. بينما تطلب تصحيح نسختي يوماً واحداً.

جاء في المساء ضيوف كثيرون: بيلسكايا مع ابنتها، وتوليفيروفا مع ابنتها، وماكلاكوف مع شقيقته، وفاريا ناغورنوفا، وغوربونوف. تريد توليفيروفا صاحبة دار النشر «إيجروشيتشيكي» إصدار مجلة «شؤون نسوية» ودار الحديث حول قضية المرأة. فقال ل.ن. إنه يجب قبل الحديث عن عدم مساواة المرأة واضطهادها أن تطرح مسألة عدم المساواة بين البشر عموماً. ثم قال إذا طرحت المرأة نفسها هذا الموضوع، فهذا ينم عن شيء من عدم التواضع، وعن انعدام الإنوثة، ولذا ينم عن الوقاحة. أنا أعتقد بأنه على حق. نحن النساء لسنا بحاجة إلى *الحرية بل إلى المساعدة*. لاسيما المساعدة في تربية الأبناء، والتأثير فيهم، بغية أن يمضوا في الطريق القويم في الحياة، ويجيدوا العمل، وأن يكونوا ذوي جرأة ومستقلين ونزيهين. الأم وحدها لا تستطيع تربية الأبناء، ولهذا فإن الجيل الفتي في وضع سيئ جداً، لأن الآباء سيئون، ويراودهم الكسل في مضمار التربية ويميلون على الأكثر لممارسة أي عمل آخر، والتهرب من أهم شيء وهو تربية الأجيال القادمة، التي ينبغي أن تواصل قضية البشرية جمعاء والمضي قدماً إلى الأمام.

2 إبريل. انصرم أسبوعان منذ أن دونت يومياتي! لماذا تسير الحياة بهذه السرعة وبلا وعي تقريباً – مثل الحلم؟ لو كنت كائناً عادياً بقدر أكبر، لعشت بصورة *واعية* وذات محتوى أكثر. ومن ثم وبمرور الزمن أتطلع إلى الخلف، كما يحدث دائماً، وأتأمل كل ما مضى، وأقيمه وأعرب (كما يحدث ذلك دائماً أيضاً) عن *الأسف* على الماضي وعلى ذاك *العجز* في الاستفادة منه. وتمضي الحياة كلها، باستثناءات قليلة، في التمني والأسف.

غداً اليوم الذي حدد في الرسالة بلا توقيع لاغتيال ليف نيقولايفتش. طبعاً، أنا أعاني من القلق، ولكنني لا أصدق تماماً باحتمال حدوث ذلك. جاء دوخوبريون إلى ل.ن.، وهما رجلان فارعا القامة، من الموجيك الأشداء روحاً وجسداً. فأرسلناهما إلى بطرسبورغ للقاء الأمير أوختومسكي وسوفورين، بغية أن يقدم هذان المحرران في صحيفتين متنفذتين النصح لهما ومساعدتهما. إنهما قد وعدا بالمساعدة ولكن هيهات أن يعملا شيئاً.

ويكتب ل. ن. لهما التماساً إلى القيصر، من أجل السماح لهم بالانتقال للإقامة في الخارج، جميع الدوخوبوريين المطاردين والمدعوين إلى السلطات والسجناء. إن هذا كل شيء فظيع بالنسبة لي، خشية أن يتم إبعادنا أيضاً! ويجلس هذان الدوخوبريان الآن عند ل.ن.، وهناك أيضاً العامل الفتي بولاخوف الذي سيتم إرساله مع الالتماس ومبلغ 300 روبل إلى فيرجين زعيم الدوخوبريين المنفي.

أمضيت أربعة أيام في بطرسبورغ. وكنت قد فقدت منذ الخريف الرغبة في السفر لسماع عزف سيمفونية تانييف من قبل الأوركسترا، وكان قد عزفها لي مراراً على البيانو. وظننت أنها ستكون رائعة. علاوة على ذلك كنت منذ وقت بعيد أحلم بسماع فاجنر، وقدمت فرقة أوبرا ألمانيا في بطرسبورغ بالذات أعماله. في البداية لم يسمح لي ل.ن. بالسفر، وأثار هذا المنع لدي شعور الكآبة والليالي المسهدة والخمول. لكنه سمح لي فيما بعد بالسفر بكل طيب خاطر، لكنني لم أشعر بأية متعة في هذه الرحلة. فكان المطر في بطرسبورغ يتساقط بلا توقف، وعزفت سيمفونية تانييف بقيادة جلازونوف بشكل مقرف. ولم أصغ إلى أعمال فاجنر. فقد أصابتني وعكة، كما أن العيش لدى شقيقتي بيرس بعلاقتها المتوترة مع زوجها ومع الخدم، وجل اهتمامها ينصب على الشؤون المالية لروسيا (وهو اهتمام غريب لدى امرأة). إن كل هذا كان يبعث على السأم والإحباط، وكنت سعيدة جداً بالعودة إلى أهلي وإلى ل.ن.، وإلى حياتي الحرة روحياً في بيتنا، لذا لن تساورني عاجلاً الرغبة في السفر.

يزورنا أحد ما في كل مساء: فجاء البروفيسور ستوروجينكو، وتحدث كثيراً عن الأدب الأجنبي وعن الأخبار في هذا المجال، وجاء تيسنتر وهو

شاب ذكي ومترع بالحيوية. وجلس في المساء كل من جروت وسيرجيينكو (لسبب ما لا أثق بهذا الرجل) وي.ف. يونجه التي قال ل.ن. عنها بلغة أناتول فرانس: «إنها عملاق خال من الجمال». لكنها امرأة موهوبة، تنبض بالحياة، وذكية. كما جاء الأمير الشاب أوروسوف، وسريوجا ابن ذاك المتوفى الذي أحببته كثيراً وجاء جولدينفيزر وعزف سوناتا شوبان الرائعة مع Marche Fune`bre (مارش الوجود) ومقدمات ونوكتيورنات.

عمل منذ الصباح عمال تلميع الأرضية، وتنظيف الأقفال، ثمة ضجيج، وزائرون، ودوخوبوريون. سوليرجيتسكي في الحديقة يلعب تحت ضوء الشمس مع الأطفال لعبة الفطائر. ساشا تغني مع أطفال عائلة فريدمان. وتعزف على البيانو ألحاناً راقصة. ل.ن. يتحدث مع الدوخوبوريين ويكتب عريضة التماس طويلة إلى القيصر. وقمت باستنساخها. انشغلت طوال هذه الأيام بأعمال الخياطة والتطريز من أجل ل...ن. فقمت بتطريز المناديل وخياطة قمصان جديدة، وسأقوم بخياطة السراويل. يتساءل معارفي لماذا أنا خمدت، وأصبحت ألوذ بالصمت، وهادئة، وحزينة. فأجيبهم: «انظروا إلى زوجي، فهو منشرح الصدر ومرح ومرتاح».

3 إبريل. مضى النهار تقريباً، والآن بلغت الساعة الحادية عشرة مساء. ولم يحاول أحد اغتيال ل.ن. في الصباح عملت في خياطة سراويل من أجل ل.ن. وقمت بتفصيلها وبدرزها بواسطة الماكينة. ثم قرر ل.ن. الخروج للنزهة، فذهبت معه لكي لا أقلق بالجلوس في البيت. زرنا الجنرال العجوز بوبوريكين الذي رافقنا وعذبني بالأحاديث بمرافقة قرقعة العربات والمشية البطيئة. ثم عرجنا على مكتب صحيفة «روسكيه فيدوموستي»، ثم اشترينا كالوشات، وزرنا عائلة روسانوف في أوستوجينكو. لقد تعذبت وأصابني التعب، فرجعت إلى البيت في عربة مستأجرة. أنا أتعذب حينما أخرج للنزهة مع ل.ن. دائماً، في الشتاء أم في الصيف، وطوال حياتي كلها. وهو لا يلقي بالاً إلى من يرافقه، وإذا ما توقفت لحظة لأمر ما، فإنه يواصل السير، وأضطر للجري من أجل اللحاق به، إنه لا ينتظر بل يواصل السير، بينما أنا ألهث وراءه. هذا عقاب فحسب، بكل معنى الكلمة. وتولى حمايته أيضاً سيرجيينكو

وسولجيرتسكي، ثم جاء مينشيكوف من بطرسبورغ، كما جاء الأخوان جوربونوف وناكاشيدزه ودونايف. إن هذا الحشد البشري المتواصل يبعث على الضنى جداً. أوه، كم تعبت أعصابي: فجاء الدوخوبويون وسافروا يوم أمس، بينما ساد الفزع من احتمال اغتيال ليف نيقولايفتش. وهناك أيضاً صراخ الشباب، الذين لعبوا طوال المساء بالورق لعبة الفينت. الحياة كلها تمضي بما يتجافى عن ذوقي. أما حياة واهتمامات ل.ن. فهي خصوصية جداً، وشخصية، لذا فإنها لا تمس الأبناء. إنهم لا يستطيعون إبداء الاهتمام بأتباع الطائفة الدوخوبرية، أو إنكار الفن، أو بالأفكار حول اللاعنف. إنهم بحاجة إلى الحياة الشخصية، وإلى مبادراتهم. وبما أنهم يفتقدون إلى المرشد الأب، والمثل العليا، التي تلائم قدراتهم، فإنهم يبتدعون لأنفسهم حياة خليعة يمارسون فيها لعب القمار ويسودها الفراغ والتسلية بدلاً من ممارسة العمل الجاد أو الفنون. بينما أنا تنقصني القوة والمقدرة على أن أوفر لهم حياة أفضل، وهل يمكن ذلك في وجود أب ينكر *كل شيء!*

5 إبريل. عيد يوم قيامة السيد المسيح. في زمن ما كان هذا العيد كبيراً وبهيجاً. لكن لم يوجد في هذا العام البتة أي *مزاج* للاحتفال به. في مساء يوم أمس جلست صامتة، وانهمكت في أعمال الخياطة. بينما طالع ل.ن. وذهبت ساشا مع ماروسيا ماكلاكوفا لحضور قداس الفجر في ملجأ الأيتام. كما انهمكت تانيا في الأعمال البيتية أيضاً. وجال في خاطري أن الحياة انقسمت سابقاً في أيام الشباب إلى فترات ترتبط بمناسبة هامة ما، أو يعتقد أنها كذلك: كالأعياد، أو الانتقال إلى ياسنايا بوليانا، أو – وهو الأهم – مولد طفل، أو حدث آخر. أما الآن فكل شيء قد تفكك في الزمن المتسارع ولا يمكن اللحاق به ولم يعد أي شيء ذا أهمية، والأمر سواء فقط ألا تحدث منغصات أو مصيبة. إن الحياة خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة بعد وفاة ملاكي وحبيبي فانتشكا، كانت صعبة ومترعة بالكدر.

حدث أمر مزعج صباحاً اليوم مع ميشا وأندريوشا. فقد طلبوا مني نقوداً بعد أن أعطيت قبل هذا كل واحد منهما مبلغ 15 روبلاً. فغضبت ثم بكيت. وأبدى ميشا ندمه، بينما انصرف أندريوشا كما لو لم يحدث شيء، بسحنة

بلهاء، وبجاكتة جديدة، لزيارة معارفه. وفي الليل خرجا مع جماعة لسماع قرع الأجراس في الساحة ولرؤية المسيرة حول الكنائس. إن حياتهما تمضي بلا تعقل، ولا تراودهما أية أفكار بصدد أي شيء ولا يطرحان أمامهما أية قضايا أخلاقية.

عندما جلبا لي الحزن ذهبت إلى ل.ن. ورجوته المشورة والدموع تترقرق من عيني، وكيف يجب أن أتعامل مع أولادي، الذين يطلبون مني النقود ويغلظون لي القول. وكالعادة فهو إذ يلقي المواعظ في العالم بأسره حول حقائق ما، لا يستطيع قول كلمة واحدة لعائلته ومساعدة زوجته.

خرجت لزيارة عائلة كولوكولتسيف، ثم انشغلت المساء كله في استنساخ رواية ليف نيقولايفتش «حجي مراد». واستنسخت 20 صفحة وحتى أكثر. أما ل.ن. فهو يشعر بالبرد ويشكو من وعكة، لكنه ركب دراجة ميشا حين خرج الجميع من البيت.

6 *إبريل*. كرست اليوم للأطفال. فذهبت لمشاهدة الألعاب البهلوانية مع ساشا وفيروشكا (الخادمة) واثنين من أطفال عائلتي ليتفينوف وكولوكولتسيف. كما شاهدنا المهرجين والمسرح وتزحلقنا من التلال وركبنا الأرجوحات الدوارة. وبعد الغداء دحرجنا البيض، وكان الأطفال سعداء جداً جميعاً. لكن تانيا مريضة ولديها سخونة وورم في الأسنان. وردت رسالة من ماشا. الصبيان يزورون أقرانهم. عزفت بعد الغداء عزفاً ثنائياً بأربع أيد مع ف.ناجورنايا المقطوعة الرباعية لتانييف. إنني كلما أتعمق أكثر في موسيقاه يزداد حبي لها ولروحه النبيلة والعميقة.

ل.ن. خرج للنزهة قبل الغداء راكباً الدراجة، وفي المساء امتطى صهوة الجواد لزيارة التاجر براشينين الذي ينازع الموت. فهو يبدي *الفضول* لرؤية كيف يموت الأشخاص، غير البعيدين عنه، وعلاوة على ذلك، يسره أن يواسي من يشارف على الموت.

7 *إبريل*. زارنا كوني، وسيتناول الغداء معنا غداً. ثمة رذاذ خفيف، وأصبح الجو دافئاً أكثر. وردت رسالة شيقة من مينشيكوف. وهو يكتب أن الحكومة

قلقة بشأن الدوخوبوريين، لكن اسم ليف نيقولايفتش يثير الانزعاج الشديد لدى الجميع بسبب علاقته بالدوخوبوريين. وأرسلت الشرطة إلى هيئة تحرير«روسكويه فيدوموستي» ورقة تطلب فيها حظر استلام التبرعات إلى الدوخوبوريين الواردة باسم ليف نيقولايفتش. ولكن ورد من هناك بالرغم من كل شيء مبلغ 300 روبل. إن ل.ن. رقيق القلب جداً وطيب المعشر، ولكن قلبي يفيض بالقلق والجزع.

9 إبريل. كان يوم أمس سعيداً وبهيجاً. وقد نهضت مبكراً في الصباح، وذهبت مع ساشا لحضور بروفة حفلة نيكيش الموسيقية. وعزفت مقدمة أوبرا «فريشيوتس» بأكمل صورة، وأنا حتى بكيت من التأثر.

بعد البروفة مشينا على الأقدام: سيرجي إيفانوفتش وجولدينفيزر وكونيوس وإيجومنوف وساشا وأنا والبروفيسور برياوبريجينسكي. وثرثرنا بمرح، وطلعت الشمس، لهذا كان المزاج جيداً تحت انطباعات الموسيقى والناس المبتهجين والجو الربيعي! تناول الغداء عندنا كل من كوني وأناتولي فيودودوروفتش والبروفيسور جروت وساشا وشقيقي ودين مع زوجته ومس ويلش. وروى كوني بشكل رائع تارة القصة حول الراوية المعروف ي.ف. جوربونوف الذي ينازع الموت، وكرر رواية قصصه الهزلية، وتارة أخرى روى وقائع من أحداث المحاكم، وذكر إحصائيات عن المنتحرين، وقال إن غالبيتهم من الأرامل والأرملات، كما تحدث عن أشهر الربيع، وعن أهالي الأقاليم الشمالية...

في المساء ذهبت مجدداً مع ساشا وماروسيا ماكلاكوفا إلى الحفلة الفنية لفرقة نيكيش. وتمتعت هناك كل المتعة. أمضى ل.ن. يومه مع الزائرين وفي الصباح لم يستطع العمل وانهمك بكتابة الرسائل، ثم ركب الدراجة والحصان. وقد توفي التاجر الآنف الذكر براشنين الذي زاره كثيراً، وقال ليف نيقولايفتش اليوم إنه كان يود بدافع *الفضول* أن يعرف كيف كانت ساعاته الأخيرة. وكان يود دائماً أن يعرف بدافع *الفضول* بالذات لحظات موت ذلك الشيخ.

قال ل.ن. اليوم إن الدكتور رحمانوف اهتم كثيراً بروايته («البعث») الذي تحدث معه عنها منذ فترة قريبة، وقد أعطاها له لقراءتها، ثم أعاد قراءتها

بنفسه، وقال إذا ما نشرت في كل مكان فيمكن الحصول على 100 ألف روبل، بغية تسليمها إلى الدوخوبوريين لكي يهاجروا. إنه فكر بذلك فقط. أما في الواقع فقد كان ذلك غير ممكن. وأنا لزمت الصمت طوال الوقت. فهذا من حقه وليس من حقي، ولكن يبدو غريباً أن نتحدث عن الحقوق بعد 36 عاماً من حياتنا المشتركة. إن أولاده سيحتاجون إلى النقود، وهو لم يعلمهم كيفية العمل والكسب. أما أنا فلن أضيع. كما أنني لست محتاجة الآن. إن النقود لا تمنحني السعادة الآن، أوه، طبعاً ليس النقود!

10 إبريل. لو عشت كما يعيش ليف نيقولايفتش لأصبت بالجنون. فهو يكتب في الصباح، ومعنى ذلك أنه يتعب ذهنياً، وفي المساء يتحدث بلا توقف، أو بالأصح يلقي المواعظ، لأن غالبية سامعيه يأتون إليه طلباً للنصح والمشورة أو التعلم.

جاء اليوم بعد الغداء حوالي ثلاثين شخصاً. اثنان من العمال، وثلاثة معلمين شباب في المدارس، وامرأة تمارس بيع المصنوعات اليدوية الروسية في إنجلترا، وطبيب، ومراسل لجريدة «كورير» وسيرجيينكو ودونايف وغيرهم.

كما جاء اليوم سريوجا، إنه يجلس عند البيانو ويؤلف لحناً ما. تانيا مريضة: ما زال ورم الأسنان باقياً، وهي تشعر بألم في بطنها. أندريوشا سافر يوم أمس. المطر يتساقط طوال اليوم. ذهبت مجدداً لشراء السلع الرخيصة، واشتريت قماشاً للموبيليا. في البيت أمارس الشؤون المنزلية، والحسابات، والبيانات المصرفية، والتقارير حول الوصاية على الأطفال، وكتابة الرسائل وهلم جرا. لم أمس اليوم الموسيقى ولا الرواية.

في بعض اللحظات تراود روحي الالآم المألوفة في الأعوام الأخيرة، والتي هيهات أن أشفى منها. جاءت فاريتشكا.

15 إبريل. هذه الأيام مترعة بالأحداث. في 11 إبريل ألقى أ.ف. كوني محاضرة جيدة جداً عن أودويفسكي. علماً أنه روى أشياء جانبية، وكل ذلك بذكاء، وبالمناسبة بدقة وبصدق.

زارنا في المساء البروفيسور برياوبرجينسكي الذي التقط لنا صوراً فوتوغرافية، وألقى محاضرة طويلة حول التخيلات الضوئية واللونية. وكنت أعاني من الضنى وأرغب في النوم، وهو نادراً ما يحدث لي. وعند الظهر كنت مع ساشا حيث شاهدنا معرض الفنانين «المتجولين». لم أجد لوحات بارزة، لكن المناظر الطبيعية الأخيرة لشيشكين جيدة، بينما يبعث على الدهشة فقر المواضيع والمحتوى. ويوم أمس أمضيت ساعتين ونصف الساعة في معرض الفنانين من سانكت - بطرسبورغ، وكانت هناك لوحة كبيرة لسيميرادسكي تصور شهيدة ربطت إلى ثور، والسيرك، ونيرون وهلم جرا.

لقد شاهدت لوحات هذا المعرض باهتمام كبير. إن التنوع الكبير للمناظر الطبيعية حملني تارة إلى إيطاليا وتارة إلى القرم وتارة أخرى إلى الدنيبر، وإلى جزيرة كابري أو إلى البلدان المتوحشة الشرقية، أو القرية الروسية أو الأوكرانية (المالوروسية)، أو القوقاز. وهذا كله شيء ممتع، بالأخص بالنسبة لي، لكوني لم أقم برحلات أبداً.

لقد أنجزت اللوحات بصورة جيدة، وبحرص، جميعها تقريباً، لكن ليس جميعها تنم عن الموهبة. إن لوحة «المسيحية تسيرتسيا في سيرك نيرون» لوحة ضخمة تملأ جداراً كبيراً. ويمكن التحدث عنها بصورة مختلفة وبحذر. وباعتقادي أنها جميلة جداً، ومتألقة، وكل تموضع الوجوه وتوزيع الألوان والشخصيات تم بشكل منسجم وبارع. لكن كل ما فيها يشي بالبرود. والمشاهد لا يشعر بالحزن على المسيحية المنكوبة، ولا يحزن على الثور ذي الرأس الجميل، ولا يشعر بالكدر على نيرون، ولا تتحسس الانطباعات لدى الجمهور. لكن المعرض عموماً ترك لدي متعة كبيرة.

خرجت اليوم لقضاء بعض الأشغال: فسلمت بعض الأشياء لإصلاحها، وتعديلها، وإعادة التجليد وهلم جرا. وفي المساء زارنا الأمير تروبتسكوي ونحات يعيش وولد وتربى في إيطاليا. إنه شخص مدهش: ذو موهبة رائعة، لكنه بدائي كلياً. فلم يقرأ شيئاً وحتى لا يعرف «الحرب والسلام»، ولم يتعلم في أي مكان، وساذج، وفيه شيء من الغلاظة، وهو مشغول بكل كيانه في فنه. وسيأتي غداً لصنع تمثال ليف نيقولايفتش وسيتناول الغداء عندنا.

زارنا سيرجي إيفانوفتش، والتعامل معه يجري بيسر وبساطة، بروح

الحياة اليومية، وبصورة طيبة وبهدوء. تحدث مع سريوجا في غرفتي حول ترجمة العمل الموسيقي. بينما سأله سريوجا عن بعض الأمور.

أعلن ل.ن. اليوم أنه سيسافر بعد يوم غد إلى إيليوشا في القرية. وإنه يشعر بالضيق من العيش في المدينة، ولديه 1400 روبل، ويريد توزيعها على المحتاجين. هذا كله شيء صائب، لكن تراءى لي أنه سيبعث في الكدر والشعور بالوحدة العيش مع ساشا النزقة وميشا، الذي لا يبقى في البيت أبداً، ولهذا ذرفت الدموع وتوسلت إلى ليف نيقولايفتش بألا يسافر ويبقى معي لمدة أسبوع على الأقل. لو كان يعرف مدى ضعفي روحياً، وأخشى نفسي من كل أمر، أخشى الانتحار واليأس والرغبة في تسلية نفسي. أنا/أخشى كل شيء، وأخشى ذاتي أكثر من أي شيء. أنا لا أعرف فيما إذا سيستجيب لتوسلاتي. إنني حتى في وجوده معي غالباً ما يتراءى لي أن العيش في هذه الدنيا صعب ويخلو من الأمل الوضاء، وأن أموراً كثيراً في العائلة وفي العلاقات مع ل.ن. قد نضجت *وتتطلب الحل، وأنني تعبت للغاية* من الصراع المستمر، ومن العمل المجهد في الأشغال وفي البيت وفي تربية الأطفال وفي إصدار الكتب، وفي إدارة ضياع الأبناء، وفي العناية بزوجي وحفظ التوازن العائلي... هذا كله لا تراه عيون الآخرين، بينما يراه بشكل *بارز جداً* قلبي المعذب! ألا يبدو صعباً هذا الوضع: حين يؤكد لي ل.ن. باستمرار بأنه يعيش في موسكو فقط *من أجلي*، وهذا عذاب بالنسبة له! ومعنى ذلك أنني أعذبه. علماً بأنه في ياسنايا بوليانا يكون عبوساً بقدر أكبر بكثير، وبالرغم من كل شيء فإن العيش في المدينة أكثر متعة وتسلية لديه، وفقط يجد الضنى فيه أحياناً.

16 إبريل. صنع اليوم الأمير تروبيتسكوي القادم من إيطاليا، وهو حتى إيطالي الجنسية، تمثال ليف نيقولايفتش. وأعتقد أنه يعتبر نحاتاً جيداً. لكن لا يرى شيء بعد، فالتمثال الذي بدأ بصنعه ضخم جداً. أصبح ل.ن. طيباً معي مجدداً، وغدت العلاقات بيننا طيبة. وكنت مساء يوم أمس في حالة عصبية متوترة جداً وغير طبيعية تقريباً.

18 إبريل. جاء ليوفا، وفجأة باع بيته عبر وسيط ما ولم يبلغني بالأمر.

وقد أفزعتني التغيرات، وأفزعتني المشاغل، وأسفت على بيع البيت، وكنت أريد أن أستبقيه لنفسي، وأنا بقيت نفسي بلا نقود، ولدي ديون تتعلق بإصدار الكتب. والبيت يكلفني غالياً أي حوالي 48 ألف روبل. يواصل تروبيتسكوي العمل في صنع تمثال ليف نيقولايفتش، وأرى الآن أنه فنان موهوب جداً.

19 إبريل. أجريت لتانيا عملية جراحية صعبة جداً في الأنف، وتم قلع سن وتم عبر ثقب إخراج القيح. إنها تشعر بألم بالغ، وشحب وجهها، ودب فيها الضعف، وأنا أشفق عليها جداً، وأريد أن أمسد على رأسها وأرثي لها وتقبيلها، لكن لا يجدي هذا نفعاً، وأشعر بالحزن فقط. تخليت اليوم عن المدموازيل أوبيرت واستخدمت مربية جديدة لساشا، تولت ضبط سلوكها. تروبيتسكوي يواصل صنع تمثال ليف نيقولايفتش، وهو تمثال جيد جداً: فهو يظهره ذا هيبة وبشخصية متميزة وشبيهاً به. إن تروبيتسكوي هذا ساذج، ومنغمر في الفن بكامل كيانه، لم يقرأ شيئاً ولا يهتم بأي شيء سوى النحت.

20 إبريل. مجدداً انغمرت في لجة صخب الحياة. لقد جعل بيع البيت روحي تفيض حزناً بصورة مباشرة تقريباً: لقد رأيت مدى حزن ل.ن. والأبناء على بيع البيت، وحتى ل.ن. الذي لا يبدي رأيه عادة نصحني في هذه المرة بصراحة أن اشتري البيت، وحتى قال: «إن بيعه شيء مؤسف». لكنه بالنسبة لي غالي الثمن وغير صالح في آن واحد. فهناك فقدت طفلين، ولم أكن سعيدة خلال الأعوام الأخيرة من حياتي. إن افضل سعادة هي في ياسنايا، في النصف الأول من حياتي الزوجية.

قضيت النهار كله في البنوك، من أجل بيع الأوراق المالية وتحويل نقودي إلى ليوفا. ووجب إبداء اهتمام كبير لكي لا تنخفض قيمة الأوراق المالية ولا أخسر شيئاً. وفي موعد الغداء غص البيت مجدداً بالناس: برياوبرجينسكي وتروبيتسكوي وبوتينيف وصونيا مامونوفا وميشا كوزمينسكي، وفي المساء جاءت الأميرات بنات تروبيتسكوي وأفراد عائلة كولوكولتسيف وسوخوتين!

كتب ل.ن. رسالة حول الحرب رداً على رسالة إيطالي ما. يتعثر العمل في كتابة العمل الأدبي، إذ يجد صعوبة في ذلك. علماً أنه اعتاد على *تعليم*

الآخرين لدرجة بات لا يستطيع العيش بدون ذلك. بعد الغداء يجلس أمام النحات تروبتسكوي. إن بداية التمثال النصفي رائعة من الناحية الفنية. ولكن، ويا للأسف فإن ل.ن. يعجل في السفر، ولهذا لن يكتمل صنع التمثال. نحن سنسافر بعد يوم غد. وسأعود إلى موسكو، بينما سينتقل ل.ن. فيما بعد إلى ياسنايا. كل شيء على ما يرام.

21 إبريل. اعتزمت السفر غداً برفقة ل.ن. إلى جرينيوفكا ونيقولسكويه لزيارة الأبناء، وقد فرحت جداً بهذه الرحلة، في الربيع، وإلى الأحفاد. لكن الرحلة تأجلت مرة أخرى لأن التمثال النصفي ليس جاهزاً تماماً، ومن المؤسف عدم إكماله، فهو جيد جداً. استدارة الرأس، وطابع الشكل كله، والعينان... إن كل هذا معبر ورائع، ولو أن عدم إكماله الذي يبهج النحات، يبعث القلق لدي. وليف نيقولايفتش في عجلة من أمره على الأخص لأن لديه 2000 روبل من أموال التبرعات الخيرية، ويريد أن يساعد الفلاحين في تلك المنطقة، التي يسود فيها الفقر بأكبر قدر.

في الصباح زرت كاتب العدل والبنك، ولدى عودتي حزمت احتياجاتي واحتياجات زوجي. واشتريت الأطعمة النباتية والخبز وغير ذلك. وشارك تروبيتسكوي في هذا أيضاً. تحدثنا عن الفن، وعن أوضاع الكونسرفتوار، وعن قصر فترة الحياة والمقدرة على التصرف بالوقت بغية أن يكون قضاء كل دقيقة بشكل مفيد: من أجل المنفعة، من أجل القضية، والناس، – أضيف من عندي – من أجل السعادة.

يسعدني كثيراً أن ل.ن. لم يعد يتخذ موقفاً عدائياً من هذا الرجل الرائع. إنه مشغول الآن بطباعة مختلف الأشياء، المتعلقة بالكونسرفتوار المحبوب لديه، ويهاجم الموقف غير الصائب من شؤون الكونسرفتوار من قبل مديرها سافونوف، وهو يخدم العمل فقط، من دون الخصام مع أي أحد ومن دون الخوف من أي أحد، من وجهة نظره النزيهة والعادلة للغاية.

ثم جاء ف. مالاكوف ودار بيننا حديث فلسفي عن السعادة. في الأمس مع صونيا مامونوفا واليوم مع ماكلاكوف خلصنا إلى الاستنتاج ذاته: السعادة تأتي بالمصادفة وهي قليلة. يجب تلقفها حين تكون موجودة، ونقدم الشكر

إلى القدر لتوفيره تلك اللحظات القصيرة من هذه السعادة، وعدم البحث من أجل استرجاعها، وعدم الحزن عليه، ومواصلة الحياة، والمضي إلى الأمام. وحتى في تلك الأيام العادية إيجاد الرضى والقناعة، الممكنة تماماً، إذا ما كان الضمير مرتاحاً، وإذا ما عاش المرء من أجل العمل، والناس، ولا يفعل أي شيء يبعث على الخجل أو غير أخلاقي، ولا يرغم على طلب المغفرة عنه.

وثمة سعادة أخرى - إنها استكمال الذات، إنها الحركة نحو المثل الأعلى الديني والأخلاقي. لكنني لا أحب التطلع إلى نفسي، وأحب الناس ولا أحب نفسي، ولهذا أشعر بالضيق.

زارنا ب.ي.بارتينيف، وجلب كتاب ورسائل جدي الأكبر الكونت زافادوفسكي الذي لا يكيل المديح لي كثيراً. إن هذا الأرشيف السيار بيوتر إيفانيتش بارتينيف شخصية ظريفة. فهو يعرف الجميع في العالم، ويعرف جميع السلالات، وجميع دسائس البلاط لجميع القياصرة الروس، وجميع الشعارات وروابط القرابة والأسماء وهلم جرا.

29 إبريل. أنهى تروبتسكوي التمثال النصفي لليف نيقولايفتش. إنه جيد جداً. في المساء غادرت مع ل.ن. إلى جرينيوفكا.وودعنا دونايف وماسلوف وابنتي ساشا وصونيا كولوكولتسيفا. سافرنا في القطار بعربة الدرجة الأولى. ثمة ازدحام في كل مكان. في المساء سخنت في الطريق من أجل ل.ن. عصيدة الشوفان التي أخذتها معي جاهزة كلياً. وأراد بنفسه القيام بذلك فأمسك غطاء القدر الساخن فأشاط ثلاثة أصابع. وعرضت عليه الماء للتخفيف من الألم لكنه رفض بشكل قاطع. وعندئذ حملت قدح الماء بصمت وغمست فيها الأصابع فخف الألم فوراً. مع ذلك كان نومه مضطرباً لهذا السبب.

في جرينيوفكا استقبلنا على صهوة الجياد كل من إيليا وأندريوشا بينما جاء مشياً على الأقدام الحفيدان: أنوتشكا وميشا. وقد ابتهجنا كثيراً لرؤيتهم وللتجول في القرية. وبدأ ل.ن. فوراً بالعمل: فقام بجولة في أنحاء القرية واستفسر عن أماكن انتشار الجوع. كان الوضع بأسوأ حال في نيقولسكويه وكذلك في قضاء متسينسكي. هناك يأكلون الخبز مرة واحدة في اليوم من

دون أن يشبعوا. إنهم إما باعوا الماشية وإما أكلوا لحمها، وأما أصبحت هزيلة للغاية. لا توجد أمراض. افتتح ل.ن. المطاعم الشعبية. وأرسل أندريوشا إلى أوريول لمعرفة سعر الخبز هناك. تجولنا كثيراً في جرينيوفكا. أنا قرأت مع أنوتشكا باللغة الفرنسية، وعملت في خياطة ملابس للصبيان، واعتنيت بالأربعة جميعاً، وصبغت ورسمت معهم. وعنيت لكي لا يطهي الطباخ الرديء طعاماً سيئاً لليف نيقولايفتش. لكن الأمور المنزلية لدى إيليا وصونيا تنم عن الفاقة ورديئة جداً. والأمر سواء *بالنسبة لي* لكنني أخشى ألا تتحمل معدة ليف نيقولايفتش الطعام الرديء فيمرض.

لم يعجبني إيليا في بيته. لا يهتم أحد بالأطفال كلياً. ولا يعامل الخدم والعمال بلطف. ولا يمارس أي عمل جدي. ويحب الجياد فقط. أما صونيا فهي لطيفة مع العمال والخدم، فتعالجهم وتهتم بأمورهم لكي يتم إطعامهم وتوفير الدقيق والحبوب من أجل الأطفال والنساء.

زرنا ولدي سريوجا في نيقولسكويه. ما زال سريوجا تعيساً جداً. يعزف الموسيقى كثيراً وألف أنشودة عاطفية رائعة وغنتها صونيا بصوتها الفتي الرخيم.

لم يكن مزاج ل.ن. رائقاً. وثمة شيء في علاقاتنا يتسم بالضيق والكآبة وعدم الصراحة، وهذا الأمر كدرني جداً. ولا يمكن أن أكون أكثر عناية ولطفاً كما كنت عليه مع ل.ن. خلال الفترة الأخيرة كلها.

وقد أسفت جداً لتركه في جرينيوفكا. لكن ربما من الأفضل أن نفترق لفترة ما!

عرجت على ياسنايا بوليانا، وسررت بعد جرينيوفكا بالطبيعة والإقليم الياسنابوليانسكي. تجولت في الحديقة والغابة وقطفت أغصان بقلة الرئة، وغرست شجيرة في الحديقة والأزهار في الأصص، وهيأت الغرفة تحضيراً لمجيء ليف نيقولايفتش.

هدرت أمس في 28 إبريل أول عاصفة رعدية هناك وقرقر طائر الوقواق. وبدأت الأزهار بالتلون بلون أخضر خفيف. ويجري البذار في الحقل وعزق الأرض حول أشجار التفاح وتنظيف الحدائق. دورا وليوفا يعيشان بمودة وسعيدان. إنها زوجة رائعة ومتزنة ومثقفة. إنها تعزق الأرض أيضاً في

حديقتها الصغيرة التي أعيد ترتيبها، وتطلي البيت بالطلاء وتستعد لولادة الطفل ومجيء والديها.

عدت صباح اليوم إلى موسكو...وغمرني الحزن. جاء سيرجي نيقولايفتش مع ابنته ماشا. سيأسف ليوفوتشكا أنه لم يلتقِ أخيه.

1 مايو. لم أدوّن شيئاً يوم أمس، الحياة *خالية من المعنى*. في الصباح جاء فيسيلكين الطالب في الجمنازيا 1 وجلب مبلغ 18 روبلاً و50 كوبيكاً الذي جمعه رفاقه كتبرعات. إن هذه التبرعات للجياع الصغار أو الناس الفقراء، قد أثرت فيّ لحد ذرف الدموع. ثم جلبت أرملة براشنين مبلغ 203 روبلات، بينما أرسلت كوبتيفا من سويسرا مبلغ 200 روبل. وتم تحويل جميع المبالغ إلى ليف نيقولايفتش.

تلقيت اليوم رسالة من صونيا ذكرت فيها أن ل.ن. معافى ويواصل رعاية وزيارة المحتاجين، وهو نشيط. لكنني لم أستلم منه أية كلمة. وبدأت تخبو في أعماقي كافة مشاعر المحبة تجاهه. فقد كتبت له رسالتين، مفعمتين بالمودة الخالصة تجاهه، والرغبة في بلوغ التقارب الروحي هذا، لكن لم ترد كلمة واحدة منه!

شربنا الشاي في الحديقة اليوم حيث اجتمع ضيوف كثيرون: أسرة كولوكولتسيف والزوجان ماكلاكوف وأريستوف ودونايف وأسرة أوبولينسكي والزوجان تولستوي وبوتينيف وساشا بيرس وماريا أليكس وشميدت وس.إ.تانييف. وانغمر الشباب في اللعب، وتعالى صراخهم وعثروا هناك على عفونة متألقة، ودار الحديث عن الحب وسمعت قهقهة ماروسيا وسيرجي إيفانوفتش. وهذا كله يبعث على الضنى والإزعاج، الصخب، الهلاك. وصرت بلا إرادة مني أفكر في الحياة الجادة في جرينيوفكا مع تربية الأطفال ومساعدة الجياع والحصاد والتدبير المنزلي وهلم جرا. وبعد ذلك صرت أفكر في ياسنايا حيث تجري الأعمال الربيعية، والطبيعة الربيعية الهادئة والمهيبة والاهتمام بمعرفة مولد الطفل الجديد لدى دورا.

سافرت اليوم مدموازيل أوبيرت، وقد أشفقت عليها، لكنه ليس كثيراً جداً، إنها كانت ذات طبيعة بائسة وتافهة.

3 مايو. ذهبت اليوم إلى بتروفسكو - رازوموفسكويه ورأيت الابن الصغير لدى مانيا وسريوجا وقلقت جداً. إن عيني الطفل هذا معبرتان جداً. ولقيت في بتروفسكو - رازوموفسكويه بيكنيك العديد من مختلف المعارف من الطبقة الراقية حيث يتنزهون، وحزنت ساشا لأنهم لم يدعوها لمرافقتهم. وتجولنا في الحديقة والغابة. وتناولنا طعام الغداء لدى السيدة العجوز شيدلوفسكايا، وقد بلغت سن 77 عاماً، لكنها نشيطة جداً. وأمضينا الأمسية لدى عائلة كولوكولتسيف. أية مأساة في الأمومة! وهذا الرفق والحنان بالصغار (كما رأيت اليوم في مشهد مانيا وطفلها)، ثم هذا الاهتمام الشديد والعناية بأن يشب الأطفال أصحاء، ثم السعي إلى تعليمهم، والمصيبة، والقلق، حين يرى المرء كسلهم ومستقبلهم الخاوي الخالي من الأعمال، ومن ثم يحدث الاغتراب والتوبيخ والجفاء من قبل الأطفال، ونوع من الكآبة. إن الحياة كلها، وفترة الشباب كلها، وجميع الأفعال تبدو وكأنها كانت بلا جدوى.

بدأت أتلقى الرسائل من ل. ن. في أحيان كثيرة. إنه يطعم بضع مئات من الأشخاص الجياع على الأقل. لكنه يرتكب خطيئة لا تغتفر بإهماله لأبنائه.

5 مايو. تلقيت اليوم رسالة من ل.ن. إنه نشيط ومعافى والحمد لله. ويكتب فيها أنه افتتح ثمانية مطاعم شعبية ونفدت النقود لديه. لقد اعتقدت بأنه إذا ما تم إطعام شخص أو شخصين فهذا شيء حسن، وليس فقط بضع مئات من الأشخاص. وتراءى لي اليوم أن تسعة مطاعم عديمة القيمة حيال ملايين الفقراء. ولم نطلق حملة لجمع التبرعات، فلم يعد ل.ن. يمتلك القوة للعمل. واذا ما أطلقنا الحملة لحصلنا على الكثير من النقود.

9 مايو. طلبت صونيا مامونوفا اليوم كتابة رسالة إلى سيرجي إيفانوفتش لكي يأتي في المساء للقائها. وقد جاء في نهاية المطاف، وأنا انتظرت حضوره وغمرتني السعادة، وعزف. لقد عزف سوناتا بيتهوفن «Quasi una fantasia» ونوكتريونات لشوبان. وما أعظم سعادتي لسماعه، *وكيف عزف!* وكان رقيق الحاشية على الأخص اليوم، وتضمن عزفه شيئاً عميقاً، وبمحتوى، ويروي

أمراً ما، وشعرت بالامتنان إليه! ولكن لم يضطرب القلب الذي غفا لفترة من الوقت إزاء مثل هذه الانطباعات المفزعة؟ هذا مؤلم جداً...

كتبت رسالة لليف نيقولايفتش وفكرت فيه بألم. إن المتعة التي أحصل عليها لدى سماع عزف سيرجي نيقولايفتش تجلب الأوجاع إلى زوجي. وأنا في لوعة الحزن والأسى لدى التفكير بذلك. لماذا لا يمكن إحلال السلام في كل شيء، وأن يكون المرء سعيداً ومحباً مع الجميع، ويأخذ من كل شيء حصة من السرور، الذي يمكن أن يعطيه.

جاء سريوجا. عزف أمام سيرجي إيفانوفتش قصيدته الشاعرية الغنائية، ثم لعب معه الشطرنج.

10 مايو. قرأت في الصباح مسودات المطبعة، ثم خرجت لشراء التذاكر إلى المسرح، وعرجت على دونايف للبحث عن كيفية مساعدة ليف نيقولايفتش في مجال إغاثة الجياع. وثمة اقتراح بإرسال ستراخوفا. سيكون هذا أمراً طيباً. طالعت اليوم رسالة تشيرتكوف إلى ل.ن. لرغبتي في معرفة حال شكارفان الذي ينازع الموت. إن جميع لهجة الرسالة غير طبيعية، وتتضمن الأفكار ذاتها حول مكافحة الجسد، وحول النقود وخطيئة امتلاكها، بينما هو نفسه استدان من الجميع، وطلب من تانيا مبلغ 10000 روبل.

كله زيف، وزيف، وأنا *لا أطيقه*. من منا لا يكافح الشهوات؟ وأي *كفاح*! وأحياناً أشعر بأنني استنفدت كافة قواي في هذا الكفاح، ولا أجد أكثر مصدراً للحصول عليها. وأية شهوات لديهم! إنهم جميعاً يتحدثون بلا صراحة، ويبعثون على الضجر...وإذا وجدت الشهوات فالتزم يا هذا الصمت ولا تصرخ بشأنها دوماً.

في المساء ذهبت إلى المسرح مع سريوجا وأندريوشا وساشا. قدمت هناك «Freischutz» من قبل طلاب الكونسرفتوار ويذهب ريع الحفلة لإغاثة الجياع. أنا جلست في صف المقاعد الثاني حيث جلس سيرجي إيفانوفتش أيضاً.

19 مايو. ياسنايا بوليانا. ثمة حركة كثيرة في هذه الأيام: حيث حزمت الحاجيات، وانتقل البيت كله وساشا مع الخادمة السويسرية الجديدة

المدموازيل «Kothing»، انتقل الجميع في 15 مايو، بينما وصلت مع ساشا في صباح يوم 16 مايو، إلى البيت الفارغ في ياسنايا بوليانا. أنني أنتقل بهذه الصورة للعام الثاني! وبهذه الصورة وصلت الجياد والبقرة والبيانو الكبير وجميع الصناديق، وانهمكنا في ترتيب الحاجيات والتنظيف. تناولنا الغداء والعشاء في بيت دورا وليوفا، اللذين أظهرا الحفاوة البالغة بنا. وفي 17 مايو سافرت إلى ليف نيقولايفتش في جرينيوفكا وسررت كثيراً برؤيته وبرؤية الأبناء والأحفاد. لكن انفعالاتي الساخنة تقع دائماً تحت سيل من الماء البارد. فقد جلس لدى ليف نيقولايفتش أحد أتباع طائفة ما، وكان يقرأ له مقالته. وقد عرقل مجيء القراءة، وشعر ل.ن. بالانزعاج قليلاً، بالرغم من أنه سعى كثيراً إلى إخفاء ذلك. فخرجت إلى الحديقة مع الأحفاد وميشا وأندريوشا، وتجولنا كثيراً في كل مكان، ورويت لهم الأقاصيص الكثيرة حول الزهور وأشجار التفاح والحشرات، وحول الحياة فحسب - أي التاريخ. لقد تمتعت بالتجول معهم طوال ثلاث ساعات. وعندما أتيت بعد الغداء إلى غرفة ليف نيقولايفتش وجدت ذلك الرجل ما زال جالساً عنده، وهو يقرأ له قصائد طويلة ذات محتوى ديني، أعدها أتباع الطائفة من أجل إنشادها. فطلب مني ل.ن. الانصراف مجدداً مبدياً انزعاجه. خرجت وأجهشت في البكاء. نحن افترقنا منذ ثلاثة أسابيع تقريباً. إنه لا يبدي أي اهتمام بمجريات حياتنا في موسكو، وبامتحانات ميشا، وبتانيا. وعندما رأى ل.ن. أنني تكدرت صار يبحث عني، وراح يبرر موقفه بارتباك.

الحياة في جرينيوفكا تجري على قدم وساق، وأبديت أسفي لأنني لا أستطيع المشاركة فيها. فقد تم افتتاح عشرين مطعماً شعبياً، علاوة على ذلك يجري توزيع الدقيق. والناس يحملون الأكياس في العربات: فتارة ينقلون ما اشتروه من الدقيق والبطاطس والحنطة، وتارة ينقلون الحصة الأسبوعية إلى المطاعم الشعبية. وتم بحضوري جلب البطاطس وكدست من أجل المطاعم الشعبية. تعمل صونيا زوجة إيليا بهمة، بالرغم من أن ل.ن. يعاتبها أحياناً لكونها عديمة الخبرة. أخذ ل.ن. مني مبلغ 100 روبل آخر، وذلك للمرة الرابعة، لكنني لا أستطيع إعطاء المزيد من النقود. وقد سلم المبلغ إلى سريوجا من أجل أعمال الإغاثة في نيقولسكويه. وثمة بلبلة سخيفة في

مواقف المسؤولين: إذ إن تروبنيكوف محافظ أوريول قد سلم إيليا ورقة رسمية تسمح له بافتتاح المطاعم الشعبية وحتى أعرب عن امتنانه لذلك، بينما منعه من ذلك مدير الناحية بذريعة أن لديه توجيهاً سرياً بعدم السماح بافتتاح المطاعم الشعبية، وباعتقال ونفي جميع الذين يودون العيش مع عامة الناس ومساعدتهم. أية حكومة هذه! ومن يخدع من؟

رجعت اليوم إلى ياسنايا بوليانا، بعد أن توقفت فترة أربع ساعات في تولا لقضاء بعض الشؤون: فيما يخص دعوى بيبيكوف حول امتلاك الأرض، وحول طريق تشيرنسكي الذي جرفته السيول وحول الجسر...الخ. هذا شيء مضجر ومتعب للغاية! عاشت ساشا وحيدة مع المربية، واليوم شعرت بالأسى لها.

في المساء شربنا الشاي جميعاً في الشرفة، ثم خرجنا للقاء والدي دورا اللذين وصلا ليس في ذلك الوقت بل ليلاً.

كابد ل.ن. في جرينيوفكا من وعكة في صحته بسبب الآلام في فقرات الظهر والحرقة. اليوم تحسنت صحته. إنه مشغول جداً بتقوية العضلات، ويمارس التمارين البدنية باستخدام الثقلين. وذهب إلى البركة للسباحة واستحم على الضفة. إنه يأكل طعاماً رديئاً وقليلاً، وبعد ذلك يجأر بالشكوى، ويصيبه الفزع، ويئن، ويلف جسده بالروب القطني، ويتحدث عن الموت الذي لا يرغب فيه ويخشاه.

أصبح الجو صاحياً وبارداً، بالأخص في الليالي. القمر ساطع في السماء الصافية، ساد الجفاف والغبار مجدداً. سيكون المحصول رديئاً مرة أخرى.

وردت برقية من تانيا، ستصل غداً. ميشا يواصل أداء الامتحانات، والحمد لله.! سأسافر إليه بعد يوم غد.

20 مايو. ياسنايا بوليانا. أي ألق وأي جمال في الربيع! أيام صاحية ومشمسة، وليال مقمرة، وأزهار الليلك، وبالأخص البيض، تبدو بضة وغير عادية في هذا العام. وأزهار أشجار التفاح المتساقطة، العندليب... إن هذا كله يجعل المرء كالثمل، ويثير عجبه، ويصطاد لحظات جمال الطبيعة في الربيع، ويأسف عليها إلى الأبد.

جاء يوم أمس الزوجان الطيبان ويسترلوند والدامس والزوجان ويسترلوند أدورا. كم كانت مسرورة بمجيئهما هذه الفتاة اللطيفة ذات البطن المنتفخة، والمنهمكة بالأشغال المنزلية، والهموم بشأن توفير وسائل الراحة لهما.

كما وصلت صباح اليوم شقيقتي تانيا، وتبدو شاحبة وذابلة. إن جميع أحاديثها تدور حول الحب، وحول الرغبة في أن يكون لديها أطفال، وحول صعوبة حياة العذارى. إنها المصاعب التي تحدثت عنها بصورة خاصة فيرا تولستايا المنفعلة دوماً والمستعدة لقبول أي حب، والشيء الرئيس لولادة الأطفال. الفتيات المسكينات...إنهن لم يعرفن في فترة الشباب ما ينتظرهن في فترة النضوج.

اليوم عيد ميلاد ليوفا، وقد بلغ سن 29 عاماً. تناولنا الغداء في بيته وشربنا الشمبانيا، وابتهجت دورا وزيّنت كل البيت بالزهور.

سأذهب غداً إلى تولا لتسوية قضايا المكروه بيبيكوف الذي اقتطع جزءاً من أرضنا. وفي المساء سأسافر إلى موسكو. اليوم بعثت الطباخ مع المأكولات إلى ليف نيقولايفتش، وكتبت له رسالة طويلة. وغداً سأبعث ساشا مع المربية إلى شقيقتي ليزا، إذ لا يوجد من تبقى معه هناك. إذ سافرت تانيا يوم 22 مايو إلى أبيها في جرينيوفكا.

إن التعامل مع تانيا يسير وحسن. فنحن نعرف، ونفهم وبلا ريب نحب أحدنا الآخر جيداً.

أمامي صورة ليف نيقولايفتش بنظرة معبرة، كما لو أنه يجذبني إليه. وعندما أنظر إليه أتذكر ملاماته وقبلاته، لكنني لا أستطيع أن أتذكر كلماته الرقيقة الصادقة، ومعاملته الودية الحميمية لي...

فهل وجدت في وقت ما؟... كان لدي عاشق متيم أحياناً أو حكم صارم متجسداً بزوجي، لكن لم يوجد لدي أبداً صديق... والآن لا يوجد أيضاً، أقل مما في أي وقت.

آه، ما أروع تغريد العنادل!

ذهبت اليوم مع ساشا للتنزه في الغابة. جمعنا قليلاً من الفطر في المشتل، وأزهار زنبق الوادي تتألق بروعة في تشيبيش. أنا أحب أزهار زنبق الوادي، فهي زهرة نبيلة جداً.

يا لها من ليلة مقمرة هادئة! أصبح الجو حاراً مجدداً ودافئاً في الليل. أعدت قراءة سيرة حياة وتعاليم سقراط وتعرفت عليه من جهة أخرى. إن جميع عظام الرجال متشابهون: إن العبقرية هي قبح ومسخ لأنها شذوذ عن القاعدة. ولا يوجد في العباقرة انسجام، ولهذا فهم يعذبون الآخرين بسبب عدم اتزانهم.

22 مايو. وصلت إلى موسكو صباحاً.

25 مايو. اليوم عيد العنصرة. ذهب ميشا لزيارة عائلة مارتينوف. لقد أدى الامتحانات بصعوبة. ذهبت مع المربية لزيارة قبري إليوشا وفانتشكا في مقبرة نيقولسكويه. غرسنا الزهور، وأحطناهما بالعشب، وتلوت صلاة «أبانا الذي في السموات» ورجوت صغيري في قرارة روحي أن يصليا من أجلي أنا الروح الخاطئة والمريضة.

الجو اليوم صاح وبهيج، والناس في فرحة العيد. ذهبت مع الصبية إلى أقرب دير للراهبات، وثرثرت مع الراهبات. إحداهن *العاشقة* للمسيح منذ أيام الصبا ويتملكها الاعتقاد بأن تبقى بكل معنى الكلمة *خطيبة المسيح* وليس أي أحد آخر.

الحديقة مرتبة بأفضل شكل، والقرب من القرية والداتشات[1] والناس، لا أتحسس أي *مزاج*. عدت إلى موسكو في وقت متأخر من المساء.

26،27،28،29 مايو في موسكو. قراءة المسودات، الوحدة، الكآبة. كنت في إحدى الأماسي في هذه الأيام أعزف على البيانو في الحجرة الكائنة في ركن المبنى، وإذا بي أشعر برغبة شديدة في رؤية سيرجي إيفانوفتش، وبعد فترة قليلة رأيت عبر النافذة أشباح ثلاثة أشخاص، ولم أتعرف عليهم في البداية، وفيما بعد عرفتهم ولم تصبني الدهشة. فقد كانوا ماسلوف وتانييف وبوميرانتسيف. وقد انصرف ماسلوف مبكراً. وبعد ذلك عزف

1 – الداتشا: تطلق هذه التسمية على البيوت الريفية التي يستجم بها الروس في فترة الصيف. (المترجم)

لي بوميرانتسيف، ثم عزف سيرجي إيفانوفتش. وعزف أناشيده الرومانسية ورباعيته بعزف ثنائي بأربع أيد سوية مع يوشا.

وفي 29 مايو زارني مرة أخرى بصحبة جولدينفيزر. لكنه بقي فترة قصيرة جداً، وكان مضطرباً لسبب ما، وغادر في عجلة من أمره.

30 مايو. حفلة موسيقية في الكونسرفتوار. الطقس مشمس وحار. وعزفت سوناتا شومان وكونشرتو سان – سان وعدة أشياء أخرى عزفاً رائعاً الطالبتان في الكونسرفتوار – فريدمان وبيسي والطالب جيديكه. وتمتعت بذلك كثيراً. ولم يكن هناك أي أحد لم يرحب بي قائلاً: «كم أنت شابة اليوم» أو «كم أنت بضة المحيا»، أو «عندما يتطلع المرء إليك – يشعر بالمرح والخفة والانشراح...». وقد ولد هذا الانطباع لديهم فستاني الفضفاض والجديد ذو اللون الليلكي الفاتح والشفاف. علماً أن الاحاديث حول مظهري الفتي وترحيب الآخرين بي، يبعث في الخجل، ولكنني أشعر بالسرور.

أرغمني سافونوف، راجياً، على حضور اجتماع ما. وكان ينقصه وجود أعضاء من الموسيقيين. وأنا لم أفقه شيئاً مما ورد في تقريره، ووقعت في ورقة ما، وشعرت بتأنيب الضمير.

رجعت إلى البيت، وصعدت إلى الشرفة، وإذا بي أرى سيرجي إيفانوفتش جالساً في الحديقة ويطالع جريدة. فسررت كل السرور. وكانت قد نصبت لي ولميشا مائدة الغداء في الحديقة. فأضيفت إليها أدوات الطعام لشخص ثالث. وتناولنا الغداء في جو من المرح والطيبة. وكانت لدينا جميعاً رغبة في الأكل، وسادت في الحديقة الأناقة والنضارة! وبعد الغداء تجولنا ثلاثتنا أي مع ميشا – في أرجاء الحديقة. وتحدث سيرجي إيفانوفتش عن القوقاز. إن ميشا كان سيسافر في اليوم التالي إلى القوقاز ولهذا أبدى الاهتمام بهذا الحديث. وبعد ذلك انصرف ميشا وبقينا لوحدنا: شربنا الشاي سوية. وعزف لي سيرجي إيفانوفتش منوعات ألفها كوليا جيليايف أحد تلاميذه. وبعد ذلك جلسنا وتبادلنا أطراف الحديث كما يتحدث الأشخاص الذين يثق أحدهما بالآخر: بجد وإخلاص وبلا تحرج وبلا ملح سخيفة. لقد تحدثنا فقط عما يهمنا نحن الاثنين. ولم يحدث مرة واحدة ما يبعث على الارتباك أو السأم.

أية أمسية كانت! إنها الأخيرة في موسكو، وربما في حياتي.

في الساعة التاسعة اعتزم الانصراف ولم أوقفه. وقال لدى خروجه فقط بصوت خافت وحزين: «لا بد من الانصراف في وقت ما». ولم أجب بشيء، واعتملتني الرغبة في البكاء. ودعته حتى الباب وذهبت إلى الحديقة. بعد ذلك حزمت الحقائب والرزم، ورتبت كل شيء في المكان، وأغلقت الأبواب والنوافذ، وغادرنا في الساعة 12 إلى ياسنايا.

31 مايو. في الصباح السفر الشاق إلى ياسنايا. لا وجود لتانيا، ولا لليف نيقولايفتش، وثلاث برقيات – هو مريض، ويرقد لدى عائلة ليفيتسكيه! لقد وعد بأن لا يسافر إلى أي مكان، ويلتقي معي في ياسنايا، وبدلاً من ذلك انطلق مع صونيا (الكنة) في عربة في جولة لزيارة الجيران كما لو أنه يريد دراسة الوضع في البلاد في مجال الجوع والمحصول القادم. فزارا آل تسوريكوف وآل يفريموف وآل ليفيتسكي، حيث أصيب ل.ن. بالحمى، والزحار.

1 يونيو. لم يصل ليف نيقولايفتش. وبقيت أذرف الدموع طوال اليوم، وذهبت عليلة مع ماريا ألكسندروفنا شميدت في البداية إلى تولا عبر كوزلوفكا، ثم ركبنا القطار في طريق سيزرانو – فيازيمسكايا حتى محطة كاراس. وهناك استأجرنا في وقت مبكر من الصباح عربة وتوجهنا إلى بيت آل ليفيتسكي. إن حالة ليف نيقولايفتش قد تدهورت بسبب الزحار، ودب فيه الضعف، ولا يمكن أن يسافر إلى بيتنا.

2، 3، 4، 5 يونيو. أنا في بيت آل ليفيتسكي. عائلة رائعة، همامة، لبرالية بمعنى الكلمة الطيبة، وبالأخص رب البيت، فهو رجل ذكي وصلب.

من الصعب إبداء الرعاية والاهتمام بليف نيقولايفتش المريض في بيت غريب، وبطعامه النباتي المعقد. أرسلت في طلب الطبيب، وأعطيت له وصفة البزموث من الأفيون، واللبخات. ضجر، وبرد، وكآبة، وحزن. لقد غادر ليف نيقولايفتش البيت وهو ما زال مريضاً. أي طيش، ألا يشعر

بالخجل أن يولد كل هذه الهموم بطرح مطالب صعبة غير لائقة في بيت أناس غرباء كتوفير حليب اللوز والبقصم والشوفان وشراء الخبز وهلم جرا.

6 يونيو. قفلنا راجعين إلى ياسنايا، وأنا أسعل، وضعيفة البدن، ومعذبة ووانية بسبب العناية الشاقة بليف نيقولايفتش.

بتنا الليل لدى أسرة يرشوف الذين غابوا عن البيت. حادث فظيع! إن المرأة الشابة تولوبيفا، ولقبها قبل الزواج يرشوفا، ألقت بنفسها في الماء بسبب الغم والكدر وغرقت. وقد حسدتها على شجاعتها. إن الحياة صعبة جداً جداً.

8 يونيو. ولدت دورا صبياً في الساعة 12 والدقيقة 45. كم تعذبت المسكينة، وكيف توسلت مخاطبة أباها بصوت فتي عنيف وعال باللغة السويدية. وكان ليوفا حانياً جداً عليها، وشجعها، بينما عاملته نفسها بطيبة وبمحبة، والتصقت به، كما لو أنها ترجوه أن يشاطرها آلامها. وقد شاطرها آلامها فولد ليوفا الصغير بصورة طبيعية وجيدة.

11 يونيو. وضعت البيانو الكبير في ورشة عمل تانيا. وقد عزفت اليوم حوالي ثلاث ساعات، وأجهشت في البكاء بسبب عجزي، والرغبة في أن أسمع مجدداً في وقت ما موسيقى سيرجي إيفانوفتش. فقد حدث ذلك خلال عامين سعيدين! ولكن بعد تلك المصيبة الفظيعة – موت فانتشكا – قد حصلت على هذه السلوى! شكراً لك، يا رب، لهذا الدعم.

جاءت ماشا مع كوليا وإيليا مع ماشا والحفيد. وقد تجولت معه في أرجاء تشيرتا، وقطفنا زهور الليلك ليلاً، وتحدثنا حول فراق المربية، وحول العش الذي اعتنيت به مع فانتشكا – في البداية مع البيوض ومن ثم مع الأفراخ. ساد الهدوء التام، وغمرت السكينة روحي، بالأخص بعد ذرفي الدموع وحزني.

تناول العشاء عندنا ويسترلوند وليوفا، وكانت المائدة طويلة، وهو ما أحببته، واعتدت على ذلك. أحلم بالسفر إلى شقيقتي تانيا وإلى آل ماسلوف.

فهل سيتسنى لي ذلك؟ عندما ودعني ف.أ.ماسلوف في موسكو دعاني بقوة وشكرني بحرارة لأمر ما. أنا أحب هذه الأسرة المواسية والصلبة والطيبة والحانية. إنهم جميعاً بلا زواج لكن رغم مظهرهم الخارجي الهادئ لا بد أن لديهم همومهم الداخلية ومعاناة حياة كل واحد منهم. كم بودي أن أكون في مرفئهم الساكن، حيث يعزف لي سيرجي إيفانوفتش، في أغلب الظن، وأن أتبادل معه الأحاديث حول أهم قضايا الحياة والموت جدية وصدقاً.

لا يتعافى ل.ن. من مرضه. إنه خامل ونؤوم وصار ساكناً تماماً، ولا يبدي المسرة أو الأوجاع ولا الغيظ أو المحبة. إن مرضه الأخير هذا قد أفزعني حقاً، ورأيت حقاً احتمال موته، وارتعبت لذلك.

بدا على حين غرة أن قضية الجوع والمطاعم الشعبية والتبرعات لم تعد تهمه البتة. كشف ويسترلوند في ليف نيقولايفتش تضخم الكبد، وأمر بأن يشرب مياه فيشي الساخنة جداً في الصباح.

12 يونيو. نهضت في وقت متأخر. عزفت التمارين الموسيقية بإمعان تماماً وتبين لي أنني متعبة جداً. ذهبت مع الحفيد ميشا إلى أشجار الشوح وإلى تشيبيتش وجمعنا الفطر من مختلف الأصناف.السكون يسود في الغابة، والأزهار، والسماء الصافية، والشمس... كل هذا شيء جميل! ثم عزفت مجدداً. وبعد الغداء جلست مع ميشا على البرج، ثم ركبت مع ساشا عربة «الكبريلة» وذهبنا إلى النجار وإلى قبور أطفالي وعمات ووالدي ل.ن. وقطفنا أزهار القنطريون في حقل الجوادار. ومضينا في الطريق نضحك ونثرثر ونمزح مع الأطفال. وفي المساء جلس ل.ن. في الشرفة وطرح عليهم المسائل الرياضية وتذكر المسألة المحبوبة لديه حول الحاصد. ومفادها ما يلي:

كان هناك مرجان من العشب أحدهما كبير والآخر صغير. وجاء الحاصدون إلى المرج الكبير، فحصدوا حتى منتصف النهار. وفي النصف الثاني من النهار أرسلوا نصف الحاصدين لحصد المرج الثاني. وفي آخر النهار كان قد تم حصد المرج الكبير كلياً، بينما بقي في المرج الكبير ما يعادل عمل شخص واحد ليوم واحد.

فكم كان عدد الحاصدين؟ ثمانية أشخاص. عمل ثلاثة أرباع الحاصدين في المرج الكبير، بينما عمل ثلاثة أثمان الحاصدين في المرج الصغير. واذا كان الشخص الواحد يعادل الثمن، فإن عددهم الإجمالي هو ثمانية أشخاص.

كانت هذه واحدة من المسائل الرياضية لدى ليف نيقولايفتش، وكان يطرحها على الجميع.

دار في فكري اليوم: لماذا لا توجد نساء عبقريات؟ لا نجدهن بين الكتاب والرسامين والموسيقيين والملحنين. لأن جميع الولع، وجميع قدرات المرأة النشيطة توجه نحو العائلة والحب والعناية بالزوج، والأمر الرئيس نحو رعاية الأطفال. ولذا تضمر جميع القدرات الأخرى، ولا تتطور، وتبقى بصورة جنينية. وعندما تنتهي فترة ولادة الأطفال وتربيتهم، تنبجس الحاجات الإبداعية، لكن هذا يحدث بعد فوات الأوان. فلا تستطيع المرأة تطوير أي شيء لديها.

وغالباً ما تطور الفتيات القدرات والقوى الروحية والفنية لديهن، لكن هذا التطوير يبقى منفرداً ولا يمضي في خطوات أبعد، إلى الأجيال التالية، لأن الفتيات بلا ذرية. وغالباً ما يبرز العباقرة من أمهات بلغن سن الكهولة، حققن التطور من قبل، ومنهم ليف نيقولايفتش. فلم تكن أمه شابة حين ولدته وعندما تزوجت.

13 يونيو. يبدو أن القدر قد أتاح لي مجدداً فرص العيش والابتهاج، إذا ما كان قلبي المريض ما زال فقط قادراً على المسرة. فالحمد لله أن الجميع بصحة وعافية ومودة، وليف نيقولايفتش ذهب اليوم على صهوة الجواد إلى ياسينكي. إنه يشعر بالبهجة لكونه قد تعافى، وإن الرب سمح له بمواصلة العيش، وحتى بالعيش منشرح الصدر. أما أنا فقد بدأت فقط بترتيب أموري، وتنظيف البيت ووضع الأثاث في محله، والخروج للنزهة. ذهبت اليوم مع حفيدي ميشا إلى الغابة وقطفنا الأزهار وجمعنا الفطر وثمار العليق. وتحدثت معه كثيراً عن فانتشكا. لقد حدثته عن حياته وانخرطت في البكاء.

بعد ذلك تنزهت مجدداً مع ويسترلوند وليوفا وإيليوشا. تحدثت مع

إيليوشا بصوت خافت وبمودة عن أحواله والانتقال في الشتاء إلى حماته. إنه، المسكين، قد تشوشت أحواله الإدارية والمالية.

كان المساء صافياً، الزهور في كل مكان، وجمعنا الباقات من أجل يوم غد.

غداً سيجري تعميد حفيدي الصغير ليوفا.

14 يونيو. قضيت اليوم مع جميع أبنائي: في الساعة الواحدة بعد الظهر جرى تعميد الحفيد الصغير ليوفا. كانت دورا قلقة جداً، أما الجدان السويديان فقد أفزعتهما وحشية الفلاحين الروس.

تناول الغداء جميعاً في بيتنا، في جو احتفالي جداً، ووضعت باقات الزهور والفواكه على المائدة، وقدمت الشمبانيا وكان الجو مشمساً رائعاً. وبعد ذلك مارس الجميع لعب التنس، ومنهم ل.ن. أيضاً، ولا تبدو عليه الكآبة، واستعاد صحته تماماً، والحمد لله. في المساء غادر كل من ماشا وكوليا وإيليا مع الصغير ميشا الذي تكدرت لفراقه جداً. لكنني أشعر بأنه لم يعد *لي*، وإن محبته ستجلب لي الحزن فقط، ولن أتولى تربيته... إن هذا كله يرغمني على الخوف من هذا التعلق به، فابتعدت بذهني عن ميشا الصغير.

عزفت اليوم طوال ثلاث ساعات متوالية، وحفظت بولونيز شوبان As – dur، إنها مقطوعة صعبة، لكنها رائعة حقاً! فيما بعد جاءت ناديا فيريه، وكان صوتها في الغناء رخيماً. طالعت قصة كتبها ابني ليوفا ونشرت في «نوفويه فريميا» بعنوان «مقدمة شوبان». لا توجد لديه موهبة كبيرة، بل إنها صغيرة وتتسم بالصدق والسذاجة. انتهى اليوم بممارسة الحب مع ل.ن.

17 يونيو. الحياة صعبة وكئيبة مجدداً. تذكرت بصورة عفوية ما قاله لي الفيلسوف الفرنسي Charles Richet: «Je vous plain,madame,voue n`avez pas mem le temps d`être heureuse»[1].

في يوم أمس واليوم انهمكت مجدداً بوضع اللزقات واللبخات والعناية

---

1 – أنا أرثي لك أيتها السيدة لأنه حتى لا يتوفر لديك الوقت لكي تكوني سعيدة (بالفرنسية). (المترجم)

بليف نيقولايفتش المريض... فهو بعد الزحار لم يضبط نفسه، وصار يأكل كثيراً وبنهم، ويركب الدراجة بالرغم من حظر الأطباء، ويسبح، وينهك نفسه كثيراً بركوب الجواد، ويوم أمس شعر بألم حاد في المعدة، وبدأ تقيؤ مستمر وموجع، واليوم ارتفعت درجة حرارته في المساء إلى 38.2، ولم يأكل شيئاً طوال اليوم، ويئن خلال اليوم بأكمله، ولا يحتمل الصبر جداً.

إنه بسبب عناده وقلة صبره يقلص فترة حياته كما يقضم فترة عمري أيضاً. وفي هذه المرة أصبحت في هم وغم، فإنني اعتنيت به كل العناية وبكل جهد لكي أشفيه من الزحار، وإذا به يصبح طريح الفراش مرة أخرى. أنا نفسي مريضة ومتعبة جداً ويغلبني الكدر. أنا أسعل، وأشعر بوجع تحت الإبط.

استقبل ل. ن. وهو طريح الفراش زوجين قادمين من فورونيج جاءا لزيارته باعتباره الطبيب الروحي لهما، وطلبا مشورته بصدد أمر ما. وهذا اللقاء أضناه.

يوم أمس وقبل مرض ليف نيقولايفتش ذهبت مع ساشا للسباحة أول مرة وأبدينا الأسف لأنه لا يتمتع الكثيرون بالسباحة الرائعة هذه وعموماً بالحياة المريحة في ياسنايا بوليانا في الصيف. وتبادلنا أطراف الحديث وقررنا بالمزاح، أنه حينما سنحيا بحرية كما نريد، سيكون لدينا الكثير من الناس الذين يتمتعون بالحياة حوالينا، وسنبتهج لمرآهم.

18 يونيو. عيد ميلاد ساشا، بلغت سن 14 عاماً. الجو قائظ لا يطاق، حيث بلغت درجة الحرارة 40 درجة مئوية تحت الشمس في الساعة الثانية بعد الظهر. ما زال ل.ن.سقيماً، ويشعر بحرقة، وبلغت درجة حرارته اليوم 38.3. في المساء تحسن وضعه، وهبطت درجة الحرارة إلى 37.5، وتناول اليوم عصيدة الشوفان مرتين وشرب القهوة.

ذهبت مع ساشا بنشاط للسباحة في نهير فورونكا. كانت الأمسية جميلة وهادئة للغاية، ولم أكف عن التمتع برؤية الطبيعة والسماء والقمر.

بعد عودتنا وجدت ليف نيقولايفتنش جالساً مع تانيا ويملي عليها مقالة قرر بالمناسبة إرسالها إلى إحدى الصحف.

ومجمل القضية أن ستة من طلاب وطالبات الجمنازيا جاؤوا إلى ياسنايا

بوليانا وجلبوا مبلغ 100 روبل لإنفاقها على الفلاحين المحتاجين. فأرسلهم ل.ن. إلى القسيس، راعي هذه الأماكن، وأشار القسيس إلى أكثر الفلاحين فقراً. فاشترى الطلاب في ياسنايا بوليانا الدقيق ووزعوه على الفقراء. فحضر مدير الشرطة مع رجل شرطة ومنع التاجر في المنطقة منعاً باتاً من بيع الدقيق بموجب توكيلات من قبل الطلاب أو من قبلنا. هذه شناعة فحسب! فلا يسمح لأي أحد في روسيا بإعطاء الفلاح حسنة. فمدير الشرطة لا يسمح بذلك. وقد غضبت أنا وتانيا أشد الغضب، وأردنا أن نذهب مباشرة إلى القيصر أو إلى والدته لتحذيرهما من الاحتجاج الذي يتحول إلى حنق الشعب على مثل هذه التدابير.

جاءت ابنتا آل تولستوي وم. أ. شميدت.

20 يونيو. مازال ليف نيقولايفتش يعاني من المرض. لديه سخونة قليلة، 37.8، لكنه يشعر بالسخونة في كل جسده، ودب فيه الهزال والضعف. ثمة أوجاع في البطن لدى قيامه بأية حركة أو ضغط. وليلة أمس دلكت بطنه بزيت الكافور طويلاً، ثم وضعت لبخة بكحول الكافور. وفي الليل أعطيته البزموث مع الصودا والمورفين. تناول اليوم عصيدة الشوفان وعصيدة الأرز مع زيت اللوز مناصفة مع الحليب شكلياً (للخداع) مع بيضة، وقد أقنعه الدكتور ويسترلوند بتناولها بعد ثلاثة أيام من التوقف عن الأكل.

جاء مدير شرطة القضاء للاستفسار بصدد مجيء الطلاب والطالبات من خاركوف من أجل تقديم مساعدة ما إلى الناس والعمل معهم. علماً أنهم جميعاً بلا وثائق الهوية الشخصية. واليوم جاءت صبيتان للغرض نفسه وإحداهما في سن 13 عاماً. وقد جرى إبعادهم جميعاً. وقد عنفت مدير الشرطة بحدة لكونه منع التاجر في كولبنا من تسليم الدقيق إلى الناس بموجب وصولات التسليم. علماً أن القسيس أمر بإعطاء هذه الوصولات إلى الفقراء من أهالي المنطقة، ودفع ثمن الدقيق.

كما جاء من إنجلترا خ.ن.ابريكوسوف وتحدث عن تشيرتكوف وأبناء الجالية الروسية هناك ولا يوجد شيء جديد أو شيق في حديثه.

ذهبت مع تانيا وساشا للسباحة. القيظ شديد، عاصفة رعدية جافة، سحب، برق، بلا مطر، جفاف فظيع.

عزفت في فترات متقطعة في هذه الأيام في الورشة.

حزنت اليوم جداً على ليف نيقولايفتش. وفكرت بأنه حتى إذا شفي من مرضه *هذا*، فسيبلغ قريباً سن 70 عاماً. ومع ذلك فهو لا يستطيع أن يحيا كثيراً، وفجأة أصبح عندئذ وحيدة، بدونه في هذه الدنيا. وفجأة شعرت بعجزي، وبالوحدة الفظيعة، وكدت أجهش باكية. ومهما كانت حياتي صعبة مع ل.ن. فقد أحبني مع هذا وحدي، وكان سندي وحامي، ولو حتى من جانب الأبناء أيضاً. وعندئذ؟ سيتملكني الكدر والحزن وسيكون ذلك شيئاً فظيعاً! أدعو الرب أن يطيل عمره، وأنا بدونه إما لن أحيا كلياً، أو أحيا بقدر أقل قدر الإمكان.

قرأت أربع ملازم من مسودات المطبعة، بصري يضعف.

21 يونيو. أدى المرض والمنغصات إلى خلط الأمور بإصدار المجلد 15 بدلاً من المجلد التاسع الغالي الثمن مما أثار قلقي جداً. أنا لا أعرف بعد كيف سأخرج من هذه الورطة. كما أنني نسيت بأنني أدخلت *الإضافة* إلى الجزء 13 الذي لم يضم إلى الطبعة الغالية أيضاً، وبدأت من الجزء 14 مباشرة. والآن يتعين إضافته في الخاتمة، وضمه بلا ترتيب وبلا تتابع السنوات. يجب أن يحتوي رأسي على أمور كثيرة جداً، وكل شيء يجري على ما يرام، ولحد الآن حالفني التوفيق. يقول المثل:

«قد تصاب العجوزة بعثرة». وأنا الآن «عثرت»، والسبب يكمن في مرض ليف نيقولايفتش والتنقل في مختلف الأماكن التي عاش فيها، وسافر إليها، ومرض فيها.

أرسلت في طلب ناديا إيفانوفا، وقرأت معها المسودات. عزفت على البيانو حوالي ثلاث ساعات. تحسنت صحة ليف نيقولايفتش، تنخفض درجة الحرارة يوماً بعد يوم، وبلغت اليوم 37.3، لكنه يشكو جداً من الضعف وكان مزاجه اليوم عكراً، وراح يغضب لسبب وبلا سبب. بدأ تنفيذاً لنصيحة ويسترلوند، باعتبار ذلك وصفة طبية، بتناول بيضة واحدة في اليوم، لكن هذا لا يعجبه، إن الضعف والوهن لا يسرانه أيضاً.

في المساء ذهبنا جميعاً للسباحة. وعدت لوحدي، عند الغسق، وعبر الغابة، وفجأة شعرت بالحزن لدى تذكر فانتشكا وشقيقتي تانيا وعن كثير

من الأمور المفقودة في حياتي، وعن الضياع والدمار في قلبي، وكذلك لأن صديقتي - ابنتي تانيا - ستفارقني، وستنقطع رابطة المحبة القوية، خلال أربعة وثلاثين عاماً، بيننا.

وبغتة أخذت أجهش في البكاء في صدري وبلعومي، وصرت أطلق الأنين في الغابة، لوحدي. وأعتقد أن الطيور فزعت لدى سماع عويلي ورؤية دموعي. إن أكثر الدموع والأوجاع إيلاماً هي تلك التي كابدها الإنسان وحيداً، ولا يعرف بها أي أحد. بعد ذلك شعرت بالخوف، وأخذت أسمع باستمرار نحيب آخرين. إنها أرواح الموتى تكرر عويلي أو الغائبون.

جاء دونايف ومعه ديترخس، شقيق جاليا تشيرتكوفا الذي ترك الخدمة العسكرية لتوه لأسباب عقائدية.

خسوف القمر، الذي أتطلع إليه من النافذة... قد انحسر قليلاً...

22 يونيو. ترابط نساء ما طوال اليوم عند مدخل البيت ويتوسلن لمنحهن الدقيق والنقود والخبز من أجل أكله والشاي والأدوية...إلخ. أحاول تلبية الطلبات بصبر، لكنني أشعر بالإنهاك جداً. لا يتوفر ما يمكن تقديمه كمساعدة، ولا يوجد مصدر لذلك. وأنا أهرول طوال اليوم إلى ل. ن. في الأسفل، وأقوم بشتى المشاغل، وعند حلول المساء أجد نفسي عاجزة عن الحركة. كنت أدلك بطن ل.ن. بينما أفكر في تلك اللحظة بالبحر والصخور وجبال النرويج التي دعانا إليها ويسترلوند الذي سيسافر غداً.

26 يونيو. كان مساء يوم أمس ثقيل الوطأة جداً بالنسبة لي. فقد اقتطع جارنا الشاب بيبيكوف قطعة أرض اشتريناها من والده. والآن يتعين علينا الدفاع عن مصالحنا، وبدأت المحاكمة. ووجب أن يجتمع يوم أمس الشهود غير المباشرين، لكن حضر فقط تيلياتينوك من قرية بيبيكوف، خصمنا على حد الزعم. وتشير كافة الدلائل إلى أن الشهود والقاضي ومساح الأراضي - قد تمت رشوتهم وقصفوا وأولموا في بيت بيبيكوف في العشية. كما وجه الأسئلة المحتالون أيضاً. في البداية احتدمت غيظاً، وفيما بعد تملكتني الحيرة فحسب: المحكمة، الاستجواب، أداء القسم... هذا كله احتيال.

جلست من باب الفضول حتى وقت متأخر من الليل في بيت المختار. وفي نهاية الاستجواب كان جميع الفلاحين الاثني عشر قد بدوا وكأنهم مرتبكين وطيعين: القاضي والفلاحون. لقد كان حقنا جلياً للعيان تماماً.

كتبت عريضة موجهة إلى هيئة المساحة في تولا راجية إعادة ترسيم حدود أرضنا، وإلا فإن الفلاحين يتجاوزون على أراضينا أكثر فأكثر يومياً.

لا زلت غير راضية عن الحالة الصحية لليف نيقولايفتش. اشتكى اليوم من اضطراب في المعدة مجدداً، كما عانى من القشعريرة في المساء. علماً أنه شعر بالضعف أيضاً.

كما أن ولدي ليوفا شديد الاضطراب والنرفزة أيضاً، ونشاطه الأدبي يولد النرفزة كذلك. أنا وددت لو أنه شعر بمزيد من الطمأنينة والابتهاج بالحياة، وبقدر أقل من الوثوق بالذات والاضطراب الروحي.

دورا تبدو مع صغيرها ليوفا مؤثرة ولطيفة جداً.

ابتهجت يوم أمس حين كنت خارج البيت وهبت رياح شديدة رافقتها عاصفة رعدية رهيبة فأبدى ل.ن. قلقه البالغ علي، ولم يتناول طعام العشاء، وطلب إرسال عربة وملابس دافئة. وبهذا حين يكون غائباً لن يوجد من يهتم بأمري، ولذا أشعر بالألم جداً.

نعم كانت هناك عاصفة رعدية! وقصف البرق من جميع الأطراف الأربعة، وقلبت الرياح العربة، حين انطلقنا من تيلياتينكي متجهين إلى البيت، بينما لاح وهج الحريق الفظيع في الأفق البعيد.

الحرائق كثيرة ويأتي إلينا كثير ممن احترقت بيوتهم طالبين المساعدة.

ليلة هادئة، والقمر يضيء في النافذة المفتوحة. أنا أحب مثل هذه الوحدة في الليل حيث أخلو مع أفكاري وألتقي روحياً مع الموتى والبشر الغائبين.

27 يونيو. جو عاصف لا يطاق. أصابنا الوهن جميعاً كلياً بسبب الهجير والجو المكهرب. يعاني ل.ن. مرة أخرى من ألم تحت الإبط. يا رب! ساعدني لكي لا أتذمر وأندب حظي العاثر، وأتحمل مسؤولياتي حتى النهاية بجدارة وبصبر.

هيأت له الحمام اليوم، وحضرت كل شيء بنفسي، فدبت فيه الحيوية

جداً. كانت لي رغبة شديدة في الذهاب إلى سريوجا لمدة يوم واحد فقط. فغداً يوم عيد ميلاده، لكنى لم أقدم على ترك زوجي لوحده. حاولت التقاط صورة فوتوغرافية لحفيدي، لكنني لم أستطع ذلك، فقد غفا، ومن ثم حالت العاصفة الرعدية دون تحقيق ذلك. عزفت ابتكارات باخ بهدف حفظها لكن لم يتسن لي العزف سوى ساعة واحدة. النساء العليلات، والمشاغل، والعمل. كتبت تلبية لطلب ل.ن. رسالة إلى فلاح.

سافرت ماروسيا ماكلاكوفا مع إيليوشا. سبحت مع ساشا وماروسيا مساء وسط الضباب الشديد.

قال ويسترلوند إنني دللت زوجي كثيراً. اليوم ذهلت عندما قرأت في دفتر يوميات ل.ن. رأيه بالنساء.

«إذا لم تكن المرأة مسيحية... فهي وحش رهيب».

ومعنى ذلك أنني التي ضحيت بحياتي الشخصية كلها من أجله، وأخمدت كافة الرغبات في نفسي – حتى لزيارة ابني، كما هو الحال اليوم، وهكذا حياتي كلها. بينما يرى زوجي وحشية في كل شيء.

إن الوحشية الحقيقية هي لدى الرجال الذين يبتلعون من أجل تحقيق أنانيتهم كل حياة الزوجات والأبناء والأصدقاء، جميع من يقف في طريقهم.

28 يونيو. عاد ميشا من القوقاز، معجباً برحلته، وبطبيعة القوقاز الجبارة، وبطيبة أهله وحفاوتهم بهم، وبالبهجة التي غمرته مع أندريوشا هناك. وجاء معه ساشا بيرس، وقد بدت عليه سمات الرجولة ولكن مع شيء من القبح. سافر ميشا وليوفا إلى سريوجا، لحضور عيد ميلاده.

ما زالت حياتي تمضي بسأم مشوب بالألم. أنا لا أرى ليف نيقولايفتش تقريباً، فهو منعزل طوال الوقت في غرفة مكتبه، ويكتب الرسائل بلا توقف إلى جميع الأنحاء ويحوك بهمة شبكة مجده القادم، ولهذا فإن هذه الرسائل ستجمع في عدة مجلدات ضخمة. منذ أيام قرأت رسالته إلى أحد أتباع الطائفة، وذهلت لما فيها من زيف في اللهجة. لكنه لا يدون يومياته إلا على مضض، فهو يعرف بأنني يمكن أن أقرأها، أما الرسائل فتحلق إلى كافة أرجاء العالم، بينما تتولى البنات عمل نسخ منها.

صار محدودب الظهر جداً، وأصابه الهزال، وأصبح هادئاً.

وبرأيه أن ويسترلوند فلاح ألماني، وبرجوازي، وأهبل، وتخلف عن مسيرة الطب لمدة 30 عاماً. ولا يجد أي نفع في هذا الطبيب، ولا في حياته المتفانية في خدمة البشرية، ولا في عنايته بزوجته وابنته، وفي نزاهته.

29 يونيو. تتحسن صحة ليف نيقولايفتش بانتظام وتدريجياً. خرج اليوم للنزهة، وجلب باقة من زهور القنطريون العنبري. إنه يكتب الرسائل طوال اليوم.

1 يوليو. جاءت آنينكوفا، وذهبنا اليوم إلى أوفسيانينكوفو. وجلسنا هناك عند ماريا ألكسندروفنا ومن ثم عند آل جوربونوف. تعلق فوق سرير ماريا ألكسندروفنا لوحة بورتريه كبيرة لليف نيقولايفتش. إنها معجبة لحد التعصب بأفكاره وتعشقه كامرأة، ولهذا يمكن أن تتحمل مثل هذه الحياة في العمل الشاق. وبدون ذلك كأنت ستفارق الحياة منذ زمن طويل، فهي ضعيفة وهزيلة الجسد جداً. أنا أحبها بسبب طبعها الفوار. أما آنينكوفا فهي هادئة وطيبة بطبعها.

اليوم لم نذهب للسباحة، وعزفت نصف ساعة، وكتبت ست رسائل بينها رسالة إلى سيرجي إيفانوفتش أطلب فيها ذكر العنوان الذي أرسل إليه الترجمة الإنجليزية لكتاب ل. ن. «ما هو الفن؟» تلبية لطلبه.

اليوم هو أول يوم يشعر فيه ليف نيقولايفتش بأنه معافى تماماً، ونام جيداً، وكتب شيئاً ما باجتهاد.

أنا غير راضية البتة عن حياتي. وتمر الأيام في الثرثرة (في جوهر الأمر إنها تبعث السأم لدي)، وفي القيام بأعمال صغيرة مثل توزيع العقاقير والنقود والاهتمام بإعداد الطعام وتدبير الشؤون المنزلية، وكذلك تسيير الأمور المتعلقة بالكتب والضياع، بلا أية فكرة، بلا مطالعة، بلا فن، بلا عمل حقيقي يمكن أن يجلب عواقب خيرة...

جاء لزيارة ميشا كل من ليف بوبرينسكي وبوتينيف، عربة تجرها ثلاثة خيول: وبدا أحدهما وكأنه مخمور، أما الآخر فوضع في فمه سيكاراً ضخماً، وشعر ليف نيقولايفتش بالأسف وبالسخرية لمرآهما.

جاء اليهودي الكريه ليفينفيلد الذي كتب ويواصل كتابة الجزء الثاني من سيرة حياة ليف نيقولايفتش.

رغبت جداً في رؤية ابني سريوجا. فارقتنا تانيا بقلبها، ولكنها ستعود ثانية. إن طفليي الكبيرين هما المحبوبان لدي. إنهما صديقاي طوال حياتي الزوجية تقريباً وخلال فترة شبابي.

2 يوليو. طالعت دراما تانيا: إنها تنم عن *ذكاء شديد* لكنها خالية من الحياة، - لا يصدق أي شيء فيها ولا يمكن أن يحب المرء أي أحد في هذه الدراما.

في المساء تبادلت الحديث مع ليفنفيلد. فحدثني عن «الجمعية الأخلاقية» في برلين. إنها مترعة بالإلحاد، والاهتمام بالجانب المادي من رفاه البشر. إن هذا الاهتمام كان سيكون طيباً لو انتشر على نطاق واسع في العالم، لكن ما سبب رفضهم للإيمان بالرب، وما العائق لذلك؟ إنني سأفقد لدى عدم وجود فكرة الرب القدرة على إدراك أي شيء ومحبة أي شيء. أنا بحاجة إلى فكرة الرب والخلود هذه.

4 يوليو. قبل يومين جلست حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وكتبت روايتي عن كل طيب خاطر وعنوانها «أنشودة بلا كلمات». يوم أمس عزفت على البيانو طوال ثلاث ساعات. واليوم عزفت أيضاً. وتذكرت اليوم رومانسيات تانييف، لأن ساشا كانت تردد ألحانها لدى ذهابنا إلى السباحة، ولهذا رحت أحاول عزفها.

ذهب ليف نيقولايفتش اليوم مع دونايف إلى المصنع مشياً على الأقدام لمسافة 6 فرستات ذهاباً وإياباً. كيف استعاد قواه وصحته بسرعة! الحمد للرب!

أنا أكابد من الكرب بصورة لا تغتفر، وأشم في كل مكان رائحة جثة، وهذا يعذبني. الموسيقى فقط يمكن أن تنقذني من الكرب ومن هذه الرائحة.

5 يوليو. نزهة رائعة مع ل.ن. ودونايف وآنيكوفا وثلاث سيدات لسن من معارفي في جوريلايا بوليانا وزاسيكا وتحت الجسر، وعدنا مرة أخرى

إلى زاسيكا وكوزلوفكا وبلغنا البيت. أمسية صافية ورائقة. ما زالت تانيا تعاني من المرض، وتشعر بألم في قلبها، وأنا أذهب وأجلس معها ويدور في خاطري: «هل يصدق أننا سنفترق عما قريب؟».

6 يوليو. مطر، وبرد. ما زالت تانيا طريحة الفراش بسبب الألم في البطن. تجولت في الحديقة، وجمعت باقة رائعة من أجل تانيا. عزفت خلال ساعتين ونصف الساعة، ولكن بصورة رديئة. عملت طوال اليوم في تصحيح المسودات. انهمكت في قضاء الأعمال التافهة والمملة: يجب إرسال الوثائق إلى إدارة الأقليم، وتسديد الأجور إلى العاملين، وشراء الفطر وتوت العليق، توزيع الصدقات على الفقراء، وتقديم طلب إعداد الغداء والعشاء، والجلوس مع دورا والحفيد، وتوزيع الأعمال على البنات، كما وجب استنساخ النصوص لليف نيقولايفتش في هذه الأيام، وتصحيح المسودات. ويجب العناية بتانيا، لكنها تعاند وترفض تناول الدواء.

12 يوليو. خرجت من البيت لزيارة بعض المعارف والأهل. بدأت بزيارة ابنتي ماشا وتعذبت روحياً، لدى النظر إليها. إنها حزينة وواهنة ونحيفة كالهيكل العظمي ومتنرفزة ومستعدة في كل لحظة لذرف الدموع. المعيشة تنم عن الفاقة البالغة، وتكاد تكون منفرة.

13 يوليو. ذهبت في وقت مبكر من الصباح إلى سيليشا لزيارة آل ماسلوف. استقبلني فيودور إيفانوفتش في المحطة، وكانت الأسرة كلها واقفة في استقبالي، وكذلك سيرجي إيفانوفتش. هناك الأماكن رائعة، غابات بريانسك، الينابيع، نهر نافليا، وهذا كله واسع مترامي الأطراف وأخاذ، بالأخص غابات أشجار الصنوبر والبلوط. تجولت في كل مكان برفقة آنا إيفانوفنا. وفي المساء قرأنا مقالة «حول الجوع» وهي مقالة ممتازة كتبها ليف نيقولايفتش. وحازت على إعجاب الجميع. عزف سيرجي إيفانوفتش مقطوعة أحلامي، إذ عزف لي بولونيز As – dur لشوبان، وكرر ذلك مرتين. كما عزف مرتين أيضاً «Morgenstandchen» لشوبرت ومقطوعة ما لهاندل.

ما أكبر المتعة لدى الإصغاء إلى عزفه. في اليوم التالي 14 يوليو ذهبنا جميعاً إلى الغابة، والتقطت لي صورة في جذع شجرة زيزفون عتيقة، وفي المساء مارست مع آنا إيفانوفنا التصوير ثم افترقنا في وقت مبكر.

15 يوليو. نهضنا جميعاً في الصباح الباكر. ودعتني آنا إيفانوفنا في العربة إلى محطة نافليا، وفي وقت متأخر من المساء استقبلتني في كييف شقيقتي تانيا. وبتنا معاً في المدينة، وفي الصباح ركبنا العربة إلى كيتايف.

16 يوليو. لقيت الحفاوة لدى أسرة كوزمينسكي: الداتشا جيدة وأنيقة، والصبيان ظرفاء، ورب البيت المضياف ساشا وشقيقتي الحبيبة تانيا. ولدى رؤية ميتيا شعرت بانقباض في قلبي، فهو قرين وأول رفيق طفولة لابني الفقيد فانتشكا. لكن ميتيا أصبح صبياً كبيراً، في العاشرة من العمر، بينما فانتشكا غائب!

خرجت للنزهة في غابة كيتايف. أشجار الصنوبر العتيقة، وأشجار البلوط القديمة، والتلال، والأديرة... ذهبت مع ساشا وفيرا وميتيا والصبي فولودكا. سبحنا في بركة الدير، واحتسينا الشاي، وتسلقنا التلال. جميل أن يكون المرء في ضيافة أحد ما، فكل شيء جديد، ولا توجد أية مشاغل وهموم...

17، 18، 19، 20 يوليو. بقيت جميع هذه الأيام في ضيافة أسرة كوزمينسكي. خرجنا في نزهة مع أصحاب الداتشات إلى جزيرة في الدنبير، كما ذهبنا إلى المسرح في كيتايف. وسبحنا في نهر الدنيبر. وفي 20 يوليو ذهبت مع شقيقتي تانيا إلى كييف نفسها، وزرنا كاتدرائية فلاديمير. توجد هناك أفضل لوحة هي «بعث لازار» بريشة سفيديمير. كما أن لوحات فاسنيتسوف - بالأخص تعميد فلاديمير وتعميد الشعب - تسمو فوق أي نقد. وعموماً فإن غياب الجمال في الشكل يذهلني في كل مكان. فمثلاً إن قدمي حواء في الجنة، حينما تغويها الأفعى، - هذا شيء فظيع.

المكان الذي أقيم فيه نصب فلاديمير رائع، كما أن منظر الدنيبر تحته جيد جداً. وعموماً فإن التماثيل القديمة، وعلى سبيل المثال نصب بوجدان

خميلنيتسكي في كييف أفضل كثيراً من التماثيل الجديدة مثل النصب القبيح للطبيب بيروجوف في ميدان ديفيتشي.

كما ذهبت إلى الكهوف. وقد قررت دخولها في هذه المرة لكن دب في الخوف حينما ولجنا المكان الخالي من الهواء والمعتم تحت الأرض، حيث لا مجال للارتداد ولا تنيره سوى الشموع بأيدينا. ودار في خاطري أن الشيطان يقطع أمامي الطريق، لكن الراهب الذي قادنا قال لي في الوقت نفسه: «ما لك خائفة، يا أم، لقد عاش بشر هنا، بينما أنت تخافين السير هنا. ها هي كنيسة، فصلي». وأخذت أرسم علامة الصليب بصورة تلقائية وأردد بثبات كلمات الصلاة، وفعلاً زال مني الخوف تماماً، وواصلت السير باهتمام. تبعث على العجب الكوى الدائرية في الغرف داخل الكهوف، حيث حبس أنفسهم القديسون، الذين كان يقدم لهم الطعام عبر هذه الكوى مرة واحدة في اليوم وماتوا في أماكن سجنهم – القبور *الحية* هناك.

تركت أسرة شقيقتي، آل كوزمين، انطباعاً بهيجاً لدي. وقد حسدتها لأمر واحد هو أن الأب يرعى أبناءه بحنو بالغ، وفي الوقت نفسه يقيم علاقات صداقة معهم. وبهذا يصح المثل القائل: الخدمة خدمة، والصداقة صداقة. علاوة على ذلك فإن التعاطف المتبادل بين الزوجين ترك في تاثيراً بالغاً أيضاً.

في كييف أقنعت شقيقتي تانيا بالسفر معي إلى ياسنايا، وجلب لي ذلك فرحة كبيرة.

22، 23، 24، 25 يوليو. وصلت إلى تولا مع تانيا عند فجر يوم 22 يوليو. هطل المطر، الجو رطب، ولم يرسلوا الخيل. فركبنا عربة أجرة، ووصلنا إلى البيت، وفور ذلك بدأت المنغصات الكثيرة مع ل.ن. لأنني عرجت في الطريق على آل ماسلوف ووجدت هناك سيرجي إيفانوفتش. علماً أنني سألت ل.ن. قبيل سفري فيما إذا كان ذلك لا يسره فلن أذهب إلى هناك. وفي يوم سفري انحنيت عليه، حين كان في شبه غفوة، فقبلته وطرحت عليه هذا السؤال ببساطة وبصراحة. فقال ليس ببساطة وغيظ وبلا صراحة في أول مرة: «لا بأس، طبعاً، اذهبي إليهم»، وفي المرة الثانية قال: «هذه المسألة تخصك وحدك».

رسمت عند مدخل الكهوف في كييف لوحة ضخمة تصور أربعين بلية ومصيبة كابدتها القديسة الشهيدة فيودورا قبل وفاتها. وصورت في اللوحة بالتعاقب: ملاكان يحملان روح فيودورا بهيئة فتاة برداء أبيض، ومجموعة من الشياطين بجميع الأوضاع القبيحة المختلفة. ويصور هؤلاء الشياطين الأربعين جميعاً – أربعين خطيئة مدونة باللغة السلافية تحت مجموعات الشياطين هؤلاء.

ويبدو أن ل.ن. قد نسب لي جميع هذه الخطايا الأربعين خلال الأيام الثلاثة أو الأربعة التي كان يعنفني فيها.

وصورت في أعلى اللوحة روح أخرى، أي فتاة في رداء أبيض، سقطت على وجهها فوق درجات المنصة التي جلس عليها المسيح مع الرسل. وتعقب ذلك بوابة الجنة، وأخيراً تبدو الجنة نفسها بصورة حديقة. إنها قصيدة كاملة، وشيقة جداً، من أجل الناس بصورة خاصة.

ثم ساد الهدوء عندنا. وبذلت جهدي لكي لا أفسد وجود شقيقتي في ياسنايا. وقد تحدثت معها كثيراً، فأدانتني بسبب تعلقي بسيرجي إيفانوفتش، وبالموسيقى، ولهذا يتكدر زوجي.

يصعب علي أن أروض روحي لكي تتجاوب مع مطالب زوجي، لكن لا بد من السعي إلى ذلك.

28 يوليو. اصطحبت شقيقتي تانيا إلى ياسينكي. وسافرت من هناك إلى كييف، ويبدو أنها كانت مسرورة بزيارتها إلى ياسنايا بوليانا. ويمكن القول إن رابطة المودة بيننا قد توطدت أكثر. لقد تيتمت فلا يوجد من ألجأ إليه.

تنزهت لوحدي في الغابة، وسبحت، وبكيت. وبحلول الليل بدأ الحديث مجدداً حول الغيرة وتجدد الصراخ، والشتم، والعتاب. لم تتحمل أعصابي، وانفجر صمام ما في الدماغ يحافظ على التوازن، ففقدت السيطرة على نفسي. وانتابتني نوبة عصبية فظيعة، ورحت أرتجف بكل كياني، وأجهشت في البكاء، وأطلقت الكلام على عواهنه، وغمرني الخوف. أنا لا أتذكر جيداً ما حدث لي، لكن انتهى الأمر بأن شعرت بنوع من الرجفة والبرودة.

29 يوليو. لازمت الفراش خلال يوم ونصف. بلا طعام، وبلا نور في الغرفة المظلمة، وبلا تفكير، وبلا شعور، وبلا حب وحقد، وكابدت من سكون القبور، وفقدان الحياة والقتام. زارني الجميع، لكنني لم أحب أحداً، ولم آسف على شيء، ولم أرغب في شيء، سوى الموت.

الآن حركت الطاولة فسقطت صورة بورتريه ليف نيقولايفتش. إنني سأزيحه في يومياتي هذه من قاعدة النصب الذى سعى طوال حياته لإقامته لنفسه.

31 يوليو. غادر ليف نيقولايفتش على صهوة الجواد إلى بيروجوفو التي تبعد مسافة 35 فرستاً لزيارة أخيه سيرجي نيقولايفتش.

1 و2 أغسطس. تملكتني الفرحة لأنني أصبحت وحيدة وأشعر بحلاوة الحياة بشكل لم أشعر به من قبل.

3 أغسطس. عملت أمس وأول البارحة بجهد في استنساخ رواية ل.ن. «الأب سيرجي»، المكتوبة بأسلوب أدبي رفيع. علماً أنها لم تختتم بعد لكنها عمل جيد من حيث الفكرة. ووجدت فيها الفكرة من «حياة القديسين»، وكيف أن أحد القديسين بحث عن الرب فوجده في العمل المتفاني، في عمل المرأة الاعتيادي البسيط جداً لكنه المشوب بالطاعة. وكذا الحال في الرواية فإن الأب سيرجي، المتكبر، الراهب الذي كابد جميع تقلبات الحياة، وجد الرب في باشينكا، المرأة العجوز، التي عرفها منذ الطفولة والتي تحيا بالعمل من أجل العائلة بعد أن بلغت من العمر أرذله.

لكن يوجد زيف في هذه الرواية: إنها الخاتمة – في سيبيريا. آمل أن لا تبقى بهذه الصورة. فإن السرد قد أحكم وضع فكرته وتركيبه بصورة جيدة جداً.

استنسخت يوم أمس من الساعة الواحدة والنصف وحتى الساعة الخامسة صباحاً، أي إنني قضيت طوال الليل في الاستنساخ، ولاح نور الفجر، وشعرت بدوار في الرأس، لكنني أنهيت كل شيء. وجاء ل.ن.، ربما للعمل في تأليف هذه الرواية.

إنه يريد أن يكتب وينشر ثلاث روايات قصيرة في آن واحد: «حجي مراد» و«البعث» و«الأب سيرجي»، ويبيعها كلها بثمن غال نوعاً ما في روسيا وخارجها. وسيهب جميع الوارد المالي لعملية ترحيل الدوخوبوريين.

إن هذا يبعث الكدر لدينا، نحن أفراد أسرته، كان الأولى به أن يساعد إيليوشا وماشا، فهما يعانيان من شظف العيش جداً. بالمناسبة إن اثنين من الدوخوبوريين قد لاذا بنا ووجب علي إخفائهما في الجناح الملحق بالبيت، وهذا لا يسرني للغاية.

رياح، جفاف، المساء صافية، والطبيعة جميلة.

جلست عند دورا، وحاولت إدراك كنه تعاملي مع حفيدي، ليوفا الصغير، لكنني فقدت كل شعور مباشر، حيواني تقريباً، في التعامل مع الأطفال الصغار، وأنا أحب في الأحفاد فقط *الحلم* في مستقبل حياتنا وتواصلها.

5 أغسطس. يوم أمس استنسخت مقالة ل.ن. إنها تتضمن أيضاً نكران كل شيء في الدنيا، بذريعة المشاعر المسيحية – إنها الاشتراكية بكل معناها.

ذهبت صباح اليوم إلى تولا. ما أكثر المشاغل هناك لدى ورشة الرسوم الهندسية وكاتب العدل، وبحثت عن معلم من أجل ميشا، وقمت بالمشتريات، والمعاملات في البنك ودائرة شؤون الإقليم. لقد تعبت، وصرت أتمايل في مشيتي. وحلمت في نيل قسط من الراحة في بيتي، ولكن فجأة جاء حشد من الضيوف: سيرجيينكو، وفتاتان من آل ديترخس وشقيقتي ليزا مع ابنتها والمربية، والسيدة زفيجينتسيفا مع ابنتها فولخونسكايا والأمير تشيركاسكي، والصبيان، وتناول الجميع طعام العشاء بشكل غير متوقع، بينما أنا كابدت الأمرين. كما جاء جولدينفيزر وعزف في المساء موسيقى شوبان، فتصاعدت في أعماقي مجدداً جميع المشاعر الموسيقية، بين المزاج الرائق والانفعال، وهو ما عانيته بمرارة خلال هذين العامين.

ضجيج، صراخ، مرح الشباب المجنون. لقد تعبت جداً. لكن ل.ن. منشرح الصدر، إنه ينفعل أيضاً ويبتهج لرؤية الضيوف ولعزف ميشا كوزمينسكي على آلة البالالايكا، ولكل ما يشكل التسلية في الحياة.

11 أغسطس. أنا أعاني من المرض لليوم الثالث: أشعر بآلام في جميع أعضائي، وصداع في الرأس، ووجع في المعدة، واحتقان في الصدر. لا أنام البتة، ولا آكل أي شيء.

يوم أمس وعند منتصف النهار نهضت من الفراش، فقد شعرت بالخجل للرقاد مريضة بلا عمل، وكابرت جهدي لاستنساخ جميع مقالة ليف نقولايفتش تقريباً. إنه مشغول بكتابة «البعث» – الرواية الكريهة لدي. ربما سيعدلها.

يزورنا جوربونوف وجولدينفيزر، كما جاء أورلوف – دافيدوف الذي انتظره ل.ن. جلست في الشرفة، أردت استنشاق بعض الهواء الطلق، بيد أنني كنت ضعيفة للغاية. وفجأة انصرف ل.ن. للنوم وتركني مع الضيف خلال ساعة ونصف.

قلت إنني سأذهب لأرقد في فراشي ودع ل.ن. يقود الكونت إلى الشباب. فعلاً كانت تعوزني القوة للثرثرة مع الضيوف الذين أراهم لأول مرة، وجاؤوا لزيارة الكاتب ليف نيقولايفتش، وليس لزيارتي.

ورد نبأ مزعج حول احتجاز الرقابة لآخر مجلد من الطبعة الغالية الثمن والذي لم أنشره بعد. كان لا بد من التحرك. فكتبت رسالة إلى سولوفيوف كبير الرقباء في بطرسبورغ.

19 أغسطس. رقدت مريضة في الفراش حتى يوم أمس، ونهضت بجهد شديد. شعرت بسخونة شديدة، وبألم في البطن. ومضت الفترة كلها بصورة غامضة في ذاكرتي. أبدى الجميع عناية فائقة بي، ولازموني باستمرار، ولبوا جميع رغباتي، وأشفقوا علي. وجاء يوم ظننت فيه أنني سأموت، وقد فرحت لذلك. ولكن ها أنذا أقف على قدميّ ودارت مجدداً دوامة الحياة بمطالبها ومشاغلها ومصائبها وصعوبة معالجة القضايا المستعصية على الحل.

أطالع كتاباً شيقاً بعنوان «Le reveil de l`Ame»، كما طالعت كتاباً آخر لأناتولي فرانس بعنوان «La Buche» وكذلك كتاب «La fille de Clementine». أنا لم أشعر بالضجر بسبب مرضي، فقد كانت طيبة الوحدة المركزة، ووفرة الأفكار وغياب هموم الحياة المادية.

الجو صاح ورائع، الليالي مقمرة، ووفرة من الأزهار. وعموماً كان الوضع سيكون طيباً لولا وجود البشر وحنقهم، والعيوب، والمغريات، والغيرة، والكسل وهلم جرا.

ابتهجت اليوم لدرجة أثرت في عواطفي مشاهدة جمال الطبيعة والطقس وأسفت لكوني ضعيفة ولا أستطيع السباحة ولا التنزه ولا إبداء فرحتي بصورة فعالة. جاء م.و.مينشيكوف. ميشا يبدي ولعاً بالتصوير الفوتوغرافي، وهذا ما سرني جداً. كتب أندريوشا رفضاً لخطيبة قوقازية موهومة، وبهذا يشغل كل فكره. تانيا تزور آل أولسوفييف وفي موسكو، أما ل.ن. فقد ركب صهوة الجواد وانطلق إلى زاسيكا للاطلاع على أحوال الفلاحين الذين احترقت بيوتهم في قرية مياسوفيدوفو. لكن لم يسمح له بعبور خط السكك الحديدة بمناسبة مرور قطار القيصر الذي كان بموسكو حيث شارك في افتتاح نصب ألكسندر الثاني.

عزفت مع ساشا عزفاً ثنائياً بأربع أيد سيمفونية هايدن، إنها تعزف بصورة رديئة جداً. صححت مقالة الألماني ليفينفيلد حول زيارته الثانية إلى ياسنايا بوليانا، وعملت نسخاً من صور ميشا الفوتوغرافية. أشعر بألم تحت الإبط.

21 أغسطس. أحاول بعد المرض استعادة نمط الحياة السابق، ولكن بلا فائدة فإنني لا أبدي الاهتمام بأي شيء. نستعد ليوم 28 أغسطس، وأنا لا أعرف كم سيكون عدد الضيوف، وهذا من أسوأ الأمور. عزفت اليوم على البيانو قليلاً، فعاد إليّ هدوء الأعصاب والروح المألوف والمحبوب لدي جداً، وتذكرت كل ما وهبتني إياه الموسيقى في هذه الأعوام. جمال الصيف، الليالي المقمرة، الزهور... إن هذا كله يترك لدي تأثيراً حزيناً بمروره الجامح السريع، وحتمية عودة الخريف والبرد والشتاء. ما زلت غير قادرة على التنزه، ولا أستطيع الذهاب للسباحة. ليف نيقولايفتش ينطلق بعيداً بجواده إلى مياسويدوفو، ويوم أمس لم يسمح له بعبور خط السكك الحديدية بسبب مرور قطار القيصر.

أصيب ليوفا الحفيد الأصغر بداء النكاف، وجاء رودنيف، أندريوشا مصاب بالإنفلونزا. وميشا مولع بالتصوير الفوترغرافي.

استضفنا مينشيكوف عدة أيام، لكن لم نسمع منه هذه المرة أحاديث شيقة. وقال اليوم لماشا إنه لا يستحسن قيام ل.ن. الآن بالغلو في مطالبة الأثرياء بالتبرع من أجل مساعدة الدوخوبوريين. وأنا عموماً لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن العيش والكتابة والتحدث دوماً بصورة متناقضة كما يفعل ذلك ل.ن.

22 أغسطس. يوم عيد ميلادي، بلغت سن 54 عاماً. قدمت لي تانيا وماشا وساشا الهدايا: فقدمت تانيا وساشا بعض أعمالهما، وهذا ما سرني كثيراً، أما ماشا فقد اشترت طاولة، وهذا لم يسرني لأنني أعرف أنها لا تمتلك النقود، وأسفت لإنفاقها النقود على أشياء لا أحتاجها. إنها في أسوأ حال: فتشعر إما بالصداع وإما بالألم تحت الإبط أو بألم آخر ما...إنها تصغي إلى نداء جسدها، *وتبدو وكأنها مصابة بالوهن العصبي فحسب.*

عندنا زوسيا ومانيا ستاخوفتش، إنهما فتاتان ظريفتان، وتفيضان بالحيوية. وفي الصباح جاءت فيرا كوزمينسكايا، ومن ثم في المساء جاءت أخت زوجي، ماريا نيقولايفنا. كما تناول الغداء عندنا كل من دورا وليوفا، وكان الاحتفال بعيد الميلاد مهيباً جداً. وعندما ذهب الجميع إلى فيرا للنزهة في سوداكوفو، ذهبت أنا لتقليم أغصان الأشجار المثمرة الفتية، ثم عزفت خلال ساعتين، لوحدي، في الورشة. بدا ل.ن. في المساء يفيض حيوية وبمظهر باهر، وتحدث إلى الجميع كما لو أنه يعرض عليهم مواضيع روايات ما: الأم، كوبون، كوزميتش - ألكسندر الأول وغيرهم.

الجو دافئ، وصاح. التقط ميشا صوراً فوتوغرافية لنا، وصورني مع باقة زهور كبيرة.

24 أغسطس. رياح، مطر، برد، الجميع في البيت، كانت هناك أحاديث كثيرة. يهتم الجميع بإعلان القيصر الروسي لرغبته في نزع السلاح وإحلال السلام في العالم. وقد تلقى ل.ن. حتى طلباً من مجلة «وورلد» في أمريكا بصدد رأيه في ذلك، فأجاب، بأن هذا مجرد كلام حتى الآن، ويجب قبل هذا

إلغاء الضرائب والتجنيد الإجباري وكثير من الأمور الأخرى. وأنا أعتقد بأن يجب تربية عدة أجيال بروح النفور من الحرب، بغية أن تزول من الوجود.

جاء بروفيسور من ميونيخ، وهو ألماني ذو سحنة قانية، قصير القامة وعريض المنكبين. كما جاء سولرجيتسكي موفداً من قبل الدوخوبوريين في طريقه إلى إنجلترا بغية الحصول على معلومات، علماً أن هؤلاء الدوخوبوريين وعددهم 7000 شخص ينتظرون في باطومي على ساحل البحر صدور قرار... من أحد ما؟ من تشيرتكوف حول المكان الذي سيرحلون إليه. يبدو هذا كله مشوباً بالرعونة والفظاعة وسوء الحال.

تحدث ل.ن. طويلاً مع الألماني. إنه يؤلف روايته «البعث» بينما سيستنسخها له ألكسندر بتروفتش الذي وصل في الوقت المناسب.

أنا قلقة جداً بصدد اقتراب موعد عيد ميلاد ليف نيقولايفتش، وأخشى مجيء عدد كبير من الناس والمشاغل الكثيرة. كما يقلقني انتقالي إلى موسكو: فيؤسفني أن أفارق الحياة الهادئة في ياسنايا وأشعر بالخشية من الثرثرات حول تانييف.

26 و27 أغسطس. قضيت النهار كله في تولا برفقة ماريا نيقولايفنا شقيقة زوجي. شراء المؤونة وحشيات التبن والأوعية وغير ذلك من أجل السفر.

جاء الدوخوبوريون مجدداً. إنهم ينتظرون شيئاً ما من الخارج، والرحمة من القيصر بالعفو عنهم، وفي الوقت نفسه ينتظرون المساعدة من ليف نيقولايفتش. ويبدو هذا كله شيئاً غريباً ولا معنى له، لأن مساعدة طرف يتجافى عن مساعدة الآخر، وتعاطف الطرف الآخر.

كيف جرى يوم 28 أغسطس عام 1898. بلغ ليف نيقولايفتش سن 70 عاماً. منذ الصباح، وهو في الفراش، قدمت له التهاني، وبدا بمظهر المحتفى به. اجتمع شمل الأسرة كلها مع الزوجات والأطفال، وغابت فقط زوجة سريوجا - مانيا مع ابنها - وكذلك الصبيان الصغيران لإيليا - أندريوشا وإيليوشا - وجاء الضيوف أيضاً: بوتابينكو وسيرجيينكو والأمير فولخونسكي وميخائيل ستاخوفتش وميتاشا أبولوينسكي والأمير

أوختومسكي وموِرمتسيفا مع جولدينفيزر وغيرهم. وتناول الغداء حوالي أربعين شخصاً. وأراد ب.ف. بريا وبرجينسكي شرب النبيذ الأبيض رافعاً نخب صحة ليف نيقولايفتش، وألقى كلمة خرقاء لزم الجميع الصمت حيالها عن قصد. فلا يجوز شرب نخب صحة ل.ن. لأنه يبشر بأفكار عصبة مقاطعة شرب الخمر. ومن ثم رفع أحدهم نخب صحتي. وفجأة ساد الفرح والمرح، وإجماع الرأي، وحتى إن الشرب نخب صحتي تم بمودة وصخب أثار لدي مشاعر التأثر مما جعل قلبي ينبض بعنف. ساد مأدبة الغداء جو المرح وحافظت على طابعها *العائلي* حصراً، وهو ما لم نكن ننتظره. في الصباح واصل ل.ن. كتابة روايته «البعث» وكان راضياً جداً عن عمله في ذلك اليوم. وقال لي عندما دخلت غرفته: «هل تعلمين، إنه لن يتزوجها، وقد اختتمت كل شيء اليوم، وقررت أن هذا هو الأحسن!». فقلت له: «بلا ريب لن *يتزوجها*. وأنا قلت لك هذا. فإذا تزوجها سيكون ذلك شيئاً *زائفاً*».

تلقينا قرابة مائة برقية من مختلف الأشخاص. وفي المساء مالت الشمس إلى الغروب فخرجنا للنزهة جميعاً مع الأبناء والأحفاد والضيوف. وبعد ذلك غنت مورومتسيفا كثيراً، لكنها كانت منفعلة بصورة منفرة. كما أن عزف جولدينفيزر كان رديئاً جداً. وفي موعد العشاء حضر ضيوف آخرون، لكن بقي الجو عائلياً وميسراً وطيباً.

كان سلوك الأمير أوختومسكي ينم عن الذكاء والبساطة والطيبة جداً. فقال إن مقالة ليف نيقولايفتش «حول الجوع» قد أعجبت كثيراً القيصر الشاب، لكن عندما سأل أوختومسكي هل يمكن نشرها في «بتربورجسكيه فيدوموستي» قال القيصر: «لا، الأفضل ألا تنشر، وإلا ستسبب لنا المتاعب».

الغريب أن بيان القيصر حول السلام يرتبط حسب تفهم الأجانب باسم ليف نيقولايفتش، وينسبون تأثير أفكاره على القيصر. لكن هذا في الوقت ذاته غير عادل، فهيهات إن فكر القيصر أو قرأ شيئاً ما لليف نيقولايفتش حول الحرب، بل إن هذا مجرد مصادفة.

اختتم يوم 28 أغسطس مرة أخرى بإنشاد الجوقة وبالغناء الانفرادي. لقد هدنا التعب جميعاً، ووردت طلبات كثيرة بشأن المبيت...

29 أغسطس. أوغل الجميع في الشرب وبدأ الشجار فيما بينهم. لكن الجو ممطر: وما زال يوجد هنا الأبناء والأحفاد وأوختومسكي وآخرون. سافر ميشا إلى موسكو لإعادة الامتحانات.

30 أغسطس. تلقيت صباح اليوم رسالة ذكية ورقيقة من سيرجي إيفانوفتش، وأريتها إلى ليف نيقولايفتش الذي استحسنها أيضاً. وكتب سيرجي إيفانوفتش إن المرء يمكن ألا يكون من أتباع ل.ن.، لكن لدى قراءة مؤلفاته يضطرب المرء، وتدخل أفكار ل.ن. تدريجياً في قرارة نفسه من دون أن يشعر، وتستقر هناك. وبعد ساعة من وصول الرسالة جاء سيرجي إيفانوفتش بنفسه. وكان الضيوف قد رحلوا جميعاً في العشية وكذلك الأبناء وصونيا أيضاً. وفي المساء جلس، بعد فترة نوم قصيرة، ولعب الشطرنج مع ل.ن.، ثم عزف على البيانو. وكيف عزف في تلك الأمسية! لا يمكن أن يعزف المرء بشكل أفضل وأعمق من حيث المحتوى وأكثر فهماً وجدة وكمالاً مما جرى عندئذ. وقد ابتهج ل.ن. وماشينكا (ناهيك الحديث عني نفسي) أيضاً. لقد عزف سيرجي إيفانوفتيش مقطوعة شومان «Davidsbundler» (كما أعتقد) وسوناتا بيتهوفن رقم 30، ثم مازوركا شومان، وبعد ذلك عزف باركارولا و«Près d`un Ruiseau» لروبنشتين، والمقطوعة الغنائية لأرينسكي. وقال ليف نيقولايفتش إن هذا العزف يعتبر اسمى وآخر كلمة في الموسيقى، ولا يمكن العزف بشكل أفضل مما عزف سيرجي إيفانوفتش. في اليوم التالي.

31 أغسطس، أصابتني وعكة وارتفعت درجة حرارتي. وفي الصباح غادر سيرجي إيفانوفتش، وتطلعت إلى المحرار فوجدت مقاسه لدي 38.4. أصاب ليف نيقولايفتش الفزع الشديد لمرضي! يا عجوزي الحبيب والعزيز! من يستطيع أن يحبني أكثر، ويحتاجني بقدر أكبر غيره! وقد تأثرت بالغ التأثر حتى ذرفت الدموع وتلوت، وأنا راقدة في الفراش، الصلوات إلى الرب أن يطيل عمره العزيز لدي.

بقيت مريضة طوال اليوم، ولم أستطع السفر كما عزمت إلى موسكو حيث ميشا والمشاغل.

1 سبتمبر. حالتي الصحية أفضل. يوم دافئ ورائع. ثمة وفرة من الزهور المتألقة والفواحة في الحديقة...أنا مشرقة الوجه متهللة الأسارير مرة أخرى اليوم، ومجدداً صرت أحب الناس، والطبيعة والشمس. أنا أشعر بعاطفة ساجية لذلك الحنان الوادع الذي منحت إياه، وأبتهج لمعافاتي واستعادة صحتي.

تناولت آلة التصوير وتجولت في كل مكان والتقطت الصور الفوتوغرافية للطبيعة والأحفاد ول.ن. وشقيقتي والغابة والطريق إلى منصة السباحة وجميع الطبيعة الحبيبة في ياسنايا بوليانا...

في المساء حزمت حقائبي بعجلة، وتلقيت التكليفات، وأخذت باقة ساشا ومضيت في طريقي إلى موسكو. وقد رافقني ل.ن. وساشا إلى كوزلوفكا في عربة صغيرة. كنت متنرفزة للغاية وتعبانة. ودعت ليوفوتشكا بحنان وانطلقت مع المربية. ولج مقصورتنا سريوجا ليلاً بالصدفة. وكان قد عاد إلى ياسنايا من أجل أن يتحدث مع أبيه ومن ثم السفر إلى إنجلترا لمتابعة شؤون الدوخوبوريين، حيث إن قضيتهم لا تحقق أي تقدم عن طريق المراسلات، ونحن لا نعلم مدى جدية تشيرتكوف ومقدرته على تسوية المعاملات، كما أن النقود المتوفرة قليلة. بالمناسبة حول النقود: إن ليوفوتشكا أجرى في الخفاء مفاوضات مع ماركس (ناشر «نيفا») حول روايته. وعرض ماركس بموجب شروط عقد كاتب العدل أن يحصل *لوحده* على الحق في نشر الرواية مقابل 1600 روبل للملزمة الواحدة. وعندما علمت بالأمر قلت لليف نيقولايفتش إنه لا يجوز القبول بذلك، وإنه ما دام قد نشرها فيجب أن يتخلى عن كافة الحقوق. لكن البيع تم لصالح الدوخوبوريين، ولهذا يعتقد ل.ن. بأن هذا شيء حسن، بينما أنا قلت بأنه شيء سيئ. وحدث الآن، على حين غرة، في يوم سفري، أن وافق ل.ن.، ودفع ماركس 500 روبل مقابل كل ملزمة، ويبدو أن ل.ن. قد وافق على ذلك.

2 سبتمبر. وصلت إلى موسكو صباحاً برفقة المربية. قتام وظلام في البيت، يهطل المطر، وغمرت روحي لواعج الهم والكدر...وثبت إلى رشدي، واستأجرت عربة وانطلقت لعمل المشتريات. كنت أهتز، وأهتز... أوه!

وفي المساء تمت إضاءة البيت، ووضعت الزهور في كل مكان، ونظفت الحجرات في كل مكان، وجلست إلى البيانو. جاء ميشا، لقد أعاد أداء الامتحانات بنجاح، وسينتقل إلى الصف السابع، لكن التزم الصمت عن أمر ما. في المساء ساد جو من المرح أكثر. فقد جاء ساشا بيرس ودانيلفسكي والعم كوستيا ويوشا بوميرانتسيف وسيرجي إيفانوفتش، أصبح الجو عندنا مرحاً أكثر تماماً.

وقد أدهشني سيرجي إيفانوفتش لشيء واحد. فقد قال إنني حين كنت في الصيف لدى أسرة ماسلوف أسأت إليه كثيراً، حين ضحكت، وقلت إن حذاءه غير جميل، بالجوارب البيض، وقلت إنه يشبه المهرج.

3 سبتمبر. مجدداً المشتريات، المشاغل...جاء سريوجا، وسافر إلى إنجلترا... المطر يتساقط بين الفينة والفينة... لم يزرنا أحد. ذهبت مع ميشا إلى الحمام العمومي.

4 سبتمبر. أمضيت اليوم كله مرتدية الروب، ومشغولة بالحسابات، وبممثل الجمعية التعاونية، وراجعت مبيعات الكتب، وسجلت كل شيء في دفاتر منفردة. وحتى لم أخرج للنزهة. لكن جاء العم كوستيا لتناول الغداء ومنعني من إكمال العمل، الأمر الذي كدرني كثيراً. لأنني لن أسافر غداً، في أغلب الظن، إلى ياسنايا، كما يجب عليّ ارتياد بعض الأماكن.

زارنا في المساء الزوجان ناكاشيدزه المزعجان والغريبان عنا تماماً، وكان هذا شيئاً مكدراً لأنه جاء سيرجي إيفانوفتش وبسبب الغرباء ودونايف والكثير من الصراخ لم أستطع حتى التحدث مع سيرجي إيفانوفتش وتبادلنا بضع عبارات فحسب، لا يفهمها غيرنا، بالإضافة إلى أنه أشار لي إلى وجود مواضع صعبة في أنشودة باخ التي أتعلم عزفها الآن. علماً أن ل.ن. يحب كثيراً أنشودة باخ هذه وأردت أن أجيد عزفها، بغية أن أعزفها له بشكل أفضل. رتبت أوراق اللعب لقراءة بختي. فتكشف لي موت الملك السباتي. فارتعبت، وتملكتني رغبة عنيفة في الذهاب إلى ليوفوتشكا، وأن أكون معه مجدداً، وعدم ضياع أية دقيقة من الحياة معه، ومنحه المزيد من السعادة،

علماً بأنني حين انصرف سيرجي إيفانوفتش شعرت بالحزن لأنني لن أراه خلال فترة طويلة. بينما أحسست برغبة في الذهاب إلى أي مكان والانتحار بعد أن شعرت بغم وخوف في قرارة نفسي. لبثت واقفة في غرفتي فترة طويلة في حالة صراع رهيب... ولو تسنى لأحد ما أن يراني في تلك اللحظة لأدرك ما يدور في أعماق روحي...لكن المعاناة تحولت تدريجياً إلى صلوات، وصليت طويلاً وبإصرار، باعثة في روحي خيرة الأفكار، وشعرت بالارتياح أكثر. لم ترد رسائل من البيت، وأنا حزينة.

5 سبتمبر. زرت العمة. يصارع الموت الطفل ابن فيرا ميشيرينوفا البالغ من العمر خمسة أعوام المصاب بالزحار. بينما تعمل فيرا سيفيرتسيفا في تهيئة ملابس الزفاف حيث ستقترن بإيستومين (من طراز مولجالين). مرة أخرى أمضي النهار كله في اقتناء المشتريات. ذهب ميشا إلى أسرة جروزينسكي. في المساء جاءت ماروسيا ماكلاكوفا، إنها ذكية، مترعة بالحيوية. وعملنا سوية بمرح في تسجيل مبيعات الكتب، وأسرعنا في العمل بجنون، وبعد ذلك ذهبت إلى القطار فتأخرت. عدت ليلاً، البرد، الريح، وقرعت الجرس بوهن ثم رقدت في الفراش.

6 سبتمبر. في الصباح صححت بعض أخطاء يوم أمس في الحسابات مع ممثل التعاونية وسافرت بالقطار السريع. في البيت كل شيء على ما يرام، حنان، هدوء الروح، كل شيء حسب المعتاد، أنا سعيدة لعودتي إلى البيت. أرغم نفسي باستمرار على تلاوة الصلوات، آمل في نيل مساعدة الرب للتعامل مع مواطن ضعفي.

جاء عدد كبير من أفراد أسرة أوبولينسكي: ليزا وأطفالها الثلاثة.

7 سبتمبر. ليف نيقولايفتش معافى، ومنشرح الصدر، وأعتقد أنه هادئ. أنا أحبه كثيراً، وأشعر بالارتياح معه، وأنا لا أرغب في السفر إلى موسكو نهائياً. فهناك مصادر القلق، وأنا لا أمتلك القدرة على مواجهة هذا القلق.

11 سبتمبر. ها قد مضت عدة أيام، وكانت الأمور بأفضل حال في هذه الأيام: في الجو العائلي، المرح، ولو بلا عمل. إن ستاخوفتش يبعث النشاط لدى الجميع: جميع الفتيات معجبات به.

ماريا نيقولايفنا شقيقة ل.ن. لطيفة جداً وودودة وحانية ومتهللة الأسارير. أنا أحبها جداً. قبل يومين إنها تذكرت مع ل.ن. أيام الطفولة، وجرى ذلك في جو من المرح. روت ماشينكا كيف أنهم جميعها سافروا إلى بيروجوفكا، وكان ليوفوتشكا صبياً في الخامسة عشرة من العمر، فهرول لكي يثير دهشة الجميع وراء عربة. وكانت الخيول تعدو خبباً بينما لم يتخلف ليوفوتشكا عنها. وعندما توقفت العربة، كان يلهث بشدة، فأجهشت ماشينكا في البكاء.

وفي مرة ثانية أراد أن يدهش الفتيات: في محافظة قازان وفي قرية بانوفو حيث توجد ضيعة يوشكوف رمى بنفسه في البركة بملابسه، ولم يسبح حتى بلوغ الضفة، وتحسس القاع، فلم يجده، وكاد أن يغرق فعمدت النساء العاملات في جمع التبن إلى إنقاذه بواسطة المجاذيف.

كما حدث أن حبسوه في بليوشيخا، في بيت شرباتشيف، كعقوبة له. كان في الثانية عشرة من العمر، فقفز من نافذة الطابق الثاني. ورآه الخدم في الأسفل فأنهضوه وأرقدوه في الفراش، فنام خلال يوم كامل.

نعم، إنه يريد أن يدهش، يدهش الجميع... وهذا حاله طوال حياته. *وقد أدهش العالم أكثر من أي شخص آخر!*

رحل أبناء أسرة أبولونسكي. أصيب ل.ن. بالإنفلونزا، وكابد ليلاً من السخونة. جاءت ماريا ألكسندروفنا شميدت والقس من سجن تولا. رياح، رطوبة. يحمل ستاخوفتش في كل يوم السكاكر والكمثرى والدراق والبرقوق. هذا أمر لا يسر، لكن الشباب يتمتعون بتذوق هذا كله. في هذه الأيام عملنا في التصوير الفوتوغرافي، وبإصرار شديد. أنا أحيا حياة العائلة، بينما أشعر بضيق في أعماق القلب: الأسف على شيء ما، الرغبة في الموسيقى، الرغبة المجنونة والمؤلمة.

12 سبتمبر. فوضى كاملة في البيت. فقد أحب الخادم الحلاقة ساشا، ويريد أن يتزوجها. وفيروتشكا الطفلة ابنة 16 عاماً تتزوج القهرمان ابن 18

عاماً. والطباخ يترك العمل، والطباخة نقلت إلى المستشفى، وإيليا والمربية في موسكو. لم يحدث من قبل مثل هذا الشيء أبداً. بينما يأتي الضيوف بلا توقف ويبيتون عندنا. وجاء اليوم ف.ي.ماسلوف ودونايف أيضاً.

قرأ ل.ن. في المساء الرواية التي يعمل في تأليفها الآن بعنوان «البعث». وسابقاً سمعته يقول إنه سيعدلها، لكنها باقية كما كانت. وقد قرأها لنا قبل ثلاثة أعوام مضت، وفي الصيف بعد وفاة فانتشكا. وقد ذهلت آنذاك، واليوم أيضاً، لجمال المشاهد الثانوية والتفاصيل وزيف الرواية نفسها، موقف نيخليودوف من المومس القابعة في السجن، وموقف المؤلف منها. هذه لعبة عاطفية في المشاعر المتوترة غير الطبيعية، التي لا توجد في الواقع.

13 سبتمبر. تساقط المطر طوال النهار وجاء ضيوف. جاء الإنكليزي مستر رايت، كما أعتقد، وإيفانوفا، وهي عانس بلهاء، تؤمن باستحضار الأرواح. إن هؤلاء الضيوف فرض وعبء ثقيل على العائلة، وبالأخص عليّ. وجذب اهتمامي فقط أنهم كانوا في إنجلترا لدى تشيرتكوف، وأن جميع الجالية الروسية المنفية هناك، تجد الحياة صعبة للغاية، وإن البقاء معها فترة طويلة لا يطاق ولا يحتمل، والجو المعنوي للعلاقات بين أفرادها وحياتهم عموماً. لقد أخفى ل.ن. عني هذا بإمعان، لكنني كنت أتحسس ذلك دوماً...

سافر ماسلوف. وخرجنا للنزهة تحت وابل المطر المنهمر بلا توقف. أردت العزف، لكن طرقات شديدة على النافذة أفزعتني: لقد جاء ليف نيقولايفتش من أجل دعوتي للإصغاء إلى قراءة روايته حتى النهاية. وقد أسفت لعدم العزف، وأسفت لمفارقة أنشودة باخ، التي حفظتها وأدركت مضامين جمالها، لكنني ذهبت.

إن تأثير الموسيقى غريب حتى عندما أعزف بنفسي: إذ يتكشف أمامي بغتة كل شيء، وتغمرني السكينة السعيدة، وأشعر بالهدوء، والموقف الجلي من جميع هموم الحياة.

إن قراءة رواية ل. ن. لا تترك لدي الانطباع المطلوب. فقد بدأ يقلقني كل شيء، ويصيبني بالتشنج التام، والتشوش والنفور من كل شيء...كما إنني أتعذب لأن ل.ن.، الشيخ البالغ السبعين من العمر، يصف مشاهد

ممارسة الحب بين خادمة المخدع والضابط بتذوق خاص، وبتلذذ، كما يتلذذ الذواقة بالطعام اللذيذ. أنا أعلم، وقد حدثني ل.ن. عن ذلك بالتفصيل بنفسه، إنه يصف في هذا المشهد علاقته الغرامية بخادمة مخدع شقيقته في بيروجوفو. وأنا رأيت جاشا المذكورة، وهي الآن عجوز في السبعين من العمر، وقد أراني إياها بنفسه، مما كدرني كثيراً وأثار اشمئزازي. كما إنني أتعذب لكون البطل، نيخليودوف، يوصف كرجل يتحول من السقوط إلى السمو الأخلاقي، وأرى فيه ليف نيقولايفتش نفسه، الذي يعتقد ذلك عن نفسه، ولكنه وصف كل هذا الصعود والسمو جيداً في كتبه، لكنه لم يطبقه في الحياة أبداً. وعندما يصف ويتحدث إلى الناس عن هذه المشاعر السامية والتأثر بها، تجده يعيش كالسابق ويتلذذ بتناول الطعام الحلو، وبركوب الدراجة، وامتطاء صهوة الجواد، وممارسة الحب الجسدي...

وعموماً فإن هذه الرواية تتضمن - كما اعتقدت سابقاً - توصيفاً وتفاصيل بارعة وإظهار أوضاع الأبطال والبطلات بصورة زائفة للغاية، وذات حموضة زائفة.

إن هذه الرواية ولدت لدي مزاجاً عكراً. وقررت فجأة أن أسافر إلى موسكو، وإنني لا أستطيع أن أحب أمور زوجي هذه، وإنه لم يعد يوجد ما يقرب بيننا... علماً أنه لاحظ مزاجي وراح يلومني لكوني لا أحب ما يحبه وما يمارسه من عمل. فأجبته بأنني أحب أدبه، وإن قصته «الأب سيرجي» قد بعثت لدي البهجة، وأنني اهتممت برواية «حجي مراد» أيضاً، وثمنت عالياً «السيد والعامل»، وكنت أبكي دائماً لدى قراءة «طفولتي»، لكنني أشمئز من «البعث».

فلامني قائلاً: - أنت لا تحبين قضيتي في مساعدة الدوخوبوريين...

- إن قلبي لا يتعاطف مع الناس الذين يرفضون الخدمة العسكرية، فهذا يرغم الموجيك الفقراء على الذهاب بدلاً منهم إلى الخدمة كجنود، علاوة على أن ترحيلهم من روسيا يتطلب ملايين النقود...

إنني دعمت قضية مساعدة *الجياع* في عامي 1891 و1892، والآن أيضاً أتعاطف معهم وأساعدهم، وعملت نفسي وتبرعت بالنقود. والآن إذا وجد من ينبغي مساعدته بالنقود فهم الفلاحون الموجيك المطيعون والذين يتضورون جوعاً، وليس الثوريين - الدوخوبوريين المتجبرين.

قال ل.ن. - : هذا يحزنني جداً، لكوننا لسنا متفقين في الرأي في كل شيء.

وماذا عني! أنا كابدت من هذا الافتراق. لكن جميع حياة ليف نيقولايفتش كرست إلى أناس غرباء وأهداف غريبة عني، بينما جميع حياتي كرست إلى العائلة. أنا لا أستطيع أن أستوعب في رأسي وقلبي هذه الرواية، بعد أن تخلى ل. ن. عن حقوق المؤلف، ونشر ذلك في الصحف، بينما ينبغي الآن ولسبب ما بيعها بمبلغ ضخم لماركس في مجلة «نيفا» وإعطاء هذه الأموال ليس إلى الأحفاد، الذين لا يجدون الخبز الأبيض، وليس إلى الأبناء الذين يعانون من شظف العيش، بل إلى الغرباء تماماً من الدوخوبوريين الذين لن أستطيع البتة أن أحبهم كمحبتي لأبنائي. لكن العالم بأسره سيعرف أن تولستوي ساعد الدوخوبوريين، وستكتب الصحف والتاريخ عن هذا. وليأكل الأحفاد والأبناء الخبز الأسود!

15 سبتمبر. شعرت يوم أمس بحزن عميق لأن علاقاتي مع ل.ن. لم تكن طيبة يوم أمس، وكيف تقبل في هذه المرة بصمت ودعة أقوالي حول الرواية وملاماتي بصدد بيع حق نشرها، فذهبت بدافع داخلي وقلبي إليه في غرفة مكتبه في الطابق الأول وأبديت له أسفي بصدد كلماتي الجارحة. أعربت عن رغبتي في أن نكون *معاً*، وكصديقين. وأجهشنا في البكاء وشعرنا بأنه بالرغم من الفراق *الظاهري*، فإننا كنا نرتبط في *قرارة النفس* طوال الثلاثين عاماً الماضية نرتبط بأواصر *الحب*، وهو أثمن شيء.

حزمت الحقائب اليوم، فقد اعتزمت السفر إلى موسكو غداً. إنني قلقة جداً بشأن ميشا. تجولت اليوم ثلاث ساعات في الغابة وجمعت الفطر في حرش أشجار الشوح، وقطفت الأزهار، وتمتعت بجمال الطبيعة والسماء والشمس. لقد صفا الجو.

17 سبتمبر. موسكو. وصلت إلى موسكو مساء يوم أمس.

خرجت صباح اليوم لشراء المؤونة، ثم قمت بزيارات، وفي المساء اجتمع الفتيان، رفاق ميشا، وزارتني ناتاشا دين ومس ويلش وجولدينفيزر ودونايف

مع زوجته والزوجان ماكلاكوف والعم كوستيا وسيرجي إيفانوفتش. قال لي يوشا بوميرانتسيف إنه تمرن اليوم طوال ثلاث ساعات من أجل أن يعزف من أجلي في المساء. ورجته ماروسيا أن يعزف، لكنه عارض فترة طويلة، ثم وافق على عزف مقطوعة شومان[1] «Davidsbundler». أما الفتيان فقد انشغلوا جانباً في لعب الورق، وأزعج صراخهم سيرجي إيفانوفتش، وأعرب عن ذلك بكدر. وقال لي: «سأعود إليكم في وقت آخر، وسأعزف لك وحدك. فهذا يسرني أكثر».

فشكرته والآن أنتظر هذه السعادة.

18 سبتمبر. قضيت النهار كله في التسوق وتنفيذ التكليفات، وفي المساء زارتني يلينا بافلوفنا رايفسكايا.

19 سبتمبر. جلست في الانتظار في ثلاثة بنوك، وسددت نفقات إيليا، واستلمت النقود التي أودعتها قبل خمسة أعوام باسم فانتشكا. حبيبي، إنه لا يحتاج الآن إلى هذه النقود وأي شيء دنيوي! سأنتقل في وقت ما إلى حالته المباركة!

وردت رسالة من ماشا: إنها تكتب بأن ليوفوتشكا حزين في يوم عيد القديس شفيعي. إنه عرف بأن سيرجي إيفانوفتش سيعزف لي، وتملكته الغيرة مرة أخرى. لكن ماذا يوجد أكثر براءة وأكثر طهارة من هذه المتعة في تحسس الجمال بالإصغاء إلى مثل هذه الموسيقى الأخاذة.

أنا عزفت نفسي اليوم حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل. سافر ميشا إلى ياسنايا بوليانا. تحدثت طوال ثلاث ساعات بلا توقف مع سيرجيينكو. وطلبت المغفرة لكوني تفوهت بنافل القول.

20 سبتمبر. ذهبت منذ الصباح إلى بتروفسكو – رازوموفسكويه لزيارة مانيا وأعجبت بابنها سريوجا – إنه سريوجا أيضاً. أي صبي ظريف ومحبوب

---

1 – روبرت شومان: ملحن موسيقي ألماني (1810 – 1856)، يعد من أبرز الموسيقيين في الفترة الرومانسية. (المترجم)

هو: إنه رقيق الحاشية ومرح وذكي. أنا غريبة عنه، لكنه عاملني كما لو كان يعرفني منذ وقت بعيد وأحبني، بينما هو لم يتجاوز العام الواحد من العمر. وداعب أمه، وعلى الفور داعبني بيديه الصغيرتين لكي لا أتكدر. ودس تفاحة في فم المربية، ثم دس التفاحة فوراً في فمي. إنه يشبه فانتشكا تماماً، فحينما كان يوزع السكاكر لم ينس أبداً تقديمها إلى الخدم وجميع العاملين عموماً، فقد كان يقريهم جميعاً. كما كان يتودد إلى الجميع ويحبهم.

لدى عودتي علمت أن سيرجي إيفانوفتش قد زارنا، وأسفت لأنني لم ألتقه. وفي المساء جاء جولدينفيزر. عزفت ثلاث ساعات.

22 سبتمبر. جاء إيليا وأندريوشا من أجل تهيئتي للقاء أولجا ديتيريخس التي طلب أندريوشا يدها.

أخذت اليوم مربية لساشا، وهي امرأة كهلة لديها ثلاث بنات. انشغلت في مختلف الأمور، وعزفت ثلاث ساعات.

ارتكبت خطأً: حيث ذهبت بنفسي إلى سيرجي إيفانوفتش لتسليمه الكتب. أنا ندمت جداً، لكنني كنت منفعلة للغاية في هذه الأيام: فلا أنام حتى الساعة الرابعة بعد منتصف الليل، رائحة الجثة، الكدر بسبب الوحدة الروحية، وصخب ومشاغل الحياة، البحث عما ألوذ به بغية إنقاذ نفسي من هذه الكآبة. كتبت رسالة إلى تانيا – وبكيت. تحدثت مع أندريوشا وبكيت. وتحدثت مع ميشا حول إحباطه روحياً، وشجعته، فحاق بي الضيق مجدداً. أردت أن ألقى من أحد ما التعاطف والنصح والرأي. سلمت الكتب إلى سيرجي إيفانوفتش يداً بيد وسمعت منه بهذا الصدد الكثير من الأقوال الحكيمة، مما جعلني أشعر بالراحة فوراً.

ثرثرت مع أندريوشا حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.

23 سبتمبر. يوم زفافنا. أنا زوجة ليف نيقولايفتش خلال ثلاثة وستين عاماً، لكننا اليوم مفترقين.

شيء محزن ألا نكون معاً بذلك القدر عموماً، كما أرغب فيه. وما أكثر المحاولات التي قمت بها من جانبي بغية تحقيق الوصال الروحي! إن

العلاقة بيننا متينة، لكنها لا تقوم على الأساس الذي أصبو إليه. أنا لا أشكو، حسناً أن يبدي رعايته لي، ويتولى حمايتي بغيرة وحماس، ويخاف جداً أن يفقدني. وعبثاً. فلا يمكن أن *أقارن* أي أحد بزوجي مهما أحببته. إنه شغل حيزاً كبيراً في قلبي طوال حياتي.

27 سبتمبر. *أنا أعيش بموسكو*. جاء لزيارتي كل من العم كوستيا وماروسيا ودياكوف وميشيرسكي وسيرجي إيفانوفتش. وقد تجولت معه في الحديقة، وطلبت منه المشورة بصدد أمور كثيرة. يا صديقي العزيز! إنه تعامل بجد وبحرص مع مشاكلي وشكوكي الكثيرة، وقدم لي النصح وواساني. وبعد تناول الفطور عزف سوناتا بيتهوفن ومقطوعة أندانته[1] البطيئة من كونشرتو تشايكوفسكي. لقد عزف بشكل بالغ الروعة، وبالأخص المقطوعة الأخيرة. ووهبتني زيارته والنصائح والتعاطف والموسيقى القوة للعيش فترة طويلة، وانشراح النفس وسكينة الروح.

حضرت في المساء حفل زفاف فيرا سيفرتسيفا وتملكني شعور بغيض بالغرور. فقد سعى الجميع إلى وضعي وإجلاسي في المكان الأول، وأطرى الجميع على فستاني وزينتي ومظهري الفتي. أقيم عقد قران فيرا في كنيسة بيت المحافظ: وحضر الأمير المعظم سيرجي والأمير المعظمة يليزافيتا فيودوروفنا. وكانت هيئة فيرا تنم عن البساطة والجد والحزن. وبودها أن تقنع الجميع بأنها ستكون سعيدة بزواجها من إيستومين.

28 سبتمبر. *ياسنايا بوليانا*. عدت إلى ياسنايا بوليانا، إلى بيتي. شعرت بالكآبة لدى السير في الطريق المعتم، ووسط الثلوج المائعة، والانحراف عن الدرب باتجاه الكنيسة. فقد ركبت العربة من ياسينكي. وضاقت روحي لدى التفكير بميشا الذي تركته بمزاج عكر وبروح التشاؤم. لكن غمرتني البهجة لدى دخولي إلى البيت المضاء الذي يفيض فرحاً في ياسنايا بوليانا، والمليء بمن أحب ويحبوني. وبادئ ذي بدء ولجت غرفة مكتب ليوفوتشكا، واندفعنا نحو أحدنا الآخر، كما في أيام الشباب وتبادلنا القبلات، وأضاءت عينا ل.ن. بالفرح والمحبة، وهو ما لم أعرفه منذ وقت بعيد. وسرني أن أرى

1 – مصطلح موسيقي يعني «واصل العزف». (المترجم)

فاريا ناجورنوفا، كما أن ماشينكا لم تسافر بعد إلى الدير، وكان هناك ميشا ستاخوفتش أيضاً.

وكان قد جلب ليف نيقولايفتش من أوريول، حيث ذهب إلى هناك لزيارة السجن بغية الاستفادة مما يراه في كتابة روايته. وفي المساء انشغلنا في الأعمال والمطالعة والمحادثة. كان الجو عائلياً، وبهيجاً، ووديّاً.

3 أكتوبر. عزفت مساء أمس مع ليف الأب وليف الابن سيمفونيتي بيتهوفن وشوبرت. والتقطت صورة فوتوغرافية للحفيد الصغير ليف. وردت رسالة من ميشا تتضمن الشكوى من المزاج العكر والانهماك في القصف واللهو ويرجو السماح له بالمجيء إلى ياسنايا بغية أن يثوب إلى رشده، فسمحت له بالمجيء، لكن هل سيساعده ذلك؟

سافرت تانيا مع فيرا كوزمينسكايا إلى موسكو بغية إعطاء الجواب لسوخوتين. أنا أفكر فيها باستمرار وأكابد الهموم وأخاف. ماذا سيكون هذا الجواب. ل.ن. غارق في العمل ويواصل تنقيح رواية «البعث». أرسل إلى الخارج عدة فصول من أجل ترجمتها. تحدث طوال اليوم مع عابر سبيل تم نفيه بسبب مشاركته في إضراب، وأمضى في السجن أربعة أشهر. ل.ن. انغمر كلياً في الإصغاء إلى حديثه.

5 أكتوبر. وردت أخبار حول تانيا. يبدو أنها رفضت الزواج من سوخوتين، بيد أنهما كلاهما ذرفا الدموع. وكتبت المربية وقال ميشا إنها الآن حزينة وتبكي.

جاء ميشا - الذي تملكه الكدر، وانغمر في القصف واللهو في موسكو - إلى كنف العائلة في القرية من أجل أن يثوب إلى رشده. زارنا فرنسيان ظريفان هما مسيو ومدام دي جيرسي. إنهما من غلاة الاشتراكيين، ومن منظمي الإضرابات في باريس، وغير متدينين، لكنهما يتقدان حماسة، ويرتبطان بأواصر المودة. إنهما فرنسيان أصيلان من حيث الحيوية والطبع والقدرة على العيش ببهجة من أجل بلوغ أهدافهما وغيره.

كما جاء ممثلو هيئة تحرير «نيفا» للمساومة مع ل.ن. على نشر روايته

«البعث». وطلب ل.ن. مبلغ 1000 روبل مقابل الملزمة الواحدة بلا تقييد حقوق الملكية لدى الناشر. لكن هيئة تحرير «نيفا» لم توافق على ذلك حتى الآن. إنني أبغض جداً هذه المساومات بشأن نشر أعمال ل.ن. وبالأخص بعد أن نشر في الصحف نبأ التخلي عن حقوق المؤلف، مما جعلني أكظم غيظي بجهد وأبقي على علاقاتي الطيبة مع ل.ن. إنه عاد إلى سلوك الدرب السابق: فهو يكتب عملاً أدبياً مجدداً ويريد مجدداً الحصول على نقود كثيرة مقابل نشره. لكن هذه النقود كانت توجه سابقاً بصورة شرعية للإنفاق على العائلة، أما الآن فقد ظهر إلى الوجود أتباع له في الرأي من الدوخوبوريين، وتذهب النقود إليهم، وستكتب جميع الصحف عن ذلك. لقد كان من الطبيعي أكثر إبداء الشفقة على الفلاح فلاس في القرية، فلديه أطفال، بينما تموت بقرته بسبب الجوع. واليوم تأثر لوضعهم حتى الفرنسيان الغريبان ومنحاه روبلاً واحداً.

6 أكتوبر. جرى الحديث مع ميشا منذ الصباح حول حياته المضطربة في الفترة الأخيرة، وأبدى ندمه ورغبته في أن يكون أفضل حالاً ويتبع حياة مستقيمة أكثر. ومما يدعو إلى التأثر أنه وجد الخلاص في العائلة، وفي القرية، أي في الطبيعة – ويبدو أنه وجده.

جاء الرسام باسترناك، وقد استدعاه ل.ن. لعمل الرسوم من أجل رواية «البعث» التي ستنشر في صحيفة «Illustration» الفرنسية، كما أعتقد. إنه رجل يفيض حيوية وذكي وذو تعليم جيد – هذا الباسترناك.

كما جاء مجدداً مدير إدارة «نيفا». وأجرى ل.ن. مفاوضات معه حول بيع حقوق نشر «البعث». وتم تدوين وإعادة تدوين الشروط، وجرت المساومة، لكن من دون التوصل إلى نتيجة. وأراد ليف نيقولايفتش الحصول على مبلغ 20000 روبل. لكن حجم الكتاب لا يصل إلى 20 ملزمة، بينما لم يستكمل بعد تأليف بقية الرواية، ولهذا تأجل الأمر في تحديد الشرط لمدة أسبوع آخر.

وبينما كانت المفاوضات جارية في الطابق الأسفل جلست أنا في الطابق العلوي حيث عملت في استنساخ «البعث» الآنفة الذكر. فقد أردت أن أخفف عن ماشا الجهد في الاستنساخ، إذ إن ل.ن. يعطيها عملاً كثيراً

جداً. وكان ل.ن. يصعد عدة مرات إلى الطابق العلوي ويبدأ الحديث حول مبيعاته. لكنني لزمت الصمت. وفي نهاية المطاف أوردت رأيي مجدداً.

عندما كنت فتاة خسر ل.ن. في لعبة البليارد الصيني مبلغ 1000 روبل، وجاء وحدثنا عن ذلك، وقال إنه باع حقوق نشر «القوزاق» إلى كاتكوف وحصل على ذلك المبلغ. وآنذاك بكيت بحرقة.

إنني كنت دوماً حين تدور المفاوضات بشأن النقود مقابل نشر أعمال ل.ن.، وبعد أن تزوجت، أعاني من الحزن الشديد بسبب تجارة الأرواح البشرية، المتعلقة بإنسان قريب مني وكتب أعمالاً تنم عن عبقرية، وتقييمها بالروبلات والكوبيكات. والآن بقي لدي الشعور ذاته.

إن بيع *الكتب* ليس أمراً صعباً جداً. إذ يوجد جمهور كبير يرغب في شراء أعمال المؤلف المحبوب أو لا يرغب في ذلك. أما في المجلات فإن صاحب المجلة الاستغلالي ينصب جل اهتمامه على كسب أكبر كمية من المال عن طريق الكاتب المحبوب.

تواصلت العاصفة الثلجية طوال اليوم. وانهمر كثير من الثلج. في المساء قرأ لنا ل.ن. قصة «حول الحب» لأنطون تشيخوف. إنها تنم عن موهبة كبيرة، وتصف قصة حب اعتيادية جداً لشخص غريب لامرأة شابة متزوجة، أصبح صديقاً للبيت كله: للزوج والأطفال والخدم. بينما يتنامى الحب بينهما بلا كلمات، وبلا رابطة، ويتكشف لدى الفراق حينما يحتضن أحدهما الآخر ويذرفان الدموع ويتبادلان القبل ثم يفترقان.

ما أكثر الهيام الصامت، والمشاعر المأساوية الأليمة للحب بين أناس شرفاء، لكن لا يتم التصريح بها *أبداً*. *علماً* أن هذه المشاعر هي الأشد قوة!

17 أكتوبر. في مساء يوم الأحد المصادف 11 أكتوبر كنت مع ساشا بموسكو. إنها بدأت الدراسة بهمة وجد، وسلوكها طيب. أدعو الرب إلى أن يستمر هذا الوضع. من الصعب للغاية متابعة أفعال ميشا. أنا في توتر وخوف دائم في أن يفعل أمراً منكراً. وأشعر بأنه يأخذ بنظر الاعتبار قلقي هذا حوله، وأشعر بروح المسؤولية، وعدم القدرة، وهذا كله يجلب الضنى لروحي. أنا أعيش في شغل مستمر: تارة أبيع الشوفان، وتارة أنظف البيت، وتارة أخرى

أدبر قضايا نشر الكتب، أعيد استنساخ يوميات ليف نيقولايفتش، وهذا عذاب كبير للروح.

إنني أحيا بالموسيقى خلال يومين. وسيطر علي مجدداً هذا الولع، إنه يسحرني.

في صباح يوم أمس – بروفة. في مساء يوم أمس اقتادني آل ماكلاكوف والعم كوستيا إلى حفلة جوقة الآلات الهوائية. وكانت رائعة موسيقى الصلوات «أؤمن بالرب الواحد».

صباح اليوم البروفة مرة أخرى، ذهبت برفقة العم كوستيا. إن الفترة الفاصلة بين مشهدين في أوبرا «أورستيوس» من تلحين س.ا.تانييف رائعة للغاية.

وردت من البيت أخبار طيبة ظاهرياً: حول الحياة الداخلية لزوجي ليوفوتشكا وتانيا تبعث القلق جداً لدي وأنا مهتمة بالأمر. زوجي ينأى عني لأنه باع لمجلة «نيفا» روايته «البعث» بمبلغ 12000 روبل لصالح الدوخوبوريين. أنا لا أستحسن هذه الصفقة، وهو يعرف ذلك، بينما هو لا يستحسن ولعي بالموسيقى. شيء محزن! حل الفراق بيننا في كل شيء! من المذنب؟

20 أكتوبر. جاء ابني سريوجا، وهو يريد شراء ضيعة. أنا مسرورة جداً لذلك وأحبه كثيراً. عزف موسيقى جريج بشكل رائع. تلقيت رسالة طيبة من ل.ن. أردت أن أكتب له لكنني شعرت بصداع، فقد تصلبت جميع أعصابي بسبب التوتر. سلوك ميشا صار أفضل. تحدثنا إليه عن الصراع الداخلي وتطوير الذات، ووجهت إليه اللوم لكونه لا يصبو إلى ذلك، فقال: «من أين لك أن تعرفي هذا؟» – واختنق صوته بالعبرات. أنا لم أفقد الأمل فيه بعد.

جاء يوم أمس سيرجيينكو، ثم جاء اليوم مرة أخرى برفقة ابنته. دعاني للنزهة، ودعاني للذهاب إلى المسرح... هل يبدو أنني يمكن أن *أذهب معه!* إنه يبعث على السأم، وغير ظريف.

تملكتني كآبة خريفية حقيقية. أنا أعمل بجهد لتطوير ذاتي، لكنني أشعر بأنني سأهلك إن عاجلاً أو آجلاً في كافة الأحوال. ثمة أمر قد نضج في القلب يولد في الأوجاع والكدر...

زارتني منذ أيام الأميرة تسيرتيليفا، ولقبها الأصلي لافروفسكايا، وهي مغنية. إنها فقدت ابنها الوحيد (22 عاماً)، فتحدثنا طويلاً عن الحزن القهار. ما أكثر البلايا في الدنيا! وقد طمأنتها قدر استطاعتي، علماً أن جميع الأبواب مغلقة في قرارة نفسي، لأضرب نفسي بالجدار حتى أتحطم.

دفء، السماء رمادية، رطوبة.

22 أكتوبر. حينما ينضج شيء ما يبدأ بالتساقط. وقد نضجت الكآبة، فتساقطت يوم أمس. كتبت رسالة غير طيبة إلى ليف نيقولايفتش. واليوم كتب لي ليوفا يقول إن بابا يشعر بالصداع، وهو متعب جداً بسبب مشاغل الدوخوبوريين وكتابة الرواية! ما علاقة الدوخوبوريين بالأمر! كم يبدو هذا مصطنعاً. علماً أن لدينا مشاغلنا في العناية المستمرة بالعائلة، وأطفالنا بحاجة إلى أب، يرعاهم، ولا يبحث عن أتباع طوائف دينية ما في كل العالم. حقاً ما جاء في القول المأثور: «الشبعان يفت للجائع فتاً بطيئاً»[1]. ول.ن. حتى ليس مهتماً بأمور الدنيا جميعاً.

نظرت اليوم إلى ل.ن. في الصورة الفوتوغرافية، إلى يديه النحيلتين اللتين دبت فيهما الشيخوخة. إنني غالباً ما كنت أقبلهما بينما كانت تلاطفاني عدداً لا يحصى من المرات، فأشفقت عليه كثيراً، وأردت منه بالذات ملاطفاته *الشيخوخية*، وليست ملاطفات العاشق.

يوم أمس جاء العم كوستيا وماروسيا وسيرجي إيفانوفتش؟ أمضينا أمسية رائعة. فتلونا قصائد تيوتشيف. وقد أعجب بها سيرجي إيفانوفتش وبدا مفعماً بالرقة والإلهام كما لو كان يريد تلحين رومانس يستوحى من هذه الأشعار. ولم يكن اختيارنا جميعاً موفقاً، وفي نهاية المطاف فتحت ماروسيا الديوان كيفما اتفق على قصيدة: «أوه، لا تشغل بالك بملامتي الصادقة...»، وفور ذلك لحن سيرجي إيفانوفتش ودون وعزف الرومانس بهذه الكلمات. إنه رجل موهوب.

روى بوميرانتسيف أن جندياً في ميدان أربات لم يؤد التحية إلى ضابط مخمور فشهر هذا الضابط سيفه وطعنه حتى الموت. أية شناعة وهمجية!

---

1 – القول المأثور الروسي «العمة صوفيا تهتم بكل أمور الدنيا بينما أهلها جياع». (المترجم)

23 أكتوبر. عزفت في المساء خلال ثلاث ساعات. بينما عملت أربع ساعات في استنساخ يوميات ليف نيقولايفتش. أرسلت نسخة إلى ياسنايا، بينما أرسلت الأصل إلى متحف رومیانتسيف. قال سريوجا لدى الحديث عن ل.ن.: «تخلي عن حقوق نشر أعمال بابا». فقلت له: «لماذا؟ لكي أقدمها هبة إلى الناشرين الأثرياء؟ هذا كذب».

26 أكتوبر. وصلت صباحاً إلى ياسنايا بوليانا، عبر كوزلوفكا. مطر، أوحال، كل شيء بلون رمادي، شعرت بالقر، وتبللت ملابسي. الجميع نائمون في البيت. ولجت إلى غرفة ل.ن. الغرفة معتمة، فنهض، وراح يقبلني.

في الصباح عمل (ل.ن.) بهمة في كتابة روايته «البعث». وقال إنه لم يستطع العمل في الأيام الأخيرة، وكان يفكر في طوال الوقت، ورآني في الحلم في صباح يوم وصولي. وكان يأتي إليّ بين الفينة والفينة فيبتسم ويقبلني. تانيا وفيرا لطيفتان ومرحتان جداً. علماً أن تانيا ذات نشاط جم وضحوكة ولعوبة، كما في الماضي - بصورة جذابة وبهيجة. وقد خدعا دونيتشكا حين أخفيتا جميع محتويات المستودع في الصوان، وعندما رجعت من تولا اعتقدت بأن اللصوص سرقوا كل شيء، وأرادت الذهاب إلى قارئة البخت. وبعد تعذيبها قليلاً فتحا الصوان مع إطلاق القهقهة ورأت المربى والخبز وجميع المواد الأخرى. وتم جلب سمك الرنجة من بيت ليوفا، وصاروا جميعاً يأكلونها وسط القهقهات. وعموماً إن المزاج في ياسنايا رائق، وأنا أشعر بالبهجة، وانشراح الصدر، وبلا هموم.

27 أكتوبر. خرج ل.ن. لزيارة م.أ. شميدت في أوفسيانينكوفو، بينما تنزهت مع دورا في الطريق المؤدي إلى منصة السباحة، ثم تجولت لوحدي في الحديقة. أعطيت بعض التكليفات. زمهرير، ورياح. الجو غير بهيج وغير ساكن. تناولنا طعام الغداء لدى ليوفا. في المساء قرأنا الرواية المبتذلة «ديزي» لسيرجيينكو، وعندما سئمنا من مختلف المواضع الممكنة من حيث اللهجة، انطلقنا في قهقهة شديدة. لعب ل.ن. الشطرنج مع ليوفا وضحكا

أيضاً. كابدنا من السهاد في الليل بسبب البرد. وعاني ل.ن. من الزكام. تربطنا المودة ونتعامل مع أحدنا الآخر ببساطة. وقد وجهت أسئلة كثيرة حول «البعث» واستحسنت تغيير النهاية وغيرها من *المواضع. وتقلص الزيف.* أعمل في استنساخ يوميات ل.ن. أنا لا أحبه بالصورة التي كان عليها. فسق بلا توبة، وعدم محبة الناس، والغرور.

28 أكتوبر. ودعنا صباح اليوم بمودة ولطف كل من ل.ن. وتانيا وفيرا وليوفا. زمهرير، رياح. روى الحوذي أندريان في الطريق إلى ياسينكي قصة فظيعة حول مقتل أربعة أشخاص في كوسايا جورا (روداكوفا). كل شيء قد فسد لقربنا من مصنع الشركة البلجيكية هذا. سافرت في جو من الضجر، وطالعت ما كتبه مكسيموف حول المنفيين المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة، وتنقلهم، وحياتهم وهلم جرا. الانطباع قاتم.

30 أكتوبر. موسكو. هرج ومرج. جاء سريوجا مع تسوريكوف وسولرجيتسكي من لقاء الدوخوبوريين في القوقاز، وكان حديثه شيقاً. سافر أندريوشا إلى بطرسبورغ. ميشا كسول للغاية وخامل، ويبدو أنه لا يريد أن يتعلم. وأقنعه سريوجا اليوم كما يجب، بروح الأبوة، بأن يدرس وأن يثوب إلى رشده. في المساء جاءت ماروسيا ماكلاكوفا. أنا أشعر بخواء الحياة، وطوال اليوم مشغولة بأمور عاجلة. قرأت كتاب «حول تأثير الموسيقى على الإنسان والحيوان».

31 أكتوبر. عزفت قليلاً في الصباح، ثم خرجت من البيت، وفي المساء حضرت مع ساشا حفلة موسيقية للرباعي. كان عزف ثلاثي تشايكوفسكي مدهشاً، لكن عزف المدعو كفاست كان رديئاً.

تلقيت من ماشا وليف نيقولايفتش رسالتين رقيقتين. تحدثت جيداً مع تسوريكوف حول العلاقات بين الزوجين، حين يفترقان في الأفكار، وخلصنا إلى نتيجة مفادها أن من الممكن العيش سوية بصورة طيبة.

انصرف سريوجا وتسوريكوف. يعتزم سريوجا السفر مع سولرجيتسكي إلى القوقاز لمساعدة الدوخوبوريين في السفر إلى كندا.

لقيت سيرجي إيفانوفتش بصورة خاطفة في الحفلة الموسيقية. وتبادلنا التحية بعجلة، بينما هو حتى واصل الحديث بشكل غير لبق مع شيخ ما.

6 نوفمبر. يشغل بالي طوال الوقت أمران: رعاية ميشا بما يلازمها من أوجاع وتوتر، وإقامة الأمسية لتكريم *تولستوي*. بعث ل.ن. مقطعاً من رواية «قصة أم» التي يفكر في تأليفها بصورة مبدعة. وتتناول قصة أم لديها ثمانية أبناء وهي امرأة رائعة وحانية ورقيقة الحاشية، لكنها تصبح وحيدة في سن الشيخوخة وتعيش في دير مع ما يرافق ذلك من إدراك وضع مر وغير معترف به ودراماتيكي بأن حياتها كلها قضيت في خدمة الأبناء، وأنها لا تحصل فقط على السعادة منهم، بل إنهم أنفسهم تعساء.

تقيم الأمسية «جمعية الفعاليات الترفيهية الشعبية» برئاسة كيربيتشنيكوف، وقد زارتني مساعدته بوغوجيفا اليوم. وغداً سأقدم المقتطفات إلى الرقابة. وقد طلب مني وسأطلب أن يعزف سيرجي إيفانوفتش فيها أيضاً. وقال لي: «إذا ما جلبت بهذا المتعة والسرور إلى ليف نيقولايفتش، فسأبذل من أجل هذا الوقت والجهد. لكن *من أجل من سأعزف*، وماذا يمكن أن أعزف غير *«سوناتا كريتسر»*؟». وسيأتي في مساء يوم الأحد مع لافروفسكايا من أجل تسليتي بعزف الموسيقى، وأنا مسرورة جداً بذلك.

أمارس الخياطة ورتق الملابس والتفصيل. خطت لنفسي تنورة من الحرير الأسود، وأعدت خياطة رداء ما لساشا، عزفت كثيراً، لكني لم أقرب البيانو البتة خلال يومين. اليوم تسلمت نقود الأبناء ودفعت أجور طبيب الأسنان لعلاج أسنان أندريوشا، واشتريت قماشاً من أجل خياطة فستان بلا أكمام لساشا، واشتريت نباتات الزينة وزرعت ما لدي منها في أصص جديدة. زارني كل من سافونوفا، وسوليرجيتسكي الذي سافر فيما بعد إلى ياسنايا، وألكسي ميتروفانتش وبوغوجيفا وم. أ. ساباشنيكوفا الذكية، وكان الحديث معها ممتعاً أكثر من الآخرين.

حالتي الصحية أفضل، والهدوء في الروح أكثر.

8 نوفمبر. أبدأ في الكتابة في دفتر آخر هو الخامس من اليوميات. هل

يعقل أنني سأعيش طويلاً لكي أنهي الكتابة في هذا الدفتر السميك؟ وبأية ظروف سأنهي؟ يوم أمس لم أدون شيئاً. كنت في الحفلة السيمفونية، وكانت الحفلة الموسيقية مملة جداً، وخرجنا من هناك سيراً على الأقدام نحن الثلاثة: ماروسيا وأنا وسيرجي إيفانوفتش. الآن وقت هطول الأمطار الكوكبية في السماء. وأردنا أنا وماروسيا التطلع إليها بواسطة المنظار، وانضم إلينا سيرجي إيفانوفتش بالصدفة. لكن الكواكب كانت تومض بلا حراك، والسماء تخفق طوال الوقت بلا توقف. ولدى عودتي إلى البيت وقفت في الحديقة فترة طويلة، وشاهدت السماء لأول مرة عبر المنظار، وذهلت لمرأى هذا المشهد المهيب من النجوم التي لا تعد ولا تحصى.

في صباح اليوم ذهبت لزيارة أخي ولاقتناء تذاكر المسرح. ومن ثم أخذت أستعد للسهرة في المساء. في المساء جاء سيرجي إيفانوفتش ولافروفسكايا وأخي مع زوجته وآخرون وتمتعت في المساء كله بسماع الموسيقى. وغنت لافروفسكايا رومانسات سيرجي إيفانوفتش، بعضها مدهشة لاسيما أحدها: «ينبض القلب النافر...». ما أكثر الشوق، وما أكثر القوة، وكمال المحتوى. وبعد ذلك عزف سيرجي إيفانوفتش سوناتا بيتهوفن.

وقد عزفت الخاتمة بشكل متميز ومتكامل للغاية، بحيث لا يمكن عزفها بشكل أفضل. حقاً، إنها سلطة عظيمة لدى البشر - امتلاك مثل هذه الموهبة الموسيقية!

في بداية الأمسية قرأت للجميع المقتطفات التي أرسلها لي ليف نيقولايفتش من أجل أمسية تكريمه. إنها مقتطفات رائعة وفنية ومنحت الجميع متعة كبيرة. وقال الجميع إنني أحسنت التلاوة، مما جلب لي السرور.

أي صباح دافئ ومدهش كان اليوم! لقد مضيت في العربة بمحاذاة البولفارات: الشمس ساطعة، الأعشاب خضراء، السماء شديدة الزرقة. خيال الربيع الكامل! لكنه خيال فقط، فبعد يوم أو يومين سيحل موت الطبيعة كلها. وستغطي الثلوج كل شيء. مثل «الغرام الأخير» للشيوخ في قصيدة تيوتشيف. يجب أن تنير الشمس الساطعة بعنفوان الشباب هذا الغرام الأخير، وبعد ذلك يجب أن تخبو أمام ثلج المشيب والفم الخالي من الأسنان والتجاعيد والعجز وهلم جرا. أنا لا أرحب بك أيتها الشيخوخة!

حدث يوم أمس في الحفلة السيمفونية أمر مزعج للغاية حين طلبت من سافونوف أن يسمح لغريجمالي (عازف الكمان الأول) بعزف «سوناتا كريتسر» في أمسية تولستوي، لكنه قبض على كلتا يدي وصار يضمهما إلى صدره ويقول «إنني سأفعل كل شيء من أجلك». لكن غريجمالي قد غادر الدروس لتوه، فسحبت يديّ بغضب، بعد أن أدركت كل الإدراك أن سافونوف أراد أن يظهر أمام الحاضرين علاقته الخاصة (التي لا وجود لها) مع الكونتيسة تولستايا زوجة الرجل الشهير.

ويتعين علي منذ الآن تجنبه وتفاديه. زرت بوغوجيفا، وهي مشغولة بالمدارس الشعبية، وتسلية الشعب، والمطالعة، وحفلات الشاي وهلم جرا. إنها امرأة طيبة ونافعة.

9 نوفمبر. أذكر بأنني اعتقدت وقلت في زمن ما بأنه يوجد لدى الإنسان عمر الشيخوخة حيث يقف في ملتقى طريقين وهو يتردد في الذهاب إما إلى القمة الأخلاقية، أي إلى الكمال، وإما ينحدر إلى الأسفل أي إلى الضعف، وإهمال الذات. وها أنذا أشعر بأنني أسلك الطريق الثاني، وأشعر بالفزع، وبالكدر. بودي أن أتسلى، بودي أن أرتدي الأزياء الجميلة، بينما لا أشعر بالبهجة في قرارة نفسي، ولا أشعر بأي رضى، بينما يصبو الجميع إلى المتعة وإرضاء الذات والسعادة.

تلقيت رسالة من زوجي، إنها طيبة ورقيقة، وشعرت بالخجل، ولو أنني، والحمد لله، لست مذنبة بحقه أبداً، باستثناء الطيش فقط.

10 نوفمبر. جاء ميشا في موعد الغداء غاضباً ومنزعجاً لعدم وجود كعكة «كالاج» طازجة. في المساء ذهبت معه إلى المسرح حيث قدمت مسرحية «القيصر فيودور إيوانوفتش» للكاتب ألكسي تولستوي. كان التمثيل جيداً، لكن وجدت لحظات تشبه الهزل حين سعى الممثلون إلى إظهار الواقعية، فتعالى صراخهم وحدثت جلبة على خشبة المسرح. كان سيرجي إيفانوفتش هناك. وقد تحدثت كثيراً معه، وقد اقتنعت مساء اليوم أكثر من أي وقت مضى بأنه رجل يفتقر إلى الحركة والحيوية والعاطفة. وهذا ليس بهدف التشنيع به بل لمجرد إيراد الحقيقة القائمة، ويمكن وصفه فقط بأنه «*موسيقار بدين*»

مثل ل.ن. الذي يوصف بهذا الوصف في نوبات الغيرة - لا أكثر ولا أقل. إن طيبته الظاهرية هي لا مبالاته في قرارة نفسه حيال كل شيء في الدنيا، باستثناء الأصوات وتأليف الموسيقى وسماعها.

11 نوفمبر. عاد ميشا إلى البيت في وقت متأخر وكنت بانتظاره طوال الوقت. وجاء معلناً الندم بشكل مؤثر، وأعتقد بأنه صادق، فقبلني، ورجاني ألا أبكي، بينما لم أستطع إيقاف الآلام المتراكمة، لكنني توقفت عن إبدائها في هذه المرة.

علماً أنني نفسي لست بأفضل حال. إنني أخشى الخوف من إنفاق النقود، وأخشى حماقة الغلو في الزينة وارتداء الملابس الفاخرة، وهذه كلها تشكل الآن خطيئتي التي لا أستطيع التملص منها.

13 نوفمبر. تناول الغداء عندنا يوم أمس كل من س.أ.فيلوسوفا وي.ب. رايفسكايا والعم كوستيا وجولدينفيزر. قرأنا مقالة د.أ.خومياكوف حول المقدمة التي كتبها ل.ن. لمجموعة أعمال موباسان، ويشار هناك إلى مقالة ل.ن. «حول الفن». ويبدو أن كلمة «الكاثوليكية» التي وضعت بسبب الرقابة بدلاً من كلمة «الكنيسة» قد جعلت خومياكوف كما يبدو يتشوش في الحكم، فهو لم يفهم لهذا السبب الطابع العام لمقالة ليف نيقولايفتش.

سجل هذا النص في وقت لاحق. غادر إلى ياسنايا بوليانا في 13 نوفمبر كل من ماروسيا وساشا وميشا وأنا. وقد سر الجميع بهذه الرحلة، وصاروا يضحكون خلال الطريق كله. وصلنا إلى كوزلوفا زاسيكا بقطار البريد عند الساعة 11 مساء، ومنها انطلقنا في ضوء القمر ووسط الأوحال، وتساقط رذاذ المطر، والضباب الأبيض. لكن كان الوضع جيداً في القرية، وجيداً جداً في ياسنايا بوليانا. ووجدنا الجميع في أتم عافية ولطيفين. أعتقد أن حال ماشا لا بأس به. ويقول الأطباء إن احتمال تحرك الجنين ربما غير وارد البتة، وقد يحدث لاحقاً، بينما هي *صورت لنفسها* حدوث تحرك أو ربما كذبت على نفسها وعلينا. إنها بشوشة جداً وتفيض حيوية، وذات بشرة بيضاء ورقيقة وحلوة جداً.

كان ل.ن. رقيقاً جداً معي ومنفعلاً، لكنني لم أستطع مقابلته بالمثل.

14 نوفمبر. تحدثت كثيراً مع زوجي ليوفوتشكا عن ميشا وعني وعن عمل ل.ن. فقال إنه لم يعرف منذ زمن كتابة «الحرب والسلام» مثل هذا المزاج في ممارسة التأليف الأدبي، وهو راض جداً عن عمله في كتابة رواية «البعث». ذهب على صهوة الجواد إلى ياسينكي، منشرح الصدر، قوي البنية، طافح القلب وممتلئ النفس. وهذا كله لأنه يعمل وفق الطبع المميز له في الإبداع الأدبي.

15 نوفمبر. عشت اليوم كله في أحضان الطبيعة. خف المطر، أوحال شديدة، لكن يسود جو من السكون والدفء، وقد تنزهت مع فيرا كوزمينسكايا في غابة الشوح الفتية. إنها إعجوبة، ما أجمل التنزه وسط أشجار الشوح النضرة الخضراء. وفي المساء، أي بعد فترة الغداء خرجنا جميعاً للنزهة بعيداً: ذهبنا إلى جيبتش، إلى أشجار الشوح مجدداً، وحولنا مغارس الشجر. ثم عدنا إلى البيت في الطريق من منصة السباحة. عدنا مع العتمة، وشربنا الشاي عند ليوفا، ومتعنا نظرنا برؤية الحفيد، إنه صبي مدهش. وفي المساء قرأنا بصوت عال كتاب «ساخالين» لتشيخوف. إن تفاصيل العقوبات الجسدية فظيعة! وأجهشت ماشا باكية، بينما تمزق قلبي كله. انتهى اليوم مجدداً بروح المودة والحنان.

16 نوفمبر. استيقظت وقد سحت عيناي دمعاً ساخناً. وتملكتني رغبة شديدة في عدم الرجوع إلى موسكو، والشيء الرئيس في عدم مفارقة ل.ن. فإننا في هذه المرة التقينا بعاطفة ساجية وبصدق حتى النهاية، وقضينا هذه الأيام بمودة وحنان إزاء أحدنا الآخر، وحتى بعشق.

كما كان يؤسفني أن أترك تانيا، فأنا أحبها كل الحب. وأنا أحب ياسنايا بوليانا الهادئة والمألوفة والجميلة، ويحزنني أن أفارقها. دهش ل.ن. حين رآني أبكي، وصار يلاطفني، وذرف نفسه الدموع ووعد بأن يأتي إلى موسكو في 1 ديسمبر. أنا أود هذا جداً، لكنه لن يكون حسناً فإن استدعاءه إلى هنا، وانقطاعه عن الأعمال الناجحة، وعن مساعدات البنات له في استنساخ نصوصه، وكذلك عن ألكسندر بتروفتش الذي يساعده بصورة طيبة في الاستنساخ أيضاً. سأسعى إلى ألا أكون أنانية وأبقي ل.ن. في ياسنايا. لكن

بدا لي أنه يريد هذا. في أغلب الظن إنه يحتاج إلى المدينة من أجل الحصول على بعض المعلومات من أجل روايته.

سافرنا أنا وساشا وماروسيا بالقطار السريع، وساد بيننا جو من الكآبة والحزن، ثم أصبح الأمر أخف حدة.

استقبلنا ميشا في موسكو، لكنه بدأ على الفور بالاستعداد للذهاب إلى مكان ما. وقد تكدرت لذلك. واشتد بي الكدر أكثر عندما عاد في الساعة الثالثة ليلاً. فاضطررت لتعنيفه مرة أخرى. وشعرت بأن كل هذا يذهب عبثاً، وأن جميع تضحياتي – الحياة في موسكو، وإقناع ميشا ودعوته إلى ممارسة العمل وإلى الحياة الأفضل وذات القيمة الأخلاقية الأكبر – إن كل هذا يذهب عبثاً، فهو لا يريد أن يأخذ هذا كله بنظر الاعتبار.

إنني جئت، وانتظرته، وأصلحت ملابسه الداخليه واستسلمت للحزن.

17 نوفمبر. في الصباح غرست مع ماروسيا وإيفان شتلات أشجار البتولا والزيزفون التي جلبتها من ياسنايا بوليانا. وقد غرسنا إجمالاً حوالي سبعين شتلة، وقمنا بقص أشجار الأقاصيا وتشذيب الأغصان الجافة، وبغسل الممرات، وهيأنا مكاناً من أجل ساحة التزلج. الجو دافئ وهادئ، لا يتساقط المطر، بزغت الشمس للحظة، وغردت الطيور. كما أن الوضع جيد جداً في الحديقة، وأفضل مما لو لم يكن له وجود.

18 نوفمبر. ليلة أمس لم يرجع ميشا إلى البيت مرة أخرى حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.وقد انتظرته، وأصغيت، وبعد ذلك لم أنم طوال الليل، وتعذبت بسببه. في الصباح ذهبت إلى مدير الليسيه، ورجوته أن ينقل ميشا إلى القسم الداخلي. فأجابني: «Nous jouons gros jeu»[1]. وقصد بذلك أن ميشا سينفلت تماماً عندئذ. عاد ميشا وقد تملكه الخجل، وقال إنني على حق في كل شيء، وإنه ينسى أن يستجمع في ذاته الفكرة حول قلقي والتأخر والجلوس مع رفاقه. وفي المساء جلب لي بغتة ثلاث كمثرات.

1 – «سنغامر عندئذ بشدة» (بالفرنسية).

وقع أمر مؤسف في إعادة استنساخ مقطع من النص.

يجهد سيرجيينكو نفسه بكل قواه للحصول على معلومات حول سيرة حياة ل.ن.، ولكنني ألتزم الصمت.

حدث اليوم – رسالة ليف نيقولايفتش الموجهة إلي. جلبتها فيرا تولستايا. رسالة رقيقة العواطف مترعة بالحب. بينما أنا فقدت *رقة العواطف*، والمحافظة عليها تؤلمني. إلى الأمام، إلى الأمام نحو الحياة – وبسرعة نحو النهاية. إن الحياة لا تمنحني أي *شيء أكثر*. الأوراق تتساقط، الشيخوخة – من الأفضل أن تحل النهاية سريعاً.

19 نوفمبر. في الصباح جلب باسترناك أخباراً طيبة من ياسنايا بوليانا، ورسالة رقيقة من ل.ن. لكنه لا يستطيع الكتابة، وهو خامل. فهل سببت الضرر زيارتي إلى هناك؟ جلست طول النهار في البيت. عزفت حوالي ثلاث ساعات. ثم كتبت ثلاث رسائل: إلى ليف نيقولايفتش وشقيقي ستيوبا وأندريوشا. مارست أعمال الخياطة كثيراً، وبدلت الأكمام في سترة الفرو لساشا. جاء ميشا بمزاج رائق، فقد حصل على علامة 5 في اللغة اليونانية وعلامة 5 في الشريعة الربانية. زار أسرة بارانوف. ساشا ظريفة أيضاً. لقد تعدلت أمور أبنائي، وشعرت بالراحة في قرارة نفسي، كما لو أنني أنجزت عملاً هاماً. استنسخت قليلاً يوميات ل.ن. عموماً إنني بروح هادئة واعتيادية.

22 نوفمبر. لو أمكن نقل أنات الروح إلى دفتر اليوميات، لواصلت الأنين والأنين فحسب. ميشا ينهار كلياً. إن ندمه يستمر لحظات فقط. منذ يومين غاب الليل كله وبقي حتى الساعة السابعة صباحاً مع الغجر، وأمس جلس في البيت، واليوم اختفى مجدداً. أين هو، ومع من؟ لا أستطيع البت بأي شيء. في كل يوم لديه رفاق جدد، متوحشون وغرباء.

قمت بزيارات مملة ولكن ضرورية. عزفت، وكتبت. ذهبت ماروسيا مع ساشا إلى آل ماسلوف، بينما لم أذهب إلى هناك بالرغم من علمي بأن سيرجي إيفانوفتش هناك. وقد أمرتهما بركوب عربة وعدم الذهاب مشياً على الأقدام، ثم رجعتا ومعهما سيرجي إيفانوفتش. فأبديت غضبي الشديد على ماروسيا. بعد ذلك عزف سيرجي إيفانوفتش رباعيته، ومعزوفة نيكتورن

لشوبان. وقد هدأ من غضبي، وكان رقيقاً وطيباً مع الجميع، إنه منشرح الصدر بطيبة قلب. لكنه لم يجلب السكينة إلى قلبي المعذب بسبب ميشا. وليس عبثاً أن بكيت حين غادرت ياسنايا بوليانا. كم كانت رغبتي شديدة في عدم مفارقة ل.ن.، وما أشد الحاجة إلى مساعدته وحمايته من أوجاع الحياة، ومن نفسي... إنه على حق تماماً في موقفه من البشرية: إنه *كاتب عظيم*. لكن هذا لا ينفس عن كربي، فهو بالنسبة لي ليس زوجاً، بمعنى أن يكون عوناً لي، والشيء الرئيس هو ليس أباً يربي أبناءه، وهذا شيء فظيع بالنسبة إلى الأم.

24 نوفمبر. قدمت التهاني إلى المحتفلات بعيد القديس شفيعهن: يرمولوفا، آل دافيدوف، دونايف، وزرت ناتاشا دين التي ولدت صبياً ومرضت بعد ولادته. وفي بيت يرمولوفا تسليت باعتزاز بالاستقبال الحافل الذي لقيته من قبل الجميع، وبجمال الزهور، والأزياء والزينة، والأشكال الأنيقة لحياة الطبقة الراقية والمجتمع الراقي. وتحدثت مع الأميرة المعظمة يليزافيتا فيودوروفنا، تلك المرأة الحسناء والظريفة والبشوشة.

25 نوفمبر. تسكعت الصباح كله تحت المطر في كافة أرجاء موسكو. لوعة الكرب، والتسكع المجنون بنرفزة وبلا هدف في الأوحال، ولوعة الحزن والأسى هذه - أوه! - إنها لا تطاق. في المساء أويت إلى الفراش وغفوت. نهضت، جاءت ساشا: «هل أنت مريضة يا ماما؟». فقلت: لا. وغمرتني بالقبلات. «لو تعلمين كم أنت حلوة، وردية، بعد النوم». هل يصدق أنني ما زلت حلوة؟ أم إن حبها يرى الجمال في الأم المحبوبة؟ في المساء المسرح: «موزارت وساليري وأورفيوس». كان معنا سيرجي إيفانوفتش وماروسيا وساشا وجولدينفيزر وبوتينيف. كما جلس معارف لنا في المقصورات. في البداية كان العرض ممتعاً وبهيجاً، لكن الغناء الفظيع في «أورفيوس» أشاع الملل لدى الجمهور، وبذلت جهدي لكي أبقى جالسة هناك حتى نهاية العرض.

27 نوفمبر. وردت رسالة من البيت: من ليف نيقولايفتش، إنه يعتزم مع هذا المجيء إلى موسكو في 1 ديسمبر، ثم وردت رسالة أخرى من تانيا. لقد ضاعت

رسالتي إليها. شيء محزن! علماً أنني دعوت فيها ل.ن. إلى عدم المجيء إلى موسكو. إنني أشعر بغمة شديدة حين أفكر في كيف سيكابد منغصات الحياة في المدينة: الزوار، الصخب، الهرج والمرج في الشوارع، غياب الاستجمام والطبيعة والبنات ومساعدتهن، هذا كله شيء فظيع بالنسبة له. كما أن من الصعب بالنسبة لي أن أتخلى عن *اهتماماتي* في تربية الأطفال والموسيقى ومعارفي وزياراتي، ولو أنها نادرة، إلى الحفلات الموسيقية والمسارح، بينما هذا يزعجه. زد على ذلك أنني لا أستطيع كالسابق إعادة استنساخ النصوص التي يعدلها باستمرار بسبب ضعف بصري، واحتقان الدم في الرأس. وهذا سيغضبه ويكدره أيضاً، بينما سيتولى الاستنساخ في ياسنايا بوليانا كل من البنات وألكسندر بتروفتش وكوليا أوبولينسكي. سأسافر إلى ياسنايا لإقناعه بالعدول عن فكرته أو سأجلبه بنفسي إن كان يصر على السفر.

جاءت بوغوجيفا صباحاً وأعلنت أنه تم الحصول على رخصة إقامة أمسية تولستوي بشرط عدم الإشارة إلى أنها تقام *تكريماً* لتولستوي، ولن يسمح بقراءة شيء عن تولستوي، بل تقرأ مقتطفات من أعماله فقط، وغير هذا من الشروط الفظة والسخيفة.

في المساء جاء س.إ.تانييف. وشربنا الشاي: ساشا وميشا وأنا.

كم ابتهجت لحضوره! إنني أحب بأكبر قدر حين يأتي هكذا ببساطة، من أجلي فقط. ألف اليوم من أجل الإنشاد من قبل جوقتين مقطوعة رائعة وعميقة المحتوى مستوحاة من كلمات الشاعر توتشيف وجاء لكي يتم عزفها وإنشادها. ثم عزف Andante من سيمفونيته. جلسنا، وتحدثنا بهدوء، وقرأنا مقالة موسيقية نقدية. وكما هو الحال دائماً فإن الوقت يمضي معه ببساطة وبهدوء وبمحتوى. إن أواصر الصداقة بيننا متينة جداً، ومما يؤسف له أن غيرة ل.ن. تعكر العلاقات النقية والبسيطة والودية مع سيرجي إيفانوفتش.

28 نوفمبر. علمت خلال وجودي في حفلة الرباعي الموسيقية بوفاة ناستيا سافونوفا، الابنة الكبرى لوالديها البالغة من العمر سبعة عشر عاماً، وقد هزني هذا النبأ بعنف.

عزف جولدينفيزر «ثلاثية» رحمانينوف، ومن ثم عزف الخماسية الرائعة لموزارت مع الكلارنيت. هناك كثير من المعارف، وسيرجي إيفانوفتش.

رسالة مفتوحة حول مجيء ليف نيقولايفتش في 1 ديسمبر. وقد فرحت كل الفرح مع ساشا وحتى قفزنا ودرنا حوالينا معاً.

29 نوفمبر. في الصباح زرت آل سافونوف. إحدى ابنتيهما راقدة على فراش الموت، والأخرى، ساشا، مصابة بمرض خطير. لا يفهم شيئاً أربعة أطباء. المرض يشبه الإصابة بالتهاب الصفاق. جاءت به فليروفا. وصل من بطرسبورغ والد الأم ذات سمات البلاهة وهي لا تنبس بكلمة. الانطباع فظيع! ساشا وماروسيا في المعرض. في المساء عزفت كثيراً، بينما قامت الصبيتان، بالأخص ماروسيا، بحركات مضحكة، وروحها فاضت بالمرح البالغ. سافرت في الساعة الواحدة إلى ياسنايا بوليانا.

30 نوفمبر. في ياسنايا بوليانا. تانيا تعاني من الحشرجة والسخونة الخفيفة. وماشا وضعها غير معروف، لكنها هادئة ومعافاة ظاهرياً. ذهب ل.ن. قبل يومين إلى بيروجوفو (35 فيرستاً) على صهوة الجواد وعاد على صهوة الجواد أيضاً في اليوم التالي. ولهذا يبدو عليه التعب والفتور. لقد وعد بأن يأتي إلى موسكو في 1 ديسمبر، لكن يبدو وكأنه عدل عن هذه الرحلة الآن. بينما أعددت نفسي لبهجة نقله إلى موسكو والعيش معه. فاقتنيت الخبز بالنخالة والتمر والكحول – هذا كله من أجل الطريق. بينما أعطيت الأمر بأن تعد بموسكو الغرفة وطعام الغداء والفواكه، وأردت أن أرتب الأشياء بنفسي، وجعل رحلته إلى موسكو وكأنها غير ملحوظة بأكبر قدر. وبحلول المساء تقرر أنه لا يسافر. فبكيت وأصيب رأسي بالصداع، ولو بشكل خفيف تماماً. فقد شعرت بالألم لكونه لا يرغب في المجيء إلى موسكو، أنا أفهم ذلك تماماً وأنا اقترحت عليه ألا يسافر قبل عيد الميلاد، كما شعرت بالألم لأنه كتب: «تلقينا رسالتك إلى تانيا (التي عرضت فيها عليه ألا يسافر إلى موسكو). *إنني سآتي حتماً بالقطار السريع وأبتهج لفكرة اللقاء معك*». وبعد مثل هذه الرسالة حين كانت جميع مشاعري بانتظار مجيئه منذ وقت بعيد، قد تفجرت بغتة للقاء فرحة رؤيته والعيش معه، وإذا به يرفض السفر مرة أخرى.

1 ديسمبر. أنا في موسكو مرة أخرى. أنا لم أنم الليل كله بسبب الشكوك المريرة: لقد كتب لي «سأصل إلى موسكو في 1 ديسمبر». واليوم هو الأول من الشهر، وأنا سافرت في القطار السريع ودار في خلدي: هل يعقل أنه سيغير فكره، ولن يحزم حقائبه ويسافر معي؟ اشتد نبض قلبي، وارتفعت درجة حرارتي، وفي الصباح نهض، ونزل إلى الأسفل ولم يقل لي كلمة واحدة. أنا نهضت في حوالي الساعة العاشرة، وعرفت أن ل.ن. لا يستعد للسفر ولن يسافر. العبرات تكاد تخنقني. ارتديت ملابسي، وأمرت بقرن الجياد وتهيئة العربة، لكنه لم ينبس بكلمة واحدة. وحدثت ضجة: ماريا ألكنسدروفنا شميدت وتانيا ول.ن. يتساءلون: – لماذا أسافر؟ كيف لماذا؟ أنا اعتزمت السفر أصلاً، وستتبعنا الجياد، كما أن الأبناء والأحفاد ينتظرون بموسكو. النشيج يأخذ بخناقي وتنهمر الدموع بغزارة. تناولت أكياسي، ومضيت مشياً على الأقدام، وأمرت بأن تلحق الجياد بي، وخشيت أن يتكدر الجميع لرؤية مظهري، وأنا لا أريد أن أعطي ليف نيقولايفتش فرصة التمتع بما يبتغيه في كل عام، أي رؤية مظهري التعيس بسبب عدم رغبته في العيش معي بموسكو. بيد أن هذا غدا مستحيلاً: إن سلوكه القاسي بالذات يبعث فيّ اليأس والغم. ورأيت ليف نيقولايفتش مع الجياد مرتدياً معطف الفرو القصير. «مهلاً، لا تسافري». عدنا إلى البيت. وبدأ يقرأ لي المواعظ بلهجة كريهة، بينما أنا أختنق بالعبرات. جلسنا نحو نصف ساعة، وانتابني ألم جهنمي وجرى صراع مع اليأس والقنوط. جاءت تانيا. وقالت: «أنا أفهم أنك تعانين من الألم». في نهاية المطاف سافرت بعد أن ودعت الجميع طالبة منهم المغفرة. إنني لن أنسى في حياتي كلها أبداً ذلك الانتقال إلى ياسينكي. كانت الريح عاتية وفظيعة! ومشيت منحنية منقسمة إلى نصفين، وأنا أواصل النحيب طوال الطريق، ورأسي يكاد أن ينفطر. كيف سمحوا لي جميعاً بالذهاب وأنا في تلك الحال! ومنعني شيء واحد من الاستلقاء على سكة القطار – إنهم عندئذ لن يدفنوني إلى جانب فانتشكا، وهذه Idée fixe لدي. في عربة القطار صار جميع المسافرين يحدقون في – هكذا واصلت البكاء طوال الطريق، ثم غفوت. لم أتناول شيئاً من الطعام خلال اليوم كله. وصلت إلى البيت... لقاء كئيب مع الأبناء والأحفاد، وانخرطت في البكاء مرة أخرى. تلقيت برقية من ل.ن.: «صونيا كيف وصلت. سآتي غداً».

2 ديسمبر. في المساء تلقيت رسالة من ليف نيقولايفتش: إنه يطلب المغفرة بسبب القسوة غير المقصودة، وسوء الفهم، ولأسباب أخرى مختلفة، لكن لماذا لم يسافر فهو قد عذبني أصلاً. ثم جاء بنفسه... وكنت قد أصبت بتوتر أعصاب الصدغ الأيمن، وأشعر بأوجاع في جميع أحشائي، ولم أنم الليل كله، وتجمد كل شيء في كياني، وأصبحت في حال ذهول ما. ولم يوجد أي غيظ وأي بهجة وأي حب وأية طاقة حياتية، لا يوجد أي شيء. وتعتملني الرغبة في البكاء باستمرار، أسفت حتى على حريتي، وعلى صحتي وجميع أصدقائي الذين إذا رأيتهم الآن، فليس كالسابق، حينما كنت لوحدي وكانوا جميعاً ينتمون إليّ. إن يوماً من الآلام قد قضى على كل شيء في قرارة نفسي!

سأصبو إلى أداء *واجبي*. سأعتني ب ل.ن.، وأستنسخ له، وسأقدم له الحب الجسدي، – وأنا لا أؤمن بحب آخر، أما هذا فستحل نهايته قريباً. وماذا سأفعل عندئذ؟!!! الصبر والإيمان والناس الطيبون.

4 ديسمبر. لزمت الفراش يوم أمس خلال اليوم كله بسبب مرضي. إن جسدي لم يحتمل الكروب. لقد انقلب رأساً على عقب كل شيء في أحشائي: فارتفعت حدة المرارة، واضطربت المعدة، ويؤلمني توتر أعصاب الصدغ، والغثيان. وهكذا مضى يوم آخر من الحياة.

ذهبت صباحاً إلى جنازة ساشا سافونوفا. الصبية المسكينة ابنة الخمسة عشر عاماً، ذات الموهبة، والمترعة بالحيوية، توفيت بآلام فظيعة بعد ثلاثة أيام من وفاة أختها، الصبية أيضاً البالغة من العمر سبعة عشر عاماً. لقد آلمني النظر إلى الأم الملتاعة. بقي لديها ستة أطفال، لكن تلك الصبيتان كانتا الأكبر سناً.

الحزن يخيم على البيت. ل.ن. قاتم السحنة وواجم. وحياتي مع الأطفال والدروس والموسيقى *وأصدقائي* – إن هذا كله قد توقف. لا يوجد شيء في الحياة مع ل.ن. سوى الاستنساخ البليد والمزاج الثقيل الذي ينوء تحته البيت كله.

5 ديسمبر. الكآبة ذاتها، وحتى الأطفال – الأحفاد لا يتسلون باللعب. مرض ميشا – أصيب بالإنفلونزا. إن كل شيء صار مخيفاً بعد وفاة الصبيتين في أسرة سافونوف، ويبدأ المرء بعدم تصديق الأطباء البتة، فقد كان عددهم

كبيراً هناك. جاء أحد أفراد طائفة الدوخوبوريين مبعوثاً من سريوجا لطلب المشورة من ل.ن. بصدد هل يمكن أن تسافر مجموعة الدوخوبوريين إلى كنساس بدلاً من كندا، وقد جاء من هناك شخص يدعوهم للسفر إلى كنساس. فنصحه ل.ن. بعدم تغيير النية والسفر مع هذا إلى كندا.

جرى حديث غير مريح: فقد أرادت صونيا (الكنة) الإصغاء إلى موسيقى جيدة. فاقترحت عليها أن تدعو لافروفوسكايا وجولدينفيزر وتانييف، وإقامة أمسية موسيقية في البيت. وقلت أنا وصونيا لليف نيقولايقتش بتهيب إننا نريد سماع الموسيقى. فقطب تعابير وجهه غاضباً وقال: «حسناً سأخرج من البيت». بينما قلت: «حاشا الرب أن تطرد، الأفضل ألا تكون هناك موسيقى». فقال: «لا، هذا أسوأ، فيبدو كما لو أنني أعيقكم عن سماع الموسيقى». كلمة بكلمة، وصار الحديث ثقيل الوطأة جداً، وطبعاً لا مجال للحديث عن الموسيقى.

6 ديسمبر. ذهبت مع صونيا وساشا والأحفاد إلى المسرح لمشاهدة عرض أوبرا «ليلة مايو» لريمسكي - كورساكوف. طابع الموسيقى مشتت: فثمة شاعرية والإلقاء المنغم والرقصات الشعبية الروسية أو بالأحرى المالوروسية (الأوكرانية)، ولا يربط ما بينها رابط، والألحان الجميلة قليلة. ولا يوجد ما يهم في الموسيقى الجديدة، أي تعقيد الهارموني كما لدى تانييف، كما لا يوجد ما يثير *الإعجاب* - أي وفرة الألحان. وعموماً كان العرض مملاً. علاوة على الخواء في الرأس، فأنا لم أشف بعد من الهزات الروحية.

10 ديسمبر. أصبحت العلاقات مع ل.ن. أفضل، لكنني لم أعد أصدق بنقاوتها ومتانتها. أنا أعمل في استنساخ الأبواب التالية من «البعث». عيناي تؤلماني. لا وقت للراحة أبداً، وأواصل الاستنساخ.

ذهبت إلى البنك مع أندريوشا، سلمته جميع الملفات والنقود. وأهديته معطفاً من الفرو ومبلغ 2000 روبل وعملت طلبية من دزينة من الفضة من أجل خطيبته. مقابل جميع جهودي وهداياي لم يقل لي شكراً، بل كان مظهره ينم عن عدم الرضى.

12 ديسمبر. قضيت اليوم كله في الاستنساخ. في المساء – حفلة موسيقية للرباعي. إن رباعي شومان رائع. إن الإصابة بالعمى، شيء فظيع.

13 ديسمبر. دعوت لافروفسكايا للغناء وتانييف للعزف والأصدقاء المقربين للاستماع: رايفسكايا، آل كولوكولتسيف، العم كوستيا، أخي مع زوجته، وآل ماسلوف وغيرهم. عزف سيرجي إيفانوفتش بشكل أخاذ، كما رافق آخرين في العزف أيضاً. وأنشدت لافروفسكيا الكثير من الأغاني وأحسنت. وكان جو الحفل طيباً، وحتى اتسم بالمرح، لو لم أتحسس لدى ليف نيقولايفتش الاحتجاج الغاضب على التسلية كلها التي ابتدعتها.

14 ديسمبر. كتبت، واستنسخت أعمال ليف نيقولايفتش، خلال 7 ساعات، من دون أن أتحرك من مكاني. كما كتبت الردود على الرسائل الواردة إليه. أصابني دوار في الرأس. جاء ن.ن.جي. لكن ليف نيقولايفتش غير منشرح الصدر وجهم المظهر. إنه يشكو من ألم في الخاصرة. ميشا يكدرني: فهو يجوب في جميع الأمسيات والليالي حفلات البالو، وفي النهار ينام حتى الثالثة بعد الظهر، ولا يذهب إلى مدرسة الليسيه.

15 ديسمبر. أمضيت النهار كله في مراجعة الحسابات ومراقبة سجل المبيعات مع ممثل التعاونية. في الساعة الخامسة حضرت مع ساشا طقوس تعميد الصبي من عائلة دين ذي الشعر الكثيف. ثم ذهبنا إلى الحمام العمومي. وفي المساء قرأ ل.ن. لنا بصوت عال ترجمة جيروم جيروم – وهي سيئة. الدفء شامل.

16 ديسمبر. قمت مجدداً بمراجعة الحسابات مع ممثل التعاونية. رتبت كل الترتيب جميع الملفات في إدارة الأعمال، وأجبت عن الرسائل، وراجعت كافة سجلات المحاسبة. جاءت فاريا ناجورنايا، وسررت جداً بها. ون.ن.جي موجود هنا، إنه رجل فاشل لكنه طيب القلب وذكي. قرأ ل.ن. لنا مجدداً جيروم جيروم بصوت عال وقهقهة بشكل لم أره فيها منذ وقت بعيد.

19 ديسمبر. رجعنا من الأمسية في مسرح كورشا التي كان يراد بها أن تكون أمسية بمناسبة الذكرى السبعينية لمولد تولستوي. أمسية بائسة، وغير موفقة! الغناء رديء، والقراءة رديئة، والموسيقى رديئة واللوحات الحية شنيعة، تخلو من المصداقية وجمال وفن - لا شيء. لماذا رددوا الهتافات الفظيعة لميخايلوفسكي، وبعد ذلك صرخوا تولستوي، وطالبوا بإرسال برقية إليه... هذا كله مبتذل، مثل كازينو، لم أتحسس بالصرخات النابعة من القلب لدى الجمهور... علماً أن ل.ن. سافر اليوم لوحده إلى ياسنايا بوليانا بقطار البريد. في الصباح عمل، وفي الساعة الواحدة تناول عصيدة الشوفان وشرب القهوة ورحل، وطلب فقط من ن.ن. جي بأن يرافقه. وقد عرج على شارع مياسنيتسكايا تلبية لطلب تروبيتسكوي لكي يستطيع خبير صب البرونز من إيطاليا أن يعدل شيئاً ما في التمثال النصفي لليف نيقولايفتش على الطبيعة.

في الصباح ذهبت إلى بروفة الحفلة السيمفونية، وفي المساء استمعت إلى الحفلة كلها، باستثناء سيمفونية بورودين. التقيت سيرجي إيفانوفتش، وعلاقتي به ودية وبسيطة وتتسم بالثقة. إنها أفضل العلاقات بين الناس.

جاء إيليوشا وأندريوشا. أندريوشا كئيب لسبب ما. ففي الصيف حين كان في القوقاز طلب يد الأميرة جوريلي، ثم تراجع عنها في رسالة بعث بها إليها. وقد أطلقت الأميرة النار على نفسها، والآن يريد أقاربها التشفع لها، ويخاف أندريوشا دعوته إلى المبارزة أو اغتياله. لا أجد سوى المصائب معه! ميشا سافر إلى أوريول ومن هناك إلى إيليا وبعد ذلك سيتوجه إلى ياسنايا.

تلك الأميرة فارقت الحياة.

20 ديسمبر. علمت أن ابني إيليا ورفاقه الذين حضروا ما يسمى أمسية تكريم تولستوي قد ذهبوا بعد الحفل إلى حديقة الأرميتاج لتناول العشاء، أي للسكر والعربدة... هكذا يكرمون *تولستوي!* قباحة شائنة!

ذهبت برفقة ساشا إلى حفلة موسيقية في الكونسرفتوار أقيمت لتكريم ذكرى روبنشتين[1]: لم تعزف أعمال جيدة كثيرة. وكانت الأغنية الانفرادية

---

1 - نقولاي روبنشتين: موسيقار وعازف بيانو روسي أسس كونسرفتوار موسكو في عام 1866. (المترجم)

من أوبرا «إيفيجينيا» للملحن جليوك جيدة وتتسم بالدراماتيكية. رجعنا أنا وساشا وسيرجي إيفانوفتش إلى البيت مشياً على الأقدام بنشاط ومرح وثرثرنا وضحكنا. تساقط ثلج رطب خفيف، وارتدى كل ما حولنا حلة بيضاء، والقمر يرنو من خلال السحب... كم كانت النزهة جميلة! وأنا سقطت، لكن لا بأس...

دار الحديث في البيت بقلق حول إطلاق الأميرة جوريلي النار على نفسها بعد أن طلب أندريوشا يدها في القوقاز ثم تراجع عنه. إنه يخشى انتقام الأقارب القوقازيين.

23 ديسمبر. سافرت مع ساشا وصونيتشكا إلى ياسنايا بوليانا. ورافقنا إيليا أيضاً. ازدحام في الطريق، وإيليوشا مثّل دور المتباله ومزح وأثار ضحك الجميع. استقبلنا في ياسينكي كل من تانيا وليوفا. منغصات مع الأمتعة. لدى ليوفا طبع ثقيل بالنسبة له والمحيطين به، لكنه لا يلاحظ ذلك. سارت عربتنا وسط المياه والدفء وقلة الثلوج.

ماشا في البيت، هزيلة، وضعيفة، وبائسة لحد ذرف الدموع عليها. وكوليا معها بائس أيضاً. تانيا تحاول إظهار البشاشة لكنها لم تنس بعد قصة حبها التعيس ولهذا فهي بائسة.

يبدو ل.ن. هذه المرة بائساً أيضاً، لأنه غير معافى. يشعر بوجع في الخاصرة، وأعطيته مياه إيمس للشرب، ومرة أخرى أبدى قلقه من المقربين مني. الطقس سيئ، رياح، رطوبة، بالرغم من أن درجة الحرارة 3 تحت الصفر. انتعش ل.ن. أكثر، واستطاع العمل قليلاً مجدداً، بينما لم يكتب شيئاً في الأيام الماضية، لديه وعكة خفيفة، يعاني من السهاد ويجنح إلى الشيخوخة.

إنه اليوم شخص آخر، وأنا قلت له ذلك، فوافق بابتسامة على محياه. أنا هنا في حالة طيبة، لكن جميع المحيطين بي غير نشيطين وذابلين. وأخشى ألا يكفي *نشاطي* وحده للجميع لمقاومة كآبة الروح التى تسود الجميع. ولجت «البيت الآخر» لزيارة دورا وليوفا وتمتعت برؤية الحفيد الصغير والظريف ليوفوتشكا البالغ السادسة من العمر... تجولت في الحديقة بشعور من فيض العاطفة، كحالي دوماً، نحو ياسنايا بوليانا، وذكريات أيام الشباب والأعوام الأخيرة وبمزاج يقترب من الصلاة.

أنا في الفترة الأخيرة أشعر بضعف الروح، وغير مستعدة لتقبل وقوع أية مصيبة. أشعر في قرارة نفسي برقة وشفقة إزاء الجميع وكل شيء، وبأنني مذنبة وعاجزة عن إبداء الاحتجاج، والصبر، والسكينة، والشيء الرئيس غياب المزاج الديني. إن روحي مترعة بأمور أخرى غير هذه.

خرجت تانيا وليوفا وساشا وصونيا كولوكولتسيفا للتزلج. البركة كلها تجمدت وبلا ثلج، وأنا آسفة لأنني لم آخذ حذاء التزلج معي من موسكو.

25 ديسمبر.عيد الميلاد. ياسنايا بوليانا. كان الجميع منذ الصباح بمزاج العيد: تمت تهيئة الهدايا، ووضعت الأطعمة التي جلبت من موسكو. وكانت أفضل لحظة بالنسبة لي اليوم هي النزهة في الغابة، بالأخص في مشتل أشجار الشوح الفتية. درجة الحرارة 3 تحت الصفر، هدوء، بينما تبزغ الشمس بين الفينة والفينة في نهاية المطاف بعد غيابها طوال فترة الخريف. الثلج الطري والنظيف الذي تساقط خلال الليل يغطي كل شيء، أشجار الشوح الفتية الخضراء والمغطاة بطبقة خفيفة من الثلج، والشريط العريض القاتم المنداح في الأفق لغابة زاسيكي، ويخيم على المكان الهدوء والصرامة والسكون والجد. لقد تمتعت بكل هذا كل المتعة، وأفضل شيء – في الطبيعة والفن. إن سيرجي إيفانوفتش يعرف هذا حق المعرفة. بينما يوجد في الأسرة ومع الناس الكثير من المنغصات التي لا ضرورة لها، وما أكثر الأوجاع، والشر...

تناولنا طعام الغداء الأسرة كلها، في جو من المرح. وصل م.أ.شميدت. في الساعة الخامسة، أقيم لدى دورا وليوفا احتفال عيد شجرة الميلاد، وقدم الشاي، ومختلف الأطعمة اللذيذة. مسكينة دورا، إنها متعبة. لكنها وهي الفتاة، ابنة تسعة عشر عاماً، الصبية تقريباً، بحاجة إلى *العيد*، وقد أفلحت في إقامته وساد الفرح. وأصاب الحفيد الصغير لوفوتشكا الفزع والدهشة. إنه طفل صغير جميل وظريف.

في الساعة الثامنة مساء غمرني الحزن. ارتفعت درجة حرارة ل.ن. إلى 38، علماً بأن هذا كان يحدث من قبل دوماً، لكن فقط إلى درجة 37.7، أما اليوم فالوضع أسوأ. ساد الاكتئاب لدى الجميع.

26 ديسمبر. بقيت السخونة لدى ل.ن. طوال الليل. وراح يصرخ ويئن ويضطرب بشدة، ولهذا لم أستطع النوم ساعة واحدة. قالت دونياشكا: «إنه رقيق وضعيف الحال، وليس مثلك». وفعلاً من الصعب أن نجد مريضاً قليل الصبر وأنانياً مثله. والشيء الرئيس – أنه عنيد. يوم أمس لم يتناول نقيع أعشاب الراوند، بينما تناوله اليوم في الساعة الحادية عشرة. والآن لا يجوز تناول الكينين لمعالجة الحمى لأن بطنه ممتلئة بالطعام، ولهذا سيتأجل ذلك ليوم كامل مرة أخرى – وكل ذلك بسبب العناد، وعدم الرغبة في الإصغاء إليّ وتناول المسهل في الوقت اللازم. آه، كم ضجرت، كم سئمت وكابدت من صعوبة استجماع كل نشاطي، بغية أن أقنع وأصر وأغضب، بهدف واحد هو إنقاذه ومساعدته، هو الرجل المتذمر والغاضب والعنيد الذي وهبته كل حياتي، وأخمدت كل ما هو ذاتي في نفسي، ولو أبسط المطالب في توفير الهدوء والاستجمام لدى المطالعة والموسيقى، ناهيك عن أنني لم أسافر إلى أي مكان سواء في الخارج أم في روسيا.

جاء صانع ماهر من تولا، وجلب لوحة بطول ذراع ونصف، رسمت بالقلم الرصاص، ويبدو فيها ليف نيقولايفتش جالساً في وسطها. وإلى اليسار ثمة مدرسة وأطفال، ووراءه ملاك، وفي الأعلى يسوع فوق السحب، مع الملائكة، وخلفه الحكماء: سقراط وكونفوشيوس وبوذا وغيرهم. ومن اليسار تبدو كنيسة وأمامها مشنقة علق فيها مشنوقون. وفي المقدمة كبار رجال الكهنوت والقسس وقهرمان، وخلفهم عسكريون مشاة وعلى صهوة جياد. وهناك أبناء مختلف القوميات يطالعون الكتب، وفي الأعلى ثمة تركيٍ بعمامة يقرأ كتاباً كبيراً. علماً أن الرجل الجالس في الصورة لا يشبه ل.ن. كثيراً. إنه يجلس متربعاً في جلسته.

ترد أخبار مروعة عن الفلاحين الموجيك في ياسنايا بوليانا: أخ يسرق أخيه، أرملة تقتل طفلها غير الشرعي، وأب دس ابنه الصغير في شق ضيق في المستودع وأمره بأن يسرق ويعطيه الحاجيات المسروقة. في مكتبتنا كسروا أطر النافذة وسرق الصبيان الكتب. هذا كله يبعث على الكآبة والألم. آه، من سلطة الظلام!

ثمة برد خفيف. هدوء وسكينة، لو لم يوجد البشر ورذائلهم. كم أصبحت أحب الهدوء، والبشر الهادئين، والعلاقات الهادئة معهم!

أطالع كتاباً رائعاً حول البوذية بعنوان «The Soul of a people». أية حقائق جميلة وبسيطة توجد في البوذية. يبدو وكأن المرء يعرفها، لكن التذكير بها، والاقتضاب في التعبير عنها – كل هذا يبعث في الروح الإعجاب.

لقد كتبت لتوه بأنني أحب *الهدوء، وتذكرت العبارات الواردة في هذا الكتاب:*

«... the greatest good for your heart is to learn that beyond all this turmoil and fret is the great Peace»(1).

وردت رسالة من سريوجا يصف فيها بصورة رائعة مغادرة الدوخوبوريين لميناء باطوم، وسافر مع سوليرجيتسكي 2000 شخص، والآن سافر سريوجا أيضاً مع 2000 شخص من الدوخوبوريين، وجميعهم سافروا إلى كندا. يساورني الخوف على سريوجا، لكن عمله هذا طيب – إنه جميل وكريم وشيق. هذا جنون من قبل الحكومة أن تتخلى عن مثل هؤلاء الناس الممتازين المهاجرين من أطراف روسيا! هم أناس ممتازون ومؤدبون أخلاقياً، بلا هاجر القول وبلا جرائم. وكما يكتب سريوجا فإن رحيلهم اتسم بطابع رهيب واحتفالي. فرددوا الأناشيد، وأقلعت السفينة... وماذا ينتظر هؤلاء الناس البالغ عددهم سبعة الآف شخص، في رحلتهم إلى أماكن مجهولة والتي تستغرق 25 يوماً، بلا معرفة اللغة، وبلا نقود كافية...إنها صلابة تبعث على الإعجاب. لكن هل إنها عقيدة، بالمعنى الديني لها؟

تنزهت كثيراً وكثيراً. هدوء وسكينة في الطبيعة بشكل مذهل. برودة خفيفة، وثلج قليل، ولذا يمكن التجول بخفة في كل مكان من الغابة، وليس في الحقول فقط. روعة!

زارنا في المساء ضيوف: زوسيا وبافليك من أسرة ستاخوف وس.ن. دليبوفا. الحالة الصحية لليف نيقولايفتش أفضل، وساد المرح أكثر في الجميع.

27 ديسمبر. تنزهت في الصباح، ثم جلست مع حفيدي ليوفوتشكا، واستنسخت قليلاً يوميات ل.ن. ثم توجهنا في الساعة الخامسة إلى جرينيوفكا

---

1 – إن أعظم خير لقلبك هو أن تعرف بأن الهدوء العظيم هو أسمى من كل هذه الجلبة والخداع (بالإنكليزية). (المترجم)

لزيارة إيليا: أنا وتانيا وساشا وصونيا كولوكولتسيفا. في جرينيوفكا بدا ميشا هزيل البدن، وينم مظهره عن القلق والغموض. أما أحوال صونيا وإيليا فهي جيدة، وتنم عن البشاشة. كان الأطفال نائمين باستثناء آنوتشكا.

28 ديسمبر. في الصباح انهمك الجميع في تزيين شجرة عيد الميلاد، وتقديم الهدايا، والأحفاد الثلاثة – الأطفال ذوو الشعر الأشقر – بأتم عافية، والنظر إليهم يبعث على البهجة إلى حين. حياة الأطفال الماضية تتكرر، من دون حب مباشر، ورعاية، و*حلم*، والبحث عن الشبه بي وبالزوج المحبوب. إن الأحلام حول مستقبل الأطفال لا تتحقق، وشيء حسن أنهم موجودون.

خرجنا للنزهة كثيراً، الثلج الذي تساقط في الليل نضر، وتألق في الحقول المترامية الأطراف تحت الشمس الساطعة. هدوء وصفاء وخير. تجولت لوحدي بعيداً وصرت أفكر بجميع من أحبهم. في أعماق روحي تسود أيضاً النقاوة والسكينة والطيبة.

جاء ضيوف في المساء، شجرة عيد الميلاد باهرة المنظر (جلبت كل شيء للزينة من موسكو)، الجيران، الخدم، الفلاحون. الأغاني، الرقص، الزينة، وتقديم عرض «القيصر مكسيمليان وابنه العاصي أدولف» بشكل مبتذل. رقصت ساشا وآنوتشكا بعد ارتداء الأزياء التنكرية والأقنعة. شيء طيب أن يسمح *للجميع* بدخول بيت إيليا، وليمرح ويفرح كل من يريد. جلبت كميات كبيرة من الطعام، وبوسع جميع الضيوف تناول الطعام والشراب في النهار كله. ولغرض المبيت جلب التبن إلى غرفة المكتبة وفرشت معاطف الفرو القصيرة على الأرض، ورقد الجميع هناك للنوم. ضيافة، وغياب النظام، والبشاشة والعيش في سعة، لكنني لا أستطيع العيش هكذا.

29 ديسمبر. نهار رائع، اكتست جميع الأشجار والطبيعة كلها بالصقيع الكثيف، ويسود البياض في كل مكان، وتحولت السماء والأرض إلى مملكة بيضاء موحدة. تجولت لوحدي كثيراً، بينما تزحلق الأطفال من التلال فوق المزلجات. يشغل بال إيليا اهتمام واحد في الحياة، ورئيس، هو الجياد والكلاب، وهذا أمر محزن جداً. غادرنا في الساعة السادسة، وأخذنا معنا

الحفيدة آنوتشكا. كان الانتقال من ياسينكي إلى ياسنايا فظيعاً، وقد أصبح غريباً بالنسبة لي التنقل في الدرب الريفي في الشتاء. نحن ضللنا الطريق من جرينيوفكا إلى المحطة قليلاً، ولكن رجعنا إلى البيت مجدداً. الوضع طيب في ياسنايا. ول.ن. في أتم عافية وحماس.

30 ديسمبر. هبت العاصفة الثلجية منذ الصباح. والمسكينة ماشا شاحبة الوجه، ونحيفة وهادئة. إنها ذات مظهر لطيف ورقيق، وأنا أصلي من أجلها في أعماق روحي، وأحبها جداً، حين أتطلع إليها.

بوليجين يصرخ حول أمر ما مع كوليا جي، ويقول إن من الواجب إرسال الأطفال إلى سويسرا لغرض تربيتهم هناك. إنهما ولدا أطفالاً غير شرعيين، ولم يعمداهم، وكلاهما في حوالي الأربعين من العمر، والآن لا يعرفان ما العمل مع الأطفال.

31 ديسمبر. آخر أيام العام. كيف سيكون العام الجديد! بدأ المخاض لدى ماشا منذ الصباح. ونحن ننتظر بعذاب ظهور الطفل ميتاً أو إسقاطه قبل الأوان. الساعة العاشرة مساء. هنا القابلة، وننتظر مجيء الطبيب رودنيف. يسود الهدوء في البيت، والكل ينتظرون بألم.

في الساعة الثانية عشرة إلا خمس دقائق أسقطت ماشا ابنها الوليد المبتسر البالغ من العمر أربعة أشهر.

سادت البهجة الجميع، واستقبلوا العام الجديد الأسرة كلها، التي تبدو عليها البشاشة والهدوء. وداعاً أيها العام القديم الذي جلب لي الكثير من المحن، وكذلك المسرات غير القليلة. تحياتي إلى من منحني إياها.

1899

1 يناير. أنا غير راضية عن بداية العام. استيقظنا في وقت متأخر من النهار. ذهبت مع الأطفال: ساشا وصونيا كولوكولتسيفا والحفيدتين آنوتشكا وميشا إلى الغابة لالتقاط الصور. كان الجو طيباً جداً ومرحاً مع الأطفال. التقطنا الصور، وضحكنا. انكسر عريش العربة، فربطته ساشا القوية البنية. رجعنا في موعد الغداء. وفي المساء ذهبنا إلى دورا وليوفا لشرب الشاي، وأنيرت أنوار شجرة عيد الميلاد هناك مرة أخرى. وقد ارتدى الأطفال والخدم في كلا البيتين أبهى حلة ورقصوا، في البداية بمصاحبة العزف على البيانو، ثم بمصاحبة عزف آلتي أرمونيكا اثنتين. أنا ذهبت للجلوس مع ماشا، ثم قمت بتظهير الصور الفوتوغرافية. وخطت ثوباً من أجل ليف نيقولايفتش.

اجتمع شمل الجميع في موعد العشاء. وبعد ذلك مارسنا لعبة «روبليك»، بمشاركة ليف نيقولايفتش والجميع بلا استثناء. إن هذا كله يبعث على البهجة، لكن الروح تطلب شيئاً آخر وتحن إلى شيء آخر – وهذا شيء مؤلم ومحزن.

حل الدفء مجدداً، وبلغت درجة الحرارة درجتين فوق الصفر، مياه، أوحال ورياح.

جاء فولخونسكي، زوج زفيجينتسيفا. ماشا في وضع طيب، والحمد للرب. لا يعمل ليف نيقولايفتش جيداً. إنه طوال حياته يعزو كل مزاج روحي إلى أسباب بدنية سواء في ذاته أم في ذاتي ولدى الجميع.

4 يناير. جاء في المساء ضيوف مجدداً: ثلاثي تشركيسوف، والزوجان فولخونسكي، وأسرة بولديريف... ماري ظريفة للغاية. تناغم أصوات

الألحان، رقص، إنشاد الأغاني بصورة غير موفقة... ضجر! هذا كله أمر ثقيل الوطأة لمن هو في عمري ولديه حاجاتي الروحية. أنا أتعطش إلى علاقات جادة مع الناس، وإلى الموسيقى الجادة وليس إلى تناغم الألحان الذي كنت دوماً أنفر منه. الأميرة العجوز تشيركاسكايا المكروهة، الخاطئة العجوز، التي لا تريد أن تدلف إلى الشيخوخة. أيقظنا معها ماشا، فانتابتها نوبة هستيرية. شيء مكدر ومحزن جداً، وأنا مذنبة بصورة غير مباشرة، وأثرت ضجة مع هذه الحيزبون العجوز.

كان ليف نيقولايفتش منشرح الصدر مجدداً في عمله.

5 يناير. قمت في النهار بأعمال التصوير الفوتوغرافي، وكتبت رسالة طويلة إلى سريوجا الذي أحن إليه. لا بد أنه الآن يعبر المحيط الأطلسي.

6 يناير. سافرت إلى موسكو بمعية صونيا كولوكولتسيفا. الجو طيب وهادئ في البيت. المربية الحانية، والوحدة المألوفة مع عالمي الداخلي العزيز، والذكريات حول المحادثات الهادئة والودية في الأمسيات.

7 يناير. انشغلت اليوم بأكمله في اقتناء المشتريات وتدبير الأعمال بموسكو. وسافرت ليلاً إلى تولا. طالعت في المساء «بداية الحياة» لمينشيكوف حول أهمية حياة الأطفال.

8 يناير. أنا وحيدة منذ الصباح في الغرفة بفندق بطرسبورغ في تولا. تكدرت وقلقت بحزن حول زواج أندريوشا. طالعت الكراسة الفرنسية المرسلة إلى ليف نيقولايفتش حول أوغست كنط - رسالة إلى أميل زولا. إنها رسالة وعظ تدعو إلى السلم والأخوة وكذلك السوسيولوجيا.

جاء الأبناء: ليوفا الضاوي الجسد، إيليا النضر المحيا بفخفخة، وأندريوشا المضطرب، وميشا المتوحش كلياً، الذي لم يحصل على البزة العسكرية، ويبحث عن الفراك[1]، والأخرق، والصاخب والأناني.

1 - معطف الاحتفالات الرسمية. (المترجم)

وأجرينا التبريكات مع إيليا في الغرفة مباشرة. أما أندريوشا فكان كالحالم ومنفعلاً، ولا يدري نفسه لمَ يتزوج، وماذا سيحدث بعد ذلك. كما أنني لا أفهم أولجا. إن الزفاف دائماً يقترن بالخوف والغموض والتأثر. تساورني الرغبة في البكاء دوماً.

تناولت الغداء لدى أسرة كون، ثم تم التوديع في محطة القطار، والجميع تحت تأثير السكر قليلاً، وجاء ليف نيقولايفتش إلى محطة القطار في تولا على صهوة الجواد ومتردياً معطف فرو قصيراً. وأحاط بنا الجمهور: تولستوي وحفلة الزفاف. هذا أمر يثير الفضول لدى الجميع. وجرى التوديع حتى ياسينكي. وواصلت الطريق من هناك مع تانيا في عربة. في البيت وجدت ماشا في البيت تعاني من الصداع الشديد والكدر. حبيبتي دورا، وليوفا الهزيل والمحبوب لدي، وكوليا الخامل، وكوليتشكا جي، وماروسيا الجريئة. لكن لا خير في هذا. وقد رافقنا الزوجان ديتيريخس. أصبح ليف نيقولايفتش معجباً بشهرته. وكان يتطلع بارتياح إلى الجمهور في محطة القطار، وقد لاحظت ذلك. إنه معافى، لكن ثمة برودة ما في سلوكه.

9 يناير. ياسنايا بوليانا. قضيت النهار كله في تدبير الأمور في ياسنايا بوليانا، وتنظيف البيت. جلست مع ليوفوتشكا في الجناح، أنا أحب كثيراً هذا الطفل الصغير. الجو دافئ، ذوبان الثلوج، المطر. لقد زال الثلج تقريباً. ليف نيقولايفتش يعاني من ألم في الخاصرة، وقمت في المساء بتدليكه بقوة. العمل يتواصل في تأليف «البعث» كالسابق. حالة ماشا الصحية أفضل، وحاولت النهوض على قدميها.

10 يناير. وصلنا إلى موسكو بالقطار السريع. كان الازدحام شديداً في العربات مرة أخرى. وقد سافرنا: ليف نيقولايفتش وأنا وساشا وتانيا وماروسيا ماكلاكوفا. انضمت إلينا ماري بولديريفا الظريفة (لقبها قبل الزواج هو تشيركاسكايا). التعامل مع ليف نيقولايفتش ودي جداً، ويتسم بالبساطة، كما أحب ذلك، بلا خوف من جانبي، وبلا مماحكة وأفكار مبطنة من جانبه. كم أتمنى لو كان الحال كهذا دائماً! ويبدو أنه جاء إلى موسكو بخفة الروح وحتى بكل رضى.

طالعت في الطريق رواية زودرمـان «الركن الهادئ». أشعر بوعكة مستمرة. إن الرحلة قد أضنتني، وحزم الحقائب ثم تفكيكها، وتنظيف البيت، والعناية بالجميع – وعموماً فإن *الحياة* كلها كانت في الفترة الأخيرة محمومة ومضنية.

11 يناير. لقد شعرت بتضعضع الصحة ووهن العافية كلياً. إنها الإنفلونزا، فثمة حرقة في صدري، وألم في رأسي. بينما ما زال ليف نيقولايفتش يعاني من الأوجاع في خاصرته. ما زالت تربطنا وشائج الصداقة والهدوء.

12 يناير. اليوم عيد القديس شفيع تانيا. منذ الساعة 12 ظهراً اجتمع الضيوف المملون وغير الشيقين. تم تناول شراب الشوكولاتة والثرثرة ووجد عدد كبير من الصبيان – الطلاب ورفاق ميشا... إلخ. تدهورت صحتي أكثر. انتظرت طوال اليوم مجيء سيرجي إيفانوفتش لكنه لم يأت. يقال إنه في مدينة كلين، مشغول مع موديست تشايكوفسكي في التحضير لإخراج باليه «الحسناء النائمة». في المساء اجتمع كل من ماشا كولوكولتسيفا وليزا أوبولنسكايا وعازف البيانو إيجومنوف، الذي وصل من تفليس. وقد عزف تارانتيللا ونوكتيورن لشوبان، وبالادا روبنشتين، ومقطوعة أندانتا من سوناتا شوبرت، وشيئاً من مندلسون، وكان العزف فاتراً لدرجة أنني لم أعرف ماذا يعزف. أم ربما إنني كنت مريضة جداً، ولم أستطع الإصغاء كما يجب.

لم ألتق ليف نيولايفتش اليوم كثيراً. فقد كتب الكثير من الرسائل. وجأر بالشكوى باستمرار من الأوجاع في خاصرته. وقمت بتدليكه مرة أخرى.

13 يناير. جاء ميشا، وروى كيف حدث يوم أمس في الأرميتاج وعند مطعم يار أن قام السكارى من الطلاب والمحكمين والشيوخ ومختلف الناس بأداء رقصة «ترياكا» الشعبية الروسية بمشاركة 200 شخص، وذلك بمناسبة عيد القديسة تانيا (يحتفل به كعيد طلاب الجامعة). يا لضياع الضمائر! بقيت راقدة في الفراش خلال نصف النهار.

14 يناير. تحسنت حال ليف نيقولايفتش ومنذ الصباح يكتب ويشرب الشاي وهادئ. جاء ألكسندر بتروفتش وبدأ مجدداً باستنساخ النصوص له. وأنا مسرورة، وإلا فسأعاني من الإجهاد الشديد لو قمت بهذا العمل.

أمضينا أمسية جميلة: ليف نيقولايفتش قرأ لنا بصوت عال قصتين لتشيخوف: هما «الحبوبة» وأخرى – نسيت عنوانها – حول الانتحار، إنها في أغلب الظن مقالة. جاء إيجومنوف (عازف البيانو) وأجاد في العزف، المزيد من أعمال شوبان: باركارولا وبالادا ونوكتيورن ومازوركا. وعزف بأفضل شكل مقطوعة باركارولا الرائعة.

15 يناير. جاء في المساء موديست تشايكوفسكي، وإنجليزيان، وناكاشيدزه، وجولدينفيزر وبوميرانتسيف وتانييف. وقد تحدث طويلاً مع ليف نيقولايفتش حول أمر ما، لا أعرف ما هو. وبعد ذلك أجاد ليف نيقولايفتش مجدداً أمام الجميع في قراءة قصة «الحبوبة»، التي حظيت بإعجاب الجميع جداً. لم يتسن لي أن أتحدث مع سيرجي إيفانوفتش، فلا يمكن ذلك بحضور عدد كبير من الناس. وقد عامله ليف نيقولايفتش بطيبة، والحمد للرب.

16 يناير. وردت برقية من سولرجيتسكي يذكر فيها أنه وصل بسلام إلى كندا مع الدوخوبريين، وأعجبتهم البلاد ولقوا هناك استقبالاً جيداً. ومن المقرر أن يصل ابننا سريوجا إلى هناك بعد ستة أيام. أنا بانتظار برقيته على أحر من الجمر، وأفكر وحتى أتكهن بأحواله.

حضرت اليوم برفقة م.تشايكوفسكي بروفة باليه بيوتر تشايكوفسكي «الحسناء النائمة». الموسيقى عظيمة، والإخراج رائع، لكنني أصبحت عجوزاً بالنسبة إلى الباليه، ولهذا شعرت بالضجر، وانصرفت.

17 يناير. جاء إلى ليف نيقولايفتش مياسويدوف برفقة ناظر قلعة سجن بوتيركا الذي شرح له الكثير من الأمور الفنية المتعلقة بالسجون والسجناء وحياتهم وهلم جرا – هذا كله من أجل رواية «البعث».

18 يناير. يوم أمس كتبت التاريخ. لكن لا يستحق الأمر تدوين اليوميات اليوم. فقد جاء في المساء ضيوف: أسرة بولديريف وجولدينفيزر وناكاشيدزه وشخص مهم هو ب.ن. تشيتشيرين. وقرأ لنا مقالته حول عجوزين من طائفة الخليستيين من منطقته اتهما ظلما بارتكاب جريمة، ومن بين الشهود الكثيرين جرى إبعاده وحده، بلا حق، علماً أن العجوز المتهم كان يعمل لدى تشيتشيرين بصفة حارس غابة. جاء إلى ليف نيقولايفتش اختصاصي التدليك في الساعة الثامنة مساء، وشعر ل.ن. بنوع من تأنيب الضمير.

جاء ناظر السجن مرة أخرى لتقديم المعلومات حول السجن والمبعدين وغير ذلك.

19 يناير. انشغلت بالأعمال منذ الصباح فدفعت النقود لحساب إيليا في البنك، كما سددت بعض النفقات. ليف نيقولايفتش منشرح الصدر ويتحدث مع ناظر السجن. أشعر بصداع في الرأس.

20 يناير. فارقني النوم طوال الليل. وفي الصباح جاء خبر سار – برقية من سريوجا من كندا تفيد بأنه وصل بسلام مع الدوخوبريين إلى كندا – وأنه فارق الحياة في السفينة ثلاثة منهم، بينما ولد طفل واحد، وظهرت إصابات بالجدري، ولذا فرض الحجر الصحي على القادمين.

شاهدت معرض اللوحات الفصلي: إن منحوتات تروبيتسكي تنم عن موهبة كبيرة. بينما أغاظني منح جوائز إلى أعمال الرمزيين. ثمة مناظر طبيعية رائعة، كما عرضت لوحتا بورتريه جيدتان لامرأتين: موروزوفا ومورميتسيفا. كما أن الزهور البرية رائعة.

جاء لزيارة ليف نيقولايفتش عدد من السفهاء: نيكيفوروف وكوتيليفا والقابلة، التي كانت معه في أثناء تفشي الجوع، والمدعو زونوف والآخر أوشاكوف...

21 يناير. زرت المعرض البلجيكي. إن كل شيء فيه تشوبه برودة ما، ولا يجذب أي شيء، وثمة نقص في المشاعر، ونقص في الألوان والانفعالات.

أنا أخذت أميل إلى المناظر الطبيعية. أنا أحب المعارض الأجنبية لأنني ألج عندئذ بصورة حقيقية البلاد التي جاءت منها اللوحات: أرى الأزياء والبيوت والأخلاقيات والأعمال والألعاب - ناهيك عن المشاهد. واليوم أذهلني منظر *قلعة فالزين* فوق صخرة.

في المساء جاء تانييف وعزف. إنها أكبر سعادة بالنسبة لي الآن. لقد عزف بأروع شكل مقطوعة فوغا لباخ، وبولونيز لشوبان، ثم عزف Rondo لبيتهوفن، ومقطوعتي فالس لشوبان، وImproptu.

خرج ليف نيقولايفتش اليوم قبل الغداء على صهوة الجواد، فقلقت جداً، لأنه تأخر في العودة كثيراً. وفي المساء جاء ثلاث مرات اختصاصي التدليك وقام بتدليك خاصرته.

22 يناير. قمت اليوم بسبع زيارات، وفي المساء توافد علينا الضيوف، والمزيد من الضيوف. لقد أصابني الإجهاد الشديد. عرجت على سيرجي إيفانوفتش لتقديم الشكر إليه عن مسرات يوم أمس ولمعرفة حال أصابعه التي أصابها الأذى الشديد يوم أمس، حين عزف لنا.

كان لدينا الزوجان آنيكوف وروستوفتسيف الصامت والظريف المعشر دافيدوف والمسكينة بوراتينسكايا والطالب سوخوتين والأب بوتينيف، وعموماً لدي صداع لا يطاق، ولهذا أشعر بالسأم، وأنا خاملة، وثمة كآبة شديدة تضيق على روحي.

وردت رسالة طيبة من أندريوشا، وفيها إضافة من أولجا. إنهما سعيدان بهدوء حتى الآن. ماذا سيكون الحال لاحقاً!

أنا لا أخالط ليف نيقولايفتش طوال اليوم. فهو في الصباح يكتب، ثم يخرج للنزهة، وفي المساء يذهب إلى ميشا في الليسيه، ثم يأتي الضيوف، إنهم كالجدار الذي يفرق ما بيننا دائماً، وهذا يبعث على السأم. ميشا كئيب، لا ينام في الليسيه، وأخشى ألا يصبر في البقاء هناك.

23 يناير. أمضيت اليوم بهدوء وعزلة. ولكنني وجدت الوقت لعمل كل شيء: مطالعة «الموت والخلود في تصورات الإغريق»، والتدبير المنزلي،

والعزف على البيانو خلال أربع ساعات، والجلوس مع ليف نيقولايفتش، وحتى استنساخ بعض التعديلات في النصوص له. في المساء لم يزرنا أي أحد، ما أروع هذا! ذهبت تانيا مع ساشا إلى أمسية رقص، وسافر ميشا، إن ميشا مامونوف فتى ظريف وذكي. أنا أحب الأطفال، وأنا نفسي لم أشب حتى سن الكبار، والأطفال ممتنون وغير حاقدين ويتطلعون إلى عالم الرب بفضول وتعاطف. تحل صونيا مامونوفا ضيفة عندنا، ويبعث على الارتياح جداً طبعها الطيب وتربيتها لدى التعامل معها.

24 يناير. درجة الحرارة 10 تحت الصفر. الجو صاح. قمت في الصباح بزيارات غير موفقة، وفي المساء جاء حشد من الضيوف: عائلة ناريشكين ويرمولوفا والأميرة جاليتسينا والكونت سولوجوب وستاخوفتش وأولسوفييف والصبيان وصربييفا وغيرهما - بلغ عددهم إجمالاً 30 شخصاً. كنت راقدة بسبب الآلام في الأعصاب، فجاءت تانيا وأنهضتني ودعتني للذهاب إلى الضيوف. يبدو أن تانيا قد أقامت هذه الأمسية بمشاركة صونيا مامونوفا، كما لو أن هذا تم عن طريق الصدفة. كان ليف نيقولايفتش حاضراً على الدوام، وقرأ للسيدات بصوت عال قصة تشيخوف «الحبوبة»، وتحدث بحيوية مع الجميع. وبعد ذلك عزف جولدينفيزر سوناتا موزرات وشيئاً من شوبان. أوينا إلى مضاجعنا في وقت متأخر، ودعاني ميشا للتحدث عما إذا سيتحمل مواصلة العيش في القسم الداخلي للمدرسة الليسيه. أنا واثقة من أنه سيغادره.

25 يناير. لزمت البيت طوال النهار. لكن جميع الزائرين حالوا دون قيامي بعمل شيء ما. جاء الأخوان أولسوفييف وقرؤوا «البعث» وشربوا الشاي. ثم تناول ستاخوفتش الغداء. يبدو كئيباً لأمر ما. ذهبت تانيا مع تريبوفا لمشاهدة عرض مسرحية «النورس» لتشيخوف.

ثرثرت مع الفتيات من أسرة تولستوي، وعزفت لوحدي في الظهيرة وفي المساء مع ساشا، ثم مع تانيا على آلة الفيسهارمونيا. جاء ب.ن.تشيتشيرين وستراخوف. تم مرة أخرى تدليك خاصرة ليف نيقولايفتش. جاء الطبيب أوسوف لمعاينته. علماً أن آلام الخاصرة قد خفت، لكن ل.ن. نفسه يحدث

جلبة لا داعي لها جداً، حول إضافة عبارات مقتبسة من الإنجيل إلى بدايات فصول روايته «البعث»، وطلب مني أن أكتب حول هذا الشأن إلى ماركس في هيئة تحرير «نيفا».

ريح، زمهرير، نيران في الشارع. اليوم حين جلست إلى مائدة الغداء عاتبت نفسي لكوني لا أعرف كيف أكون سعيدة تماماً. دار نقاش حاد اليوم. فقال ليف نيقولايفتش إن المرء يكون غنياً لدى امتلاك المبادئ والسعي إلى الكمال الروحي، وقد تكون أفعاله عندئذ ضعيفة، وتنبثق من الرغبات الجامحة للبشر. أما أنا فقلت إذ يمكن اقتراف الخطايا والسقوط أخلاقياً لدى وجود المبادئ، فما الذي يحتل مكانة الصدارة. الأفضل أن تكون لدى الإنسان بدلاً من المبادئ مشاعر داخلية مستقيمة، توجه الإرادة دوماً نحو ما هو خير.

قال ليف نيقولايفتش إن الكمال الروحي بحد ذاته يقود الإنسان إلى الحياة الخيِّرة. بينما أنا قلت بأنه حين يقوم بتطوير نفسه نحو الكمال يرتكب الأفعال السيئة عشرين مرة وأكثر. يجب أن يعرف فوراً ما هو طيب وما هو سيئ، دون انتظار بلوغ الكمال التام المزعوم. إن هذا الطريق الطويل يحتاجه فقط البشر المنحرفون، أما غير المنحرف، فأمره أيسر، فهو لا ينحدر إلى الأسفل، ولا يرتكب المعصية.

الساعة الثانية بعد منتصف الليل. أرسل ليف نيقولايفتش لسبب ما في طلب ماكلاكوف الآن، وأمر بأن يسخن له الطعام. ما أكثر ما يجلب ل.ن. إلى الحياة من هرج ومرج دائماً من دون أن يلاحظ ذلك بنفسه.

26 يناير. أعدت استنساخ التعديلات في «البعث» من أجل ليف نيقولايفتش، وقد ولدت النفور لدي الوقاحة في وصف الطقوس الدينية الأرثوذكسية. وعلى سبيل المثال «مد الكاهن إلى الناس الصورة المذهبة للصليب، الذي أعدم عليه عيسى المسيح *بدلاً من المشنقة*». ووصف طقس المناولة بأنه *حساء بارد* في قدح. إن هذا كله يمثل تحدياً ووقاحة وسخرية فظة من الذين يؤمنون بذلك، وهذا أمر مقرف بالنسبة لي. طالعت قليلاً، واستنسخت اليوميات قليلاً، لم يزرنا أي أحد، ويا لها من سعادة!

29 يناير. أنا لا أذكر تلك الأيام. قمت بزيارات مع تانيا، وعزفت قليلاً، وراودني الحنين والعطف على جميع الأطفال الغائبين. اليوم قمت بأعمال التفصيل والخياطة، وتعبت جداً. فكرت بابني سريوجا، وكيف لحن وعزف لي الأنشودة الشعرية (الرومانس) «نحن التقنيا من جديد بعد فراق طويل» وتنتهي بالبيت التالي: «... صافح أحدنا الآخر بأيد باردة، ثم بكينا، نحن بكينا...». أنا أعلم بأنه ضمن هذه الأنشودة معاناته الروحية وبكى بسببها بكاءً مريراً. إنه *أخرق* وشديد الارتباك، لكنه يتمتع بعمق في المشاعر، وكذلك في جميع قدراته الأخرى. لكنه لم يستطع *الاستفادة* من صفاته. نحن النساء، وبالأخص زوجته، نحب ممارسة لعبة *الغرام* مع الزوج. التنزه في أجواء عاطفية، والذهاب إلى مكان ما، بل حتى أن نعامل بلطف روحياً. لكن لا ينتظر ذلك من الرجال في عائلة تولستوي. وفي كل مرة تفيض نفسي بفورة من مشاعر الرقة الروحية حيال الزوج، – وإذا – لا حاشا الرب – التعبير عن هذا له، فإنه يتصدى لي باشمئزاز، مما يجعلني أشعر بالخجل والحزن بسبب مشاعري. كما أنه نفسه لا يلاطفني، إلا عندما تستيقظ لديه مشاعر الرقة والحنان – لكنها ليست المطلوبة، مع الأسف!

حضرت في الصباح بروفة غنائية، وتمتعت بغناء لافروفا لأعمال باخ. إنها تغني جيداً، وقد لاءم غناؤها مزاجي، فقد كان الغناء جاداً وفيه مسحة من الحزن، في الصالة الفارغة، ولم يعكر أي أحد وأي شيء وحدتي في صمت.

في المساء ذهب ليف نيقولايفتش مع دونايف إلى الحمام العمومي، بينما ذهبت لزيارة آل ماسلوف وجلست نحو ساعة مع فارفارا إيفانوفنا ويوليا أفاناسيفنا. إنهما من أحبائي في هذه العائلة، فهما عطوفتان وطيبتان وذكيتان.

30 يناير. مارست منذ الصباح أعمال الخياطة: في البداية خطت وشاحاً من أجل الحوذي، ثم تنورة حرير لنفسي بواسطة الماكينة. جاء إلى ليف نيقولايفتش الشيخ سولداتينكوف وسلمه 5000 آلاف روبل كتبرعات إلى الدوخوبريين. أنا لا يعجبني أبداً استجداء النقود بهذا الشكل من الأثرياء بعد أن كتب ل.ن. مقالة ذات محتوى سلبي حول *النقود*، واعتبرها *شراً*، ورفضها متخلياً عنها. *والأمر سواء الآن* حين يشتم الموسيقى، بروح

التناقض، بينما قال لي موديست تشايكوفسكي إن هناك رسالة بعث بها ليف نيقولايفتش إلى أخيه بيوتر إيليتش تشايكوفسكي كتب فيها إنه يعتبر الموسيقى من أسمى الفنون ويمنحها *المرتبة الأولى* في عالم الفن.

أنا غالباً ما أفكر في دخيلة نفسي: ألا *يخجل ليف نيقولايفتش من أن يعيش حياته كلها في تناقضات*. وكل شيء لديه يتسم *بفكرة* وله هدف. والهدف الرئيس لديه *أن يصف كل شيء*، كما حدث في الصيف حين كتب مقالته حول الجوع. ولربما هو على حق، فكل إنسان له طريقه في الحياة وقضيته التي يعمل من أجلها.

زرت قبل أيام مدرسة الليسيه وتحدثت مع المدير. إن هذا الإنسان الرائع (جيورجيفسكي) يعامل ميشا أفضل من معاملة أبيه له. إن ميشا بمزاج طيب، وقد غادر القسم الداخلي مجدداً، لكنه بدأ يدرس. درجة الحرارة 12 تحت الصفر، الجو صاف، جمال، قطرات الطل على الأشجار في الحديقة.

في المساء اصطحبت ميشا مامونوف إلى مدرسة الليسيه ثم ذهبت إلى الحفلة الموسيقية السيمفونية بلا رغبة شديدة. لكنها تركت لدي بغتة وعلى غير المتوقع انطباعاً شديداً ومتعة كبيرة. كانت الحفلة السيمفونية الـ 500 وعزفت فيها المقطوعات ذاتها كما في الحفلة الأولى لدى بدء تقديم هذه الحفلات السيمفونية تحت قيادة نيقولاي روبنشتين. وسيطرت عليّ وأثارت البهجة في جوانحي السيمفونية الرابعة لبيتهوفن وخماسية باخ. وأحسست بكل سرور بأن الموسيقى، بالرغم من كافة الاعتبارات، وجميع التأثيرات والعلاقات البشرية، تعتبر بحد ذاتها، عذرية وطاهرة، وتجلب لي المتعة الروحية.

31 يناير. جاء ضيوف منذ الصباح. جاء سافا موروزوف مع زوجته، ويواصل ليف نيقولايفتش، لعدم ارتياحي، طلب التبرعات للدوخوبوريين من التجار الأثرياء.

1 فبراير. يشكو ليف نيقولايفتش من الألم في خاصرته. إنه خلافاً لأوامر الطبيب امتطى صهوة الجواد وذهب إلى روسانوف، وجلب الأذى إلى العضو المريض. تناول الغداء عندنا كل من يونجه والعم كوستيا. وفي المساء جاء

دونايف والمازوف والطالب سترومينسكي، ومرة أخرى دارت الأحاديث بصدد نزع السلاح ومصداقية القيصر لدى الحديث عن السلم، وكذلك حول الماركسية، وحول الموسيقى. إنني لم أشعر بالسأم، وكان الحديث شيقاً وبلا مزعجات. إن ي.ف. يونجه امرأة ذكية وموهوبة، وتهتم بكل شيء.

2 فبراير. تزلجت مع ساشا *وماروسيا* وبعض المعارف بأحذية التزلج. وشعرت بخفة ومرح لدى التزلج! تناولنا طعام الغداء من دون ليف نيقولايفتش، فهو يتأخر دوماً ويتناول الغداء لوحده. وبعد الغداء انهمكت في أعمال الخياطة، ودعوت ليف نيقولايفتش للجلوس معي، فقال إنه سيذهب إلى غرفته لكي يطالع. ولسبب ما شعرت بالكدر الشديد، وذرفت الدموع. في الواقع لا يوجد إنسان وحيد مثلي. ففي الصباح أنا وحيدة، وعند الغداء وحيدة، وفي المساء وحيدة. ويضطر المرء بلا إرادة منه إلى ارتياد الحفلات الموسيقية والاختلاط بالناس الذين يتحدثون معي بجد وبتعاطف على الأقل.

هل شعر ل.ن. بما يعتمل قلبي من غم، أنا لا أدري. وسرعان ما جاء إليّ، لكن جلست معي آنينكوفا.

حفلة موسيقية ممتعة للتشيك. فقد دعوت الثلاثي الموسيقي للعزف عندنا في يوم الأحد.

3 فبراير. تجولت كثيراً بلا هدف، ونفسي مضطربة. عند الغداء جاءنا خبر سار، وردت رسالة من سريوجا من كندا. سجلت عندهم في السفينة إصابة بالجدري، فتم إنزال الدوخوبوريين ومعهم سريوجا في جزيرة، من أجل الحجر الصحي لمدة 19 يوماً. ولم يذكر شيئاً كثيراً حول نفسه، ويبدو أنه أصابه الضنى والإجهاد لقيامه بدور المترجم، ومكابدته من دوار البحر والمشاغل وهلم جرا.

في المساء أقيمت حفلة موسيقية استثنائية لعازف البيانو الشهير والبغيض جداً باديريفسكي. كان سيرجي إيفانوفتش هناك أيضاً.

في البيت جاء إلى ليف نيقولايفتش اختصاصي التدليك الشاب روسانوف، وقام بالتدليك، ثم جاء الغريب ماتفييف وبوتينيف. قرأت «لقاء

مع شخصية شهيرة» للكاتب ميكوليتش (فيسيليتسكي)، وهي ذكرياته عن دوستويفسكي، وأجاد في كتابتها.

4 فبراير. منذ الصباح جلبة: جاءت الظريفة مانيا ستاخوفتش، ثم جاءت أ.ي.ماسلوفا مع تصاوير فوتوغرافية، والتقطت صور لوحات فنية ذات مواضيع مستوحاة من الإنجيل جلبها لنا بوتينيف، وصور الإنجيل للأمير جاجارين، إنها جيدة جداً. ثم انشغلت كثيراً في إصلاح آلة التصوير العاطلة، والتقطت صورة آنا إيفانوفنا. دفء، درجة الحرارة 4، ونحن التقطنا الصور في الحديقة، في الهواء الطلق.

جاءت ماروسيا، واستنسخت نصوص ليف نيقولايفتش. ميشا باق في البيت، قال إنه يشعر بالغثيان، ولم يذهب إلى المدرسة. تناولت الغداء عندنا آنينكوفا وسيرجيينكو. ذهبت في المساء لسماع عزف التشيك مجدداً. كان عزفهم رائعاً، وكان جيداً على الأخص عزف رباعي بيتهوفن. التقيت مع سيرجي إيفانوفتش عند مشجب نزع المعاطف. دار حديث غير سار حول كيف أمضى مساء يوم أمس، ثم ذهب مع م.ن. مورمتسيفا، ورافق الحديث ضحك ما سخيف. فانفجرت قائلة: ما علاقتي بهذا كله! قلت هذا بلهجة صارمة جداً واشمئزار، ففهم ذلك، وارتبك ثم انصرف. خفق قلبي بشدة، وغمرتني الكآبة، الكآبة على نفسي.

وجدت في البيت ليف نيقولايفتش واقفاً عند مائدة الشاي، الطويلة، المنصوبة في الصالة، وحولها شاربو الحليب الذين جاؤوا من محافظة سامارا. وشرب الشاي أيضاً دونايف وآنينكوفا وجوربونوف وناكاشيدزه وفلاح ما، بينما كان ليف نيقولايفتش يفسر لهم مقتطفات ما من الإنجيل، وفهمت أن الحديث يدور حول الأمور الدينية.

أنا لا أفقه شيئاً في الأحاديث الدينية، إنها تنتهك موقفي السامي من الرب، الذي لا يمكن التعبير عنه بأية كلمات. فلا يوجد تعريف لمفهوم الخلود، ولمنتهى السدرة، والحياة في المستقبل، لا يمكن التعبير عن هذا كله بأية كلمات، كما لا توجد كلمات للتعبير عن موقفي، وعن مشاعري حيال التجريد والألوهية غير المحددة التي لا نهاية لها وحياتي الأبدية في الرب.

أما الكنيسة والطقوس والأيقونات فهي لا تعيقني. إنها وسيلة التعامل التي اعتدت عليها منذ الطفولة، عندما تتوجه روحي نحو الرب، وأنا أكون في حالة طيبة عندما أكون في الكنيسة، وفي أثناء الصوم، أنا أحب أيقونة عذراء إيفرسكايا الصغيرة المعلقة دائماً فوق سريري. وقد باركت بها تاتيانا ألكسندروفنا ليف نيقولايفتش حين ذهب إلى الحرب.

سيبيت شاربو الحليب عندنا، وهذا ما لا يسرني.

5 فبراير. حفلة موسيقية استثنائية للعازف بيديريفسكي، وفي الصباح قمت بزيارات، وشاركت في التصوير الفوتوغرافي من قبل آنا إيفانوفنا ماسلوفا. حديث شيق مع سافونوف وسكريابين حول الموسيقى. غمرتني كآبة ممضة طوال اليوم: أنا لا أستطيع قبول القطيعة التي جعلتني أبتعد عن سيرجي إيفانوفتش. لازمني السهاد طوال الليل.

7 – 27 فبراير. لم أدون اليوميات خلال عشرين يوماً. وكما هو الحال دوماً جرت هنا أحداث وانطباعات ولحظات هامة كثيرة. ففي 7 فبراير تسلّمت من كييف برقية بعثت بها فيرا كوزمينسكايا: «الالتهاب الرئوي. ماما في أسوأ حال». في صباح يوم الاثنين غادرت إلى كييف. وفي يوم الأحد عزف جولدينفيزر والمازوف وساتس التريو الثلاثي لبيتهوفن، وسوناتا جريج، بينما غنت الشابة فيرا المازوفا، وحضرت ل.ي.فيسيليتسكايا وآنينكوفا وعموماً كان هناك ضيوف، وكان الجو شديد الوطأة للغاية. وجدت في كييف شقيقتي تانيا مصابة بالتهاب الرئتين الزاحف، وبدت ضعيفة، وبسحنة متورمة، وجميلة ومتألمة ومسرورة بلقائي. أنا لن أصف مرضها، وتأثيري الروحي فيها، وشعوري بالخوف من فقدان أفضل صديق لي، *واكتشافي* المفاجئ حول *ما هو الموت*؟ ويمكنني أن أصف مشاعري وأفكاري فقط بصورة مباشرة، كما يرد ذلك في رسائلي.

عدت إلى موسكو في 19 فبراير. وعرجت على ياسنايا بوليانا لإلقاء نظرة على عش ليوفا الحبيب بالنسبة لي مع دورا وليوفوتشكا الصغير. وكذلك لمشاهدة ياسنايا بوليانا العزيزة دوماً لدي والجميلة.

وجدت الجميع بموسكو بأتم صحة وعافية. لكن ليف نيقولايفتش أحزنني لحد ذرف الدموع بقوله: «حسناً أن جئت، والآن سأذهب إلى أسرة أولسوفييف». لقد كنت متعبة ومنهكة بعد الرحلة إلى كييف، فلم أطق صبراً وانفجرت بالبكاء. وقلت: «بينما أنا فرحت بأن أعيش معك الآن بهدوء!». فارتعب لرؤية دموعي، وقال إنه يسر أيضاً للبقاء معي، ولن يذهب إلى أي مكان، ولم يذهب عندئذ. أنا أشفق على ابنتي تانيا كل الإشفاق لحد الألم. إنها تحقن نفسها بالدواء عبر فتحة في موضع الأسنان المقلوعة. وهذا يعذبها روحياً، بينما هي تعاني أصلاً من الحنين إلى سوخوتين، ولا تستطيع التغلب على مشاعرها حياله. مجموعة من المصائب غير الكبيرة، لكنها تسمم الحياة. وردت من سريوجا رسائل شيقة حول حياة الدوخوبوريين في الحجر الصحي. لم يسمح لهم بعد بدخول كندا.

يعيش عندنا الرسام، الفرنسي التافه، الذي لا نفع منه البتة. سمح له بالإقامة عندنا بلا موافقتي. ولقبه Sinet.

لقيت سيرجي إيفانوفتش لدى عائلة ماسلوف بالصدفة. العلاقة معه أصبحت مجدداً ودية وطيبة.

10 مارس. أنا لم أدون شيئاً في يومياتي منذ فترة طويلة. فقد أصبت بالإنفلونزا في 28 فبراير، ولزمت الفراش خلال ثمانية أيام. وحدثت مضاعفات للمرض بالتهاب القسم العلوي من الرئة اليسرى.

ما هو الأمر الشيق في هذا – أعتقد، لا شيء. وقد ذهب ليوفوتشكا في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل لدعوة الطبيب ب.س.أوسوف. كانت درجة الحرارة لدي عالية جداً، وشعرت بالاختناق. وسرني أن أصاب ليوفوتشكا الفزع وأبدى اعتزازه بي. بينما أظهرت المسكينة ساشا العناية والحنان لي بشيء من الارتباك. وقامت ماروسيا ماكلاكوفا بالعناية بي بمهارة وبحزم وبروح التفاني وباتت ليلتين معي.

يرتاد ليف نيقولايفتش يومياً ورشة تروبيتسكوي في شارع مياسنيتسكايا حيث يقوم هذا النحات بعمل تمثال له في آن واحد على صهوة جواد غريب، وآخر صغير الحجم. هذا يولد الإرهاق، لكنني لا أدهش لموافقته على الوقوف

أمام النحات. وفي الصباح يواصل كتابة روايته «البعث». إنه معافى ومنشرح الصدر. كما يتناول صامتاً وبالإصرار نفسه طعام فطوره لوحده، في الساعة الثانية بعد الظهر، كما يتناول طعام الغداء لوحده عند الساعة السادسة والنصف وحتى في الساعة السابعة. نحن لا نراه أبداً، ويلتقط الطباخ اللحظة المناسبة لكي يقدم الطعام إلى *الكونت*، بينما الآخرون لا يجدون الهدوء والراحة.

جاءت اليوم ثلاث آنسات أبدين رغبتهن في السفر إلى محافظة سامارا لمساعدة الجياع شخصياً، فسلمهن ليف نيقولايفتش رسالة موجهة إلى بروجافين. ووردت برقية من فينيبيج بعث بها سريوجا راجياً إرسال النقود إلى الدوخوبوريين في كندا. علماً أن ليف نيقولايفتش أرسل النقود إلى تشيرتكوف لكي يحولها إلى كندا أيضاً. أنا أتعاطف كلياً مع الجياع الروس والتتار في قازان الذين يحتضرون بسبب داء الإسقربوط والجوع، والذين يعانون من انتفاخ الأجساد والآلام. إنهم بحاجة إلى المزيد من المساعدة وليس الدوخوبوريين الذين خلقوا المصاعب لأنفسهم بأنفسهم.

11 مارس – 21 يونيو. في 11 مارس أصبت بالإغماء في أثناء الحفلة الموسيقية السيمفونية. ولزمت الفراش حتى 8 إبريل. وبعد ذلك واصلت الرقاد وبقيت ضعيفة البدن فترة طويلة. علماً بأنني لم أكن بصحة جيدة منذ رجوعي من كييف. وفي 27 إبريل بقيت طريحة الفراش كلياً بسبب الإنفلونزا. ومن ثم جاهدت للقيام والمشي ثم لزمت الفراش مجدداً.

21 يونيو. لم أدون اليوميات خلال ثلاثة أشهر تقريباً. لم أكن في هذه الفترة أحيا، بل أعاني من المرض روحاً وجسداً. وتحدث الأطباء عن *ضعف نشاط القلب*. وكان النبض يعادل أحياناً 48 في الدقيقة، وهمدت وأحسست بمسرة خفيفة من هذا الخروج البطيء من الحياة. لقد وجدت الكثير من الحب والتعاطف من قبل جميع الأسرة والأصدقاء والمعارف معي في أثناء المرض. لكنني لم أفارق الحياة: فقد أصدر الرب أمره بأن أحيا فترة أخرى. ولأي غرض؟... سنرى...

سأستعيد الذكريات، فماذا كان أهم الأحداث خلال الأشهر الثلاثة

المذكورة؟ لم يحدث أي شيء يستحق الذكر. عاد سريوجا من كندا بسلام، وكان هذا أمراً ساراً. وقدمت ثلاث حفلات موسيقية رائعة بقيادة نيكيش (قائد الأوركسترا) لفلهارموني برلين وكان ذلك مصدر متعة كبيرة.

في 14 مايو انتقل ليف نيقولايفتش إلى القرية. أي سافر مع تانيا إلى بيروجوفو، وفي 19 مايو انتقل إلى ياسنايا. بينما سافرت مع ساشا إلى ياسنايا بوليانا في 18 مايو. وفي 20 مايو سافرت المسكينة تانيا مع ماروسيا إلى فيينا. وفي فيينا أجرى لها Hajek عملية جراحية، وقد تألمت كثيراً، وأنا تألمت بصورة مضاعفة.

في 30 مايو سافر ليوفا مع دورا وليوفوشكا إلى السويد. نحن نعيش في ياسنايا بولينا مع أندريوشا وزوجته أولجا، وساشا ومس ويلش. بينما يعمل نيقولاي نيقولايفتش جي في استنساخ رواية ليف نيقولايفتش «البعث»، وميشا يدرس مع معلمه، وفتى - طالب اسمه أرخانجلسكي.

جاء من موسكو سيرجي إيفانوفتش ولافروفسكايا. عزف سيرجي إيفانوفتش سوناتا بيتهوفن المحبوبة لدي، وكذلك دي مول نوكتيورن لشوبان ذي ست دييزات - فقد انتقى كل ما هو محبب لدي - ومقطوعات أخرى. وفي اليوم التالي عزف رباعيته الجديدة، وفسرها بصورة شيقة إلى ابني سريوجا. تلكم هي مسراتي فقط.

بعد ذلك أصيب ليف نيقولايفتش بآلام في المعدة، وكابد كثيراً طوال اليوم، في 14 يونيو، ولم يبرأ من المرض حتى الآن.

الصيف بارد وممطر.

إن حياة ليف نيقولايفتش رتيبة جداً، فيعمل في الصباح في كتابة «البعث»، ويرسل الجاهز منها إلى ماركس في «نيفا»، ويجري التعديلات في ما تم تصحيحه وفي المخطوطة. إنه يشرب مياه أيمس، وأصبح هزيلاً، وهادئاً، ودبت فيه الشيخوخة في هذا العام.

العلاقات بيننا طيبة جداً: هادئة، يتعاطف أحدنا مع الآخر، بلا عتاب وملامة وبدون مماحكة، كم أتمنى لو بقيت بهذا الشكل دائماً! لكن يحزنني أحياناً وجود شيء من الاغتراب واللامبالاة.

يوم أمس ترك الحدث التالي انطباعاً سيئاً لدي: فقد كلف ليف

نيقولايفتش أحد الفلاحين المتعلم ذاتياً باستنساخ كتبه. ووجدت في أحدها رسالة منسية. ورأيت على الظرف عبارة سجلت بقلم أزرق بخط يد ليف نيقولايفتش، والظرف مغلق. فقرأت ما كتب عليه وفزعت: فهو يكتب لي على الظرف أنه قرر الانتحار، لأنه يرى أنني لا أحبه، وأحب شخصاً آخر، وأنه لا يستطيع تحملِ ذلك... أردت أن افتح الظرف وأقرأ الرسالة، فانتزعها مني عنوة ومزقها إرباً إرباً.

لقد تبين أن الغيرة من «ت»...قد سيطرت عليه لحد الجنون وأراد الانتحار. يا عزيزي، المسكين! هل كان بوسعي أن أحب أحداً أكثر من حبي لك؟ وما أكثر ما كابدت من هذه الغيرة في حياتي! وما أكثر ما حرمت المتع لهذا السبب! لقد حرمت من العلاقات مع أفضل الناس، ومن الرحلات، والتطور، وكل ما يتسم بالأهمية والغنى وعمق المضمون.

قبل يومين أصبت بالإغماء مرة أخرى. أنا أنتظرك وأرحب بك أيها الموت، ولا أجد فيه أي حدود. أنا أنتظره وكأنه استبدال لحظة (حياتنا الدنيوية) من الخلود بأخرى. وهذه الأخرى تبعث على *الفضول*، كما قال لي أحد الأصدقاء.

إن روحي مريضة بالازدواجية. وما أكثر ما تراكم فيها من الكآبة والحزن والغفران والرغبة في الحب وحياة أخرى، مما يجعل من الصعب تحمل مثل هذا التوتر.

«املأ قلبي بالحكمة... وبروح الإيمانِ *والصبر والمحبةِ*».

الطقس حار، وذهبت اليوم للسباحة أول مرة.

26 يونيو. تحذير آخر. يوم أمس شعرت بنوع من الاختناق، وفي المساء والليل انتابتني نوبة اختناق مماثلة تقريباً عدة مرات، مما جعلني أتحمل الألم بجهد جهيد. والشيء الرئيس جرت لي - بشكل فظيع، وبلا إرادة مني - حالات عنيفة من الفواق والتثاؤب التي ضيقت علي الخناق وحجبت عني الهواء، بينما لا توجد أنفاس. ثم زالت. وأسباب ذلك كثيرة: رسالة ليف نيقولايفتش بصدد الانتحار، كما وجه لي ميشا قبل يومين سيلاً من الملامات حول عدم *الإشفاق عليه وعدم تفهمه*.

إنني استخدمت كل ما لدي من حب الأم والطاقة والقدرات، استخدمتها جميعاً، ولكن عبثاً. يبدو أنني *لم أستطع، وليس لم أرغب في ذلك*.

وغالباً ما يعذبني التفكير في أنني لا أستطيع تربية الأطفال (لقد تزوجت وأنا فتاة صغيرة وحبست في القرية لمدة 18 عاماً).

يوم أمس عندما عزفت «منوعات» بيتهوفن تذكرت ما قاله لي أندريوشا منذ أيام: «ماما علميني الموسيقى، وستنهالين علي مجدداً بالصفعات على قذالي...». عندما تذكرت ذلك شعرت بالحزن البالغ بشكل لا يطاق. والآن، لو كان لدي أبناء فما كان بوسعي أن أمسهم بإصبعي، فأنا أبدي لهم كل الحنان. بينما كنت في شبابي أصبو إلى بلوغ *الهدف*، بينما كان الأطفال كسالى وعنيدين، كان التعامل معهم صعباً، وكنت أود أن أعلمهم كل شيء والمزيد، بينما كانت أشغالي المتعددة كثيرة، والوقت يمضي عبثاً، وكل هذا أثار قلقي، وفقدت الصبر. ولذلك كنت أنهال عليهم بالضرب، ولو بصورة خفيفة – فالأم لا تجلب أبداً الأذى والألم لأبنائها – لكنهم مع هذا يتذكرون هذا فقط، وكان بودي أن أقول فجأة: «سامحوني، يا أطفالي، أنا آسفة لأنني ضربتكم على قذالاتكم الرقيقة الطفولية. أما الآن فأنا لا أستطيع ذلك، فقد فات الأوان!».

أعتزم اليوم زيارة الأبناء الكبار والأحفاد. وإذا ما فارقت الحياة في الطريق فأنا أرحب بك أيها الموت مجدداً، أنا مستعدة تماماً له. بينما اندس شيء ما في أعماقي، وانقطعت أنفاسي كلياً، وأحسست بالألم الجسدي فقط.

لقد تعثر ليف نيقولايفتش عند موضع الأحداث في مجلس الشيوخ في روايته «البعث» ورغب في أن يجد أحداً ما يحدثه عن اجتماعات مجلس الشيوخ، وكان يقول للجميع مازحاً: «ابحثوا لي عن عضو في مجلس الشيوخ». إن ليف نيقولايفتش غائب تماماً: إنه يحيا فقط لوحده، ومع أعماله. إنه يتنزه وحيداً. ويجلس وحيداً، ويأتي عند منتصف موعد الغداء أو العشاء فقط من أجل أن يأكل، ثم يختفي عن الأنظار مرة أخرى. يبدو طوال الوقت أنه غارق في التفكير، وصار هذا ينهكه تماماً. لقد بالغ في إجهاد نفسه، ونصحته بأن يأخذ فترة استراحة. علماً أن صحة معدته صارت أفضل، لكنه أصبح نحيلاً جداً، ودبت فيه الشيخوخة والضعف بسبب المرض. يوم أمس ذهب للسباحة أول مرة.

4 أكتوبر. عيد ميلاد تانيا، وقد ذهبت يوم أمس إلى موسكو، التي سافر إليها سوخوتين أيضاً، إنها أرادت أن تقرر نهائياً: هل ستتزوجه أم لا. مسكينة! إنها بلغت سن 35 عاماً، فتاة جذابة وذكية ومحبوبة من قبل الجميع وموهوبة ومرحة – لكنها لم تجد السعادة. إنها أصبحت بائسة جداً: هزيلة وشاحبة وعصبية. ولم يسفر علاجها في فيينا عن أية نتائج. ويتعين غسل كل شيء في الأنف والصدغ مجدداً عبر فتحة الأسنان، وصحتها سيئة عموماً.

يعيش عندنا أحفاد إيليا منذ أسبوعين ونحن نبتهج بهم ونرعاهم بحنان. حقاً إن الأحفاد ظرفاء، – لكنهم ليسوا *أطفالي*. ولا يمس قلبي الحب *العليل* للأم، كما لا تزهر شجرة التفاح مرة ثانية في الصيف.

سافرت إلى موسكو مرتين. في المرة الأولى أجريت الحسابات مع ن.ن.جي ممثل التعاونية الذي استحوذ على 6000 روبل لا يعرف مصيرها. وفي المرة الثانية التمست إلحاق ميشا بفوج سومسكوي. وزرت الأمير المعظم سيرجي ألكسندروفتش ورجوته قبول ميشا في الفوج بصورة إضافية. وقد أبدى غاية الدماثة واللطف، وبالرغم من عدم شرعية هذا الإجراء، تم قبول ميشا في فوج سومسكوي.

أما عملية محاسبة ممثل التعاونية فكانت ثقيلة الوطأة معنوياً. ووجب اتخاذ الموقف من منطلق القيم المسيحية والعدالة، بدون تقويض العلاقات الطيبة وفي الوقت نفسه السليمة. وقد ساعدني الرب في ذلك.

غالباً ما كنت ألتقي سيرجي إيفانوفتش. يبدو أنه قد ترسخت علاقات الصداقة القائمة على الثقة المتبادلة. وكف ليف نيقولايفتش عن إبداء الغيرة. فأية علاقات غرامية لمن هم في سننا؟! شيء مضحك.

فكرت في قضاء الشتاء في ياسنايا، في حالة عدم قبول ميشا في الفوج المرابط بموسكو. والآن لا أقدم على تركه وسأبقى بموسكو مجدداً. أما ليف نيقولايفتش فيقول الأمر سواء بالنسبة له أين يعيش. آمل أن يكون صادقاً في ذلك.

إن حياته رتيبة كالسابق: في الصباح يكتب، وفي الساعة الثانية يتناول طعام الغداء، ثم ينام، وبعد ذلك يتنزه ماشياً أو يمتطي صهوة الجواد، وفي المساء يطالع.

حالته الصحية أفضل.

11 أكتوبر. انصرمت في ياسنايا بوليانا عدة أيام أخرى، مترعة بالمشاغل، والرتيبة. وردت رسالة واحدة من تانيا كتبت فيها أنها مطمئنة وسعيدة، مدركة بأنها بأياد طيبة. معنى ذلك أنها قررت الزواج من سوخوتين.

قبل يومين خرج ليف نيقولايفتش للنزهة في المساء من دون أن يبلغني إلى أين ذاهب وكيف. وكنت أعتقد أنه خرج على صهوة الجواد، علماً بأنه كان في هذه الأيام يعاني من السعال والزكام. وهبت عاصفة مع تساقط الثلج والمطر، واقتلع سقف البيت والأشجار واهتزت الأطر وساد الظلام – لم يبزغ القمر بعد – بينما لم يرجع ن.ل. خرجت إلى مدخل البيت، ووقفت عند مدرج الشرفة، وانتظرته وقد غلبني التشنج في البلعوم، وتوقف نبض القلب، كما في أعوام الشباب حين كنت أنتظر عودته من الصيد على مدى ساعات بقلق ممض ومترع بالألم. وفي نهاية المطاف عاد من نزهته البعيدة، متعباً وجسمه يتصبب بالعرق. كان السير وسط الأوحال مجهداً، ولهذا فهو متعب، لكنه أبدى جسارة. وعندئذ صرت أذرف الدموع وأنهال عليه بالملامات لكونه لا يرعى نفسه، وكان بوسعه أن يبلغني بأنه ذاهب وإلى أين. فرد على جميع أقوالي العنيفة والحانية بشيء من السخرية: «وماذا لو خرجت، أنا لست صبياً، لكي أبلغك».

– «لكنك لست معافى».

– «وهناك المطر والثلج والعاصفة...».

– «المطر والرياح موجودة دائماً».

اجتاحني الألم والكدر. فكم أمنحه من الحب والرعاية بينما أتلقى البرودة في روحه!

أنا أحيا كالآتي: في الصباح العمل، الرسائل. وبين 12 و2 ظهراً أقف أمام الرسام إيجومنوف الذي يرسم لوحة بورتريه رديئة لي. وبعد الغداء أتنزه أو أطبع نسخ الصور الفوتوغرافية، وأعطي درساً باللغة الألمانية لساشا بين يوم وآخر. ثم أعزف، وفي المساء أستنسخ مع أولجا صفحات «البعث» من أجل ليف نيقولايفتش. يوم أمس عزفت مع أولجا عزفاً ثنائياً بأربع أيد على البيانو السيمفونيتين الخامسة والثامنة لبيتهوفن. يا لهذا الجمال وغنى الأصوات! كنت سعيدة وهادئة جداً بعد الموسيقى.

خريف الأوحال والبرد. أعتزم السفر إلى موسكو.

31 ديسمبر. هذا آخر يوم من العام الحزين! ماذا سيجلب العام الجديد.

في 14 نوفمبر تم زفاف تانيا وميخائيل سيرجييفتش سوخوتين. كان هذا متوقعاً. وقد شعرت بهذا، وبأنها استنفدت كل طاقتها، *وأنهت* حياة العذرية.

إن هذا الحدث ترك لدينا نحن الوالدين ألماً دفيناً لم نشعر به منذ موت فانتشكا. وعندما ودعنا تانيا، جاءت إلى الطابق العلوي، هي المعذبة والمتكدرة، بفستان رمادي وقبعة، قبيل الذهاب إلى الكنيسة، راح ليف نيقولايفتش ينتحب بشكل كما لو أنه يودع أعز شيء في الحياة.

ونحن - أنا وهو - لم نذهب إلى الكنيسة، كما لم نستطع البقاء سوية. وبعد توديع تانيا ذهبت إلى غرفتها الخاوية وذرفت الدموع الساخنة، وبلغ الكرب أقصاه، الأمر الذي لم يحدث منذ وفاة فانتشكا.

لم يكن هناك ضيوف: أبناؤنا، باستثناء ليوفا وماشا، وولداه وآخرون.

لم تستطع تانيا وسوخوتين السفر إلى الخارج في ذلك اليوم لتعثر الحصول على التذاكر في عربات النوم في القطار، ولهذا بقيت تانيا يوماً آخر في بيت الوالدين، بينما ذهب سوخوتين للمبيت لدى شقيقته.

في اليوم التالي ودعناهما إلى فيينا، ومن هناك سافرا إلى روما حيث يقيمان هناك الآن. هل إنها سعيدة؟ أنا لا أفهم شيئاً من رسائلها الطويلة. إنها تتضمن الوصف أكثر من أي شيء.

تكدر ليف نيقولايفتش وذرف الدموع الغزيرة على تانيا وفي نهاية المطاف أصابه المرض حيث شعر في 21 نوفمبر بألم شديد في المعدة والكبد، وهبط نبضه خلال يومين، وكانت درجة حرارته 35.5. أعطيت له أدوية منشطة ونبيذ وقهوة وكافيين صب في القهوة عن طريق الخداع وقطرات هوفمان وغيرها. وتولى علاجه بافل سيرجييفتش أوسوف اللطيف والظريف، الذي تولى علاجي في الربيع الماضي أيضاً. وأنا عاجزة الآن عن وصف كيف اعتنينا بليف نيقولايفتش، وما كلفني هذا من جهد معنوي وجسدي. وكان الجانب المعنوي هو الأكثر عناء. لقد أفسده المديح والإعجاب به في العالم بأسره ولهذا نظر إلى جهودي الخارقة بكونها شيئاً لازماً فحسب... لكننا نحن الزوجات لسن بحاجة إلى شهرة الأزواج، بل إلى محبتهم الحانية.

ها قد مضت ستة أسابيع وتحسنت الحالة الصحية لليف نيقولايفتش. لكنه لم يشف من المرض كلياً. فقد بقي استرخاء الأمعاء، والكبد المريض والتهاب غشاء المعدة.

كانت ممارسة هواية الرسم وسيلة كبرى لإلهائي عن المصيبة خلال فترة مرض ليف نيقولايفتش. أنا لم أتعلم الرسم أبداً ولم أمارس التصوير باستخدام الألوان المائية، ولكنني تلبية لطلب ابني إيليا نقلت له عن صورة للفنان سفيرتشكوف رسوم حصانين: اليعبوب[1] في أيام شبابه واليعبوب في شيخوخته. وكانت نتيجة التصوير موفقة جداً، وحصلت على ثناء الجميع، وقد ابتهجت لذلك.

أنا كابدت كثيراً روحياً. وقد بات *واضحاً* لي لأول مرة في حياتي بأنني يمكن أن أفقد زوجي وأبقى وحيدة في هذه الدنيا. وجلب هذا لي ألماً فظيعاً في القلب. وإذا فكرت بهذا باستمرار فيمكن أن أصاب بالمرض مجدداً.

يسكن عندنا ميشا وكوليا وأندريوشا مع أولجا الحامل في الشهر الخامس، وكانت قد وارت أبيها الثرى لتوه.

من هذه الناحية هناك مصيبة واحدة: إن أندريوشا غليظ ويتعامل بتسلط ومماحكة مع أولجا اللطيفة والذكية والوديعة. أنا لا أستطيع التطلع إلى معاناتها وتعاستها. وأنا أعنفه وألومه باستمرار، بينما هو يبدو كالمجنون وليس كالإنسان الطبيعي. إنه مصاب أيضاً بمرض في الكبد، وستعاني هذه المرأة المزيد بسبب مرض الكبد الموروث – المنكود هذا. لقد عاني ليف نيقولايفتش من هذا المرض أيضاً، بينما كابدت من ذلك أنا.

إن الحياة عموماً صعبة! أين السعادة؟ أين الطمأنينة؟ أين المسرة؟ إنها في عالم الأطفال الذي ولجته للتو حين ذهبت لزيارة الأحفاد في جرينيوفكا، حيث أقمت لهم شجرة عيد الميلاد، وتوغلت في هذا العالم الظريف والجاد للأطفال، الذين يرغمونني بلا إرادتي على الإيمان بالحياة وبأهميتها وبقيمتها. وكذلك في الطبيعة الهادئة والنقية، التي عشت فيها مجدداً خلال هذه الأيام الثلاثة، حين متعت النظر بالحقول البيضاء وبقطرات الطل المتألقة بنور الشمس، والتي تغطي الغابات والحدائق.

---

1 – اليعبوب هو الحصان السريع الجري، وهذه تسمية قصة بقلم ليف تولستوي. (المترجم)

أنا أحيا ما بين يوم وآخر. بلا هدف، وبلا موقف جاد من الحياة، التي تعبت منها أشد التعب. أكتب رواية طويلة، وهذا يولد الاهتمام لدي. وأسعى إلى تحلية حياة المحيطين بي، بل إلى عدم تسميمها. وأسعى إلى أن أحمل السلام والمحبة إلى العائلة وبين البشر. عيناي تجنحان إلى العمى وتؤلمانني. ولتكن في هذا كله إرادتك يا رب!

نهاية عام 1899.

1900

5 نوفمبر.لم أدون يومياتي خلال عام تقريباً. ولن أعمد إلى استرجاع أحداث العام. ولعل أكثرها إيلاماً – ضعف البصر. فقد تدفق السائل الأبيض في العين اليسرى، وكما قال البروفيسور طبيب العيون فقد حدث نزيف دموي داخلي، مجهري تقريباً. أنا أرى دائماً حلقة سوداء أمام عيني اليسرى، وأشعر بوجع خفيف متواصل في العين وغشاوة في البصر. حدث هذا في 27 مايو، ثم فرض علي الحظر في القراءة والكتابة والعمل وأي إجهاد. كان نصف العام بلا نشاط ثقيل الوطأة، والعلاج بلا هدف محدد، وعدم ممارسة السباحة، وانعدام النور، والحياة الفكرية...

لم أعزف على البيانو كثيراً، والأعمال المنزلية مضنية وكثيرة. غرست أشجار التفاح والأشجار الأخرى، وتطلعت بحزن إلى الصراع الأبدي من أجل التواجد مع الناس، وإلى لصوصيتهم وفسقهم، وإلى وجودنا غير العادل والثري وضرورة العمل في أثناء المطر والبرد والأوحال ليس بالنسبة إلى الكبار فقط بل والأطفال أيضاً مقابل 15 وأحياناً 10 كوبيكات في اليوم.

سافرت مع ساشا إلى موسكو في 20 أكتوبر، أنا نشيطة في الحركة، ومستعدة للقاء كل ما هو طيب، ولمخالطة الناس، وبهجة رؤية الأشخاص المحبوبين والأصدقاء. والآن هبطت معنوياتي مجدداً.

غادر ليف نيقولايفتش ياسنايا بوليانا إلى ابنته تانيا في كوتشيتي في 18 أكتوبر، وعاد منها إلى موسكو في 3 نوفمبر وهو مريض، طبعاً. لقد تجمدت كافة الطرق بعد تساقط المطر ووجود الأوحال طوال شهر، وأصبح التنقل يتم بارتجاج شديد بسبب وعورة الطريق. لكنه سار مشياً على الأقدام إلى المحطة، وضل الطريق المجهول لديه، وسار خلال أربع ساعات والعرق

يتصبب منه، ثم ركب عربة متأرجحة أوصلته إلى المحطة. والآن يعاني مجدداً من الآلام في البطن، ويتم تدليكه بشدة وهلم جرا.

لقد جلب مجيئه المسرة فحسب. إنه قاتم السحنة ومهموم النفس، ولم يستطع ممارسة أي عمل منذ أن افترقنا. بينما كان قبل افتراقنا متهلل الأسارير ويفيض حيوية ونشاطاً، وبأي بهجة كتب الدراما «الجثة» وعموماً عمل.

عندما استقبلته في طريق السكك الحديدية، حدق فيّ بإصرار، ثم قال: «ما أحلاك، أنا لم أتوقع أن تكوني حلوة هكذا!».

انشغلت أمس واليوم في ترتيب أوراقه وكتبه. وجاء *أصدقاؤه:* جوربونوف وناكاشيدزه وبولانجيه ودونايف وغيرهم. إنهم يفكرون بإصدار مجلة بمشاركة كويتبين بلا موهبة مثل تشيرتكوف وبيريوكوف، بينما سيستغلون ليف نيقولايفتش لتحقيق مآربهم.

زرت ميشا في ضيعته الجديدة، وشعرت بالإشفاق عليه، فهو وجل مثل الطفل، ويبدأ الحياة بلا حذق وتجربة. كما زرت تانيا في الصيف، وأندريوشا في الخريف. وجميعهم يبدؤون حياة جديدة. ذهبت اليوم مع ساشا وميشا سوخوتين إلى بروفة عرض «البيت الجليدي» لكوريشكين. كانت هناك ف.ي.ماسلوفا والزوجان ماكلاكوف وسيرجي إيفانوفتش وغيرهم. ثمة شيء جديد لدى سيرجي إيفانوفتش. لقاءاتنا نادرة، وإذا ما التقينا – فيبدو كما لو أننا لم نفترق.

لازمني طوال الخريف الشعور بالكآبة في أعماق الروح، لا ثلج، لا شمس، ولا مباهج في الحياة – كما لو أنني أعيش في كابوس ثقيل. ولماذا أستيقظ – هل لمشاهدة مسرات جديدة، أو الموت أو مصيبة ثقيلة توقظ الروح المكتئبة! سنرى...

في المساء عملت مزيج حقنة شرجية بزيت الخروع وصفار البيض من أجل ليف نيقولايفتش، فيما كان يتحدث مع جولدينفيزر، الذي يصغي إليه بخنوع، ويقنعه بأن السلطة العليا في أوروبا أصبحت جسورة ووقحة بلا حياء في أوامرها وأفعالها.

6 نوفمبر. استيقظت في وقت مبكر، وذهبت إلى ثكنات كروتيتسكي

لكي أرجو بطلب وتوسلات أم الجندي كومولوف من أجل إبقائه بموسكو. بلغت المبنى الكبير، ووجدت في الباحة بعض المجندين الشباب وزوجاتهم وأمهاتهم - حشد من الناس. وسألت أحد الجنود أين القائد العسكري؟ فقال الجندي مشيراً إليه «ها هو آت». وفعلاً رأيت شخصين قادمين نحوي. لو تأخرت دقيقتين لما كان بوسعي عمل أي شيء، وعندئذ قدمت الالتماس الذي قبل بكل طيبة خاطر، ثم ذهبت لكي أرجو دفع المكافأة للكاتب عن مسرحية «ثمار التنوير». وكانت هذه النقود توجه دائماً لإنفاقها على الجياع أو على المنكوبين في الحرائق من الأهالي. أنا ذاهبة إلى هناك الآن. استلمت مبلغ 1040 روبلاً عن عدة أعوام.

رجعت إلى البيت منهكة الأوصال، ثم جلست لمراجعة الحسابات المتعلقة بالإصدارات. لكن حال دون ذلك ي.ب. رايفسكايا والطالب أوكولوف الذي رجاني أن أشتري له تذكرة إلى عرض مسرحي، وابن أخي الضابط بيرس، ثم فاريا ناجورنوفا التي فرحت بها كثيراً. وهكذا تخليت عن أشغالي. وفي المساء جاء دونايف، والتحق بنا ليف نيقولايفتش في الطابق الأسفل، فجلس وتبادل الأحاديث. عزفت مع فاريا السيمفونية الثانية لبيتهوفن وLarghetto - روعة! عندما ذهبت إلى غرفة الطعام وقف ألكسندر بتروفيتش ناسخ أعمال ليف نيقولايفتش بحالة سكر وأطلق الشتائم بالقرب من باب غرفة الطعام. وطفقت أقنعه بالذهاب إلى النوم، لكنه زاد من الشتائم، الأمر الذي استوجب اتخاذ تدابير أشد لتهدئته. لقد كان هذا عذاباً معنوياً شديداً بالنسبة لي! وعموماً فإن رؤية السكارى كانت تفزعني منذ الطفولة، وأنا حتى الآن أود البكاء لدى رؤيتهم. أما ليف نيقولايفتش فيتحملهم بصبر، وفي أيام الشباب كما أذكر كان يتسلى ويضحك لدى مشاهدة أفعال الراهب العجوز النبيل فويكوف حين يكون في حالة سكر، ويرغمه على التقافز والثرثرة بالسخافات وإبداء المزحات التي كان يضحك عليها.

وهكذا ضاعت جميع الانطباعات عن سيمفونية بيتهوفن، وحلت محلها الانطباعات عن المخمور ألكسندر بتروفتش.

12 نوفمبر. ذهبت في الصباح إلى الملجأ الذي أتولى رعايته، وقد ألممت

اليوم بأنماط الأطفال، الذين تم جمعهم في الطرق والحانات، الأطفال الذين ولدوا مصادفة من قبل فتيات هالكات، ومن السكارى، المصابين بصورة وراثية بالغباء وبالنوبات العصبية والعيوب والرذائل وبالهستيريا وبالشذوذ... ودار في خلدي بأن هذا العمل الذي أشارك فيه لا يعتبر خيراً *تماماً*. فهل ينبغي إنقاذ ورعاية حياة أفراد لا مستقبل لهم؟ علماً أنهم يجب حسب قواعد الملجأ أن يغادروه لدى بلوغ سن 12 عاماً فقط.

رجعت إلى البيت، وشعرت بألم نورالستي يعذبني، تارة في هذا الموضع من الرأس وتارة في موضع آخر. جلست إلى البيانو وبدأت أتعلم عزف السوناتا الخامسة لبيتهوفن، لكن حال دون ذلك جليبوف الذي يتزوج ميشا ابنته. ثم جاءت لافروفسكايا. يقال إنها بلهاء، بينما أنا أجد فيها الكثير من الخصال الطيبة القلبية والفنية.

جاء سريوجا، إنه يجلس طوال النهار، متعمقاً في حل مسائل الشطرنج. أمر غريب! في المساء ذهبت مع ساشا لمشاهدة عرض مسرحية «ثمار التنوير» في مسرح مالي. أنا لا أحب الفكاهة ولا أستطيع الضحك... هذا أحد عيوبي. لدى عودتي إلى البيت وجدت إيجومونوف، وكان يعزف في غيابي مع الأسف، والدكتور العزيز أوسوف الذي كان يلعب الشطرنج مع ليف نيقولايفتش.

يتساقط ثلج رطب وبوفرة. أخيراً!

قبل يومين، في 10 نوفمبر، زارنا سيرجي إيفانوفتش وعزف سيمفونيته بأربع أيد في عزف ثنائي مع جولدينفيزر.

في 9 نوفمبر ذهبت برفقة ساشا وفاريا ناجورنايا وميشا سوخوتين إلى حفلة تونيا وآوير الموسيقية.

روى ليف نيقولايفتش اليوم لدى الحديث عن رداءة الطرق كيف أنه لدى خروجه من بيت تانيا في كوشيتي سار مشياً على الأقدام إلى المحطة فضل الطريق، ولم يعرف مساره. فقابل فلاحين ورجاهم أن يرافقوه، لكنهم كانوا يخافون الذئاب فرفضوا ذلك، لكن أحدهم وافق على مرافقته حتى الطريق العام حيث انطلق للقائه في المحطة سفيربييف وسوخوتين. لكنه مع هذا تسكع حوالي أربع ساعات وعاد إلى موسكو عليلاً ومحطماً تماماً.

علاوة على ذلك أطبق باب عربة القطار على إصبعه حين ذهب إلى هناك، وما زال حتى الآن يرتاد العيادة الطبية لتغيير اللفائف، فقد سقط الظفر، ولم يستطع الكتابة طوال ثلاثة أسابيع.

13 نوفمبر. جاءت تانيا مع زوجها، وكانت قد زارت سنيجيرييف الذي وجد أن الحمل لديها على أتم وجه. وعندما رأى ليف نيقولايفتش تانيا فرح كثيراً لدرجة أنه لم يصدق عينيه وردد «لقد جئت؟ يا للعجب!».

ذهب ليف نيقولايفتش وميخائيل سيرجييفتش وميشا وسريوجا إلى الحمام العمومي في المساء. جلست مع تانيا، وقد أصبحت غريبة، وانغمرت كلياً في المشاغل المالية لأسرة سوخوتين. وقالت عندئذ نفسها: «لقد أصبحت كلياً مثل مارثا»[1].

كما جاء الشباب من آل ماكلاكوف: ماشا ونيقولاي. وفي المساء لعب ليف نيقولايفتش الشطرنج مع ميخائيل سيرجيفتش. أما سريوجا فهو حتى بائس: إنه يجلس صامتاً منذ الصباح أمام رقعة الشطرنج بسحنة تنم عن الجد، ويحل المسائل، ويستمر هكذا حتى حلول الليل.

أشعر بالكآبة في أعماق الروح، بينما يعاني جسدي من الآلام النورالستية. أصبحت الحياة صعبة جداً: إن الشعلة الداخلية التي يمكن أن تدفئ الحياة، تقوم بالتهامها، لأنه يجب إخماد اللهب المندلع في الخارج.

بدأ ليف نيقولايفتش اليوم بالكتابة مجدداً، إنه اليوم الأول الذي يستطيع فيه الكتابة. لقد عاش معي، ومع رعايتي له، واسترجع فوراً عافيته وانفرجت أساريره.

15 نوفمبر. أشعر بوعكة، زكام، وجع خفيف في كل أقسام الجسم، صداع. أجلس لليوم الثالث في البيت. عزفت اليوم طوال ثلاث ساعات: Etude «Auf Fluglen des Gesang`s» لمندلسون، وسوناتا بيتهوفن. زارنا الضيوف طوال اليوم: آل بيساريف، ورايفسكي وسنجر، ومن آل ناريشكين

---

1 – المقصود بها مارثا الوارد ذكرها في الإنجيل التي تضطرب وتهتم بأمور كثيرة (إنجيل لوقا،10، 41 – 42). (المترجم)

الأخ والأخت، وبوتينيف مع ابنته، وماروسيا، وآل بتروفسكي، ودونايف، وبولانجيه، وستراخوف، وجوربونوف... أكابد جلبة ثقيلة الوطأة لدى المعاناة بسبب الصداع الشديد، والاهتمام بإطعامهم، وتبادل الأحاديث معهم.

أنا نادراً ما ألتقي تانيا. إنها مشغولة كلياً بزوجها. ليف نيقولايفتش مريض، يعاني من ألم في بطنه ولم يتناول طعام الغداء. وهو وكذلك أنا في مزاج عكر. إنه يخاف ويعرب عن عدم رضاه حين ألتقي سيرجي إيفانوفتش، بينما أنا أكابد الغم بدونه، وبدون الموسيقى، ولا أريد أن أكدر ليف نيقولايفتش، لكنني لا أستطيع بدوري معاناة الكدر. إن هذا كله شيء محزن ولا يمكن إصلاحه.

20 نوفمبر. جاء يوم أمس ضيوف: أحدهم من جزيرة جاوة، يتكلم الفرنسية، والآخر من رأس الرجاء الصالح يتكلم الإنجليزية. كان حديث الأول شيقاً وذكر بأنه تسير في عاصمة جاوة عربات ترام كهربائية، وتوجد دار أوبرا، ومعاهد تعليم عال، بينما يوجد في الأقاليم آكلو لحوم البشر، وعبدة أصنام حقيقيون. أغرم هذا الرجل بمطالعة المؤلفات الفلسفية لليف نيقولايفتش وجاء *خصيصاً لرؤيته والتحدث معه.*

البيت يغص بساكنيه: جاءت الكنة صونيا مع الصبيين أندريوشا وميشا، وتحيا عندنا تانيا مع زوجها وطفلها، ويو.إ.ايجومنوفا، وسريوجا، وميشا. ويوم أمس وقعت حادثتان غراميتان: ميشا مع لينا التي قضت يوم أمس النهار كله عندنا في البيت، وهي فتاة ظريفة وجادة، بينما أغرمت ساشا بيوشا ناريشكين. ولا أعرف ما ستكون الخاتمة...

أنا أحب حينما تكون الحياة حوالي مترعة بالسخونة والحيوية. بيد أنني لم أعد قادرة على المساهمة فيها، كما في السابق. إن الحياة المضطرمة، والقلبية دائماً من جميع النواحي وفي العلاقات في الأسرة ومع الغرباء، قد أحرقت قلبي. ودب فيه الضنى.

زرت يوم أمس ماروسيا المريضة، وانشغلت في الأمور البيتية، وأصغيت إلى عزف جولدينفيزر (لسوناتا «Appassionata» لبيتهوفن، ومقطوعات لشوبان وغير ذلك) بكل ارتياح، لكنني أويت إلى الفراش بروح خاوية، فما

زلت عليلة. كما أن ليف نيقولايفتش ما زال يعاني من السعال والزكام. إنه في الأمسيات يولع بالشطرنج ويلعب ساعات طويلة مع ميخائيل سيرجيفتش، أو مع سريوجا وجولدينفيزر وآخرين.

21 نوفمبر. في الصباح ضجة ولغط كالعادة. زرت أسرة جليبوف. لينا فتاة لطيفة ومحبوبة.

في المساء ذهبت صونيا مع الأحفاد لمشاهدة عرض «روسلان ولودميلا»، بينما انهمكت في عزف مقطوعة لشوبان وكذلك «des Gesang`s Auf Fluglen» لمندلسون. ثم جاءت مارتينوفا، وكذلك جولدينفيزر وتانييف. وقد عزفا «سيمفونية» موزارت عزفاً ثنائياً بأربع أيد. من المؤسف أن سيرجي إيفانوفتش لم يعزف لوحده. كان ليف نيقولايفتش كثير الكلام وطيب المعشر مع سيرجي إيفانوفتش وقد سرني ذلك. أنا أحبهما كليهما.

22 نوفمبر. استنسخت صوراً فوتوغرافية، وقست الفستان، ومشيت كثيراً. عرجت على سيرجي إيفانوفتش لمشاهدة معدات تمارين الجمباز. وقد عزف لي مقطوعتين لحنهما للكورال. أنا لم أدرك مغزاهما فوراً كالحال دائماً: إحداهما من كلمات تيوتشيف والأخرى من كلمات خومياكوف «النجوم».

وكما هو الحال دوماً فقد تركت مقدمته Interieur`a انطباعاً بالغاً لدي: جلس هناك تلميذه جيلايف، مركز الذهن، ومنهمكاً في تصحيح النوتات، والمربية نائمة في الغرفة شبه المظلمة، وخرج إليّ سيرجي إيفانوفتش البشوش والجاد والهادئ. تحدثنا بجد وبهدوء. أبدى اهتمامه بكل شيء ببساطة وبلطف: سألني عن تانيا وليف نيقولايفتش الذي وجده كئيباً ونحيلاً، وعن حياتنا المترعة بالهموم والمشاغل التي تقلقني وتعكر مزاجي وأعصابي.

في المساء جاء سوفورين مع أوبولينسكي والدكتور رحمانوف الذي يصحبه سوخوتين معه إلى القرية. تحدث سوفورين مع ليف نيقولايفتش عن ازدياد عدد القراء والإقبال الكبير على اقتناء الكتب.

جاءت صونيا في وقت متأخر وثرثرت مع تانيا وجولي (ايجومنوفا) وصونيا وذهبن للنوم في حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل.

23 نوفمبر. اليوم غادرت تانيا مع زوجها عائدين إلى بيتهما في القرية، ولديهما النية في العودة إلى موسكو لاحقاً من أجل ولادة الطفل. لقد افترقنا معها، على أي حال، حتى نهاية يناير، ولولا الخمول الذي انتابني لكان فراقها مؤلماً مجدداً. كما يغادر سريوجا وميشا وغداً تسافر صونيا مع الأحفاد. وغلب عليّ الخمول الشديد مجدداً حتى لم أعد أشفق على أحد، ولا أبتهج للقاء أحد، بينما أشعر دوماً بأنني فقدت شيئاً ما بلا رجعة، وبضعف، وبحال من الكدر الروحي، والخواء، وعدم وجود هدف في الوجود وغياب صديق قريب، وغياب الحب، والرعاية.

إنني أتكهن بصعوبة *بما* يحيا زوجي. إنه لم يعد يحدثني البتة عما يكتبه، وعن أفكاره، وصار يشارك في حياتي بقدر أقل فأقل.

24 نوفمبر. اليوم ومنذ الصباح حدثت جلبة: فقد سافرت صونيا مع الأحفاد، بينما جاء شقيقي ستيوبا الكثير الضجيج. ويلومني سريوجا لكوني أرفض الذهاب إلى كاتب العدل الآن بالذات. ثم نزل ليف نيقولايفتش المتعب إلى الطابق الأسفل لتناول طعام الفطور، وجاء أيضاً سوليرجيتسكي الكثير الضجيج، وجاء بورينين. وتحدثوا عن المسرح وعن الأدب المعاصر، وأردت الاستماع إليهم، لكن حال دون ذلك لغط الأصوات حولي.

ثم تكدرت لأن الفستان لم تتم خياطته بصورة جيدة، ومن ثم بدأت الزيارات لحضور عيد القديس شفيع من يحمل اسم يكاترينا. يكاترينا ميخايلوفنا دافيدوفا مريضة. ويكاترينا فيودوروفنا يونجه باكية بسبب تجنيد ابنها في الجيش لمدة ثلاث سنوات. ويكاترينا أدولفوفنا دونايفا حزينة لفقدان شقيق زوجها الحبيب. لكن الحفل لدى يكاترينا بتروفنا يرمولوفا كان أكثر مرحاً: زهور، وزينة السيدات، وألق حياة الطبقة الراقية. أما الجو لدى آل سفيربييف والمحيطين بهم فيتسم بالبشاشة، لكنه مترع بالخواء.

في المساء زرت المريضة ماروسيا، بينما ذهب ليف نيقولايفتش إلى الحفلة الموسيقية في دار المجانين. أنا غالباً ما أشعر بالحزن بسببه: فهو يرغب أحياناً في سماع الموسيقى والتسلية، لكن يحول دون الذهاب إلى الحفلة الموسيقية والمسرح وأي مكان آخر لبس القميص والمبادئ.

في وقت لاحق جلسنا في البيت وشربنا الشاي: ليف نيقولايفتش وشقيقاي وسريوجا وأنا. تحدثنا عن الحفلة التي يذهب ريعها إلى دار الأيتام، وكنت أود أن أقرأ فيها بعض أعمال ليف نيقولايفتش غير المنشورة، لكن الأهل عارضوا ذلك.

27 نوفمبر. مرضت مرة أخرى: لزمت الفراش يوم 25 نوفمبر كله، ويوم أمس بقيت في الفراش حتى الساعة الثالثة، ونهضت ومشيت بصعوبة، بلا أفكار، وبلا رغبات، كآبة... في المساء جاء الأمير شيرينسكي – شيخماتوف، وسنيسريف سكرتير تحرير «نوفويه فريميا» ودونايف وآخرون. دار الحديث عن الكلاب من صنف لايكا، وعن الحريق في ميورا وميريلاند، ضجر! ذهب ليف نيقولايفتش ظهراً إلى تشيتشيرين، الذي لم يشف بعد من إصابته بحروق في الحريق في بيته، في ضيعة كاراؤول. سافر سريوجا.

اليوم حالتي الصحية أفضل نوعاً ما، قضيت اليوم كله في تسوية الحسابات مع ممثل التعاونية، ومراقبة مبيعاته للكتب، وتلقيت التقارير حول جميع الأمور. لقد أراد أن يخدعني بمبلغ 1000 روبل، لكنني ضبطته في الوقت المناسب. وساعدتني في ذلك ماريا فاسيلسيفنا وجولي. يواصل ليف نيقولايفتش مطالعة الكتب التي ترسل إليه من مختلف أنحاء العالم، بينما لا يكتب نفسه أي شيء، ويشكو من الخمول.

في المساء ذهب ممتطياً صهوة الجواد إلى الحمام لدى أسرة دونايف. ولدى عودته تناول طعام العشاء لوحده، كالعادة، وبشهية جيدة. إنه منشرح الصدر ومتهلل الأسارير، لحد ما لأنني هادئة وخاملة بلا حياة. إنه لا يحب ويخشى دوماً أن أكون مفعمة بالحيوية.

اليوم ما زلت راقدة في الفراش، وأصغي إلى عويل الرياح وفجأة صاح الديك. انبجست في ذاكرتي بجلاء لحظات ذلك الصباح في عيد القيامة في ياسنايا بوليانا. تطلعت في النافذة فرأيت الديك واقفاً فوق كومة من القش وهو يصيح. ففتحت الكوة، وسمعت من بعيد دعوات المباركة، وآنذاك لم ينكر أحد الكنيسة في بيتنا، ولم يشتم ويدين الأرثوذكسية، كما أدانها ليف نيقولايفتش يوم أمس، في أثناء حديثه مع شيرينسكي – شيخماتوف.

الكنيسة هي تلك الفكرة التي تصون الربانية، حين تدعو إلى دعم جميع المؤمنين بالرب. لقد أوجدت الكنيسة آباءها الذين يصلون ويصومون ويدعون الرب إلى تطهير الروح بكلمات الصلوات مثل «يا ربي، يا من يملك جسدي، لا تمنحني روح اللامبالاة والكآبة والشجن والتسلط، بل امنحني روح العفة والطهارة والطاعة والصبر والمحبة»...

30 نوفمبر. ذهبت صباحاً لشراء كنزات صوفية من أجل الأحفاد، والصوف للحاف، وفساتين من أجل دورا وفارنكا، والأواني الرخيصة. أعمل لليوم الثاني في تفصيل الملابس الداخلية وكل مستلزمات الطفل من أجل طفل تانيا القادم، ولست منشرحة الصدر، بل أشعر بالكآبة، وسئمت العمل.

جاء سكرتير الملجأ، فهناك الأمور ليست على ما يرام. يوم أمس جلبوا صبياً لكن لم يقبل لأنه صغير.

ذهبت اليوم لسماع الرباعي. عزف بيتهوفن. جاء ضيوف إلى ليف نيقولايفتش. لعب الشطرنج مع الأمير تسيرتيليف، ثم اجتمع شمل جميع أصدقائه: دونايف وبولانجيه وجوربونوف والطالب روسانوف والرسام ميخايلوف. وقرأ ليف نيقولايفتش لهم بصوت عال مقالة الفلاح نوفيكوف. إنه يشعر بالضعف وقال: «لقد سئمت من جسدي، لقد حان الحين للتخلص منه». تم العثور على الكلبة المفقودة بيلكا وفرح الجميع بذلك.

3 ديسمبر. لم يحدث أي شيء يستحق الذكر. حضرت في يوم الجمعة، الأول من ديسمبر، بروفة الحفلة الموسيقية لزيلوتي (قائد الأوركسترا)، بمشاركة شاليابين ورحمانينوف. لقيت هناك سيرجي إيفانوفتش الذي بدا لي غريب الهيئة ويبعث على السخرية ويخلو من الطيبة. يوم أمس أقيمت حفلة موسيقية ذات برنامج شيق: عزفت مقدمة «روميو وجولييت» لتشايكوفسكي، ومرثيته، وكونشرتو رحمانينوف الجديدة، التي عزفها المؤلف نفسه على البيانو، وكذلك «حلم على الفولجا» لآرينسكي والغناء الرائع لشاليابين، بالرغم من أن اختيار الأغاني لم يكن جديداً.

كان الجو حاراً وأداء الكورال مضجراً.

ليف نيقولايفتش حلو المحضر لحد ما خلال هذين اليومين، ولعب الشطرنج مع جولدينفيزر الذي عزف فيما بعد أعمال شوبان عزفاً جيداً، ولكن بلا حيوية.

جاء زيلوتي، لكنه لم يعزف شيئاً، وتبادل معه حديثاً شيقاً حول قيادة الأوركسترا، وحول الموسيقى عموماً، وموسيقى رحمانينوف وتانييف الذي ثمنه كل التثمين كملحن وعالم (موسيقي).

مشاغل وهموم بشأن الملجأ، ولكنني لم أفلح في عمل شيء. ذهبت إلى الملجأ اليوم، وقد أشفقت جداً على هؤلاء الأطفال، وذلك لأول مرة منذ أن توليت منصب راعية الملجأ. وأردت أن أقيم حفلة موسيقية يذهب ريعها إليه، لكن كان ذلك صعباً، وقد فات الأوان، فهذا شيء غير معتاد. زرت ستريكالوفا وتحدثت مع الأميرة ليفن حول حفلة يوم أمس، وطلبت المساعدة من الجميع. كما زرت المسكينة ي.ب. رايفسكايا ذات الموقف اللاأبالي إزاء هذه الحياة الدنيوية، كم زرت آل ماسلوف وآل لافروفسكي. لم أعزف تقريباً، ولم أعمل، ولم أطالع شيئاً.

يساورني القلق بصدد سريوجا. فقد انتخب عضواً في مجلس(دوما) المدينة، وأراد المجيء في الأول من ديسمبر، لكنه لم يأت. جاء ميشا وسافر إلى إيليا من أجل ممارسة صيد الأيائل معه.

4 ديسمبر. قال ليف نيقولايفتش اليوم إنه صار ينشط للعمل ويشعر بأن صحته أفضل من السابق. وقال مازحاً إن بوزين يخرج منه مع الزفير، ويغدو أكثر تعقلاً. وبوزين من النبلاء، وصاحب جياد، وشاب غير متعلم يسكن لدى آل سوخوتين. وقد شغل ليف نيقولايفتش غرفته ونام في فراشه عندما حل ضيفاً على آسرة سوخوتين، وبعد ذلك قال إن روح بوزين قد دخلت في كيانه، وإنه لا يستطيع العمل وأصبح غبياً، مثل بوزين. واليوم زال هذا الأمر. وبدأ ليف نيقولايفتش يعيش فحسب في الوضع المعتاد لديه، مع همومي، وصارت أحواله أفضل روحاً وجسداً.

قدمت التهاني إلى المحتفلات بعيد القديسة شفيعتهن ممن يحملن اسم فارفارا: جلست طويلاً لدى أسرة ماسلوف، في جو من البشاشة

واللطف والتهذيب والبساطة. ثمة شوكولاتة، أطعمة، ضيوف. جاء سيرجي إيفانوفتش وفور ذلك بث جو الحيوية في المكان.

بعد ذلك ذهبنا إلى سافونوفا: زوجات التجار، الملابس الأنيقة، القس، اللهجة المصطنعة في الكلام. علماً أنها نفسها امرأة بسيطة ولطيفة. وبعد ذلك ذهبنا إلى عزيزتي فاريتشكا ناجورنايا. الوسط مبتذل، بينما هي تتألق كالماسة، الجو خانق، ضجيج، ازدحام، وأحاديث تتسم بالهمة والاجتهاد من قبل أقرباء زوجة الابن.

في المساء تمرنت على عزف مقطوعة لشوبان، وعزفت بعض التمارين على البيانو. جاءت لينا جليبوفا مع أمها. ودار الحديث حول قضية المرأة وقصة الملاوي مع الإنجليزي. يشغل بالي كثيراً موضوع إقامة حفلة موسيقية يذهب ريعها إلى الملجأ.

5 و6 ديسمبر. يكتب ليف نيقولايفتش رسالة إلى القيصر يرجو فيها السماح لزوجات الدوخوبوريين الذين أبعدوا مع غيرهم إلى كندا بالانضمام إلى الأزواج المنفيين في ياقوتسك بسبب رفضهم أداء الخدمة العسكرية. صار ليف نيقولايفتش مجدداً كئيباً وهزيلاً وبلغ وزنه 4 بودات[1] و13 رطلًا، بينما كان رجلاً قوي البنية!

قمت بالزيارات المطلوبة، وأرسلت الدعوات لحضور الاجتماع في ملجئي والطلب من الأعضاء دفع بدلات الاشتراك. لو كنت منشرحة الصدر وأكثر نشاطاً لدعوت إلى إقامة الحفلة، لكنني أصبحت عاجزة عن القيام بأي نشاط.

في 6 ديسمبر اجتمع الشباب عند ساشا وقرأت لهم مقتطفات من الرواية التي أعطاني إياها ليف نيقولايفتش لغرض إلقائها في الحفل الخاص بالملجأ. وشعرت بمتعة كبيرة في القراءة، بأسلوب أدبي جداً، ولو أن الموتيفات قد تكررت عدة مرات. وثرثرت كثيراً مع الشاب ب. فولخونسكي وندمت فيما بعد.

7 ديسمبر. تمت دعوة ليف نيقولايفتش إلى عائلة جليبوف لغرض

1 – البود: وحدة وزن روسية قديمة تعادل 16،38 كيلوجراماً. (المترجم)

حضور حفلة 23 عازفاً من عازفي البالالايكا بقيادة أندرييف. وتوجد في الأوركسترا هذه آلات شعبية أخرى مثل جالييكا وجوسلا وفولينكا.

كانت الحفلة رائعة بالأخص أداء الأغاني الروسية: ثم عزف فالس «Warum?» لشومان، وكان ليف نيقولايفتش قد أبدى رغبته في الاستماع إلى الأوركسترا وأقيم الحفل من أجله. الأطفال في أسرة تروبيتسكي ظرفاء. في المساء جاءت ف.ي. ماسلوفا ودونايف وأوسوف.

حدث أمر أزعج قليلاً ليف نيقولايفتش. فقد عزمنا على الاحتفال بالأعياد لدى إيليوشا بالقرب من موسكو، بينما أبدى ليف نيقولايفتش رغبته في السفر إلى ماشا وأخيه في بيروجوفو. ويمكنني أن أعتني بليف نيقولايفتش عند إيليا بالقرب من موسكو. أما بيروجوفو فهي بالنسبة لي حي قذر. كما أن من الصعب تحمل سيرجي نيقولايفتش، الطاغية والمتكبر. لكن ليف نيقولايفتش كان يشفق عليه، وسيتكدر لدى النظر إلى أخيه. علاوة على ذلك سيعاني من الجهد في الطريق، ومن الغذاء السيئ، كما أن الحياة بعيداً عني وبلا عنايتي، هذا كله جعلني أشعر بالغم، وقلت له إنه سيسمم جميع الأعياد لدي إذا ما سافر إلى هناك، وإنني لا أستطيع ولا أرغب البتة في السفر إلى بيروجوفو التي لا أحبها، وأريد الذهاب إلى الأحفاد وإيليا وأندريوشا وليوفا.

لزم ليف نيقولايفتش الصمت بعناد وبرود. هذا أسلوب جديد وقاتل لديه. فانغمرت في البكاء حتى الساعة الرابعة بعد منتصف الليل، وسعيت إلى عدم إيقاظه.

8 ديسمبر. خرجت لتلبية تكليفات الأطفال، ومن ثم ولجت الحمام العمومي. وقد أدار الحوذي في شارع كوزنيتسكي موست الحصان بلفة حادة، فانقلبت المزلجة، وسقط نفسه من مقعده وأنا معه. وحدث ذلك في أكثر الأماكن ازدحاماً: فهناك يتردد رنين المزلجات، وتنطلق العربات مسرعة، فتجمهر حشد من الناس حولنا. أصبت برضوض في المرفق والساق والظهر، لكن يبدو أن كل شيء مر بسلام. وقد أثار ذلك قلق ليف نيقولايفتش، وفرحت بذلك. خيطت له من أجل الإصبع المصاب قفازاً من

الجلد، وجلبته إليه في الطابق العلوي فاحتضنني وقبلني مبتسماً. إنه نادراً ما يمنحني مثل هذه الملاطفات! ومع هذا شكراً له على ذلك.

في المساء جاء ضيوف. جاجارينا وجيارينوفا وجوربونوف وسيميونوف - الفلاح الكاتب - ومارتينوفا. أدار ليف نيقولايفتش الحديث مع صوفيا ميخايلوفنا حول الأطفال عموماً، إنها تحبهم وتضفي عليهم الصفات المثالية، بينما يقول ليف نيقولايفتش إن الأطفال وكذلك النساء أنانيون ولا يوجد أناس متفانون سوى بين الرجال. ونحن النساء قلنا إن المتفانين يوجدون فقط في أوساط النساء، واحتدم الجدل بيننا بشكل غير لطيف.

10 ديسمبر. عقد اجتماع في ملجأ الأيتام، وأثنى جميع الأعضاء عليّ، وقالوا إنني روح مجتمعهم، وإن العمل معي يبعث على المسرة، وأنا أبعث فيهم جميعاً النشاط بحماسي في العمل.

وأثار بهجتي بقدر أكبر أن الأطفال الصغار الذين أردنا أن تراهم *المحسنة* تسفيتكوفا كانوا يندفعون إلى أحضاني ويتعلقون برقبتي ويلاطفونني. ومعنى ذلك أنني محبوبة لدى الأطفال. وهذا أعز شيء لدي.

في المساء أقيمت حفلة. فتم عزف فاصلة «أوريستن» لتانييف، وهي عمل رائع، وعزفت الأوركسترا موسيقى ليتفينوف بصورة رديئة. بينما غنى سوبينوف رومانساً[1] من تلحين يوشا بوميرانتسيف مكرساً إليّ.

وكنت قد استفسرت مسبقاً من أجل الحفلة عن اليوم الذي تكون فيه قاعة المؤتمرات خالية، وعن بدل الاستئجار وشروطه وهلم جرا. وكنت في مزاج رجال الأعمال وأردت إقامة الحفلة الخيرية التي يوجه ريعها إلى الملجأ، لكنني لا أعرف فيما إذا سأنجح في ذلك أم لا. ذهبت إلى بيت سيرجي إيفانوفتش بالصدفة مجدداً ورجوته أن يعزف في حفلتي، لكنه رفض. وكان كالعادة دائماً أنانياً ومنطقياً وعلى صواب تام في حججه.

قال: «أنا ألحن الآن ولا أستطيع العزف. وبغية أن أعزف أحتاج إلى شهرين من أجل تعلم الشيء. أنا لا أشفق على أطفالك في الملجأ البتة، لكن

---

1 - الرومانس - أغنية عاطفية مستوحاة من قصيدة ما، وقد شاعت في روسيا في القرن التاسع عشر. (المترجم)

يجب عليَّ أن أقتل شهرين من الزمن من أجل أن أعزف ربع ساعة». إنه على حق تماماً، ومن المؤسف أن أي أحد لم يوافق على أن يعزف ويغني.

وجدت في البيت جليبوفا مع ابنتها ولازورسكي وجولدينفيزر. كما جاء اليوم إيليا الطيب القلب بهمومه الأبدية، وميشا المتصابي مع الجراموفون الذي قام بتسلية الجميع: بتكرار الأصوات بصورة منفرة وشنيعة. كما جاء سريوجا وأجاد عزف مقطوعة لجريج وأثار الارتياح لدي الجميع. يبدو أن ليف نيقولايفتش قد صار يجنح إلى الشيخوخة، ودب فيه الضعف، مما أثار فزعي. فهو يشكو من الأوجاع في بطنه مجدداً، ويصيبه الإجهاد في النزهة، وأحياناً يشكو فحسب من آلام في جسده.

أنا غارقة في تكليفات تانيا، وفي مشاغلي وعموماً في هموم الحياة. غداً يجب أن أسافر إلى ياسنايا، ولا توجد لدي رغبة في ذلك وأجد صعوبة. كما يؤلمني كل موضع في جسمي: الذراع والساق والظهر.

17 ديسمبر. عدت مساء يوم أمس من ياسنايا بوليانا وأنا متعبة للغاية روحاً وجسداً. فوجدت هناك حفيدي ليوفوشكا يعاني من السخونة، ودورا قلقة وغير معافاة أيضاً. سافر ليوفا بحضوري إلى بطرسبورغ حيث اشترى بيتاً، وأحزنني جداً أن أرى قلق الأم الحانية ليلاً ونهاراً على طفلها الذي يبعث الشكوى والأنين.

اشتغلت يومين في تسوية حسابات الأعمال المنجزة، وسجلت ذلك في دفتر الحسابات، وراجعتها. ثم عملت في تدبير الشؤون المنزلية. وجدت في كل مكان الصراع مع الناس، ومع اللصوصية، المبررة تماماً من قبل الشعب البائس، لكنها لا تبعث على الارتياح. وكدرني على الأخص أن الفلاحين في جرومانوفو قطعوا أشجار البتولا على ضفاف البركة التي غالباً ما نعمل نزهات بيكنيك ونشرب الشاي ونصطاد السمك فيها. وحزنت على الموجيك الذي اقتلع شجرة تفاح، وطلب المغفرة، ولكن سينظر في القضية شرطي المنطقة في غيابي.

قضيت أربعة أيام تقريباً لدى دورا، واعتنيت بالأطفال، لكن كان من الصعب أن أكابد انطباعاتي أنا العجوز بصدد أحفادي. عرجت من ياسنايا

على ماريا ألكسندروفنا شميدت في أوفسيانيكوفو ومن هناك ذهبت على صهوة الجواد إلى تابتيكوفو لمسافة 20 فرستاً من أجل زيارة أولجا. الأمسية باردة، وغروب الشمس القرمزي، وملامح القمر الحادة، والفضاء الثلجي الذي لا نهاية له وقطرات الطل، والسكون، والطبيعة صارمة وباردة، وفي الليل اشتد الزمهرير وبلغت درجة الحرارة 24 درجة. لقد شعرت بالبرد الشديد، وغمرت روحي الكآبة والشعور بالوحدة. ويبدو أن ماريا ألكسندروفنا تعاني بعد المرض من أعباء الحياة العملية. ويحيا الشاب أبريكوسوف حياة النساك، ولا يعرف السبب ولأي غرض يفعل ذلك، في قرية غريبة، وبلا هدف، وبلا عمل، ويصنع خزانة معينة من أجل أحد الفلاحين مقابل النقود، بينما توجد لدى أبيه معامل الحلويات، وضيعة غنية في القرم والرخاء. t.me/ktabpdf

وجدت أولجا في تابتيكوفو وحيدة، فقد ذهب أندريوشا لاصطياد الذئاب. إنها تجلس مثل طائر في قفص، وحيدة مع ابنتها. وقد رثيت لحالها. بت ليلتي هناك وفي اليوم التالي سافرت: درجة الحرارة 24 تحت الصفر. عربات القطار باردة، رقدت واستغرقت في التفكير... لا يوجد ما يبعث على الفرح.

وجدت في البيت، في خاموفنيكي، ليف نيقولايفتش منهمكاً في لعب الشطرنج مع سوخوتين... إنه نحيف البنية، ذو مظهر عليل، واستبدت بي الكآبة أكثر، وأشفقت عليه كثيراً. غادر سوخوتين اليوم إلى الخارج مع الطبيب وابنه. وترك تانيا في القرية مع أطفاله.

23 ديسمبر. انصرمت عدة أيام أخرى ثقيلة الوطأة ومتوترة. لقد تبين أن ليوفوتشكا مصاب بالتهاب تدرن الدماغ. إنه الآن ينازع الموت، وبهذا سيفارق الحياة إنسان عزيز آخر ارتبطت به روحياً. و*هذا* الطفل لم يكن من حيث طبيعته المعنوية الرقيقة مناسباً لهذا العالم، مثل ابني فانتشكا.

يحاصر الناس ليف نيقولايفتش أكثر فأكثر. يوم أمس جاءت خمسة عشر أمريكيات وأمريكيان اثنان لغرض التطلع إلى تولستوي الشهير. لم ألتق بهم، لم يكن لدي وقت لذلك.

كما جاء أفراد من طائفة «شاربو الحليب»، وهم يرغبون في الهجرة إلى كندا مثل الدوخوبوريين، وطلبوا مشورة ليف نيقولايفتش. إن حشود البشر

هذه قد أتعبته كثيراً، وكان سيسره لو يأتي أشخاص من أوساطه مثل بوتينيف، أو غيره من الذين يلعب معهم الشطرنج، مثل ابني إيليا أو فاسيلي ماكلاكوف اليوم.

جلب إيليا لنا الحفيد الصغير ميشا، وقد سرني ذلك. زارتنا آنا إيفانوفنا وأبلغتني أن سيرجي إيفانوفتش اعتزم المجيء إليّ في يوم الثلاثاء، بعد الدرس، لكنه بحث فترة طويلة عن كتاب ما، لذا فإنه تأخر ولم يستطع المجيء. إن هذا من عاداته تماماً!

كما تنازع الموت س.أ. فيلوسوفوفا، وقد سافرت إليها صونيا. يا لفظاعة هذا كله، وكم يبدو هذا كله رهيباً! الموت، اللوعة، المعاناة من جميع الأنحاء.

1901

6 يناير. أنهيت العام القديم وبدأت العام الجديد بفجيعة كبيرة. ففي يوم عيد الميلاد، 25 ديسمبر، تلقيت نبأ وفاة حفيدي ليوفوتشكا، الذي فارق الحياة في العشية، في الساعة التاسعة مساء. وبالرغم من سوء حالتي الصحية فإنني حزمت حاجياتي بسرعة وسافرت إلى ياسنايا. وودعني إيليا. وصلت في المساء فاندفعت دورا إلى أحضاني وهي تطلق عويلاً رهيباً. أما ليوفا الهزيل والمتوتر الأعصاب فهو يتهم نفسه وزوجته والجميع في المسؤولية عن وفاة ابنه. إنهم يتحملون الذنب في إصابته بالبرد، ولكون معطفه الفرو سيئاً، ولم يلقوا بالاً إلى ضعف صحة ليوفوتشكا ووهن بنيته. وهذه التهمة هي الأشد في النائبة التي داهمتهم. لكن المصيبة فظيعة! لقد برزت جميع أوجاعي الروحية من أعماق الروح لدى وفاة فانتشكا وتألمت لنفسي وللأبوين الشابين ولأبنائي. ولم يكن بوسعي مساعدتهما. وجاء أبوها ويسترلند، وساعد بقدر ما في تخفيف العبء عن ضمير اتهام ليوفا. وكانت ماريا ألكسندروفنا شميدت الطيبة حاضرة طوال الوقت. كما جاء أندريوشا لحضور الجنازة. وبرزت أمامي من جديد الحفرة الفاغرة فاها والمحيا الصغير الشمعي المحاط بزهور المكحلة وزنبق الوادي، وهدوء الموت والمصيبة التي ولدت الخبل لدى الباقين على قيد الحياة.

ثم جاء نبأ يفيد بأن تانيا ولدت صبية ميتة. لقد أصابني ذلك بالذهول البالغ. وفي يوم جنازة حفيدي ليوفوتشكا ذهبت في المساء إلى تانيا. وودعني أندريوشا. ووجدت هناك حلم تانيا الخادع في أن تصبح أماً، ومصيبتها، ومرضها، وغياب زوجها... ومجدداً عانيت من أوجاع في القلب. علماً أن تانيا استجمعت شجاعتها، وكانت مشغولة في العناية بالأطفال، والمطالعة والحياكة والثرثرة.

لكنني رأيت في عينيها ذلك الألم والحزن، وبأنه لا يوجد الزوج ولا الطفل. إن أبناء وبنات زوجها، ولاسيما ناتاشا، طيبون جداً، لكنها قالت لي: «انظري إلى الصبية الميتة، لكنني تحسست فقط مغزى شعور الأم وذهلت لقوته».

رجعت إلى موسكو في 3 يناير، وفرحت بي ساشا ول. ن. كثيراً، وكذلك جميع الآخرين، وساد في البيت جو طيب وهادئ بالنسبة لي. أعلن موعد زفاف ميشا ولينا جليبوفا. إنها مولهة به لحد الجنون. زرت اليوم آل جليبوف من أجل مباركة العروسين. وكان اللقاء معهم مؤثراً، وأردت أن أبكي، ولينا تتألق بالسعادة.

في هذه الأيام زارنا ستاسوف، الشيخ الذكي والحلو المعشر، لكنه يولد لدينا الإجهاد بجرعات كبيرة. وفي مساء أمس عزف على البيانو جولدينفيزر، وأثرت الموسيقى في مجدداً بصورة مهدئة وطيبة.

يشكو ليف نيقولايفتش من وخز تحت الإبط ووجع في الكبد. إنه يأكل قليلاً، وليس في الأوقات المطلوبة، ويرقد كثيراً، كما أنه نؤوم وخامل، ولا يحسن العناية بنفسه، فتناول اليوم القرنبيط، فتدهورت حالته الصحية. ويكتب رسائل إلى مختلف الناس ولا يمارس أي عمل.

أرسلت ساشا مع ماروسيا ماكلاكوفا إلى دورا وليوفا في ياسنايا وإلى أولجا لمدة يوم واحد.

جاء إيليا مساء اليوم. احتسينا الشاي وتبادلنا الأحاديث: الأبناء الثلاثة سريوجا وإيليا وأندريوشا وأنا. إيليا يشتاق إلى زوجته الموجودة في يالطا مع أمها المريضة، وأطلقوا أحكامهم عليّ بصرامة، ولكنهم خففوا من لهجة الكلام ولاطفوني فيما بعد. وسريوجا كحاله دائماً متحفظ وعادل، وإيليا متطرف جداً، وأندريوشا عاطفي ورقيق المشاعر. كتب إلى زوجته معرباً عن أسفه لعدم التواجد معها في الذكرى الثامنة لزفافهما.

جاءت اليوم دونايفا والراهبة فيبروتشيرنوجوبوف للتحدث بشأن سيرة حياة فيت.

8 يناير. أمضيت اليوم كله في المشاغل، ذهبت إلى الحمام العمومي، وأودعت في البنك النقود التي استلمتها من م. م. ستاسيولوفتش. مسكين

هذا الشيخ فقد صار يدير إدارة أعماله بنفسه بعد أن سلبه نقوده سليوزبرج وخلط الأمور كلها في «مستودعه». عملت طلبية لصنع صورة مكبرة لليوفوتشكا. عادت ساشا وماروسيا اليوم من لقاء ليوفا ودورا وأولجا، وجلبتا المسرة إلى الجميع بزيارتهما. ذهبت إلى الحمام العمومي، وقمت بالمشتريات، وأعطيت الفستان للتنظيف استعداداً لحفل زفاف ميشا. في المساء رتبت رسائل ل. ن. المرسلة إليّ، وأعطيتها إلى م. ف. سياسكوفا من أجل استنساخها تحت إشرافي. أما أنا فقد كتبت الردود لستاسوف وستاسيوليفتش، وكتبت رسالة لمدير الأعمال ولصونيا مامونوفا. وبعد ذلك قمت بتظهير الصور الفوتوغرافية لساشا وصوري، التي التقطت لنا صباح اليوم. جاء ميخايلوف ودونايف. ليف نيقولايفتش مريض، تارة يشكو من البرد، وتارة من وجع في البطن. لأنه محزون وواجم للغاية. إنه لا يريد أن يموت، وعندما يفكر في ذلك تتملكه الكآبة والخوف للغاية.

10 يناير. الحياة بلا بهجة وغير رخية. ل. ن. يعاني من ألم في الكبد. إنه ملتاع الروح جداً. وهزيل وضامر وضعيف. وأنا أشفق عليه.

ذهبت إلى متحف روميانتسيف، وأخذت الكوميديا غير المنشورة: «العدمي – أو العائلة الملوثة»، وأردت أن أقدمها لكي تقرأ في الحفل الخيري. وقلبنا صفحاتها أنا وأن. ال. جوريانينوفا، وأعتقد بأنه لا يوجد فيها ما يمكن اختياره للقراءة بصورة شاملة وشيقة. وقررنا أن تقرأ في يوم الجمعة بصوت عال وبحضور الجميع.

تناولت الغداء عندنا لينا جليبوفا، خطيبة ميشا، وفي المساء اجتمع شمل جميع المقربين من ليف نيقولايفتش: بولانجيه وجوربونوف ودونايف وميخايلوف. كما جاء كولتشكا جي، وقد غدا عجوزاً هرماً، وهزيلاً ضامراً.

قرأت مقالة مضحكة بقلم دوروشيفتش في العدد الثامن من مجلة «روسيا». والشخصيات الواردة فيها هي: النفقات، والسيولة النقدية، وباب الموارد، وطريق سيبيريا ورجل صيني. ويصور فيها مشهد العلاقات المتبادلة بينها. ل. ن. يبحث في كل مكان عن أشياء هزلية ومضحكة. وتحدث اليوم عن مسرحية «قبعة من القش»، التي تبعث على الضحك لدى الجميع، وأراد مشاهدتها.

أشعر بضعف البصر، وأصبحت حزينة بسبب العيش بلا مطالعة، وبلا أي عمل ذهني.

عزفت على البيانو كثيراً يوم أمس. ولكن هذا يجهد البصر أيضاً.

14 يناير. يصيب ل. ن. الهزال والضعف ويرى هذا بجلاء في هذا العام. إنه لا يريد عمل أي شيء، ولا يجد أهمية ولا ضرورة لأي شيء. وهكذا صرت أحيا بهاجس العناية به، وإذا لا يوجد ذلك، فلا أجد لي مكاناً في الحياة، لا سيما مع ضعف البصر، أنا لن أستطيع قراءة أوراقه.

عقد ظهر اليوم اجتماع في ملجأ اليتامى. ما أكثر الكلمات التي رددها بيساريف، وبأي صوت عال رددها، وبأية ثقة بالنفس. لننظر كيف ستكون أفعاله. والشيء الرئيس أن النقود غير متوفرة لدينا البتة تقريباً، من أجل إطعام الأطفال، بينما يدور الحديث عن *تعليم* الشحاذين في الشوارع – الصبيان.

الشتاء الدافئ والرطب يؤثر تأثيراً سيئاً في صحة الناس: الجميع في وضع الخمول والاكتئاب. جاء أندريوشا لمشاهدة معرض الكلاب. وجاء ميشا من ياسنايا التي سيعود إليها بعد الزفاف.

19 يناير. كرست جهودي في هذه الأيام للعناية بصحة ليف نيقولايفتش. لقد تناول الكينين خلال ثلاثة أيام، وأظن أن حالته تحسنت، وفقط تؤلمه ساقاه في الأمسيات. وقد ذبل كلياً ذهنياً، وهذا الأمر يعذبه. وما كان بالإمكان أن تمضي بلا أثر جميع المصائب العائلية. هموم التحضير لزفاف ميشا، وخياطة الأكياس، وطبع بطاقات الدعوة، والمشاغل المعيشية اليومية. أما هما، أي ميشا ولينا، فهما يلاطفان أحدهما الآخر بشكل غير لائق.

أمضيت يوم أمس كله في رحاب *الفن*: في الصباح زرت معرضاً سيئاً للرسامين الروس. في الغسق – المشهد الرائع في لوحة «الجلجلة» بريشة ستيكا. شيء جميل أن الرسام لم يتجاهل أي شخصية وأية تفاصيل في اللوحة. فقد تأمل في كل شيء، كل شيء Tout est soigné[1].

في المساء أقيمت حفلة موسيقية للرباعي. عزفت خماسية أرينسكي،

---

1 – معالجة دقيقة (بالفرنسية).

وهي موسيقى خفيفة ونغمية. وعزفت «Divertimento» موزارت بشكل رائع. لكن أعجبتني بقدر أقل رباعية شومان. تقرر نهائياً أن تقام الحفلة الخيرية التي يذهب ريعها إلى ملجأ اليتامى وحجزت القاعة ليوم 17 مارس، ومنحت يوم أمس لي شخصياً في مكتب راعي الملجأ رخصة قراءة مطلع رواية ليف نيقولايفتش «من هو على حق؟». ويساورني الخوف في أن تكون الحفلة كلها فاشلة. انشغلت في ترتيب وإعادة استنساخ *رسائلي* لـ ل. ن. طوال حياتي كلها، والتي استطعت جمعها. كم كانت مؤثرة قصة حبي لليوفوتشكا وحياتي في فترة الأمومة التي تتضمنها هذه الرسائل. وتميزت إحداها بشكل عجيب في التباكي على حياتي الروحية والذهنية، والتي خشيت أن أستيقظ من أجلها، بغية عدم تفويت واجباتي كزوجة وأم وربة بيت. وكتبت الرسالة بتأثير الانطباعات الموسيقية (ألحان شوبرت) التي كانت تعزفها آنذاك ماشا شقيقة ل. ن.، وغروب الشمس والتأملات الدينية.

21 يناير. إنني أحيا كما لو أن إعصاراً يحملني على أجنحته. في الصباح المشاغل، وتدوين اليوميات، واليوم استقبلت الجميع.

كتبت رسائل كثيرة: إلى ستاسوف وروتسن وأخي ستيوبا وغيرهم.

حالة ليف نيقولايفتش الصحية أفضل. جاء الطبيب أوسوف وقرر أن حالته الصحية طيبة. ثمة أوحال، دفء، وأوساخ، هذا يبعث على الكآبة والسأم. في المساء جاء ضيوف: تيميريازوف وآل آنيكوف وماكلاكوف وجولدينفيزر. أشعر بحزن ووهن وأنتظر شيئاً ما.

28 يناير. *أسبوع* كامل من التحضيرات لزفاف ميشا، والزيارات، وخياطة أكياس السكاكر، والمشتريات، والفساتين وهلم جرا.

ورد اليوم خبر من ماشا المسكينة بأنها فقدت طفلها مرة أخرى، وأنها ترقد وتعاني من آلام فترة المخاض، وحزينة، ومغتمة لخيبة الأمل العميقة، مثل تانيا. تراودني دوماً رغبة في البكاء، وأشفق للغاية على بناتي المسكينات اللواتي أصابهن الهزال بسبب الطعام النباتي ومبادئ أبيهن. إنه طبعاً ما كان يتنبأ مسبقاً وأن يعرف بأنهن في إعياء شديد بقدر يجعلنهن عاجزات عن

إطعام أطفالهم في الرحم. لكنه عارض *نصائحي*، وغريزتي كأم، والتي لا تخدع أبداً إذا ما كانت الأم تحب أطفالها.

إن ل. ن. نفسه يبدو منشرح الصدر ومتهلل الأسارير في هذه الأيام، وحالته الصحية أفضل. وذهب مساء أمس لزيارة عائلة مارتينوف حيث أقيمت حفلة رقصت ساشا فيها. أنا لم أذهب إلى هناك، حيث لا يعجبني أي شيء ولا أرغب في شيء فالمصائب كثيرة من كافة الأنحاء.

31 يناير. جرى اليوم عقد قران ميشا ولينا جليبوفا. وكان حفل الزفاف فخماً جداً من طراز الطبقة الراقية. وجاء الأمير المعظم سيرجي ألكسندروفتش خصيصاً من بطرسبورغ ليوم واحد من أجل حضور هذا الزفاف. وكان هناك منشدو الكورال من دير تشودوف، والأزياء، والزهور، والصلوات الرائعة والدعاء للعروسين. والزهو والألق وبدء الحياة المشتركة بلا وعي لكائنين شابين عاشقين.

لم يعد هناك ما يجلب *البهجة* إلى نفسي. أنا أعرف، ويا للأسف، الحياة بكل *تعقيداتها*، وأنا أشفق على ولدي الفتي والحبيب ميشا، الذي ولج الميدان الجديد الذي لا رجعة فيه. لكن، والحمد لله، مع زوجة بمستواه، كما أنها تحبه حباً جماً.

توجهنا من الكنيسة إلى بيت آل جليبوف، وهناك أبدى الأمير المعظم لطفاً كبيراً حيالي، وهذا يكدرني لأن هذا التملق قد مس غروري وحبي للذات، كما مس غروري لدى سماعي عندما خرجنا من الكنيسة قول بعضهم: «هذه أم العريس». «إنها نفسها حسناء».

بدا ميشا مبتهجاً وكذلك لينا. وودعناهما في محطة القطار. وجميع الوصفاء والشباب الذين يحبون ميشا. وجلبوا الزهور والوريقات الملونة وشربوا الشمبانيا وهتفوا: «هورا». وقد سرني أن سافر العروسان إلى ياسنايا بوليانا حيث أجرت دونياشا التحضيرات لهما واستقبلهما ليوفا ودورا.

الطقس طيب. درجة الحرارة 10 تحت الصفر. وحلت أيام مشمسة في نهاية المطاف. حزنت اليوم لغياب بناتي. ولم يوجد من ذوي القربى سوى شخص واحد هو ميشا كوزمينسكي الذي جاء من كييف.

أما ل. ن. فقد جلس طوال حفل الزفاف في البيت وفي الساعة الرابعة توجه لوداع ميشا ولينا. وفي المساء زاره أتباع الطائفة من دوبوفكا ومختلف *السفهاء*. وقرؤوا بصوت عال مقالة كتبها الفلاح نوفيكوف حول متطلبات الشعب.

12 فبراير. ثمة أحداث أخرى: ورد اليوم نبأ مؤسف حول مولد صبي ميت لدى ابنتي ماشا أوبولينسكايا. مسكينة، وبائسة! ولكن حالتها الصحية لا بأس بها.

سافرت مع تانيا إلى ياسنايا. عزيزتي تانيا الطيبة والحانية. إنها أرادت أن تزور حتماً دورا وليوفا بعد مصيبتهما. علماً أنهما أصبحا منبسطي الأسارير لحد ما، بالأخص هي، ويحب أحدهما الآخر. كما جاءت إلى ياسنايا ماريا ألكسندروفنا وأولجا - إنها وحيدة روحياً. ومن منا لا يعاني من الوحدة!

اليوم استبد بي هذا الشعور بقوة جداً. ولامتني تانيا بسبب الفوضى في البيت، بينما لامني ميشا الذي يسافر مع لينا إلى الخارج بسبب شدة اضطرابي في أثناء السفر. إنهما لا يريان شيئاً: فأي نظام هناك حين يعيش ويحل ضيفاً في البيت مختلف الناس، كما يجلبون معهم أيضاً العديد من الضيوف الآخرين. ويعيش عندنا ميشا سوخوتين، وكولتشكا جي، ويوليا إيفانوفنا إيجومنوفا، وتانيا نفسها. ويزدحم عندنا مختلف الناس منذ الصباح وحتى حلول الليل.

بينما أعمل لوحدي بدلاً من الجميع. وأنجز كافة الأعمال لوحدي، بلا زوج، وبلا أبناء، وأقوم بأعمال رجالية، وأدبر شؤون البيت، وأقيم العلاقات معهم ومع الناس - لوحدي أيضاً. يصيب عيناي العمى، وروحي يستبد بها الكرب، بينما تنهال علي الطلبات والطلبات بلا نهاية...

أقوم بالتحضير للحفلة الخيرية لصالح الملجأ. ثمة إخفاقات عديدة. فقد أعطانا ل. ن. نصاً رديئاً للقراءة، وتولى ميخائيل ألكسندروفتش ستاخوفتش مهمة قراءته. لكنه نفسه وكذلك ميخائيل ألكسندروفتش سوخوتين وتانيا وأنا أيضاً اعتبرنا النص ضعيفاً، ضعيفاً للقراءة في الصالة الكبيرة للجمعية أمام جمهور كبير. ورجوت ل. ن. أن يقدم لنا نصاً آخر ولو من «حجي مراد» أو «الأب سيرجي». فاستبد به الغضب، ورفض. لكنه تراجع فيما بعد وأصبح أكثر لطفاً، ووعد بتقديم نص آخر.

وكان طوال هذه الأيام كئيباً كاسف البال، لأنه ضعيف ويخشى الموت كل الخشية. ومنذ أيام سأل يانجول فيما إذا يخاف الموت. ما أشد عدم رغبة ليف نيقولايفتش في مفارقة هذه الحياة.

أقيمت عندنا في 9 فبراير أمسية موسيقية. وعزف سيرجي إيفانوفتش «أوريستيا» من تأليفه، وغنت مورمتسيفا المقطوعة الانفرادية لكليتمنسترا بمصاحبة جوقة من طلابها. كما أنشدت مقطوعات غنائية كل من ميلجونوفا وخرينيكوفا. وكان الجميع بمزاج رائق وبمسرة في تلك الأمسية. لكن ل. ن. سعى جداً إلى إكساب كل شيء طابعاً سلبياً وساخراً، وقلده في ذلك أولادي، كالحال دائماً، في اتخاذ موقف غير ودي مني ومن ضيوفي.

عندما انصرف جميع الناس المحترمين ارتدى ل. ن. الروب وتوجه للرقاد - بينما بقي الطلاب وبعض الفتيات وكليمنتوفا - مورمتسيفا. وصار الجميع ينشدون (بعد شرب النبيذ في أثناء العشاء) الأغاني الروسية والغجرية والعمالية. ساد الزعيق والرقص المبتذل والهمجية... فنزلت إلى الأسفل، بينما جلس ل. ن. في ركن من الصالة وصار يشجعهم ويستحسن أفعالهم، وجلس هناك فترة طويلة.

15 فبراير. ودعت الآن تانيا مع أسرتها إلى روما. أنا لم أذرف الدموع منذ وقت طويل لدى فراق الأطفال: إنني استقبلهم وأودعهم باستمرار إلى مكان ما. واليوم تألق نور الشمس الساطع عند الغسق، والذي أنار بسطوعه الحديقة ورأس ليف نيقولايفتش الأشيب والمائل إلى الصلع والمكتئب، الجالس عند النافذة، والذي ودع بعينين حزينتين تانيا. إنها عادت إليه مرتين، لكي تقبله وتودعه، - تمزقت جميع نياط قلبي، وأنا الآن أكتب وأذرف الدموع. ينبغي أن تصيبنا فاجعة لكي نكون أفضل. وحتى فاجعة الفراق الصغيرة اليوم أدت إلى جعل قلبي يتخلى عن أي تكدر وزعل من الآخرين، ولا سيما إذا كانوا من المقربين، وكل حقد، وتمنيت أن تكون أحوال الجميع طيبة، وأن يكونوا جميعاً سعداء وأخياراً. وأشفقت بصورة خاصة على ل. ن. هل إن ما يكدره هو الخوف من الموت، وتدهور العافية أو شيء آخر يعذبه. لكني لا أتذكر إنْ كان لديه مثل هذا المزاج، والاستياء الدائم وانقباض النفس.

16 فبراير. تعاني ساشا من ألم في البلعوم. جاء الدكتور إيلين، ثمة بياض فيه، والسخونة شديدة، لكن لا خطر. ذهبت مع الطباخ سيميون نيقولايفتش إلى سوق الفطر: اشتريت الفطر لي ولتانيا ولستاخوفتش، كما اشتريت الأثاث لي. ازدحام، مصنوعات فلاحية، وتفوح الروح الشعبية. استبدلت ملابسي وخرجت مع ل. ن. للتمشي، فذهب لشراء 500 جرام من الكينين من أجل الدوخوبوريين، بينما ولجت الكنيسة. أصغيت إلى الصلوات، وصليت في أعماق روحي بحرارة. أنا أحب الانفراد بنفسي وسط حشد من الناس لا أعرفهم، وفي غياب المشاغل والهموم وأية علاقة بالأمور الدنيوية. وتوجهت من الكنيسة إلى الملجأ: أحاط بي الأطفال، ولاطفوني، ورحبوا بي. جلست هناك فترة طويلة، واطلعت على أمور وحاجات الملجأ. في البيت... الأمور على حالها، والعلاقة مع ل. ن. طيبة وبسيطة وودية. بعد الغداء قرأت مدموزايل لي بصوت عال «La Tèné breuse» لأوفريت. ثم جاءت ألمازوفا ودونايف وأوسوف لزيارة ليف نيقولايفتش. إنه يعاني جداً من تضخم الكبد ومن آلام في ساقيه وذراعيه.

وجلب له أوسوف مياه كارلسباد ومساحيق لتخفيف الآلام. في الساعة الثانية رقدنا للنوم، وعلى حين غرة دق الجرس بعنف. إنها سيدة ما، أمضت 13 عاماً في مستشفى الأمراض العقلية، أرادت رؤية ليف نيقولايفتش. لم أسمح لها بذلك، بينما واصلت هي طوال ساعة كاملة الحديث بانفعال، وبالمناسبة تذكرت كيف قطف ابني فانتشكا قبل سبعة أعوام زهوراً زرقاء في حديقة المجانين وطلب منها الزهور. رقدنا للنوم بوفاق وبهدوء في وقت متأخر. وفي الساعة السادسة صباحاً دهنت بالمرهم بلعوم ساشا.

17 فبراير. استيقظت في وقت متأخر. عاد الدكتور مجدداً ساشا، ودهن البلعوم بالمرهم، ما زال هناك بياض لكن درجة الحرارة أقل. الجو صاح ورائع اليوم، يذكر بالربيع، وببهجة وبمسرة الحياة. ذهبت مرة أخرى مع ماروسيا إلى السوق: اشتريت مجموعة من اللعب الخشبية والخزفية من أجل الأطفال في الملجأ، وحملتها إلى هناك، وأبدى الأطفال فرحة كبيرة. أبعدت جانباً حاجيات الأطفال التي أعددتها من أجل طفلي تانيا وماشا اللذين ولدا ميتين. أمر محزن للغاية! المشاغل مع الأطفال كثيرة، لكن المسرات قليلة!

18 فبراير. رقدت يوم أمس في وقت متأخر وقد تركت في انطباعات ثقيلة ولدتها الأحاديث الدينية بين ليف نيقولايفتش وبوليجين. وقالا إن القس الذي يرتدي كيساً من قماش البروكار يقدم للشرب نبيذاً أحمر رديئاً، وتسمى هذه *ديانة*. لقد تهكم ليف نيقولايفتش وتلفظ بتعابير فظة لإظهار غيظه من الكنيسة. بينما قال بوليجين إنه يرى في الكنيسة دائماً تجسيداً للشيطان بصورة ضخمة.

تملكني الحزن والكرب لدى سماع ذلك، وأخذت أعبر عن رأيي بصوت عال بقولي إن الدين الحقيقي لا يمكن أن يرى بهيئة كيس من قماش البروكار لدى القس، ولا بهيئة قميص الفانيلا لدى ليف نيقولايفتش، ولا بهيئة غفارة الراهب. والأمر سواء.

20 فبراير. عاد سريوجا، والحمد لله، بسلام. وذهب مجدداً إلى مجلس الدوما، وجلس وراء طاولة الشطرنج لحل ألغازها. وساشا بصحة طيبة، بينما يشكو ل. ن. من ألم في الكبد، وهو يزداد هزالاً ويبعث لدي الحزن القاتم.

اليوم تناول ل. ن. طعام الغداء لوحده، فدنوت منه وقبلته في رأسه، لكنه تطلع نحوي بلا مبالاة، فانقبض قلبي بكل معنى الكلمة. وعموماً ثمة أمر يبعث على اليأس والكآبة في الروح. الطقس رائع، النهارات مشمسة، والليالي مقمرة. هذا الجو الرائع الذي يذكر بطقس الربيع يؤثر تأثيراً طافحاً بالجمال والاضطراب والانفعال. في الصباح التقطت صور الملجأ كله معي، ومع المديرة من أجل ملصقات حفلتي الخيرية. وبعد ذلك عزفت كثيراً على البيانو، وفي المساء خرجت للنزهة...

6 مارس. جرت أحداث كثيرة ليست على نطاق البيت بل على نطاق المجتمع. ففي 24 فبراير نشرت جميع الصحف نبأ تحريم ليف نيقولايفتش من الكنيسة. وأنا ألصقه في الصفحة التالية لأن هذا الحدث يعتبر تاريخياً. وقد أثار هذا الأمر الإدانة في المجتمع، والحيرة والاستنكار في أوساط الشعب. وتعالت الهتافات طوال ثلاثة أيام تحية لليف نيقولايفتش، وجلبت له سلال فيها الزهور الحية، وتدفقت عليه البرقيات والرسائل. وتتواصل

حتى الآن مظاهر التعبير عن التعاطف معه وشجب موقف السنودس المقدس والمطارنة. وكتبت في اليوم نفسه رسالة بعثت بها إلى بوبيدونوستسيف والمطارنة.

لقد تزامن هذا التحريم السخيف مع اندلاع الاضطرابات الطلابية. وفي 24 فبراير مضى اليوم الثالث للحراك في الجامعة وفي أوساط أبناء موسكو. وقد هب طلاب موسكو بسبب فرض الخدمة العسكرية على طلاب كيف، الذين شاركوا في الاضطرابات. وحدث أمر لم يكن له نظير، فإن الناس كانوا سابقاً ضد الطلاب، أما الآن فبالعكس إذ صاروا يتعاطفون مع الطلاب. وراح الجميع، الحوذيون، وأصحاب الدكاكين، وبالأخص العمال، يؤكدون وقوفهم مع الحق ومع الطلاب الذين يؤيدون المساكين.

وفي يوم الأحد ذاك، في 24 فبراير، ذهب ليف نيقولايفتش مع دونايف إلى ميدان لوبيانكا حيث تحشد آلاف الناس. وقد شاهد بعضهم ل. ن.، وصاحوا قائلين: «هو ذا الشيطان بهيئة إنسان». والتفت الكثيرون إليه وعرفوا أنه ل. ن. فهتفوا: «هورا، ل. ن. عاش ل. ن.!عاش الرجل العظيم! هورا».

ازداد الحشد، واشتد الصراخ، وهرب الحوذيون...

في نهاية المطاف استدعى طالب أحد الحوذيين وأجلس ليف نيقولايفتش ودونايف في العربة، وعندما رأى أحد رجال الجندرمة من الخيالة أن الحشد يمسك بزمام الحصان تدخل في الأمر وقام بتفريق الحشد.

ساد في بيتنا خلال عدة أيام جو العيد، وتدفق الزائرون منذ الصباح وحتى المساء بحشود كبيرة...

26 آذار. إنني آسفة جداً لكوني لم أدون تسلسل الأحداث، والأحاديث وغير ذلك من الأمور. وكان أهم شيء بالنسبة لي ورود رسائل أكثرها من الخارج تعرب عن الدعم لرسالتي الموجهة إلى بوبيدونوستسيف والمطارنة الثلاثة. ولم تنشر أية مخطوطة تتعلق بـ ل. ن. على نطاق واسع مثل نشر هذه الرسالة. وترجمت إلى جميع اللغات الأجنبية. لقد سرني ذلك ولكنني لم أفتخر بهذا، والحمد لله! فقد كتبتها بسرعة، وبحماس فوراً. لقد أمرني الرب بأن أكتبها، وليس بإرادتي.

وقع اليوم حدث هام: فقد وجه ليف نيقولايفتش رسالة إلى: «القيصر ومساعديه». فماذا ستكون النتيجة؟ لم يكن بودي أن يجري نفينا من روسيا وقد بلغنا سن الشيخوخة.

وكان من الأحداث أيضاً إقامة حفلتي الخيرية التي يذهب ريعها إلى ملجأ الأيتام. وشارك فيها الكثير من الشخصيات الطيبة، واتسمت الحفلة بطابع سليم وعميق المحتوى ورفيع ومنتظم للغاية. وقامت فتيات بفساتين بيض ببيع الملصقات، ووضعت سلات فيها زهور على الطاولات. ولم يهتف الجمهور للفنانين كثيراً من أجل تكرار مقاطعهم مرات عديدة. وقرأ ميخائيل ألكسندروفتش ستشاخوفتش المقطع من كتاب ل. ن «من هو على حق؟» بشكل رائع. ولقيت الرضى التام مشاعري في الافتخار بالذات لدى الناس الذين أعتز برأيهم كثيراً. وحصلنا على مبلغ جيد من أجل الملجأ – 1307 روبلات. الوضع الصحي لليف نيقولايفتش أفضل، باستثناء الألم في ذراعيه. يبدو أن الأحداث الخارجية قد أكسبته النشاط والقوة. وهو يعاملني بلطف وبعاطفة مشبوبة مجدداً. ويا للأسف! فهذا يحدث دوماً سوية تقريباً.

بدأت الصيام. أعمل في حياكة القبعات من أجل الملجأ. وخطت تنورة من أجل فاريتشكا ناجورنايا، تلك المرأة اللطيفة والمسكينة ابنة أخ ل. ن. البالغة من العمر 50 عاماً. علماً أنها ما زالت تتسم بشيء من الطفولة. وأنا أعزف معها كثيراً عزفاً منفرداً بأربع أيد. يوم أمس عزفنا سيمفونية بيتهوفن. حدثت بعض المنغصات مع ابنتي ساشا في سبت الشعانين. فقد دعوتها لمرافقتي إلى قداس الليل في العيد. لكنها عارضت بحجة أنها من غير المؤمنين. قلت لها إنها إذا تريد السير على خطى أبيها فإنها يجب أن تمضي في الدورة بأكملها: فقد كان خلال عدة أعوام من المؤمنين الأرثوذكس المتشددين، وبقي كذلك لفترة طويلة بعد الزواج. ثم تخلى عن الكنيسة لصالح الديانة المسيحية الخالصة، وفي الوقت نفسه تخلى عن خيرات الدنيا. وتريد ساشا، مثل العديد من أبنائي أن تقفز فوراً إلى الدرب الأسهل بعدم ارتياد الكنيسة فحسب. أنا حتى بكيت. فذهبت إلى أبيها لطلب النصيحة فقال لها: «طبعاً، اذهبي، والشيء الأهم ألا تكدري أمك».

فجاءت إلى كنيسة الملجأ، ووقفت طوال فترة صلاة الليل، والآن ستبدأ الصوم معي. (لكنها لم تلتزم بالصوم).

نشرت الصحف اليوم بأنه تم تعيين فانوفسكي في منصب وزير التربية، وهذا أمر طيب.

الجو صاح، لكن تساقط ثلج كثير، وخلال جميع الأيام كانت درجة الحرارة تتراوح ما بين 2 و5 درجات فوق الصفر.

27 مارس. منذ أيام تلقيت جواب المتروبوليت أنطوني على رسالتي. ولم تؤثر في البتة. كل شيء على صواب وبلا ضجة. بينما كتبت رسالتي في فورة انفعالية صادرة عن القلب – وقد اجتاحت العالم بأسره *وأثرت في أعماق نفوس الناس* لما اتسمت به من صدق. لكن هذا كله قد ولى إلى الماضي، بينما تمضي الحياة قدماً إلى الأمام، وإلى الأمام، باطراد، وبصورة معقدة وصعبة...

وظاهرياً بدا أن الأحداث قد أضنتني، وتحولت أنظاري مجدداً إلى أعماق الحياة الروحية، لكن هناك، لا يوجد ما يبعث على البهجة والهدوء.

30 مارس. حدث أمر مزعج جداً لساشا. إنها لم تلتزم بالصوم معي وتطرح الحجج، فتارة بحجة أن ساقها أصيبت بقرحة، وتارة بالرفض التام. وهذه خطوة جديدة نحو الفراق بيننا.

اليوم أديت طقس المناولة في الكنيسة. كان الصوم مجهداً جداً: فقد كانت التناقضات كبيرة جداً بين ما هو حقيقي في الكنيسة، وما يشكل أساسها، وبين الطقوس، والصراخ العنيف للشماس وهلم جرا وهكذا دواليك، مما يجعلني أحياناً أشعر بالضيق وأود الانصراف. وهذا بالذات ما يولد النفور من الكنيسة لدى الشباب.

يوم أمس وقفت في الكنيسة حيث أنشد العميان بشكل رائع، وفكرت: بسطاء الناس يأتون إلى الكنيسة، كما نذهب نحن إلى حفلة سيمفونية جيدة. ويسود في بيوتهم الفقر والعتمة والعمل الدائم والمجهد. ويأتون إلى الكنيسة فيجدون النور وينشدون وتراودهم تصورات ما... هنا الفن والموسيقى وكذلك التسلية المبررة – المزاج الروحي، والدين، المبرر، الذي حتى يعتبر شيئاً ضرورياً، وجيداً. فكيف يحيا المرء بدون ذلك؟

أديت فريضة الصوم، بلا مزاج، ولكن بجد وبتعقل، وكنت سعيدة لكوني مجرد/أجهدت نفسي روحاً وجسداً. وكنت أستيقظ بصورة مبكرة وأقف فترة طويلة في أثناء الصلاة في الكنيسة، وأراجع حياتي الروحية.

الوضع في البيت اليوم صعب مجدداً: فجرى أداء أغاني سوليرجيتسكي بمصاحبة عزف سريوجا الصاخب، وصوت بوليجين الصارخ والمعذب، وقهقهات ساشا ويوليا إيفانوفنا وماريا فاسيليفنا بلا معنى – إن هذا كله أمر فظيع!

جاء أندريوشا. شيء محزن أن ينحصر جل اهتمامه في الجياد والكلاب والمعارف من أبناء الريف، ولا توجد لديه أية حياة ذهنية.

يوم أمس ساد الهدوء، وقضينا أمسية ممتعة مع الرسام ريبين[1]. وروى أنه جرى حدثان في معرض الرسامين المتنقلين الذي أقيم في بطرسبورغ حيث عرض لوحة بورتريه ليف نيقولايفتش (اشتراها متحف ألكسندر الثالث): في الأول وضعت مجموعة صغيرة من الأشخاص الزهور عند لوحة البورتريه، وفي يوم الأحد الماضي المصادف 25 مارس 1901، اجتمع في الصالة الكبرى للمعرض حشد من الناس. واعتلى أحد الطلبة مقعداً ووضع الزهور على جميع إطار لوحة بورتريه ليف نيقولايفتش. ثم ألقى كلمة ثناء عليه، وبعد ذلك تعالى الهتاف «هورا». وانهال وابل من الزهور من منصة الكورس. وأسفر ذلك عن سحب لوحة البورتريه من المعرض، ولهذا لن تعرض بموسكو، ناهيك عن الأقاليم. أمر مؤسف جداً!

مايو 1901. لعل أكثر الأحداث سعادة والتي جرت في الفترة الأخيرة هي إقامة حفلتين موسيقيتين عزف فيهما سيرجي إيفانوفتش. فقد عزف عزفاً مدهشاً على البيانو في يومي 3 و4 مايو. وعزف المقطوعات: Rondo لموزارت، وسوناتا لشومان، و«عند المغزل» لشوبرت، وDuetto لمندلسون ومقدمة «فريشيوتس». وقد ابتهج لسماعه حتى تانيا وليف نيقولايفتش. وفي اليوم التالي عزف رباعيته بأربع أيد مع جولدينفيزر.

---

1 – إيليا ريبين (1844 – 1930): رسام روسي عضو أكاديمية الفنون الإمبراطورية الروسية وعضو جماعة المعارض المتنقلة. واشتهر برسم لوحات البورتريه والمشاهد التاريخية. (المترجم)

18 مايو. ها قد انصرمت عشرة أيام على وجودنا في ياسنايا بوليانا. وقد سافرنا إليها مع ب. أ. بولانجيه في عربة قطار المدير المزودة بكافة وسائل الراحة ونقلنا ل. ن. فيها بصورة ممتازة: فقد سخنت له عصيدة الشوفان المعدة مسبقاً، وغليت البيض، وأعددت القهوة، وتناول خضرة الهليون أيضاً. ونام في فراش فاخر. ورافقتنا ابنتنا تانيا ويوليا إيفانوفنا إيجومنوفا. وودعنا بموسكو العم كوستيا إيسلافين وفيودور إيفانوفتش وفارفارا إيفانوفنا من أسرة ماسلوف ودونايف وشباب لا نعرفهم، يبدو أنهم من الفنيين. وهتفوا «هورا!»، والتقطوا صوراً فوتوغرافية لليف نيقولايفتش، وكان ذلك مؤثراً جداً.

وهنا استقبلتنا ماشا مع كوليا وليوفا مع دورا، وتناولنا اليوم الغداء سوية جميعاً، وسادت البهجة في الجميع. جاء أمريكي من بوسطن، ولديه رغبة في التعرف على روسيا، وطبعاً على تولستوي، بغية إلقاء محاضرة حول ذلك. الربيع نضر ومزدهر: تفتحت زهور البنفسج والتفاح وزنبق الوادي. والخضرة يانعة جداً، وتغرد العنادل... كل شيء كالمعتاد، وأنا أتمتع بكل شيء مجدداً، وأمعن البصر في كل شيء، وأستمتع به، كما يستمتع المرء بكل لذة مهما تكررت.

لكن فقط حين امتحنت بالكثير من المصائب، وحين رحت أرى تدهور قوى وحياة ليف نيقولايفتش، وحين تعقدت حياتي الداخلية، أرى في كل شيء بصمات الحزن والضنى، كما لو أن أمراً ما يشارف على نهايته. من جانب آخر بدأ التشوش الروحي بسبب نضوب الطاقة الجسدية، والحاجة إلى مواصلة الحياة قدماً إلى الأمام، وكذلك إلى مواصلة النشاط والحركة وتنوع الانطباعات.

إن كل شيء يومض ثم يخمد، وينهض ثم يتساقط... وشيخوخة ليف نيقولايفتش تجرني وراءه، *ويجب علي أن أدلف إلى الشيخوخة سوية معه*، لكنني لا أستطيع ذلك، ولا أقدر عليه حتى لو أردت ذلك...

سأسافر في يوم الاثنين إلى موسكو...

6 يونيو. كنت في موسكو. انشغلت في أداء الأعمال، وعشت لوحدي مع صبية في البيت الكبير. زرت قبري فانتشكا وإيليوشا، كما ذهبت إلى حفيدي الحي ابن سريوجا. إنه صبي لطيف، وصبوح الوجه وبسيط. كما التقيت ميشا

ولينا، وهما يتركان انطباعاً طيباً دائماً. غالباً ما ألتقي آل ماسلوف، كما التقيت سيرجي إيفانوفتش. إنني بدأت أفترق عنه، ولا تتوفر لدي القوة ولا الرغبة في مواصلة العلاقة السابقة معه. كما أنه ليس ذلك الشخص الذي يمكن أن يقيم المرء علاقة صداقة دائمة معه. إنه مثل جميع الموهوبين يبحث دائماً عن شيء جديد في الحياة، وينتظر شيئاً ما من الآخرين، لكنه لا يهب أي شيء من ذاته.

الطقس حار، الهواء خانق، أشعر بالكسل والضجر.

يرتاد ليف نيقولايفتش الحمامات الملحية ويشرب مياه كرونينكيل. يبدو نشيطاً ومفعماً بالحيوية جداً ويسرني أن أرعاه بعد توعكه في الشتاء. ويعيش عندنا باسترناك ويريد أن يرسم لوحة جماعية تضم ل. ن. وأنا وتانيا. إنه منهمك في رسم التخطيطات الآن. وهذا من أجل لوكسمبورغ[1].

كما يقطن عندنا تشيرنوجوبوف الذي يرتب ويستنسخ رسائل فيت الموجهة إليّ وإلى ليف نيقولايفتش. جاءت مس ويلش، وساشا مشغولة.

14 يونيو. يارب، ما أروع الصيف! يطل من نافذتي القمر في السماء الصافية النقية. كل شيء ساكن، والهدوء يخيم على الكون، وثمة شعور بالدفء الطافح بالرقة والبشاشة. أحيا كلياً تقريباً مع الطبيعة، في الأمسيات أسقي الزهور، وأتنزه. تحل ضيفة عندنا صديقتي العزيزة تانيا مع زوجها، الذي بدأت أتصالح معه بسبب حبها له. إنه ذو طبع لطيف، ولو إنه أناني للغاية، ولهذا غالباً ما يتملكني الخوف على تانيا.

عاش عندنا الرسام باسترناك، ورسم تخطيطات لي ولليف نيقولايفتش وتانيا في جميع الأوضاع والهيئات. ويعتزم تصوير لوحة عائلية لنا من أجل متحف لوكسمبورغ.

ويعيش الآن النحات Aronson، وهو يهودي فقير، أمضى في باريس ثمانية أعوام حيث أصبح نحاتاً جيداً وموهوباً. إنه يقوم بصنع تمثال نصفي لليف نيقولايفتش وآخر لي، ومنحوتة بارزة لتانيا. لا بأس بها جميعاً.

---

1 - المقصود متحف اللوكسمبورغ في باريس. (المترجم)

علماً بأنه لم يصورني في المنحوتة بهيئة بشعة، كما فعل جميع الرسامين قبل هذا. إنه لشيء غريب أن يعتبرني الناس جميلة عموماً. بينما تكون لوحاتي البورتريه والتماثيل النصفية والصور الفوتوغرافية حتى بشعة. يقال: إن التعابير المتغيرة في الوجه لا يمكن التقاطها، وكذلك البريق في العينين، والألوان الجميلة والملامح غير المتناسقة.

سافر ليوفا ودورا وبافليك إلى سويسرا. كان فراقهم صعباً وصعباً للغاية. أنا أتقبلهم في أعماق قلبي بصورة خاصة، *وأتحسس حياتهم* ومصائبهم ومسراتهم *بصورة خاصة*. وكانت المسرات قليلة لديهم في هذا العام. إنهم يعيشون بقدسية معصومين من الإثم، وتراودهم أفضل النوايا والمثل العليا. ولايوجد ما يخفونه، ويمكن أن تتطلع إلى أعماق أرواحهم حتى القاع، فترى كل ما هو نقي وطيب. وذهبت دوروتشكا المسكينة في الساعة الخامسة صباحاً إلى قبر ابنها لوفوتشكا من أجل أن تودع طفلها الحبيب، وأردت أن أذرف الدموع، وأشاركها آلامها كأم.

ما زال ليف نيقولايفتش يشكو من الآلام في ذراعيه وساقيه، وهو نحيل وضعيف البدن، ويكاد قلبي أن يتمزق لدى رؤية كيف يدلف إلى الشيخوخة، ويقترب من ذلك الزمن حين يتم ذلك التغير العظيم، الذي لا يكون ولا أكون فيه مستعدين لحدوثه أو غير قادرين على الاستعداد له مهما بذلنا من جهد.

صباح اليوم قال ل. ن. حين كان يتمشى بالقرب من البيت «الجو كئيب بدون أطفال، وكان يحدث أن أرى بين حين وآخر عربة طفل، لكنها غير موجودة الآن». وقال هذا بالذات بعد أن كان هنا بافليك وصونيتشكا ابنة أندريوشا.

20 يونيو. سافرت إلى موسكو من أجل بيع قطعة الأرض التابعة لساشا، ومجدداً بذلت الكثير من الطاقة والقوة. الجو حار، وضنى قضاء ليلتين في عربة القطار، والأحاديث مع الوكيل المعتمد، وشراء الحاجيات وهلم جرا. في البيت تسود الأناقة، والحديقة جيدة للغاية، وثمة كثير من الذكريات الطيبة.

عدت في الصباح، متعبة، ولم تكن هناك جياد، فاضطررت للمجيء من كوزلوفكا إلى البيت مشياً على الأقدام. وغضبت فالحر لا يطاق، وفي البيت حشد من الناس الذي لا نفع منهم لحياة البشر: إليوشا دياكوف وجولدينفيزر

والنحات والزوجان سوخوتين. وتانيا وحدها عزيزة لدي. ومجدداً برزت الحاجة إلى الهدوء، ولو أي نشاط ذهني وفني.

اليوم تساقط المطر، وهبت الرياح. وجئت إلى ل. ن. لمعرفة حالته الصحية، فوجدت جداراً يفصل بيننا، وأنا أخشاه. كم مرة حدث هذا في الحياة، وكم أثار هذا حزازة قلبي من الألم!

بالمناسبة أنا قلت له أن يكتب رسالة لأندريوشا بصدد أن يعامل زوجته بشكل أفضل وأكثر طيبة.

فقال ل. ن. حانقاً: «ما لك تعلميني؟». فقلت له إنني لا أعلمه، بل *أرجوه* أن يدافع عن أولجا، وأن ينصح أندريوشا بأن يكون عموماً أكثر طيبة وتحفظاً، لأن ل. ن. بالذات يفعل ذلك بشكل أكثر حكمة وأفضل من أي أحد آخر.

3 يوليو. يقترب حدث فظيع ما، ولو أن الجميع بانتظاره دائماً. لكنه غير متوقع البتة حين يقترب فعلاً... إنه نهاية الحياة. إنها نهاية حياة الرجل الذي كان لدي أعز من حياتي نفسها، لأنني عشت فقط وحصراً من أجل حياة زوجي لوفوتشكا والأطفال الذين وهبني إياهم.

إنني لا أفهم بعد وضع قلبي، فقد تحجر، *ولا يجب أن أصغي إليه*، بغية أن أحتفظ بقوتي ونشاطي من أجل رعايته.

لقد أصيب ليف نيقولايفتش بالمرض في الفترة من 27 إلى 28 ليلاً. وجأر بالشكوى من الكآبة الشاملة والأرق وضيق في الصدر. وكنت أعتزم الذهاب مع ساشا في صباح يوم 28 يونيو إلى ابن سريوجا – الذي يحتفل بعيد ميلاده وبعيد القديس شفيعه، وجاءت إلى هناك ابنتي تانيا أيضاً، وصونيا مع أسرتها، وفاريا ناغورنوفا، ورغبت جداً أن ألتقي بهم وأن أجلب المسرة لسريوجا، لكنني ترددت، فلم أرغب أن أترك ليف نيقولايفتش وحده. لكن مع ذلك ذهبنا إلى هناك في الساعة الثامنة صباحاً. أما هو فقد نهض في غيابي، وتنزه، لكن بحلول المساء ارتفعت درجة حرارته إلى 38.5. وقيل لي إنه نام تلك الليلة جيداً، لكن في اليوم التالي خرج للنزهة، ولم يستطع المشي، فقد أصابه ضعف شديد. ووجب أن يبذل جهداً كبيراً من أجل العودة إلى البيت، والمسافة بعيدة وأصابه الإجهاد الشديد. وازداد ضيق صدره، فوضعت له

كمادة دافئة، فصارت حاله أفضل. وفي مساء 29 يونيو ارتفعت درجة حرارته مجدداً، وكنت قد رجعت بعد أن تلقيت برقية تهدئة في 28 يونيو تفيد بأن ل. ن. معافى تماماً. فمن كان يعتني به في غيابي! وعندما رأيته تمزقت نياط قلبي، وقد عاني طوال الليل من ألم في صدره، وقلت له إنه القلب. وفي الصباح قررنا استدعاء الطبيب. وأرسلنا إلى تولا في طلب الدكتور درير الذي وجد الحمى والنبض السيئ جداً: 150 ضربة في الدقيقة. وأعطى وصفة الكينين بمعدل 10 جرامات في اليوم والكافيين والستروفانت من أجل القلب. وعندما انخفضت درجة الحرارة بقي النبض على حاله 150 ودرجة الحرارة 35.9.

ثم استدعينا برقياً من كالوجا الدكتور دوبينسكي، وهو كبير أطباء مستشفى المدينة وأحد معارفنا الطبيين. وقد ذهل من النبض، وقال إن هذا نبض النزع الأخير. لكنه أبدى شكوكه بصدد درجة الحرارة، وأعرب عن احتمال أن يكون ذلك بسبب مرض المعدة والأمعاء. لقد انخفضت درجة الحرارة لدى تناول الكينين، وكانت درجة الحرارة عادية خلال يومين، 36.2. ولكن اليوم حدث الأرق لليلة الثانية مجدداً، وتصبب جسده بالعرق، والضعف، والشيء الرئيس انحسر نشاط القلب كثيراً.

جاء الأبناء، باستثناء ليوفا الموجود في السويد، وتانيا. وكان هنا أحفاد إيليا. فقد استدعى يوم أمس أحفاده الثلاثة والحفيدة أنوتشكا إليه، ووزع عليهم الشوكولاتة من علبة، وأرغم إيليوشا البالغ من العمر أربعة أعوام أن يروي كيف كاد أن يغرق في برميل مجاري المياه. وسأل ل. ن. آنوتشكا حول شخيرها ثم قال: «الآن اذهبوا، وسأدعوكم مجدداً حينما أشعر بالملل». وعندما انصرفوا قال: «يا لهم من صبيان ظرفاء».

في صباح يوم أمس ربطت على بطنه كمادة ساخنة، وفجأة تفرس في وجهي وأجهش في البكاء وقال: «شكراً، يا صونيا. لا تتصوري أنني غير ممتن لك، وأنني لا أحبك...». وغرق صوته في الدموع، فقبلت يديه اللطيفتين المألوفتين جداً لدي، وقلت له إنه يسعدني أن أرعاه، وأنا أشعر بكل ذنبي حياله، إذا لم أمنحه السعادة كما ينبغي، وطلبت منه المغفرة لعدم مقدرتي على منحها له، واحتضن أحدنا الآخر والدموع تنهمر من عيوننا، وهذا ما كانت تصبو روحي إليه منذ وقت بعيد، هذا اعتراف جاد وعميق

بالعلاقات القريبة بيننا طوالي تسعة وثلاثين عاماً من الحياة المشتركة... إن كل ما أفسدها مؤقتاً، كان ما يشبه وسوسة الشيطان الخارجية، ولم تغير أبداً الصلة الداخلية المتينة للحب الطيب بيننا.

اليوم قال لي: «أنا الآن في مفترق الطرق: إلى الأمام (نحو الموت) جيد، وإلى الوراء (نحو الحياة) جيد. وإذا مضت الأمور هكذا الآن فإنه تأجيل فقط». ثم أمعن الفكر وأضاف قائلاً: «ثمة أمور كثيرة أود أن أقولها للناس».

عندما أرسلت له ابنتنا ماشا مقالة ليف نيقولايفتش الأخيرة التي استنسخها ن. ن. جي لتوه فرح بها، كما تفرح الأم بوليدها، الذي جلب إلى سرير المرض، وعلى الفور طلب من ن. ن. جي أن يجري بعض التعديلات، كما طلب مني أن أجمع في مكتبه في الطابق الأسفل جميع مسودات هذه المقالة، وربطها وكتابة: «مسودات المقالة الأخيرة» عليها، وقد فعلت ذلك.

يوم أمس تساءل كثيراً فيما إذا جاء أصحاب البيوت المحترقة من قرية بعيدة، الذين أخذ مني لإغاثتهم مبلغ 35 روبلاً وأراد المزيد فيما إذا جاء أحد ما لطلب المساعدة، وإبلاغه بذلك.

أمضى ليلة 2 على 3 يوليو الماضية بصورة فظيعة جداً: وجلست معه حتى الساعة السابعة صباحاً. ولم ينم لحظة واحدة. كان يعاني من آلام في الأمعاء. وفي وقت لاحق شعر بألم في الصدر، فدلكته بكحول الكافور، وغطيته بالقطن، فخفت حدة الألم. وبعد ذلك شعر بالألم وببرودة في ساقيه. فدلكت ساقيه أيضاً بكحول الكافور، ودثرتهما بغطاء دافئ، وخفت حدة الألم. كنت سعيدة جداً بأنني استطعت تخفيف آلام مرضه. لكن بدأت الكآبة، ووضعت المحرار. ارتفعت درجة الحرارة مجدداً من 36.2 إلى 37.3. واستمرت السخونة حوالي ثلاث ساعات، واستسلم للنوم، وأنا ذهبت للنوم، لأنني كدت أسقط من الإعياء، وحل محلي ن. ن. جي ثم ماشا.

جاء ابننا ميشا. تحدث ل. ن. معه، وسأله عن زوجته، وقال إنه يشعر بالسعادة الكبيرة لكون جميع كناته طيبات بهذا القدر، وحتى كنساء، إنهن حسناوات ومجيدات. وقال سريوجا عن أخيه ميشا: «بابا، إن ميشا يغدو عاقلاً أكثر فأكثر». فقال ل. ن.: «الحمد لله، إنه بحاجة إلى ذلك جداً». وسأل: «هل أنهى مهنته الحقيرة – الخدمة العسكرية – ». وقال ميشا: «الحمد لله، لقد تركتها كلياً».

أنا جالسة اليوم في غرفته وأقرأ الإنجيل الذي سجل ليف نيو لايفتش على حواشيه المواضع التي يعتبرها هامة جداً، وقال لي: «هكذا تتغير الكلمات: ففي الإنجيل الأول يرد أن المسيح بعث فحسب. بينما أصبحت الكلمات في الإنجيل الثاني: «ورأى السموات مفتوحة الأبواب»، وتضاف في الثالث عبارة» سمعت الكلمات: «هذا هو ابني» وهلم جرا...

الآن عزيزي ليوفوتشكا نائم - إنه مازال حياً يرزق وأنا أستطيع رؤيته وسماعه والعناية به... لكن ماذا سيحدث فيما بعد؟ يا رب، يا لها من مصيبة تفوق طاقتي. يا لفظاعة الحياة بدونه. بدون سند الحب المألوف هذا، والدعم المعنوي، والعقل وإثارة خيرة الاهتمامات في الحياة...

أنا لا أعرف فيما اذا سأتمتع بالقدرة على مواصلة الكتابة مجدداً. بودي أن أكتب عن كل شيء يتعلق به، إذ يحتاجه الجميع والجميع، ويحبه الجميع. ساعدني، ساعدني يا رب، فالعبء لا يطاق!

14 يوليو. أنا لا أذكر جميع التفاصيل: فقد جاءت تانيا وزوجها، وجاء الدكتور شوروفسكي من موسكو، وجاء كثير من الأصدقاء. وانهالت البرقيات والرسائل وحدث هرج ومرج بمجيء عدد كبير من الأطفال، والأحفاد، والمعارف. مشاغل لا نهاية لها... في نهاية الأمر أصبت أنا بالمرض... ارتفعت درجة حرارتي بشدة طوال الليل، ودب في الضعف كلياً. لكن الآن تحسنت حالتي. يعيش عندنا الطبيب الشاب فيت نيقولايفتش سافين، وهو يتابع نبض ل. ن. الذي يصل في أقل إجهاد إلى 90 ضربة. اليوم نزل ل. ن. إلى الطابق الأسفل، وتجول بالقرب من البيت عند أصص الزهور والآن رقد للنوم على الكنبة تحت شجرة القيقب.

أجمع الأطباء على أن سبب المرض العام وضعف القلب هو وجود سم الملاريا في الجسم. فوصفوا الكينين واقترحوا رش الزرنيخ، وهو ما عارضه ليف نيقولايفتش بإصرار، ويا للأسف. إنه الآن هزيل الجسم وضعيف، لكن شهيته ممتازة، ونومه كذلك، إنه لا يشعر بأي ألم، ويعمل في كل صباح في كتابة مقالته حول القضية العمالية.

الحمد لله، الحمد لله، مهلة أخرى! كم سيتعين علينا أن نحيا سوية

معاً! لقد شعرت أول مرة بوضوح باحتمال أن أفارق زوجي الحبيب، وذلك الألم في القلب الذي استبد بي ما زال باقياً، وهيهات أن يزول في وقت ما. عندما أتطلع إلى الوجه النحيف، واللحية وخصلات الشعر التي ابيضت تماماً، وجسد ليوفوتشكا الهزيل أشعر بألم ممض في قلبي لا يفارقني الآن، ويحتدم، لا حياة لي، وزال كل اهتمام، وكل نشاط في الحياة. *وما أكثره لدي من قبل!* هل سأقف على قدميّ في أي وقت؟

نعم، لا بد أن أحيا فترة كاملة. كما يلاحظ الحد الفاصل بين تلك الفترة التي مضت فيها الحياة *قدماً إلى الأمام*، وبين تلك التي *واجهتني* فجأة، كما هي الحال الآن.

وتراءى لي كل شيء: «ستساعد الحمامات الملحية ليوفوتشكا، ويستعيد عافيته، وسيعيش عشرة أعوام أخرى، وستساعد مياه أيمس في تجديد العملية الهضمية، كما أن فترة الصيف والدفء والاستجمام ستهبه قوى جديدة...». والآن ظهرت *النهاية* للعيان فجأة. فلا تجديد، ولا عافية، ولا قوى، وبقي في ليوفوتشكا القليل، والقليل. وأي عملاق جبار كان سابقاً!

غالباً ما أشعر بالكآبة حين يوجه لي وللدكتور اللوم بصدد العلاج. وحالما تصبح حاله أفضل يبدأ فوراً بتوجيه الاتهامات. وعندما تكون الأمور سيئة يتقبل العلاج دائماً.

22 يوليو. تتحسن صحة ليف نيقولايفتش، ويقوم بنزهات طويلة في الغابات، وشهيته ممتازة، وكذلك نومه. والحمد لله!

تلقينا مساء أمس رسائل من تولا، وقرأها كوليا أوبولينسكي بصوت عال. إنها جميعاً تتضمن التعاطف، وعم الفرح، وأصبح ل. ن. جم الحيوية والنشاط. وكان يصغي، ثم يضحك، ويقول: «الآن إذا ما مت، وسأموت حتماً، فلا مجال للهزء والسخرية. حقاً أنا أشعر بتأنيب الضمير، فماذا سيحدث، في البدء مجدداً: سيأتي الجميع، وسيأتي المراسلون، وترد الرسائل والبرقيات - وفجأة يذهب هذا كله عبثاً. كلا، لايجوز هذا - إنه أمر غير لائق فحسب».

تلقينا اليوم رسالة رقيقة وذكية من يليزافيتا ملكة رومانيا. وبعثت إلى ل. ن. كراسة وأعربت عن سعادتها إذا ما مست يد الماستر la main du maître للحظة.

اليوم الجو حار وجاف ومترب. وبدأ حصد الشوفان. الأيام صاحية، فالنهارات مشمسة، والليالي مقمرة، والسناء في كل مكان، وبودي أن أتمتع بجمال الصيف بشكل آخر، وبصورة أفضل.

عندما قال ل. ن. يوم أمس إنه حالياً حين أصبح مريضاً، فمن اللائق أن يموت، قلت له: « إن الحياة في الشيخوخة تبعث على الضجر، وبودي أن أموت بسرعة». وفجأة انتفض ل. ن. بحيوية وأعرب عن الاحتجاج بحماس: «كلا، يجب العيش، فالحياة رائعة!...». حسناً أن يبدي هذه الحيوية في سن 73 عاماً، إنها ستنقذه وتنقذني. أما ابنتنا تانيا فقد كتبت اليوم تقول إننا، أي والداها، لا نريد أن نشيخ، وهذا سيكون عبثاً. لكن من يعرف، ما هو الأفضل؟

30 يوليو. مساء يوم أمس أصيب ل. ن. مجدداً بوعكة صحية. فقد فسدت عملية الهضم لديه، ولا تفرز المرارة، وارتفعت درجة حرارته، وفي الساعة 11 من مساء أمس بلغت درجة الحرارة لديه 37.8، بينما كان نبضه ظهراً حوالي 90.

علماً أن حالة ليف نيقولايفتش الصحية كانت قبل هذا تتحسن بسرعة! وأقبل برغبة على تناول الطعام، والمزاح معنا بمرح، وتبادل الأحاديث في الأمسيات. كما كنا نخرج للنزهة في الغابة وفي أرجاء زاكا بنشاط بالغ سوية مع فيودور إيفانوفتش ماسلوف، وابنتنا ماشا وكوليا وساشا ويوليا إيفانوفنا.

اليوم بدأ القيظ مجدداً، وانبعثت في الجو رائحة الحريق، كما لو تصاعد فيه الدخان. ولا يرى أي شيء، وحتى الشمس تحولت إلى كرة حمراء صغيرة.

أحيا بكآبة، وأجلس طوال اليوم عند باب زوجي المريض، وأحوك القبعات من أجل الملجأ، وخمدت الحياة والطاقة فيّ كلياً.

تلقيت من الكونتيسة بانينا رسالة تعرض فيها علينا الداتشا التابعة لها في القرم، في «جاسبرا»، ونحن نعتزم السفر إلى هناك، لكنني لا أريد ذلك قبل سبتمبر.

3 أغسطس. إن تضعضع الصحة الأخير قد سلب *ليف نيقولايفتش* المزيد من القوة، ولو أنه اليوم أصبح في وضع أفضل. الطقس حار، ويسود الجفاف مجدداً، وأنا أستحم يومياً. في الصباح جاء من قرية مياسيدوفو المنكوبون

بسبب الحريق وأعطينا كل عائلة 7 روبلات. كم كان عدد الحرائق في هذا الصيف، واضطررنا لمساعدة المنكوبين!

جاء زائر غريب، فالتس – فين، فقد زوجته الشابة وبقي مع ثلاثة أطفال، وحالته بائسة، ويعاني من المرض بسبب المصيبة. خرج ل. ن. إليه وتمشى معه وتبادل معه الحديث.

عزفت مختلف النوتات: كونشرتو جوميل، وموزارت، وفيبير. وأرسلت طلبية لشراء سوناتا فيبر لا – بيمول. الموسيقى هي أفضل عمل في العالم. التقطت مع ماشا الصور الفوتوغرافية، ودرست قليلاً اللغة الإيطالية، ودبرت الشؤون المنزلية.

لكنني أشعر بأن كل شيء يشارف على *النهاية*، وإنها تطاردني وتعذبني. *لا مناص من أن ينتهي* الأمر بشكل ما. أنا عشت مع ل. ن. تياراً واسعاً من الحياة – تسعة وثلاثون عاماً. والآن طفقت أعاني من التردد: هل سنسافر إلى القرم، إن ل. ن. ضعيف البنية وكئيب، ولو أنه يلتزم بنظام حياته اليومي المعتاد: ففي الصباح يكتب، ثم يتنزه قليلاً في الحديقة أو في الغابة القريبة، ويجلس معنا في الأمسيات... فهل سيستمر هذا طويلاً؟ وكيف سيكون مجرى حياتي؟ أنا لا أتنبأ بأي شيء، ولا أعرف... «لتكن إرادتك يا رب».

26 أغسطس. سنسافر إلى القرم في 5 سبتمبر. سافرت إلى موسكو لقضاء بعض الأعمال، والآن جئت إليها قبيل السفر، في حوالي 1 سبتمبر.

برد، رياح، رطوبة، تقزز.

تعيش عندنا ماريا نيقولايفنا شقيقة ل. ن.، وفاريا ناجورنوفا. كما جاء ليوفا من السويد، وابني سريوجا هنا أيضاً، والآخرون كثيرون. وجاءت أختي تانيا، مما بعث لدي البهجة والسرور كثيراً.

أصيب ل. ن. بوعكة مجدداً وهو ليس على ما يرام، لكنه لا يعتني بنفسه جيداً. جاء أمس الدكتور دوبينسكي وأكد أن الحالة الصحية لليف نيقولايفتش تبعث على الرضى.

أنا أجهد نفسي بغير داع في حياة خالية من الروح: تدبير الأمور المنزلية، تسديد المدفوعات، وحزم الحاجيات والأمور العملية... لا نزهات ولا

موسيقى – لا شيء، أنا معتكرة المزاج قاتمة النفس، والغم يسيطر على روحي. يبدو أننا سنقضي الشتاء كله في القرم، وهذا أمر محزن جداً! على كل حال هذا قضاء الرب. لقد رسم الحد، وتبدأ مرحلة أخرى من الحياة. المهم أن يكون ليف نيقولايفتش حياً يرزق ومعافى.

2 ديسمبر. القرم. جاسبرا. نحن نعيش هنا منذ يوم 8 سبتمبر بغية دعم صحة ليف نيقولايفتش، الذي لا يستعيد عافيته جيداً. إن المرء لا يعيش حياتين، وقد بلغ في أغسطس الثلاث والسبعين من العمر. إنه بلغ من العمر أرذله وشاخ كثيراً. ودب فيه الضعف وتغير كثيراً خلال هذا العام. أنا لم أدون اليوميات، ولم أستطع خلال فترة طويلة التكيف مع ظروف الحياة الجديدة والحرمانات الروحية، التي وجب عليّ أن أكابدها. الآن اعتدت، ويسيطر عليّ الشعور بأنني أؤدي الدين الصارم بشأن واجباتي كزوجة.

ليلة أمس كتبت رسائل إلى أبنائي الأربعة الغائبين (باستثناء أندريوشا الذي وصل إلى هنا لتوه) ومن ثم لم أستطع النوم الليل كله بسبب استعادة الذكريات المتراكمة عن طفولة أبنائي، وحبي الشديد ورعايتي لهم، وأخطائي غير المقصودة لدى تربيتهم وموقفي الراهن من أبنائي *البالغين*. ثم انتقلت أفكاري إلى الأبناء المتوفين. وتصورت بجلاء مؤلم تارة إليوشا وتارة فانتشكا في مختلف لحظات حياتهما. وتراءى لي بوضوح على الأخص فانتشكا النحيل في فراشه، حين كان بعد الصلاة يجعد جسمه ويلويه دائماً تقريباً لدى تلاوة الصلاة بحضوري، مبتسماً لي بغبطة، ثم ينام. وأذكر كيف كان يؤلمني أن أمس ظهره، وأتلمس بيدي عظامه الرقيقة.

كيف أحسست ليلة أمس وحدتي الروحية والجسدية! وقد حدث لليف نيقولايفتش ما كنت أتنبأ به: فحينما جعله هرمه يتوقف عن التعامل مع زوجته (وقد حدث هذا منذ وقت بعيد) بصفتها عشقيته، لم يظهر مكانها ما كنت أحلم به عبثاً طوال الحياة – الصداقة اللطيفة والهادئة، بل ظهر الخواء التام.

في الصباح والمساء يحييني ويودعني بقبلة باردة فيها شيء كثير من التكلف. ويعتبر عنايتي به بهدوء بصفتها شيئاً واجباً، وغالباً ما يكتئب وينظر

إلى الحياة حواليه بلا مبالاة، ويشغل باله ويقلق ويهتم بأمر واحد فقط، في المجال المادي: *الموت*، في المجال الروحي: عمله.

إنني غالباً ما أفكر بالموت بمسرة طافحة بالهدوء، وبذلك الفضاء الذي ذهب إليه أولادي، حيث أعتقد أن الهدوء يسود هناك. وفي *هذه* لا يمكن أن يوجد الهدوء: وإذا *ما سعى المرء إليه، واتخذ* موقفاً حكيماً وبلا مبالاة من كل شيء، والوداعة الدينية والتفهم الديني، فبهذا بالذات تنتهي الحياة. إن الحياة هي تغير المشاعر النشيط والمستمر، والصراع. صعود وهبوط الخير والشر: الحياة هي الحياة. ولا يمكن إيقافها، كما لا يريد المرء إيقافها طوعاً. لكن عندما تحل لحظة إيقافها بصورة طبيعية يجب... يجب الترحيب بذلك بهدوء وبسرور. ولدى التأمل في الرب يجب الخضوع لإرادته، والتواصل مع الرب عبر الروح ومع الطبيعة عبر الجسد. ولا يوجد في هذا سوى الخير.

3 ديسمبر. الطقس حار، ذهبت إلى يالطا. كتبت وأرسلت إلى سريوجا وكالة لشراء 46 و1/ 4 ديسياتيناً[1] من أرض تيلياتينكي لضمها إلى ياسنايا بوليانا. استلمت، وحولت النقود، - هذه مشاغل لا تطاق، ولا حاجة لي بها! تعبت ورحت أتسكع لوحدي. ذهبت إلى تشوكورلار فوجدت هناك فقيرة متسولة وفتى مصاباً بالسل. الخواء والقفار الجدباء. هذا ما سيواجهني لاحقاً. ذهب ليف نيقولايفتش إلى ألوبكا على صهوة الحصان. وطيلة المساء لعب الشطرنج مع سوخوتين. كما جاء إلينا أبنائي إيليا وأندريوشا وساشا وكذلك ناتاشا أوبولينسكايا وكلاسن وأولجا - إنهم انهمكوا جميعاً في لعب القمار. وهذا شيء لا أحبه. بقيت لوحدي، وانهمكت بسكون في الخياطة، وبعد ذلك تلقيت درساً باللغة الإيطالية.

4 ديسمبر. الطقس حار أكثر، والطبيعة أكثر سطوعاً وسناء. الشمس تبعث الدفء كما في أوقات الصيف. يا له من مناخ غير مستقر وغريب. والمزاج الروحي هنا غير مستقر أيضاً. خرجنا للنزهة مشياً على الأقدام إلى أورياندا: ليف نيقولايفتش وسوخوتين مع ابنه والمعلم، وناتاشا أبولينسكايا وأنا.

---

1 - ديسياتنيا: وحدة قديمة للمساحة في روسيا تعادل 1.09 هكتار. (المترجم)

أصابنا الإجهاد لحد ما، لكن ما يسمى «الطريق الأفقي» جيد جداً. وعدنا من هناك مع صونيتشكا وأولجا. البحر، الغروب... كل شيء ذو سناء ساحر. خشيت أن يصيب ليف نيقولايفتش الإجهاد والبرد. الباقون ركبوا الجياد إلى أوتشان – سو. عاد إيليوشا، لديه ولع بالتصوير الفوتوغرافي. اليوم عيد القديسة فارفارا، وأتذكر زياراتي في العام الماضي مع ماروسيا إلى فاريا ناجورنوفا وآل ماسلوف. كم كان اللقاء لدى الأخيرين مترعاً بالطيبة والمرح! كيف الأحوال هناك اليوم، أمر غريب، هناك الشتاء والثلوج والزلاجات!

7 ديسمبر. ودعت الآن ولداي: إيليا الميال إلى التصابي دوماً وأندريوشا. رافقهما ليف نيقولايفتش إلى يالطا، حيث تقطن ماشا، وسيبيت هناك، إذ كان يريد ذلك منذ وقت بعيد. لقد ترك تأثيراً طيباً فيه أما الزرنيخ أو الطقس الجيد، فهو متهلل الأسارير، ووضعه الصحي أفضل، وتتجسد بهجة هذا التحسن في إبداء الهمة العالية، فرافقنا مشياً على الأقدام إلى أوريانداً، ورجعنا من هناك ركوباً.

في اليوم التالي ركب صهوة جواد وانطلق إلى سيمييز ذهاباً وإياباً. ويوم أمس تمشى صباحاً ومساء، في ضوء القمر، وتنزه، وذهب إلى المستشفى وأعرب عن إعجابه بالمشاهد الطبيعية في ضوء القمر. واليوم اعتزم الذهاب إلى يالطا.

أردت اليوم أن أساعده لدى الاستعداد للذهاب إلى يالطا، بغية ألا يجهد نفسه ويتصبب العرق منه. لكنه صرخ فيّ بغلظة وباشمئزاز، وكدت أجهش باكية، فابتعدت عنه.

تلقيت رسالة من الكونتيسة ألكسندرا أندرييفنا تولستايا، أي انسجام روحي عجيب في هذه المرأة الرائعة! وما أكثر ما تهب الناس من محبة وعطف.

بدأت أميل أكثر فأكثر إلى الرأي بأن الفكر الطائفي، وبضمنه تعاليم زوجي، تجعل قلوب الناس جافة وتصيبهم بالغرور. أنا أعرف امرأتين عن قرب: إنها الراهبة ماشينكا شقيقة ليف نيقولايفتش، وألكسندرا أندرييفنا الآنفة الذكر، وكلتاهما أصبحتا أكثر طيبة وسمواً من دون الخروج من رعاية الكنيسة.

حلت أربعة أيام من طقس صيفي رائع: النوافذ مفتوحة، ونتنزه بالملابس الخفيفة فقط، ونشعر بالحر حتى بها. وفي المساء تبلغ درجة الحرارة 12 درجة فوق الصفر.

عزيزتي تانيا المسكينة، إنها بعد أن ولدت طفلاً ميتاً آخر (في 12 نوفمبر)، صارت تتعلق أكثر بزوجها الأناني والطائش. فلا وجود لها البتة، وتتعلق بكامل كيانها به، بينما هو يسمح *لها* بأن تحبه، علماً بأنه نفسه لا يحبها كثيراً. إذا كانت راضية، فالحمد لله! نحن النساء نتمتع بالقدرة على أن نحيا بالحب حتى إذا لم يكن متبادلاً. علماً أننا نحيا بكل قوة وبمحتوى عميق!

وردت من موسكو مختلف الأنباء، ولكنها لم تبعث لدي السرور، وكذلك الأنباء من ياسنايا بوليانا. الأعمال مهملة، والأصدقاء ينسوننا شيئاً فشيئاً، وتجذبني الموسيقى المدهشة: السيمفونية ومقطوعات الكونشرتو الأخرى وتغويني، ولكن بلا جدوى، ويتعين علي أن أجلس هنا وأستسلم إلى الضجر. الواجب، الواجب، وتوجه الطاقة كلها نحو أدائه، ونحو القضاء على شخصيتي.

ودعت ليف نيقولايفتش إلى يالطا، وذهبت إلى القداس، وكان إنشاد الفتيات جيداً، وشعرت بالراحة وصليت بهدوء.

8 ديسمبر. لم يرجع ليف نيقولايفتش من يالطا، وجاءت ساشا لوحدها، فقد أقنعه الطبيب وأوبولينسكي بالبقاء للمبيت هناك.

عندما ودعته يوم أمس شعرت على حين غرة بالكآبة، ولم أجد مغزى للحياة. لكن اليوم بات الحال أيسر، وخرجت للنزهة وحدي بمزاج جاد ورائق. الطقس حار بصورة غير عادية ودرجة الحرارة في الظل 12، السماء وردية بتأثير الشمس المختفية وراء السحب. المتنزه المحلي يفيض بالجمال والوحدة. وغمرت أفكاري وقلبي الكآبة لكوني أعيش مع زوجي كالغريبين!

قالت ساشا إنه كتب في يالطا اليوم 8 صفحات من موضوع ما، وأصابه التعب والضعف.

9 ديسمبر. لقد وقع ما كنت أفكر فيه، فقد أصيب ليف نيقولايفتش في يالطا بوعكة خفيفة، وظهرت مجدداً دقات القلب المتقطعة. وقد تحدثت معه الآن عبر الهاتف، بدا صوته مفعماً بالحيوية، وهو يعتقد أن معدته قد ساءت حالها مجدداً. إنه حين ذهب على صهوة الجواد إلى سيميز ذهاباً

وإياباً، قد ولد الاضطرابات في الأمعاء مجدداً، وهذا الأمر يكاد يتكرر للمرة المائة. وقبيل انطلاقه أقبل بنهم على تناول الفطائر المحشوة المسلوقة والعنب والكمثرى والشوكولاتة. والآن تجده حالماً يعجبه شيء ما، يسرف في الطعام والحركة. وعندما يصيبه الخوف يبدأ بالعلاج مجدداً. وتغدو حاله أفضل مجدداً، وتصرف النفقات مجدداً... وهكذا تدور الدوائر كاملة.

حضرت القداس الإلهي. كان إنشاد الفتيات رائعاً. المزاج طيب، هادئ، واعتيادي. علاوة على ذلك إن الكنيسة هي المكان الذي نتذكر فيه الرب، والمكان الذي يجلب إليه ملايين الناس إيمانهم، ومشاعرهم الدينية السامية، والأوجاع والمسرات في كل لحظات القدر الغادر.

13 ديسمبر. في ذلك اليوم الذي دونت فيه آخر يومياتي، جرت تهدئتي عبر الهاتف في البداية، ومن ثم أثار قلقي الوضع الصحي لليف نيقولايفتش، وفور ذلك ذهبت بعد الغداء إلى يالطا. فوجدت ليف نيقولايفتش في وضع نشيط لكنه في الفراش. وقيل لي إن الفزع استبد حتى بالطبيب، وكان اضطراب ضربات القلب لديه شديداً، ووصف له حتى حقن الكافور، لكن لم يصل الأمر إلى هذا الحد. ومع ذلك فإن جميع الآلام ناجمة عن المعدة والأمعاء.

اليوم جلبته بمعونة ليزا أوبولينسكايا إلى البيت في ضيعة جاسبرا.

في البداية شرب القهوة مع الحليب وانتعش. وفي المساء لعب شوطين من الشطرنج مع سوخوتين، لكن دب فيه الضعف مجدداً. وفي نهاية الأمر رقد في الفراش. علماً بأنه جرى إقناعه طوال المساء بأن يرقد في الفراش حسب وصية الطبيب، لكنه لم يرغب في ذلك.

حدثت مصيبة لدى عائلة سوخوتين، فإن ابنهم سريوجا أصيب بالتيفوئيد في اللواء البحري، ووردت برقيات تفيد بأن حالته خطرة. تانيا تأثرت جداً وذرفت الدموع، ولديها التعامل الطفولي مع المصير، بأن هناك من يسيء إليها.

لدينا نبأ سار، فقد ولد لدى ميشا ولينا الابن العاشر إيفان. ليمنح فانتشكا روحه إلى هذا الصبي ويصلي من أجله، لكي يشب صبياً طيباً وسعيداً ومعافى. كم بودي أن أتطلع إلى فانتشكا الجديد هذا.

اليوم شعرت بوداعة وبملء القلب بالشفقة على ليف نيقولايفتش، أنا

لا أستطيع النظر إليه بلا شعور بالمصيبة، وأنا مسرورة لهذا الشعور. إذ يداهمني أحياناً شعور سيئ بالنفور منه، وأنه يصرف عبثاً قواه ويقلص أمد حياته، التي *نعتز بها جميعاً، وإننا نضع جميع حياتنا في خدمته*. أنا أتذكر حين كان يسقط أبناء شقيقتي ويصابون بالأذى كانت تنهال عليهم فوراً بالتعنيف، بينما أنا كنت أدرك بأنها تعنفهم بسبب آلام الشفقة التي تعانيها نفسها. وأنا بهذا الحال أيضاً: فأنا أهاجم ليف نيقولايفتش أحياناً (وفي غالب الأحيان ألتزم الصمت، في قرارة روحي) لكون مرضه يولد لدي الكثير من الألم.

14 ديسمبر. انتقل ليف نيقولايفتش منذ يوم أمس للإقامة في الطابق الأسفل بغية عدم صعود ونزول السلالم. وخلت غرفته المجاورة لغرفتي، وساد السكون المطبق في الطابق الأعلى بصورة فظيعة ومؤلمة. ولم أعد أبذل جهدي لكي أضع بهدوء إناء المغسلة فوق الطاولة المرمرية، والسير على أطراف الأصابع وعدم تحريك الكراسي.

وتنام إلى جانب ليف نيقولايفتش إلى حين ليزا أوبولينسكايا (ابنة أخيه)، ويسره أن تقدم له الخدمات بدلاً من إزعاجي.

15 ديسمبر. الوضع الصحي لليوفوتشكا اليوم أفضل، وشعرنا جميعاً بالبهجة. إنه منشرح الصدر، ووضع قلبه جيد، لكن معدته لم تبرأ تماماً، الطقس بلا حر. تناول طعام الغداء معنا وتمشى حتى بوابة الضيعة، ثم رجع، فقد أصابه التعب.

جاء الطبيب، الذي يعالج أبناء المنطقة، وهو يهودي ظريف وموهوب، ولا يشبه اليهود، ووثق به ليف نيقولايفتش وأصغى إلى نصائحه، وحتى أبدى له المودة. اليوم جرى زرق الحقنة الثلاثون تحت العضلات وتناول ل. ن. خمس جرامات من الكينين.

زارنا الطبيب التشيكي ماكوفيتسكي، وكنا نعرفه من قبل، ورافقه يفجيني إيفانوفتش بوبوف، الجورجي الطراز، بصفته من أتباع تولستوي. أمضوا الأمسية بصورة عادية: الشطرنج، الصحف، الرسائل، العمل.

خرجت اليوم وحدي للنزهة، الجو دافئ وجميل. عزفت على البيانو

طوال أكثر من ساعتين، وتمتعت بعزف سوناتا فيربر و«impromtu» لشوبان. ولدى مطالعة الصحف أغرتني الأنباء حول الحفلات الموسيقية، وأسفت لأنني لم أستمع إلى حفلات م. باوير الذي عزف جميع سوناتات بيتهوفن في عدة متسلسلات.

16 ديسمبر. اليوم خواء، لم ألتق ليف نيقولايفتش كثيراً، وكان يجلس معه بوبوف الذي أكرهه وماكوفيتسكي. زارنا بولانجيه.

23 ديسمبر. تحسنت صحة ليف نيولايفتش، وخرج اليوم للنزهة بعيداً، وعرج على مكسيم جوركي، أي على ألكسي مكسيموفتش بيشكوف. أنا لا أحب حين يوقع الكتاب مؤلفاتهم بأسماء مستعارة. عاد إلى البيت في عربة... الجميع أي ليف نيقولايفتش وأولجا وبولانجيه. الطقس دافئ، 6 درجات، المساء صافية ويهب النسيم. جلب ليف نيقولايفتش زهرة وردية بنفسجية حقلية كبيرة تفتحت مجدداً. أزهار شجرة البلوط على وشك أن تتفتح ناصعة البياض. جميل! أنا بدأت أحب القرم. والحمد لله، فقد زالت كآبتي، والشيء الرئيس لأن صحة ليف نيقولايفتش صارت أفضل كثيراً. فهل سيطول الأمر!

غادر أمس آل سوخوتين، بينما وصل أندريوشا، عليلاً، وبشوشاً، لكنه غير منضبط وسريع الانفعال، بالأخص مع زوجته.

24 ديسمبر. وصل سريوجا وجولدينفيزر. وكذلك ميشا فسيفولجسكي. في المساء مارس ليف نيقولايفتش لعبة الورق «الفينت» مع أولاده وكلاس (مدير إدارة المنطقة الألماني). وقد تعالى صراخ الجميع، وانفعالهم لدى التغطية الكبرى بلا ورقة رابحة، وتبدو غريبة جداً بالنسبة لي دوماً هذه الانفعالات لدى لعب الورق. ويبدو كما لو أن الجميع يفقدون صوابهم ويصرخون بلا معنى.

بدأ ليف نيقولايفتش يشكو مجدداً من الألم في ذراعيه بالرغم من أن الجو دافئ في هذه الأيام وهو يلتزم الحذر. ثمة شيء ما جعل الحياة خامدة،

ولم نعد نبتهج بقرب السفر إلى موسكو، سيكون ذلك شديد الوطأة فحسب: ضجر، برودة، مشاغل وهموم. وهل ستكون هناك بهجة؟

25 ديسمبر. احتفلنا بعيد الميلاد في أجواء الفرح. صارت الحالة الصحية لليف نيقولايفتش أفضل. بلا سخونة، وبلا ألم في الأعضاء.

26 ديسمبر. سافر بولانجيه. الحالة الصحية لليف نيقولايفتش جيدة تماماً. فصلت الملابس، وطبعت نسخ الصور الفوتوغرافية، ومارست الخياطة قليلاً، وفي المساء راجعت قواعد اللغة الإيطالية. أحزم الحقائب وأستعد للسفر ويلازمني شيء من الخوف. أنا أخاف جداً وأحزن لترك ليف نيقولايفتش، كما يثير الفزع لدي القيام برحلة طويلة وبعيدة كهذه. في المساء اجتمعنا لدى كاسن، جرى الحديث باللغة الألمانية، والناس غرباء، والطعام حلو المذاق - كل شيء لا يناسبني هناك.

27 ديسمبر. زارنا في المساء آل تشيتفيريكوف وآل فولكوف. ودار الحديث مع إيشيلمان حول الموسيقى. عزف جولدينفيزر. يخرج ليف نيقولايفتش للنزهة مجدداً، ويكتب عن حرية الضمير، ومجدداً راح ينتقل إلى الكلام «حول الدين». في المساء، حين رقد في الفراش، طلب مني أن أقدم له الحليب الدافئ، فقد صار يشربه باستمرار، وبينما كان يجري تسخينه، انشغلت في توديع ضيوفي الثقلاء، ظهر ليف نيقولايفتش فجأة عند الباب بملابسه الداخلية وصار يستحث بغضب تقديم الحليب له.

اضطربت ساشا، وبينما كنت أرفع الحليب الدافئ من سخانة الكيروسين وأتوجه به إلى غرفته، انبجس مجدداً عند الباب بسحنة قاتمة.

29 ديسمبر. أقيم احتفال لدى التتار، حيث جرى توديع الملا إلى رحلة الحج إلى مكة المكرمة التي تستغرق ثلاثة أشهر، وأقيمت مأدبة على شرفه. ارتدت شوارع كوريز وجاسبارا حلة العيد التي شارك فيها أبناء مختلف القوميات بأزيائهم المحلية. ورقص الأتراك بمرافقة جوقات

الإنشاد المتميزة والبهية جداً. حاولت التقاط الصور الفوتوغرافية لكنها كانت رديئة بسبب الحركة. ذهب ليف نيقولايفتش للنزهة وحيداً إلى آي – تودور. إنه وديع وطيب القلب اليوم. وقلوبنا جميعاً طافحة بالمودة والسرور، أية سعادة! كنت غير مرتاحة عند الظهر، ومارست التصوير الفوتوغرافي والخياطة ولا شيء أكثر من هذا.

30 ديسمبر. في الصباح زار ليف نيقولايفتش مختلف الناس: ثلاثة عمال ثوريين حانقين على الأثرياء، وغير راضين عن طراز الحياة العام، ثم ستة أفراد من الطائفة الدينية المنفصلين عن الكنيسة، وثلاثة منهم من المسيحيين الأقحاح، من حيث الحياة الأخلاقية ومحبة القريب، وثلاثة من أتباع طائفة شاربي الحليب والقريبين منهم من حيث العقيدة. وأنا لم أستمع إلى أحاديثهم مع ليف نيقولايفتش، فهو لا يحب حين يعرقل أحد المحادثات، ولكن ليف نيقولايفتش قال إن أحاديث بعضهم تنم عن الفطنة والحماسة. كما جاء رجل مسن من الأثرياء والمثقفين يريد أن يقيم على أسس جديدة ديراً في القوقازعلى ساحل البحر. ويكون جميع الرهبان فيه من ذوي التعليم العالي، ويكون هذا الدير بمثابة مركز للعلم والحضارة، بينما يعمل الرهبان أنفسهم في الزراعة ويطعمون أنفسهم بأنفسهم. إنها مهمة صعبة، لكنها طيبة.

ذهبنا في المساء إلى قاعة المطالعة حيث أقيمت حفلة راقصة. وعزف ثلاثة موسيقيين متجولين تشيك مع فتى عزف على آلة أرمونيكا كبيرة. وأدت العاملات وزوجات وبنات الحرفيين وأفراد موجيك من مختلف الطبقات الاجتماعية رقصات الفالس والبولكا وpas de quatre . كما أدى اثنان من التتر رقصات تترية واثنان من الجورجيين رقصة الليزنجا بالخناجر. ورقص كثيرون بينهم طبيب القضاء فولكوف النشيط والقادر على عمل كل شيء رقصة ترياك، على الطريقة الروسية مع ثنية الركبتين. هذا شيء طيب، الألعاب الشعبية والحركة الصاخبة الشديدة ومظاهر *التسلية* البريئة تماماً. وقد ذهبنا جميعاً ومعنا ليف نيقولايفتش لمشاهدتها.

31 ديسمبر. ها قد انصرم العام كما يبدو. هذا آخر يوم من العام المعقد

والصعب جداً! فهل سيكون العام الجديد أفضل منه؟ يبدو أن الحياة أسوأ، ولا تغدو نفسها أفضل.

ضاع اليوم كله كما يبدو في خلال الضجة التي يحدثها قدوم آل أوبولينسكي دوماً.

ذهب ليف نيقولايفتش لزيارة مكسيم جوركي، ومن هناك عاد برفقة جولدينفيزر الذي يحل ضيفا عندنا.

أعدت استنساخ الفصل الأول من كتاب «حول الدين» لليف نيقولايفتش، علماً بأنه ما زال لا يعجبني كثيراً: فلا يوجد فيه شيء جديد، كما أنه ضعيف المحتوى. فماذا بعد! لم تعجبني مقارنة ل. ن. بالزائدة الدودية – الإيمان بضرورة الدين الذي تخلى عنه الناس.

جاء ضيوف: بوبوف وماكوفيتسكي. وردت رسالة رقيقة من دورا وأخرى شيقة من مورمتسيفا. ذهبت برفقة ساشا إلى كورييز لشراء النبيذ والبرتقال وما لذ وطاب من أطعمة من أجل لقاء العام الجديد. نحن نعتزم أيضاً لقاءه، ولو أنني لا أحب شبه *الاحتفال هذا*. فيجلس الناس ويأكلون وفجأة تدق الساعة الثانية عشرة كما لو أنه يجب أن يحدث أمر ما عندئذ.

1902

1 يناير. استقبلنا يوم أمس العام الجديد بهدوء وفي كنف الأسرة. وقد أوى ليف نيقولايفتش إلى الفراش مبكراً، بعد أن شعر بوعكة بعد الاستحمام. وفي الصباح جاء كلاسين حاملاً زهور بنفسج رائعة.

استنسخت بعض أجزاء كتاب ليف نيقولايفتش «حول الدين». إنه كتب ببراعة لكن ينقصه شيء ما، وأود لو أكتسب المزيد من الحمية وقوة الإقناع.

ذهبت مع تانيا وأولجا إلى متنزه يوسوبوف وإلى البحر. نهار صيفي دافئ. وعند البحر التقينا جوركي وزوجته. زارنا الطبيب التشوللر. جاء كافة خدم البيت في أبهى الحلل، فراوحوا في مكانهم ورقصوا، إنه مشهد يبعث على السأم. لقد سئمت ذلك كلياً، وصرت أسمى من التسلية بهذا بأسره.

مارس لعبة الورق «الفينت» كل من ليف نيقولايفتش وجولدينفيزر وسريوجا ومدير الإدارة الألماني كلاسين. كتبت في المساء خمس رسائل، وأكملت حياكة الوشاح وأهديته إلى إيليا فاسيليفتش والطباخ. تلقيت رسالة رقيقة من صونيا وجليبوفا، وفرحت لوجود أسرتين سعيدتين في مكان ما بعيداً لاثنين من أبنائي: إيليا وميشا. يا ترى كيف سيكون الوليد الثاني فانتشكا تولستوي! هل سيكون مثل الأول، هذا مستحيل! كم كان سيفرح لو علم أن لدى أخيه المحبوب ميشا ابن اسمه فانتشكا أيضاً.

تعوي رياح عاتية، هذا لا يطاق هنا، وأنا أخشى على صحة ليف نيقولايفتش.

كان الجو دافئاً ظهراً، وأنا تنزهت مع تانيا وأولجا، ثم رجعنا إلى البيت.

4 يناير. أنا أرقد لليوم الثالث على الديوان الجلدي في غرفة الاستقبال، أو بالأحرى لا أنام، بل أصغي طوال الليل إلى أنفاس ليف نيقولايفتش إلى جانبه، ويساورني الخوف على قلبه. فهو يعاني من المرض لليوم الثالث، والشيء الرئيس هو اضطراب نبض القلب. يوم أمس واليوم نهض وخرج إلى غرفة الطعام لتناول الغداء، لكن أصابه الضعف الشديد بعد الغداء، واليوم فزعنا واستدعينا من ديولبر الدكتور تيخونوف طبيب الأمير المعظم، الذي حضر على الفور. إنه لم يكتشف لدى ل. ن. وجود خطر كبير مباشر، لكنه مثل جميع الأطباء هدد من وقوع نتيجة سيئة اذا ما اتبع ليف نيقولايفتش أسلوب الحياة الذي يتبعه بلا حذر من إجهاد في العمل والإفراط في الأكل وهلم جرا. درجة الحرارة اعتيادية، لكن النبض مضطرب.

تساقط الثلج ليلاً بارتفاع ربع ذراع وما زال باقياً حتى الآن. ويوم أمس هبت ريح شمالية وبلغت درجة الحرارة 3 تحت الصفر، أما اليوم فهي درجة واحدة ونصف فوق الصفر والجو هادئ. وكنت أعلم بأن الطقس السيئ يؤثر في ليف نيقولايفتش تأثيراً غير طيب، فهذا حاله دائماً الآن.

لم نستطع الاتصال بالتشوللر هاتفياً. وأتولى رعاية ليف نيقولايفتش لوحدي، بالرغم من أن الجميع يعرضون مساعدتهم. وسأواصل ذلك حتى يهدني التعب. أنا أحب العناية به بصورة مستقلة، بالرغم من الصعوبة البالغة، وأحياناً لا يطاق ذلك بسبب عناده وجوره والجهل المطبق بالطب وقواعد حفظ الصحة. فمثلاً، ينصحه الأطباء بأن يتناول الكافيار والسمك والمرق، لكنه نباتي وبهذه الصورة يهلك نفسه.

لقد قرأت كتيباً جيداً للغاية، هو ترجمة «واجبات الإنسان» تأليف يوسف مادزيني. أية أفكار، وأية لغة، والكتاب مترع بالقوة والبساطة والاقتضاب والإقناع. استنسخت المزيد من كتاب «حول الدين»، وفصلت صدرة لي. أنا لا أخرج إلى أي مكان، وأخشى أن أترك ل. ن. حتى خلال نصف ساعة.

5 يناير. تدهورت صحة ليف نيقولايفتش مساء أمس وطوال الليل، اضطراب نبض القلب، اختناق في الصدر، الأرق، الكآبة. نهضت عدة مرات واقتربت منه، وكان يشرب الحليب في الليل مع ملعقة كونياك،

ويتناول (بناء على طلبه) الستروفانت. وعند الفجر غفا قليلاً. جاء مساء أمس الدكتور تيخونوف ثم كرر الزيارة ظهر اليوم. فكشف وجود تصلب في الكبد، وضعف في القلب، وتشنج الأمعاء. إن جميع مظاهر المرض هذه قد لوحظت منذ وقت بعيد، لكنها الآن صارت جلية أكثر، وتترك تأثيراً ضاراً بقدر أكبر، وغالباً ما تتجلى بشكل أعراض خطرة.

علماً أن ل. ن. نفسه يبدو شديد الجزع، وينأى بنفسه عنا جميعاً، ويدعو أحداً ما لدى الحاجة فقط. ويجلس في المقعد، ويقرأ أو يرقد ساكناً. كان نومه عند الظهر قليلاً أيضاً.

الثلج لا يذوب. هبت طوال اليوم ريح عاتية رهيبة. وغمرني شعور من الكآبة واليأس! ثمة ثقل في الرأس. تلقيت برقية من سوخوتين أبلغني فيها بأن أسرته كلها قادمة لقضاء الشتاء في القرم. أنا سعيدة لمجيء تانيا للعيش معنا، وأنا مسرورة أن تحصل ساشا على صديقة، والصغير دوريك، كما أنني احببت أليا الآن. وأمنيتي أن تتحسن صحة ل. ن! وأنا لم أعد أفكر بشأن السفر إلى موسكو، لكن على أي حال سيكون ذلك أمراً مفزعاً. لكنه ضروري، ضروري جداً!

أجلس في البيت، وأمارس الخياطة، وأفسد عيني. لقد صرت بليدة كحالي في أيام الشباب في ياسنايا بوليانا، عندما كنت طوال أعوام أعيش بصورة رتيبة، وبلا حراك. لكن وجد لدي آنذاك الأطفال...

8 يناير. مضت عدة أيام صعبة عانى فيها ليف نيقولايفتش من المرض. النبض أيضاً ما زال ضعيفاً. حضر يوم أمس الطبيبان: تيخونوف والتشوللر. وقدما وصفة بأن تعطى له مرتين في الأسبوع خلاصة النبق (نبات) بشكل أقراص وبمعدل خمس قطرات ثلاث مرات في اليوم – الستروفانت. لكن ليف نيقولايفتش لا يريد تناول أي شيء، وأعلن تمرده فجأة. أما *أنا* فقد تعبت من الصراع الدائم معه على مدى أربعين عاماً، والألاعيب والوسائل الماكرة من أجل إرغامه بطريقة ما على تناول هذا الدواء أو ذاك وعموماً على مساعدة نفسه. وبوجه عام لم أعد أمتلك القوة على ممارسة أي صراع. وأحياناً أود أن أنأى عن الجميع بعيداً، والانطواء على نفسي لفترة ما.

لقد بات داء ل. ن. واضحاً بالنسبة لي جداً خلال هذه الفترة: الأمعاء مريضة، الضعف العام، سوء أحوال الأمعاء والمعدة. فهل تكفي قوى ا. ن. للصمود أمام سوء الأحوال الصحية هذا؟! من يعرف.

كانت درجة الحرارة ليلة 6/7 يناير 8 درجات تحت الصفر، الرياح شديدة. أما اليوم فدرجة الحرارة 4 درجات فوق الصفر، لكن الجو قاتم ورطب وكئيب.

ذهب الجميع يوم أمس إلى الحفلة الموسيقية لجولدينفيزر. وبقيت أولجا وأنا. جلست طوال المساء وحيدة في غرفة الاستقبال، وانهمكت في الخياطة والكتابة، وأفسدت كلتا عيني، وفي نهاية المطاف غفوت على الديوان. وكان ل. ن. قد استسلم للنوم منذ وقت بعيد، وعاد أهلنا في حوالي الساعة الثانية.

انهمكت طوال الصباح في استنساخ كتاب ليف نيقولايفتش «حول الدين». إنه كتاب اشتراكي أكثر منه كتاب ديني.

يوم أمس قلت ذلك في حديثي مع ليف نيقولايفتش. وقلت إن أي كتاب ديني يجب أن يكون أكثر شاعرية وسمواً، أما كتابه «حول الدين» فهو منطقي جداً، لكنه لا يجذب الروح ولا يسمو بها. فقال إن هذا هو الواجب، فيجب أن يكون الكتاب *منطقياً*، لأن أية شاعرية وغموض فيه سوف يضللان الفهم فحسب.

أفكر مجدداً بموضوع الرحلة إلى موسكو وأكتشف في قرارة نفسي بأنني *أريد* ذلك حقاً.

10 يناير. قد يحدث أحياناً أن يكون المرء معتكر المزاج قاتم النفس. جلست اليوم وحيدة بعد الغداء، وأعمل في الخياطة في غرفة الاستقبال التي تسودها العتمة. أما ليف نيقولايفتش فقد كان في غرفته المجاورة. وكانت تانيا في الغرفة الأخرى تضرب على الآلة الكاتبة «رمنجتن». وجلس سريوجا في غرفة الطعام وانهمك في مطالعة الصحف بصمت، وبقيت أولجا وصونتشكا في الطابق العلوي. ساد في البيت الصمت المطبق، وأحياناً تهب موجات عاصفة من الريح وتجتاح كل شيء، ويصفر الريح بين الفينة والفينة، ويصخب بعنف، وتسود البرودة في البيت كله.

الحياة غائبة كلياً. وثمة شيء واحد ينم عن الحياة وبصورة طيبة هو العناية بليف نيقولايفتش. إنه ضعيف كلياً، وتجده يطلب العون حتى إذا أراد أن يلتحف بالغطاء أو يعدل أطرافه. ويجب علي أن أتابع كي لا يأكل أكثر مما ينبغي، وألا يولد أحد ما الصخب في البيت، عندما يكون نائماً، وألا تهب الريح في أي مكان فيه. كنت أضع الكمادات على بطنه، بينما هو يشرب مياه الإيمس المعدنية مرتين في اليوم.

11 يناير. ذهبت إلى يالطا برفقة تانيا لقضاء بعض الحوائج والقيام بالمشتريات، وأهديت تانيا قبعة بمناسبة عيد القديسة شفيعتها. ماشا هزيلة وبائسة جداً.

حركة الجنين في بطن أولجا المسكينة متوقفة، علماً أنها حامل في الشهر السادس. أنا أشفق عليها جداً. أرجعت ساشا إلى البيت. وكانت قد ذهبت في العشية إلى جورزوف، بينما ذهبت اليوم للمشاركة في بروفة مسرحية «يوم لك ويوم عليك» حيث تقوم فيها بدور فيونا. أنهيت استنساخ كتاب «حول الدين». النهاية أعجبتني أكثر. إنها فكرة طيبة أن تكون روح الإنسان حرة، إذا ما أنارته المشاعر الدينية – لكنها ليست فكرة جديدة. نشر ياسنسكي رواية ابني ليوفا. أنا أخشى مطالعتها.

12 يناير. أمضيت النهار كله في جلبة الأعمال بلا فائدة وممارسة المشاغل الصغيرة للعائلة. فتارة أمارس الألعاب مع الحفيدة، وتارة أواسي أولجا بسبب فقدان وليدها، وتارة أخرى أغسل قبعة سريوجا وأرممها، أو أقدم النصيحة لساشا بصدد زيها المسرحي. بينما جاء الطبيب لفحص أولجا. أما في المساء فقد أعددت الحقنة الشرجية من أجل ليف نيقولايفتش. وبعد ذلك لففت بطنه باللفائف ووضعت الكمادة عليها، وجلبت له النبيذ، وشرب القهوة التي أعددتها له. حدث في المساء اضطراب في النبض مرة أخرى. وتناول بنفسه الستروفانت، ورقد، وشرب القهوة وصار واجماً. علماً أن سحنته نضرة ولا تنم عن المرض البتة. وفي النهار تنزه لمدة ساعتين، بينما قال الطبيب بأنه لا يجوز له التنزه فترة تزيد عن الساعة. لا انتظام في أي شيء! وبهذه الصورة تضيع رعاية الصحة والطب.

عيد القديسة شفيعة تانيا. وقد جاءت من يالطا وبدت حزينة. وأندريوشا أيضاً صامت وحزين، فليس كل شيء على ما يرام في حياته الزوجية. وذهب سريوجا إلى يالطا بغية الاحتفال بذكرى افتتاح جامعة موسكو. وكان طوال الأيام الماضية منطوياً على نفسه في جناح البيت ويمارس عزف الموسيقى. علماً أنني سلبت هذه المتعة! فلا أستطيع الخروج من البيت ولا يمكن أن أترك ليف نيقولايفتش وأولجا لوحدهما. إن حياتي في الشيخوخة طافحة بالكآبة. بينما تعصف بي الرغبات، والسعي إلى ما هو أعلى وأسمى، وأكثر روحانية، ولم تخمد في روحي الرغبة في العيش بمحتوى أعمق. متى؟ يبدو أن هذا سيحدث في العالم الآخر.

14 يناير. الزمن يمضي بسرعة... الشتاء قد ولى، ولا يوجد أي وضوح بشأن الزمن. وكل شيء في الحياة يخلو من البهجة. إن صحة ليف نيقولايفتش لم تتحسن. يجب عليه أن يغير كلياً نوعية الطعام، لكنه عنيد، ومستقل في رأيه، ولن أسيء القول إذا ما أكدت بأن الطبع العنيد للغاية لدى الرجل العظيم لا يتفق البتة مع أكل السمك والدجاج، كما يقدم النصح له، بل سيأكل الجزر والقرنبيط، كما يفعل اليوم، وهو يعاني من مصدر البلاء هذا.

يوم أمس جلست بجوار غرفته حتى الساعة الثالثة والنصف ليلاً، وانتظرت رجوع ولديّ: سريوجا وأندريوشا اللذين ذهبا للعب الورق. ونام ليف نيقولايفتش نوماً طيباً. أما أنا فقد جلست وانشغلت في استنساخ رسالة ل. ن. للقيصر. أنا أخشى أن يغضب القيصر لمعرفة الحقيقة القاسية، التي لا يوجد ما يخفف عنها.

15 يناير. ارتفعت درجة حرارة ليف نيقولايفتش، إلى 37.7. وجاء التشوللر. الأطباء لا يفقهون شيئاً، بينما الأمور سيئة. أنا قلقة جداً.

16 يناير. إنها ليلة ليلاء. ارتفعت درجة حرارة ليف نيقولايفتش إلى 38. أمضيت الليل كله في سهاد في غرفة الاستقبال، بجوار ل. ن. وبحلول الصباح تفصد بالعرق. درجة الحرارة 36.1. ثمة ألم في الجانب الأيسر. وقد طلبناه

أمس واليوم باليود، ووضعنا الكمادات. وفي الساعة الثانية بعد الظهر أعطيناه خمسة جرامات من الكينين، ومرتين في النهار بمعدل خمس قطرات من الستروفانت. وعلى أي حال فقد نهض، وكتب، ومارس لعبة «الفينت» مع كلاسن والأبناء وكوليا أوبولينسكي. استنسخت تانيا وطبعت وأرسلت إلى الأمير المعظم نيقولاي ميخايلوفتش رسالة ليف نيقولايفتش للقيصر نيقولاي الثاني، والتي وعد نيقولاي ميخايلوفتش أن يسلمها له لدى توفر الفرصة المناسبة. والرسالة شديدة اللهجة، وأنا أخشى جداً أن يغضب القيصر.

ما زالت تانيا تريد السفر، لكنها لم تقرر بعد. لكنني أعتقد بأنها ستسافر غداً.

تسلقت مع ساشا وأولجا وناتاشا الجبال، وبلغنا حرش الصنوبر. الجو دافئ، والسماء صافية، والمناظر الطبيعية جميلة من كافة الأنحاء. توجد على الطاولة أمامي زهور نضرة، إنها زهور اللبن الثلجية البيضاء الرائعة التي تشبه زهور البرتقال البري.

أمضيت النهار كله في القيام بأعمال الخياطة لحد البلادة، ومعاناة الهموم والغم وتوقع أمر جلل.

17 يناير. كل شيء يتكرر، الأدوية ذاتها، والألم ذاته في الجنب، لكن ليف نيقولايفتش نفسه صار أكثر حيوية. زارنا تشيخوف والتشوللر. الجو دافئ، والسماء صافية. سافرت تانيا إلى زوجها في القرية. أعدت استنساخ رسالة ل. ن. إلى القيصر: إنها رسالة لاذعة وحادة اللهجة، مترعة بالتجديف، وتتضمن النصائح غير المعقولة حول توزيع الأراضي على الناس. آمل في أن يفهم الأمير المعظم بأن هذه الرسالة هي نتاج مرض الكبد والمعدة، ولن يسلمها إلى القيصر. وإذا ما سلمها فإنها ستزيد من غيظ القيصر حيال ل. ن. وتترك عواقب ما بالنسبة لنا.

18 يناير. الحالة الصحية لليف نيقولايفتش أفضل نوعاً ما، ولو أن المعدة لم تسترجع وظيفتها الاعتيادية، والجنب يؤلمه قليلاً ودرجة الحرارة في الصباح 36.3، وفي المساء 37. إنه جالس طوال النهار، ويطالع، ويكتب

رسائل، وفي المساء مارس لعبة «الفينت» مع الأبناء وكلاسين وكوليا أوبولينسكي.

إنني أضع زوجي في الفراش كالطفل في كل مساء: ألف بطنه بالكمادات من الماء وكحول الكافور، وأصب الحليب في القدح، وأضع الساعة، والجرس، وأخلع ملابسه، وأدثره ثم أجلس في غرفة الاستقبال المجاورة لحين استسلامه للنوم، وأطالع الصحف. إنني أتسلح بالصبر البالغ وأسعى جاهدة إلى التخفيف من آلام ليف نيقولايفتش.

20 يناير. ذهبت لمشاهدة كيف تؤدي ساشا دور فيورا، مدبرة شؤون المنزل العجوز في مسرحية «يوم لك ويوم عليك» لأوستروفسكي، في قاعة المطالعة العمومية هنا. إنها أول تجربة لساشا في التمثيل، ولا بأس بها. توليفة غريبة من الممثلين المشاركين فيها: زوجة الطبيب والحداد والممرضة وعامل المقالع والكونتيسة. هذا شيء طيب.

الحالة الصحية لليف نيقولايفتش أفضل، الألم في جنبه أقل، وحالة المعدة أفضل، ودرجة الحرارة صباحاً 36.3 ومساء 36.9، كما كانت يوم أمس. تناول ل. ن. الستروفانت، ولم يتناول الكينين. لم أضع الكمادات اليوم. رقدت للنوم إلى جانب غرفته، ونام جيداً وأصبح أكثر حيوية.

تساقط ثلج رطب وكثيف وهادئ، وحالتي أفضل بعد أن أصابتني وعكة سابقاً.

21 يناير. قلق ليلاً ونهاراً، ويأس مطبق، وتوقعات، وفي نهاية المطاف حدث أول زكام حاد. حدث هذا كله بسبب تدهور الحالة الصحية لليف نيقولايفتش. اشتد الألم في الجنب، وارتفعت درجة الحرارة إلى 38. جاء طبيبان: يلباتينسكي والتشوللر. وشخصا عودة الحمى والتصلب في الأمعاء. وكذلك الآلام العصبية.

الثلج لا يذوب وبلغ نقطة التجمد.

23 يناير. جاء يوم أمس الدكتور بيرتنسون (الطبيب المعتمد لدى العائلة

القيصرية) من بطرسبورغ. رجل ذكي وبسيط في التعامل ويبدو أنه طبيب خبير ومحنك في المهنة.

جاء اليوم من موسكو طبيب ذكي أيضاً هو الدكتور شوروفسكي. وعقدت جلسة استشارية طبية جادة مع التشوللر.

جرت أحاديث حول المقالة الانتقادية الهزلية لأمفيتياتروف في صحيفة «روسيا»، التي تتضمن تلميحات إلى القيصر وأفراد عائلته، وحول قيام السلطات بنفي كاتب هذه المقالة أو بالأحرى هذه الحكاية إلى أركوتسك. وحول نهم وغباء وصلافة الوزير سيبياجين. تحدث برتنسون كثيراً عن الأمراء المعظمين، وعن المجتمع في بطرسبورغ. وروى شوروفسكي وقائع رحلته إلى القوقاز. كان اليوم مرهقاً بالنسبة لي. زارنا جوركي مع سوليرجيتسكي. أراد بيرتنسون أن يزور جوركي حتماً وذهب إليه. بينما سيذهب شوروفسكي إلى تشيخوف في يالطا غداً.

تركز الاهتمام كله على مرض ل. ن. تلقيت يوم أمس رسالة من سيرجي إيفانوفتش يدعوني فيها *إلى* الإصغاء إلى المغنية الفذة: أولينينا دالهيم. وتملكني إحساس باللامبالاة حيال كل شيء في الدنيا! آه، كم تعبت من هذه الحياة عموماً! اليوم *لم أفعل أي شيء* باستثناء العناية بليف نيقولايفتش. بصري ضعيف جداً، وحتى لا أستطيع المطالعة. وثمة شيء هام فقط ويبعث على البهجة: إنني قريبة من ل. ن.!

24 يناير. لدى الاستماع إليه في الصباح تبين أنه مصاب بالتهاب رئوي من الجهة اليسرى. تم استدعاء شوروفسكي، وبدأ العلاج.

25 يناير. تم تشخيص الإصابة بالتهاب في الرئة اليسرى. وفي وقت لاحق انتشر إلى الرئة اليمنى. وضع القلب سيئ طوال الوقت.

26 يناير. أنا لا أعرف، لماذا أنا أكتب، إنها محادثة روحية مع ذاتي. إن حبيبي ليوفتشكا يصارع الموت... وقد أدركت بأن حياتي لا يمكن أن تبقى بذاتها بدونه. أنا أحيا معه منذ أربعين عاماً. إنه بالنسبة للجميع شخصية

شهيرة، بينما هو بالنسبة لي كل وجودي، واندمجت حياتنا الواحدة مع الأخرى، آه يا ربي! ما أكثر ما تراكم من ذنوب وغفران... انتهى كل شيء، ولن يعاد الزمن القهقرى. ساعدني، يا رب! ما أكثر ما منحته من حب ورقة، لكن ما أكثر ما جلبت مواطن ضعفي من آلام وكرب إليه! اغفر لي يا رب! وسامحني يا زوجي الحبيب، الحبيب، والعزيز!. أنا لا أطلب من الرب أن يهبني القوة، ولا الطمأنينة، بل أرجو منحي الإيمان والدين والدعم الروحي، الرباني، الذي عاش به طوال الفترة الأخيرة زوجي الغالي. منذ أيام قرأ العبارة التالية: «العجوز يتأوه، العجوز يسعل، حان الوقت يا عجوز للرقاد في الكفن». وحينما قرأها لنا ألمح إلى نفسه واستغرق في البكاء. يا رب! ثم أضاف: «إنني أبكي ليس لكوني *سأموت*، بل بسبب جمال العبارة الأدبية».

27 يناير. بودي أن أكتب كل شيء عن عزيزي ليوفوتشكا، لكنني لا أستطيع، الدموع والألم الممض، إنهما يسحقاني تماماً، كما لو كنت تحت صخرة... يوم أمس اقترح شوروفسكي أن يتنفس الأوكسجين، لكن ليوفوتشكا قال: «مهلاً، الآن الكافور، ثم الأوكسجين، وبعد ذلك النعش والقبر».

اليوم اقتربت منه وقبلته في جبينه وسألته: «هل تكابد الصعوبة؟». فقال: «لا، كل شيء على ما يرام وهدوء». وسألته ماشا الآن: «بابا، ماذا بك هل تعاني من الكمد؟». فأجاب «أنا بدنياً أشعر بالكمد جداً، لكنني معنوياً أشعر بالخير، وبالخير دائماً». في صباح اليوم التالي جلست إلى جانبه وكان يغالب النعاس ويطلق الأنين وفجأة صاح بصوت عال: «صونيا!». فانتفضت، وانحنيت عليه، فقال لي: «أنا رأيتك في الحلم، أنت راقدة في مكان ما...». وسألني، عزيزي، فيما إذا كنت نائمة، وفيما إذا تناولت الطعام... إنها آخر عناية يبديها أحد ما بي! ساعدني يا رب لكي أحيا معه ولا أنتظر شيئاً من أحد من الناس، بل أبدي الامتنان إزاء كل ما يفعلونه من أجلي. أنا تلقيت الكثير من الرب وأشكره!

غالباً ما أشعر بأن ليوفوتشكا يفارق الحياة، ولهذا كنت أكابد من الحزن بالضبط، وأريد بالضبط أن أفعل المستحيل: أن أفقد حبه قبل أن يؤخذ مني.

ينتشر الالتهاب الرئوي في سبيله المرعب، والضعف يتسرب إلى القلب، والنبض متواصل لكنه ضعيف، والنفس قصير... إنه يطلق الأنين... إن هذه

الآهات تحز رأسي وسمعي وقلبي بحفر عميقة نهاراً وليلاً. إنني سأسمعها طوال حياتي. وغالباً ما كان يتحدث عما يشغل باله في الفترة الأخيرة: الرسالة إلى القيصر، الرسائل عموماً.

وقد سمعته مرة يقول: «لقد أخطأت»، وكذلك: «إنهم لم يفهموا».

لقد كان يتعامل بامتنان وبلطف مع جميع المحيطين به، ويبدو أنه راض عن العناية به، وغالباً ما يردد: «حسناً، هذا رائع».

كلا، إنني لا أستطيع الكتابة، فهو يطلق الأنين في الأسفل. تم حقنه عدة مرات بالكافور والمورفين.

غداً تصل تانيا، كما غادر ليوفا بطرسبورغ. أتمنى أن يبقى على قيد الحياة لكي يودع جميع الأبناء.

الساعة 5 مساء. ارتفعت درجة الحرارة، هو يهذي باستمرار. لكنه عندما يثوب إلى رشده في لحظة ما يشرب الحليب أو الدواء.

قال مرة في أثناء الهذيان: «سيفاستوبول تحترق». بينما يدعونني مجدداً: «صونيا، ماذا تفعلين؟ هل تستنسخين النصوص؟».

لقد سألني عدة مرات: «متى ستصل تانيا؟». فقلت له إنها ستصل اليوم، كما أن ليوفا غادر وهو في الطريق إلينا. إنه يتفرس تارة ويسأل تارة أخرى باستمرار: «كم الساعة الآن؟». وسأل ما هو تاريخ اليوم، 27 يناير.

28 يناير. وصلت تانيا والزوجان سوخوتين وإيليا، صخب، المشاغل حول تدبير شؤون المبيت والطعام. يا لفظاعة الأمر: الطريق الشاق والجاد الذي تقطعه الروح السامية إلى الخلود، إلى الالتحاق بالرب، الذي يخدمه المرء، – والهموم الدنيوية الوضيعة.

إنه الحبيب والحكيم يشعر بصعوبة... يوم أمس قال مخاطباً سريوجا: «كنت أعتقد أن الموت أمر يسير، لكن كلا، إنه صعب جداً».

كما قال في حديث مع الدكتور التشوللر: «في صلاة «أبانا الذي في السموات» تفهم بشكل مختلف الكلمات: «أعطنا خبزنا كفاف يومنا». فهذا رجاء من الرب أن يمنح الغذاء الروحي لكل يوم. على سبيل المثال أنت أيها الدكتور ترعى المرضى يومياً، وهذا شيء حسن، بالأخص حينما تفعل ذلك بدافع نزيه».

أمضى ليف نيقولايفتش هذا اليوم بشكل أفضل، إذ كانت معاناته أقل، ونام ساعة ونصف بعد الظهر، واستطاع أن يتحدث. لكن قواه تنضب، والشيء الرئيس أن قلبه سيئ. لن أسمح لنفسي بإيراد أية خواطر، يجب أن أكون نشيطة وبحيوية وأن أرعاه. إنني أصبو إلى أن أدفن في باطن قلبي شعور الكمد الذي يندفع للظهور على السطح.

لقد دعا تانيا إليه الآن. وكان مسروراً بمجيئها، كما جلب إليه الرضا ورود برقية من الأمير المعظم نيقولاي ميخايلوفتش يبلغه فيها بأنه أوصل رسالته إلى القيصر شخصياً. وكان ينتظر جداً هذا الحدث وذاك.

تم حقنه بالكافور مجدداً، وأعطي له زهر الكشتبان، والحليب مع الكونياك، ومياه الإيمس، والشمبانيا. وضعت كمادة «موشكا»، على الجنب الأيسر لكن جرى هذا قبل ثلاثة أيام.

بقي في الخفارة ليلاً الدكتور فولكوف، وفي الليلة التالية بقي التشوللر، وفي الليلة الثالثة يلباتيفسكي، بينما لزم الخفارة شوروفسكي طوال اليوم.

29 يناير. الساعة 9 صباحاً. طلب مني بإلحاح أن أصعد إلى غرفتي للنوم، لكنني بكيت خلال ساعة، ووجدت أن من الأفضل أن أدون المزيد في اليوميات. قضى عزيزي ليوفوتشكا (لم يعد الآن ملكاً لي بل هو ملك للرب) الليلة في حالة صعبة جداً. وحالما يبدأ بالاستسلام إلى النوم، يشعر بالاختناق ولا ينام. وكان تارة يطلب مني وسريوجا أن نجلسه، وتارة يشرب الحليب، وتارة أخرى يشرب نصف قدح من الشمبانيا، أو الماء. لم يعد يشكو من أي شيء بل يشعر بحزن ووهن بالغ.

إنني أشعر بتقلص وتشنج في صدري في كل مرة يختنق فيها. نعم، إن نصفي *الآخر* يتألم، فكيف لا أتألم أنا أيضاً.

إن انتقال أي كائن حبيب إلى الخلود ينير أرواح من يودعهم بمحبة. ليساعد ربي روحي حتى نهاية الحياة في البقاء في ذلك السمو والاستنارة وصحوة العقل التي أشعر بها أكثر فأكثر في هذه الأيام! إنه استسلم للنوم الآن. وحلت محلي ليزا أوبولينسكايا (ابنة أخيه) وابنته ماشا. وجلست طوال الليلة وحتى الساعة الرابعة صباحاً بالقرب منه ورعيته.

30 يناير. كان ل. ن. في صباح يوم أمس في وضع طيب لدرجة أنه بعث في الساعة الواحدة في طلب ابنته ماشا وأملى عليها العبارات التالية تقريباً في دفتر يومياته: «حكمة الشيخوخة مثل قيراطات الجواهر، فكلما تمضي أبعد تغدو أثمن في القيمة، وينبغي نشرها».

ثم طلب مقالته حول حرية الضمير وأملى تعديلات عليها في مختلف المواضع.

عند الظهر كانت درجة الحرارة عادية، وكان مترعاً بالحيوية وهادئاً، وفاضت نفوسنا جميعاً بالنشاط. وفي المساء بدأت فترة خفارتي الليلية، وجلست معه حتى الساعة الرابعة صباحاً، وتابعت أنفاسه، وكان كل شيء على ما يرام.

في المساء وصل ليوفا، إنه بالنسبة لي بائس وطيب السريرة دائماً. كما وصل في مساء اليوم سريوجا المرح.

ذهبت صباح اليوم للرقاد في فراشي، وعندما رجعت، عرفت لفظاعة الأمر، أن درجة حرارته ارتفعت مجدداً إلى 37.6. فشعرت بالغم والخوف في قلبي. قال الأطباء إن عملية امتصاص الورم جارية في الرئتين، وهذا غير خطر وقلبه يبعث على الارتياح الآن.

هل أصدقهم؟ كم أود أن أخدع، فقد نفذ إلى أعماقي حزن قهار، ولا تتوفر لدي القوة للمعاناة.

سأل اليوم عن البريد وما فيه، كما طلب في البداية جريدة مصورة ما، ثم «نوفويه فريميا» و«روسكويه فيدوموستي». لكن لم تعط له الصحيفتان المذكورتان، خشية أن يصيبه التعب.

بدأ عند الساعة الثالثة انقطاع أنفاسه وصار يتململ، وبعد ذلك غفا. يعطى له زهر الكشتبان مرة في كل أربع ساعات أو كل ساعتين. كما تقدم له القهوة مع الحليب، والحليب مع مياه إيمس، وبيضة، والنبيذ مع مياه إيمس، ويعطى زهر الكشتبان مع الشمبانيا.

الآن الساعة الثامنة مساء، وهو ينام بهدوء.

عندما يراد تغيير وضعيته يدعو بكل رضى أندريوشا، بينما يتناول الطعام بكل سرور من يدي ماشا. وتنتقل معاناتي إليه بصورة لاإرادية، وغالباً ما يلاطفني، ويصون قواي ويتقبل مني فقط الخدمات الخفيفة أو الشخصية.

31 يناير. أمضى ليلة صعبة حتى الساعة الرابعة صباحاً. وكان يتململ وتختنق أنفاسه ودعا سريوجا مرتين وطلب منه إجلاسه.

يوم أمس قال لتانيا: «ماذا قيل بشأن آدم فاسيليفتش (الكونت أولسوفييف) من أن وفاته كانت ميسرة. إن الموت السهل عسير جداً، ويصعب جداً على المرء التخلص من القشرة المعتادة»، - أضاف ذلك مشيراً إلى جسده الهزيل.

حالة ليوفوتشكا الصحية اليوم أفضل: فقد دعا إليه دونايف وميشا، إنه يبتهج عموماً لكل قادم. وجاءت اليوم أيضاً صونيا زوجة إيليا. عدد الحاضرين كثير، وساد البيت الهرج والمرج، أما عملية وفاة الرجل العظيم، وزوجي المحبوب، فهي تسير في مجراها، وأنا لا أصدق بأنه سيشفى تماماً وهيهات أن أصدق تأجيل ذلك إلى فترة من الزمن...

أملى مرة أخرى نصاً في دفتر اليوميات وإضافات في المقالات التي بدأ بها. إنه يجلس بهدوء ووقار. وأملى نص برقية طويلة إلى أخيه سيرجي.

1 فبراير. كانت هذه الليلة ليلاء وفظيعة. لم ينم حتى الساعة السابعة صباحاً، وعانى من آلام في البطن، ومن الاختناق. دلكت البطن عدة مرات بمرهم، ولم يجد ذلك نفعاً. وقد غفا حوالي عشر دقائق في إحدى المرات تحت لمسات يدي، فجمدت في مكاني، وأنا جاثية على ركبتي، ويدي فوق جنبه الأيسر، وجال في خاطري أنه سينام أكثر، لكنه تنهد على الفور وفتح عينيه. في الساعة الخامسة صباحاً انصرفت. وحلت محلي ليزا وابنه سريوجا. وفي الساعة السابعة صباحاً تم إيقاظ الدكتور شوروفسكي، الذي حقنه بالمورفين. كما لزم الخفارة الطبيب الآخر يلباتيفسكي، لكنه بدا مرهقاً جداً، وواصل النوم. كان نهاره هادئاً جداً. وضع شوروفسكي كمادة الكانتاريدين السامة «موشكا» على جنبه الأيمن.

أملى على ماشا بعض النصوص في دفتر يومياته.

2 فبراير. جاءت مساء أمس صونيا، زوجة إيليا، والعم الشيخ كوستيا، وفاريا ناجورنايا. وقد سر ليف نيقولايفتش، كما يبدو، بمجيء كل زائر.

بدأت ليلة أمس بالقلق مجدداً. فحينما رفعته بمساعدة بولانجيه واعتنيت به مراراً قال لي: «لقد عذبتك، يا روحي».

في الساعة الثالثة ليلاً أعطيت له حقنة صغيرة من المورفين (سدس المليمتر)، وبعد عشر دقائق استسلم ل. ن. للنوم، نام جيداً حتى الصباح. وكانت درجة حرارته اليوم لأول مرة 36.9. وتناول بسرور العنب البري مع الحليب وبيضة، بينما تنتظره في وجبة الغداء فطيرة منفوخة، سمح الطبيب بتقديمها له.

أملى على ماشا تعديلات في المقالة «حول حرية الضمير».

يوم أمس التقطت لي صورة فوتوغرافية مع جميع أبنائي. إنها بمثابة ذكرى فترة عصيبة، لكنها ذات محتوى وهامة.

3 فبراير. تملك قلبي لدى حلول الليل أمس مجدداً شعور فظيع. فقد ارتفعت درجة الحرارة إلى 37.8. إنها ليلة عصيبة، ففي الساعة الثالثة ليلاً جرى حقنه بالمورفين مرة أخرى، لكن تواصل شعور الكمد *والسهاد.* جلست معه لوحدي حتى الساعة الخامسة صباحاً، وجاء مرتين كل من سريوجا والدكتور التشوللر.

عندما رفعت ليوفوتشكا واعتنيت به، من دون أن أجلس لحظة واحدة، مسد يدي بلطف وقال: «شكرا لك، يا روحي». أو: «لقد عذبتك يا صونيا». فقبلته في جبينه ويديه وقلت إنني سعيدة جداً بأن أعتني به، بغية أن أخفف من آلامه فحسب.

كان يشعر باختناق في صدره، وصعوبة في التنفس. وواصل شرب الماء مع النبيذ والشمبانيا.

صباح اليوم ارتفعت درجة حرارته إلى 37.4 أو 37.2. لكنه مع ذلك أملى بصعوبة وبصوت واهن تعديلات في المقالة. وسأل عن محتويات الرسائل التي أوردناها باختصار له.

في نهاية المطاف نشر في صحيفة «روسكيه فيدوموستي» خبر مرض ليف نيقولايفتش.

وفي صباح أمس غادر ليوفا إلى بطرسبورغ.

الآن تناول ل. ن. قليلاً من الحساء وبيضة وفطيرة خفيفة. وسأل صونيا: «أين دفنتم أمك في العام الماضي؟» - «لقد نقلناه تلبية لرغبة أخي إلى ضيعة بانيكي». - «أي سخف هذا. لماذا ينقل جثمان الميت».

4 فبراير. جرى حقنه بالمورفين في الليلة الماضية، ونام بهدوء. وفي الصباح كان ل. ن. أكثر حيوية مما في الأيام الماضية، وبلغت درجة حرارته 36.7، وفي المساء ارتفعت مجدداً إلى 37.7.

سافر شوروفسكي إلى بطرسبورغ. كما سافر اليوم إيليا وميشا. وقال لدى توديعهما إنه ربما سيموت، وعاش خلال 25 عاماً الماضي ملتزماً بالعقيدة التي سيموت بها. «دع الأهل من المقربين مني يتساءلون حين سأنازع الموت كلياً هل كانت عقيدتي جيدة وعادلة: وهل إنها إذا ما ساعدتني في اللحظات الأخيرة - سأومئ برأسي علامة الموافقة».

وبكى إيليوشا حين ودعه. دعاني ليوفوتشكا مرتين اليوم وسألني: «ما لك وديعة بهذا الشكل، وترقدين؟» كنت جالسة، وشعرت بالكآبة والوحدة في الروح، وقد *تعاطف* معي.

5 فبراير. بقي الوضع على حاله. في الليل تحت تأثير المورفين، حيث حقن بثمن جزء من المليمتر. وفي الصباح 36.7، وفي الساعة السادسة مساء - *37.4*. وضعه هادئ وصامت. شرب الشمبانيا والحليب مع مياه إيمس، وتناول الطعام ذاته المؤلف من حساء الشوفان والبيض والعصائد. وضعت له اليوم كمادة ساخنة. أنا جالسة منهكة القوى، وخامدة. وشعرت بغم شديد في القلب، وراودتني شتى الأفكار، والكثير من المشاعر... وعلى حين غرة انحنيت بكامل كياني في انتظار التوقعات.

6 فبراير. الساعة التاسعة مساء. ليلة مؤرقة، تم حقنه بالمورفين مرتين، ولم يجد كل هذا نفعاً. في الساعة الخامسة أخذ مني التعب كل مأخذ، فذهبت لأخذ قسط من الراحة. وفي الصباح تملكني الجزع. في النهار تملكته رجفة، وفجأة ارتفعت درجة حرارته. ووصلت إلى 38.7. ألم في الصدر.

وصل يلباتييفسكي والتشوللر. وقالا - إنها الأزمة. وبدأ الالتهاب يخف في جميع الأنحاء. ماذا سيحدث لدى انحسار السخونة، وهل ستتراجع قواه؟ ونحن جميعاً نكابد الجزع. ورقدت لمدة ساعتين كالميتة، وانهارت قواي فجأة. كيف سأصمد هذه الليلة؟ الجميع لن يناموا الليلة في انتظار الأزمة. وقال ليف نيقولايفتش مخاطباً فارنكا ابنة أخيه اليوم: «إنني أوازن كل شيء». إنه يتابع بنفسه النبض ودرجة الحرارة، ويصيبه الجزع، بينما نحن نضطر إلى خداعه ونبلغه بدرجات حرارة أقل.

برد، رياح تزيد الأمور سوءاً.

7 فبراير. الوضع بلا أمل تقريباً إن لم نقل كلياً. لم يمكن سماع نبضه منذ الصباح، وجرى حقنه بالكافور مرتين. إنه محزون وواجم، وفي حالة انفعالية بسبب قطرات الناردين، واحتساء الشمبانيا وهلم جرا. عملت جهدي حتى الساعة الخامسة للتخفيف من آلامه. حبيبي ليوفوتشكا، إنه كان يغفو حالما أدلك بخفة بيدي موضع كبده وبطنه. وكان يشكرني دوماً ويقول: «يا روحي، أنت تعبانة».

عند الفجر بدأ المخاض لدى أولجا، وفي الساعة السابعة ولدت صبياً ميتاً.

قال ليف نيقولايفتش اليوم: «إنكم تعملون كل شيء جيداً وتحقنونني بالكافور، بينما أنا سأموت».

ثم قال مرة أخرى: «لا تحزروا أي شيء مقدماً، فأنا نفسي لا أحزر».

وطلب التسجيلات عن سير مرضه: درجات الحرارة، الأدوية، الطعام وهلم جرا، وقرأها بإمعان. ثم سأل ماشا عن شعورها لدى إصابتها بالتيفوئيد في فترة الأزمة. مسكين، مسكين، إنه يريد أن يحيا بينما الحياة تمضي...

كانت درجة الحرارة في الصباح 36.2، أما الآن عند الساعة السابعة مساء فهي 36.7. إنه لا يريد أن يتناول أي طعام، ويرغم على هذا قسراً. وعندما قيل إن درجة الحرارة 36.6، قال بحزن: «ستكون 37 و37.5 وهلم جرا».

هطل ثلج كثيف، وهبت رياح شديدة. إنه القرم المقيت! وبلغت درجة الحرارة ليلاً 8 تحت الصفر.

8 فبراير. أمضى ليوفوتشكا الليلة بهدوء، ولو أنه كان يستيقظ بين الفينة والفينة، ومع ذلك فقد نام. وفي الصباح نام أيضاً. كانت درجة الحرارة 36.4، وفي المساء – 36.7. والآن في الساعة السابعة مساء يشعر بالضعف ويغالبه النعاس، لكن كل شيء على ما يرام، النبض معتدل وزال الالتهاب.

أملى على ماشا اليوم صفحة من أفكاره ضد الحرب *واقتتال الأخوة* حسب تعبيره.

جلست معه طوال الليل وحتى الساعة الخامسة صباحاً وقلبته بمساعدة بولانجيه، وغيرت ملابسه الداخلية المبللة، وأعطيته الدواء (زهر الكشتبان) والشمبانيا والحليب.

فكرت في دخيلة نفسي ووجدت أن كياني كله موجه نحو العناية بالإنسان المحبوب لدي. وقد أجلس مغمضة العينين فتراودني شتى الأحلام والكثير من الخطط عن الحياة، المتنوعة والتي لا تصدق... لكن حينما أثوب إلى الواقع أشعر مجدداً بألم متواصل في القلب، وبما يخمد حياة الإنسان، الذي ارتبطت به ولا أستطيع الحياة بدونه.

أية حياة غريبة ومزدوجة هذه. أنا أفسرها بكون صحتي جيدة لا تقهر، وبوجود طاقة حيوية كبيرة تتدفق إلى السطح ولا تجد ما يغذيها سوى في تلك اللحظات العصيبة، حينما يجب عمل شيء ما فعلاً: تقليب المريض وإطعامه وغسله ومعالجته وهذا من أصعب الأمور. لكن حالما يبدأ الخمول وعدم الفعل، والجلوس عدة ساعات إلى جانب المريض، تشرع في العمل حياة الخيال.

لولا ضعف البصر لانشغلت بالمطالعة، إنني كنت سأقرأ، فهذه خير وسيلة للتسلية وتزجية الوقت!

9 فبراير. ليلة مؤرقة أخرى، مترعة بالعمل والمخاوف والآلام! كان يعاني من الألم في الكبد والمعدة.

عندما طلب مني في الليل إجلاسه ووجب علي أن أدعمه من الخلف، كابدت لوعة تلمس العظام الهزيلة لعملاقي الجبار ليوفوتشكا، الذي كان موفور الحيوية والنشاط والقوى البدنية، وأصبح الآن رجلاً مسكيناً يبعث

على الرثاء. لا يستطيع أحد ممن يتولون رعايته تحسس هذا مثلي. وبالإضافة إلى المعاناة الروحية كنت أشعر طوال الوقت بشيء ما يتمزق في كياني سوية مع الآلام.

قبل أيام قال ل. ن. «كل شيء يؤلمني، والماكينة كلها صارت عاطلة. إذا ما سحبت المقدمة تتعطل المؤخرة، وإذا ما سحبت المؤخرة تتعطل المقدمة». وصباح اليوم قال وقد هده الضنى: «ما أصعب أن ينازع المرء الموت من دون أن يموت أو يتعافى». ليكن ما يكون!

كان الجو أمس صاحياً، وحالته أفضل. اليوم هطل الثلج مجدداً وسادت العتمة والرطوبة، وبلغت نقطة التجمد، بينما كانت درجة الحرارة أمس 3 تحت الصفر.

في مساء يوم أمس أملى أفكاره لغرض تسجيلها على بافل ألكسندروفتش بولانجيه.

10 فبراير. الجو صاح اليوم أيضاً ودرجة الحرارة 3 فوق الصفر، ولهذا فإن مريضنا العزيز نام ليلته نوماً طيباً، وعانى من الكآبة بدرجة أقل في النهار، بالرغم من ضعفه الشديد، بينما كانت درجة الحرارة 36.3. لم يتحدث اليوم ولم يسأل عن أي شيء، ورقد بهدوء، وشرب شيئاً من القهوة ثلاث مرات، وطلب الشمبانيا مرة واحدة، وتم حقنه بالكافور مرتين. إنه هادئ، ولهذا تملكني الهدوء أيضاً.

أعدت مطالعة مقالة ليف نيقولايفتش «التعاليم المسيحية». وتراءى لي طوال الوقت بأنني عرفت ذلك منذ وقت بعيد وبعيد جداً، وأعرفه منذ الطفولة وأمعنت الفكر فيه عشرين مرة بنفسي.

«إن هدف حياة الإنسان هو الرغبة في الخير لنفسه ولجميع الكائنات. ولا يمكن بلوغ ذلك إلا بوحدة البشر فيما بينهم...».

من منا لم يراوده منذ الطفولة المبكرة الشعور بأنه يجب أن يتمتع *الجميع* بالمسرة وبالخير، لأن هذا خير للجميع.

إن الإنسان يعيش، ويشب. وفي كل مكان يعاني من الآلام، *والجميع ليسوا* بخير. ومنذ أيام قلبت الصحيفة فوجدت فيها الخبر: حدث زلزال في

شيماخ، وهلك آلاف الناس في عذاب رهيب... والإنجليز (الجنود) صنعوا من النساء والأطفال الأحياء متراساً لحماية أنفسهم لدى إطلاق النار على البوير، أي على آباء وأزواج وإخوة وأبناء هؤلاء النساء.

أنا لا أصدق بأن رغبتي الطفولية الحارة في أن تكون حياة الجميع طيبة، كانت لها قيمة ما، والنتيجة ينبغي أن أستسلم للقدر. طبعاً إن هذا لا يقف حائلاً دون أن تصبو الروح إلى بلوغ الشيء ذاته، أي إلى المحبة، والرب.

في المساء. نام ل. ن. طوال النهار، وفي المساء دعا ماشا إليه وأمرها بأن تكتب إلى ليوفا، الذي تعذب كثيراً بأنه جعل أبيه يكابد الكدر بسبب روايته والدعاية التي قام بها الناشر في المجلة، وإن الرواية موجهة ضد التولستويين، وأورد الكلمات التالية: «يؤسفني لقولي كلمة أحزنتك. والإنسان لا يمكن أن يكون غريباً عن الإنسان الآخر، بالأخص إذا ما كان يرتبط به بوشائج قريبة كتلك التي تربطني بك. طبعاً... لا مجال للحديث عن الغفران».

كانت تقلق روحي الصغيرة شتى الإعلانات حول الحفلات الموسيقية، وحول عزف مؤلفات سيرجي إيفانوفتش، وأنا رغبت على حين غرة، كرغبة الجائع في تناول الطعام، في الإصغاء إلى الموسيقى، إلى موسيقى تانييف التي تؤثر بعمقها في نفسي تأثيراً بالغاً.

12 فبراير. كان ل. ن. في هذه الأيام نؤوماً جداً وضعيفاً وقليل الكلام. ويوم أمس طلب من الدكتور فولكوف إبلاغه حول كيف يعالج بوسائل الطب الشعبي الشيوخ مثله، وفيما إذا يتم حقنهم بالكافور، ومن يقعدهم ويطعمهم؟ فروى فولكوف له كل شيء، وأنه يتم علاجهم بالطريقة ذاتها، ويقعد معهم ويعتني بهم أهل بيتهم، وغالباً ما يفعل ذلك الجيران.

عاد شوروفسكي بمرافقة ابنته.

ساشا مريضة. الجو أصبح أكثر دفئاً.

لقد كابدت لوعة حارة بسبب الإجهاد بدنياً وروحياً، لكن الرب يهب القوة، وأنا شاكرة له ذلك.

13 فبراير. كانت الليلة الماضية صعبة مجدداً. وكانت درجة حرارة المريض

طوال يوم أمس حوالي 37، وبقيت اليوم في حدود 36.5. لكن اليوم سجل ضعف شديد والميل إلى النوم خلال النهار كله، وحتى لم يغتسل واحتسى في شبه الغفوة قدحين صغيرين من القهوة، وتناول بيضتين وشرب كأساً من الحليب. في الصباح غفوت قليلاً، وخلال النهار كله جلست مع ليوفوتشكا وانهمكت في خياطة مختلف الوسادات والمفارش الصغيرة وغير ذلك.

اختتمت اليوم قراءة كتاب ليوفوتشكا «التعاليم المسيحية». لقد تناول فيه بصورة جيدة جداً موضوع الصلاة والحياة في المستقبل.

14 فبراير. ليلة يسودها الغم والخوف. لم أكابد منذ وقت بعيد، كحالي اليوم، مثل هذا الضعف والوهن. وشعرت مجدداً بضعف القلب، وبضيق النفس.

قرأت يوم أمس للأطفال، لفيرا ناجورنايا والصبايا، حكايتي الصغيرة للأطفال، التي لم أختتم كتابتها بعد، وعنوانها «الهياكل العظمية»، وأعتقد أنها حظيت بإعجابهن.

أنا لا أعلم كيف أفكر فيما يخص ليوفوتشكا، فقد صار يقلل من تناول الطعام، ويمضي الليالي بصورة أسوأ فأسوأ، ويتحدث بصوت خافت أكثر فأكثر. هل إن هذا الضعف مؤقت أم نهائي، أنا لا أفهم، ولكن يراودني الأمل جداً، واليوم عانى من الكمد مجدداً.

كم أتمنى لو أستطيع رعايته بلطف وصبر حتى النهاية، بلا اعتبار لمعاناة القلب القديمة التي سببها لي في الحياة. لكنني بكيت بحرقة اليوم بسبب حبي الدائم الذي لحقته الإساءة ورعايتي لليف نيقولايفتش. طلب عصيدة الشوفان المجروش، فذهبت إلى المطبخ وأمرت بإعدادها، ثم جلست بالقرب منه. وغفا. كانت العصيدة جاهزة، وعندما استيقظ ل. ن. سكبتها في الصحن، ووضعتها أمامه لكي يتناولها. لكنه استشاط غضباً وقال إنه سيطلبها بنفسه، وإنه سيتقبل طوال المرض الطعام والأدوية والمشروبات من الآخرين وليس مني. عندما يطلب إجلاسه، وعدم النوم، وتقديم الخدمات الحميمية، ولف الكمادات، فإنه يأمرني بأن أفعل ذلك بلا رحمة. وقد لجأت إلى الحيلة فيما يتعلق بعصيدة الشوفان: إذ دعوت ليزا إليه، بينما جلست أنا

في الغرفة المجاورة، وحالما خرجت طلب العصيدة وصار يتناولها، بينما ذرفت أنا الدموع.

إن هذا المشهد الصغير يميز كل حياتي الصعبة معه. وكان هذا الجهد يكمن في الصراع الدائم مع *روح التناقض* لديه. فقد كان يعارض دائماً جميع اهتماماتي المعقولة والحانية به ونصائحي له.

15 فبراير. يدب الضعف في ليوفوتشكا لليوم الثالث ويرفض تناول الطعام. واليوم اشتد لديه الألم في المرارة. ووضعت له مع ماشا كمادة ساخنة من الزيت والكلوروفورم. وخف الألم الآن. البرودة تسري في ساقيه وذراعيه... ويعرب الأطباء عن الأمل...، لكنه يعاني من وجع لا يطاق في القلب والأمل ضعيف. وقد نام فترة طويلة الليلة وكان نومه جيداً، ولزمت الخفارة حتى الساعة الخامسة صباحاً، ثم حلت ليزا محلي. عندما كابد ليوفوتشكا الألم الممض في الجنب الأيمن، انحنيت عليه وقبلته في جبينه ويديه، وقلت إنني أشفق عليه لكونه يتألم من جديد. فنظر إلي بوهن، وذرف الدموع من عينيه، وقال بصوت خافت: «لا بأس، يا روحي، هذا أمر طيب».

لقد كنت مسرورة اليوم لأنني رأيت لأول مرة فيه ليست الرغبة القاتمة في البقاء على الحياة، بل الوداعة الطيعة. ليساعده الرب بأن يخفف من عذابه وألمه ووفاته.

ساشا مريضة. لقد أصابني الجزع بشأنها. يا رب، أي شتاء قاتم نحيا فيه! موت الحفيدين، ومرض ليف نيقولايفتش الشديد، وماذا ينتظرنا بعد! كانت درجة حرارة ل. ن. اليوم 36.2، والنبض 100. تم حقنه بالكافور مرة أخرى.

في المساء. تلقيت رسالة من أنطوني متروبوليت بطرسبورغ، يرجو فيها إقناع ليف نيقولايفتش للعودة إلى كنف الكنيسة، والمصالحة مع الكنيسة، ومساعدته في أن يموت كمسيحي. وأبلغت ليوفوتشكا بهذه الرسالة، وطلب مني أن أكتب إلى أنطوني بأن قضيته الآن مطروحة أمام الرب، وقال اكتبي له إن صلاتي الأخيرة هي: «جئت منك وإليك أعود. لتعلو إرادتك». وعندما قلت بأنه إذا ما أرسل الرب الموت فتجب المصالحة مع جميع الأمور الدنيوية ومنها الكنيسة، فأجابني ل. ن. قائلاً: «لا مجال للكلام عن

المصالحة. أنا سأموت بلا أي عداء وشر، وما هي الكنيسة؟ وكيف يمكن المصالحة مع شيء غير محدد المعالم؟». بعد ذلك أرسل ل. ن. تانيا لكي تبلغني بأن لا أكتب شيئاً لأنطوني.

اشتد الألم الآن في الجنب الأيمن، والالتهاب باق، وغداً ستوضع له كمادة الكانتاريدين السامة «موشكا».

ضباب، رطوبة. ترابط في البحر أمام جاسبرا سفينة تطلق الصفارات بصوت حزين. يبدو أن السفن ألقت مراسيها في البحر، وتخشى التحرك في الضباب.

19 فبراير. لم أدون شيئاً خلال عدة أيام، وأجهد نفسي كثيراً في أعمال العناية، ولا يتبقى لدي كثير من الوقت، وهيهات أن أتمكن فيه من إنجاز الأمور البيتية والأعمال الضرورية وكتابة الرسائل.

بينما يرقد زوجي المسكين ليوفوتشكا واهن القوى، ويعاني من المرض المستمر. جاء في مساء 17 فبراير الطبيب سليفتسكي لكي يعيش هنا بصورة دائمة. بينما يعودنا في كل يوم الطبيبان فولكوف والتشوللر، حيث يحقنانه يومياً بالكافور، ويقدمان له Nux vomica. ويشرب ل. ن. بكل رضى اللبن الزبادي وتناول اليوم ربع أنصاف القناني منه. يعتقد الأطباء أن انحسار التهاب الرئة اليمنى يجري ببطء وبصعوبة جداً. لكن يقلقني قبل كل شيء بقاء الحمى يومياً. ففي الصباح 36.1 وفي الساعة السادسة مساء تصل إلى 37.5. هذا ما كانت عليه أمس واليوم.

جاء إلينا تتري للسلام عليه وتمني الصحة والعافية له، وجلب كهدية طربوشاً وجلباباً، وحتى لبس ل. ن. الطربوش من أجل قياسه. وقبل يومين استدعى بولانجيه ليلاً وأملى عليه بعض أفكاره. ما الحاجة إلى العمل الذهني!

لا تسافر ليزا أوبولونسكايا، وستبقى للعناية بليف نيقولايفتش، وقد أثر موقفها هذا فيّ تأثيراً بالغاً.

20 فبراير. كانت حالته الصحية يوم أمس أفضل، حيث بلغت درجة الحرارة فقط 37.1، وكان ل. ن. نفسه مفعماً بالحيوية أكثر. ويوم أمس قال مخاطباً الدكتور فولكوف: «يبدو، أنه ينبغي أن أحيا مجدداً». وسألته: «ما الذي يولد السأم لديك؟». فقال بحيوية: «أي سأم؟ كلا البتة، كل شيء طيب جداً». في المساء أبدى اهتمامه بكوني أجهد نفسي، وأمسك بيدي، وتفرس فيّ بحنان وقال: «شكراً، يا روحي، كل شيء طيب جداً».

22 فبراير. إن حالته اليوم أفضل، وبلغت درجة الحرارة في الصباح 36.1، وفي المساء 36.6. تم حقنه بالكافور، وبالزرنيخ للمرة الثانية في الصباح. سافر بولانجيه اليوم، بلا رغبة في العودة إلى أسرته. أية تعاسة أن تكون لدى المرء أسرة لا يحبها. تبقى المصاعب فقط.

أواصل الجلوس في كل ليلة حتى الساعة الخامسة صباحاً، ومن ثم لا أستطيع أن أغفو بسبب الإجهاد. أجلس طوال اليوم، وأمارس الخياطة في غرفة المريض الذي تزعجه أية نأمة. الأمور المعيشية هنا صعبة وثقيلة الوطأة بسبب الغلاء. كتبت عدة كلمات في الإجابة عن رسالة المتروبوليت أنطوني. ساشا مريضة جداً، وقد أصيبت بالتهاب القولون الغشائي الحاد، بالإضافة إلى ذلك إنها تعاني من أوجاع الأذن والأسنان. الجو بارد، هطل الثلج.

تلقيت رسالة من بوتينيف يعرض فيها التخلي عن لقب راعية الملجأ بسبب غيابي ولا يمكن أن أجلب المنفعة إلى الملجأ. سنرى من سينتخبون، وكيف سيدبرون الأعمال هناك.

23 فبراير. ليلة صعبة أخرى. ارتفعت درجة الحرارة في المساء إلى 37.4، بينما بلغ النبض حتى 107، لكنه سرعان ما تراجع إلى 88 و89.

في الليل دعاني: «صونيا؟». فدنوت منه. «لقد رأيت في الحلم الآن بأننا نذهب في الزلاجة إلى نيقولسكويه».

وفي الصباح قال لي بأنني اعتنيت به ليلاً بصورة جيدة جداً.

25 فبراير. اليوم الأول من الصوم الكبير. كم أتمنى أن يرتادني مزاج الهدوء وورع الصلوات وفروض الحرمان وانتظار الربيع وذكريات الطفولة، والذي كان يحضرني بموسكو وفي ياسنايا لدى بدء الصوم الكبير.

أما هنا فكل شيء غريب، وكل شيء يمضي بلا مبالاة.

حالة ليف نيقولايفتش باقية كما هي تقريباً. علماً بأنه نفسه يتمتع بحيوية أكبر، ونام ليلاً نوماً عميقاً من 12 وحتى 3 لأول مرة من دون أن يستيقظ. في الساعة 5 صباحاً ذهبت إلى الفراش للرقاد، أما هو فقد أمضى بقية الليلة بصورة سيئة. في الصباح طالع الصحف وسأل عن الرسائل الواردة، ولكنها لم تثر اهتمامه. تتضمن اثنتان منها الدعوة للعودة إلى كنف الكنيسة وأداء طقوس المناولة، - وقد وردت مسبقاً رسائل كهذه، - بينما تتضمن اثنتان الحصول مجاناً على مؤلفاته، ويعرب اثنان من الأجانب عن مشاعر الإعجاب والاحترام له. كما تلقيت أنا رسالة من الأميرة ماريا دوندوكوفا - كورساكوفا تطلب فيها أن أعيد ل. ن. إلى الكنيسة وأجعله يقوم بطقوس المناولة.

إن سادة الكنيسة قد أخرجوا، أو ساعدوا في خروج ل. ن. من الكنيسة، والآن يرسلون آخرين لكي أعيده إليها. أية حماقة!

رطوبة، برد، رياح. إن شهر فبراير كله فظيع، وعموماً فإن الطقس غير صحي وسيئ جداً. أصبحت حالة ساشا أفضل.

27 فبراير. لم أكتب شيئاً يوم أمس، وقد لاحظت منذ الصباح تدهور صحة ليف نيقولايفتش. فقد كان نومه سيئاً في العشية، وطوال يوم أمس لم يتناول شيئاً من الطعام، وعند الظهر ارتفعت درجة حرارته إلى 37.5، وبحلول الليل أصبحت 38.3. وأصابني الفزع مرة أخرى: حينما رأيت هذا النبض الفظيع، السريع، البالغ حتى 108 ضربات في الدقيقة، واضطراب النبض، كدت أفقد الوعي بسبب كرب القلب هذا الذي كابدته مراراً خلال هذا الشتاء.

نام ل. ن. الليلة بصورة لا بأس بها، ولكن درجة الحرارة ارتفعت في الساعة الثالثة مجدداً إلى 37.5، وفي صباح اليوم كانت 36.1. وانبجست مجدداً الحيوية، والشهية للطعام. كما أنه حتى طالع جريدة، وتناول اللبن الزبادي بكل سرور، كما تناول الطعام في ثلاث وجبات.

أبدى سريوجا نشاطاً عجيباً وهمة في العناية بأبيه طوال الليل. وقال لي ليف نيقولايفتش: «يا للعجب، إنني لم أتوقع أبداً أن يبدي سريوجا مثل رهافة الحس والرعاية هذه»، وتهدج صوته لدى ذرف الدموع.

قال لي اليوم: «قررت اليوم ألا أنتظر أي شيء، فقد كنت أنتظر المعافاة دوماً، أما الآن، ومنذ هذه اللحظة، لن أتطلع إلى الأمام». وصار ل. ن. يطلب بنفسه إعطاءه زهر الكشتبان أو يطلب المحرار لقياس درجة حرارته. ويواصل شرب الشمبانيا، ويسمح بحقنه بالكافور.

28 فبراير. الساعة الآن العاشرة والنصف مساء، وليف نيقولايفتش يعاني من السخونة مجدداً، 38 درجة، ونبضه سيئ، فيه اضطراب، ومجدداً حالته تبعث على الجزع. قال اليوم مخاطباً تانيا: «حسناً أن يستمر المرض، ويتوفر الوقت للاستعداد للموت».

كما قال لها اليوم: «أنا مستعد لكل شيء: أنا مستعد للحياة ومستعد للموت».

في المساء مسد يدي وشكرني. وعندما تم تغيير اللحاف غضب فجأة، وتراءى له أنه يعاني من البرد. حقاً، إنه أعرب لي عن أسفه لاحقاً بسبب تصرفه.

في الصباح تناول الفطور، وطالع الجريدة، لكنه أصيب بالضعف في المساء.

عاصفة رهيبة، درجة الحرارة 1 تحت الصفر، الرياح تقصف وتعوي وتهز أطر النوافذ.

سكبت الحبر ولطخت كل شيء.

4 آذار. بدأت صحة ليف نيقولايفتش تتحسن يوماً بعد يوم. استمع الأطباء إلى دقات صدره ووجدوا أنه ما زال فيه شخير كبير. أملى علي مساء يوم أمس جوابه عن رسالة بيرتنسون. كما يملي يومياً على أحد ما رسائل مفتوحة إلى بولانجيه. إن بولانجيه هذا رجل رائع، واعتنى ب ل. ن. مثل ابنه، بينما أنا أشعر بالنفور منه، كما لو أنه نفور جسدي تتقزز منه النفس. وعموماً نادراً ما يكون الرجال ظرفاء.

5 مارس. وضع ليف نيقولايفتش الصحي أفضل. كانت درجة الحرارة صباحاً 35.7، وفي المساء – 36.7. ما زال الأطباء يشيرون إلى وجود شخير ما، وعموماً، إذا لا نعرف بوجودها، فكل شيء على ما يرام. الشهية كبيرة لدرجة أن ليف نيقولايفتش ينتظر على أحر من الجمر موعد الغداء والفطور وهلم جرا. تناول ثلاث قنانٍ من اللبن الزبادي خلال يوم واحد. واليوم طلب تحويل السرير باتجاه النافذة لكي يتطلع إلى البحر. إنه نحيل جداً وضعيف البنية. لا ينام جيداً في الليل وطلباته كثيرة: يطلب خمس مرات في الساعة تعديل الوسادة أو تغطية رجليه، أو تعديل وضع الساعة، أو تقديم اللبن الزبادي له، أو إنعاش ظهره، وإجلاسه، والإمساك بذراعيه... وحالما أرقد على الكنبة يدعوني مرة أخرى.

السماء صافية في النهار ومقمرة في الليل، وأنا أبدو ميتة وجامدة مثل الصخور في الطبيعة والبحر الساكن. واصلت الطيور تغريدها عند النوافذ، ولأمر ما فإنه لا يجسد القرم... لا تغريد الطيور ولا أزيز الذبابة عند النافذة، ولا القمر، بل يذكر بالربيع في ياسنايا بوليانا أو بموسكو، وتذكرني الذبابة بالصيف الحار في موسم العمل، ويذكرني القمر بحديقتنا في خاموفنيكي (بموسكو) وبرجوعي من الحفلات الموسيقية...

6 مارس. كانت الليلة الماضية فظيعة. كابدت من الألم في الجسم والساقين والروح، وكل شيء ليس على ما يرام، والشيء الرئيس الذي كدرني في ليف نيقولايفتش أنه كان يقول إنه أمر سيئ كونه قد تعافى. «أنا أفكر، لماذا تعافيت، كان الأفضل أن أموت».

أمضى النهار في خمول ولا مبالاة، بينما جلست إلى جواره خلال النهار كله، وخرجت مرة واحدة فقط إلى جناح المبنى لكي أعزف مقطوعاتي الموسيقية المحبوبة... لكن لا، إنني لا أستطيع القيام بهذا أيضاً...

7 مارس. أصابنا رعب شديد اليوم حين بلغ النبض في النهار 107 ضربات في الدقيقة، بينما رقد ليف نيقولايفتش بلا حركة، ولم يجلس، ولم يغتسل، ولم يتناول طعام الغداء تقريباً، وتناول الطعام بشهية في الصباح فقط. لم

ترتفع درجة الحرارة عن مستوى 36.8، وفي المساء انخفضت. شعر بألم في الكبد، ووضعت له الكمادات على البطن والرئتين.

الجو صاح في هذه الأيام، لكن الهواء بارد. كانت درجة الحرارة في الصباح 4 – 5 درجات فوق الصفر، وهبت الرياح. لكن الشمس حارقة، وتفتحت البراعم، وغردت الطيور.

8 مارس. نهضت منذ الصباح عليلة تماماً: ثمة ألم تحت الإبط، والظهر، ولو أن ليف نيقولايفتش أمضى ليلته جيداً جداً، واستغرق في النوم أكثر من الليالي الماضية.

وقع حادث مزعج لسريوجا. إنه سيئ الطبع: فهو ميال للشجار والصراخ، ويبدو كما لو أنه يبحث عن ذريعة ما للخصام. اليوم احتسيت القهوة وذهبت إلى غرفة الاستقبال، ومجدداً أصبت بما يشبه الهستيريا كما حدث منذ أيام، لأن سريوجا يواصل الصراخ على الشخص الآخر ما دام هذا لا يطيق السكوت. وكان السبب في كل شيء بحث موضوع شراء مقعد من أجل ليف نيقولايفتش: قال سريوجا يجب إرسال برقية إلى أوديسا، لكنه لا يعرف إلى من. بينما قلت إنه يجب أولاً تحديد أي مقعد والكتابة إلى موسكو حول هذا بالتفصيل. فاستشاط غضباً وبدأ بالصراخ.

10 مارس. خرجت للنزهة في أول مرة، وفور ذلك ذهلت لمرأى الربيع في تمام عنفوانه. العشب كما عندنا في روسيا في شهر مايو. وزهور آذان الدب متفتحة بمختلف التلاوين، وكذلك الهندباء البرية وفي بعض الأماكن ينمو نبات القراص. وتظهر على الأشجار البراعم. الشمس ساطعة والسماء الزرقاء والبحر، والطيور، إن هذه الكائنات الظريفة تغرد في كل مكان.

تحسنت صحة ليف نيقولايفتش بشكل ملحوظ مع تحسن الطقس. وبلغت درجة الحرارة اليوم 35.9، والنبض 88. الشهية كبيرة، ويشرب اللبن الزبادي بتلذذ ليلاً ونهاراً. يطالع الصحف والرسائل، لكنه معتكر المزاج لحد ما.

يوم أمس سافرت ليزا أوبولينسكايا والدكتور سليفيتسكي. بقي للمبيت

عند ل. ن. طبيب أرمني، من المنفيين، بينما جلست مجدداً حتى الساعة الرابعة والنصف ثم حلت تانيا محلي...

11 مارس. ليف نيقولايفتش يتعافى. ذهبت إلى يالطا، الجو صاح، وتسود زرقة السماء والبحر، والطيور تغرد، وينمو العشب في كل مكان. لكن الأشجار ما زالت عارية، وتزهر أشجار اللوز فقط في بعض الأماكن.

في المساء جلست مع ل. ن. فقال: «لقد نظمت شعراً، وأورده بما معناه:

قال الذهب، كل شيء يخضع لي،

بينما أنا قلت:

قالت القوة سأحطم كل شيء،

وقال الفكر سأنبت كل شيء.

دلكنا جسده كله بالكحول والماء الدافئ، وأرقدناه في الفراش لكي ينام في الساعة العاشرة.

12 مارس. حالة ليف نيقولايفتش أفضل، لكن التحسن يتم ببطء. طالع اليوم صحيفة «فيستنيك يفروبا» والصحف الأخرى واستفسر عن أخبار موسكو من ليوفا سوخوتين الذي وصل من هناك. جاء الدكتور التشوللر، وهو يفكر في أن يضع لبخة «موشكا» له.

جلست خلال النهار كله في البيت بإصرار وانهمكت في أعمال الخياطة ولم أكن أنهض إلا لأداء الخدمات لليف نيقولايفتش. إنني أتولى دائماً في الصباح مهمة اغتساله، وإطعامه الفطور، وتمشيط رأسه. اليوم بلغت درجة الحرارة 36.8، لكنه تناول طعامه جيداً، وسرعان ما نام. لا ريب في أنه يتعافى، لكن نبضه ما زال يتراوح ما بين 89 – 88 و92.

13 مارس. أصبح الطقس دافئاً، 13 درجة فوق الصفر في الظل. *وتساقط مطر دافئ.* بدأت صحة ليف نيقولايفتش تتحسن أكثر فأكثر. لكنني أواصل الخفارة حتى الساعة الخامسة صباحاً. يوم أمس حلت ساشا محلي، واليوم ستحل تانيا.

طالعت في وقت متأخر من مساء يوم أمس ترجمة مقالة «الروح السامية» لإيمرسون. ولم أجد شيئاً جديداً في هذه المقالة، فقد أورد فيها ما قاله الفلاسفة القدامى منذ وقت بعيد وبشكل أفضل. بالمناسبة يجب القول بأن أي عبقري أقرب كثيراً في التعامل مع الفلاسفة المتوفين، مما مع المقربين الأحياء من أسرته. هذه فكرة ساذجة جداً. لا ريب في أنه عندما تنحل الحياة الأرضية المادية لا يتبقى بعد وفاة الفلاسفة سوى أفكارهم المسجلة. لكن ليس العبقري فقط، بل نحن البسطاء أيضاً، حين نقرأ هذه الأفكار نتعامل مع المفكرين المتوفين بشكل أقرب حتى من العباقرة الأحياء. إن العباقرة الأحياء، وقبل أن يتخلصوا من القشرة المادية ويدخلوا التاريخ بأعمالهم، إنما يوجدون من أجل ابتلاع كل وجود أولئك الذين يزعم بأنهم لا يتفهمون المقربين في بيتهم.

يجب أن يوفر من أجل *العبقري* وضع هادئ وحيوي ومريح، ويجب إطعام *العبقري وغسله وإلباسه، واستنساخ مؤلفاته عدة مرات*، ويجب أن يحب، ولا تعطى الذريعة له لكي يشعر بالغيرة، وأن يكون هادئاً، ويجب إطعام وتربية أبنائه الكثيرين الذين ينجبهم العبقري، لكن لا يتوفر لديه الوقت لتدبير شؤونهم بل يشعر بالملل من ذلك، لأنه يجب أن يدرس الابيكتاتات والسقراطات والبوذات وهلم جرا وأن تصبو نفسه لكي يصبح مثلهم.

عندما يضع أهل البيت المقربون شبابهم وقواهم وجمالهم جميعاً في خدمة هؤلاء العباقرة، وعندما يوجه إليهم اللوم بأنهم *لم يفهموا العباقرة* كما يجب، لا يقول العباقرة كلمة شكر لهم أبداً، رغم أنهم ضحوا ليس بشبابهم فقط، بل وبحياتهم المادية الخالصة لهم، وأوقفوا نمو قدراتهم الروحية والذهنية التي ما كان بوسعها أن تنمو وتتغذى بسبب عدم وجود الراحة والهدوء والقوة.

أنا خدمت *عبقرياً*، طوال أربعين عاماً، وأعرف كيف نهضت في أعماقي مئات المرات الحياة الذهنية، وجميع الرغبات والطاقة والسعي إلى التطور، وحب الفن والموسيقى... لكنني أخمدت جميع هذه التطلعات المرة تلو المرة دوماً، والآن أيضاً، وسأخدم هذا *العبقري* حتى آخر أيام حياتي بهذا الشكل أو ذاك.

وقد يسأل أحدهم: «ما حاجتك أيتها المرأة التافهة إلى هذه الحياة الذهنية أو الإبداعية؟».

يمكن أن أورد جواباً واحداً فقط عن هذا السؤال: «أنا لا أعرف، لكن أنا أخمدها دائماً وإلى الأبد، بغية أن أقدم الخدمة المادية إلى العبقري، هي تعني معاناة آلام كبيرة». ومهما أحببت ذلك الرجل، الذي يعتبره الناس عبقرياً، فإن أقوم بولادة الأطفال بلا توقف، وأطعم وأخيط أعطي الأمر بتهيئة الطعام، وأضع الكمادات وأعمل الحقن الشرجية، وأجلس بصمت ببلاهة، وأنتظر طلب تقديم الخدمات المادية - فهذا يجعلني أكابد لوعة حارة، ولا أحصل مقابل ذلك على أي شيء، حتى على الامتنان البسيط، بينما ستوجد ذرائع كثيرة لتوجيه الملامات لي. إنني تحملت وأتحمل عبء هذا الجهد الثقيل، وأنا منهكة.

إن جميع الأقوال الرنانة حول عدم تفهم الأهل للعباقرة تحولت إلى خيبة أمل لدى إيمرسون وجميع الذين كتبوا وتحدثوا عن هذا الموضوع منذ زمن سقراط وزوجته كسانتيبا.

حينما يوجد حب حقيقي بين العبقري وزوجته، كالذي كان بيني وليف نيقولايفتش، لا ضرورة لكي تتمتع الزوجة بعقل راجح من أجل التفهم، بل يحتاج الأمر إلى *غريزة القلب*، ورهافة الحس في الحب، عندئذ سيكون كل شيء مفهوماً، وسيكون الاثنان سعيدين، مثلما كنا. وأنا لم ألاحظ طيلة حياتي في العمل - في خدمة الزوج العبقري - بل تحسست بقدر أكبر هذا العمل، حينما رأيت بعد قراءة يوميات زوجي أنه كان يعنفني في كل مكان من أجل بلوغ مجده الكبير: لقد كان بحاجة إلى أن يبرر بشكل ما حياة الترف (نسبياً) في العيش معي. كان ذلك في عام وفاة فانتشكا، عندما كنت أميل بروحي المتألمة بأكبر قدر إلى زوجي، فتحطم قلبي بقسوة وأصبت بخيبة أمل فيه.

15 مارس. كابد ل. ن. الليلة الماضية الأرق والألم في ساقيه، وفي بطنه. كانت درجة الحرارة صباحاً 36.1، وفي المساء 36.5. النبض 86. بينما كان ل. ن. في النهار متكاسلاً وخاملاً وطالع الصحف والرسائل، وأملى على ليزا أوبولينسكايا رسالة، ولم يتحدث كثيراً.

ذهبت مع ماشا وكوليا في الاتجاه البعيد عن البحر. ورجعت من هناك مع يوليا إيفانوفنا. أمواج صاعدة، وأمواج متكسرة على الشاطئ، وتلاوين مائلة إلى الاخضرار. لا شيء يبعث على انشراح الصدر، ويؤثر في النفس. ولا يتحسس المرء هناك أي ربيع. ويختلف الأمر عن الربيع البهيج الروسي عندنا، حين يتكسر الثلج والجليد، وتتحطم الأنهار المتجمدة، وتتدفق السيول، وتحلق الطيور، وفجأة كما يحدث في المعجزة، يصبح *كل شيء أخضر*، وتتفتح الزهور، وتصبح نضرة... أما هنا فالجو أكثر دفئاً بقليل، والخضرة أكثر كثافة في المتنزهات، بينما تكمن هامدة الصخور ذاتها، والأشجار ذات الجذوع الملتوية، والتربة الخالية من الحياة والبحر المضطرب.

عملت كثيراً في خياطة الملابس.

19 مارس. الحياة تمضي بوتيرة رتيبة، لذا لا أجد ما يكتب. مرض ل. ن. قد ولى تقريباً، وبقي ضعف البدن، وأحيانا ترتفع درجة الحرارة قليلاً إلى 37 درجة. النبض صباحاً 80، وبعد تناول الطعام 92 – 96. الشهية جيدة، لكن الليالي مترعة بالقلق.

فيما يتعلق بمزاجه هو واجم وصامت. أجده دوماً يحسب ضربات النبض. تطلع اليوم، المسكين، من النافذة إلى الشمس ورجاني أن أفتح ولو قليلاً باب الشرفة، لكنني لم أقدم على ذلك، وأتوجس الخيفة.

5 إبريل. مضى وقت كثير مليء بالأحداث الصغيرة. في 30 مارس سافرت تانيا وعائلتها. وفي 24 مارس وصل أندريوشا. الوضع الصحي ل ل. ن. باق كالسابق تقريباً، لكن النبض متسارع جداً في الأيام الثلاثة الأخيرة. يقدم له مختلف أصناف العلاج – بلا توقف: يحقن بالزرنيخ منذ 2 إبريل، واليوم تم علاج البطن بالكهرباء. تناول Nux vomica، والآن المنغنيز، وفي الليل يتناول البزموث وقطرات الأثير والناردين. في الليالي في البداية كل شيء يبعث على القلق، ألم في البطن والساقين. يجب تدليك الساقين، وهذا عمل مجهد جداً بالنسبة لي: أشعر بألم في ظهري، ويصعد الدم إلى وجهي، وتتملكني حالة هستيرية. وعموماً كان كل شيء سلبياً، حينما كانت

الصحة جيدة، ولكن عندما يبدأ أول مرض خطير – تستخدم كافة الوسائل العلاجية، فيجتمع ثلاثة أطباء في اليوم، وبين يوم وآخر، والعناية بالمريض صعبة، والجميع منهكون ومشغولون، ويبتلع مرض ل. ن. الحياة الشخصية لكل واحد منا. إن ليف نيقولايفتش قبل كل شيء كاتب، وصاحب أفكار، لكنه في الحياة العادية رجل ضعيف، وأضعف منا نحن الناس العاديين بقدر كبير. إنني كنت أتعذب لو كتبت وقلت شيئاً ما، بينما أحيا وأفعل بصورة مغايرة تماماً. وأعتقد أن هذا لا يهمه البتة. طالما لا يتأذى، وطالما يعيش ويتعافى... وأي أهمية لموعد تناول الأدوية، واستبدال الكمادات، وأي جهد يبذل من أجل تناول الطعام والنوم والتخفيف من الألم.

لقد تأثر ل. ن. كثيراً لدى سماع نبأ اغتيال وزير الداخلية سيبياجين. الشر يولد الشر، وهذا شيء فظيع حقاً. اليوم كتب ل. ن. خلال فترة طويلة رسالة إلى الأمير المعظم نيقولاي ميخايلوفتش وعرض فيها مجدداً، كما في رسالته إلى القيصر، أفكاره حول ملكية الأراضي وفق منهج هنري جورج. كما كتب له أن اغتيال سيبياجين قد يؤدي إلى مواصلة الشر، ويجب إيقافه بتغيير نظام الإدارة في روسيا.

يوم أمس واليوم عزفت على البيانو في جناح المبنى، لوحدي، وبسرور، حوالي ساعتين.

الطقس يبعث على التقزز: عواصف، ريح باردة، ودرجة الحرارة خلال جميع هذه الأيام 4 فوق الصفر. واليوم 7 درجات. لم أخرج من البيت، وانهمكت في الخياطة والمطالعة، يضعف بصري.

13 إبريل. السبت، مساء عشية عيد القيامة الكبير، ويا رب! أي كدر لا يطاق. أجلس وحيدة في الطابق العلوي، في مخدعي، ونامت إلى جانبي الحفيدة صونيتشكا. بينما يجري في الأسفل، في غرفة الطعام، هرج ومرج وثني منفر. إنهم يلعبون بالورق لعبة «الفينت»، ونقلوا إلى هناك ليف نيقولايفتش في مقعده، وهو يتابع بحماس عزف ساشا.

أنا وحيدة جداً. إن أبنائي أكثر طغياناً وغلاظة وإلحاحاً من أبيهم. والأب يجيد كل الإجادة في إقناع الآخرين بالتناقضات والأفكار الزائفة، بينما أنا لا

أمتلك عقله وهيبته، أبدو عاجزة تماماً عن تحقيق جميع مطالبي. إنه يكدرني للغاية بمزاجه. إنه يعتني بجسده ويرعاه في المرض منذ الصباح، وجميع النهار، والليل كله. بينما لا أرى أي مزاج روحي على الإطلاق. وأحياناً كان يتحدث عن الموت وعن الصلاة وعن موقفه من الرب والحياة الأبدية. أما الآن فأنا أرى أنه لم يتبق أي شيء فيه من النزعة الدينية. إنه يعاملني بغلاظة وبلا عطف. وإذا ما قمت بحركة خرقاء بسبب التعب يبدأ بالصراخ غاضباً وباشمئزاز مني.

11 مايو. أنا أشعر بتأنيب الضمير لكوني كتبت في يومياتي عبارات لا تنم عن شعور طيب حيال ليوفوتشكا وأفراد أسرتي. وقد تكدرت بسبب موقف جميع أفراد العائلة من أسبوع الآلام، بينما أنا نقلت تكدري إلى أفراد عائلتي بدلاً من أن أتذكر نفسي فقط من حيث اقتراف الخطايا. «ربي امنحني البصيرة لأرى ذنوبي، ولا أدين أخي القريب مني...».

كم مضى من الوقت منذ ذلك الوقت، وما أعظم ما نكابده مجدداً بفظاعة!

صار ل. ن. يتعافى بعد مرضه الأخير، حين أصيب بالتهاب الرئتين، وأخذ يتمشى في الغرف مستنداً على العصا، ويأكل بشهية، وتهضم معدته الطعام.

عرضت عليّ ماشا أن أسافر إلى ياسنايا وموسكو لقضاء بعض الأعمال، فقد كان ذلك ضرورياً جداً. وبعد التأمل في الموضوع، قررت السفر لفترة قصيرة جداً وسافرت في صباح 22 إبريل.

كانت رحلتي ناجحة جداً ومسرة. فأمضيت يوماً في ياسنايا بوليانا، وجاء إليها أندريوشا أيضاً. كان الطقس رائعاً، وأنا أحب كثيراً الربيع المبكر بخضرته اليانعة، وراودني الأمل في حدوث أمر ما طيب، ونضر، وجديد... اجتهدت في مراجعة الحسابات والتسجيلات وتفقدت جميع بساتين أشجار التفاح سوية مع المرشد، وتفحصت الماشية وعند الغسق ذهبت إلى جيبيش. لقد تفتحت أزهار بقلة الرئة والبنفسج، وغردت الطيور، وغابت الشمس وراء الغابة، والطبيعة نقية ومستقلة عن حياة البشر ومخاوفهم، وتمتعت كثيراً بالطبيعة.

وفي موسكو أبهجتني معاملة الناس لي. إنهم عاملوني بمودة وبحبور كما لو كان الجميع أصدقائي. وتم الترحيب بي في المتاجر والبنوك أجمل ترحيب بعد فترة الغياب الطويلة.

حالفني التوفيق في تدبير الأعمال، وزرت معرض الفنانين المتنقلين ومعرض الرسامين في بطرسبورغ. وحضرت عرضاً مسرحياً اختبارياً وأصغيت إلى موزارت، والموسيقى المرحة لأوبريت «Cosi fan tutti». والتقيت الكثير من الأصدقاء، ودعوت في يوم الأحد حلقتي الصغيرة المحبوبة من الأصدقاء: آل ماسلوف وماروسيا والعم كوستيا وميشا سوخوتين وسيرجي إيفانوفتش الذي عزف من أجلي مقطوعات صغيرة لأرينسكي وسوناتا شومان وسيمفونيته الرائعة التي أعجبتني أكثر من أي شيء آخر.

رجعت إلى جاسبرا ونفسي تفيض بالارتياح والهدوء، آملة واعتماداً على البرقيات اليومية بأن كل شيء هناك على ما يرام. واعتقدت بأنني يمكن أن أعيش شهر مايو أيضاً في القرم، وسررت لتحسن صحة ليف نيقولايفتش. وفجأة، عرفت حين وصلت إلى جاسبرا في 1 مايو أن الحمى لا تفارق ليف نيقولايفتش لليوم الثالث في الأمسيات. وصارت السخونة تزداد يومياً، وفي نهاية المطاف تم تشخيص إصابته بالتيفوئيد. لقد كانت جميع هذه الأيام والليالي فترة معاناة وفزع وقلق دائم. وصمد القلب للمرض جيداً حتى ذلك الحين. لكن في الليلة الماضية، يوم 10 على 11 مايو، وحين بلغت درجة الحرارة حتى 39، واليوم وصلت إلى 38.6، أخذ النبض يضطرب فجأة، ولم يعد من الممكن حساب عدد الضربات، وثمة نبض زاحف ولا يتوقف يتسم بالضعف، ولا يكاد يسمع. إنني جلست عند فراش ليوفوتشكا طوال الليل، وكان كوليتشكا جي يدخل ثم يخرج، معلناً عجزه عن متابعة النبض. وفي الساعة الثانية ليلاً استدعيت الدكتور نيكيتين المقيم عندنا. فأعطى الستروفانت، وبقي فترة ثم انصرف للنوم. وفي الساعة الرابعة ليلاً تحسست النبض مجدداً، فلم أجد تحسناً. عندئذ أعطيته القهوة مع ملعقتي كونياك صغيرتين وتم حقنه بالكافور. وفي الصباح صار النبض أفضل، وقمت بتدليكه، وهبطت درجة الحرارة إلى 36.7.

الآن يرقد ل. ن. بهدوء، في غرفة الاستقبال الكبيرة المعتمة في جاسبرا، وأنا أكتب فوق المائدة. وتخيم في البيت العتمة والهدوء ونذر السوء.

إن الحالة الروحية لليف نيقولايفتش تفيض بالشكوى والكدر، لكنه لا يرغب في النوم كلياً. وقال يوم أمس رداً على سؤالي حول مزاجه الداخلي: «أنا تعبت، تعبت للغاية وأتمنى أن أموت». لكنه يعالج بصورة مكثفة ويتابع بنفسه حالة النبض والعلاج. وفي الصباح حين يكون وضعه أخف يتابع الصحف ويراجع ما كتب في الصحف والكتب المرسلة إليه.

اليوم سيصل قادماً من موسكو الدكتور شوروفسكي، ومن أسرة كوتشيتوف ستأتي الابنة تانيا وكذلك سريوجا وجي وإيجومنوفا وناتاشا أوبولينسكايا وساشا، وسيتولى الجميع العناية بالمريض. لا يعاملني سريوجا بلطف ويبدو واجماً.

13 مايو. غدت حالة ليف نيقولايفتش أفضل، والحمد لله. تنخفض درجة الحرارة بانتظام، وأصبح النبض أفضل. غادر شوروفسكي يوم أمس. وصل اليوم ابني إيليا، وكذلك ب. أ. بولانجيه. كوليتشكا جي يسافر غداً. يسود في البيت الهرج والمرج بشكل ثقيل جداً. سريوجا لا يحتمل. إنه يبتدع أي شيء من أجل أن يعرب عن غضبه مني، وابتدع مقدماً الزعم بأنني أريد أن أنقل أباه إلى موسكو في *الشتاء القادم*. أي سخف وشر وبلادة! إن ل. ن. لم يبرأ بعد من مرضه الشديد، بينما يفكر سريوجا بما ستكون عليه الحال في الخريف. وأية رغبات لدي؟ أنا لا أعرف أبداً. ويحيا في قرارة نفسي بحدة الانطباع الشديد والإنارة الساطعة وفهم الحياة، والرغبة في أن أنعم بالهدوء والسعادة. لكن الحياة تهبني فقط المعاناة، وأنا أنحني تحت وطأتها. المرء يعيش اليوم فقط في *النهار*، إذا ما كان كل شيء على ما يرام، وكفى. عزفت على البيانو اليوم فترة ساعتين لوحدي في جناح المبنى، بينما كان ل. ن. نائماً.

15 مايو. لم تذهب سدى المنغصات مع سريوجا. يوم أمس شعرت بآلام فظيعة في كل بطني، واعتقدت بأنني سأموت. اليوم حالتي أفضل. بينما ينحسر التيفوئيد لدى ل. ن. وكانت درجة الحرارة مساء بعد التدليك

36.5 والنبض 80. وكانت درجة الحرارة القصوى 37.3. لكنه ضعيف وبائس للغاية. وقد حظر علي المشي فوق السلالم، لكنني لم أصبر فذهبت لزيارته. برد، درجة الحرارة 11 فوق الصفر.

16 مايو. حالة ليف نيقولايفتش أفضل ودرجة الحرارة تصل فقط إلى 37 وأقل. إنه المسكين يشعر بالكآبة جداً. وكيف لا! إنه مريض طوال خمسة أشهر.

تلقى اليوم رسالة من الأمير المعظم نيقولاي ميخايلوفتش رداً على رسالته. وأملى بعد ذلك كل ما يشغل باله الآن أكثر من أي شيء آخر: حول توزيع ملكية الأراضي بصورة غير عادلة وامتلاك الأراضي بصورة غير عادلة.

أنا اشعر بوعكة، وضعيفة، والنبض أقل من 52. كما إن يوليا إيفانوفنا عليلة أيضاً. وبعد أن سافرت إلى موسكو غدت الحياة هنا أشد وطأة وتوتراً. أشعر فحسب بأنني أتحطم. أتمنى لو أسافر!

22 مايو. يستعيد ليف نيقولايفتش عافيته تدريجياً. درجة الحرارة اعتيادية، لا تتجاوز 36.5، والنبض 80 وأقل. إنه الآن يقيم في الطابق العلوي، وتم في الأسفل تنظيف المكان وتهويته. الجو ممطر ورطب. سادت الكآبة في البيت فجأة، وحتى ل. ن. واجم، بالرغم من المعافاة. يرغب الجميع في العودة إلى ياسنايا بوليانا، بينما تريد تانيا العودة إلى زوجها، وإيليوشا إلى أسرته. الآن زال كل خطر، وإذا أردت أن أكون صادقة حتى النهاية، لقد أراد الجميع ممارسة الحياة الشخصية. مسكينة ساشا، من حقها أن ترغب في ذلك بحكم سنها.

عزفت على البيانو اليوم وأمس في جناح المبنى، وقد سرني ذلك جداً. أنا أتمرن باجتهاد على عزف scherzo (المقطع الثاني، مع خمسة بي مول) لشوبان. ما أجمله، وكيف يناسب مزاجي! بعد ذلك عزفت Rondo لموزارت (المقطع الثاني، لأمينور)، الظريف والخفيف الوقع.

أنا أرقد اليوم وأفكر: لماذا غالباً ما يحدث تدريجياً شيء من الاغتراب بين الزوج والزوجة في أواخر الحياة الزوجية. وغالباً ما يبعث التواصل مع الآخرين مسرة أكبر من التواصل بينهما. وقد فهمت السبب. إن الزوجين

يعرف أحدهما الآخر من *كافة الجوانب*، سواء الجانب الطيب والجانب السيئ. ويكتسب المرء في نهاية الحياة بالذات الحكمة ويرى كل شيء بوضوح أكثر. نحن لا نحب أن يرى الآخرون الجوانب وسمات الطبع *السيئة*، ونحن نخفيها بإمعان عن الآخرين، ونظهر فقط السمات النافعة بالنسبة لنا، ولكي يكون المرء أكثر ذكاء وفطنة، يستطيع أن يظهر بشكل أفضل كل ما هو جيد لديه. لكن هذا غير ممكن فيما يخص الزوجة والزوج، لأن كل شيء واضح ويرى حتى القاع. يرى الكذب، ويرى النفاق، وهذا أمر لا يسر.

رأيت في الحلم يوم أمس ولدي فانتشكا. إنه في غاية اللطف، ورسم بإمعان علامة الصليب أمامي بيده الشاحبة. فاستيقظت واستغرقت في البكاء. علماً أنه مضت سبعة أعوام على وفاته. لقد كانت محبته غاية السعادة في حياتي، وعموماً في محبة الأطفال *الصغار لي*.

أنا أطالع كتاب فيلدينج «روح شعب» (The soul of a people) رائع. والفصل «حول السعادة» مدهش. إن البوذية أفضل بكثير من أرثوذكسيتنا، وشعب بورما شعب رائع للغاية!

29 مايو. لم أكتب شيئاً طوال الأسبوع. في 25 مايو، يوم السبت، سافرت تانيا إلى بلدتها كوتشيتي. نقل ليف نيقولايفتش في 27 إلى الطابق الأسفل، وأجلس في الشرفة في مقعده من أجل استنشاق الهواء الطلق. وبعد ذلك كان يجلس يومياً في الهواء الطلق، وبدأ يستعيد قواه بسرعة. ويوم أمس حتى تجول في العربة مع إيليا. زارنا أمس البروفيسور ليمانسكي، وكذلك رجل غريب ما تحدث عن انعدام الثقافة لدى الفلاحين وعن ضرورة معالجة هذه المسألة. وكان يردد في كل لحظة كلمة «Pardon»، وعن قصد لا يتلفظ الحرف «ر». وقد ضجر ليف نيقولايفتش منه، ولكن عندما أخرجته وأخذت في قياس النبض الذي كان 94 في الدقيقة، صرخ ليف نيقولايفتش فيّ فجأة وقال: «آخ، كم ضجرت منك!». بينما حز هذا في قلبي بشدة.

اليوم سافر إيليوشا معرباً عن سروره لكونه جلب النفع والمسرة لأبيه في تلك الفترة.

ذهبت إلى يالطا، وأصابني الإجهاد كثيراً، وتطلعت إلى الباخرة، بمناسبة

قرب رحيلنا. عندما رجعت كان الجميع جالسين مع ليف نيقولايفتش وأخذت أقوم بأعمال الخياطة بصمت. فكرت في نيرفان، وفي الطمأنينة، وفي ذلك الكتاب الذي قرأته للتو. ما أجمل أن يكون الإنسان غير حانق وناعم البال مثل شعب بورما: فهو يحب ويحترم كل إنسان.

لقد تفتحت زهور المانوليا والزنبق.

5 يونيو. جاسبرا. ما زلت في القرم. الزمن يمضي بسرعة، ولدينا جميعاً أشغال، ولم نعد نصبو جداً للعودة إلى البيت. الجو هنا الآن جيد للغاية: النهارات دافئة وصاحية، والليالي مقمرة رائعة. أجلس الآن في الطابق العلوي وأمتع نظري بانعكاس القمر في البحر. بينما يتمشى ليف نيقولايفتش متوكئاً على العصا، ويبدو أنه معافى، لكنه ما زال نحيفاً وضعيفاً جداً. ويؤلمني، يؤلمني النظر إليه، لاسيما حينما يبدو وديعاً مطيعاً خلال الفترة الأخيرة. يوم أمس فقط انزعج مني حينما حلقت ونظفت رأسه. في الصباح يكتب كما أعتقد نداء إلى العمال وآخر حول ملكية الأراضي وأحياناً يشعر بالتعب الشديد.

في 3 يونيو جاء الدكتور بيرتنسون فوجد ليف نيقولايفتش في حالة جيدة، باستثناء الأمعاء.

11 يونيو. ذهب ل. ن. اليوم للتنزه في العربة مع الدكتور فولكوف إلى أي – تودور حيث متنزه يوسوبوف، وأعجب بالنزهة جداً. زارتنا زوجة التشوللر، صونيا تاتارينوفا، وأسرة فولكوف، ويلباتيفسكي مع ابنه. كما جاء حشد من الغرباء وتطلعوا إلى ليف نيقولايفتش عبر النافذة.

نحن نحيا جيداً الآن، الجو دافئ، وصحة ل. ن. تتماثل إلى التحسن بنجاح. خرجت مرتين للتنزه على صهوة جواد، مرة إلى أورياندا مع كلاسين، ومرة إلى الوبكا معه ومع ساشا. نزهة جميلة جداً. أعزف، وأخيط، وألتقط الصور الفوتوغرافية. ليف نيقولايفتش يكتب نداء إلى العمال، وهو مثل النداء إلى القيصر، «حول ملكية الأراضي». نعتزم السفر في 15 يونيو، أشعر بالخوف، لكني مسرورة. أحزم الحقائب شيئاً فشيئاً.

13 يونيو. يبدو أننا لن نغادر جاسبرا مرة أخرى. في روسيا رطوبة وأمطار وبرد. درجة الحرارة 12 فقط. كما أن ليف نيقولايفتش يعاني من اضطراب في المعدة. لقد دب فيه الضعف عموماً.

مسكين. أنا لا أستطيع التطلع إليه. هذا الرجل الشهير في العالم، بينما هو في الحياة العادية شيخ هزيل وبائس. لكنه يواصل العمل، ويكتب نداءه إلى العمال. إنني استنسخته كله، وهو يزخر بأشياء غير منطقية وغير عملية وغير واضحة. إما أن يكون هذا شيئاً سيئاً، وإما يتعين العمل كثيراً في تعديل هذه المقالة. إن غياب العدالة في امتلاك الأغنياء للأراضي على حساب أكثرية الفلاحين، هو ظلم صارخ فعلاً. ولكن لا يجوز معالجة هذه المسألة بسرعة.

15 يونيو. وصل يوم أمس سريوجا وبولانجيه. انهمكت طوال الصباح في استنساخ مقالة ليف نيقولايفتش. وقد خرج اليوم للنزهة وعموماً إن حالته أفضل.

17 يونيو. ينتهي دفتر اليوميات، وآمل أن تنتهي حياتنا في القرم أيضاً. ولم نسافر مجدداً، فقد أصيبت ساشا بالإنفلونزا، ووضعها اليوم أفضل. خرج ليف نيقولايفتش للنزهة في عربة آل يوسوبوف ذات العجلات المطاطية متوجهاً إلى أوريانذا برفقة بولانجيه. وفي المساء مارس لعبة «الفينت» مع سريوجا وبولانجيه وكلاسن. إنه يعاني من ألم في الركبة ومعدته مضطربة.

أنباء سيئة عن ماشا، وقد ولدت طفلاً ميتاً مرة أخرى! إنه الطفل السابع، شيء فظيع. وثمة مشاكل مع البشكير وتزاحم مختلف الضيوف في البيت طوال اليوم.

26 يونيو. غادرنا جاسبرا يوم أمس في نهاية المطاف. وحصيلة الحياة في القرم هي أن ننقل في رحلة السفر ساشا المريضة تماماً، التي تعاني من السخونة منذ أسبوعين، وليف نيقولايفتش الذي لم يسترجع عافيته.

يوم أمس بدا كل شيء جميلاً وطيباً من الباخرة (أسافر فيها لأول مرة). واليوم ننطلق في عربة قطار فخمة بصالون، وترقد ساشا ول. ن. اللذان

أضناهما السفر. الحمد لله، غداً سنكون في البيت. ل. ن. يعاني من الألم في المعدة والساقين. وضعنا الكمادات. أجد صعوبة في الكتابة، لأن العربة تهتز.

لقد جئنا إلى القرم في 4 سبتمبر 1901، وعدنا إلى ياسنايا بوليانا في 27 يونيو 1902. أحتفظ بيوميات القرم في دفتر خاص. وأعود الآن إلى دفتري القديم، وكذلك إلى الحياة القديمة. الحمد لله أنني استطعت أن أعيد ليف نيقولايفتش إلى البيت مرة أخرى! أدعو الرب إلى أن لا نسافر بعد هذا إلى أي مكان!

27 يونيو. ياسنايا بوليانا. رجعنا اليوم من القرم. وكنا قد توجهنا بالجياد إلى يالطا، بينما نقل المريضان ليف نيقولايفتش وساشا - في عربة آل يوسوبوف ذات العجلات المكسوة بالمطاط. وقد سافر: ليف نيقولايفتش وساشا وأنا وابننا سريوجا وبولانجيه ويو. إ. ايجومنوفا والدكتور نيكيتين. وفي يالطا ركبنا الباخرة «ألكسي». سيدات وباقات زهور وتوديع... وفي الباخرة جلس ليف نيقولايفتش في مقعد على سطح الباخرة، وتناول الفطور في القاعة العمومية وكان في صحة طيبة. وفي سيفاستوبول ركبنا زورقاً إلى محطة القطار الواقعة على خليج البحر أيضاً. الشمس ساطعة والمشهد جميل جداً. وعربة القطار الخاصة المعدة من أجل ل. ن. وذات الصالون، كبيرة ومريحة. كانت ساشا في وضع بائس ومريضة جداً. إنها تعاني من المرض في الأمعاء. استقبلنا الأهالي في خاركوف بالهتافات، وأكثرهم من السيدات. وزارنا في العربة بليفاكو الذي روى الأحاديث حول مختلف الأمور. وفي كورسك تدفق الناس من معرض التعليم الشعبي إلى المحطة. وكان أفراد الجندرمة يدفعون الحشد، وجاء إلى عربة القطار وفد من المعلمين والمعلمات والطلاب. كما جاء ميشا ستاخوفتش ودولجوروكوف وجوربونوف ولوديجينسكي وغيرهم. وجرت أحاديث طيبة مع بليفاكو وستاخوفتش.

لقد فرحنا كثيراً بالوصول إلى ياسنايا، لكن تكدرنا مجدداً. ففي المساء تعذبت ماشا بالمخاض وولدت صبياً ميتاً.

30 يونيو. ارتفعت درجة حرارة ليف نيقولايفتش في المساء إلى 37.8، وغمرنا الجزع. جلست في الصباح مع ماشا. مطر، برد. نبتت أصناف الفطر «ريجيكي».

1 يوليو. راجعت الرسائل. يهطل المطر. جاء د. أوبولونسكي وسولومون. جرت أحاديث شيقة، وشارك فيها ل. ن. بكل طيب خاطر. حالته الصحية اليوم أفضل، بلغت درجة حرارته في المساء 37. أعطيت له 5 جرامات من الكينين.

2 يوليو. يشرب ليف نيقولايفتش الكثير من لبن الفرس(كوميس)، ويتجول في الغرف بنشاط، كتب الكثير في الصباح، لكنه لا يغادر البيت، فالرطوبة شديدة. حالة ساشا أفضل.

3 يوليو. جاء فاسيا ماكلاكوف وماريا ألكسندروفنا ثم غادرا. سافر سريوجا وسولومون صباح اليوم. ذهب ليف نيقولايفتش إلى جناح المبنى لزيارة ماشا، وفي المساء عزف مع فاسيا ماكلاكوف بأربع أيد السيمفونية الثانية لهايدن. جلبت ساشا الفطر من صنف «ريجيكي»، وهو ينبت بكثرة.

4 يوليو. ليف نيقولايفتش معافى، مشى إلى جناح المبنى ذهابا وإياباً. وفي المساء تحدث كثيراً مع الدكتور نيكيتين حول أطباء الأمراض النفسية ولم يستحسن عملهم.

23 يوليو. الزمن يمضي بسرعة خارقة. في 5 يوليو سافرت إلى إيليوشا في محافظة كالوجا وعشت عدة أيام ممتعة في ضيعته منصوروفو مع الأحفاد، وإيليا وصونيا. تنزهنا، وتجولنا ركوباً في الأماكن الجميلة والغابات هناك، وتبادلنا الأحاديث حول أمور كثيرة من أعماق الروح.

في 7 يوليو سافرت إلى ميشا في بيجيتشيفو. حفيدي الصغير فانتشكا ظريف للغاية. ولينا امرأة مؤدبة وجادة وتحب زوجها. ميشا في ريعان الشباب ومتغطرس، لكن هذا لن يدوم طويلاً. أنا أحمد الرب، لأنني مطمئنة ومسرورة بهم. رجعت في 8 يوليو ليلاً إلى ياسنايا برفقة ميشا. ليف نيقولايفتش معافى، لكنه ضعيف البنية. في 10 يوليو حدثت لساشا أول نوبة عصبية.

في 11 يوليو ذهبت مع ساشا إلى أولجا في تابتيكوفو للتهنئة بعيد القديسة شفيعتها. وأمضينا نهاراً طيباً، ورجعنا إلى البيت ليلاً بعد هطول زخات من المطر.

أصيب بالمرض الشديد ميخائيل سيرجيفتش سوخوتين: التهاب قيحي في الرئة اليسرى. فقلقت للغاية وأشفقت على تانيا وفي نهاية المطاف ذهبت إليها في كوتشيتي في مساء 16 يوليو. فوجدت هناك أجواء الحزن والغربة. إن ميخائيل سيرجييفتش بائس وهزيل، بينما تانيا معذبة ومتوترة الأعصاب، تجلس معه ليلاً بلا نوم. أمضيت هناك أربعة أيام، وعدت في صباح 21 يوليو.

تسود الطبيعة النضارة بعد أن هطل المطر في العشية، وحزم الجوادار لم تنقل إلى المستودعات. بينما لم يحصد الشوفان بعد. الآن الوقت مساء ودرجة الحرارة فوق الصفر فقط! تجولت يوم أمس في كافة أرجاء ياسنايا بوليانا وفي أماكن التشجير وتمتعت كثيراً. كل شيء جميل ونضر في كل مكان!

تتحسن صحة ساشا، بينما يشكو ل. ن. طوال الوقت من سوء وضع معدته. إن حليب الفرس (كوميس)لا يفيده في العلاج بل يجعله يضطرب فحسب. لو كان الطقس دافئاً لأصبح الهضم أفضل.

أصبحت العناية به أكثر صعوبة بسبب موقفه من المشرفين على العناية به. وعندما يأتي أحد ما لمساعدته أو تقديم الخدمة له يظهر كما لو أنه يعيقه أو ينتظر خروجه. ويبدو كما لو أننا جميعاً مذنبون في كونه أصبح ضعيفاً وهزيلاً. ومهما بذلت من جهد والصبر والعناية به فإنه لا تبدر عنه كلمة ملاطفة أو امتنان واحدة، بل يظهر الاشمئزاز فقط. أما مع الغرباء، مع يوليا إيفانوفنا والدكتور وغيرهما فالأمر مختلف، فهو لبق وممتن، بينما يبدي الانزعاج مني دائماً.

26 يوليو. أمضينا هذا اليوم بمزاج طيب وبمرح. فقد جاءت العائلة كلها إيليا والأحفاد وآنوتشكا. تنزهت مع زوسيا ستاخوفتش وساشا. وفي المساء عزف جولدينفيزر سوناتا شومان وبالادا شوبان، وكان العزف رائعاً. وتحدثنا عن الشعراء، وتطرق ليف نيقولايفتش إلى قصيدة باراتينسكي «إلى الموت»، وجلب فوراً الكتاب، وقرأت زوسيا هذه القصيدة الرائعة ذات

الأسلوب الرفيع. وبعد ذلك قرأت قصيدة الشاعر فيت عن الموت. فقال ليف نيقولايفتش إن موقف باراتينسكي من الموت صائب ومسيحي، بينما هو لدى فيت وتورجينيف وفاسيلي بوتكين ومن لفّ لفهم موقف أبيقوري[1].

ولد في 22 يوليو صبي لليوفا ودورا. وقد وردت اليوم برقية بهذا الصدد.

ليف نيقولايفتش معافى، بالرغم من أن درجة الحرارة كانت 12 فوق الصفر، وهطل المطر، وسادت الرطوبة. لعب طوال اليوم لعبة «الفينت» بالورق، واستمع بكل ارتياح إلى الموسيقى. في أوقات الصباح يكتب روايته «حجي مراد». وأنا مسرورة بذلك.

27 يوليو. ما زالت الموسيقى تؤثر تأثيراً طيباً فيّ. فقد عزف جولدينفيزر مساء اليوم عزفاً رائعاً سوناتا شوبان مع المارش الجنائزي. جلس ل. ن. بالقرب مني وقد امتلأت الصالة كلها بأفراد قريبين مني: إيليوشا وأندريوشا وصونيا وأولجا وآنوتشكا وزوسيا ستاخوفتش وماريا ألكسندروفنا. وأحسست تحت تأثير الموسيقى بشعور من البهجة الهادئة يتسرب إلى قلبي الذي أصبح مفعماً بالامتنان إلى الرب، لكوننا اجتمعنا مرة أخرى نحن الأحباب لبعضنا البعض، وقد غمرتنا السعادة، وبيننا ليف نيقولايفتش حي يرزق، ومعافى نسبياً... وشعرت بتأنيب الضمير بسبب عوامل ضعفي وعدم رضاي، وكل ما هو سيئ يفسد الحياة...

لقد سرني جداً وجود إيليا وصونيا والأحفاد. لقد سافرت زوسيا ستاخوفتش. أية فتاة ذكية ومثقفة ولطيفة هي. جاء أندريوشا مع أولجا وأ. دياكوف.

خرجت اليوم للتنزه مع ل. ن. وزوسيا والأحفاد ويوليا إيفانوفنا وبلغنا نهاية القرية، ومن هناك توجه ل. ن. مع ميشا في عربة إلى ياسينكي ذهاباً وإياباً. كان الجو في النهار كله طيباً. علماً بأنه دافئ وصاح.

---

1 – أبيقور: هو فيلسوف يوناني قديم عاش في الفترة بين عامي (341 – 270 ق. م)، أسس لمدرسة فلسفية سميت باسمه هي المدرسة الأبيقوريّة. قال أبيقور إن السعادة والألم هما مقياس الخير والشر، وإن الموت هو نهاية الجسد والروح ولهذا لا ينبغي أن نرهبه، وإن الآلهة لا تكافئ أو تعاقب البشر، وإن الكون لا نهائي وأبدي، وإن أحداث الكون تعتمد بالأساس على حركات وتفاعلات الذرات في الفراغ. (المترجم)

9 أغسطس. مضت فترة طويلة من دون أن أسجل يومياتي! كنت مشغولة طوال الوقت بمرض سوخوتين الذي تدهورت حالته الصحية مجدداً. مسكينة حبيبتي تانيا! إنها تحبه جداً وتعاني من الصعوبات: فالعناية به وحدها تتطلب الجهد. سافرت إلى موسكو في 2 أغسطس. وعملت بنشاط في تسوية شؤون الإدارة وتسوية الحسابات وتقديم طلبية إصدار طبعة جديدة من المؤلفات. تناولت الغداء عند عائلة دونايف، المضياف والطيب، لكنه يبدو دوماً رجلاً غريباً عني. رجعت إلى البيت في 3 أغسطس. وجاءت من الدير الأخت ماشينكا. وفي 4 أغسطس ذهبت إلى أسرة ماسلوف. إنهم أناس طيبون وظرفاء. وترك لدي انطباع سيئ الصبي الأبله في بيتهم. سيرجي إيفانوفتش مشغول جداً في تأليف كتاب الموسيقى التعليمي. ويريد إنهاء العمل فيه قبل العودة إلى موسكو. وقد رجوته أن يعزف، لكنه اعتذر بإصرار وبحزم وحتى بنفور. ثمة شيء من الكآبة والجد فيه، وينم عن الهرم والاغتراب فيه، وكان ذلك شديد الوطأة بالنسبة لي. رجعت إلى البيت بكل ارتياح ولم أجد تسلية لدى عائلة ماسلوف سوى في التجول في الغابات. جاءت يوم أمس لينا مع طفلها الرضيع فانتشكا، بينما جاء صباح اليوم ميشا. العائلة جميعها لطيفة ومدهشة من كافة النواحي. كما جاءت يوم أمس جليبوفا مع ابنتها لوبا. ويعيش عندنا ساشا بيرس ابن أخي، وآنوتشكا، ومود. كما جاءت ليزا أوبولينسكايا. صخب، لكنه يبعث على السرور. قمنا اليوم بنزهة رائعة في العربات إلى جرومونت، كما مشينا كثيراً. شعر ليف نيقولايفتش منذ الصباح بوجع في البطن، وبقي واجماً جداً طوال الوقت. وقد ذهبت اليه عدة مرات، فاستقبلني بلا مبالاة وحتى بعدم رضى. في المساء لعب بالورق لعبة «الفينت»، ودب فيه النشاط وحتى طلب شيئاً من الطعام. إنه يكتب رواية «حجي مراد»، ويبدو أنه لم يوفق في العمل اليوم، ولهذا انهمك فترة طويلة في تقليب أوراق اللعب «الباسيانس»، مما يعني أنه مشغول الفكر جداً، ولا يدرك ما يجب عمله بعد. يبعث لي رجال الكنيسة الكتب الدينية التي تتضمن نقداً جارحاً لليف نيقولايفتش. إنه ليس على حق، كما إنهم ليسوا على حق. والجميع يميلون إلى التطرف ويفتقرون إلى *الحكمة والطمأنينة المقترنة بالطيبة*. وعموماً إن ليف نيقولايفتش لا يهتم بأي شيء بصورة غير عادية، وهذا يبعث على الكدر

جداً! لماذا يقيم الناس أمامهم هذا الجدار، مثل ل. ن. وسيرجي إيفانوفتش؟ وهل إن أعمالهم - الذهنية والأدبية والموسيقية - تتطلب وجود هذا الحاجز وعدم التعاطف مع الناس؟ ونحن الأفراد البسطاء نضرب هذا الجدار برؤوسنا بألم، ونعاني في وحدتنا من الذين يجلبون لنا الكدر. نحن لا نستحق معاناة هذا الدور الصعب.

النهار رمادي لكنه دافئ وهادئ. الغسق ساطع، والليالي مقمرة.

11 أغسطس. يوم أمس سافرت عائلة ميشا، وفي اليوم ذاته جاءت أولجا مع صونيتشكا. أية صبية ظريفة ولطيفة وذكية هي! أنا أحبها كثيراً. سافرت ليزا أوبوليتسكيا وساشا بيرس. بينما جاء ستاسوف وجينزبورج الذي صنع منحوتة بارزة جانبية لساشا - لكنها سيئة ولا تشبهها. أنا تعلمت كيفية صنع المنحوتات، ولدي رغبة في صنع ميداليون يضم صورتي مع ل. ن.

إن ستاسوف جهوري الصوت وضخم الجثة وبلغ من العمر 87 عاماً ونصف، وقد ابتدع أسلوباً في الحديث يرضي الجمع. ولكنه يعرف الكثير، وهو شيخ حلو المعشر وكبير الشأن.

ذهبنا جميعاً اليوم لجمع الفطر من صنف «ريجيكي»، وخرجت أنا أيضاً، إن الوحدة في الغابة تسرني. وعموماً لم يخمد النور في أعماقي، بل إنني وبصراحة بدأت بالشيخوخة. لقد أخمد مرض ليف نيقولايفتش وهرمه جميع فورات النشاط وكافة الحيوية وطاقة الحياة لدي. وأنا منهكة للغاية! اليوم شعر ل. ن. مجدداً بألم في بطنه، ولكنه كان جم النشاط وتحدث كثيراً. وروى كيف طلب تكليفه بعمل *ما* في سيفاستوبول، فأسندت اليه مهمة تشغيل المدفعية في الحصن الرابع، لكن القيصر أمر بسحبه من هناك. وأرسل نيقولاي الأول إلى القائد غورتشاكوف الأمر التالي: «يسحب تولستوي من الحصن الرابع، يجب الإشفاق على حياته فهو يستحق ذلك».

ثم روى كيف أن ليسكوف استحوذ على موضوع لقصته وقام بتشويهه ونشره. وكانت قصة ليف نيقولايفتش كالآتي: «وجه السؤال إلى فتاة حول من هو أهم إنسان وأهم زمن وأهم قضية؟ فأجابت بعد التفكير إن أهم إنسان

هو ذاك الذي تتعامل معه الآن، وأهم زمن هو ذاك الذي تحيا فيه الآن وأهم قضية هي عمل الخير لذلك الإنسان الذي تتعامل معه في هذه اللحظة».

المطر يهطل طوال اليوم، والجوادار ما زال في أكوام في الحقل، ودرجة الحرارة 13.

28 أغسطس. عيد ميلاد ليف نيقولايفتش، وقد بلغ سن 74 عاماً. خرجنا للقائه لدى عودته من النزهة، وكان قد تنزه كثيراً، لكنه يأخذ فترة استراحة بلا توقف. جاء الأبناء الأربعة أما الخامس – ليوفا – فهو في السويد. كما لم تكن حاضرة تانيتشكا الحبيبة والمسكينة. جرى الاحتفال بمولد زوجي العظيم: حفل غداء بمشاركة عشرين شخصاً من مختلف الفئات، والشمبانيا والفواكه، وبعد الغداء ممارسة لعبة «الفينت»، كما في الأيام الماضية التي لا نهاية لها. وشاركت ساشا في اللعب، مما جلب لي الكدر والمعاناة. وكان من أطيب الضيوف إلى جانب أبنائي ميشا ستاخوفتش وماروسيا ماكلاكوفا.

عشنا خلال أسبوعين بأفضل حال مع ماريا نيقولايفنا شقيقة ليف نيقولايفتش. ودارت عندئذ الأحاديث حول الأمور الدينية، وجرى العزف على البيانو بأربع أيد وعزفت سيمفونيات هايدن وموزارت وبيتهوفن. أنا أحبها جداً، وحزنت لرحيلها. ما زال ليف نيقولايفتش يشكو من الألم في بطنه، ويقوم الدكتور نيكيتين الذي يعيش عندنا بتدليك بطنه في الأمسيات، وهذا ما يحبه ل. ن. جداً. إنه يكتب بهمة «حجي مراد».

2 سبتمبر. في 31 أغسطس جاء إلينا لغرض تقديم المشورة طبيبان من موسكو: شوروفسكي الفطن والكفوء والمتهلل الأسارير والمترع بالحيوية وب. س. أوسوف الظريف والحذر الذي عالج ليف نيقولايفتش من قبل. وقررا البقاء عندنا في ياسنايا خلال فترة الشتاء، وهذا يسرني أكثر من الذهاب إلى مكان ما. إن الحياة هنا، في البيت، هي حياة *حقيقية*. أما في القرم فلم تكن هناك *حياة*، وإذا *خلت الحياة من المرح والتسلية فإنها لا تحتمل*. وبالنسبة لي شخصياً فإن الحياة بموسكو أسهل، فهناك كثير من الناس الذين أحبهم، والكثير من الموسيقى والتسليات الجدية والنقية

والمعارض والحفلات الموسيقية والمحاضرات ولقاء الأشخاص الشيقين والحياة الاجتماعية. ويصعب علي بسبب ضعف بصري إيجاد ما أشغل به نفسي في الأمسيات الطويلة، والحياة في القرية مملة فحسب. ولكنني أدرك أن حياة ليف نيقولايفتش بموسكو لا تطاق بسبب الضيوف والصخب، ولهذا يسعدني أن أعيش في ياسنايا التي أحبها وسأسافر إلى موسكو متى ما أشعر بالتعب من الحياة هناك.

تمضي الحياة بصورة تبعث على القلق وبسرعة. المشاغل كثيرة طوال النهار ولا مجال للراحة أو الموسيقى. وأحياناً يكون الضيوف مصدر إنهاك، ومثلاً جاليبيرين وأسرته كلها. بدأت بصنع ميداليون فيه الصورة الجانبية لـ: ل. ن. معي. وأنا أخشى جداً، فهذا عمل صعب، وأنا لم أتعلم، ولم أجرب وأكابد جداً من الخوف من أنني لن أوفق في ذلك، ولكنني أريد أن أفلح في ذلك، وأجلس طوال الليل، وحتى الساعة الخامسة، وأجهد بصري للغاية.

10 أكتوبر. لم أكتب شيئاً منذ وقت بعيد - والحياة تتواصل. في 18 سبتمبر ودعت - والألم يعتصر قلبي - عزيزتي تانيا، وعائلتها إلى سويسرا، إلى Montreux.

لقد بدت بائسة وشاحبة وهزيلة جداً، عندما سارت في محطة قطار سمولينسك حاملة الأمتعة ورافقها زوجها المريض. والآن وردت منها أنباء طيبة والحمد لله.

احتفلت بعيد القديسة شفيعتي في موسكو أيضاً. كان هناك عدد كبير من الضيوف، الذين ودعوا سوخوتين، وكذلك سيرجي إيفانوفتش الذي التقيته في الشارع بالصدفة ودعوته. إنه محزون وواجم، وقد طرأ عليه تغير كبير ما. كما أصبح غامضاً لا يخترق.

حدث في علية بيتنا حريق في 10 على 11 سبتمبر. واحترقت أربع عوارض، ولولا رؤيتي هذا الحريق حين تطلعت إلى العلية - لحسن الصدفة - لاحترق البيت كله، والشيء الرئيس أن السقف كان يمكن أن ينهار على رأس ليف نيقولايفتش الذي ينام بالذات في الغرفة الكائنة تحت القسم المحترق من العلية. لقد قادتني يد الرب، وأنا أقدم له الشكر والامتنان على هذا.

عشنا طوال هذه الفترة بهدوء وبمودة وبطيبة. وبعد الإصلاح في البيت قمت بتنظيفه كله وترتيبه، وعادت الحياة إلى مسيرتها القويمة والطيبة. وكان ليف نيقولايفتش طوال هذه الفترة معافى، ويتنزه كثيراً على صهوة الجواد، ويكتب روايته «حجي مراد» التي اختتمها، ثم بدأ بكتابة نداء إلى رجال الدين. وقال أمس: «ما أصعب الأمر، يجب أن أفضح، لكنني لا أريد كتابة أمور غير طيبة، بغية ألا يولد ذلك مشاعر غير حميدة».

لكن تعكرت حياتنا الآمنة والعلاقات الطيبة مع ابنتي ماشا وشبحها، أي زوجها كوليا. إنها قصة طويلة.

عندما جرى تقسيم الممتلكات في عائلتنا حسب رغبة وأمر ليف نيقولايفتش تخلت ابنتنا ماشا، وكانت قد بلغت سن الرشد، عن نصيبها من إرث الوالدين، في الحاضر والمستقبل. لكنني لم أصدق قرارها، ووضعت حصتها باسمي، وكتبت وصية تنص على منح الرأسمال المذكور إليها بعد وفاتي. لكنني بقيت على قيد الحياة وتزوجت ماشا أوبولينسكي وأخذت حصتها للإنفاق عليه وعلى نفسها.

وقامت سراً ولسبب ما، بدون أن يكون لها أي حق في المستقبل، باستنساخ مقاطع من يوميات والدها في عام 1895 والتي تتضمن عدة رغبات يجب تنفيذها بعد وفاته. وعندما اشتد مرض ل. ن. بشكل خطير في يوليو عام 1901 أعطت ماشا خفية هذه الورقة، المستنسخة من اليوميات، إلى أبيها ووقعها حين كان مريضاً.

وقد جزعت جداً حين علمت ذلك بالصدفة. فأنا أعتبر تعميم ملكية مؤلفات ل. ن. وجعلها ملكاً للجميع أمراً سيئاً ولا مغزى له. فأنا أحب عائلتي وأرغب لها الرفاهية، وعندما تصبح الملكية عمومية، تكسب من ذلك دور النشر الغنية مثل دور ماركس وتسيتلين وغيرهما. وقلت لليف نيقولايفتش إنه في حالة وفاته أولاً قبلي فإنني *لن* أنفذ رغبته و*لن* أتخلى عن حقوق نشر مؤلفاته، وإذا وجدت أن من الطيبة والعدالة القيام بخطوة أخرى، فإنني *في حياته* يمكن *أن أمنحه هذه المسرة* بالتخلي عن حقوق النشر، أما بعد وفاته فلا معنى لذلك بالنسبة إليه.

والآن حين اعتزمت إصدار الطبعة الجديدة من مؤلفات ليف نيقولايفتش،

مع الاحتفاظ برغبته نفسه بحقوق النشر وعدم منحها إلى أي أحد، بالرغم من تقديم عروض بمبالغ كبيرة مقابل حق النشر، فقد تكدرت، بسبب وجود الورقة الموقعة من قبل ليف نيقولايفتش بيدي ماشا، والتي تنص على عدم رغبته في بيع مؤلفاته بعد وفاته. أنا لم أعرف بالضبط محتوى الورقة ولكنني رجوت ليف نيقولايفتش أن يعطيني هذه الورقة، فأخذها من ماشا.

وقد أخذها منها وسلمها لي عن كل طيب خاطر. وحدث أمر لم أكن أتوقعه. فقد جاءت ماشا غاضبة، وصرخ زوجها بأقوال الرب وحده يعرف ما هي، وقال إنه يعتزم مع ماشا نشر هذه الورقة بعد وفاة ليف نيقولايفتش، لكي يطلع عليها أكبر عدد من الناس، وبغية أن يعرف الجميع أن ل. ن. لم يكن يرغب في بيع مؤلفاته، بينما قامت زوجته ببيعها لأكثر عدد من الناس.

وكانت نتيجة هذه القصة أن اعتزمت عائلة أوبولنسكي، أي ماشا وكوليا، مغادرة ياسنايا.

23 أكتوبر. حدث صلح مع ماشا، وبقيت للإقامة في جناح مبنى ياسنايا بوليانا. وقد سرني ذلك جداً. وصار الجميع يعيشون في هدوء وخير. وانتهت الفترة الصعبة لمرض ل. ن. ففي الفترة من 11 إلى 22 أكتوبر عانى من ألم شديد في الكبد، وعشنا جميعاً تحت هاجس خطر أن يصبح الألم شديداً جداً. لكن والحمد لله لم يحدث ذلك. وقام الدكتور نيكيتين بمعالجته بصورة معقولة، وعمل حماماً ساخناً للبطن، وأصبحت حالته منذ يوم أمس أفضل بكثير.

كما جزعت أكثر بسبب إصابة دورا بالتهاب في الكلية في بطرسبورغ. لكن حالتها أفضل الآن.

الخريف لا يطاق بأوحاله وبرده ورطوبته. وهطل الثلج اليوم.

اختتم ليف نيقولايفتش تأليف رواية «حجي مراد». وقرأناها اليوم: الطابع الملحمي الصارم جيد جداً، وفيها الكثير من الصياغة الأدبية، لكنها لا تترك انطباعاً كبيراً. علماً أننا قرأنا نصف الرواية فقط، وغداً سنكملها.

عملت مع أبريكوسوف في تجميع وتسجيل الكتب في الكتالوجات. تعبت جداً.

4 نوفمبر. الأمور بخير *لولا مرض ليف نيقولايفتش. اليوم* صوته ضعيف *جداً*، ويبدو واجماً بكيانه كله بصورة خاصة. ويستمر مرض الكبد الذي بدأ في 11 أكتوبر، وتارة يسوء وتارة يتحسن، ولا يزول. اليوم كابدت الجزع والحزن بصورة خاصة. إنه عجوز وهرم وبائس هذا الإنسان العظيم والمحبوب لدي كل الحب.

الزمهرير شديد، وبلغت درجة الحرارة ليلاً 15 درجة تحت الصفر، وبلا ثلج تقريباً. قامت الفتاتان ساشا وناتاشا أوبولينسكايا وتلميذاتهما الصغيرات بتنظيف ساحة التزلج، ولبسن أحذية التزلج وانطلقن في الساحة. وكان هناك طبيبان شابان هما طبيبنا نيكيتين والطبيب الزائر ترشينيفسكي. الشمس ساطعة، السماء زرقاء... لم أرغب في التزلج أو ممارسة أي عمل آخر، فأنا أكابد المعاناة بسبب مرض ليف نيقولايفتش.

رجعت إلى البيت في أعلى الجادة وفجأة تراءت لي ذكريات الماضي البعيد حينما كنت أعود في هذه الجادة من ساحة التزلج حاملة بيد الطفل باتجاه التل وأنا أديره لحمايته من الريح وأغطي فمه، بينما أسحب الآخر الجالس في المزلجة، والجميع أمامي وخلفي مرحون، والأطفال مفعمون بالحيوية وبوجوه متوردة، وهكذا كنت أفيض بالحياة وأحبهم حباً جماً... بينما سار للقائنا ليف نيقولايفتش، مرح ومتهلل الأسارير أيضاً، بعد أن تأخر في المجيء إلى ساحة التزلج لأنه انهمك في الكتابة فترة طويلة.

أين الآن أولئك الأطفال المعتنى بهم بمحبة؟ أين ذلك الجبار ليوفوتشكا المرح والمفعم بالحيوية؟ أين أنا التي كنتها آنذاك؟ الحزن يغمرني في الرماد القديم للحياة السعيدة الماضية! إن الأمر سيكون سهلاً لو أنني شعرت بالشيخوخة فقط. لكن أين تلك الطاقة، وتلك الصحة، وتلك الحساسية المؤلمة التي تعيد في ذاكرتي بشروخ عميقة جميع فترات الحياة التي عشتها وأكابدها. ويكفي فقط أن أحيا بشكل أفضل، وأشعر بقدر أقل *بذنوبي* حيال جميع الناس، ولا سيما المقربين.

8 نوفمبر. نحيا يوماً بعد يوم حياة رتيبة وهادئة. لكن الحياة تستحوذ عليّ وترغمني أن أكون نشيطة، ويجب *تشغيلها* ومَلْؤها بعمل ما. سابقاً كانت

تنقصها المشاغل المباشرة والضرورية. كم تغيرت الأحوال! والطقس يتحكم بالحياة وبالمزاج في القرية لحد كبير. يوم أمس سطعت الشمس، وكنا جميعاً نفيض حيوية، ونمارس بحيوية التزلج بأحذية التزلج. أنا مع الفتاتين ساشا وناتاشا أوبولينسكايا وتلميذاتهما. كما تزلج بحماس واندفاع ب. أ. بولانجيه، علماً أن ابتهاجه المفتعل وحركاته الضعيفة جسدياً كرجل جم النشاط، يبعث هذا كله شيئاً من الاشمئزاز لدي. وعموماً أنا لا أحب الرجال. فهم دوماً جميعاً غرباء بالنسبة لي ومكروهين فيزيقياً، ولا بد لي قبل كل شيء أن أحب في الإنسان خلال فترة طويلة روحه وموهبته لكي يصبح عزيزاً لدي وأكن له المحبة. وعرفت خلال خمسين عاماً من حياتي ثلاثة رجال من هؤلاء أحدهم طبعاً زوجي.

لكن هو أيضاً!... دار الحديث اليوم عن الطلاق لدى تناول رواية Paul Marguerite. فقال ليف نيقولايفتش «ما حاجة الفرنسيين إلى الطلاق، فهم أصلاً لا يشعرون بالضيق في الحياة الزوجية». بينما قلت إن الطلاق في بعض الأحيان ضروري، وأوردت مثال ل. أ. جوليتسينا الذي تركها زوجها بعد ثلاثة أسابيع من الزفاف بسبب راقصة، وقال لها بوقاحة إنه *تزوجها* لكي تكون بمثابة عشيقة له وبدون ذلك ما كان بوسعه تحقيق هذا الغرض.

فقال ليف نيقولايفتش بهذا الصدد إن الزواج عندئذ هو مجرد ختم الكنيسة على ممارسة الزنى. وعارضته بأن هذا يكون لدى الفاسقين فقط. فصار يجادلني بأسلوب بغيض قائلاً، إن هذا لدى *الجميع*. وماذا في الوقت الحاضر؟ أجاب ل. ن. عن ذلك بقوله: «كيف تؤخذ المرأة في أول مرة ويتم التواصل معها - معناه الزواج».

عندئذ اتضح لي فجأة معنى زواجنا من وجهة نظر ليف نيقولايفتش. إنه الاتصال الجنسي بين رجل وامرأة بشكل عار وبلا قدسية وبلا أي التزام، إن ل. ن. يسمي هذا بالزواج، والأمر لديه سيان من تكون المرأة التي يتواصل معها باستثناء هذه العلاقة.

وعندما بدأ ليف نيقولايفتش الحديث عن أن الزواج يجب أن يكون واحداً مع أول امرأة يلتقي بها الرجل، شعرت بالكدر.

يهطل الثلج، وأظن أن الطريق سيفتتح. راجعت مسودات المطبعة لرواية

«القوزاق». أية روعة، وأية مقدرة، وأية موهبة أبدعت هذه الرواية. كم أن الإنسان العبقري يبدو أفضل في إعماله الإبداعية، مما هو في الحياة!

الآن يكتب ليف نيقولايفتش مقالة «إلى رجال الدين». أنا لم أقرأها بعد لكنه اختتمها اليوم وسيرسلها إلى تشيرتكوف في إنجلترا. الآن هو يلعب «الفينت» مع الطبيبين وماشا وكوليا أوبولينسكي.

25 نوفمبر. أشعر بوحدة متزايدة أكثر فأكثر بين أفراد عائلتي الباقين معي. اليوم رجعت من موسكو، وفي المساء قرأ ل. ن. بحضور الدكتور يلباتييفسكي الذي جاء من القرم أسطورته حول الشياطين، التي ألفها وكتبها لتوه.

وهذه الأسطورة مترعة بروح شيطانية حقيقية، وبنفي وبحقد وباستهزاء من كل شيء في العالم ولا سيما الكنيسة. ويورد ل. ن. الأفكار المسيحية المزعومة ذاتها في الأحاديث السلبية للشياطين، وصاغها بالأشكال الفظة والوقحة التي جعلتني لدى قراءتها أشعر بغضب مؤلم. وأحسست بارتفاع درجة حرارتي، وأردت أن أصرخ وأبكي، وأن أمد ذراعيّ إلى الأمام لحماية نفسي من وساوس الشيطان.

وأعربت عن استنكاري الشديد المشوب بالقلق. إذا كانت الأفكار الواردة في هذه الأسطورة صحيحة فما الحاجة إلى ارتداء مسوح شياطين ذوي آذان وأذناب وأجساد سوداء؟ ألا كان من الأجدى لهذا الشيخ البالغ من العمر خمسة وسبعين عاماً، الذي يصغي إليه العالم أجمع، ويتحدث بلسان الرسول يوحنا، والرجل الهرم الذي لا يجد القوة للكلام، أن يقول شيئاً واحداً: «يا أبنائي، ليحب كل واحد منكم الآخر!» وما كان يجب على سقراط ومارك أفريل وأفلاطون وإيبكتيت أن يربطوا آذان وأذناب الشياطين، من أجل طرح أقوالهم. ربما لا تحتاج البشرية المعاصرة، التي يجيد ل. ن. كل الإجادة الاستجابة إلى رغباتها، إلى هذا كله.

أما الأبناء والبنات – ساشا التي ما زالت حمقاء، وماشا الغريبة عني، – فإنهم كرروا أقوال أبيهم مصحوبة بضحكات جهنمية تتسم بالشماتة، حين أنهى قراءة أسطورته الشيطانية، بينما تملكتني الرغبة في أن أجهش بالبكاء. فهل يستحق الأمر الحياة من أجل إنجاز مثل *هذا العمل*. أدعو الرب إلى أن لا يكون العمل الأخير، وأدعو الرب أن يرقق قلبه!

7 ديسمبر. مرة أخرى يسيطر اليأس على روحي، وكذلك الجزع والخوف من فقدان الإنسان المحبوب! ساعدني، أيها الرب!... ارتفعت درجة حرارة ليف نيقولايفتش، وبلغت منذ الصباح 39، ونبضه سيئ، وتضعف قواه... لايفهم ما عمل له الدكتور الوحيد الباقي معه.

استدعينا من تولا الدكتور دريير، ومن موسكو الدكتور شوروفسكي، ونحن في الانتظار اليوم.

ما دام قد بقي أمل ولم أفقد قواي سأدون كل شيء كما حدث.

في صباح 4 ديسمبر كانت درجة حرارة الجو 19 وهبت رياح شمالية، ثم أصبحت 13 درجة. نهض ليف نيقولايفتش كالعادة، وعمل، وشرب القهوة. وكنت قد عزمت على إرسال برقية إلى فارفارا إيفانوفنا ماسلوفا بمناسبة عيد القديسة شفيعتها، وجئت لكي أسأل ل. ن. فيما إذا يحتاج إلى شيء ما في كوزلوفكا. فقال: «سأذهب بنفسي». فحاولت إقناعه بالعدول عن قراره: «لا، هذا غير ممكن، فالطقس بارد جداً اليوم، ولا بد من مراعاة ذلك، وإنك كنت مصاباً بالتهاب الرئتين». لكنه أصر قائلاً: «كلا، سأخرج». فقلت له: «أنا سأبعث البرقية مع الحوذي، بغية ألا تجد من الضروري الخروج بسبب البرقية، إذا ما أصابك الوهن»، وخرجت. فصرخ في أعقابي إنه سيذهب إلى كوزلوفكا، لكنني مع هذا بعثت الحوذي.

في موعد الفطور جئت للجلوس مع ليف نيقولايفتش. وقدمت له عصيدة الشوفان وعصيدة المن بالحليب، لكنه طلب فطيرة القريشة من وجبة فطورنا وتناولها بدلاً من عصيدة المن. وقلت له إن فطيرة القريشة ثقيلة للهضم لدى شرب مياه كارلسباد التي يحتسيها للأسبوع الرابع، لكنه لم يصغ إلى قولي.

وبعد الفطور خرج للنزهة وحيداً راجياً التوجه إلى الطريق العام. واعتقدت أنه سيقوم بجولته العادية في الطريق العام المعبد. لكنه توجه صامتاً نحو كوزلوفكا، ومن هناك تحول إلى زاسيكا – وتبعد مسافة 6 فرستات فحسب – وبلغ الطريق العام، وارتدى معطف الفرو الطويل فوق المعطف القصير، وانطلق، محتدماً ومتعباً، في طريق العودة إلى البيت، بينما هبت الرياح الشمالية وبلغت درجة الحرارة 15 درجة تحت الصفر.

بدا متعباً لدى حلول المساء. وجاء ميرولوبوف رئيس تحرير «مجلة الجميع» ورجا منه وضع توقيعه كمشارك في لجنة إحياء ذكرى مرور مائتي عام على الصحافة. إلا أن ليف نيقولايفتش رفض ذلك، وتحدث معه فترة طويلة. لم ينم ليلاً.

في صباح اليوم التالي، 5 ديسمبر، وفي حوالي الساعة 12 وقبل ذلك شعر بالقشعريرة، فتدثر بالروب، لكنه مع هذا جلس مع أوراقه، ولم يأكل شيئاً منذ الصباح. وبحلول المساء بلغت درجة الحرارة 39.4. لكن فجأة جاءت ماشا منفعلة، وقالت: «إن درجة حرارته 40.9». وتفرسنا جميعاً في المحرار، فتبين أن الأمر كذلك حقاً. ولم أكن حتى تلك اللحظة على يقين من حدوث شيء ما للزئبق، فذهلنا جميعاً. وقمنا بتدليكه بالكحول، وأجرينا القياس بالمحرار، بعد ساعة كانت درجة الحرارة 39.3.

وفي هذه الليلة بقيت درجة حرارته عالية، وتململ في فراشه، وأطلق الأنين، ولم ينم. وبقي معه الدكتور نيكيتين وأنا. وضعنا على بطنه كمادة من كحول الكافور والماء لكن بلا جدوى. وفي الصباح ارتفعت درجة الحرارة مجدداً إلى 39، ثمة كآبة تنم عن العذاب، وعينان خامدتان وبائستان، تلك العينان العزيزتان والحبيبتان والذكيتان، صارتا تتطلعان إليّ بألم، بينما أنا لا أستطيع المساعدة بأي شيء، ولو أنني كنت مستعدة للتضحية بحياتي بكل مسرة، من أجل أن يستعيد عافيته ويبقى على قيد الحياة!

وتلاحقني بألم فكرة مفادها أن الرب لا يريد أن يمدد حياته بسبب تلك الأسطورة حول الشياطين التي كتبها. ماذا سيحدث! يا إلهي! أنا لا يغمض لي جفن لليوم الثالث ولا أتناول لقمة طعام، وثمة ألم، وتحجر في صدري. إنني أتمالك قواي من أجل أن أعتني به، - وهناك أود أن أتبعه وأكون معه... لقد عشنا سوية أربعين عاماً، ومهما كانت حياتي فلدي الجرأة للقول بأن ليفوتشكا كان دوماً، وفي كافة الأحوال يشغل المرتبة الأولى وأحب إنسان لدي... باستثناء فانتشكا... لكن هذا شعور آخر... فهو طفل!...

8 ديسمبر. بدأت درجة حرارته بالانخفاض، العرق الغزير قضى على المرض، لكن بقي ضعف القلب، وكذلك خوف جميع الأطباء - إن

الالتهاب الرئوي يمكن أن يحدث بسبب بكتيريا الإنفلونزا التي رصد الأطباء وجودها.

جاء صباح اليوم أطباء ظرفاء ونزيهون، وهم دائماً يفيضون مرحاً وحيوية ولطفاً وهم: الجاد بافل سيرجييفتش أوسوف والظريف فلاديمير أندرييفتش شوروفسكي. وبات عندنا الدكتور تشوكان من تولا، بينما بذل كل جهده وعمل بكفاءة طبيب العائلة نيكيتين.

يوم أمس وصل الأبناء: سريوجا وأندريوشا مع زوجته واليوم وصل إيليا. كما جاءت يوم أمس ليزا أوبولينسكايا، ووصل اليوم بافل ألكسييفتش بولانجيه.

توليت العناية بليف نيقولايفتش حتى الساعة الخامسة صباحاً، ثم حل سريوجا محلي. كما جرت مناوبة الأطباء أيضاً: في البداية نيكيتين، ومن ثم تشيكان.

راودني اليوم شعور غير طيب بصدد الأسف على القوى التي أنفقتها عبثاً في العناية بليف نيقولايفتش. وما أكثر العناية والمحبة والقلب والزمن الذي بذلته من أجل العناية به في كل لحظة والحفاظ عليه. وإذا بي ألقى يوم 4 ديسمبر مقابل رعايتي الحانية به الاحتجاج الصارم، كما لو كان ذلك عن قصد – خوف ما يسلبه حريته – ومجدداً ذهبت عبثاً جهودي وانبثقت خطوة أخرى نحو الموت. لماذا؟ لو كان يتمناه، ولكن كلا إنه لا يرحب به ولا يريده. ومزاجه العكر، وأنا أشعر بالحزن – ولكنه غير روحاني.

12 ديسمبر. الآن الساعة السادسة صباحاً من يوم 12 ديسمبر. مرة أخرى جلست طوال الليل إلى جانب فراش ليوفوتشكا، وأنا أرى أنه يفارق الحياة. النبض شديد، 120 ضربة في الدقيقة، وأكثر، كما أنه عصبي المزاج... آه، يا له من مسكين حين يجلس منكساً رأسه الأشيب والهزيل، وتراودني الأفكار بأن الأمر سواء فهو يعاني من الآلام قبيل الموت. علماً أن العالم بأسره ينحني إجلالاً أمام هذا الرأس البائس الذي أمسكه بيدي وأقبله، لدى توديع من كان بالنسبة لي أكثر من نفسي أنا.

وتمضي الحياة خالية من المسرات، وسيكون بلا معنى إبداء العجلة

صباحاً، كما هو الحال الآن، حين أستيقظ وأرتدي الروب، وأهرع لمعرفة: ماذا وكيف الحال؟ وهل نام جيداً، وهل تحسنت صحته، وما هو مزاجه؟ ويتراءى لي أنه مسرور دائماً لكوني جئت إليه، وأسأل عنه، ويواصل كتابة نص ما.

وعندما أستعيد الهدوء أذهب لقضاء أشغالي...

قال اليوم بلوعة من الحزن الصادق: «بوسعي القول بإخلاص إنني أتمنى الموت». بينما قلت له: «لماذا؟ هل أنت تعبت وسئمت من المعاناة»؟ «نعم، لقد سئمت من كل شيء!».

لم يغمض لي جفن... ولا أتمتع بالحياة... الليالي طويلة ومسهدة، وأنا أعاني من ألم ممض في القلب، ويراودني الجزع حيال الحياة، وتفارقني الرغبة في البقاء على قيد الحياة بلا ليوفوتشكا. لقد عشنا سوية أربعين عاماً! إنها حياتي الواعية *كلها* تقريباً. وأنا لن أسمح لنفسي بالمغفرة وإبداء الأسف على أي أمر، وإلا يمكن أن أفقد عقلي!...

عندما انصرفت الآن قال بدقة وبلهجة ذات مغزى: «وداعاً، صونيا». فقبلته وقبلت يده وقلت له أيضاً: «وداعاً». إنه يعتقد أن من الممكن النوم حين يموت... كلا، إنه لا يفكر بأي شيء، إنه يدرك *كل* شيء، إنه واجف القلب مهموم النفس...

أدعو الرب أن يجعل روحه مستنيرة... حالته الصحية اليوم أفضل، ويبدو، أنه يفكر في الموت أكثر مما في الحياة...

13 ديسمبر. مساء. عاد نبض الحياة مجدداً إلى ليوفوتشكا. حالته الصحية أفضل: ويستعاد النبض ودرجة الحرارة والشهية – يستعاد هذه كله شيئاً فشيئاً. هل يستمر الحال طويلاً؟ قرأ بولانجيه له بصوت عال «يوميات» كروبوتكين.

نشرت صحيفة «روسكيه فيدوموستي» اليوم رسالة ليف نيقولايفتش:

«تلقينا اليوم الرسالة التالية من الكونت ليف نيقولايفتش تولستوي:

السيد الكريم، رئيس التحرير

إنني بعد أن بلغت من العمر أرذله، وبحكم ما كابدته من معاناة، والآثار الباقية للمرض لن أستطيع، في أغلب الظن، أن أكون معافى تماماً، ومن

الطبيعي أن يتكرر تدهور صحتي. وأعتقد أن نشر الأنباء التفصيلية عن تدهور صحتي ربما يمكن أن يجذب اهتمام بعض الناس، - بالمعنيين المتناقضين تماماً - لذا فإن نشر هذه الأنباء لا يبهجني البتة. لهذا أرجو هيئة تحرير الصحيفة عدم نشر الأنباء عن حالتي الصحية.

ليف تولستوي
ياسنايا بوليانا، 9 ديسمبر، 1902

إنني أتفهم كلياً مشاعر ليف نيقولايفتش، وأنا نفسي ما كنت سأكتب عنه أي شيء لولا السأم والعناء في الرد على التساؤلات الكثيرة والرسائل وبرقيات الراغبين في معرفة الحالة الصحية لليف نيقولايفتش.

ألمت بي وعكة اليوم، وأنا أخجل من الإشفاق على نفسي. فما أكثر القوى والطاقة والصحة التي تنفق من أجل العناية ب ل. ن. إنه يعمد من أجل ابداء احتجاج ما أو العناد والتحدي إلى المشي مسافة ستة فرستات في عز الشتاء ووسط الثلوج أو يلتهم فطائر القريشة بنهم وبعد ذلك يعاني من الآلام ويعذبنا جميعاً!...

اليوم تقام بموسكو الحفلة الموسيقية الثانية لنيكيتين، كان حلمي السعيد أن أحضر في هاتين الحفلتين، لكنني حرمت، كما هو الحال دوماً، من هذه التسلية البريئة، وروحي تفيض حزناً وكآبة على مصيري.

كما يعذبني ويؤلمني آخر حديث لي مع سيرجي إيفانوفتش قبل شهر مضى. ينبغي استيضاح أمور كثيرة، لكن لا يتوفر المجال لذلك...

18 ديسمبر. ما زال ليف نيقولايفتش طريح الفراش. إنه يجلس ويطالع ويكتب، لكنه ما زال ضعيف البنية جداً...

قرأت في البداية «النساجون» لهاوتمان وفكرت: نحن الأثرياء جميعاً، وكذلك رجال الصناعة وأصحاب الضياع، نعيش في هذا الترف حصراً، وأنا نادراً ما أذهب إلى القرية، بغية ألا أكابد الحرج، وحتى الخجل من وضعنا المتميز كأثرياء، بينما أهلها من الفقراء. كما يدهشني موقفهم الوديع وغير الحاقد تجاهنا.

وبعد ذلك قرأت أشعار أ. خومياكوف. إنها رغم كل شيء مترعة بالشاعرية الحقيقية وبكثير من المشاعر. ما أبدع القصائد: «الفجر» و«النجوم» و«الإلهام» و«إلى الأطفال» - إنها نابعة من القلب بصدق وبحمية. ولا يتحسس مشاعر الوالدين ولاسيما الأمهات من لم يكن لديه أطفال.

حينما يلج المرء ليلاً غرفة الأطفال، حيث توجد ثلاث أو أربع أسرة، ويتطلع فيهم، يشعر بنوع من الامتلاء والفخر والثراء... وعندما تنحني على كل واحد منهم وتتفرس في وجوههم البريئة والنضرة، تجد كيف ينبعث منها نقاء وقدسية وأمل ما. فترسم عليهم علامة الصليب باليد أو القلب، وتصلي من أجلهم، وتبتعد عنهم وقد غمرت روحك أرق المشاعر، ولا ترجو الرب أي شيء – فالحياة ممتلئة كل امتلاء.

إنهم شبوا جميعاً الآن وانصرفوا لشأنهم... وتبعث الكآبة في الروح ليست الأسرة الفارغة، بل خيبة الأمل في مصير وخصال الأطفال المحبوبين، وعدم الرغبة في رؤيتهم فترة طويلة والثقة بهم. ولا تدعو الأطفال لكي يصلوا من أجلك، بل أن تصلي أنت مجدداً من أجلهم، ومن أجل استنارة أرواحهم، وسعادتهم الذاتية.

اليوم تقدم الحفلة الموسيقية لهوفمان، الأخيرة. كم كنت أود سماعها، لكنه القدر مرة أخرى. أعتزم السفر إلى موسكو. فهل سأسافر الآن؟

انشغلت في جميع هذه الأيام في رسم لوحات بورتريه والد ليف نيقولايفتش بالألوان المائية. أنا لم أتعلم الرسم بالألوان المائية أبداً، وأجهدت نفسي وأخذ مني التعب كل مأخذ. وكانت النتيجة متوسطة، لكن كان ممتعاً وشيقاً جداً الرسم وممارسته ذاتياً، والتعرف على كيفية الرسم بالألوان المائية.

27 ديسمبر. لم ترد مجدداً أية رسائل منذ وقت طويل. أمضيت بموسكو ثلاثة أيام: 19 و20 و21 ديسمبر. تلقيت الحسابات من ممثل التعاونية حول مبيعات الكتب، واشتريت بعض الحاجيات وجلبت المسرة إلى الأطفال والخدم وغيرهم الذين جلبت لهم الهدايا.

أمضيت أمسية عند مورمتسيفا التي عادت من باريس، مع ماروسيا ماكلاكوفا واثنين من أبنائها وكذلك مع ف. إي. ماسلوف وتسوريكوف وس. إستانييف. العلاقة معه تتسم بالبرود والجفاء والغربة.

تحسنت صحة ليف نيقولايفتش في غيابي، فنهض من الفراش، وذهب إلى الغرفة المجاورة، وبدأ بالعمل. وفي ليلة عيد الميلاد ساءت حالته فجأة. فقد شعر بألم تحت الإبط وفي الكبد منذ الساعة السادسة صباحاً. انتفخ بطنه، ودب الضعف في قلبه، واضطرب، والنبض 130 ضربة في الدقيقة. لم يتناول أي طعام، وأعطي له الستروفانت والكوفايين، ويبدو أن الدكتور قد شعر بالحرج. ويوم أمس تحسنت حال المريض كثيراً مجدداً.

عندما ألمت بليف نيقولايفتش وعكة في يوم عيد الميلاد قال لماشا مازحاً: «جاءني ملاك الموت، لكن الرب استدعاه للقيام بأعمال أخرى. والآن أنهى الأعمال وجاء إليّ مجدداً».

إن كل تدهور في صحة ليف نيقولايفتش يجلب لي ألماً أشد، أكثر وأكثر فظاعة، ويحزنني أن أفقده. إنني لم أكابد في جاسبرا من مثل هذا الجزع العميق ولم أشعر بمثل هذا العطف حيال ليوفوتشكا، كحالي الآن. ويؤلمني أن أراه يتعذب، وقد دب فيه الضعف، وصار واجف القلب ومهموم النفس ومعذباً روحاً وجسداً! وعندما أمسك رأسه أو ذراعيه الضاويتين بيدي الاثنتين، وأقبله برقة وحنان، أجده يتفرس فيّ بلا مبالاة.

ماذا يدور من أفكار في أغوار نفسه؟ بم يفكر؟

جاء أندريوشا مع عائلته. ودنت صونيتشكا الصغيرة الحبيبة من ليف نيقولايفتش مودعة إياه، فأمسكت بيده وقبلتها وقالت: «وداعاً، يا جدو!». وكنت سعيدة بهم، ولاسيما في الأعياد وبالأخص حين أكون حزينة.

29 ديسمبر. الحالة الصحية لليف نيقولايفتش تارة أفضل وتارة أسوأ. وقال لي اليوم عند الظهيرة: «أخشى أنني أعذبكم خلال كل هذه الفترة الطويلة». وفي أغلب الظن إنه يعتقد بأنه لن يتعافى من مرض الكبد، وقد أصبح مزمناً الآن وسيؤدي به إلى النهاية. وأنا غالباً ما أفكر في ذلك والألم يعتصر قلبي. استدعى بافل ألكنسدروفتش بولانجيه إليه وامتدح كتاب

البارون تاوبه، فقد وجد فيه الأفكار المسيحية، وامتدح النهاية، الخاتمة. وقد تحدث فيها تاوبه عن أن الناس في حرب البوير والحرب الصينية قد أثبتوا بأنهم بلغوا فترة همجية جديدة. وأورد ل. ن. رأيه فقال إن الدين فقط، والمسيحية بالذات، كفيلة بإخراج البشر من وضع الوحشية والبربرية الحالية.

كما دار الحديث عن الإنجليز. فقد جاء إلى لندن اثنان من الإنجليز من أتباع الجماعة الروحانية (السبيريتزم) يرتديان السترة فقط وبحذاءين مفتوحين، وانطلقا من هناك بلا نقود إلى روسيا بهدف لقاء تولستوي واستيضاح رأيه بصدد كثير من الشكوك في الأمور الدينية. وأقاما عند دونايف، ونحن أرسلنا لهم معطفي ل. ن. وقبعتين بغية ألا يصيبهما البرد.

30 ديسمبر. أجلس مع ل. ن. المريض ليلاً ونهاراً وأستعيد الذكريات عن حياتي كلها. وعلى حين غرة أدركت بوضوح بأنني عشتها *بلا وعي* تقريباً. فهل إن الأمر كذلك؟ لم يتوفر لدي الوقت أبداً للمضي *إلى الأمام*، والتأمل بكافة أفعالي بصورة معقولة. ولم يتوفر لدي الوقت لمناقشتها *فيما بعد*. وكنت أحيا سائرة مع تيار الحياة، وأخضع للظروف، وأفعالي تتم بلا إرادتي وخياري، وبحكم الضرورة (par la force des choses).

ولم أحسن ولم أمتلك القوة للوقوف ضد التيار. وهل كان ذلك ممكناً بوجود زوجي وفي حياتي؟ لقد كان زوجي متسلطاً علي بحكم عقله وعمره ووضع ممتلكاته... وهكذا عشت أربعين عاماً... هناك نقائص كثيرة في حياتي، ولا مجال للحديث عنها الآن... أنا أحمد الرب لما كان.

1903

1 يناير. استقبلنا العام الجديد في أجواء الحزن. ففي يوم أمس تلقينا رسالة من تانيا ذكرت فيها أن الجنين لم يبق على قيد الحياة في رحمها، وإنها في كدر شديد... كان ل. ن. أول من قرأ الرسالة، وعندما دخلت غرفته في الصباح قال لي: «هل تعرفين، إن كل شيء انتهى لدى تانيا»، وارتجفت شفتاه، وطفق يكتم النشيج المخنوق في صدره، ووشى وجهه النحيف والمريض بمشاعر الأسى العميق.

نفذ إلى أعماقي حزن قهار على تانيا، بينما كنت أتطلع بألم ممض إلى ليوفوتشكا الذي يكاد يفارق الحياة. إن هذين الكائنين في عائلتي هما أحب الناس إليّ وأفضلهما.

واليوم جاءت دومنا، المرأة الفقيرة من القرية، وطلبت قنينة حليب في اليوم من أجل إطعام طفلتيها التوأمين.

استقبلنا يوم أمس العام الجديد. وحضرت كنتاي: أولجا وصونيا مع الأطفال. بينما جاء إيليوشا وأندريوشا في الليل. كان لدينا عدد كبير من الناس: وبلغ عددهم مع أهل البيت 19 شخصاً. كما استضفنا الإنجليزيين من أتباع الطائفة الروحانية وأبناء طبقة المثقفين – العمال. إنهما يعتقدان بأنهما إذا ما أمسكا بيدي ليف نيقولايفتش، وأقاما الصلاة والدعاء له بالشفاء، فسينقذه ذلك من المرض.

بقيت مع ل. ن. طوال الليل وحتى الساعة الرابعة والنصف. ولم يغمض له جفن كلياً، وواصل الأنين ومعاناة الألم. وقد دلكت ساقيه، وطمأنته، وأنعشته، لكن هذا كله ذهب سدى. فهو يهدأ للحظة ويشكرني، ومن ثم يبدأ من جديد بالتقلب في فراشه. وفي الصباح أصبح نبضه سيئاً، ومتقطعاً، فجرى حقنه بالمورفين، والآن ينام النهار كله.

في الساعة الخامسة صباحاً ذهبت إلى مخدعي، وأزحت الستار وفتحت كوة التهوية. كان نور القمر الأبيض يغمر الطبيعة كلها، وكذلك ممرات أشجار الزيزفون في الحديقة، وتسلل إلى غرفتي. بينما بدأت بالصياح الديكة الجاثمة فوق الأشجار، وترك ذلك انطباعاً غريباً! اليوم خرجت للنزهة إلى مكان بعيد في طريق موضع الاستحمام ذهاباً وإياباً. السكون، الوحدة، الطبيعة – سناء! في المساء عزف جولدينفيزر عزفاً جيداً.

2 يناير. ورد خبر من تانيا، لقد ولدت يوم أمس صبيين ميتين! لقد ذهلنا جميعاً، لكن الحمد للرب، فعلى الأقل جرى المخاض بسلام. ماذا سيحدث لاحقاً.

نام ل. ن. جيداً، النبض طبيعي، لكنه ضعيف وخامل جداً اليوم. الجو غائم، درجة الحرارة 12 تحت الصفر.

19 يناير. رجعت اليوم من موسكو، حيث قدمت طلبية لطبع المؤلفات. لا توجد في الأسواق الآن نسخة واحدة من المؤلفات الكاملة ونسخة واحدة من «الحرب والسلام».

أصغيت في موسكو إلى الموسيقى كثيراً: فقد عزف أرينسكي مقطوعته السويتا مع زيلوتي، وتولى قيادة الأوركسترا ولدى عزف ملحمته الموسيقية بالادا «كوبك»، وكان هذا كله بهياً ومدهشاً.

جرت يوم أمس مصارحة مذهلة مع سيرجي إيفانوفتش، وبعد ذلك فهمت لماذا منحته كل هذا التقدير والمحبة. إنه رجل طيب ونبيل للغاية.

أنا أكره جولدينفيزر لتدخله في حياتنا الشخصية. ل. ن. في حال أفضل والحمد لله. إنه منهمك في انتقاء التعابير الفلسفية من إجل إعداد تقويم. وقد بدأ ذلك منذ مرضه، حينما لم يكن باستطاعته كتابة أي شيء بجد.

الجو دافئ، هدوء، درجة الحرارة 1 تحت الصفر. والسكون الطيب يخيم على الطبيعة، وفيها الرب، وبودي أن ألتحق بالطبيعة عاجلاً وأنتقل إلى جوار ربي. وبدلاً من قراءة مسودات المطبعة، أجهش في البكاء طوال النهار. ليساعدني الرب!

21 يناير. منذ أيام كان ابني سريوجا غليظ اللهجة معي، لأنني تحدثت مع ساشا إبّان ممارسة لعبة «الفينت» وبهذا عرقلت اللعب. فأجهشت في البكاء، وذهبت إلى غرفتي ورقدت. وبعد مرور فترة من الوقت، وحينما هدأت وفكرت بأن من الأيسر أن أكون مهانة من أن أهين الآخرين، دخل ل. ن. متكئاً على عصاه، حيث ما زال ضعيفاً وهزيلاً، وتحدث معي بلطف ورقة، وقال إنه وبخ سريوجا.

وقد أثر ذلك فيّ كثيراً، وشعرت نحوه بإجلال وحنان، وأجهشت في البكاء مجدداً، وأنا أقبل يديه، وأشعر بذنبي تجاهه لكوني عاملته بلا إرادة والتي تقودني الأقدار في الفترة الأخيرة إلى المجهول.

في المساء. خرج ل. ن. اليوم لأول مرة لاستنشاق الهواء الطلق، وطبعاً، أصابه الإجهاد. نبضه ضعيف ومتقطع. في المساء أعطي له Strophant.

الطقس في نقطة التجمد، رياح، ربما أن الطقس يؤثر في الأعصاب، بينما تؤثر الأعصاب في القلب.

24 يناير. تدهورت صحة ل. ن. كلياً بعد النزهة: ارتفعت درجة الحرارة إلى 38.2، ألم في البطن، إنفلونزا خفيفة.

28 يناير. غالباً ما تقول وصيفتي دونياشا «الرب رحيم، ويعرف ما يفعل». وقد كان رحيماً بي فعلاً. فإنني عانيت من التشوش الروحي حتى آخر درجة من العذاب والضمير والرغبة في أن أرى وأتحدث مجدداً مع الإنسان المحبوب لدي. وقد مرضت وساءت حالي، وسقطت ولم أستطع الوقوف على قدميّ طوال المساء. ووضع الثلج على رأسي وبقيت راقدة طوال الليل والثلج على رأسي، وشعرت بأن كياني كله مضطرب وبالضيق، ولم أعد أحيا جسدياً تماماً. لكن وضعي أصبح أفضل روحياً اليوم (اليوم الثالث) وقضى المرض على الكآبة والاضطراب الروحي. وأنا أدعو الرب مجدداً بأن يساعدني في لحظة الضعف، وأن يأخذني بلا خطيئة وعار إلى ذلك المكان «حيث العار لا يلحق الأموات».

اليوم فكرت في المثل القائل: «المرء لا يلبس الرداء الملطخ بالأوساخ،

كما لا يحيا ملطخاً بوصمة العار». والآن لحق بي «العار» خجلاً من نفسي وربي وضميري.

إنني أتمنى فقط أن أصمد أمام عاصفة الروح كلها، وألا تضعف همتي، كحالي حتى الآن، في أفعالي...

9 فبراير. ذهبت إلى موسكو مرة أخرى. حضرت الحفلة الموسيقية لعازفي الرباعي الذين عزفوا رباعية تانييف - التقيته في لحظة خاطفة، ورباعية موزارت مع الكلارنيت، روعة، ولقيت متعة كبيرة، كما عزفت سداسية تشايكوفسكي (ذكريات عن فلورنسا). وغمرني الهدوء والسعادة بعد هذه الأمسية. في اليوم التالي اجتمعت في بيتي العجائز والعم كوستيا وسيرجي إيفانوفتش. وتمت قراءة كتاب «دمار وإعمار جهنم» (حول الشياطين) بقلم ليف نيقولايفتش، ومجدداً ترك هذا النص انطباعاً سيئاً لدي ولدى السامعين. واحتدم الجدل بين سيرجي إيفانوفتش ويكاترينا إيفانوفنا باراتينسكايا التي دافعت عن المقالة قبالة الاستنتاجات المنطقية الذكية لسيرجي إيفانوفتش. وقد ناقشها بحماس، وسررت به. كما حضرت الحفلة الموسيقية لهوفمان، إنها حفلة مدهشة بمشاركة الأوركسترا، وعزفت فيها أعمال شوبان. كانت لدي مشاغل كثيرة في البحث عن مصحح، وطبع الكتب وتجليدها وهلم جرا. ولكنني لم أنجزها كلها. وانشغلت في تدبير الأمور المالية لساشا... ما أكثر الجهود الروحية وما أكثر النفقات! نشرت «نوفويه فريميا» رسالتي ضد أندرييف بصدد مقالة بورينين: العدد الصادر في 7 فبراير 1903.

20 فبراير. يجلس مع ليف نيقولايفتش شيخ، وهو جندي من زمن القيصر نيقولاي، وحارب في القوقاز، وروى له ذكرياته. ل. ن. تجول اليوم وأمس في المزلجة في الغابة، وفي الصباح جلس في شرفة الطابق العلوي. إنه معافى وهادئ. راجعت قليلاً بريده: أكثر الرسائل تتضمن طلب المساعدة أو تواقيعه.

ماذا جرى من أحداث خلال هذه الفترة؟ 1) رزق أندريوشا بالصبي إيليا

في ليلة 3 على 4 فبراير. ذهبت لرؤيته ولتقديم التهاني لأولجا. 2) سافرت ماشا مع كوليا إلى الخارج، وفي غيابهما صار البيت خالياً جداً، لكن مشاغلي أصبحت أقل إذ إنهما كانا الضيفين الوحيدين تقريباً في البيت. زارنا في عيد المرافع ن. ف. دافيدوف الذي قرأ مقتطفات من روايته. وحضر بولانجيه ودونايف، وكذلك الضيفة زوسيا ستاخوفتش. إنها فتاة ذكية ومفعمة بالحيوية، لكنني فزعت منها في الأيام الأخيرة بسبب صراحتي معها.

سافرت ساشا إلى بطرسبورغ، وكدرتني بإبلاغي عن استمرار مرض دورا والحالة العصبية لليوفا.

بقي عندنا هنا قلائل: ساشا ويوليا إيفانوفنا والدكتور جيدجوفت وناتاشا أوبولينسكايا.

الشتاء دافئ ورطب. درجة الحرارة 2 فوق الصفر. المياه راكدة في المنخفضات، الشمس ساطعة في السماء، ولم يعد هناك وجود للثلج في أي مكان تقريباً. اليوم أكثر برودة، ودرجة الحرارة 2 تحت الصفر والجو غائم.

نحن نعيش على انفراد جداً، وقد ابتهجت لدى السفر إلى موسكو مجدداً. إن حياتنا نحن أصحاب الأملاك غير طبيعية - نحن قلائل وسط سكان الأرياف. ولا نتواصل مع الشعب، - ومن شأن هذا التواصل أن يكون زائفاً، ولا مع الطبقة المتعلمة المساوية لنا.

تلقيت رسائل كثيرة بصدد رسالتي. ويتهم الكثيرون ليف نيقولايفتش بصفته رائد الأدب القذر في مسرحية «سلطان الظلام» و«سوناتا كريتسر» و«البعث». لكن هذا بسبب الغباوة وعدم الفهم. ويعرب الكثيرون عن إعجابهم وامتنانهم لرسالتي ولاسيما من الأمهات. لكن وجد من دافع عن أندرييف. وهذا كله يترك في انطباعاً كما لو أنني قمت برش «المسحوق الفارسي»[1] على البق الذي زحف إلى كافة الأركان. لقد كتبت رسالة إلى الصحيفة - فانطلقت الرسائل والمقالات والملاحظات ورسوم الكاريكاتير وهلم جرا. وابتهجت صحافتنا المبتذلة لوقوع فضيحة فراحت تردد شتى السخافات.

---

1 - المسحوق الفارسي: كان يستخدم في مكافحة البق والبراغيث في روسيا في تلك الأيام. (المترجم)

لقد سئمت، وتملكني الكدر في هذه الأيام...

ووجدت المتنفس الوحيد في الموسيقى، والأمر الآخر في أداء واجبي في العناية بليف نيقولايفتش والتخفيف عنه.

22 فبراير. رزق ميشا بصبية اسمها تانيا.

6 مارس. سافرت إلى موسكو، مرض أندريوشا الشديد، مراجعة مبيعات الكتب، وعلاج الأسنان، المشتريات، والطلبيات. ذهبت إلى الحفلات الموسيقية: حفلة الفيلهارموني - عزف كنتاتة الملحن تانييف وغيرها، والحفلة السيمفونية - مانفريد، ومقدمة «فريشيوتسا» وغيرها، ورباعيات بيتهوفن وموزارت، وعازف البيانو بيوكلي أسدورني قدم بولونيز شوبان.

سافرت إلى بطرسبورغ، وتأثرت لدى لقاء ليوفا ودورا والصبيين الصغيرين، وتعاني شقيقتي تانيا من ضيق الحال بسبب شحة النقود، أما شقيقي فياتشيسلاف فهو مع زوجته غير الجميلة مرهف الحس ورقيق الحاشية. أمضيت هناك يوماً واحداً، وفي القطار ليلتين. وفي موسكو انشغلت مجدداً في الأعمال والضيوف وأندريوشا المريض، ووهن الكدر وعدم الرضا من ضياع القوى الجسدية والروحية بعصبية وجنون.

الوضع في ياسنايا بوليانا أفضل. سناء الأيام الصاحية، وسطوع الشمس في الرحاب الجليدية المرآوية الملساء للمياه المتجمدة، والسماء الزرقاء، وسكون الطبيعة وزقزقة الطيور - إيذاناً بحلول الربيع.

خرجت للنزهة مع ل. ن. في الزلاجة وسط الغابات. وقد أبدى عنايته بي، وسألني فيما إذا كنت مرتاحة ومسرورة في الزلاجة. وانطلقنا جميعاً في ثلاث زلاجات. وفي أثناء النزهة أوقف زلاجته ونزل منها ودنا مني وسألني: «هل كل شيء على ما يرام لديك؟». وعندما قلت له «حسناً جداً» أعرب عن سروره. وفي المساء حين دثرته بالغطاء وتمنيت له ليلة سعيدة ربت على خدي بحنان، وكأنني طفل، وفرحت بمحبته الأبوية.

زارنا الزوجان روزانوف غير الجميلين اللذان يبعثان على السأم.

أنهيت تصحيح مسودات «آنا كارنينا». ولدى متابعة وضعها الروحي

خطوة فخطوة، فهمت نفسي، وأصابني الفزع. فهل ينتحر البعض بغية الانتقام من أحد ما. لا، إنهم ينتحرون لأنهم *لا يجدون القوة أكثر للبقاء على قيد الحياة*... في البداية الصراع ومن ثم الصلوات ومن بعدها الخضوع، ويعقب ذلك اليأس وآخر شيء العجز والموت.

وفجأة تصورت بجلاء ليف نيقولايفتش وهو يبكي بدموع الشيخوخة، ويقول إنه لم ير أحد ما جرى لي ولم يقدم المساعدة لي...

وكيف يقدم المساعدة؟ ليدعو إلينا مجدداً سيرجي إيفانوفتش وليساعدني في إقامة علاقات صداقة الشيوخ الهادئة معه. لكي لا تتبقى *الذنوب* بسبب مشاعري، *وتغفر* لي هذه الذنوب.

10 مارس. ليف نيقولايفتش معافى. وانطلقنا اليوم في الزلاجة بشكل رائع إلى زاسيكا، عبر دروب الغابة جميعاً، لكن الثلوج بدأت بالذوبان. وقد ركب ل. ن. الزلاجة مع ساشا، بينما أنا كنت مع ليوفا، والدكتور مع ناتاشا ويوليا إيفانوفنا. وفيما بعد انتقلت إلى زلاجة ليف نيقولايفتش. وتراقص قلبي من الفرح لكونه صحيحاً معافى، وينطلق معي ويقود الزلاجة: كم من المرات ظننت أن حياته قد انتهت، بينما كان يعود إليها مجدداً! لكن هذه المسرة الناجمة عن صحته لا تشفي مرض قلبي. وحالما أدخل غرفتي تستولي عليّ قوة غامضة شريرة لوضعي النفسي، وأود أن أبكي، وأن أرى الشخص الذي يمثل الآن نقطة مركز جنوني الباعث على الخجل والآتي في وقت غير مناسب - حقاً لن يرفع أحدهم يده عليّ، إنني كابدت أشد العذاب وأخشى على نفسي. بينما يجب أن *أحيا*، ويجب أن أعتني بزوجي وأطفالي، ويجب عدم كشف وإظهار جنوني وعدم رؤية من أحبه حباً مشوباً بالألم.

الآن أنا أصلي من أجل الشفاء من هذا المرض فحسب.

18 مارس. غالباً ما أعتقد بأنني لست مذنبة كثيراً إزاء أبنائي، فقد أحببتهم جداً، ولذا فإن إدانتهم لي، وأحياناً فظاظتهم، تؤلم روحي أشد الإيلام.

ذهبت اليوم إلى المكتبة لأخذ كتاب. فوجدت ليوفا نائماً: فاعتملتني عاطفة حنان رقيقة لحد ذرف الدموع حينما تطلعت إلى رأسه الصغير

الأصلع ذي الشعيرات السوداء القليلة، وإلى شفتيه المنفرجتين قليلاً وكل جسده النحيف. وتملكني شعور الإشفاق عليه لكونه يصارع الحياة بشجاعة، والتي فرقته الآن عن العائلة – عن الزوجة المريضة والعزيزة والصبيين. بم ستكون نهاية مرض دورا! كما أنني أتطلع بالحنان ذاته إلى سريوجا الواجم المشرد اللب في غالب الأحيان، وإلى الابن الأكبر المشوش الفكر إيليوشا، وإلى أندريوشا الطائش ولكن الرقيق القلب الذي يغلق عينيه عن كل ما هو معقول، والحبيبة تانيا، وماشا العليلة، إلا أنها سعيدة إلى حين من الزمن، وكذلك إلى ميشا الفاقد الإدراك، ومثيلته ساشا أيضاً.

إنني أتمنى شيئاً واحداً دوماً، وهو أن يكونوا جميعاً سعداء وأخياراً معنوياً.

سأسافر اليوم إلى موسكو، ويلازمني شعور ثقيل، يشوبه الخوف.

الجو مشمس خلال شهر، ول. ن. معافى، وكل شيء لدينا على ما يرام. العمل في أعماقي يجري بقوة رهيبة، وأنا أواصل الصلاة ولا سيما في الليالي. فأجثو أمام الأيقونة العتيقة، وتتملكني رغبة شديدة في أن ترتفع يد المخلص فوقي وتبارك روحي لكي يغمرها الوفاق والطمأنينة.

1 يوليو. لم أدون شيئاً خلال الربيع كله والصيف. وعشت بصفاء مع الطبيعة، وباستغلال الطقس المشمس البهي. أنا لا أذكر مثل هذا الصيف الحار والجميل من كافة النواحي ومثل هذا الربيع الرائع. ولم أرغب في التفكير أو بالكتابة أو التوغل في أعماق نفسي. ولمَ، حقاً؟ نحن عشنا في وفاق وهدوء وحتى ببهجة.

جرى اليوم حديث مقرف في أثناء الغداء. فقد انهال ل. ن. كعادته بسخرية ساذجة، وبحضور عدد كبير من الأشخاص بعبارات التشنيع بالطب والأطباء. وشعرت بالاشمئزاز(هو الآن معافى)، فلا يجوز للرجل المستقيم والشريف، بعد القرم والأطباء التسعة الذين عالجوه بنكران ذات وبكفاءة وبعناية، اتخاذ مثل هذا الموقف ممن أنقذوه. وكنت أرغب في التزام الصمت لكن ل. ن. أضاف على الفور أن Rousseau قال إن الأطباء يتواطؤون مع النساء. إذن أنا تواطأت مع الأطباء. وعندئذ انفجرت غاضبة.

فقد سئمت من ممارسة دور الستار الذي يختبئ زوجي وراءه دائماً. إذا لا يثق بالعلاج فلماذا دعا الأطباء وانتظرهم وأطاعهم؟

إن حديثنا الثقيل في 1 يوليو لم يكن وليد الصدف، بل هو نتيجة ذلك الزيف والوحدة اللذين كابدتهما في حياتي.

وزوجي يتهمني بكل شيء: ببيع مؤلفاته خلافاً لإرادته، وبإدارة شؤون ياسنايا بوليانا خلافاً لإرادته، وبأن الخدم يعملون خلافاً لإرادته، ويتم استدعاء الأطباء خلافاً لإرادته... وهذا لايعد ولا يحصى... علماً أنني أعمل فوق طاقتي لخدمة الجميع وجميع حياتي ليست ملكاً لي.

لذا عقدت النية على أن أبتعد عن كل شيء، فقد أضناني سماع الملامات المستمر والعمل. ودع ل. ن. يحيا ما تبقى من حياته وفقاً لمعتقداته وحسب إرادته. بينما أنا تعبت من ممارسة دور الستائر وأترك هذا الدور المفروض عليّ.

5 يوليو. ثمة أمر في زوجي ربما يعجز عن إدراكه فهمي البائس. فيجب عليّ أن *أتذكر وأفهم* بأن رسالته هي أن *يعلم* الناس *ويكتب ويلقي المواعظ*. ويجب أن تخدم حياتنا، نحن جميع المقربين منه، هذا الهدف، ولهذا يجب أن توفر له أفضل الظروف. ويجب غض النظر عن كافة الحلول الوسط وعدم التوافق والتناقض ورؤية فقط كون ليف نيقولايفتش كاتباً عظيماً وواعظاً ومعلماً.

9 يوليو. عاد جميع الأبناء من الخارج: في 6 يوليو عادت ماشا وكوليا أوبولينسكي، وفي 7 يوليو عاد أندريوشا، وفي 8 يوليو عاد ليوفا. أندريوشا نحيف جداً وضعيف وبائس، لكنه لطيف للغاية. وليوفا المسكين معذب روحياً، وأنا أشفق عليه وأعتز به جداً. تحسنت صحة ماشا لكنها بقيت غريبة كالسابق.

اليوم شعر ل. ن. بضيق في الصدر وكان نبضه قبيل الفطور طبيعياً، ولكن عندما تناول البطاطس والخبز مع العسل، اشتد الاختناق، وتسارع النبض وأصبح متقطعاً. علماً بأنه اشتكى يوم أمس وفي جميع الأيام الماضية من الضعف ولم ينم في الليل جيداً. لقد فزعت جداً، ومرة أخرى واجهت بجزع الفراغ في الحياة، إذا ما فارق ليف نيقولايفتش الحياة قبلي.

10 يوليو. تحسنت صحة ل. ن. أمس *بحلول المساء*. وفي الأيام الأخيرة أجهد نفسه كثيراً، بركوب الجواد والمشي، وعلاوة على ذلك تناول وجبات طعام ثقيلة. جاء في المساء أدلربرج أحد رجال الحرس الخيالة مع زوجته البدينة والضخمة الجسم. وقد دعاه ل. ن. إليه واستفسر منه كثيراً عن العمليات الحربية: «ما هو استعراض الحرس؟ ومتى يمتطي القيصر الجواد في أثناء الاستعراض؟ ومن يقود الجواد؟» وهلم جرا وهكذا دواليك. ل. ن. إنه مشغول جداً بتاريخ نيقولاي الأول ويجمع ويقرأ الكثير من المواد حول الموضوع. وسيورد ذلك في رواية «حجي مراد».

12 يوليو. أردت كتابة شيء جيد ما، لكنني انشغلت في المطالعة، وأصابني الإرهاق الآن. يوم أمس ذهبت إلى تابتيكوفو لحضور عيد القديسة شفيعة أولجا. أندريوشا مريض، وبائس جداً بمظهره الحزين والهزيل جداً. أنا غالباً ما لا أفهم أولجا. ما هو مغزى حياتها؟ ذهبت مع ليوفا. وهذا الابن أيضاً لا يسرني. فزوجته تنازع الموت في السويد بعد إصابتها بالتهاب الكلية. بينما هو يضع الخطط ويريد أن يلتحق بكلية الطب والعيش بموسكو، وهو يعاني من قلق ما. ثمة وعكة يعاني منها ليف نيقولايفتش: ضيق في الصدر والنبض متقطع. تغيرت حالة الطقس، ريح عاتية ودرجة الحرارة 11 فوق الصفر. في المساء لعب «الفينت» بحيوية وحماس كل من ل. ن. وماشا وكوليا وساشا ونيكيتين.

أجلس وحيدة في غرفتي فترة طويلة. قال بولانجيه إن غرفتي تشبه غرفة فتاة شابة. غريب، إنني عندما أحيا الآن وحيدة ولا تراني عين الرجل ولا يمسني حضوره أكثر – غالباً ما يراودني شعور نقاء الفتيات، والقدرة على أن أجثو على ركبتيي طويلاً وتلاوة الصلوات أمام أيقونة المخلص الكبيرة أو أيقونة العذراء الصغيرة، التي أعطتها العمة تاتيانا ألكسندروفنا إلى ليف نيقولايفتش حين ذهب إلى الحرب. والأحلام تكون أحياناً ليست أحلام نساء بل أحلام فتيات طاهرة...

13 يوليو. ضجة كبيرة منذ الصباح. جاء لزيارة ل. ن. إيطاليان: أحدهم قسيس

اهتم بقدر أكبر بالحياة الروسية وبحياتنا وليس بالأحاديث، أما الآخر البروفيسور في اللاهوت فهل رجل فكر نشيط، وطرح أمام ل. ن. أفكاره التي تتلخص بصورة رئيسية في أن من الواجب *الدعوة* التي عرفها في الدين والأخلاق، من دون تهديم الأشكال القائمة دفعة واحدة. فقال ل. ن. إنه لا حاجة إلى الأشكال أصلاً، وإن «la religion, c`est la verité»[1] والكنيسة والأشكال أي الطقوس هي زيف، يضلل الناس ويلقي ستاراً من العتمة على الحقائق المسيحية.

كان الإصغاء إلى هذا الحديث ممتعاً جداً. ثم جاء الابنان ليوفا وأندريوشا. وفي وقت لاحق جاء ستاخوفتش مع ابنته وابن ميشا.

أصابتني بالإجهاد الأحاديث وصراخ الأطفال والضجة أثناء تقديم الطعام والشراب. جاء الأب العجوز وزوجة أفاناسي المحكوم عليه بسبب انتمائه إلى طائفة الدوخوبريين، وكان مظهرهما بائساً جداً، لكن لم يعد من الممكن مساعدتهما. وقد كتب ل. ن. بصدد أفاناسي هذا رسالة استرحام إلى القيصر سلمها الكونت ألكسندر فاسيلييفتش أولسوفييف.

سافرت ماشا مع كوليا ولم يلحظ مجيئهما ورحيلهما أحد عندنا في البيت.

10 أغسطس. عادة يقال إنه لا يستطيع الحكم على الزوج والزوجة سوى الرب. آمل أن الرسالة التي أستنسخها الآن لا تعطي الذريعة لإدانة أي أحد. إلا أنها قلبت حياتي لحد كبير وزعزعت موقفي، المترع بالثقة والحب، من زوجي. والقصد ليست الرسالة بل الذريعة التي جعلتني أكتب رسالتي إلى زوجي.

حدث ذلك في عام وفاة ابني الصغير المحبوب فانتشكا، الذي انتقل إلى جوار به في 23 فبراير 1895. وكان آنذاك في السابعة من العمر، وكانت وفاته أكبر فاجعة في حياتي. إنني ربطت روحي كلها بليف نيقولايفتش، وبحثت لديه عن المواساة، ومغزى الحياة. أنا خدمته، وكتبت إليه، ومرة عندما سافر إلى تولا، وجدتها في غرفته المهملة، والتي بدأت بتنظيفها وترتيبها.

وفيما بعد سيوضح كل شيء...

ما أكثر ما ذرفت من دموع، عندما كتبت هذه الرسالة. وإليكم رسالتي التي وجدتها اليوم، في 10 أغسطس، ضمن أوراقي. إنها المسودة.

---

1 – الدين هو الحقيقة (بالفرنسية). (المترجم)

12 أكتوبر 1895

كنت أحيا في جميع هذه الأيام وكأن صخرة تجثم فوق قلبي. لكنني لم أقدم على التحدث معك، خشية أن أزعجك، وإيصال نفسي إلى تلك الحال المشابهة لما كانت عليه في موسكو قبل وفاة فانتشكا.

لكن لابد لي (في آخر مرة... وسأسعى إلى أن تكون آخر مرة) أن أقول لك ما يجعلني أكابد ويستبد بي كرب خانق.

لماذا تشير إلى اسمي في يومياتك بعبارات مترعة بالضغينة والموجدة؟ لماذا تريد أن يذكر اسمي لدى جميع الأجيال القادمة مقترناً بوصف الزوجة *الطائشة والحاقدة* التي جعلتك تعيساً؟ لو أنك شتمتني أو ضربتني بسبب ما تراه أمراً غير محمود لدي، لكان ذلك موقفاً طيباً بما لا يقاس (أي عابراً)، من جانبك.

بعد وفاة فانتشكا... – تذكر قوله: «بابا لا تسئ إلى أمي أبداً»، – أنت وعدتني بأن تحذف تلك التعابير الحاقدة في يومياتك. لكنك لم تفعل ذلك، بل بالعكس.

أم أنت تعتقد بأن مجدك سيكون أقل بعد الموت إذا لم تصورني كشهيدة، بينما تصور نفسك كشهيد؟

أرجو المعذرة فيما إذا اقترفت هذه الدناءة وقرأت يومياتك، فإنني وجدتها بالصدفة.

لقد كنت أنظف غرفتك، وأزلت شبكة العنكبوت من تحت طاولة مكتبك، فسقط من هناك المفتاح. وسيطرت علي الغواية في التطلع إلى خفايا روحك، وهذا ما فعلت.

وأورد هذه التعابير (بشكل تقريبي لأنني كنت مضطربة للغاية، مما يجعلني لا أتذكر التفاصيل):

«جاءت ص. من موسكو. إنها تدخلت في الحديث مع بول. لقد أصبحت أكثر رعونة بعد وفاة فانتشكا. لكن يجب حمل *الصليب* حتى النهاية. ساعدني، أيها الرب...» وهلم جرا.

عندما ننتقل إلى العالم الآخر يمكن أن يفسر *الرعونة* هذه *كل* حسب

هواه، ويكون بوسع أي أحد أن يلطخ زوجتك بالقاذورات، لأنك *أردت ذلك بنفسك* وتدعو الآخرين إلى هذا بأقوالك.

وهذا كله لأنني عشت طوال حياتي فقط من أجلك وأطفالك، ولأنني أحببتك وحدك أكثر من جميع الناس في العالم (باستثناء فانتشكا)، وأنا لم أتصرف *برعونة* (كما تروي ذلك للأجيال القادمة في يومياتك) وأنا سأموت وأبقى *زوجة لك* روحاً وجسداً...

إنني أصبو أن أكون أسمى من الأوجاع التي أكابدها الآن، كما أصبو إلى أن أواجه ربي وضميري، وأن أتقبل طائعة حقد الإنسان المحبوب لدي، وإلى جانب ذلك أن أبقى إلى الأبد مع الرب.

إذا كان من الصعب لديك القيام بهذا، فاحذف من جميع يومياتك العبارات الحاقدة ضدي، فهذا سيكون سلوكاً مسيحياً *خالصاً*. أنا لا أستطيع مطالبتك بأن تحبني، لكن ارأف باسمي. فافعل هذا إذا لم يكن ذلك صعباً. وإذا لم تستطع فالرب معك. إنها محاولة أخرى لمخاطبة قلبك.

أنا أكتب هذه الرسالة بألم ودموع. وأنا لن أستطيع التحدث عن هذا أبداً. إنني أفكر في كل مرة أسافر فيها: هل سنلتقي مرة أخرى؟ اغفر لي إن استطعت.

ص. تولستايا».

نحن تفاهمنا لاحقاً كما يبدو، فحذف ل. ن. بعض العبارات من يومياته. لكنني لم أبحث فيما بعد أبداً عن السلوى والمحبة في قلب زوجي بروح الوفاق والثقة القائمة على الحب كما كانت الحال سابقاً. فقد خمدت إلى الأبد بشكل مؤلم وبلا عودة.

17 نوفمبر. ولجت في المساء غرفة ليف نيقولايفتش. وكان يتهيأ للنوم. وأرى أنني لن أسمع منه كلمات المواساة أو التعاطف *أبداً*.

لقد وقع ما كنت أتنبأ به: لقد مات الزوج *المشبوب العاطفة*، ولم يكن لدي زوج آخر أبداً، ومن أين سيوجد الآن؟

إن النساء السعيدات هن اللواتي يعشن مع أزواجهن بمودة وتعاطف

حتى النهاية! أما الزوجات التعيسات والوحيدات فهن زوجات الأنانيين، والرجال العظام، ومن ذرية هؤلاء النساء تشب كسانتيبا المستقبل!

إن هذه الحياة كلها لا تناسبني. ولا مجال لاستخدام الطاقة الحيوية الفائرة، ولا الاختلاط مع الناس، ولا الفن، ولا الأعمال - لا شيء البتة، باستثناء الوحدة طوال اليوم، حين يكتب ل. ن. وتمارس لعبة «الفينت» في الأمسيات من أجل تسلية ل. ن. واستجمامه. ولهذا تردد الصيحات المقيتة: «الخوذة الصغيرة لدى البستوني!... من دون ثلاثة... لماذا ألقيت البستوني، يجب إعلان الارتداد... ما هذا، كيف أخذت الخوذة الكبيرة بلا خسارة...».

إنها بمثابة هذيان لا أستطيع اعتياد سماعه. وقد جربت ألا أجلس وحيدة، وأن أشارك في هذا الهذيان وفي كل مرة كنت أشعر بالخجل، وبالكآبة الشديدة من لعب الورق.

تطلع إليّ الدكتور بيركينهايم بتعاطف وبصمت حين رأى مدى كآبتي، وكان يقرأ لي الأعمال الأدبية في الأماسي بصوت عال. قرأنا تشيخوف، وهذا يبعث على الارتياح.

1904

18 يناير. تمضي الحياة بسرعة خاطفة. عاشت تانيا وجميع عائلتها في ياسنايا بوليانا في الفترة من 6 إلى 27 ديسمبر. كانت الانتخابات وشجرة عيد الميلاد والأعياد والهرج والمرج قد أرهقتني حتى إنني لم أجد الوقت للبهجة. وقد أضعفتني الإنفلونزا كثيراً. ومرض ل. ن. عشية العام الجديد، واستقبلته بمزاج كئيب مع سريوجا وأندريوشا وآنوتشكا وساشا والصبيان من عائلة سوخوتين. ثم استقبلنا شقيقتي تانيا، المرحة، واللعوب، لكن الحياة حطمتها، وقد علمتها كيفية اتباع أسلوب *خاص* في التعامل مع الناس. وأزعجتني لعبة الورق الفينت، وسبب مرضي هو الغم والأسى. في 8 يناير جاء ثلاثة طلاب من معهد التعدين في بطرسبورغ. تحدثت معهم كثيراً، هم أناس أذكياء. لكنهم شأنهم شأن جميع الشباب المعاصرين لا يعرفون كيف يستخدمون قدراتهم. في المساء سافرنا جميعاً إلى موسكو وبقيت هناك حتى مساء يوم 15 يناير. شاهدت مرتين أوبرا أرينسكي «نال ودامايانتي»، إنها عذبة الألحان وذات سناء لكنها ليست قوية. وأي مثل بديع للمرأة الحقيقية في هذه الملحمة الشعرية.

تجولت في كل مكان مع ساشا. وذهبنا إلى الحفلة السيمفونية بمشاركة شاليابين. إنه المغني الأكثر موهبة وذكاء من بين جميع الذين استمعت إلى غنائهم في حياتي. كما قدمت حفلة جولدينفيزر الذي عزف بحيوية أكثر من المعتاد. وبعد ذلك شاهدت بروفة مسرحية تشيخوف «بستان الكرز» التي تركت لدي انطباعاً كبيراً. دقة وذكاء مشوب بالسخرية بالإضافة إلى الحالة المأساوية الحقيقية للأجيال – هذا كله جيد.

لكن مهمتي الرئيسية في موسكو هي نقل تسعة صناديق تحتوي على

مخطوطات وأعمال ليف نيقولايفتش من متحف روميانتسيف إلى متحف التاريخ. وقد طلب المسؤولون في متحف روميانتسيف أخذ الصناديق بمناسبة إجراء أعمال الإصلاح هناك. وبدا لي شيئاً غريباً عدم إيجاد مكان لوضع تسعة صناديق يبلغ طول كل واحد منها ذراعاً واحداً في ذلك المبنى الكبير. وراجعت مدير المتحف البروفيسور السابق تسفيتايف. وأجبرني على الانتظار نصف ساعة، ثم حتى لم يعتذر وخاطبني بعد ذلك بلهجة فظة.

وقال تسفيتايف بالمناسبة: افهمي، نحن نعتزم أن نضع في المكان الذي توجد فيه الصناديق خزانات جديدة، ونحتاج إلى المكان لوضع *مخطوطات أكبر قيمة فيه*.

فغضبت وقلت:

– ما هو سقط المتاع الذي يعتبر أكبر قيمة من يوميات حياة ومخطوطات تولستوي؟ يبدو أنك تؤيد آراء «موسكوفسكويه فيدوموستي»؟

لقد أدى غضبي إلى التخفيف من لهجة تسفيتايف القليل الأدب والمقرف. وعندما قلت إنني كنت آمل في الحصول على مكان أفضل لوضع مختلف الأشياء والتماثيل النصفية ولوحات البورتريه وكل ما يمس حياة ليف نيقولايفتش بدا على تسفيتايف حتى الاضطراب، وراح يعتذر، ويردد كلمات ثناء، وبأنه لم يعرفني من قبل، وسيعمل كل ما يلزم، وبهذا انصرفت وأنا أقول إذا ما غضبت فهذا لأنني أثمن كل التثمين كل ما يمس ليف نيقولايفتش، وإنني لبوة، بصفتي زوجة سبع[1]، وأستطيع أن أبرز مخالبي عند الضرورة.

بعد ذلك توجهت إلى متحف التاريخ، إلى زابيلين، وهو شيخ هرم بلغ الثمانين من العمر. وخرج إليّ عجوز أبيض الشعر يجرجر قدميه بصعوبة ذو عينين تشيان بالطيبة وبسحنة محمرة. وعندما سألته فيما إذا يمكن حفظ مخطوطات ليف نيقولايفتش في متحف التاريخ أمسك بيدي وصار يغمرهما بالقبل، وقال بصوت واهن:

– هل يمكن؟ بلا ريب، اجلبيها بسرعة. أية فرحة! يمامتي، إن هذا تاريخ!

---

1 – اسم ليف باللغة الروسية يعني – السبع. (المترجم)

في اليوم التالي زرت الأمير شرباتوف الذي أعرب أيضاً عن ارتياحه لكوني أعتزم تسليم مخطوطات وحاجيات تولستوي إلى متحف التاريخ. إن زوجته الأميرة صوفيا ألكسندروفنا، وكانت قبل الزواج تحمل لقب الكونتيسة أبراكسينا، امرأة لطيفة، كما أن ابنته ماروسيا ظريفة جداً. في اليوم التالي تفحصنا المكان المخصص للمخطوطات، وأعطيت لي غرفتان مقابل غرفتي دوستويفسكي.

أبدى لي بالغ الاحترام جميع العاملين في متحف التاريخ، ومأمور المكتبة ستانكيفتش، ومساعده كوزمينسكي، والأمير سرباتوف مع زوجته، بصفتي أمثل ليف تولستوي.

كانت في متحف رومیانتسيف قاعة جيورجييفسكي فقط في قسم المخطوطات. وجئنا نحن الأربعة: كوزمينسكي مساعد مأمور المكتبة في متحف التاريخ، وجندي، وعضو التعاونية رومیانتسيف وأنا. فنقلنا الصناديق إلى متحف التاريخ بنجاح، ووضعناها في البرج. والآن انصب جل اهتمامي على نقل الحاجيات وبقية مخطوطات ليف نيقولايفتش إلى هناك أيضاً. يجب إنقاذ كل ما يمكن إنقاذه من استحواذ الأبناء والأحفاد على الحاجيات بشكل أخرق.

نحن (أنا ول. ن.) نرتبط بوشائج المودة الوطيدة جداً في خلال هذه الفترة، وعموماً حين نكون لوحدنا نستعيد علاقات اللطف والحنان المشوبة بالثقة، التي لا يعكرها وجود الأبناء الأربعة الكبار، بل وجود ابنتي ماشا، وشقيقتي تانيا وبعض الأصدقاء والمعارف.

وفي هذه الفترة كلها كان ل. ن. موفور النشاط جداً، وعمل بجهد، ومنهمكاً في تأليف الكتاب الجديد حول أفكار الحكماء وكان يحلم حتى في كتابة القصص ومطالعة أعمال كثيرة في اتجاه واحد، في كل يوم. وقال بلهجة حزينة: «لا ريب في أنني لن ألحق بعمل أي شيء في الحياة».

في أحد الأيام امتطى ل. ن. صهوة الجواد وقطع مسافة من عشرة فرستات إلى ستة عشر فرستاً، وفي اليوم التالي مشى مسافة بعيدة سيراً على الأقدام. واليوم يشعر بوعكة، وصار في المساء يسعل ولم يشرب الشاي.

علمت بموسكو أن مجلة «جورنال دليا فسيخ» ستنشر في عدد مارس قصيدتي النثرية «تأوهات» بالاسم المستعار *تعبانة*.

3 فبراير. زارنا يوم أمس ضابط غريب الأطوار – هو القوزاقي بيليتسكي. علماً بأنه وهو العسكري السابق يرفض الحرب، وقد أنهى دورة دراسية في الجامعة باختصاص حقوقي. وفي الحديث معه استوضحت مجدداً لنفسي موقفي من أفكار زوجي. فلو حدث *فراق* تام بيننا لما أحب أحدنا الآخر. وقد أدركت بأنني أحببت في ليف نيقولايفتش كل ما هو *إيجابي* في معتقداته ولم أطق طوال حياتي كل ما هو *سلبي* فيه ناجم عن سمات طبعه المتمثلة *بمعارضة كل شيء دائماً.*

ل. ن. بأتم صحة وعافية، فيخرج في يوم للنزهة ماشياً، وفي اليوم التالي ينطلق على صهوة الجواد. ومنذ ثلاثة أيام لم يرجع إلى البيت فترة طويلة. وجاء في حوالي الساعة السادسة مساء، وعلمنا بأنه ذهب إلى تولا، وعاد بغية الحصول على آخر برقية ومعرفة الأخبار العاجلة عن الحرب مع اليابانيين. فهذه الحرب كانت تقلق وتهم الجميع في هدوء ريفنا. وأثارت الدهشة تصاعد الروح الوطنية العامة والتعاطف مع القيصر. ويعزى ذلك إلى أن هجوم اليابانيين الوقح لم يكن متوقعاً، ولم تكن في روسيا الرغبة في الحرب – سواء لدى القيصر أم لدى أي أحد. إنها حرب *فرضت قسراً.*

الشتاء دافئ مجدداً: درجة الحرارة اليوم 2، وتتراوح بين الدفء والزمهرير والرياح.

ل. ن. مشغول في العمل الأدبي، فهو يكتب قصة «الكوبون المزيف».

أما أنا فقد تجرأت على محاولة التصوير بالألوان الزيتية، بالرغم من أنني لم أمسك مرة واحدة بالفرشاة والأصباغ الزيتية.

حلم راودني في 3 فبراير

أنا ذاهبة لزيارة آل ماسلوف وبيدي باقة زهور، الزيزفون الصفراء، التي أصبحت ذابلة. وتملكتني رغبة عارمة في أن أصبغ باقتي بألوان قانية ما، أو بألوان وردية تميل إلى الخضرة. أبحث عن النوافذ، وأقلب الزهور الذابلة بكآبة وأخرج من البيت. وقفت المرحومة أمي عند فسحة باب الدخول، وذراعاها متدليتان إلى الخلف. فهتفت من الفرح، لكنني لا أبدي العجب، بل سألتها عما تفعل هنا. فأجابتني: «جئت لأخذك». وقلت لها «إذن لنذهب

أولاً إلى عائلة ماسلوف، وسأعرفك عليهم. إنهم أفضل أصدقائي». فوافقت أمي وصعدنا إلى الأعلى. وقلت لكل فرد من عائلة ماسلوف بابتهاج وبلهجة احتفالية: «هذه أمي»، ورحب بها الجميع. وولجنا صالة كبيرة حيث انتصبت مائدة شاي طويلة وجلست فارفارا إيفانوفنا خلف السماور. وبعد ذلك غادرنا المكان وقالت أمي إنها تسرع للذهاب إلى السفينة التي من المقرر أن تبحر. ذهبنا معاً وصعدنا إلى السفينة، وهناك جميع أبنائي. أبحرنا، ورأينا في البحر العديد من السفن والزوارق الشراعية والبواخر. وفجأة توقفنا. فقد تحطم شيء ما في السفينة. وأردت الانضمام إلى أبنائي وعلى حين غرة أرى أمامي تجويفاً خشبياً عميقاً صنع من الألواح. لذا لا يمكن عبوره. وسألت: «كيف عبرتم يا أبنائي؟» - «إنهم شباب وعبروا قفزاً». وأرى من بعيد ابنتي تانيا. إنها مرحة، وتشتري المارملاد في بوفيه ما، حيث تباع وراء الواجهات الزجاجية مختلف الحلويات، وابتسمت لي. أما ليوفا الصغير والنحيل ذو الشعر الأسود فتململ طالباً منحه خمسين كوبيكاً لشراء السكاكر.

وفي هذه اللحظة انبجس في التجويف على حين غرة شخص ما يدفع برميلاً كبيراً فارغاً. ورد على سؤالي حول الغرض منه بقوله إن السفينة سيتم إصلاحها بواسطته. وأبحرنا مجدداً... *تأويل الحلم*. الزهور الذابلة – مباهج الحياة الذابلة. البحث عن زهور قانية – البحث عن مسرات جديدة، البحث عن الخضرة – الآمال. وجاءت أمي إلي لكي تأخذني. أما السفينة والإبحار – الانتقال إلى الموت. والتجويف الخشبي من الألواح – التابوت والموت. وعدم القدرة على عبور التجويف الخشبي إلى الأبناء – هو استحالة مواصلة الحياة معهم. واصلت الإبحار – بدأت الحياة الجديدة إلى الخلود بعد الموت...

26 مايو. حديث ليف نيقولايفتش حول كيف التحق بالخدمة العسكرية.

عملت اليوم مع ساشا في تقليب الحاجيات التي أورثتها الكونتيسة ألكسندرا أندرييفنا تولستايا لساشا بصفتها عرابتها لدى تعميدها، وذلك عقب وفاتها منذ فترة قريبة. وتوجد بينها حاجة واحدة تعطى إلي ولتانيا وسريوجا وليف نيقولايفتش. ويوجد بين الحاجيات ثلاث لوحات بورتريه:

إحداها لأبيها، الكونت أندريه أنردييفتش تولستوي، وأخويها: قسطنطين الذي توفي مبكراً وإيليا أندرييفتش الذي توفي بعد أن بلغ من العمر أرذله.

وروى لي ل. ن. بصدد الأخير في أثناء الحديث معي وميشا ولينا ما يلي:

عندما خسر ل. ن. في لعب القمار بموسكو، وأضاع الكثير من النقود، قرر السفر إلى القوقاز حيث عاش شقيقه نيقولاي نيقولايفتش، ولم يدر في فكره أبداً الانخراط في الخدمة العسكرية. وكان يرتدي في القوقاز الزي المدني، وعندما شارك أول مرة في غارة اعتمر قبعة ذات حافة عريضة ولكنه كان يرتدي بزة مدنية. وعاش مع نيقولاي نيقولافتش في ستاري يورت، التي تطلق عليها تسمية المياه الساخنة (كانت توجد فيها ينابيع المياه الكبريتية)، ثم انتقل في الزحف من هناك في غارة إلى جروزني. ووصف ليف نيقولايفتش هذه الغارة.

وحدث مرة أن ذهب على صهوة جواد برفقة قوقازي عجوز إلى بعض المعارف في خساف – يورت. وكان القوقازي يحمل على يده صقراً مدرباً. وفي الطريق، الذي كان يعتبر خطراً، التقيا بالصدفة الكونت إيليا أندرييفتش تولستوي الذي كان في عربة ويرافقه القوقازي.

وعرض الكونت إيليا أندرييفتش على ل. ن. السفر معه إلى بارياتينسكي. ودعا بارياتينسكي ليف نيقولايفتش للالتحاق بالخدمة العسكرية. وأثنى على ليف نيقولايفتش لهدوئه والشجاعة التي أبداها في أثناء الغارة. وانضم الكونت إيليا أندرييفتش أيضاً في دعوته للانضمام إلى بارياتينسكي وأقنع ل. ن. في تقديم طلب الانضمام. وهذا ما فعله ل. ن. فقدم طلباً إلى قائد الفوج وانضم إلى كتيبة المدفعية بصفة يونكر. وبقي خلال عامين بصفة اليونكر بلا ترقية بالرغم من أنه شارك في العديد من المهام الخطرة. وقالت لي عمته المرحومة بيلاجيا إيليتشنا إن تأخر الترقية حدث بسبب فقدان أوراق ليف نيقولايفتش التي وجب إعادة إصدارها. أما بارياتينسكي الذي قدم الكثير من الوعود فإنه نسي أمر تولستوي فحسب.

وتمت ترقيته إلى رتبة برابوشيك بعد عامين فقط. ومن ثم في أثناء الحرب التركية طلب ليف نيقولايفتش نقله إلى جيش الدانوب بقيادة جورتشاكوف، وبعد ذلك طلب بنفسه نقله إلى سيفاستوبول حيث بدأت العمليات العسكرية.

8 أغسطس. في 5 أغسطس أي قبل ثلاثة أيام ودعت إلى الحرب أندريوشا ابني العزيز والرقيق القلب والمحب، ولو أنه عاش حياة غير طيبة. وبودي وصف سفره مع أركان فوجه فوج كرومسكوي السادس للمشاة من تامبوف. وقد تم قبوله في هذا الفوج بصفة ضابط صف ومراسل أقدم في ملاك الخيالة. وقد تطوع لدى الذهاب إلى الحرب. وترك زوجته وأطفاله بعد أن وقع في غرام آنا ليونيدوفنا تولماتشوفا، ابنة الجنرال سوبوليف، المرأة الفارغة، والضعيفة، التي لا تجيد إبداء الرقة والملاطفة في الحب. ولن أصدر أحكامي على ابني، ولا على كنتي الطيبة والذكية والحلوة. والرب وحده يمكن أن يحكم على الزوج والزوجة. لكنني عانيت ما عانيت من مصاعب وكافحت قبل أن أقرر تقديم الالتماس حول قبول أندريوشا في الخدمة العسكرية. وأقنعني بأنهم سيقبلونه في كافة الأحوال أو إنه سيلتحق بها في كافة الأحوال، وعندئذ سيكون وضعه أسوأ وأكثر صعوبة. وفعلاً فإن وضعه في الفوج جيد بقدر ما يكون جيداً. فإن سلوكه الودي وحصافته ترغم الجميع على محبته. وقال لي قائد الفوج «أجد حتى الآن لدى أندريه لفوفتش الارتياح فحسب». لكنني قد خرجت عن موضوع القصة بإيراد مشاعري كأم.

بعد أن أنجزت جميع المشتريات المطلوبة وأنهيت المعاملات المالية، سافرت مع ابني ليوفا إلى تامبوف حيث اجتمع شمل أبنائي: إيليا مع زوجته صونيا، وليوفا وميشا. أقمنا في فندق أوروبا الفخم بالنسبة إلى تامبوف. واستولت عليّ مشاعر المرض ولم أنم الليل واستيقظت مبكراً. وذهبت برفقة أندريوشا إلى المعسكر. واقتادني إلى الإسطبل حيث يرابط مرافقوه. إن أندريوشا يحب الخيول جداً مثل جميع أبنائي، فأراني فرسه الذي اشتراه من بولديريفا (ماري تشيركاسكايا)، وهي خير فرس في فوجه. أما المرافقون وعددهم عشرون فرداً فكانوا مشغولين بأعمالهم في الإسطبل، وومضت في كل مكان الكنزات الصوفية الجميلة التي جلبتها لهم، بصفتهم من رفاق أندريوشا، ولبسوها فوراً بسرور. وعرفني أندريوشا على الضابط المرافق لقائد فوجهم، وهو الرجل المستقيم جداً نيقولاي إيفانوفتش روجيتسوف. وتجولنا في الساحة وتبادلنا الأحاديث بانتظار وصول خيول عربات التموين

العسكرية. واقترب منا قائد السرية، وهو رجل يبعث على النفور، إنه قصير القامة عريض المنكبين، وجاء مع أمه العجوز الشبيهة بالبرجوازيين الصغار. وقد اشتكت من الأقدار لكون ابنها الأخير والوحيد يذهب إلى الحرب بينما تبقى لوحدها في هذه الدنيا. وواصلت هذه الأم التعيسة البكاء بلا توقف، وحاولت تهدئتها ودعوتها لركوب عربتي ومرافقة الجنود والضباط لدى خروجهم من المعسكر. وقد فرحت بذلك كثيراً وقالت إن الرب أرسلني إليها لكي تتحمل الفراق بشجاعة أكثر. مع ذلك فقد بقيت هذه الأم المنكودة وحيدة تماماً في هذه الدنيا!

عندما جلست معها في العربة شاهدنا حشداً يسير من بعيد. وكان يتألف من الجنود الذين يرافقهم الأقارب أو الفضوليون فحسب. وتولد انطباع كئيب لدى سماع الموسيقى الصادحة وقرع الطبول. وعندما سمعت العجوز (كان زوجها من رجال الأنصار في سيفاستوبول) الموسيقى بدأت فوراً بالنشيج. وتقدم المرافقون على صهوات الجياد، وابني أندريوشا في مقدمة الجميع بقميصه الرمادي الفاتح وقبعته باللون نفسه، وهو يمتطي فرسه البهية. وترسخ المشهد بقوة في ذاكرتي: الفرس التي لفت سيقانها بقماش أبيض، وقيافة أندريوشا الرائعة في جلوسه على متنها، وأقوال العجوز: «ما أروع جلوس ابنك على ظهر الحصان – إنه يبدو مثل لوحة معلقة في غرفة المكتب».

توقف الجنود عند البئر، وهرعت عدة نساء إلى سحب الماء وملء الأقداح وتقديمها إلى الجنود للشرب. كان الطقس حاراً في الصباح، وأثارت الرياح الغبار ونشرته في كل مكان. وأطلق الضباط صيحات ما، وتوجه الجميع مجدداً إلى عربات القطار. ازداد الحشد كثافة وودع الجنود إلى القطار الرابض بالقرب من المحطة.

الزوجات والأمهات والآباء والأطفال الصغار – جميعهم جاؤوا حاملين الحزم وربطات من حلقات الكعك وغير ذلك. وسار بالقرب مني جندي مع زوجته وأمه. فوقفت العجوز فجأة وصاحت بيأس: «لا أستطيع المشي أكثر». فاحتضنها الجندي وقبلها وهرول للحاق بالفوج. وتبعته زوجته، بينما وقفت الأم فترة طويلة وكأنها قدت من الحجر.

صدر الأمر عند عربات القطار: «استرح»، فنزع الجنود بزاتهم وبدؤوا

بتحميل الجياد في العربات. وكان أندريوشا يساعدهم ويصدر الأوامر. ووقف الحشد بالقرب من العربات. وكان الجنود يضعون حاجياتهم بالقرب من ذويهم الجالسين أينما كان وبعضهم على الأرض، وبعضهم يمضغ الطعام والبعض الآخر ينهر الأطفال والبعض انخرط بالبكاء. ولم يوجد أحد من السكارى. وجرت أعمال تحميل الجياد في العربات بسرعة وبهمة. لكن وجدت مصاعب فقط لدى تحميل حصان كميت وتم حشره قسراً في العربة. وفي الساعة الرابعة تمت عملية التحميل وبقي فقط التبن المكبوس وكومة من الأرغفة. ذهبت مع أندريوشا إلى الفندق لتناول الغداء. وبدا مرهقاً جداً، لكنه انتعش، وحافظ أحدنا على الآخر، سعياً إلى عدم التكدر. وسرعان ما انضم إلينا جميع الذين ودعوا أندريوشا وهم: الأبناء إيليا مع زوجته، وليوفا وميشا ونيقولاي ماكلاكوف واثنان من أصحاب الأطيان في تامبوف: شولجين ورتيشيف. وبعد الغداء توجهنا مع أندريوشا مجدداً إلى عربات القطار، وذهب معنا جميع الباقين.

ازداد الحشد عند القطار. وكان الجنود قد اتخذوا أماكنهم في العربات، وأعطتهم الزوجات والأقارب الحاجيات والأطعمة. ومد أحد الجنود رأسه وخاطب ابنه البالغ من العمر ثلاث سنوات قائلاً: «لا تبك، يا ليونكا، سأجلب لك الشوكولاتة». بينما استلقى جندي آخر أشيب الشعر، وقد تدلى رأسه، وسقطت قبعته، وساقاه منتصبتان إلى الأعلى، وأغلق عينيه، وراح يبكي والدموع تنهال من عينيه غزيرة بقنوط حتى إن القلب يتمزق لدى سماعه. بينما وقف ملازم ثان شاب على الرصيف وتطلع بذهول بعينيه في وجهه الشاحب المائل للصفرة. إنه لم يفه بكلمة، وبدا وكأنه دمية من الشمع. وكان بعض الجنود ينتحبون بشدة. ودنوت من قائد الفوج وشكرته على حسن معاملته لأندريوشا. فقال: «إن وجوده في الفوج يبعث على الارتياح حتى الآن». وفور ذلك قدم لي قائد الفرقة، وأعتقد أنه الجنرال لفتنانت كلافير. فقبل يدي وقال: «نحن نكابد أحياناً مثل هذه اللحظات في الحياة».

وقادنا أندريوشا إلى عربة الدرجة الأولى التي نسب إليها بموجب حماية خاصة. واتخذ مكانه عند الباب على مقعد جانبي. وسيجد صعوبة في تحمل مشاق الطريق والحياة العسكرية فهو ضعيف البنية ومدلل، وشعرت بالألم.

وأخيراً أطلقت الصفارة الأخيرة، الثالثة، وصدحت الموسيقى، وبكى الجميع ورسمت علامة الصليب على أندريوشا وقبلته ولم أتطلع إلى أي أحد آخر. ولوح لنا من النافذة بوجه يفيض حمرة وتأثراً والدموع تنهمر من عينيه. ما هي أحاسيسه ومعاناته في تلك اللحظة؟... مضى ومضى ثم اختفى كل شيء، وفقدت في لحظة كل إدراك للحياة ومغزاها. لقد كابدت أمراً مماثلاً، لكن بشدة أكبر بكثير، حينما رجعت من جنازة فانتشكا. الأمهات فقط يفهمنني ونحن نفهم بعضنا البعض.

لو أراد أحد أن يبحث بجهد عن تنامي المشاعر الوطنية والحربية لدى جميع هؤلاء الجنود والضباط والجنرالات ناهيك عن المودعين فإنه لا يجد أي أثر أو ظل لها. الجميع في معاناة، والجميع ذهبوا بلا إرادتهم، وبذهول وحزن. وحاول الجنرال كلافير أن يصرخ على الذين ودعوه من الحظائر بقوله: «أذيقوهم طعم العلقم!». لكن بدت هذه الكلمات زائفة وجاءت في غير محلها ومضحكة. ويبدو أنه تذكر على حين غرة أن من الواجب رفع معنوية المسافرين، لكنه أدرك بنفسه بأنه لم يوفق في ذلك البتة.

لقد انتزع شيء ما من قلبي مرة أخرى. وثمة مرحلة جديدة فصلت فترة كبيرة من حياتي من الفترة الماضية إلى الفترة التالية: توديع ابني إلى الحرب، وترك توديع الجنود عموماً انطباعاً فظيعاً في أعماقي. ما هي الحرب؟ هل كان بوسع رجل أحمق، نيقولاي الثاني، غير الحقود، وبكاء نفسه، يمكن أن يقترف مثل هذا الشر؟

وفجأة تصورت أن الحرب تشبه الزوبعة، أي إنها ظاهرة عفوية، ونحن لا نرى تلك القوة الشريرة، التي تقضي بلا رحمة وبلا ريب على مثل هذا العدد من الحيوات البشرية. عندما ينبش الإنسان بعصاه عش النمل ويهلك النمل فإنها لا ترى العصا ولا اليد ولا الإنسان الذي يخرب العش. وكذلك نحن لا نرى القوة التي تقود إلى ممارسة القتل في الحرب.

17 أغسطس. عندما يكابد المرء محنة ما تمضي مسيرة الحياة لاحقاً وفق قانون القصور الذاتي، ولا يبذل أية طاقة روحية. عندما ودعت أندريوشا إلى الحرب، شعرت فجأة بوجود صلة تربطني بجميع الذين يحزنون على مصائر

أبنائهم وأزواجهم وأخوتهم وهلم جرا. فاختفت جميع مسرات الحياة، وشعرت بالخوف على ابني، وفجأة تدفق إلى السطح الفزع من الحرب الكامن في أعماق الروح، تدفق بقوة وبجلاء وسيطر على كياني كله.

تلقيت رسالة تفيض حيوية ومرحاً من أندريوشا، من أوفا، من الطريق. إنه لا ينظر إلى الأمام... تعيش عندي زوجته المسكينة أولجا مع الأطفال، ويؤلمني النظر إليهم. وصونيتشكا ذات الغمازتين في خديها وبروحها الرقيقة المعذبة تؤثر فيّ وغالباً ما تعذبني.

تبعث في البهجة عائلة ابني ميشا. ما أروع الأطفال، فهؤلاء الصغار ظريفون ومرحون وذوو مودة. وزوجة ميشا إنها تفيض بهاء ومودة وذكاء. وأود أحياناً أن أحتضنها وأعرب لها عن مدى حبي لها، وكم سأشفق عليها لو أنها أصبحت تعيسة في وقت ما. وهناك أيضاً فاريا ناجورنوفا صديقتي الحميمة. ذهبت اليوم للسباحة رغم أن الجو بارد، وتهب الرياح، ودرجة حرارة الماء 14. أريد أن أنعش جسدي وروحي.

يعيش ل. ن. منذ أسبوع في بيروجوفو في بيت ماشا. وفي الواقع إنه ذهب إلى هناك من أجل أخيه الذي ينازع النفس الأخير لإصابته بالسرطان في الوجه والعين والفك. إنه، المسكين، يعاني كثيراً، لكن حالته الروحية في أفظع حال: لا صبر ولا إيمان ولا محبة للناس... أدعو الرب أن يخلص أي إنسان من لقاء مثل هذا الموت!

عزف ابني ليوفا مع فاريا ناجورنوفا بأربع أيد المقطوعة الخماسية لموزارت، وبودي أيضاً أن أعزف، لكن الكتابة صعبة مع الموسيقى.

1905

14 يناير. أريد أن أحفظ هذه اليوميات في متحف التاريخ، لكن بودي *كتابة المزيد* حول كيف بدأنا العام الجديد.

في صباح 1 يناير ولجت غرفة ليف نيقولايفتش وقبّلته، وهنأته بالعام الجديد. وكان يكتب شيئاً ما في يومياته وكف عن الكتابة وراح يتفرس فيّ بإمعان. وقال: «أنا أرثي لك يا صونيا فأنت رغبت في عزف السوناتات بمصاحبة الكمان، لكن لم يتسن ذلك لك». (لم يتسن ذلك لأنه والأبناء عارضوا ذلك، فتكدرت في العشية). وسألته: «لم الرثاء؟». «فقد صرف عازف الكمان، وعموماً أنت بائسة، ولهذا أرثي لك جداً». وفجأة طفق ل. ن. يبكي، ويلاطفني، وقال إنه يحبني حباً جماً، وكان سعيداً جداً طوال الحياة معي. فبكيت بدوري وقلت له بأنني إذا ما كنت عاجزة أحياناً عن الشعور بالسعادة فأنا المذنبة ورجوته أن يغفر لي مزاجي المتقلب.

إن ل. ن. صار في العام الجديد يتحدث دائماً عن حصيلة الحياة، وفي هذه المرة وقبيل حلول العام الجديد كان بافل إيفانوفتش بيريوكوف، الذي أعيد لتوه من المنفى - في سويسرا، يقرأ باستمرار يوميات ل. ن. ورسائله إليّ، بينما يتطلع إليه ل. ن. في غالب الأحيان ويقرأ شيئاً ما. وقد تراءت أمامه مشاهد من حياته كلها، فقال مخاطباً بافل إيفانوفتش، الذي يكتب سيرة حياته، إنه لم يكن بوسعه أن يحلم بأفضل من السعادة العائلية، وأنا قد وفرتها له في كل مجال، وما كان بوسعه أن يحب أحداً بهذه الصورة... وقد ابتهجت، عندما روى لي بافل إيفانوفتش هذا كله.

في 10 يناير، في ليلة 11 يناير، عاد أندريوشا من الحرب، والحمد لله. وقد تم تسريحه لمدة عام واحد. إنه يعاني من آلام في رأسه وأعصابه. وما

زال يتصرف بصورة صبيانية كالسابق، لكن الحرب تركت آثارها فيه، وأعتقد أنه تغير نحو الأفضل. إن الحرب فظيعة من حيث قساوتها. ناهيك الحديث عن إطلاق النار المجرد، وإعدام البشر بشكل مؤلم: إذ توجه لهم الطعنات بالسيوف والحراب، من دون الإجهاز عليهم، وتركهم يعانون من الألم قبل الاحتضار، ويحرق البشر بعد ربطهم مسبقاً على النيران، ومن ثم يلقون بهم في ما يسمى «حفر الذئاب» حيث يسقط الفرد على الخوازيق... وهلم جرا. وهؤلاء بشر!... أنا لا أفهم البتة وأتألم بفظاعة حينما أسمع الأحاديث حول وحشية البشر والحروب المستمرة.

يكتب ليف نيقولايفتش مقالة حول ما يجب أن تفعله الحكومة وأحكام الدستور ومؤتمر مجالس الأقاليم. ذهب يوم أمس على صهوة الجواد إلى تولا، ثم عاد في الزلاجة، وحاله لا بأس بها - مرحى له.

شهدت بطرسبورغ أحداثاً فظيعة. فقد أعلن 160 ألف عامل هناك الإضراب عن العمل. وتم استدعاء قوات الجيش وقتل كما يقال حتى 3000 شخص.

وجرت محاولتان لاغتيال القيصر.

1908

7 سبتمبر. لم أدوّن شيئاً في يومياتي منذ وقت بعيد جداً. لقد بلغت تلك المرحلة من الشيخوخة حيث أقابل طريقين: إما السمو روحياً والمضي نحو كمال الذات، وإما إيجاد المتعة في الأكل والهدوء وشتى المسرات من موسيقى وكتب ومخالطة الآخرين. وأنا أخشى الأخيرة. إن الحياة مقيدة بأطر ضيقة: استمرار بذل الجهد الشديد في العناية بليف نيقولايفتش، الذي أصبح وضعه الصحي ضعيفاً كما يبدو. وعندما تتدهور صحته أكابد نوعاً من الضياع وفراغ الحياة بدونه. وعندما تصبح حاله أحسن يبدو وكأنني مستعدة لذلك وأقنع نفسي بأنني سأكون حرة من أجل تحقيق الهدف ذاته – أي خدمة ليف نيقولايفتش – بجمع مخطوطاته وتوضيبها، واستنساخها، وسأستنسخ جميع يومياته ومفكراته وكل ما يتعلق بعمله الإبداعي.

في الوقت الحاضر يجلس ل. ن. مجدداً في المقعد – الأرجوحة وساقه ثابتة بلا حراك، علماً أنها انتفخت قليلاً. إنها بلا روم وبلا ألم. لكنه يعاني من الضعف لحد ما.

يقطن عندنا في ياسنايا بوليانا بصورة دائمة كل من ليف نيقولايفتش وأنا وابنتنا ساشا والدكتور التشيكي د. ب. ماكوفيتسكي وفارفارا ميخايلوفنا فيوكريتوفا، مساعدة وصديقة ساشا، ون. ن. جوسيف سكرتير ليف نيقولايفتش الذي يملي عليه ليف نيقولايفتش يومياً التعديلات والأفكار الجديدة في كتاب «دائرة القراءة» لإعادة إصداره مجدداً.

لقد احتفلنا بما يسمى اليوبيل الثمانيني لليف نيقولايفتش. وعموماً إن البشرية عبرت عن المحبة والإعجاب البالغين به. ويتبين ذلك من المقالات والرسائل والشيء الرئيس في البرقيات التي وصل عددها إلى 2000 برقية. أنا

أجمعها كلها وأعتزم تسليمها للحفظ في متحف التاريخ بموسكو. وستكون تحت عنوان: «الأرشيف اليوبيلي».

كما وردت هدايا مؤثرة أولها هدية من الندل في مسرح «بوف» في بطرسبورغ مع عبارة إهداء ظريفة. والهدية عبارة عن سماور صنع من النيكل وحفرت عليه عبارة «القوة ليست في الرب بل في الحقيقة» و«مملكة الرب في داخل أنفسنا» و72 توقيعاً. وأرسل الرسامون ألبوماً رائعاً يتضمن صوراً بالألوان المائية. وعدد كبير من بورتريهات ليف نيقولايفتش وإحدى قصص ليف نيقولايفتش المنقوشة بحروف صغيرة بخيوط حريرية، ومخدة منقوشة جميلة من الجلد صنعها الحرفيون التورجكيون، وبعث صانع الحلويات بورمان أربعة بودات ونصف من الشوكولاتة في 100 علبة من أجل توزيعها على الأطفال في ياسنايا بوليانا. كما أرسل أحدهم 100 منجل كبير من أجل فلاحينا، واستلمنا 20 قنينة من نبيذ سانت رفائيل من أجل معدة ليف نيقولايفتش. وورد صندوق كبير من سجاير معمل أوتومان لكن ليف نيقولايفتش أعاده برسالة شكر لأنه ضد التبغ والتدخين.

ووردت أيضاً هدايا ورسائل وبرقيات حاقدة. ومثالها رسالة بتوقيع «أم» وصلت في علبة بداخلها حبل وقصاصة كتب فيها «لن ينتظر ويتمنى إلى تولستوي سوى أن تشنقه الحكومة، وبوسعه أن ينفذ هذا بنفسه».

ربما أن ابن هذه الأم قتل في الثورة أو الدعاية التي تنسبها إلى تولستوي.

اجتمع في يوم عيد مولد ليف نيقولايفتش وراء المائدة كل من: المحتفى به نفسه وأنا وأولاده الأربعة: سريوجا وإيليا وأندريوشا وميشا. أما ليوفا فهو في السويد ينتظر أن تلد زوجته. وكان من بين البنات ساشا وحدها، أما تانيا فقد كانت في 28 من الشهر لدى الاحتفال بعيد ميلادي في 22 من الشهر، والآن لا تجازف بترك ابنتها مرة أخرى. ثم جلس معنا: ميخائيل سيرجييفتش سوخوتين وميخائل ألكنسدروفتش ستاخوفتش والزوجان جولدينفيزر وتشيرتكوف وابنه وماريا ألكسندروفنا شميدت وإيفان إيفانوفتش جوربونوف والإنجليزي مستر رايت الذي جلب تحية من الكتّاب الإنجليز وميتيا كوزمينسكي وزوجتا ولديي ماشا (زوبوفا) وصزفيا (فيلوسوفوفا). وفي المساء جاءت كاتيا زوجة أندريوشا. ومن ثم جاءت جاليا تشيرتكوفا

والزوجان نيقولايف. ساد جو ساكن وهادئ ومثير للمشاعر لدى الجميع، بدءاً بليف نيقولايفتش الذي استعاد صحته وعافيته تواً، وخرج بمقعده المتحرك إلى الغداء. وتم تحسس المحبة من الخارج أيضاً – من العالم بأسره، وفي روح كل واحد من الحاضرين في ذلك اليوم. وعندما رقد ليف نيقولايفتش في الفراش في المساء وضعت وراء ظهره كالعادة لحافاً صوفياً حكته بيديّ وقلت له: «ما أطيب الحفل. وما أبهى كل شيء! وكنت أخشى فقط حدوث فاجعة ما...». لكن الله رحمنا.

الحالة الصحية لليف نيقولايفتش اليوم لا بأس بها، بالرغم من أنه ما زال يجلس في المقعد مادّاً الساق التي تورمت قليلاً. تناول طعام الغداء معنا، وأكل بشهية وتحدث فقال إنه تلقى اليوم رسالة من عقيد مجهول يسأله فيها عن الحصان الذي كان يمتطيه لدى هروبه من الشيشان في القوقاز.

وقد حدث آنذاك ما يلي: انطلقت المجموعة المسماة في القوقاز عندئذ بـ«أوكازيا» في عربات وعلى صهوات الخيل، ورافقها الجنود. وأراد ثلاثة أفراد إظهار البراعة وآيات الشجاعة في النزال فانفصلوا عن «أوكازيا»، وانطلقوا خبباً إلى الأمام وهم: ليف نيقولايفتش ورفيقه سادو (أي الكوناك) وبولتوراتسكي. وكان ليف نيقولايفتش يمتطي جواداً رمادياً عالياً، دفع مقابله ثمناً غالياً، وكان حصاناً جميلاً لكنه ثقيل الحركة، ورهوان أي بطيء في السير. وفي الطريق اقترح سادو تبادل الجوادين لكي يجرب ليف نيقولايفتش خفة الجياد من صنف النوغاي الذي كان سادو يمتطيه. وحالما جرى التبادل انبجس أمامهم شيشان مسلحون من سفح الجبل. ولم يكن لدى ليف نيقولايفتش وبولتوراتسكي أي سلاح. علماً أن بولتوراتسكي كان يمتطي حصاناً رديئاً من خيول المدفعية. فتخلف عنه وأطلق الشيشان عليه النار وأصابت الرصاص الحصان، ثم انهالوا عليه بالطعن بسيوفهم، لكنه بقي على قيد الحياة. أما سادو فصار يلوح ببندقيته مخاطباً أبناء جلدته باللغة الشيشانية. واستغل ليف نيقولايفتش الفرصة وانطلق بجواد رفيقه سادو السريع من صنف نوغاي. وهكذا حالف الحظ تولستوي ونجا بجلده.

لعب ليف نيقولايفتش الشطرنج مع جولدينفيزر بعد الغداء. ومن ثم استمع إلى عزفه على البيانو. فعزف مقطوعة Scherzo الثالثة لشوبان،

ومقطوعة لارينسكي واثنتين من بالادات شوبان. وقد عزفهما بأروع شكل، وبإلهام سرى إلى الجميع.

إن حياتي ما زالت تقتصر على المشاغل المادية. فقد جاء المقاول، وأعددنا عقد تغيير أرضية غرفة ساشا، وإصلاح غرفة الحمام، وغرفة الحوذيين وبناء قفص للطيور وهلم جرا. ولن تتوفر الفرصة حتى للنزهة فحسب، إذ كنت إما أجلس مع ليف نيقولايفتش وإما أمارس مختلف الأعمال. بينما أنا أحب الطبيعة من كل أعماقي: كنت أتطلع إلى أشجار القيقب المائلة للاحمرار، وأود أن أرسمها. أنا أحب الفن. وعندما أتنزه في الحقل أردد في فكري أشعار تيوتشيف: «ثمة في الخريف زمن مبكر قصير لكنه ذو بهاء...» وهلم جرا. أنا أصغي إلى عزف جولدينفيزر بينما أصبو بكل كياني إلى ممارسة عزف الموسيقى بنفسي مجدداً...

وهكذا تنقضي حياتي كلها في عدم تلبية رغباتي المتدفقة، وفي الأداء الصارم للواجب. والآن تخمد الرغبات: فقد أقيم أمامي ذلك الجدار، وهو ذروة حياة الإنسان، الذي يضع حداً لهذه الرغبات، وما يشغل البال في مجال الفن. «لا يستحق الأمر ذلك فسرعان ما ستحل النهاية!». ويبقى الموتيف، لكن هذا يخمد أمام الحياة اليومية العادية والمادية الشاقة. هل أتركها، أتركها... ولكن لمن؟

8 سبتمبر. استيقظت في وقت متأخر، وذهبت لمعرفة أحوال ليف نيقولايفتش. ففي ليلة أمس عانى من حرقة شديدة في المعدة. دنوت من شبكة باب الشرفة في باب غرفة ليف نيقولايفتش وعندما رآني هتف بابتهاج: «آه، صونيا!»، وقد سرني ذلك كثيراً.

أعد اليوم بمعية جوسيف رسالة شكر إلى جميع الذين هنؤوه بمناسبة عيد مولده الثمانين. وقد قرأها لي جوسيف في المساء، فأبديت بعض التعديلات والملاحظات وافقني عليها جوسيف وليف نيقولايفتش نفسه.

سافرت ساشا إلى تولا مع فارفارا ميخايلوفنا لحضور حفلة موسيقية. وجاء ن. ف. دافيدوف وأمضينا النهار معه بكل سرور. تحدثنا كثيراً عن الأدب، وأعرب الجميع عن استنكارهم وإدانتهم لأعمال الكتاب

المعاصرين القائمة على تصوير المشاهد الجنسية الفاضحة والتي تتسم بعدم الموهبة والجسارة الفظة. كما تحدثنا عن عقوبة الإعدام، وأشار دافيدوف إلى كونها عقيمة وبلا فائدة. كما تحدث معه عن أمور كثيرة ليف نيقولايفتش وخيرياكوف ونيقولايف. الأيام تمضي بلا ثمار ما، مما يكدرني. ويفقد المرء شيئاً ثميناً هو الوقت، والأعوام الأخيرة من حياته وحياة ذويه.

10 سبتمبر. إن تدبير الشؤون المنزلية يأخذ كل وقتي. أمرت اليوم بنبش حقل البطاطس. وعندما جئت إلى الحقل لم أجد أحداً. فقد ذهب الجميع إلى الغداء. وهناك تولى صبي في الرابعة عشرة من العمر، هزيل البنية، مهمة *حراسة البطاطس* من اللصوص. وقلت له: «ما لك جالس ولا تجمع البطاطس؟». فأخذت معه الأكياس وبدأنا بالعمل. كنا ننبش البطاطس ونضعها في الأكياس لحين مجيء عمال المياومة. إن العمل هكذا أكثر بهجة من أن يكون المرء صاحب عمل يطارد العمال. ويبدو أن مشاركتي في العمل قد ألهمت الجميع وتم في يوم واحد جمع كميات كبيرة جداً من البطاطس. وتم فرزها وحملها إلى القبو، وكنت أراقب العمل وحتى أشارك فيه. وتطلع الحراس بدهشة إلى مشاركتي في العمل.

الحالة الصحية لليف نيقولايفتش اليوم أفضل، وشفيت ساقه تماماً تقريباً، ومشى اليوم لوحده، وكان طوال اليوم منشرح الصدر أكثر من السابق. وعمل كثيراً في تأليف كتابه «دائرة القراءة»، ثم استمع إلى الموسيقى. وفي المساء مارس لعبة «الفينت» بأوراق اللعب مع ابنة أخته ليزا أوبولينسكايا التي جاءت اليوم مع ابنتي ساشا وفارفارا ميخايلوفنا. رقد في الفراش مبكراً. الجو في الخارج يسوده الهدوء، ودرجة الحرارة 10 فوق الصفر، وما زالت أوراق الأشجار خضراء. وأزهار القبس فواحة تحت نوافذ غرفتي، وكذلك في كل مكان.

13 سبتمبر. تستغرق قراءة الصحف والبحث فيها عن اسم ليف نيقولايفتش وقتاً كثيراً وتولدان المشقة لي. وتمضي أمامي الحياة الروسية الشديدة الوطأة. ولدى مطالعتها يبدو وكأنك تنجز عملاً ما، وتعرف أموراً

كثيرة، أما في جوهر الأمر فكل هذا بلا معنى. أنا أجمع القصاصات وألصقها في دفاتر. في 28 أغسطس جمعت القصاصات من خمس وسبعين صحيفة، وهناك مجلات أيضاً. والكثير منها يتضمن مشاعر الحب لليف نيقولايفتش، لكن القليل فيها يشير إلى الفهم الحقيقي. اليوم راجعت واستنسخت نهائياً رسالة ل. ن. إلى الصحيفة، والتي تتضمن الشكر إلى جميع الذين قدموا له التهاني في 28 أغسطس. اليوم صاح ونضر ورائق. وبحلول المساء بلغت درجة الحرارة 3 درجات فوق الصفر. مشيت كثيراً لقضاء العديد من الأمور المنزلية وتذكرت أشعار فيت التي أرسلها لي في وقت ما وأرفقها بالعبارات التالية: «أرسل إليك (بمناسبة عيد القديسة شفيعتي) آخر زهرة خريفية، وأخشى فصاحتك وذوقك الرفيع». وتبدأ الأشعار بالكلمات التالية: «ألق فجر الخريف يلمع مجدداً...». وقد أبدع على الأخص بقوله:

ويبتهج القلب مجدداً
لمعاناة الآلام القاسية والحلوة...
وهذا يجسد المشاعر *الخريفية* حقاً.

جاء إلى ليف نيقولايفتش فلاح أحمر الشعر حافي القدمين، وجرت بينهما محادثة طويلة حول الدين. وجاء به تشيرتكوف وأثنى عليه كثيراً بكونه يمارس تأثيراً قوياً على المحيطين به بالرغم من فقره. وكنت أود الإصغاء إلى الأحاديث، لكن عندما أبقى في الغرفة التي يجتمع فيها ل. ن. مع ضيوفه، يتطلع نحوي بتساؤل وبصمت لكي أفهم رغبته في أنني أمثل عائقاً أمام الحديث، وعندئذ أغادر الغرفة.

التهم الحريق محصول الحبوب في مزرعة سريوجا، واحترق ما قيمته 4000 روبل. جلس ل. ن. في الشرفة وتناول طعام الفطور، وفي المساء لعب الشطرنج مع تشيرتكوف وتحدث مع نيقولايف. حالته الصحية أفضل، وبقي لديه شعور ما من مواقف المحبة وحتى المؤثرة في المشاعر، التي أبداها الناس بمناسبة يوبيله.

14 سبتمبر. قررت منذ الصباح أن أكرم جميع رعايانا من عمال المياومة في ياسنايا بوليانا. وتجمهرت عند مكتب الإدارة الصبايا والصبيان. وأخذت

لمساعدتي فارفارا ميخايلوفنا، ثم جاءت ابنتي ساشا مع ناديا إيفانوفا. وبدأن بحساب البطاقات وتسجيلها ودفع المبالغ. في البداية غنت الصبايا ثم أطلقن مختلف المزحات، أما الصبيان فقاموا بألعاب مرحة. وزعت 400 روبل. وواصلت في البيت هذه الأعمال فوضعت ختم «مدفوع» في سجل الوثائق المالية. اليوم هادئ وغائم وبلغت درجة الحرارة في المساء 8 درجات. جمعت ساشا كميات كبيرة من الفطر من صنف «أوبياتا» وقليلاً من الفطر من صنف «ريجيكي».

تقاطر الضيوف على ل. ن. منذ الصباح. وطلب الأمريكي الروسي الأصل (أعتقد أن لقبه بيانكو) المتزوج من حفيدة ابن عم ديكنز صورة ليف نيقولايفتش لأخذها إلى أمريكا حيث يقطن ثلاثة آلاف شخص من أتباع طائفة «شاربي الحليب» الذين أطلقوا اسم تولستوي على مدرستهم.

ثم جاء ثمانية من الثوريين الشباب الذين أصدروا منذ فترة قريباً بياناً يدعون فيه إلى التمرد وقتل أصحاب الأطيان. وقد استدعاهم ل. ن. بنفسه عندما علم بوجودهم من بعض أتباعهم. وقد حاول إعادتهم إلى جادة الصواب، ودعاهم إلى الالتزام بالمشاعر الطيبة والمسيحية. ماذا ستكون النتيجة – الله أعلم.

ثم لقيت لدى ل. ن. أحد الفتيان. وقد جلس بائساً وسحت عيناه دمعاً ساخناً. وتبين بأنه استدعي للخدمة العسكرية الإجبارية، بينما روحه تنفر من ذلك. إنه يريد أن يرفض الخدمة، وهو يضعف ويبكي ويبقى متردداً. كما جاء شيخ طاعن في السن من بسطاء الناس لمجرد المحادثة. وجاء جنديان مع شخص مدني لكن لم يسمح لهم بالدخول، وأعطيت لهم بعض الكتب.

في الظهيرة جلس ل. ن. في الشرفة في الطابق العلوي.

أنا أطالع وأقص من الصحف المقتطفات فقط عن تولستوي. وثمة مقالة جيدة قرأتها اليوم في عدد «نوفايا روس» الصادر بتاريخ 12 سبتمبر.

16 سبتمبر. خرج ل. ن. لأول مرة بعد شهرين من البقاء في البيت مع جوسيف في عربة قادها بنفسه لزيارة عائلة تشيرتكوف في تيلياتينكي. شهيته ممتازة، ويبدو أنه يستعيد عافيته.

ثمة مشاغل وجلبة في تدبير الشؤون المنزلية تجعل الحياة شديدة الوطأة وتولد الأفكار حول الموت عاجلاً.

يبدو أن الاستعدادات الجارية تتوقع حدثاً ما - هو *الاستعداد للحياة*، بينما هي غير موجودة، أي ليست هناك حياة حقيقية وهادئة يتوفر فيها المجال لدى المرء للاستجمام وممارسة الهوايات المحببة لديه. وفي هذا كان ل. ن. طوال حياته حكيماً وسعيداً. كان يعمل دوماً وفق رغباته، وليس للضرورة. فهو إن أراد كتب، وإن أراد حرث الأرض. وإذا فكر في صنع جزمتين - عمل في صنعها بدأب وبإصرار. وإذا فكر في ممارسة تعليم الأطفال - علمهم. وحينما يصيبه الضجر يكف عن ذلك. فهل يمكن أن أجرب العيش هكذا؟ ماذا سيكون حال ل. ن. نفسه والأطفال عندئذ؟

17 سبتمبر. اليوم عيد القديسة شفيعتي. خرجت للنزهة مع فاريا ناجورنوفا ودهشت للغاية على الأخص، كما في أيام الشباب، لجمال الطبيعة في الخريف. وأعطى التنوير الساطع للغابة المتعددة التلاوين - في الغابة - مشاهد ساحرة باستمرار، جعلني أرغب رغبة جنونية في تصوير هذا كله، وإبداع لوحات بالأصباغ الزيتية. وتنمو في الجنينة أمام البيت وردة أخرى، وحضرني في الذاكرة مجدداً البيت الشعري الذي نظمه فيت عن الخريف، والذي غالباً ما أتذكره: «أنت وحدك، أيتها الملكة الوردة، ذات عبير وأبهة وسناء».

كما تنزهت مع أندريوشا وزوجته. وجاءت أيضاً ماريا ألكسندروفنا شميدت، و*احتفلنا* حقاً بعيد قديستي. ولو أنني لا أحب *الاحتفالات*، لكنني سررت بهذا أيما سرور اليوم. وفي المساء جرت لعبة «الفينت» وشارك فيها: ل. ن. وساشا وأندريوشا وفارفارا ميخايلوفنا، بينما انهمكت أنا في تقطيع القصاصات من الصحف. وفي الظهيرة انطلق ل. ن. في عربة ذات عجلات مطاطية مع ساشا، ورافقهما تشيرتكوف في مقعد الحوذي. علماً بأنه ركب العربة يوم أمس أيضاً. وقد تحدث في وقت متأخر من المساء عن كتابه «دائرة القراءة» وقرأ لنا مختلف الأقوال المأثورة له ولغيره من المفكرين. أظن أنه مشغول جداً بعمله ويحبه. وتحدث عن الطيبة الكامنة في أعماق الإنسان

والمتمثلة في محبة الجميع، والتواصل الدائم مع الرب، والسعي إلى العيش بتحسس إرادة الرب وتنفيذها. لم يحدد ل. ن. حتى الآن بوضوح *بأي شيء* يرى إرادة الرب، وكيف يطبقها في الحياة. وعندما يسأل يقول: «بالمحبة». لكن هذا غير واضح. إن كل إنسان يتحسس ويدرك الرب بطريقته، وكلما يكون هذا التفهم أعمق، ويقل الحديث عنه أكثر، يغدو أكثر صلادة وأفضل.

لقد أصبح ل. ن. في هذا العام شيخاً هرماً أكثر. وانتقل إلى المرحلة التالية. لكنه هرم بصورة جيدة. يبدو أن الحياة الروحية تغلب عليه، بالرغم من أنه يحب ركوب العربات والخيل ويحب الطعام اللذيذ واحتساء قدح من النبيذ الذي أرسلته له شركة سانت رفائيل لصناعة النبيذ بمناسبة يوبيله، ويحب ممارسة لعبة «الفينت» ولعبة الشطرنج، لكن جسده يحيا بصورة منفصلة حقاً، وتبقى الروح بمنأى عن الحياة الدنيوية، بل في مكان ما أرقى، ومستقلة عن الجسد. لقد حدث أمر ما بعد مرضه: شيء جديد، أكثر اغتراباً، ويتم تحسسه في ليف نيقولايفتش من بعيد، وأشعر أحياناً بحزن لا يطاق على ما أفقده فيه وفي حياته وفي موقفه مني وكل ما يحيط به. فهل يلاحظ الآخرون ذلك؟

30 سبتمبر. انشغلت كلياً في الأعمال الإدارية. وهذا ممكن بالنسبة لي فقط لأنه يقترن بالتعامل الدائم مع الطبيعة والتمتع بها. ويضاف إلى الطبيعة الناس العاملون. ذهبت اليوم إلى بساتين التفاح. يعمل هناك أربعون شخصاً في إزالة الطحالب وقص الأغصان الجافة، والشيء الرئيس طلي الجذوع بخليط من الطين والجير وروث البقر. ما أحلى القامات الملونة للفتيات أمام الخلفية الخضراء للعشب الذي ما زال نضراً، والسماء الزرقاء والأشجار الصفراء والقرمزية والبنية! وبقيت أمتع نظري بشجرة تفاح واحدة من صنف أوبورت. من العسير تصوير تمازج الألوان الأصفر الفاقع والوردي والأخضر الفاتح، كما أن شكل الشجرة نفسه يفتن الألباب.

ثم ذهبت للاطلاع على كيف يتم بناء السد والمنحدر في البركة السفلى.

في الحديقة جمعت باقة من الزهور من أجل ليف نيقولايفتش، لكنه لم يعد بحاجة إلى أي شيء وإلى أي أحد. فهل إنه المرض الذي جعله يلازم

البيت وأثر فيه تأثيراً شديداً، أم الشيخوخة، أم جدار التولستويين أتباعه، وفي مقدمتهم تشيرتكوف الذي أصبح يقيم بصورة دائمة في بيتنا، ولا يترك ليف نيقولايفتش وحيداً أبداً أنا لا أعرف لكنه أصبح غريباً وحتى غير ودود في التعامل معي ومع الجميع. يوم أمس وردت رسالة من شقيقته ماريا نيقولايفنا، رسالة رائعة ومفعمة بالمشاعر، لكن ل. ن. لم يقرأها.

شطب مجدداً على كتاب «دائرة القراءة» وأعيدت كتابته وتصحيحه، ووجب على ساشا المسكينة أن تطبعه كله على الآلة الكاتبة. وحسناً فعلت أن استدعيت لمساعدتها فارفارا ميخايلوفنا، وإلا لكانت أفسدت أعصابها وعينيها كلياً.

أعيد استنساخ كتالوجات المكتبة، لأنها تمزقت كلياً. إن هذا العمل ممل وشاق، لكنه ضروري. كما أعيد خياطة الملابس الشتوية. أنا كئيبة جداً ولا أكتب «الحياة» ولا أمارس أي شيء يتعلق بالفن. وغالباً ما أود العزف على البيانو، لكن الآلتين توجدان في الصالة، ولا يمكن العزف هناك أبداً... فإما يتم فيها تقديم الطعام، وإما يعمل ليف نيقولايفتش أو ينام فيها...

وخلال هذه الفترة كلها طالعت المقالات حول ل. ن. وحولنا بجميع اللغات. لا يعرف أي أحد عنه شيئاً ولا يفهمه، أنا أعرف أكثر من الجميع جوهر طبعه وعقله. لكن لا يصدقني أحد مهما كتبت. إن ل. ن. إنسان ذو عقل وموهبة جبارتين. وإنسان واسع الخيال ومرهف الإحساس بصورة غير عادية، لكنه إنسان بلا قلب وطيبة حقيقية. إن طيبته قائمة *على أساس المبادئ* وليست موجهة *إلى أحد بصورة مباشرة*.

الطقس بديع. الشمس ساطعة، درجة الحرارة 11 فوق الصفر، الأوراق لم تتساقط بعد، وتبدو أشجار البتولا بلون أصفر زاه أمام السماء الزرقاء، قبالة نوافذ بيتنا، وتذهل الناظر بتلاوينها.

تفيض روحي بالكآبة والوحدة ولا يحبني أحد. ربما أنني لا أستحق ذلك. تفيض نفسي بالكثير من الانفعالات والرثاء غير المباشر على الناس، – لكن الطيبة قليلة. إن أفضل ما يوجد فيّ هو الشعور بالواجب والأمومة.

زارنا قبل يومين الثوري السابق ن. أ. موروزوف الذي احتجز في البداية في قلعة شليسلبورج ومن ثم في قلعة بتروبافلوفسكايا لمدة 28 عاماً. وأراد

الجميع الإصغاء إلى حديثه حول وضعه النفسي في أثناء الحبس. بينما تحدث هو أكثر حول *كيف كان* يتضور جوعاً لإطعامه عن قصد طعاماً سيئاً يسبب الإسقربوط. ثم كان يجري علاجه من الإسقربوط. ومن ثم يجعلونه مجدداً يتضور جوعاً ويقدمون له الطعام الرديء، ولهذا لم يتبق على قيد الحياة من مجموع أحد عشر سجيناً سوى ثلاثة سجناء فقط. بينما توفي الثمانية الآخرون.

علماً أن موروزوف يبدو في مظهر نشيط، وتزوج في العام الماضي. ونطقه يتسم بشيء من الهمس. لكنه منشرح الصدر وينصب كل اهتمامه على علم الفلك. وقد كتب ونشر كتاباً حول يوم القيامة. وتنصب جميع أعماله على إيجاد صلة بين الكتب المقدسة القديمة وعلم الفلك.

وقد جاء موروزوف بصحبة المرأة العجوز رفيقته القديمة ليبيديفا، وأمضيا عندنا أمسية واحدة.

8 ديسمبر. بودي أن أسجل حديثاً سمعته بمحض الصدفة. فقد جاء تشيرتكوف الذي يزورنا يومياً إلى غرفة ليف نيقولايفتش مساء يوم أمس، وتحدث معه حول إشارة الصليب. وقد سمعت حديثهما بلا إرادتي. فقال ل. ن. إنه يرسم أحياناً إشارة الصليب بحكم العادة، كما لو أن روحه لا تصلي في تلك اللحظة، بينما يرسم جسده إشارة الصليب. فقال له تشيرتكوف معلقاً على ذلك بأنه ربما يكون سهلاً بالنسبة إلى ليف نيقولايفتش حين ينازع الموت أو يتألم بشدة أن يرسم إشارة الصليب بيده فيعتقد المحيطون به أنه اعتنق أو يرغب في اعتناق الأرثوذكسية. وبغية ألا يعتقدوا ذلك سيكتب تشيرتكوف في دفتر يومياته ماذا قال له ليف نيقولايفتش الآن.

أي مخلوق ضيق التفكير تشيرتكوف هذا، وما أشد ضيق وجهة نظره! إنه حتى لا يهتم بنفسية وروح ليف نيقولايفتش عندما يكون وحيداً، حيال ذاته وحيال الرب، فيرسم إشارة الصليب التي كانت ترسمها أمامه أمه وجدته وأبوه وعماته، وابنته الصغيرة تانيا، حينما كانت تودع أبيها قبل النوم في المساء، وترسم بيدها الصغيرة إشارة الصليب أمامه وتقول: «ارسم إشارة الصليب لبابا». يجب على تشيرتكوف أن *يسجل* ويجمع *ويصور هذا كله* فقط لا غير.

إن حديثه شيق، حول كيف جاء إليه رجلان من العوام وطلبا قبولهما في أي حزب وهما على استعداد لتوقيع أي شيء سواء بالحبر أم بالدم، إنهما يوافقان على كل شيء، وفقط بشرط أن تدفع لهم النقود.

وقد حدث ذلك لأنه تم في بيت تشيرتكوف إيواء اثنين وثلاثين شخصاً من مختلف أصناف الناس، وهم يعيشون ويأكلون هناك. والبيت كبير لكنه يغص بساكنيه. ويوجد بينهم أربعة فتيان من رفاق ابنه ديما، إنهم من الفلاحين الموجيك في ياسينكي، الذين لا يمارسون أي عمل، ويأكلون فحسب مع السادة ويتلقون مبلغ 15 روبلاً في الشهر. ويحسدهم الآخرون على ذلك. كما يعيش هناك حفيداي صونيتشكا وإيليوشكا مع أمهما، بعد أن تخلى عنهما ابني أندريوشا. وأنا لا أستطيع النظر إليهم من دون أن يتملكني الجزع.

لقد جرى في جناح بيتنا كسر جميع الأقفال، وتحطيم الزجاج، وسرق العسل من المناحل. أنا أكره الرعاع الذين نعيش الآن تحت خطر قيامهم بالسلب والنهب كقطاع طرق. كما أكره أحكام الإعدام وفشل حكومتنا.

1909

14 يناير. عدت اليوم إلى ممارسة عملي السابق، حيث بدأت باستنساخ العمل الجديد الذي ألفه ليف نيقولايفتش لتوه.

الموضوع يتناول الثوار وأحكام الإعدام ومنابت هذا كله. كان يمكن أن يكون كتاباً شيقاً. لكن الأساليب بقيت ذاتها – وهي وصف حياة الفلاحين الموجيك. والتلذذ في وصف جسد المرأة القوي وسيقان الفتيات الملوحة، وهو ما كان يغويه بشدة سابقاً. وتذكر أكسينيا ذاتها بعينيها اللامعتين، إنها تنبجس من أعماق الذاكرة بلا وعي تقريباً في سن ثمانين عاماً ومن أحاسيس تلك الأعوام. وكانت أكسينيا من نساء ياسنايا بوليسانا وآخر عشيقة لليف نيقولايفتش قبل زواجه، والتي تعيش الآن في القرية. إن هذا كله قد وجد انعكاساً مؤلماً في أعماقي. وربما سيصف لاحقاً الثورة وصفاً شاعرياً، فهو يتعاطف معها بلا ريب مهما تبرقع بوشاح المسيحية، ويبدي الحقد على كل ما وضعه القدر عالياً، وعلى السلطة.

سأواصل الاستنساخ، وسنرى ما سيتضمنه حديثه لاحقاً. علماً بأنه لم يرغب في إعطائه من أجل استنساخه، كما لو أنه يشعر بالخجل مما يكتب. ولو كان لديه أكثر قليلاً من اللباقة لما ذكر بالأسماء بطلاته من النساء من أمثال أكسينيا. ومجدداً أصبح البطل من الدهماء الموجيك، الذي كان الواجب أن يكون لطيفاً بابتسامته وانسجامه، أصبح ثورياً بعد أن ضل الدرب. ربما سأغير رأيي فيما بعد، لكنني لا أجد حتى الآن ما يعجبني فيه.

وصلت اليوم فاندا لاندوفسكايا، وعزفت كثيراً. عزفت مازوركا لشوبان وسوناتا موزارت عزفاً يقارب الكمال. إنها حين تنحني على مفاتيح البيانو بشكل قريب جداً، تبدو وكأنها ترغم أحداً ما على أن يروي لها محتوى

المقطوعة الموسيقية. لقد بلغ جمال العزف وقوة التعبير فيه آخر درجات السناء. إن الأشياء العتيقة: الوقواق، الشيوخ، الشباب، رقص الخدم، و bourreé تبدو كلها شيقة، وعزفت جميع المقاطع بأسلوب باهر. وقد أصغى إلى العزف إلى جانب أفراد عائلتنا كل من تشيرتكوف وابنه والكنة أولجا. غادرتنا ماروسيا ماكلاكوفا.

1910

26 يونيو. أعطى زوجي ليف نيقولايفتش جميع يومياته منذ عام 1900 إلى ف. ج. تشيرتكوف، وبدأ بتدوين دفتر جديد من اليوميات هناك أيضاً في بيت تشيرتكوف الذي ذهب ليحل ضيفاً عليه في 12 يونيو. وجاء في تلك اليوميات التي سجلها لدى تشيرتكوف وإعطاني إياها لقراءتها العبارة التالية ضمناً: «أريد أن أصارع صونيا بالطيبة والمحبة». أصارع! مع من يصارع، أنا الذي أحبه بكل حرارة وقوة، عندما تتركز جميع أفكاري وهمومي على أن يكون بخير. لكنه يود أن يظهر نفسه أمام تشيرتكوف والأجيال القادمة بمظهر التعيس والمتسامح الطيب القلب، الذي يصارع *قوة شريرة ما*.

تغدو حياتي مع ل. ن. يوماً بعد يوم لا تطاق بسبب الجفوة والقسوة حيالي. وقد فعل هذا كله تشيرتكوف بصورة تدريجية وبتتابع جداً. فهو استحوذ بكل السبل على الشيخ المسكين، وفرقنا وقضى على الشرارة الإبداعية لدى ل. ن. وأشعل جذوة الإدانة والحقد والنفور التي تتجسد في مقالات ل. ن. في الأعوام الأخيرة، وحرضه على كتابتها هذا العفريت الشرير الأحمق.

نعم، لو آمنا بوجود الشيطان فإنه يتجسد في تشيرتكوف الذي حطم حياتنا.

كنت مريضة خلال هذه الأيام كلها. لقد أضنتني الحياة وعذبتني وتعبت من مختلف الأعمال. أعيش وحيدة بلا معين وبلا حب، وأدعو الرب أن يأخذني إلى جواره، وفي أغلب الظن أن الموت ليس بعيداً. لقد كان ل. ن. بصفته رجلاً ذكياً يعرف الوسيلة التي يتخلص بها مني، وصار يعمل بمساعدة صديقه تشيرتكوف على قتلي بالتدريج، وقريباً ستحل نهايتي.

لقد مرضت بصورة مفاجئة. كنت أعيش وحيدة مع فارفارا ميخايلوفنا في ياسنايا بوليانا، بينما سافر ل. ن. وساشا والرهط كله – الدكتور والسكرتير والخادم – إلى ميشيرسكويه ضيعة تشيرتكوف. وأرغموني على أن أطلي البيت كله، وأصلح الأرضيات من أجل صحة ساشا بعد مرضها، بغية توفر النظافة وإزالة الغبار وخطر التلوث بالجراثيم. وقد دعوت شتى العمال وقمت بنفسي بحمل الأثاث والصور والحاجيات بمساعدة فارفارا ميخايلوفنا الطيبة القلب. كما قمت بمراجعة الكثير من المسودات لغرض تصحيحها والقيام بأعمال التدبير المنزلي. وقد أضناني هذا كله كثيراً. وكان فراق ل. ن. صعباً وحدثت لي أول نوبة، قوية جداً، لحد أن فارفارا ميخايلوفنا أرسلت برقية إلى ليف نيقولايفتش جاء فيها: «حدثت أول نوبة عصبية شديدة، النبض أكثر من مائة، إنها ترقد، وتبكي، أرق». وكتب رداً على هذه البرقية في يومياته: «تلقيت برقية من ياسنايا. الوضع صعب». ولم يجب بأية كلمة، وطبعاً لم يأت.

تدهورت حالي بحلول المساء لدرجة أنني صرت أرتجف بكامل كياني، وأسناني تطقطق، وأطلق العويل والنشيج، وأشعر باختناق في البلعوم بسبب التشنج في القلب والألم في الحلق والجزع الذي لا يطاق. ولم أعرف في حياتي كلها مثل هذا الوضع الثقيل في الروح. وقد فزعت. فعمدت كما لو أردت إنقاذ نفسي من شيء ما، إلى طلب مساعدة الإنسان المحبوب لدي وبعثت برقية ثانية بنفسي: «*أتوسل إليك* أن تأتي غداً في 23 من الشهر». ووردت في صباح يوم 23 بدلاً من المجيء في قطار الساعة 11 صباحاً، وتقديم المساعدة لي، البرقية التالية: «*من المريح أكثر* المجيء في صباح يوم 24، وإذا وجدت ضرورة سنصل في القطار الليلي».

وتحسست في عبارة «*من المريح أكثر*» أسلوب تشيرتكوف الغليظ والبارد. وبلغت آخر الذروات حالتي النفسية التي تفيض بالكآبة والعصبية والألم في القلب.

وقد أخذ طلب تشيرتكوف بنظر الاعتبار بأنني لن ألحق في الاستلام والرد على البرقية، ولكنني حزرت دهاءهما أيضاً، فأرسلنا برقية باسم فارفارا ميخايلوفنا: «أعتقد أن من الضروري المجيء»، وليست برقية عادية بل *عاجلة*.

في ذلك الوقت زار آل تشيرتكوف عازف الكمان أردينكو مع زوجته. لاريب في أن تشيرتكوف قد أقنع ل. ن. بأن من غير المناسب السفر، وطبعاً صور المسألة كما لو أن عازف الكمان أهم من الزوجة المريضة، واحتجز ل. ن. وكان مسروراً لبقاء معبوده، الصنم الجميل، في صباح آخر عندهم.

في مساء يوم 23 من الشهر عاد ليف نيقولايفتش - مع مرافقيه - وبدت عليه سمات عدم الرضى والجفاء. وبقدر ما اعتبر تشيرتكوف الشخص الذي *فرق* بيننا، رأى ل. ن. وتشيرتكوف بأنني *أفرق بينهما*.

وجرت مصارحة عنيفة، وأفرغت كل ما في أعماق روحي من شجون. وجلس ل. ن. محدودب الظهر وبائساً فوق الكرسي بلا مسند ولزم الصمت طوال الوقت. وماذا بوسعه القول؟ وأحسست في بعض اللحظات بالشفقة عليه. ولئن لم أتناول السم في تلك الأيام فهذا فقط لأنني *جبانة*. الأسباب كثيرة، وآمل في أن الرب سيأخذني إلى جواره وأنا لم أقترف خطيئة الانتحار.

وفي أثناء المصارحة الثقيلة بيننا اندفع وحش من أعماق ل. ن.: التمع شرر الحقد في عينيه، وصار يقول كلاماً جارحاً، وفي تلك اللحظة كرهته، وقلت له: «آه! ها قد تكشفت حقيقتك الآن!»، فلزم الصمت فوراً.

في صباح اليوم التالي غلبني الحب الذي لم يخمد. وعندما جاء ارتميت على عنقه، وطلبت منه أن يسامحني وأن يشفق علي ويلاطفني. فاحتضنني وبكى، وقررنا أن العلاقات بيننا ستكون منذ الآن بشكل جديد، وسنتذكر ونرعى أحدنا الآخر! لكن هل لأمد طويل؟

لم أستطع فراقه، وأردت أن أقترب منه والانصهار فيه، ورجوته أن يرافقني إلى أوفسيانينيكوفو، بغية أن أكون معه. ويبدو أنه لم يرغب في ذلك، لكنه بذل جهده، وفي الطريق كان دائماً يحاول الابتعاد عني بالسير ماشياً. وعندئذ أجهشت في البكاء من جديد، لأن ركوبي العربة وحيدة قد فقد أي مغزى.

وصلنا إلى المكان سوية، وهدأت، وتلألأ شعاع صغير من البهجة في أن نكون *معاً*.

طالعت اليوم دفتر يوميات ل. ن. الذي أعطاني إياه، وتملكتني القشعريرة مجدداً وتكدرت لأن ليف نيقولايفتش قد أعطى جميع يومياته لعام 1900

إلى تشيرتكوف، بغية أخذ مقتطفات منها، بينما يعمل لدى تشيرتكوف ابن سيرجيينكو الماكر، وفي أغلب الظن أنه استنسخ كل شيء من أجل الأهداف والمنافع في المستقبل، علماً أن اليوميات تظهرني، كما هي الحال الآن، *معذبة ومؤذية له، ويجب النضال ضدي بشكل ما، بينما ينبغي عليه الصمود، وأن يصور نفسه إنساناً رحيماً وعظيماً ومحباً ومتديناً...*

لكن وجب علي أن أرفع معنوياتي بالقول إنه حيال الموت والخلود لا تبدو ذات أهمية دسائس تشيرتكوف والأفعال التافهة التي يمارسها ل. ن. بغية إذلالي وتحطيمي.

وإذا ما وجد الرب، فأنت ترى، يا ربي، روحي التي تكره الزيف والكذب، ومحبتي ذهنياً وقلبياً للخير والناس الآخرين!

في المساء. جرت المصارحة مجدداً، ومعاناة الأوجاع المؤلمة. لا، هذا غير ممكن، ويجب أن أنتحر. وسألته: «بمَ يريد ل. ن. مكافحتي».

فقال: «لأنه توجد بيننا خلافات في كل شيء: فيما يتعلق بالأرض والمسألة الدينية».

وقلت: «الأراضي ليست ملكي، وأنا أعتبرها ملكاً للعائلة والسلالة»

– «ويمكنك إعطاء *أرضك*».

وسألته: «لماذا لا تنزعج من ممتلكات تشيرتكوف وثروته التي تقدر بالملايين؟».

– «آه! أه، سألتزم الصمت، ودعيني وشأني...». في البداية صراخ، ثم السكوت المترع بالغيظ.

في بادئ الأمر أجاب ل. ن. عن سؤالي حول أين توجد يوميات عام 1900 قائلاً بسرعة إنها موجودة لديه. وعندما طلبت منه أن يريني إياها ارتبك واعترف بأنها موجودة لدى تشيرتكوف. وعندئذ سألته مجدداً: «أين تحفظ يومياتك لدى تشيرتكوف؟ فيمكن أن يجري التحري في بيته وتفقد كلها؟ بينما أنا أحتاج إليها كمادة أضعها في «مفكرتي»».

فأجاب ل. ن.: «كلا، لقد اتخذ التدابير اللازمة، إنها موجودة في أحد البنوك».

– «أين؟ في أي بنك؟».

- «لم تودين معرفة ذلك؟»ز

- «إنني أقرب الناس إليك، أنا زوجتك».

- «إن أقرب الناس إليّ هو تشيرتكوف، وأنا لا أعرف أين توجد اليوميات. أليس الأمر سواء أين تكون؟».

هل يقول ليف نيقولايفتش الحقيقة؟ من يدري ماذا يجري في الخفاء وبدهاء وبزيف وفي كل التواطؤ ضدي. وهل يجري ذلك منذ وقت بعيد ولن تكون له نهاية حتى وفاة هذا الشيخ التعيس الذي استحوذ عليه الشيطان تشيرتكوف.

أظن أنني أمعنت الفكر فيما يجب عمله. منذ أيام وقبل سفر ليف نيقولايفتش إلى تشيرتكوف أعرب عن استيائه من حياتنا، وعندما سألته: «ما العمل؟» صرخ بحنق: «الرحيل، وترك كل شيء، وعدم البقاء في ياسنيا بوليانا، وعدم رؤية المتسولين والشركس والخدم جالسين وراء مائدة الطعام، والسائلين والضيوف، - إن هذا كله فظيع بالنسبة لي».

فسألته: «إلى أين نذهب وقد بلغنا من العمر أرذله؟».

- «إلى أين تريدين: إلى باريس، إلى يالطا - إلى أودويف... وطبعاً، أنا سأذهب معك».

لقد أصغيت وأصغيت إلى هذا الكلام المشوب بالغضب، ثم أخذت 30 روبلاً وخرجت، وأردت الرحيل إلى أودويف والاستقرار هناك.

كان الطقس شديد القيظ وبلغت الطريق العام وانقطعت أنفاسي بسبب الاضطراب والتعب، فاستلقيت بجوار حقل الجوادار في منخفض تنمو فيه الأعشاب.

وتناهى إلى سمعي صوت حوذي انطلق في عربة مكشوفة. فركبت فيها ورجعت إلى البيت منهكة القوى. لقد بدأ اضطراب دقات قلب ليف نيقولايفتش خلال بعض الوقت. فما العمل؟ إلى أين المفر؟ وأي قرار اتخذ؟ لقد كان ذلك أول شرخ في العلاقات بيننا.

جئت إلى البيت. ومجدداً بدأت مصاعب الحياة. زوجي صامت وبوجه عابس، وهنا مسودات التصحيح والدهانون العاملون في طلي الجدران والقهرمان والضيوف وتدبير الشؤون المنزلية... ويجب تلبية أسئلة وطلبات

الجميع. صداع، وثمة شيء ضخم يدق في رأسي، وشيء منتفخ يعصر قلبي.

في مساء اليوم قررت بعد التجول في الممر بين الأشجار في الحديقة ذهاباً وإياباً عشر مرات أن أستأجر زاوية في كوخ ما وأستقر فيه بلا أي شجار، وأية أحاديث، وأترك جميع المشاغل وكل الحياة وأصبح عجوزاً فقيرة تعيش في الكوخ، حيث يوجد الأطفال وأحبهم. يجب محاولة ذلك.

وعندما طفقت أتحدث عن التحول إلى حياة أكثر بساطة مع ل. ن. كنت لست مستعدة لها فقط بل وأتطلع إليها، باعتبارها حياة رغيدة بهيجة، لكنني أرجو فحسب إبلاغي أين يريد أن يعيش هو بالذات، فقد أجابني في البداية: «في الجنوب، في القرم، أو في القوقاز...». فقلت له: «حسناً، لنذهب، ولكن بسرعة...» ولكنه صار يقول إنه بحاجة قبل كل شيء إلى *الطيبة*.

طبعاً، إنه لن يسافر إلى أي مكان، ما دام تشيرتكوف موجوداً هنا. كما لن يذهب إلى سريوجا في نيقولسكويه، كما وعد. *الطيبة*! وخلال 20 عاماً، حين كان بوسعه أن يظهر *طيبته*، ربما في أول مرة، والتي لا أشعر بها منذ وقت بعيد، *توسلت إليه* للمجيء إلي، فكتب سوية مع تشيرتكوف البرقية التي ورد فيها أن من *المريح أكثر* عدم المجيء. وأنا سألته: «من أعد وكتب البرقية؟».

أجابني ل. ن.: «أعتقد أنني كتبتها مع بولجاكوف، على أي حال أنا لا أذكر».

أنا سألت بولجاكوف فقال إنه حتى لم يعرف ولم يشارك في كتابة أية برقية. واضطر ل... ن. إلى الاعتراف بأنه أسلوب تشيرتكوف الذي أراد حمايته، وإنه، لجزعي، لم يقل الحقيقة فحسب.

أنا أكتب ليلاً، وحيدة، في الصالة. ظهرت بواكير الفجر، وبدأ تغريد الطيور وصارت الكناري تتقافز في أقفاصها.

هل يعقل بأنني لن أموت بسبب ما أكابد من محن وويلات...

عاتبني ليف نيقولايفتش اليوم لكوني أتحمل *كل المسؤولية* عن القطيعة معه. بم تتجسد؟ في مسألة الأرض، وفي القضايا الدينية، وفي كل شيء... لكن هذا يتجافى عن الحقيقة. أنا لا أفهم فحسب مسألة الأرض كما يطرحها هنري جورج. وأنا أعتبر إعطاء الأرض، وتجاهل حقوق أبنائي هو شيء غير عادل. والمسألة الدينية لا يمكن أن تكون مختلفة. فنحن جميعاً نؤمن بوجود

الرب، وبالطيبة، وطاعة إرادة الله. ونحن كلانا نكره الحرب والإعدام. ونحن كلانا نحب الريف ونحيا فيه. ونحن كلانا لا نحب الترف... لكنني وحدي لا أحب تشيرتكوف، وأحب ليف نيقولايفتش. بينما هو لا يحبني ويحب معبوده.

30 يونيو. في 28 يونيو ذهبنا إلى نيقولسكويه، لزيارة ابننا سريوجا بمناسبة عيد ميلاده: ليف نيقولايفتش وساشا وأنا ودوشان بتروفتش ون. ن. جي. وقد استيقظ الجميع في وقت مبكر، وذهبت وقلت إذا كان ليف نيقولايفتش يشعر بوعكة فيجب أن يبقى في البيت، أما أنا سأذهب برفقة ن. ن. جي. فقال إنه سيمعن الفكر في الأمر، بينما أعطاني كلمة سابقاً بأنه سيذهب معي حتماً. يبدو أن ضميره يؤنبه، فذهب معنا.

علماً أنني شعرت بوعكة شديدة وقررت منذ العشية عدم الذهاب وجلست وتابعت لعب الشطرنج بين ل. ن. وجولدينفيزر. وفي هذا الوقت دخل بولجاكوف وقال إن تشيرتكوف، الذي كان في المنفى، قد عاد مع أمه إلى تيلياتينكي. فانتفضت في مكاني كالملسوعة، وتدفق الدم إلى رأسي وقلبي، وقررت الذهاب إلى سريوجا حتماً. وجمعت حاجياتي بسرعة ثم لم أنم الليل كله. وفي الصباح قال لي ليف نيقولايفتش إنه سيذهب قبل الآخرين مشياً على الأقدام، وطلب أن ألحق به في العربة. لكن جاء تشيرتكوف وفقد ليف نيقولايفتش عقله فوراً، وذهب باتجاه ياسينكي بدلاً من زاسيكي. وتذكر فجأة وذهب إلى الإسطبل بسرعة، وانطلق إلى التل، ومن هناك لحق بي مع تشيرتكوف على صهوة جواده، لكنه ترجل عند مسافة معينة، واقترب من عربتي، وانطلقنا فيها سوية.

لم نجد الخيول في محطة باستييفو التي كان من المقرر أن يأتوا لاصطحابنا منها. وقد نزلت ساشا مع جي في تشيرني وانطلقت من هناك في عربة الترويكا إلى نيقولسكويه، وهناك تبين أنهم لم يستلموا أية برقية من جانبنا. وقد تأخرت فحسب ولم ترسل من باستييفو. وأنا لم أشعر منذ وقت بعيد بمثل هذه الكآبة، كما في خلال تلك الساعات الثلاث من الانتظار، في المحطة القذرة والضيقة والكريهة.

انطلق ليف نيقولايفتش إلى الأمام مجدداً لكن في اتجاه آخر، ووجب

البحث عنه مجدداً في العربة التي وصلت من نيقولسكويه. حسناً أن أخذت معي عصيدة الشوفان الجاهزة والقهوة مع الحليب من أجل إطعام ليف نيقولايفتش. أنا لا أفكر في نفسي أبداً وأكلت بيضة واحدة طوال اليوم.

كانت في نيقولسكويه ابنتنا تانيا وأسرة أورلوف وآل جيارين وتانيا بيرس والشيء الرئيس - فارفارا ناجورنوفا. قمنا بنزهات جميلة، لكنني كنت أشعر بالضيق والجهد. وجعلتني الأحاديث مع تانيا أتكدر أكثر، فكانت تتضمن الكثير من الإدانة، والكثير من انعدام الشفقة حيالي، والمطالب غير القابلة للتنفيذ. أما فارتشكا فكانت حنونة للغاية، وذكية، وتعاملت بكل لطف مع أوجاعي.

أتعبتني النزهة الأخيرة جداً، لكنني كنت سعيدة عموماً لأننا قمنا بهذه الجولة. وأمضيت يومين قريباً من عزيزي ليوفوتشكا، وعندما مضينا إلى المحطة كان يمسك بيدي، وجرى هذا برغبته، وعندما انطلقنا ليلة أمس من محطة زاسيكا أبدى اهتمامه بلطف لاحتمال أن أصاب بالبرد حيث لم يرسل لنا أي دثار دافئ، وكنت في الفستان فقط، فذهب إلى العربة وسأل فيما إذا يوجد يوجد لدى أحد شيء يوفر الدفء. وجاء جي وغطاني بمعطفه الصيفي.

في زاسيكا توقف القطار على الجسر. وكانت المسافة ضيقة بين سياج الجسر والعربة مما لم يعد ممكناً المرور. وإذا ما تحرك القطار فيمكن أن تسحبنا العربات معها.

في صباح اليوم اضطربت كثيراً بسبب الحالة الصحية لليف نيقولايفتش. فقد تملكه النعاس وضعفت الشهية وفقدت المعدة حالتها الاعتيادية. وتجاوز النبض الـ 80. ورقد عند الظهر فترة طويلة، واستقبل وهو راقد سوتكوف وجولدينفيزر وتشيرتكوف. وقد سمعت حديث ل. ن. مع سوتكوف، وقال له بالمناسبة: «لقد ارتكبت هذا الخطأ، وتزوجت...». الخطأ؟

إنه يعتبر الحياة الزوجية «خطأ» لأنها تعيق حياته الروحية.

في وقت متأخر من المساء نهض ل. ن. ولعب الشطرنج مع جولدينفيزر، بينما انهمكت أنا في تصحيح مسودات مسرحية «سلطان الظلام». ساد جو طيب وهادئ وساكن بلا تشيرتكوف.

1 يوليو. مساء. قضيت النهار كله في تصحيح المسودات (لمسرحية «ثمار التنوير») وانتابني شعور بالضيق والكدر من كافة النواحي. لم يرض ل. ن. عن رسالتي إلى تشيرتكوف. ما العمل! فيجب دوماً كتابة *الصدق* فقط، ولم آخذ أي شيء بنظر الاعتبار، وأرسلت له هذه الرسالة. وفي المساء اجتمع وراء الأبواب المغلقة: ل. ن. وساشا وتشيرتكوف، ودار حديث غامض ما، لم أسمع منه شيئاً كثيراً، ولكن تكرر ذكر اسمي مراراً. وكانت ساشا تتربص في المكان لمعرفة فيما إذا أنصت إلى كلامهم، وعندما رأتني هرعت إليهم لإبلاغهم بأنني أسمع كلامهم أو تآمرهم، ربما من الشرفة. ومرة أخرى شعرت بوخز في قلبي، وتملكني ضيق وألم لا يطاق. فذهبت إلى الغرفة التي جلسوا فيها وحييت تشيرتكوف وقلت: «هل إنها مؤامرة أخرى ضدي؟» وارتبك الجميع وصار ل. ن. وتشيرتكوف يتمتمان بعبارات غير مفهومة وغير واضحة عن اليوميات، ولم يقل لي أحد منهم شيئاً عن حديثهم، أما ساشا فقد انصرفت فحسب.

لقد بدأت مصارحة ثقيلة مع تشيرتكوف، بينما خرج ليف نيقولايفتش إلى ابنه ميشا الذي وصل لتوه. وكررت القول بأنني كتبت في الرسالة الآنفة الذكر، ورجوته أن يبلغني: كم عدد دفاتر اليوميات الموجودة لديه، *وأين* هي ومتى أخذها؟ لدى توجيه هذه الأسئلة اغتاظ تشيرتكوف، وقال إنه ما دام ل. ن. قد ائتمن بها لديه، فإنه غير ملزم بأن يعطي الحساب عنها إلى ل. ن. وإلى أي أحد آخر. وقد أعطاه ل. ن. اليوميات لكي يشطب منها كافة التعابير السيئة وذات الصفة الشخصية.

في بعض اللحظات كان تشيرتكوف يجنح إلى الهدوء، ويعرض علي أن نحب ونرعى ليف نيقولايفتش سوية وأن نشاركه في الحياة والاهتمامات. قال هذا كما لو أنني لم أفعل ذلك طوال حياتي كلها تقريباً - خلال 48 عاماً. آنذاك لم يكن بيننا أي أحد، وعشنا حياة واحدة. «Two is company, three is not». وهوذا الثالث قد حطم حياتنا. عندئذ أعلن تشيرتكوف أنه الكاهن الروحي (؟) لليف نيقولايفتش، وأنني يجب أن أنصاع إلى هذا الأمر بمرور الزمن.

لقد تخللت كافة أحاديثي مع تشيركوف ألفاظ وأفكار خشنة وفظة. فمثلاً إنه صرخ قائلاً: «أنت تخافين أن أفضحك باستخدام اليوميات. وأنا لو

أردت *للطخت سمعتك بالأوحال* (هذا تعبير طيب لرجل مستقيم!) سمعتك وسمعة عائلتك... لدي الكثير من الصلات والإمكانيات لعمل ذلك، وأنا لم أفعل ذلك فقط بسبب محبتي لليف نيقولايفتش. وأورد تشيرتكوف كمثال على ذلك قصة كارلايل الذي كان لديه صديق فضح زوجة كارلايل وصورها بأبشع صورة.

هذا هو أسلوب تفكير تشيرتكوف دائماً! وهل يهمني بعد وفاتي لو أن أحد الضباط الحمقى أراد أن يشوه سمعتي أمام سادة ما حاقدين؟! إن قضية حياتي وروحي هما أمام الرب، ومضت حياتي الدنيوية في الحب المتفاني والشديد لليف نيقولايفتش، وليس بوسع تشيرتكوف ما أن يمحي هذا الماضي، الذي عشته طوال نصف قرن تقريباً من حبي لزوجي.

وصرخ تشيرتكوف قائلاً بأنه لو كانت لديه زوجة مثلي لأطلق عليها النار أو لهرب إلى أمريكا. وفيما بعد عندما هبط تشيرتكوف مع ابني ليوفا في السلم قال عني بحق: «أنا لا أفهم هذه المرأة، التي عملت طوال حياتها كلها على قتل زوجها».

إن هذا القتل بطيء ما دام زوجي قد بلغ سن 82 عاماً. هذا ما كان يقنع به ليف نيقولايفتش، ولهذا السبب نحن تعيسان في أعوام الشيخوخة.

ما العمل الآن؟ وا أسفاه! يجب *التظاهر* بأنني أم أفقد ليف نيقولايفتش تماماً. يجب أن أكون خلال هذا الشهر طيبة القلب ولطيفة مع تشيرتكوف وعائلته، ولو أن هذا سيكون صعباً بشكل لا يطاق بعد إبداء رأيي فيه، ورأيه في. يجب أن أزورهم كثيراً وألا أسبب الإزعاج لليف نيقولايفتش، وألا أعترف بكونه تابعاً لتشيرتكوف وعديم الإرادة وبلا شخصية تجاهه. لقد فقدت نفوذي وحبي إلى الأبد، إذا لم يهتم الرب بي. وأنا أرثي جداً لليف نيقولايفتش! فهو بائس تحت عبء تسلط تشيرتكوف بينما كان سعيداً في التعامل معي.

وبصدد اليوميات المسروقة فقد أفلحت في الحصول على موافقة تشيرتكوف تحريرياً بأنه سيعيدها إلى ل. ن. بعد الانتهاء من أعماله فيها، والتي سيعجل في إنجازها. بينما وعد ليف نيقولايفتش شفهياً بأن يسلمها لي. وفي البداية أراد أن يؤكد ذلك تحريرياً في قصاصة ورق أيضاً، لكنه

خاف وتراجع عن وعده فوراً. وقال: «أية تعهدات تحريرية أعطى *لزوجتي*. لقد وعدتك وسأعطيك إياها».

لكنني أعرف بأن جميع هذه القصاصات والوعود هي خداع فقط (وهذا ما حدث لليف نيقولايفتش، فهو لم يسلمني اليوميات وأودعها إلى حين في أحد بنوك تولا). وكان تشيرتكوف يعرف حق المعرفة أن ليف نيقولايفتش لن يحيا فترة طويلة، وسيجرجر ويطيل عمله مع اليوميات متعمداً، ولن يسلمها إلى أي أحد.

هذه القصة الصادقة لحياتي في الأعـوام الأخيرة من حياة ليف نيقولايفتش. وسأدوّن الآن يومياتي في كل يوم.

ذهبت في المساء إلى محطة زاسيكا لتوقيع المسودات بعد أن نسيت القيام بذلك مساء يوم أمس.

زارنا نيقولايف، كما جاء ابننا ميشا، وهو كالعادة غير مفهوم وهادئ وحلو المعشر. وقد رويت له جميع معاناتنا الشديدة، لكنه بدا هادئاً جداً وأصغى بلا مبالاة إزاء كل شيء. أصبحت علاقاتي صعبة مع ساشا. إنها ابنة – خائنة. وإذا ما طلب أحد ما أن تبعد أبيها خفية عني، من أجل راحته، فإنها ستفعل ذلك فوراً. وقد ذهلت اليوم لمرآها وهي تتهامس مع أبيها وتشيرتكوف، مع البصبصة باستمرار والخروج من الغرفة لمعرفة فيما إذا أصغي لأحاديثهم بشأني. نعم، لقد أحاطت بي جدران صماء، ووجب عليّ أن أجلس وأعاني من الوحدة في محبسي هذا، وأن أتقبل ذلك بمثابة عقوبة *لقاء ذنوبي*، وكصليب ثقيل أحمله.

2 يوليو. لا أستطيع عمل شيء، وقد كدرتني الأحاديث مع ساشا. ما أكثر ما فيها من حقد واغتراب وجور! يزداد الاغتراب بيننا أكثر فأكثر. ما أكثر ما يثير هذا فيّ من حزن! وقد ساعدتني العجوز الحكيمة والنزيهة م. أ. شميدت بحديثها معي. وقد نصحتني أن أكون معنوياً أسمى من الملامات والمماحكات، وشتائم تشيرتكوف. وقالت إن مضايقات وتحرشات بناتي، بغية أن أسافر *إلى مكان ما* للعيش مع ليف نيقولايفتش، لأن حياته في ياسنايا بوليانا أصبحت لا تطاق، هي سخافات. وإن الضيوف وأصحاب الالتماسات

سيجدونه في كل مكان، ولن تغدو الأمور أكثر يسراً، ومن السخف فحسب تحطيم الحياة في الشيخوخة.

زرت أسرة جولدينفيزر. وقد سافر ألكسندر بوريسوفتش إلى موسكو أما زوجته وشقيقه مع زوجته فقد كانا ودودين جداً معي. فيما انطلق ليف نيقولايفتش على صهوة الجواد لزيارة عائلة تشيرتكوف، ويبدو أنه تعب جداً بسبب القيظ.

بعد الغداء زارنا عدد كبير من الضيوف. وبعد الغداء جاء ابني ليوفا موفور النشاط ومتهلل الأسارير. فهو مبتهج للعودة إلى روسيا مجدداً وإلى ياسنايا بوليانا وللقائنا.

دارت الأحاديث في الشرفة عن أتباع دوبرولوبوف[1] في محافظة سامارا. وشارك فيها: سوتكوفوي وشقيقته وكارتوشين وم. أ. شميدت وليف نيقولايفتش وي. ي. جوربونوف وليوفا وأنا.

روى سوتكوفوي أن أتباع دوبرولوبوف هؤلاء يجتمعون سوية فيجلسون صامتين ويجب أن تنشأ بينهم بصورة غامضة صلة روحية ووحدة. وعارضه ليف نيقولايفتش، لكنني، ويا للأسف، لا أذكر ما قيل وأخشى أن أرتكب خطأً في عدم دقة التعبير عن فكرته.

زارتنا أم تشيرتكوف. إنها وسيمة جداً، ومنفعلة متوترة الأعصاب وليست طبيعية البتة، امرأة طاعنة في السن جداً. إنها من أتباع مذهب ردستوك[2] وتؤمن بالتكفير عن الذنوب، وفي تقمص المسيح فيها وتبدي حماسة دينية ما. لكنها أم مسكينة، إذ فقدت اثنين من أبنائها، وروت بالتفصيل كيف توفي ابنها الأصغر ميشا في الثامنة من العمر. لقد انصرمت فترة 35 عاماً على وفاته، لكن جراح فقده ما زالت تنزف دماً، وقلبها يكابد الفجيعة، وبموت ابنها الأصغر ميشا توقفت جميع مباهج الحياة لديها إلى الأبد. والحمد لله إنها وجدت العزاء والسلوان في الدين.

---

1 – أتباع الشاعر الروسي ألكسندر دوبرولوبوف الرمزي الاتجاه الذي دعا إلى تحول المثقفين إلى الشعب وتحول الثقافة إلى الطبيعة. وقد حقق حلم الرمزيين في دعوته لنقل الفن إلى الحياة، وجعل معيشة الناس خاضعة لقوانين الفن. (المترجم)

2 – أتباع اللورد الإنجليزي جرينفيل ردستوك في روسيا. وكان اللورد يعتبر أن المسيح هو المخلص الوحيد والوسيط الوحيد بين الرب والبشر. (المترجم)

استحم ليف نيقولايفتش، وهو يعاني من اضطراب في المعدة، لكن حالته الصحية العامة لا بأس بها، والحمد لله!

3 يوليو. ما كدت أرتدي ملابسي في الصباح حتى أبلغت بحدوث حريق في أوفسيانيكوفو حيث تقطن تانيا. وقد التهم الحريق بيت آل جوربونوف، وكذلك احترق البيت الريفي لماريا ألكسندروفنا شميدت. علماً أنها باتت الليلة عندنا، وشب الحريق هناك في غيابها. وقد احترق كل شيء في البيت، ولكنها تكدرت بأكبر قدر بسبب احتراق صندوق المخطوطات. فقد كانت تحتفظ فيه بنسخ من كل ما كتبه ليف نيقولايفتش واحتفظت في الصندوق أيضاً سوية مع 30 رسالة وجهها ل. ن. إليها.

ليس بوسعي أن أتذكر بلا ألم كيف هرعت إليّ واحتضنتني واستغرقت في نشيج عميق. فكيف أستطيع تهدئتها؟ كان يمكن فقط التعاطف معها من أعماق الروح. وأنا أتذكر طوال اليوم قولها سابقاً: «إن الحياة، يا روحي، عندنا في أوفسيانيكوفو كما في الجنة». وكانت تصف بيتها الريفي بـ«القصر». وحزنت جداً لاحتراق كلبها الصغيرالعجوز الأعرج تحت الموقد.

غداً ستذهب ساشا إلى تولا لشراء ما تحتاجه شخصياً. ونحن نوفر لها الملابس وغير ذلك قدر استطاعتنا. لكن أين ستعيش - أنا لا أعلم. إنها لا تريد أن تعيش معنا، واعتادت على الاستقلالية، وعلى بقراتها وكلابها وحقلها والفراولة التي تزرعها.

انطلق ليف نيقولايفتش مع ليوفا إلى أوفسيانيكوفو على صهوة جوادين. وكان يكرر «إن ماريا ألكسندروفنا بخير»، أي إنها تتحمل مصيبتها بصبر. وهذا كله حسن لكن يجب الآن توفير الملبس والطعام والشراب لها، بينما لا يوجد لديها شيء.

شكراً لعائلة جوربونوف الذين أخرجوا جميع الحاجيات ولن يتركوا العجوز بلا مساعدة حالياً.

الحر شديد، ويجري حصاد العشب ببطء، وهذا أمر مكدر لحد ما. حالتي الصحية أفضل، وذهبت للسباحة. في المساء جاء جولدينفيزر وتشيرتكوف. لعب ل. ن. مع جولدينفيزر عدة أشواط من الشطرنج. بينما جلس تشيرتكوف

عابساً وبهيئة تبعث على النفور. وليوفا لطيف جداً وودود، وكان يشجعني، لكنني مع ذلك أشعر بالحزن!

أنجزت تصحيح كثيراً من المسودات وسأرسلها.

4 يوليو. كتبت وصفاً لرحلتنا إلى موسكو وزيارتنا إلى عائلة تشيرتكوف، وطالعت سيرة حياة ل. ن. باللغة الإنجليزية التي كتبها مود. سيئة. تتضمن في كل مكان الإشارة إلى ذاته، والدعاية إلى تراجمه (حول الفن) وغير ذلك.

قال ليوفا اليوم إنه لاحظ بالصدفة يوم أمس تعبيراً رائعاً على وجه ليف نيقولايفتش يشي بكونه إنساناً ليس من عالمنا، وذهل وتمنى أن يحافظ على هذا التعبير من أجل عمل تمثال له. أما أنا التعيسة الضعيفة البصر فلا أستطيع أن ألتقط تعابير الوجوه بعيني الواهنتين اللتين أصابهما العمى.

حقاً، إن ليف نيقولايفتش قد تركنا نحن الناس العاديين من الحياة في هذه الدنيا لحد النصف، ويجب تذكر ذلك في كل لحظة. كم أتمنى أن أقترب منه، وأن أغدو عجوزاً، وأسكن روحي الوثابة الحائرة في أمرها، وأدرك سوية معه عبث كل ما هو دنيوي!

إنني أشعر في مكان ما في أعماق الروح بهذا المزاج الروحي. وقد أدركت الطريق إليه حينما توفي فانتشكا. وسأصبو إلى بلوغه في حياتي، والشيء الأهم في حياة زوجي ليوفوتشكا. ومن الصعب التحكم بهذا المزاج، حينما أتحمل أعباء المشاغل الدنيوية وتدبير الشؤون المنزلية والإدارية ونشر الكتب ومعاملة الخدم والعلاقات مع الناس، وحقدهم، والعلاقات مع الأبناء، وذلك حين أمتلك أنا بيدي الأداة الكريهة أي النقود – *النقود*!

اشترت ساشا مع فارفارا ميخايلوفنا في تولا كل ما تحتاجه ماريا ألكسندروفنا. فقد احترق كل شيء لديها على الإطلاق، ويجب أن توفر لها الحاجيات والملابس. وهذه هموم جديدة!

جلب تشيرتكوف مساء الصور المجسمة التي التقطت في ميشيرسكويه حين حل ليف نيقولايفتش ضيفاً عليه. وقد سر بها ل. ن. أيما سرور كالطفل، حيث يتعرف على شخصه في كل واحدة منها. عزف جولدينفيزر على البيانو، وبكى ليوفا بعصبية. الجو صاف، درجة الحرارة 12، والرياح شمالية.

5 يوليو. لا حياة لدي. إن قلب ليف نيقولايفتش قد تجمد كالجليد، ووقع تحت سيطرة تشيرتكوف. في الصباح كان ل. ن. عنده، وفي المساء جاء تشيرتكوف إلينا. وكان ل. ن. يرقد على كنبة واطئة، جلس تشيرتكوف بالقرب منه، فاستبدت بي سورة كرب خانق من الهم والغيرة.

وبعد ذلك دار الحديث عن الجنون والانتحار. وقد خرجت من الغرفة ثلاث مرات، لكنني أردت البقاء مع الجميع واحتساء الشاي، إلا أنني حالما كنت أقترب منه يدير ليف نيقولايفتش ظهره لي ويستدير بوجهه نحو معبوده. ويواصل الحديث عن الانتحار والجنون، بكل برود، ويناقش الموضوع من كافة الجوانب بكل همة ودقة محللاً هذا الوضع من وجهة نظر معاناتي الحالية. وفي المساء أعلن بكل وقاحة بأنه نسي كل شيء، ونسي مؤلفاته. وسألته: «والحياة الماضية، والعلاقات الماضية مع الأفراد المقربين؟ معنى ذلك أنك تحيا في اللحظة الراهنة فقط؟». وأجاب ل. ن. قائلاً: «نعم، في الوقت الحاضر فقط». إن هذا يترك انطباعاً فظيعاً! إن الموت جسدياً مع حبنا السابق حتى أواخر أيامنا هو أفضل من تعاستنا الراهنة.

خيم على البيت جو ثقيل ما سيهلكني ويسحقني.

قررت أن أجنح إلى الهدوء والسكينة وأن أقيم علاقات طيبة مع عائلة تشيرتكوف. لكن هذا لم ينفع أيضاً. فبقي الجليد ذاته في العلاقات مع ليف نيقولايفتش، والتعلق ذاته بهذا المعبود.

زرت اليوم أمه، ورأيت الأحفاد. والعجوز لا ضرر فيها، وقد ذهلت لمرأى أذنيها الكبيرتين وكمية الطعام التي التهمتها من المربى والثمار البرية والخبز وغير ذلك.

فصلت القمصان من أجل ماريا ألكسندروفنا، وخطت بالماكينة التنورة وقمت بدرز المناديل. انتابني ألم في الرأس.

زارنا بوليجين ون. ن. جي وجولدينفيزر. يا لشدة انقباض النفس، وكم أنا عليلة، وأتوسل إلى الرب أن يأخذني إلى جواره. هل يعقل بأن هذا الوضع لن يجد الحل، وسيبقى تشيرتكوف في تيلياتينكي؟

يا لمصيبتي! أردت أن أقرأ يوميات ل. ن. لكنه وضع كل شيء خلف الأقفال أو أعطاها إلى تشيرتكوف.

بينما لم يكن لدينا ما نخفيه عن أحدنا الآخر طوال حياتنا. وكنا نقرأ لأحدنا الآخر جميع الرسائل وجميع اليوميات وكل ما كتبه ليف نيقولايفتش. ولن يستطيع أحد أن يتفهم معاناتي، فهي شديدة ومؤلمة للغاية، ولا يمكن أن يضع حداً لها سوى الموت.

6 يوليو. لم يفارقني السهاد طوال الليل. وانبجس أمام ناظري تشيرتكوف البغيض الجالس بالقرب من ليف نيقولايفتش.

في الصباح ذهبت لوحدي إلى منصة السباحة، وأنا أردد الصلوات طوال الطريق. سأبعد وساوس الشيطان هذه بالصلوات، بهذا الشكل أو ذاك. وإذا لم أستطع ذلك، فسأذهب للسباحة يومياً، وأربي في نفسي الفكرة حول الانتحار، وأغرق في نهير فورونكا العزيز. وتذكرت اليوم كيف جاء ليف نيقولايفتش منذ وقت بعيد إلى منصة السباحة حيث كنت أستحم لوحدي. لقد نسي كل هذا، منذ وقت بعيد، ولم تعد ثمة حاجة إليه. أنا بحاجة إلى الصداقة الهادئة والحانية والعطف والتواصل الودي...

عندما رجعت تحدث ليف نيقولايفتش معي بمودة ولطف، وفور ذلك هدأت وأصبحت مشرقة الوجه ومتهللة الأسارير. أما فهو قد انطلق على صهوة الجواد مع دوشان بتروفيتش إلى مكان ما.

جاء ابني ليوفا الذي يعاملني بلطف وحنان إلى النهير للقائي، وللتعرف على أحوالي. وأنا قررت أن أجنح إلى الهدوء وتجنب لقاء تشيرتكوف قدر الإمكان.

وذهبت لزيارة زفيجينتسيفا، وقد سرت بي، وتبادلنا الأحاديث النسائية، واتفقنا في الرأي بصورة مطلقة فيما يتعلق بالموقف من تشيرتكوف والرأي فيه.

عدت متأخرة إلى الغداء. ولم يرغب ليف نيقولايفتش في وقت تناول الغداء، لكنني دعوته فيما بعد ولو للجلوس معنا، فتناول طعام الغداء كاملاً، الذي أعد خصيصاً وبحرص ليناسب معدته. حساء البوريه والأرز والبيض والعنب البري على الخبز المغمس بعصير اللوز.

في المساء خطت تنورة من أجل ماريا ألكسندروفنا، وجاء تشيرتكوف،

وكذلك سوتكوفوي ونيقولايف، ثم جولدينفيزر الذي عزف سوناتا بيتهوفن، المقطوعة رقم 90، ورابسوديا برامز، وأنشودة البالادا الرائعة لشوبان.

ثم تبادل ليف نيقولايفتش الأحاديث مع سوتكوفوي حول طائفة دوبرلوبوف في محافظ سامارا، ثم انتقل إلى مناقشة موضوع الدين عموماً. وقال ليف نيقولايفتش إن من الواجب قبل كل شيء أن يدرك المرء حضور الرب في ذاته، ومن ثم عدم البحث عن الأشكال والتعقيدات المصطنعة مثل المعجزات والمناولة والسكوت المفتعل للتواصل مع عالم الغيب، يجب إزالة كل ما هو نافل، وكل ما يعيق التواصل مع الرب. ويجب بذل *الجهود* من أجل تحقيق ذلك. وقد كتب ليف نيقولايفتش كتيباً حول هذا الموضوع يحوز على رضاه التام والذي قام اليوم بتصحيح مسوداته وبعث بها إلى جوربونوف من أجل طبعها.

اليوم لم أقلق كثيراً، ويبدو كما لو أنني أسيطر على نفسي، بالرغم من أنني لا أستطيع أن أغفر لتشيرتكوف قوله: «ألطخ بالأوحال». شيء غريب! ما أكثر الأحاديث الفارغة، وما أقل عدد الناس الذين يفهمون ما هو هام في الحياة.

تحضرني في الذاكرة أنني حينما أجريت لي عملية جراحية أن انحدرت في لجة الآلام، ووقعت تحت تأثير المخدر واقتربت من الموت، وومض أمام عيني الروحيتين سيل سريع من الصور الكثيرة للحياة الشتوية، والهرج والمرج في الحياة اليومية، وبالأخص في المدينة. وبدت لي المدن بصورة خاصة أن لا حاجة إليها وغريبة: المسارح وعربات الترام والمتاجر والمعامل، لا حاجة إليها كلها، فهذا كله سخف قبيل الموت القادم. وفكرت في دخيلة نفسي: إلى أين؟ لماذا كل هذا الاندفاع والهرج والمرج؟ «ما هو المهم؟ ماذا نحتاج في الحياة؟...». وبدا الجواب واضحاً ولا لبس فيه: «إذا ما قدر لنا أن نحيا على الأرض بإرادة الرب، فمن الأفضل ومن الخير بلا ريب أننا، نحن *البشر*، يجب *أن نساعد أحدنا الآخر في العيش*. ومهما كان شكل المساعدة المتبادلة – توفير العلاج والطعام والشراب والتعاطف – الأمر سواء، فقط يجب تقديم المساعدة، والتخفيف من وطأة أوجاع الحياة اليومية بالنسبة لأحدنا الآخر.

وهكذا لو جاء ليف نيقولايفتش عندئذ تلبية لندائي: «أتوسل أن تأتي»، بلا تأخير، بدلاً من تكرار نافل القول، لساعدني في العيش، وساعدني في التخفيف من آلامي، لكان ذلك أثمن من جميع المواعظ الباردة. وهكذا يجب *علينا* أن نساعد أحدنا الآخر في الحياة على الأرض في كل مجال. وهذا يتطابق مع الأحكام المسيحية.

7 يوليو. صباحاً. مطر، رياح، رطوبة. أجريت التصحيحات في مسودات مسرحية «ثمار التنوير»، وأنجزت خياطة تنورة ماريا ألكسندروفنا. أخذت من ديوان ل. ن. مسودات تصحيح رواية «البعث»، قبل أن يحزر تشيرتكوف أين تحفظ، فيأخذها. بالرغم من سوء حال الطقس فإن ل. ن. ذهب لزيارة معبوده. أنا فكرت اليوم بأنه رغم كون اليوميات الأخيرة شيقة جداً، فإنه جرى *تأليفها* جميعاً من أجل تشيرتكوف ومن يروق للسيد تشيرتكوف أن يعطيها للقراءة! والآن *لن يتجرأ* ل. ن. على أن يضمن يومياته أية عبارة محبة لي، لأن هذا لن يرضي تشيرتكوف، علماً أن اليوميات تسلم إليه. بينما توجد في حوزتي أثمن الأقوال من حيث المصداقية وقوة الفكر والمشاعر.

إنني لم أحفظ مخطوطات ليف نيقولايفتش جيداً. إنه لم يسلمني إياها من قبل أبداً، وأبقاها لديه في الصناديق في الديوان، ولم يسمح بمسها. وعندما قررت أخذها لحفظها في المتحف، ولم نعد نسكن بموسكو، استطعت فقط *أخذها* وليس مراجعتها. كما أن حياتي في موسكو كانت مكرسة إلى العائلة الكثيرة العدد، وإلى الأعمال التي ما كان بالمستطاع إهمالها فهي لازمة من أجل كسب لقمة العيش.

تشاجر ابني ليوفا أيضاً يوم أمس مع هذا الجلف المعبود غير المتوج تشيرتكوف.

المطر يهطل، بينما ذهب ل. ن. بالرغم من كل شيء على صهوة الجواد لزيارة تشيرتكوف. وأنا انتظرته بجزع على الشرفة، وقد تملكني القلق، ووجهت اللعنات لكوننا نعيش إلى جوار تشيرتكوف.

مساء. لا، لم يسلبوني ليف نيقولايفتش بعد، والحمد لله! إن جميع معاناتي، وكل طاقة حبي الجارف له قد حطم الجليد الذي وقف بيننا في

تلك الأيام. وليس بوسع أحد الوقوف أمام علاقتنا القلبية، ونحن ارتبطنا بحياة طويلة وبحب متين. ولجت غرفته حين رقد للنوم وقلت له: «أعطني وعداً بألا تتركني أبداً بتلصص وبخفية». فقال لي: «أنا لا أعتزم ذلك، وأعدك بأنني لن أتركك أبداً، فأنا أحبك»، وتهدج صوته. فترقرقت الدموع في عيني واحتضنته، وقلت بأنني أخشى أن أفقده وإنني أحبه حباً جماً، وبالرغم من كل نزواتي البريئة والحمقاء خلال حياتي كلها، لم أكف عن حبه لحظة واحدة أكثر من كل إنسان في الدنيا حتى بلوغي سن الشيخوخة. وقال ل. ن. بأنه يبادلني الشيء نفسه وينبغي ألا أخاف شيئاً من جانبه، وأن العلاقة بيننا متينة جداً وليس بوسع أحد انتهاكها، - فأحسست بأن هذا صدق، وفرحت، وانصرفت إلى غرفتي، لكنني رجعت ثانية وشكرته لكونه رفع حجراً ثقيلاً كان يجثم على قلبي.

عندما ودعته وذهبت إلى غرفتي فتح الباب عقب فترة قصيرة ودخل ل. ن.

وقال: «لا تقولي أي شيء، وأنا أريد أن أقول لك، بأنني سررت أيضاً، وكانت محادثتنا الأخيرة مساء اليوم مبهجة جداً...». وأجهش في البكاء مجدداً، واحتضنني وقبلني... وغمر قلبي النداء: «إنه لي! لي!»، والآن سأكون أكثر هدوءاً، وسأثوب إلى رشدي، وسأكون طيبة أكثر مع الجميع، وسأسعى إلى إقامة أفضل العلاقات مع تشيرتكوف.

وكتب لي تشيرتكوف رسالة محاولاً تبرير سلوكه تجاهي. ودعوته اليوم إلى المصالحة وقلت له إنه يجب، على أقل تقدير، إذا ما كان رجلاً مستقيماً، أن يعتذر لي عن عبارتيه الجافتين:

1) «لو رغبت فإنني أمتلك القدرة والعلاقات الكافية من أجل أن *ألطخ بالوحل* سمعتك وسمعة أبنائك. وإذا لم أفعل هذا حتى الآن فهو لأنني أحب ل. ن. فقط.

2) «لوكانت لدي زوجة مثلك لهربت منذ وقت بعيد إلى أمريكا أو أطلقت عليها النار».

وأعتذر ليس من أجل ما لم يرغب فيه بقوله إنني فهمت مغزى أقواله بشكل معكوس وهلم جرا.

لكن ما هو الأمر الأكثر وضوحاً؟ إنه رجل متكبر وأحمق وحاقد جداً!

إذن أين مبادئهم المسيحية المزعومة والطاعة والمحبة واللاعنف؟... هذا كله نفاق وكذب. كما يعوزه أدنى قدر من التربية والأدب.

عندما نزل تشيرتكوف فوق السلم قال إنه يعتبر نفسه ليس على حق فيما يخص العبارة الثانية وإذا لا ترضيني رسالته إلي، فهو مستعد للإعراب عن الأسف بغية أن تكون علاقاته معي طيبة. علماً أن رسالته لم تتضمن شيئاً سوى التلاعب بالكلمات والنفاق.

الآن الأمر سواء بالنسبة لي، فإن روحي تفيض بالبهجة لكون ليف نيقولايفتش قد أظهر حبه وفتح قلبه لي – أنا أحتقر كل شيء وجميع الباقين، أنا الآن في حصن منيع.

الديكة تصيح، وطلع الفجر. الليل... ضجيج القطارات، والرياح تصخب أيضاً حين تهتز أوراق الأشجار بخفة.

8 يوليو. إن ملاطفة زوجي قد غمرتني بالسكينة تماماً، وأمضيت النهار كله في اليوم الأول بمزاج رائق. وخرجت للنزهة، وجمعت باقة زهور برية كبيرة من أجل ليف نيقولايفتش. وأعدت استنساخ رسائلي القديمة إلى زوجي التي عثرت عليها سابقاً بين أوراقه.

زارنا الأشخاص أنفسهم: تشيرتكوف وجولدينفيزر ونيقولايف وسوتكوفوي. هطل المطر، برد، رياح. يجري في الحقول حرث الأرض، وتطلى سقوف البيوت. ساشا متكاسلة وذابلة، لديها زكام حاد، وغاضبة مني. قرأ لنا ليف نيقولايفتش بصوت عال قصة فرنسية جيدة للكاتب ميلليه. ويوم أمس أعجبته قصة: «La biche écrasée» أيضاً.

سيكون معافى لو لم يعذبه الإمساك.

9 يوليو. يا رب، يا معين! متى ستنتهي هذه الإشاعات والقصص الدنيئة الثقيلة الوطأة! جاءت كنتي أولجا، ودار الحديث مجدداً حول الموضوع نفسه – أي علاقتي بتشيرتكوف. لقد وجه لي عبارات غليظة، بينما أنا لم أقل له كلمة واحدة غير مهذبة، – ويجري التشنيع بي في كل مكان، ويصدرون عليّ الأحكام ويوجهون لي التهم. إنني غالباً ما أعجب ولا أستطيع اعتياد

كون الناس *يكذبون* فحسب. وأحيانا أرتعب وأحاول بكل سذاجة أن أذكر الآخرين وأوضح لهم أمراً، وأستعيد الحقيقة... إن جميع هذه المحاولات لا طائل من ورائها، فالناس غالباً لا *يريدون سماع الحقيقة كلياً، إنهم لا يحتاجون إلى ذلك*، وهذا ليس في مصلحتهم. وهذا ما جرى في موضوع تشيرتكوف. لكنني لن أتحدث حول هذا أكثر. تكفيني المشاغل والهموم الأخرى. انطلق ليف نيقولايفتش على صهوة الجواد برفقة ليوفا إلى الغابات. وسبحت غمامة سوداء كبيرة في السماء. إلا أنهما انطلقا نحوها بالذات وحتى لم يأخذا أي شيء معهما. فقد كان ليف نيقولايفتش في قميص أبيض خفيف فقط. أما ليوفا فقد ارتدى سترة. وأنا أرجو ل. ن. أن يبلغني بمسار الطريق بغية أن أستطيع أن أرسل إليه الملابس أو العربة. لكنه لا يحب عمل ذلك. واليوم جلجلت عاصفة رعدية قوية، وهطل المطر، وبقيت طوال ساعة ونصف أتململ على الشرفة وقد تملكني الفزع البالغ. ومجدداً عاودني ذلك الضيق المؤلم في القلب، وتدفق الدم إلى الرأس، وساد الجفاف في الفم وجميع أعضاء التنفس والكرب في الروح.

عادا وقد غمرهما البلل كلياً – وأردت تقديم المساعدة في تدليك ليف نيقولايفتش بالكحول – الظهر والصدر والذراعين والساقين. لكنه رفض مساعدتي بغضب، ووافق بعد لأي على أن يقوم بذلك خادمه، إيليا فاسيليفتش.

لقد اغتاظت أولجا لسبب ما، ولم تبق حتى موعد الغداء وأخذت الأطفال وخرجت.

عانيت طوال اليوم من الصداع ووعكة، وارتفعت درجة الحرارة إلى (37.5). لم أعد أستطيع عمل أي شيء. بينما الأعمال كثيرة بالأخص فيما يتعلق بإصدار المؤلفات الذي توقف كلياً. وفي المساء شعرت بالوهن، فرقدت في الفراش في غرفتي وغفوت. بقيت، ويا للأسف، نائمة طوال المساء، ولو أنني استيقظت عدة مرات.

جاء تشيرتكوف وجولدينفيزر. كما جاء نيقولايف الذي ينزعج ليف نيقولايفتش، كما يبدو لي، منه جداً، – بما يرويه من أحاديث. زاول ل. ن. لعبة الشطرنج مع جولدينفيزر الذي عزف فيما بعد على البيانو قليلاً. إن موسيقى شوبان رائعة! لقد هزت كياني كله! ليوفا ابني قلق بشأن جواز

السفر الذي لم يحصل عليه اليوم في تولا، حيث طلب منه أن يجلب شهادة من الشرطة تؤكد السماح له بالسفر من روسيا إلى الخارج بلا عقبات، بينما تنظر المحكمة في قضية نشره في عام 1905 كراسة بعنوان «أين المخرج؟» وكراسة «عودة جهنم». وهذا كله يولد القلق لديه.

درجة الحرارة 12 فوق الصفر، رطوبة، الجو مزعج. ساشا غليظة وجلفة، وتسعل باستمرار، وهذا أمر مقلق.

وعموماً ثمة أمر ما يشارف *على الانتهاء*. هل إنها نهاية حياتي أم حياة أحد المقربين؟

جلب لي تشيرتكوف ألبوم صور ليف نيقولايفتش، لكنه غير كامل، وبعضها ممتازة، بينما أرسلت أمه لي كتيباً بعنوان «ميشا» حول صبيها المتوفى.

وقد طالعته وتأثرت جداً به، لكن يوجد في موقفها من يسوع والرب وحتى من الطفل أمر يشوبه التصنع، وهذا ما لا أفهمه.

10 يوليو. لم *يتجرأ* ليف نيقولايفتش، طبعاً، على أن يكتب في يومياته كيف جاء إلي في وقت متأخر من المساء، وذرف الدموع، واحتضنني وابتهج للمصارحة والتقارب بيننا. ولكنه يكتب في كل مكان: «الصمود». وما معنى «الصمود». أنا لا يمكن أن أعطيه الحب الكبير والرغبة في الخير والعناية أكثر مما أعطيه إياه. لكن اليوميات تسلم إلى تشيرتكوف الذي ينشرها، وهو يريد أن يبلغ العالم بأسره بأنه يجب، حسب قوله، الانتحار أو الهرب إلى أمريكا بسبب وجود مثل هذه الزوجة.

انطلق ل. ن. على صهوة الجواد مع تشيرتكوف إلى الغابة: أية أحاديث ستجري بينهما. علماً بأنه اقتيد الجواد إلى بولجاكوف أيضاً، لكن جرى استبعاده بغية ألا يعكر وحدتهما. وهكذا يجب *عليّ* أن *أصمد*. بغية أن أرى هذا الرجل البغيض يومياً.

في الغابة ترجلا لأمر ما، والتقط تشيرتكوف بواسطة آلة التصوير لديه صورة فوتوغرافية لليف نيقولايفتش في وهدة. ولدى عودتهما اكتشف تشيرتكوف فقدان ساعته. وجاء متقصداً إلى الشرفة وسأل ليف نيقولايفتش

أين يمكن أن يفقد الساعة حسب اعتقاده. أما ل. ن. المسكين والمطيع فقد وعد بأن يذهب بعد الغداء *للبحث عن ساعة* السيد تشيرتكوف في الوهدة.

في موعد الغداء جاء ضيوف: ن. ف. دافيدوف ومستر سولومون ون. ن. جي. وجلب لي دافيدوف نسخة من رواية «البعث» التي قرأتها من أجل الطبعة الجديدة، لكن سيتعين علي القيام بعملٍ كبير في إعدادها للطبع. وتولى مهمة القيام بهذا العمل ابني سريوجا أيضاً.

لقد فكرت بأن كرامة ل. ن. لن تسمح له بأخذنا جميعاً، نحن الناس المحترمين، إلى الوهدة للبحث عن ساعة السيد تشيرتكوف. لكنه يخشاه جداً، ولن يتوانى حتى أن يكون في وضع مضحك – ridicule – لدى البحث عن ساعة تشيرتكوف بصحبة مجموعة من الناس تعدادها ثمانية أشخاص. لقد أضعنا الوقت سدى ونحن نراوح بمكاننا فوق التبن المبلل في البحث عن الساعة ولكننا لم نجدها. والرب وحده يعرف أين أضاع هذا المعبود الغافل ساعته! ولماذا وجب التقاط صورة فوق التبن اللين والمبلل غير المريح. دعاني ل. ن. لأول مرة في هذا الصيف للذهاب معه في نزهة. وقد فرحت جداً وانتظرت بلهفة أن يتم نسيان هذه الوهدة مع الساعة. لكنني أخطأت، طبعاً. ففي صباح اليوم التالي استيقظ ل. ن. مبكراً، وانطلق إلى القرية، ودعا الصبيان للذهاب معه وعثر على الساعة.

في المساء قرأ لنا مستر سولومون أليجوريا[1] فرنسية مملة حول الابن الضال. وبعد ذلك قرأنا قصة خفيفة لـ Mill وقصة أخرى له أيضاً.

سافر دافيدوف. وتحدثت إلى ل. ن. عن مشاعري من عدم الارتياح، ولحد ما من الخجل لقيامه بمرافقة حشد من الناس إلى الوهدة للبحث عن ساعة تشيرتكوف، وطبعاً إنه غضب، وحدث صدام آخر. ورأيت مجدداً تلك القسوة وذلك الاغتراب والدفاع عن تشيرتكوف. لقد أصبحت عليلة تماماً، وأحسست مجدداً بنوبة من الكدر. استلقيت على الألواح العارية في الشرفة. كيف شعرت لأول مرة قبل 48 عاماً، في هذه الشرفة بالذات، بصبابة الحب تجاه ليف نيقولايفتش. الليل بارد، وصرت أفكر بارتياح بأنه حيثما وجدت حبه سأجد الموت. ويبدو أنني لم أستحقه بعد.

---

1 – أليجوريا: التصوير الإبداعي لفكرة ما. (المترجم)

خرج ليف نيقولايفتش بعد أن سمع حركتي، وراح يصرخ بي من مكانه بأنني أعيقه عن النوم، ويجب أن أخرج من هنا. فخرجت إلى الحديقة واستلقيت طوال ساعتين فوق الأرض الرطبة بالفستان الخفيف. وشعرت بالبرد، لكنني رغبت ورغبت جداً أن أموت.

أعلن الإنذار وجاء دوشان بتروفتش ون. ن. جي وليوفا وبدأ صراخهم وأنهضوني من الأرض. وأنا أرتجف بكل كياني، بسبب البرد والاضطراب العصبي.

آه لو رأى أحد الأجانب وضع زوجة ليف تولستوي الراقدة في الساعة الثانية والثالثة ليلاً فوق الأرض الرطبة، وقد تجعد جسدها، وبلغ بها الجزع آخر درجة، – لدهش الناس الأخيار كل الدهشة! كنت أفكر في ذلك ولم أرغب في مفارقة هذه الأرض الرطبة والعشب وقطرات الطل والسماء التي كان القمر يطلع فيها تارة ويختفي تارة أخرى. ولم أرغب في الذهاب حتى يأتي إليّ زوجي ويأخذني إلى البيت، فهو الذي طردني منه. وقد جاء فقط لأن ولدي ليوفا صرخ فيه مطالباً بأن يأتي إليّ، واقتاداني هو وليوفا إلى البيت. الساعة الثالثة ليلاً، ولم يفارقه ولم يفارقني السهاد. لم نتفق على شيء، ولم أجد لديه قطرة واحدة من الحب والشفقة علي.

ماذا بعد! ما العمل! أنا لا أستطيع العيش بلا حب وحنان ليف نيقولايفتش. بينما لا يستطيع هو إعطائي الحب أو الحنان. الساعة الرابعة ليلاً...

حدثت دافيدوف وسولومون ونيقولايف عن الهجمات الحاقدة والفظة لتشيرتكوف ضدي، فدهش الجميع وارتاعوا لذلك. واستغربوا كيف استطاع زوجي السكوت إزاء مثل هذه الإهانات الموجهة إلى زوجته. وأعرب الجميع عن نفورهم عموماً من هذا الأحمق المغرور تشيرتكوف. واغتاظ على الأخص دافيدوف لكون تشيرتكوف قد اختطف جميع يوميات ليف نيقولايفتش – للفترة منذ عام 1900.

وقال العزيز دافيدوف بانفعال: لكن يجب أن تكون اليوميات ملكاً لكم، للعائلة. أما رسالة تشيرتكوف إلى الصحف حين حل ل. ن. ضيفاً لديه، فإنها غاية في الحماقة وعدم اللياقة والأدب.

إن كل شيء واضح لدى الجميع. أما زوجي؟...

حينما أشرق نور الفجر تماماً، كنا ما زلنا جالسين أحدنا قبالة الآخر، ولم

نعرف ما يجب قوله. متى حدث مثل هذا من قبل؟! كنت أرغب في الانصراف، والاستلقاء مجدداً تحت شجرة البلوط في الحديقة. إن هذا سيكون أكثر يسراً وأخف وطأة من البقاء في غرفتي. في نهاية المطاف أمسكت بيد ليف نيقولايفتش ورجوته أن ينام، فذهبنا سوية إلى غرفة نومه. وعدت إلى غرفتي، لكنني شعرت مجدداً بالرغبة في الذهاب إليه، فرجعت إلى غرفته.

تدثرت باللحاف ذي النقوش اليونانية، الذي صنعته له، فرقد ل. ن. عجوزاً وحزيناً ووجهه إلى الجدار، واستيقظ في أعماق روحي الحنان والشفقة عليه، وتوسلت إليه أن يغفر لي، وقبلت راحة يده المألوفة والحبيبة، وتحطم الجليد. ومجدداً ذرف كلانا الدموع، وفي نهاية الأمر رأيت وشعرت بحبه.

إنني دعوت الرب أن يساعدنا في أن نحيا في الأعوام الأخيرة من حياتنا بسلام وبسعادة كالسابق.

11 يوليو. غفوت فقط من الساعة الرابعة وحتى السابعة والنصف. كما أن ليف نيقولايفتش نام قليلاً. وتملكني الإحساس بالمرض والانهيار، لكنني كنت سعيدة في أعماق روحي. أخذت أعيش مع ل. ن. بمودة وببساطة كالسابق. كم أحبه بقوة وببلاهة! وبأي شكل أخرق! إنه بحاجة إلى التنازلات والمآثر والحرمانات من جانبي، لكنني لست قادرة على تلبية رغبته هذه، بالأخص في أعوام الشيخوخة.

في الصباح جاء سريوجا. ونظرت ساشا وظلها – فارفارا ميخايلوفنا – إليّ بعبوس، لكن الأمر *سواء لدي*! أما ليوفا فيعاملني بلطف، وهو ذكي، وطفق يعمل تمثالاً لي.

انطلق ل. ن. على صهوة الجواد برفقة الدكتور. وفي المساء جاء إ. إ. جوربونوف، وأجرى ليف نيقولايفتش في المساء محادثة طويلة معه حول الكتيبات الجديدة التي تباع بأسعار زهيدة. وتجولا في الحديقة، وبدا ل. ن. متعباً. ولكن في المساء جرت محادثات هادئة، ولعب الشطرنج، واستمع إلى أقاصيص المستر سولومون الظريفة.

رقدنا جميعاً في وقت مبكر. وأبعد ل. ن. تشيرتكوف في الأمسية الحالية. والحمد لله! فدعنا نتنفس بحرية، ولتجد الروح الراحة، ولو في يوم واحد.

12 يوليو. جلست في النهار أمام ليوفا الذي يصنع تمثالاً نصفياً لي. وقد أصبح التمثال اليوم شبيهاً بي، إن ليوفا موهوب وذكي وطيب القلب. ولا يقارن بساشا، ويا للأسف!

انتظر ليف نيقولايفتش قدوم جولدينفيزر لكي يخرج معه للتجول على صهوة الجواد. لكنه لم يأت. وأرسل في طلبه في تيلياتينكي، فأخطأت فيلكا ودعت تشيرتكوف بالخطأ بدلاً من جولدينفيزر. ولم أعرف هذا كله. ولم ينتظر ل. ن. مجيء جولدينفيزر ذهب إلى الإسطبل وأخرج حصانه (وهو ما لم يكن يفعله سابقاً أبداً)، بغية الذهاب للقاء جولدينفيزر. وفكرت بأنه إذا لم يلتق ل. ن. جولدينفيزر ويبقى وحيداً، والحر شديد ومهلك، سيلقى ضربة شمس أيضاً، فهرعت إلى الإسطبل لكي أسأل ل. ن. إلى أين هو ذاهب إذا لن يلتقي أحداً. لكن ليف نيقولايفتش كان يستحث الحوذي، ووقف هناك الدكتور، فقلت: «حسناً، ليذهب دوشان بتروفتش معك». ووافق ل. ن. على ذلك، لكنه حالما غادر الإسطبل تطلعت إلى أسفل التل فرأيت تشيرتكوف البغيض لدي على صهوة حصان أبيض. فتأوهت، وصرخت، هل هذا خداع آخر، ودبروا كل شيء، وكذبوا بشأن جولدينفيزر، بل استدعوا تشيرتكوف، وانتابتني على الفور نوبة هستيريا في حضور جميع الموجودين في الفناء، فهرولت إلى داخل البيت. وقال ليف نيقولايفتش مخاطباً تشيرتكوف بأنه لن يذهب معه، فانصرف تشيرتكوف إلى ضيعته، أما ل. ن. فانطلق مع الدكتور.

لحسن الحظ لم يكن هناك خداع، إذ إن فيلكا شبه الغافية نسيت لمن أرسلت، فدعت بالخطأ تشيرتكوف للقدوم إلى ل. ن. بدلاً من جولدينفيزر. لكنني كنت قد أصابني الإنهاك والضنى طوال الوقت لدرجة أن أدنى إشارة إلى تشيرتكوف ناهيك عن رؤيته تجعلني أضطرب في جزع. وقد جاء في المساء، فخرجت وأنا أرتجف بسبب الكدر مدة ساعة كاملة. وجاء جولدينفيزر مع زوجته. إنهما ظريفان جداً. ورحل سولومون: أي إنسان هو... لطيف وحيوي وذكي وشفيق يتعاطف مع الآخرين. كما أن ليوفا يبدي الطيبة معي بشكل مؤثر. بينما أصبح ل. ن. أكثر ليونة، ولو أنني رأيت في المساء وقد عيل صبره، ويبدو أنه كان ينتظر قدوم تشيرتكوف بينما لم يحضر هذا الفترة طويلة، ثم ذهب ل. ن. لكتابة رسالة إليه يطلب فيه ذكر السبب في

عدم حضوره. إنه بحاجة ماسة لمعرفة ذلك! وفي أغلب الظن أنه كتب في هذه الرسالة شيئاً مسيئاً إلي. وقد وعدني بأن يريني إياها، بغية ألا يكون في الأمر خداع مرة أخرى. ما أكثر الغموض والسرية حوالي!

جاءت عائلة سوخوتين: تانيا وميخائيل سرجيفتش. جرت أحاديث ثقيلة. وتصدق تانيا وساشا من بين أحاديثي فقط تلك التي تروق لهما، مهما كانت مصداقية أقوالي، وهما بحاجة فقط إلى ما ينفعهما، بغية التشهير بي وإدانتي.

إنني في أغلب الظن سألقى حتفي بهذه الصورة أو تلك. وأبتهج لكوني لن أعيش أكثر من ليف نيقولايفتش. وأية سعادة ستغمرني لدى التخلص من الآلام التي كابدتها وأكابدها الآن.

استدعتني اليوم برسالة أم تشيرتكوف: يلزافيتا إيفانوفنا. فقد زارها اثنان من الدعاة: فيتلر، وآخر، بروفيسور إيرلندي، لم أفهم الكثير من كلامه وكان يأكل بنهم وأحياناً يتلفظ بصورة ميكانيكية عبارات دينية ما. ولكن فيلتر رجل راسخ العقيدة جداً، فصيح اللسان، حلو التعابير. وطفق يجذبني بهمة للانضمام إلى عقيدته - الكفارة (التكفير عن الذنوب). وقد عارضته فقط لكونه أصر على الكفارة المادية، وسفك الدماء، وآلام وموت جسد المسيح. وقلت إنه فيما يخص الأمور الدينية يجب عدم إدخال أي شيء مادي، وتكمن قيمة تعاليم المسيح وربانيته في الروح وليس في الجسد. لكن هذا القول لم يعجبه. ثم جثا فيتلر هذا على ركبتيه وراح يصلي من أجلي ومن أجل ليف نيقولايفتش، ومن أجل التعامل بيننا والسلام ومسرة أرواحنا وهلم جرا. وقد أعدت الصلاة بشكل ممتاز، لكن هذا كله شيء غريب! حضرت يلزافيتا طوال الوقت ثم دعتني إليها وسألتني عن سبب كرهي لابنها؟ فأوضحت لها الأمر، ورويت لها قصة اليوميات وكيف أن ابنها انتزع مني زوجي الحبيب. فقالت: أنا تكدرت دوماً لكون زوجك قد سلبني ابني! - إنها على حق.

الساعة الثالثة ليلاً. القمر ينير بسناء في نافذتي، بينما تغمر روحي الكآبة، والكآبة. وثمة بهجة يشوبها الألم فقط، بأنه يوجد بالقرب مني تماماً ويتنفس وينام حبيبي ليوفوتشكا الذي لم ينتزع مني كلياً بعد...

13 يوليو. انتظر ل. ن. مجيء تشيرتكوف بعد أن صرفه يوم أمس من الجولة على صهوة الجواد، لكي يوضح له الأسباب، لكن تشيرتكوف لم يأت. أنا أتحسس مزاج زوجي برهافة، ولاحظت كيف تململ بقلق لدى انتظاره تشيرتكوف في المساء، كما ينتظر العشاق مجيء المحبوبين، وبدا القلق أشد في الشرفة في الأسفل، حيث كان يتطلع باستمرار إلى الطريق. وفي نهاية المطاف كتب رسالة رجوته أن يريني إياها. وحملت ساشا الرسالة إلي، وهي موجودة لدي. طبعاً: «صديقي العزيز وهلم جرا من تعابير الملاطفة... وتملكني الكدر الشديد مجدداً... فقد أعطى الرسالة مع هذا إلى تشيرتكوف لدى مجيئه. وأخذتها بحجة قراءتها وأحرقتها. إنه لم يعد يكتب لي أية رسائل رقيقة فيها كلمات الحنان، وتسوء حالي أكثر فأكثر، وأغدو أكثر تعاسة، وأقترب من النهاية. لكنني *جبانة*. لم أذهب اليوم إلى السباحة، لأنني أخاف أن *أغرق*. ويتطلب الأمر *لحظة واحدة* من العزم، لكنني لا أجدها بعد.

إننا مثل خصمين صامتين نمكر ونتجسس ونتلصص على أحدنا الآخر! ونخفي، بالأحرى أن ل. ن. يخفي ذلك في الوقت نفسه بمسحة *من الرياء الحاقد*، كما وصف رجل *قريب منا* – ن. ن. جي الابن – كل ما يمكن إخفاؤه، وربما إنه أرسل إلى تشيرتكوف أمس آخر اليوميات.

ربنا، ارحمنا، إن جميع البشر أشرار، ولن ينقذوني... فارحمني وخلصني من الإثم!

ليلة 13 على 14 يوليو. لنفرض أنني أصبت بمس من الجنون، وأصبح هاجسي أن يستعيد ل. ن. يومياته، وأن لا يبقيها بيدي تشيرتكوف. لقد تفككت أسرتان، ونشأ خلاف عميق بينهما، ناهيك عن القول إنني تألمت إلى أقصى حد (لم أتناول اليوم لقمة واحدة). الكآبة تخيم على الجميع، ويعيق الجميع مظهري البائس وكأنه ذبابة لجوجة.

ما العمل لكي يكتسب الجميع البهجة مجدداً، ولكي يوضع حد لجميع عذاباتي؟

يجب أن تؤخذ اليوميات من تشيرتكوف، تلك الدفاتر بأغلفة سوداء،

وتوضع على الطاولة مجدداً، ويعطى دفتر واحد في كل مرة من أجل الاستنساخ. هذا ما ينبغي عمله فقط!

إذا ما زال شعوري بالجبن، وقررت في نهاية الأمر الانتحار، فكيف سيبدو للجميع لاحقاً أن طلبي سهل التنفيذ، وسيدرك الجميع أن الأمر لا يستحق الإصرار والعناد بقوة وتعذيبي حتى الموت برفض تنفيذ رغبتي.

وسيوضح موتي للجميع في الكون، ولكن لن يذكر السبب الحقيقي: الهستيريا والنوبات العصبية والطبع السيئ - ولن يتجرأ أي أحد على القول، لدى التطلع إلى جثماني الذي أجهز عليه زوجي، بأنه كان من الممكن *إنقاذي* فقط بوسيلة بسيطة هي - *أن تعاد إلى طاولة مكتب زوجي أربعة أو خمسة دفاتر بأغلفة من المشمع*. (كان عددها سبعة)[1].

أين الروح المسيحية؟ أين المحبة؟ أين *اللاعنف* الذي يدعون إليه؟ كذب، خداع، حقد، قسوة.

لقد عقد هذان الرجلان العنيدان والمتكاتفان العزم على إماتتي. وأنا أخشاهما. إن إيديهما الحديدية تضغط على قلبي. وبودي الآن أن أتخلص من قبضتهما وأهرب إلى مكان ما. لكنني أخاف من وقوع أمر ما...

يجري الحديث عن حق كل إنسان. طبعاً إن ل. ن. على حق، حين يعذبني برفض أخذ *يومياته من تشيرتكوف*. لكن أين حق الزوجة التي عاش معها نصف قرن؟ وما هو *الحق* حين يتعلق الأمر بالحياة، وبالطمأنينة الشاملة، والعلاقات الطيبة بين الجميع، والمحبة والبهجة، وصحة وهدوء الجميع، - ومبدأ *اللاعنف* المحبب لدى ليف نيقولايفتش. أين هو؟

في أغلب الظن سيذهب ل. ن. غداً إلى تشيرتكوف. بينما ستسافر تانيا وزوجها إلى تولا، وسأكون أنا حرة وسيساعدني، إن لم يكن الرب، بل قوة ما أخرى في الخروج ليس من البيت فقط، بل ومن أسر الحياة...

إنني أعطي الوسيلة *لإنقاذي* - باستعادة اليوميات. وإذا لم يرغبا فدعهما يعملان مبادلة: أن تبقى اليوميات لدى تشيرتكوف عن حق، ويبقى لدي حق الحياة والموت.

بدأت فكرة الانتحار تتعزز لدي. والحمد لله! ولا بد أن تنتهي معاناتي قريباً.

---

1 - دونت الملاحظة في وقت لاحق.

أية رياح فظيعة! سيكون طيباً الخروج الآن... يجب القيام بمحاولة أخرى للخلاص... في آخر مرة. ولكن إن جاء الرفض، وسيكون ذلك أكثر إيلاماً، عندئذ سيكون من الأيسر تنفيذ عزمي على التخلص من الآلام. ومن المخجل أن أهدد دوماً، ثم أتجول أمام سمع وبصر جميع الذين أعذبهم... بودي أن أواصل العيش وأرى في تنفيذ رغبتي بصيص نور حب زوجي الذي تألق مراراً *وأنقذني* في حياتي، بينما يبدو الآن وقد أخمده تشيرتكوف. ليكن ودع حياتي تخبو بلا هذا الحب.

« الغريق يتشبث بالقشة...». أريد أن أعطي زوجي اليوميات ليتعرف على كل ما يدور في قرارة روحي. لكن بشرط أن يولد فيه فقط الغضب، وعندئذ ربما سيقتلني، - أنا أكابد بشدة القلق والخوف والعذاب...

أوه، أية كآبة، وأي ألم، وأي جحيم يغلي في كل كياني! وبودي أن أصرخ: «أعينوني!». لكن هذا الصراخ سيضيع في فوضى الحياة الشريرة وهرج ومرج البشر حيث توجد المساعدة في الكتب والأقوال، بينما تسود البرودة في الأفعال...

كيف أجاب ل. ن. سابقاً على دعوتي الوحيدة خلال عشرات الأعوام بالعودة إلى البيت، عندما أصبت بأول نوبة عصبية، أجاب ببرود وبلا مودة مما جعل مرضي يشتد أكثر. كذلك يتكرر الحال الآن - بإبدائه اللامبالاة حيال رغبتي ومقاومته العنيدة لطلبي المشوب بالألم الذي يمكن أن تكون له عواقب وخيمة جداً... وسيكون قد فات الأوان... لكن الأمر سيان لديه!! فلديه تشيرتكوف، بينما أردت ذلك وأتمناه. لكن لديه اليوميات، ولا بد من استرجاعها...

14 يوليو. لم أنم الليل كله وكنت على قيد أنملة من الانتحار. مهما بالغت في الأقوال في تصوير أوجاعي فهذا قليل. جاء ل. ن. وقلت له وقد انتابني القلق الشديد بأنه توجد في الميزان في كفة مسألة استعادة اليوميات، وفي الكفة الأخرى حياتي، ودعه يتخذ خياره. وقد اختار، وشكراً له، وأعاد اليوميات من تشيرتكوف. إنني لصقت هنا بصورة سيئة، وفي دوامة القلق، رسالة جاء بها صباح اليوم. أنا آسفة جداً لإعادة استنساخها في عدد من

الأماكن، بالمناسبة في كتاب رسائل ل. ن. إلي، وقد استنسختها بنفسي، وتوجد نسخة لدى ابنتي تانيا.

ذهبت ساشا إلى تشيرتكوف لجلب اليوميات ومعها رسالة من ليف نيقولايفتش. ما زالت الروح في كدر، وهذا جلي للعيان تماماً. وتكرست بثبات فكرة الانتحار – أنا أشعر بأنني سأكون مستعدة لهذا دوماً، إذا لم تربط مجدداً بالمواضع المريضة من قلبي.

هذه هي نهاية حياتي الزوجية الطويلة، التي كانت سابقاً سعيدة جداً!... لكنها ليست النهاية تماماً. فهناك رسالة ل. ن. المرسلة اليوم – كما توجد لدي فلذة من السعادة السابقة، لكنها فلذة صغيرة متهرئة.

تولت ابنتي تانيا مهمة طبع اليوميات، وغداً ستأخذها تانيا مع زوجها إلى تولا لإيداعها في البنك. وستسجل ورقة الوصل باسم ل. ن. وورثته وستجلب إلى ليف نيقولايفتش، وأخشى من الخداع مجدداً، وأن يعمد الجزويت تشيرتكوف خفية إلى استلابها من ليف نيقولايفتش – فهذه يوميات!

لم أتناول لقمة واحدة خلال ثلاثة أيام، الأمر الذي أثار قلق الجميع لسبب ما، وهذا أهون الأمور... تكمن المسألة كلها في الانفعال وشدة الغم.

أنا آسفة وأطلب المغفرة لإزعاج اثنين من أبنائي هما ليوفا وتانيا، وبالأخص تانيا. فهي لطيفة للغاية مجدداً ومتعاطفة وطيبة معي! أنا أحبها جداً. يجب السماح لتشيرتكوف بزيارتنا بالرغم من أن هذا يسبب لي الضيق الشديد والنفور. وإذا لا أسمح بهذه اللقاءات معه فستكون هناك كمية كبيرة من الأعمال الأدبية السرية والمراسلات الرقيقة، وهو أمر أسوأ.

15 يوليو. لم أنم الليل كله. أنا أفكر...إذا ما تخلى ليف نيقولايفتش بكل يسر عن الوعود الواردة في رسالته بعدم تركي، فيمكنه أن يتخلى بكل يسر عن جميع أقواله ووعوده، أين عندئذ الكلمات *الصادقة والمخلصة*؟ وليس عبثاً أن يتملكني القلق! فقد وعدني في حضور تشيرتكوف بأنه سيعطيني اليوميات، فخدعني وأودعها في البنك. كيف أهدأ وأتعافى عندئذ، عندما يواجهني تهديده: «سأرحل، سأرحل».

ما أشد الصداع – القذال. هل إنها نوبة عصبية؟ حسناً لو حدث ذلك – لكن فقط أن تؤدي إلى الموت تماماً. وحز في نفسي أن أهلك بسبب زوجي. في صباح اليوم، وحين لم أنم الليل كله، طلبت من ليف نيقولايفتش بأن يعطيني ورقة وصل اليوميات التي ستنقل غداً إلى البنك، بغية أن أطمئن إلى أنه لن يتراجع عن كلمته ويعطي اليوميات إلى تشيرتكوف، ما دام يفعل ذلك بعجلة وخفة، أي يتراجع عن كلمته.

فاحتدم غضباً وقال لي: «كلا، لن أسلمها أبداً»، وانصرف مبتعداً فوراً. وانتابتني مجدداً نوبة عصبية شديدة، وأردت أن أشرب الأفيون، لكنني جبنت مرة أخرى، وخدعت ل. ن. بدناءة حين قلت له إنني سأشربه، ولكنني اعترفت فوراً بالخداع، وبكيت وانتحبت، أي خجل وألم... لا، لن أقول أي شيء أكثر. أنا عليلة ومنهوكة القوى.

رافقت ولدي ليوفا في عربة كبريولة لمشاهدة البيت في روداكوفو من أجل أوفسيانيكوف، ومن أجل تانيا، بينما امتطى ل. ن. صهوة الجواد وانطلق للنزهة مع الدكتور. وكنت أعتقد بأننا سنذهب معاً، لكن ل. ن. سار عن قصد في اتجاه آخر غير اتجاهنا، وقال: سأذهب في الطريق العام، وأعود إلى البيت في حركة التفاف عبر قرية أوفسيانينكوفو، لكنه اتجه بالعكس مضى عبر أوفسيانينكوفو أولاً، كما لو كان ذلك بالصدفة، وأنا ألاحظ كل ذلك، وأتذكر كل شيء وأتألم بعمق.

سمحت لتشيرتكوف على مضض بالمجيء إلينا، وتعاملت معه بحرص، لكنني تعذبت. كنت أتابع كل حركة وكل نظرة لدى ليف نيقولايفتش وتشيرتكوف. وقد التزما الحذر. لكن ما أشد كرهي لهذا الرجل! إن حضوره يكدرني، ولكنني سأصبر وأتحمل، بغية أن *أراهما* سوية تحت نظري، وليس في مكان آخر، وبغية ألا يتفقا على لقاءات ما أو تبادل الرسائل الطويلة.

كما جاء ابن تشيرتكوف، وهو صبي ظريف وبسيط اصطحب معه صديقه الإنجليزي، سائق السيارات. كما جاء إنجليزي آخر من أمريكا الجنوبية، وهو شخص ممل وغبي وغير شيق. نشرت في الصحف مقالة ل. ن. حول الحديث مع فلاح: «من اليوميات».

تم اليوم طبع يوميات ل. ن. في 7 دفاتر، وسنحملها أنا وتانيا غداً لإيداعها

في البنك. إنها الآن موجودة لدى الدكتور جروشيتسكي في تولا، وهذا ما يولد القلق لدي. أردنا أن نحملها اليوم إلى البنك، لكن تبين أن جميع الدوائر مغلقة بسبب إقامة الصلوات بمناسبة انتشار الكوليرا في تولا، ويجب أخذها غداً من جروشيتسكي وإيداعها في البنك. وهذا شيء جديد ولا يسر في سلوك ليف نيقولايفتش. لماذا تودع في البنك، ولا يتم حفظها في البيت أو إيداعها في متحف التاريخ حيث توجد اليوميات الأخرى، للحفظ، ولماذا *هذه* اليوميات بالذات، ولماذا يجب *عليّ* أن لا أقرأها، بينما سيقرأها بعد وفاة ليف نيقولايفتش كل من هب ودب، أما زوجته *فلا تتجرأ على قراءتها*. *أهذا* ما كانت عليه حياتنا كلها! إن هذا كله يبعث على المرارة في نفسي! إنه كله بسبب تأثير تشيرتكوف. وقال سوخوتين: «طبعاً، إنك مستاءة، وأنا أتفهم ذلك، وأنا نفسي لا أحب تشيرتكوف».

الضياع في حضور جماعة مملة من الناس: الإنجليزي، وديما ورفيقه (هم الأفضل) ونيقولايف الرتيب والمضجر، وجولدينفيزر وتشيرتكوف. شغلوا جهاز الحاكي، لأنه لا يوجد لدى جميع هؤلاء السادة موضوع يتبادلون الحديث بشأنه. حاولت قراءة المسودات - عبثاً. يعمل ليوفا في نحت تمثالي النصفي بهدوء أكثر إلى جانبه، إنه يفهم كل شيء ويحبني ويشفق علي.

لقد كلفني غالياً انتزاع اليوميات من قبضة تشيرتكوف. لكن لو جرى عود على بدء - لحدث الشيء ذاته. لو أنها لم تكن أبداً في حوزة تشيرتكوف، فأنا مستعدة لكي أهب بقية حياتي كلها، ولن آسف على تلك الجهود والصحة التي ضاعت من أجل الحصول على اليوميات. والآن تقع المسؤولية والضمير عن ضياع الصحة والجهود على زوجي وتشيرتكوف الذي تمسك بإصرار بهذه اليوميات.

لقد أودعت باسم ليف نيقولايفتش، ولا يحق لأحد سواه أخذها. أي موقف غير طيب من الزوجة، وأي موقف يخلو من الثقة هذا! الرب معه!

تلقيت رسالة من أ. م. ماسلوفا، فحملتني إلى عالمهم الصغير الرقيق والنزيه والطيب، الخالي من أي خبث وتعقيدات ومنغصات ثقيلة الوطأة، ولربما هناك سيرجي إيفانوفتش أيضاً. إن روحي كانت ستجد الراحة والطمأنينة

وسط هؤلاء الجميع، وألحان الموسيقى التي خففت في وقت ما فجيعتي الحادة. لقد تعبت من جميع التعقيدات والخبث والإخفاءات والقسوة، ومن *البرودة* تجاهي، التي يعترف بها زوجي! فلماذا *أعاني الأمرين* وأحبه بجنون طوال الوقت؟ التفت يا قلبي وأظهر البرودة حيال الذي يفعل كل شيء من أجل ذلك، والاعتراف ببرودته. إذا ما وجب العيش وعدم الهلاك، فينبغي البحث عن السلوان والبهجة. وأنا أقول: «لايمكن العيش بهذه الصورة! أي برودة القلب - حيالي، وسخونة المشاعر - حيال تشيرتكوف».

16 يوليو. عندما علم الجميع بأنني أدون اليوميات في كل يوم، راح جميع المحيطين بي يسجلون *يومياتهم* التي يتركز موضوعها حولي. وعمد الجميع إلى فضحي واتهامي وإعداد المواد الحاقدة ضدي لأنني تجرأت على الدفاع عن حقوقي الزوجية ومطالبة زوجي بالثقة والمحبة بقدر أكبر وبسحب اليوميات من تشيرتكوف.

الرب معهم جميعاً. أنا بحاجة إلى زوجي، قبل أن تتحول برودته إلى النقطة التي تجمدني، أنا بحاجة إلى العدالة ونقاوة الضمير، وليس إلى محكمة البشر.

سافرت إلى تولا بمعية تانيا، وأودعنا دفاتر ليف نيقولايفتش السبعة في بنك الدولة. وهذا إجراء نصفي، أي التنازل من جانبي نصفياً. وقد سحبت من تشيرتكوف، والحمد لله، لكنني لن أستطيع *أبداً* ما دام ليف نيقولايفتش على قيد الحياة رؤيتها وقراءتها. هذا انتقام زوجي. وعندما جلبت من بيت تشيرتكوف، أمسكتها بيدي بقلق وقلبت صفحاتها، وبحثت عما هو مكتوب هناك (ولو أنني قرأت الكثير منها قبل هذا)، وتولد لدي شعور، كما لو أنني استرجعت شيئاً ضائعاً، وطفلاً محبوباً، وطفقت أحتضنه مجدداً. أنا أتصور مدى غيظ تشيرتكوف وحقده علي! زارنا مساء اليوم مجدداً، كم أكابد الحقد والغيرة منه! لا بد أن الأم التي اختطف الغجر طفلها تكابد شعوري ذاته حين أعيد إليها طفلها.

تم إيداع اليوميات باسم ليف نيقولايفتش حصراً وبدون سوخوتين. ووحده يستطيع استلامها شخصياً أو بتوكيل موقع من قبل كاتب العدل.

في المساء جاء تشيرتكوف، ما زال يمكث عندنا الغريب الإنجليزي الذي لا يطاق، وبولجاكوف وم. أ. شميدت. كما جاء جولدينفيزر وعزف بصورة جيدة جداً مقطوعة المازوركا لشوبان.

لقد عاملني ليف نيقولايفتش بطيبة أكثر من السابق، وغمرني الفرح لتحسس نظراته الحانية التي التقطها بمحبة. خرج إلى الغابات على صهوة الجواد للنزهة برفقة بولجاكوف، وهو لا يشكو من توعك صحته. أنا لا أعرف الكثير عن أعماله. وأذهب إلى ما يسمى غرفة *المكتب* حيث تعمل ساشا وفارفارا ميخايلوفنا في الاستنساخ، وفي الليالي أقلب الأوراق والرسائل.

توجد رسائل، ومقدمة إلى إصدارات طبعات الكتب الرخيصة، ومقالة حول الانتحار، ومختلف البدايات لمقالات، لكن لا يوجد بينها شيء كبير وجدي.

هدرت في المساء كله عاصفة رعدية شديدة وهطل المطر مدراراً. وأنا قلقة جداً بشأن سفر تانيا، بالأخص وأن زوجها قد سافر إلى ابنته في بيروجوفو. وأراد أن يذهب غداً إلى محطة لازاريفو، والآن أصبح الطريق موحلاً، وسيجد صعوبة في الوصول إلى المحطة. إن تانيا قلقة عندنا بلا زوجها وابنتها، وأنا أشفق عليها كثيراً، بالرغم من أنها كانت في الفترة الأخيرة غالباً ما تكدرني بمواقفها العدائية وإدانتها لي دفاعاً عن أبيها.

يا رب! ما أشد المطر وهمهمة العاصفة الرعدية والرياح وحفيف أوراق الأشجار... لم أستطع النوم...

17 يوليو. في الصباح غادرت ابنتي تانيا. هدأت العاصفة الرعدية. رقدت في وقت متأخر ونمت حتى الساعة 12. ونهضت من الفراش محطمة كلياً، وكان أول ما دار في فكري موضوع يوميات ليف نيقولايفتش. في الليلة الماضية قرأت لتانيا رسالتي الموجهة لتشيرتكوف، الموجودة في هذا الدفتر، وفكرت في قرارة نفسي: لو كان تشيرتكوف يحب ليف نيقولايفتش حقاً لأعطى اليوميات تلبية لطلبي، لدى رؤيته قلقي البالغ، ولما سمح بأن نكابد جميعاً التعاسة بهذه الصورة، كما جرى في الفترة الأخيرة، ولجلب اليوميات برهافة حس الإنسان الطيب والمستقيم (وهذا ما يفتقر إليه كلياً)، ولسلمها بحق ليس لي، بل إلى ليف نيقولايفتش. كلا، لقد كان *امتلاك* الدفاتر *الثمينة*

أعز لديه، طبعاً، من طمأنينة ل. ن.، الذي أرغمته مطالبته الحاسمة فقط بأن يعيد هذا الأبله اليوميات إليه.

ما هو أفضل شيء الآن؟ الآن تعاني الأسرة كلها وخلال أسبوعين، كانت اليوميات خلالهما بمنأى عن التناول، وعرض علي ليف نيقولايفتش، إذا ما أردت، أن لا يرى تشيرتكوف *أبداً*. لقد شن تشيرتكوف معركة سافرة ضدي. وقد حالفني النصر إلى حين من الزمن، ولكنني أقول بصراحة وبصدق، إنني استرجعت اليوميات ودفعت حياتي ثمناً لذلك، وسيحدث الشيء ذاته مستقبلاً. وقد كرهت تشيرتكوف لهذا السبب. لقد ساور ليف نيقولايفتش اليوم القلق لأن تشيرتكوف وجولدينفيزر وبولجاكوف قد غادروا البيت ليلة أمس وسط العاصفة الرعدية الرهيبة والمطر الشديد فانقلبت بهم العربة، وتحطمت، وفكوا الحصانين، وساروا مشياً على الأقدام. وعندما رأيت اضطرابه سألته: «هل ستذهب حقاً على صهوة الجواد إلى تشيرتكوف»؟، فأجابني ل. ن. قائلاً: «إذا كان هذا يزعجك فلن أذهب». ولو أن الأمر كان صعباً لدي، وأنا لا أرغب البتة في أن أكدر شيخي العزيز وأقنعته في الذهاب إلى تشيرتكوف. وقد ذهب إلى هناك لوحده، وطبعاً إن جامع المقتنيات النادرة تشيرتكوف، كان يحتاج فقط إلى امتلاك الصور الفوتوغرافية والمخطوطات، وقام عندئذ بالتقاط الصور الفوتوغرافية الملونة لليف نيقولايفتش. وعندما قال لي ل. ن. بأنه سيأتي في المساء، عارضت مجدداً بكل كياني، ثم وافقت طائعة. وطلب ل. ن. من فارفارا ميخايلولفنا الذهاب إلى تشيرتكوف والطلب منه عدم المجيء إلينا في المساء. وفي المساء كنت أتنزه بهدوء مع ليزا أوبولينسكايا وفيروتشكا تولستايا. بينما كان ل. ن. يلعب الشطرنج مع جولدينفيزر، ثم تجول قليلاً، وشرب الشاي وخرج مبكراً. بينما كنت أقف أمام ليوفا الذي يصنع تمثالاً لي بهمة، ومضت الأمور على ما يرام.

علمت اليوم من ليف نيقولايفتش أن اليوميات قد أخفيت في البداية لدى ابنتنا ساشا التي سلمتها لاحقاً بطلب من تشيرتكوف إلى الشاب سيرجيينكو، الذي نقلها بدوره إلى تشيرتكوف في 26 نوفمبر 1909 خفية عني.

يا لها من أفعال سرية دنيئة!أية شبكة من الخداع، وإخفاء الأمور عني! الكذب! ألا تعتبر ابنتي ساشا خائنة؟ أي تظاهر حين أمسك ليف نيقولايفتش

بيدي رداً على سؤالي «أين اليوميات؟» واقتادني إلى ساشا، كما لو أنه لا يعرف من الأمر شيئاً، وربما تعرف ساشا أين اليوميات؟ فأجابت ساشا بدورها إنها لا تعرف، وكذبت. بينما ربما نسي ل. ن. بأنه أرسلها إلى تشيرتكوف.

الجميع حول ليف نيقولايفتش أتقنوا الكذب، والاحتيال بمختلف الأشكال، والتملص وتدبير الأفعال غير المحمودة! أنا أكره الكذب، وليس عبثاً أن يقال إن الشيطان أب الكذب. ولم يوجد مثل هذا أبداً في أجواء عائلتنا الطاهرة والنيرة، وظهر فقط حين ظهر في بيتنا نفوذ تشيرتكوف الشيطاني. وليس عبثاً أن ينبثق لقبه من كلمة: черт (أي الشيطان).

توجد في قائمة الأشخاص الذين لا يحبون تشيرتكوف وأبلغوني بذلك شخصياً:

م. أ. شميدت
ن. ف. دافيدوف
م. س. سوخوتين
ن. ن. جي
أ. أ. جوربونوف
مستر Maude

ي. ف. يونج. وكذلك جميع أبنائي وأنا نفسي. وكذلك ب. ي. بيريوكوف وزوسيا ستاخوفتش. ولربما عدد آخر كبير ممن لا أعرفهم.

قال لي ليوفا اليوم إن تشيرتكوف ذكر أمام الجميع لدى نزوله السلالم بشأني: أية امرأة هذه التي تمارس طول الحياة *قتل* زوجها. إنه بث نفسه النتانة في بيتنا، التي نختنق جميعاً بسببها، وخلافاً للعدل ورأي الجميع، الذين اعترفوا بمحبتي ورعايتي لحياة زوجي، يتهمني هذا السيد بأنني *أقتله*. إنه يرغو ويزبد لكوني قد أدركت حقيقته وكشفت نفاقه، ويريد أن ينتقم مني. لكنني لا أخاف ذلك.

18 يوليو. شعرت منذ الصباح بالضيق الشديد والكآبة والقتامة، وأردت أن أنتحب. وفكرت فيما إذا كان ليف نيقولايفتش يخفي يومياته بإمعان هكذا عني بالذات، وهو ما لم يحدث من قبل أبداً، فهذا لأنها تتضمن أموراً لا بد

من إخفائها عني بالذات. فقد كانت لدى ساشا ومن ثم لدى تشيرتكوف، والآن وضعت عليها الأقفال في البنك. وبعد أن عذبتني الشكوك والشبهات طوال الليل وطوال النهار، حدثت ليف نيقولايفتش عن هواجسي وشبهاتي بأنه خانني، وقد دون ذلك، بهذا الشكل أو ذاك، في يومياته والآن يخفي الأمر ويخبئه. فراح يؤكد لي أن هذا غير صحيح، وأنه لم يمارس الخيانة أبداً. فلماذا الإخفاء إذن؟ هل سببه الغيظ والعناد؟ إذا ما كانت هناك أفكار جيدة كثيرة، فإنها تجلب النفع فحسب... ولا، إذا ما تم إخفاؤها، فلا بد أن يكون فيها شيء *سيئ ما*. وأنا لا *أخفي* أي شيء، لا اليوميات ولا «المذكرات» وليقرأها العالم بأسرها ويحكم. أنا لا أهتم بحكم الناس! أنا أعرف حياتي النقية، وأعرف ما أقرأه الآن، أي كتاب، وجميع الأحاسيس وجوهر طبيعة وشخصية زوجي نفسها، فأحزن وأغتم! لكنني ما زلت *مرتبطة* به، ويا للأسف. وأعدت لذاكرة ليف نيقولايفتش كيف كتب تشيرتكوف قصاصة حول إعادة اليوميات إلى ليف نيقولايفتش بعد أن ينهي العمل فيها، وقد أراد ل. ن. أيضاً كتابة *تعهد بإعطائها* لي، لكنه غيّر فكره. فقال: «أية تعهدات إلى زوجتي، لقد وعدت بتسليمها وسأسلمها». لكنه عبس وأكد: «أنا لم أقل هذا». فقلت «نعم، لكن هذا مدون في يومياتي يوم 1 يوليو، وتشيرتكوف شاهد على ذلك».

عندئذ أوقف ل. ن. الحديث فوراً، وصرخ قائلاً: «أنا أعطيت كل شيء: الممتلكات والمؤلفات ولم أبق لنفسي سوى اليوميات، وهذه يجب أن أعطيها... لقد كتبت لك إنني سأرحل، سأرحل، إذا ما عذبتني».

ما معني: *أعطيت كل شيء*؟ إنه لم يعط حقوق نشر المؤلفات، بينما ألقى على كاهلي أنا المرأة مهمة *إدارة* الممتلكات كلها، وتدبير شؤون المعيشة البيتية، التي يحيا فيها ويتمتع بجميع خيراتها أكثر مني. ولدي فقط العمل الشاق الدائم. والمسألة تكمن في عدم إعطائي اليوميات: لتبق لدى ل. ن. حتى نهاية حياته. ويسيئني ويؤلمني شيء واحد هو *إخفاؤها* بعيداً عني تارة لدى ساشا وسيرجيينكو وتارة لدى تشيرتكوف، في كل مكان ولدى الجميع، *وفقط* يجب ألا *تتجاسر* زوجته على إلقاء نظرة عليها...

خرجنا بعد الغداء للتنزه في غابة أشجار الشوح: الضيف دونايف وليف نيقولايفتش وليوفا وليزونكا وأنا. القيظ شديد طوال اليوم. كتبت إلى: ي.

ف. يونج وماسلوفا وكاتيا وبيلسكايا. أرسلت رسالة إلى موظف المزرعة مع تحويل بمبلغ 195 روبلاً.

جاءت نيقولايفا وكذلك تشيرتكوف وجولدينفيزر، وشربنا الشاي في الشرفة. تلوت على ليزونكا بعض التسجيلات القديمة لليف نيقولايفتش، فذهلت من انحراف وفساد ل. ن. في شبابه، وتألمت من كل ما كشفته لها عن عمها الذي كانت تعتبره من القديسين.

من جانب آخر فإنني نضجت في إدراك أمور كثيرة، ويكرهني ل. ن.، ويعتبر الإصرار على إخفاء اليوميات أقرب وسيلة لطعني ومعاقبتي. أوه!ما هذه الروح المسيحية المصطنعة مع الضغينة حيال أقرب الناس بدلاً من الطيبة البسيطة والصراحة النزيهة بلا خوف من أحد!

19 يوليو. لقد حطموا قلبي وعذبوني واستدعوا الطبيبين: نيكيتين وروسوليمو. الأطباء المساكين! إنهم لا يعرفون كيفية علاج إنسان وجهت له الطعنات من كافة الجوانب! لقد أثارت السخط في روحي وكدرت هدوئي قراءة صفحة من اليوميات القديمة، بالصدفة، وكشفت لي الموقف الحالي من تشيرتكوف وسممت قلبي إلى الأبد. في البداية اقترحوا علي العلاج التالي: أن يرحل ليف نيقولايفتش إلى جهة ما، بينما أرحل أنا إلى جهة أخرى. فيذهب هو إلى تانيا، بينما أذهب أنا إلى مكان مجهول. من ثم حين استغرقت في البكاء، وجدت أن هدف جميع المحيطين بي هو إبعادي عن ليف نيقولايفتش، لكنني لم أوافق على ذلك. عندئذ وحين كشف الأطباء عجزهم، أخذوا يقدمون شتى التوصيات: الحمامات والنزهات وعدم معاناة القلق... هذا شيء مضحك فحسب!... ودهش نيكيتين لمشاهدة مدى هزال جسدي. إن السبب يكمن فقط في البلية والقلب المحب الجريح، بينما هم يقولون ارحلي! أي ما هو أكثر إيلاماً من أي شيء آخر.

ذهبت للسباحة، فساءت حالي أكثر. لقد نضبت المياه في نهير فورونكا مثلما نضبت حياتي، والآن بات من الصعب أن أغرق فيه. وكنت قد ذهبت إلى هناك أساساً من أجل معرفة قياس عمقه، وإلى أي درجة يمكن الغوص في مياه فورونكا.

غسلت بالصابون قبعة ليف نيقولايفتش. وذهب إلى أوفسيانينكوفو في عز القيظ، ولم يتناول طعام الغداء، ويبدو متعباً. وكيف لا! ركوب الجواد لمسافة 16 فرستاً في درجة الحرارة 30 درجة فوق الصفر تحت الشمس! وفي المساء لعب الشطرنج مع جولدينفيزر. لم أتحدث معه اليوم كلياً، وأنا أخشى أن يضطرب وكذلك أنا. وقفت أمام ليوفا لصنع التمثال، وكل شيء لديه على ما يرام. قمت بتصحيح المسودات، ولم أرسلها مجدداً، أنا لا أستطيع العمل... الآن الوقت متأخر، يجب الرقاد في الفراش، لكن لا توجد لدي رغبة في النوم...

20 يوليو. هدوء وطمأنينة لليوم الثاني، ولم يأت تشيرتكوف. غادر الطبيبان عند الظهر. هل تم استدعاؤهما على أي حال لكي يشهدا بأنني أصبت بالخبل؟ لم يكن لزيارتهما أي نفع. إذا سارت الأمور كما في هذه الأيام، فأنا سأكون في أتم صحة وعافية. انطلق ل. ن. على صهوة الجواد مع السائس الأبله والطيب القلب فيلكا، ثم جلس المساء كله في الشرفة في الطابق العلوي. وكتب وقرأ شيئاً ما، وكان هادئاً واستجم. جاء جولدينفيزر ولعبا الشطرنج بهدوء بلا ضجيج، وشربنا الشاي جميعاً في الشرفة في الطابق العلوي. أنا أشعر بالرثاء جداً لابني ليوفا. إنه اليوم حزين ومهموم جداً. هل استعاد ما كابده في باريس، وقلق بشأن عدم منحه الورقة من أجل الحصول على جواز السفر الخارجي، أم إنه متوتر الأعصاب وتعب من تعقيدات حياتنا الثقيلة...

ذهبت للسباحة مع ليزا أوبولينسكايا وساشا وفارفارا ميخايلوفنا. ورجعنا من هناك في العربة. الحر شديد لا يطاق، وثمة كميات كبيرة من الفطر الأبيض، ويجري حصاد الشوفان...

طالعت مسودات مجموعة المؤلفات الكاملة باللغة الروسية وسيرة حياة ليف نيقولايفتش التي كتبها مود باللغة الإنجليزية. وقفت أمام ليوفا لصنع تمثالي النصفي.

21 يوليو. أنا أكتب ويتملكني الاضطراب البالغ، والشيء الرئيس أن ليف نيولايفتش يعاني من ألم شديد في الكبد، وسوء الهضم في المعدة بسبب

تأخر إفرازات المرارة، والسبب الرئيس أنني أتعذب جداً لشعوري بالذنب بسبب عدم معافاته. في المساء جاء تشيرتكوف وابنه مجدداً. وكنت أعرف منذ الصباح بأنه سيأتي، وساورني القلق طوال اليوم. لكنني ذهبت للسباحة، وأنهيت تصحيح مسودات سيرة الحياة التي كتبها ل. ن. مود باللغة الإنجليزية، ووقفت مرتين أمام ليوفا، وفرحت لكوني يمكن أن أتمتع بالهدوء.

انطلق ليف نيقولايفتش على متن الجواد يرافقه الطبيب، ومرة أخرى في الحر الشديد، ودل مظهره على التعب، ولم يرغب في تناول طعام الغداء، لكنه تناول الكثير من البازلاء المغلية، بينما تضخم الكبد كثيراً منذ وقت بعيد وصار يؤلمه. في المساء لعب الشطرنج مع جولدينفيزر في شرفة الطابق العلوي. وجاء تشيرتكوف. وحالما سمعت صوت عربته، أصبت برجفة في كل كياني. وقبل هذا تجولت في الحديقة خلال ساعة ونصف، بغية أن أسيطر على أعصابي. إنني لا أطيق هذا الرجل وأسمح له بدخول البيت فقط من أجل ليف نيقولايفتش.

لكنني شعرت بالحزن لأن الجميع يجلسون في الشرفة سوية ومعهم ماريا ألكسندروفنا. إن الجميع يتمتعون بحضور ليف نيقولايفتش، بينما أنا لا أتمتع بذلك، ونحن نعيش الفترة الأخيرة في هذه الدنيا، وأنا لا أستطيع حتى أن أكون معه. ونويت ثلاث مرات الصعود إلى الشرفة واحتساء الشاي وفي نهاية المطاف قرّ عزمي على الذهاب إلى هناك. فماذا حدث؟ كنت مضطربة لدرجة أن الدم تدفق إلى رأسي، واضطرب نبضي، وجاهدت في الوقوف على قدميّ ولم أستطع النظر إلى تشيرتكوف. وحاولت أن أتحدث، فشعرت بأن صوتي ليس صوتي البتة، بل هو صوت غريب ما. بحلق الجميع في. وحاولت المرة تلو المرة تهدئة نفسي وجاهدت قدر استطاعتي أن أتجنب الفضيحة، وألا أكدر ليف نيقولايفتش. يا رب، يا معين! لكنني شعرت بأنني عليلة وتعيسة للغاية. دعني أكابد الغم ألف مرة أكثر من أجل أن يبرأ عزيزي ليوفوتشكا من مرضه وألا يغضب مني... وكان من الممكن ألا يحدث هذا كله لو استجابوا لرغباتي المؤلمة المشروعة ولو جزئياً.

لكنني أسمع الكلمات: «كلا البتة، كلا البتة!». وما هي النتيجة، هل هي أفضل الآن؟ الجميع تعساء، وأنا أتحمل الذنب في كل شيء، وليف

نيقولايفتش عليل. وأبعد تشيرتكوف عن التعامل الطيب معه، واليوميات احتجزت تحت القفل... لكن، كفى. ما *أفظع* الضيق والأسى!

22 يوليو. وضع الطبيب منذ الصباح العلقات الطبية عند الخاصرة بغية ألا يتدفق الدم إلى الرأس. ثم نهضت وأنا أتهادى بعد ليلة السهاد. انطلق ل. ن. على صهوة الجواد برفقة جولدينفيزر، بينما ذهبت ساشا وفارفارا ميخايلوفنا وأولجا مع الأطفال والفنلندية لجمع الفطر والسباحة. فبقيت لوحدي كلياً، وانهمكت في تصحيح المسودات ومراجعة الطبعة الجديدة. أرسلت مسودات التصحيح والمقدمة إلى لابريور والآخرين. ذهب ليوفا على صهوة الجواد إلى تشيفيروفكا حيث يوجد ميشا وأسرته.

في أثناء الغداء دار الحديث حول انزعاجي واستغرابي لكونهم لا يعطوني أي شيء من الأعمال المستنسخة لليف نيقولايفتش، ولو من أجل قراءتها، حيث إن تشيرتكوف يأخذ جميع المخطوطات، فغضب ليف نيقولايفتش، وصرخ بصوت عال، وردد كلاماً غليظاً. فانتحبت مجدداً، وتركت الغداء وذهبت إلى غرفتي في الطابق العلوي. وتذكر فجأة وجاء إليّ، ولكن احتدم الجدل بيننا مرة أخرى. وفي نهاية المطاف دعاني للنزهة معه في الحديقة، وهو ما أثمنه وأحبه دائماً جداً، ويبدو أنه زالت لهجة الكلام المتبادل الغليظة.

جاء تشيرتكوف في أعقاب رسالتي المقتضبة إليه وسماحي له بزيارة ليف نيقولايفتش. أنا أرغب في أن أكون كريمة ومتسامحة معه مقابل جميع فظاظته وإزعاجاته. لقد تغلبت على إرادتي، وجلست مع حفيدتي صونيتشكا لممارسة لعبة الدامة، وألهيت نفسي عن التفكير في تشيرتكوف.

ل. ن. خامل، ويعاني من ألم في الكبد، وفقد الشهية، والنبض سريع. ولا يريد تناول أي شيء. توسلت إليه أن يتناول الراوند، كالعادة في مثل هذه الأحوال، وأن يسمح بوضع لبخة له، لكنه رفض بانزعاج وبإصرار، أما الطبيب فقد ذهب للرقاد في فراشه، من دون أن يفحصه، بالرغم من أنني رجوته أن يفحص ليف نيقولايفتش بإمعان أكثر. علماً أنني المذنبة في اعتلال صحته من جهة، والحر الشديد من جهة أخرى؛ حيث بلغت درجة الحرارة 29 درجة في الظل. ونحن كلينا نعاني من مرض الكبد.

23 يوليو. ساءت صحة ل. ن. كثيراً في الصباح. وبلغت درجة حرارته 37.4، ونبضه سريع، وحالته العامة تتسم بالخمول، وآلام الكبد، والمعدة كل شيء سيئ، كما حدست مسبقاً.

إنه - أي ل. ن. - يقابلني بالاحتجاج المفعم بالغيظ مهما قلت، ومهما نصحت، ومهما كانت معاملتي له ودية. وبدأ هذا كله منذ أن عاش عند تشيرتكوف. وقد جاء إلينا مساء اليوم مجدداً. وكان ل. ن. قد طلب من ساشا التي ذهبت إلى تيلياتينكي بأن تدعوه، وكذلك تدعو جولدينفيزر لغرض التسلية. وأنا ولجت غرفة ل. ن. أيضاً ولم أسمح بالحديث tête à tête، وجلست هناك بإصرار، حتى رأى تشيرتكوف بأنني لن أخرج بأي حال من الأحوال ولن أتركه على انفراد مع ل. ن.، وفي نهاية المطاف انصرف بعد أن قال لليف نيقولايفتش أنه جاء فقط من أجل النظر إليه، ما دام حياً يرزق، وأضفت «ما دمت لم أقتله بعد»، في تلميح إلى أقواله «أنا لا أفهم هذه المرأة التي تمارس الحياة كلها في اغتيال زوجها».

كما كانت لدي فرحة اليوم فقد جاء أحبائي الأحفاد. في البداية صونيتشكا وإيليوشا مع أمهما، وفي وقت لاحق جاء ليوفا ولينا وميشا من تشيفيروفكا بصحبة الحفيدين: فانتشكا وتانيتشكا. والأربعة كلهم أطفال ظرفاء ولطيفون. لكنني إذ أرعى ل. ن. - والإصغاء إلى ما يفعله، لم أستطع البقاء مع الأحفاد فترة طويلة، وهو ما آسف عليه جداً.

عندما علمت بأن تشيرتكوف سيأتي إلينا مجدداً، اهتز كياني كله، وذرفت الدموع. بينما بصقت ساشا المارة في المكان بصوت عال، وصرخت في وجهي بحدة وبغلظة: «تفو، الشيطان وحده يعرف ما هذا، كم سئمت هذه الأحداث!».

يا لها من كائن جلف. أنا لا أفهم فحسب كيف يمكنها أن تهين بهذا الشكل أمها، التي لم تنبس ببنت شفة لها. ويا لسحنتها البشعة والقانية.

حقاً، إن المرء يتمنى الموت في وضع الشر والخداع والكراهية هذا، وغياب حتى التعامل المهذب مع شخص قريب، لم يجلب لها أي أذى.

قرأت مسرحية من فصلين كتبها ل. ن. منذ أن كان في كوتشيتي، عندما علم أن ديموتشكا تشيرتكوف قدم مسرحية «أول خمار» مع رفاقه الموجيك

في تيلياتينكي، ورغب في أن يكتب مسرحية أخرى لهم. والمسرحية ما زالت بشكل مسودة، وفيها أخطاء وعلى سبيل المثال أن تقول المرأة الشابة عن نفسها: «أعمل في الشواء والطبخ...». بينما تقف عند الموقد المرأة العجوز التي هي إحدى شخصيات المسرحية. وثمة خطأ آخر فقد أخفت المرأة النقود والمشتريات في حجرة الخزن، وفيما بعد تتم سرقتها من النافذة. وعموماً فإن هذه المسرحيات ما زالت غير مكتملة. ولو أن فكرتها جيدة وفي بعض الأماكن لا بأس بها. إنها تذكرني دوماً بمسرحية «سلطان الظلام».

وأحيانا كنت أعيد استنساخ النص كله، وأنبه ل. ن. إلى جميع الأخطاء وجميع الأماكن غير المناسبة، وكنا نصححها. والآن يجري استنساخ أعماله بدقة، كما تفعل الآلة الكتابة.

24 يوليو. جاء في المساء مجدداً تشيرتكوف وتهامس معه ل. ن.، وأنا أصغيت إليهما. فسأل ليف نيقولايفتش: «هل أنت موافق على ما كتبته لك؟». فأجابه هذا قائلاً: «بلا ريب، موافق». إنها مؤامرة أخرى. يا رب، يا معين!

عندما توسلت إلى ل. ن. وأنا أذرف الدموع بأن يقول لي عن أي موافقة دار الحديث، بدت على وجهه أمارات الغضب والاغتراب مجدداً، ورفض قول أي شيء بعناد وبحقد وبإصرار. إنه شخص يتعذر فهمه! كابدت لوعة حارة مجدداً، ووضعت مجدداً قارورة الأفيون على الطاولة... وإذا كنت لم أشربه حتى الآن فالسبب هو أنني لا أريد أن أمنحهم، ولاسيما إلى ساشا، بهجة موتي. ولكن كيف يعذبونني! إن الحالة الصحية لليف نيقولايفتش أفضل، وهو يفعل كل شيء من أجل أن يعمر أكثر من بعدي، ويواصل حياته مع تشيرتكوف. كم أود أن أشرب ما في هذه القارورة، وأن أترك لليف نيقولايفتش قصاصة ورق يرد فيها: «أنت حر».

مساء اليوم قال لي ل. ن. بحقد: «لقد قررت اليوم بأنني يجب أن أكون حراً، ولن ألقي بالاً إلى أي شيء». سنرى من سينتصر إذا ما أعلن عليّ الحرب. إن سلاحي هو الموت، وسيكون ذلك انتقامي وأجلب الخزي إليه وإلى تشيرتكوف، لكونهما قضيا علي. إنهم سيقولون: *إنها مجنونة!* ولكن من جعلني أجن؟

سافرت عائلة ميشا ولكن بقيت أولجا والأطفال هنا. يا رب يا معين، أنا كما أعتقد قد اتخذت قراري... أنا ما زلت أشفق على زوجي السابق والحبيب ليوفوتشكا... وأنا أغرق في نشيج حار الآن...

هل أتجرأ على الكتابة عن *الحب* في الوقت الذي يعذبون فيه أقرب شخص إليه – أي زوجته!

كان بوسع زوجي أن ينقذني، لكنه لا يريد ذلك...

25 يوليو. بعد أن عرفت بوجود اتفاق سري بين ل. ن. وتشيرتكوف حول مسألة ما، دبرت ضدي وضد العائلة، وهو ما اقتنعت به كل القناعة، أخذت، طبعاً، أكابد لوعة حارة. لم يكن هناك سر بيني وبين زوجي طوال حياتي معه. ألا تعتبر مهينة للزوجة المحبة هذه الـ apartés[1] والأسرار والمؤامرات... على أي حال إن جميع هذه الأوامر التي يصدرها ل. ن. حالياً تولد صراعاً عنيفاً بين الأبناء وهذا المنافق الماكر والشرير تشيرتكوف. ما أشد لوعة الحزن والأسى. ولماذا يترك ليف نيقولافتش بعد موته مثل هذه الذكرى ومثل هذا الشر! إنهم يتحدثون ويكتبون عن *محبة ما*، لكن جميع الوثائق تنكر الحياة كلها، وكل ما أنكره ل. ن. هو مجرد أقوال: الملكية، لقد أبقى حق المؤلف له في حياته، الوثائق، إنه كتب في الصحف حول التخلي عن الحقوق في المؤلفات المنشورة منذ عام 1881، بينما الآن أودع يومياته في بنك الدولة مقابل *وصل استلام*، وكتب سوية مع تشيرتكوف، وأعتقد، مع بولجاكوف، وسلمه اليوم صفحات كبيرة الحجم، إنها في أغلب الظن الوصية البيتية حول حرمان العائلة من حقوق نشر مؤلفاته بعد وفاته. وأنكر امتلاك النقود، بينما لديه الآن على الطاولة دائماً بضع مئات من الروبلات من أجل توزيعها. كما أنكر *الرحلات*، بينما سافر في هذا الصيف ثلاث مرات، فقد سافر مرتين في السنة إلى ابنته تانيا في كوتشيتي، ومرتين إلى تشيركوف في كريكشينو وميشيرسكويه، ومرة إلى ابنه سريوجا سوية معي، وهو يستعد للسفر إلى كوتشيتي مرة أخرى.

كابدت لوعة الحزن في مساء 24 يوليو، فجلست إلى طاولة الكتابة في

---

1 – الأحاديث الانفرادية (بالفرنسية). (المترجم)

غرفتي وبقيت جالسة هناك بملابس خفيفة *طوال الليل* دون أن يغمض لي جفن. ما أكثر ما كابدت في تلك الليلة من لوعة ومرارة! وفي الساعة الخامسة صباحاً شعرت بألم في رأسي وبضيق في القلب والصدر، لدرجة أنني رغبت أن أخرج إلى الهواء الطلق. كان الجو بارداً جداً وهطل المطر. وفجأة هرعت من الغرفة المجاورة كنتي أولجا (زوجة أندريوشا سابقاً). وأمسكت بي بقبضة قوية، وقالت: «إلى أين أنت ذاهبة؟ لقد راودتك أفكار غير طيبة، ولن أتركك الآن لوحدك!». وجلست هذه المرأة الطيبة واللطيفة والحانية معي، ولم تنم المسكينة، وعملت جهدها من أجل تهدئتي ومواساتي... جمدت من البرد، وانتقلت للجلوس على الطابورية[1]، وغفوت وأنا في وضع الجلوس، وقالت أولجا إنني أطلقت نشيجاً حاراً شاكياً في نومي. وفي الصباح قررت أن أغادر البيت، ولو لفترة من الزمن. أولاً، لن أرى تشيرتكوف ولن أنزعج بحضوره ومؤامراته السرية وكل نذالته وعدم معاناة الكرب لهذا السبب. وثانياً، للاستجمام فحسب، وإعطاء ليف نيقولايفتش الفرصة للراحة من وجودي ومما أعانيه في أعماق روحي من كرب. إلى أين سأذهب للعيش، لم أقرر بعد: حزمت الحقيبة، وأخذت النقود، والهوية الشخصية، والأعمال الكتابية، وفكرت إما في البقاء في تولا، في فندق، وإما السفر إلى بيتنا في موسكو.

ذهبت إلى تولا بواسطة الجياد التي أرسلت لنقل عائلة أندريوشا. وفي محطة القطار دعوته وقررت مرافقتهم إلى ياسنايا، والسفر إلى موسكو في المساء. لكن أندريوشا الذي أدرك فوراً حالتي، بقي معي وقرر بحزم وثبات ألا يتركني لحظة واحدة. ما العمل، ووافقت وقررت العودة إلى ياسنايا، ولو أنني في الطريق كنت غالباً ما أجفل فزعاً حين أتذكر كل ما كابدته هناك في هذا الوقت، ولدى التفكير في أن الأمور ستعود إلى مجراها السابق، عوداً على بدء.

التنقل جيئة وذهاباً، والاضطراب لقد أضناني هذا كله جداً، وحالما وطأت قدماي السلم رقدت خشية لقاء زوجي وسخريته. لكن حدث بشكل مغاير تماماً وغير متوقع وبعث بهجتي. فقد جاء إليّ وعلى أساريره أمارات الطيبة والتأثر، وراح يشكرني والدموع تترقرق من عينيه لكوني رجعت.

---

1 – Tabouret: كلمة فرنسية تعني كرسي بلا ظهر ولا ذراعين. (الناشر)

وقال وقد أجهش في البكاء: لقد أحسست بأنني لا أستطيع قطعاً العيش بدونك، وبدا كما لو أنني تقوضت وأصابني الانهيار. نحن قريبان جداً من أحدنا الآخر، واندمجت جداً في العيش معك. أنا ممتن لك، يا روحي، لأنك رجعت، وشكراً لك...

واحتضنني وقبلني وجذبني إلى صدره النحيل، وأنا بكيت أيضاً، وقلت له بأنني أحبه بكل حرارة وقوة، كما في أيام الشباب، وأشعر بالسعادة لدى التماس معه، والاندماج معه روحياً، ورجوته أن يعاملني ببساطة أكثر، وبثقة أكبر، وبصراحة أشد، والحيلولة دون تسرب الريبة في نفسي والخوف من أمر ما...لكنني حينما تطرقت إلى موضوع مؤامرته مع تشيرتكوف تلعثم فوراً واكتسب وجهه مسحة الجد ورفض التحدث حول الموضوع، من دون أن ينكر وجود السر في مؤامرتهما. وعموماً بدا غريباً، وغالباً ما كان لا يدرك ما يقول، وتملكه الخوف لدى ذكر اسم تشيرتكوف.

ولكنني، والحمد لله، تحسست مجدداً فؤاده وحبه. ودع الأبناء ولست أنا يذودون عن حقوقهم بعد وفاة زوجي العزيز.

مرت الأمسية بمودة وبهدوء في العائلة، - والحمد لله - من دون تشيرتكوف. وأنا ول. ن. بصحة جيدة.

26 يوليو. ورد في الصباح خبر محزن حول مرض ابنتي تانيا، التي أصبحت طريحة الفراش. إنها تدعو ليف نيقولايفتش، ولست أنا، بإصرار إلى المجيء إلى كوتشيتي، وأخشى بأنه سيذهب إليها وعندئذ سأرافقه. قال طبيبنا إن مرض الزحار شديد، وأنا أخشى بأن تصيب عدواه ليف نيقولايفتش الضعيف البنية والذي يعاني من مرض الكبد والأمعاء.

أبنائي طيبون جداً، ويتضامنون مع بعضهم البعض ومعي. بينما ساشا ترنو إليّ بحنق، كما لو أنني مذنبة في كل شيء. وبعد أن وجهت لي غليظ القول، وكادت أن تبصق في وجهي لم تتحرج من إبداء الرغبة الشديدة في إبعاد أبيها عني، لكنني طبعاً سأترك كل شيء وألتحق به.

وقفت فترة طويلة أمام ليوفا لصنع تمثالي النصفي، ويمضي عمله قدماً إلى الأمام. الجو اليوم دافئ ورطب وسبحت الغيوم، لكن لم يهطل المطر.

يتواصل حصاد الشوفان، بينما لم ينقل الجوادار الباقي في مكانه من دون أن يلف في أكداس، لكن جرى نقل بعضه. أضع طيه رسالتي إلى زوجي التي كتبتها قبيل السفر، والمقالة التي أعددتها ولم أرسلها إلى الصحف.

27 يوليو. صباحاً. لازمني السهاد مجدداً طوال الليل. قلبي يخزني ويخزني، ويتواصل عذاب المجهول فيما يخص المؤامرة مع تشيرتكوف وورقة ما وقعها ليف نيقولايفتش يوم أمس. (يبدو أنها ملحقة بالوصية التي أعدها تشيرتكوف ووقعها ليف نيقولايفتش – دونت هذه الملاحظة لاحقاً). وهذه الورقة عبارة أن الانتقام مني بسبب موقفي من اليوميات وتشيرتكوف. أيها العجوز المسكين! ماذا يعد لذكراه بعد الوفاة؟! إن الورثة لن يتنازلوا عن *أي شيء* لتشيرتكوف. وسيعترضون على كل شيء إنهم جميعاً يكرهون تشيرتكوف، ويرون نفوذه الماكر والخبيث. لقد تبين أن *اللاعنف* كلمة جوفاء.

في مساء 27 يوليو أنكر بولجاكوف مشاركته في إعداد الأوراق وتواقيع ليف نيقولايفتش. ربما الأمر كذلك! فهذا كله غير مفهوم. وعندما سألت ابنتي ساشا عما تعرفه حول الوصية وورقة أبيها، وعن وجود مفاوضات سرية لدى ل. ن. مع تشيرتكوف، أجابت كالعادة بغلاظة وبحنق إنها لن تقول شيئاً. ألا يشكل إهانة إلى *الزوجة* وجود أسرار لدى ابنتها وتشيرتكوف، وإخفاء كل شيء عني؟

حالما استيقظت حملت سلة فانتيشكا وذهبت إلى الغابات. وكان أول ما رأيته هناك هو ل. ن. جالساً فوق مقعده ومنهمكاً في كتابة شيء ما. فدهش لدى رؤيتي، وبدا كما لو أنه ذعر فأخفى الورقة. راودتني الريبة في أنه كتب شيئاً ما إلى تشيرتكوف.

تجولت حوالي ساعتين ونصف، ما أروع الطبيعة بلا بشر ماكرين وحانقين. كانت البلهاء باراشا ترعى العجول، مرحة، وطيبة، وجمعت وجلبت لي عدة فطرات لا تصلح للأكل، ولكنها فعلت ذلك بكل طيبة! وتبادل اثنان من الرعاة التحية معي بلطف واقتادا ماشيتنا بمحاذاتي. تطلعت إلى تعبير عيون البقر واقتنعت بأنها *طبيعية* فقط وبلا روح.

تجول صبيان يجمعون الفطر، إنهم مرحون، وبلا مكر. وفي الجرن،

عند منصة الدراسة، جلست الفتيات العاملات وحراس بساتين التفاح لتناول طعام الغداء. وبدت في الجميع أسارير الحبور والمرح، لا توجد لديهم أية أفكار مبطنة وأوراق ومؤامرات مع الحمقى الماكرين من أمثال تشيرتكوف. كل شيء بسيط وصريح وواضح وبهيج! يجب الاندماج مع الطبيعة والشعب، سيكون من الأسهل (من دون) هذا اللاعنف الزائف لعفونة حياتنا.

أصبح التعامل مع ليف نيقولايفتش يشوبه الصمت والبرودة مجدداً. رقدت في الفراش بعد الغداء ونمت حوالي ساعة ونصف. عاودني صفاء الذهن واستطعت بعد الغداء معالجة موضوع النشر. فبعثت إلى ستاخوفتش مقالات ورسالة، كما بعثت إلى المطبعة المسودات. وبعد الظهر وقفت أمام ليوفا لصنع التمثال. هبت عاصفة رعدية شديدة وهطل مطر غزير، مما يفسد محاصيل الحبوب. انطلق ل. ن. بتروفتش على صهوة الجواد مع دوشان، وتعرضا للمطر. ثم مارس ليف نيقولايفتش لعبة الشطرنج مع جولدينفيزر وفي وقت لاحق استمع إلى عزف ابننا سريوجا (عزف بولونيز شوبان، ومقطوعات لشومان و«أناشيد اسكتلندية» ومازوركا لشوبان). وكان الجو بهيجاً جداً. أنا لا أرى ساشا تقريباً، فهي غالباً ما تلازم غرفتها، وتشهر بي مع كل شخص من وجهة نظرها، وفي المساء تدون يومياتها، وكذلك تصور الأمور من وجهة نظرها الشخصية غير الودية.

جلست حتى الساعة 12 ليلاً مع سريوجا ورويت له كل ما جرى لنا خلال الفترة الماضية. وأراد إدانتي مثل الجميع طوال الوقت، وحين ينبح كلب ما نحو شخص ما، ويهجم عليه يقوم القطيع كله بتمزيق الضحية. وهذا ما يحدث لي. والجميع يصبون إلى إحلال الفرقة بيني وبين ليف نيقولايفتش. لكنه لا *يفلحون* في ذلك.

28 يوليو. جاءت زوسيا ستاخوفتش. وأصرت على أن أحدثها عن كل ما جرى لنا خلال تلك الفترة. فرويت لها جميع التفاصيل، وأدانتني لكوني ألححت جداً في طلب يوميات ليف نيقولايفتش، إلا أنها فتاة وبالرغم من ذكائها لن تفهم أبداً الصلة بين الزوج والزوجة بعد 48 عاماً من الحياة الزوجية.

أشعر بالضجر حين أتسكع بلا عمل، ويزداد ضجري حين أقف أمام ليوفا لصنع التمثال. إنه يتنرفز باستمرار ويصرخ: «اصمتي، اصمتي»، حالما تبدر مني كلمة، وأخذت أشعر بالضيق من الوقوف أمامه بلا نهاية. اليوم وقفت حوالي ساعة ونصف. أنا أحب الآن الحياة الهادئة، وممارسة الأعمال المفيدة، والحياة الودية بلا ضيوف ثقلاء، وأحياناً الضيوف المقربين من الناس الظريفين اللطيفين الذين يزورونا فقط عن محبة، وليس لتحقيق مآرب ما.

اعتكف ل. ن. في غرفته في المساء بعد أن لعب الشطرنج مع جولدينفيزر وشرب الشاي مع العسل، وبدا لي حزيناً.

فذهبت إليه وقلت أنه إذا ما كان متكدراً لكونه لا يرى تشيرتكوف، فأنا أشفق عليه، ودعه يرسل في طلبه للمجيء إلينا. «أنا لست متكدراً البتة، أؤكد لك ذلك! أنا هادئ، ومسرور جداً، ولا أحتاج إلى تشيرتكوف، ويهمني فقط أن تكون بيننا محبة، وأن تكوني هادئة».

كنت سعيدة جداً، حيث زالت الشكوك من روحي والشعور بأنني لست سبب الفراق بين ليوفوتشكا وتشيرتكوف، وبدا أنه نفسه مسرور لتخلصه من ضغوط تشيرتكوف الدنيئة عليه. وهكذا تبادلنا العناق بمودة وحب وذرفنا الدموع كالماضي، وغادرته وقد غمرت روحي السعادة.

الآن، الوقت ليلاً. إنه نائم. وبودي أن أتطلع إلى وجهه الوسيم العجوز والمحبوب لدي على مدى أعوام كثيرة والذي درسته بكل التفاصيل. لكننا لسنا نعيش سوية، نحن نعيش في غرفتين منفصلتين عبر الممر، وأنا أصغي إلى أنفاسه طوال الليل.

كلا، أيها السيد تشيرتكوف، أنا لن أخلي أكثر سبيل ليف نيقولايفتش من قبضة يدي، ولن أتنازل عنه لك. وسأعمل كل ما في وسعي من أجل أن ينفر من تشيرتكوف وألا يكون له حضور في بيتي أبداً.

في المساء قرأ لنا ليف نيقولايفتش بصوت عال قصة ميل الذكية «Le repos hebdomadaire» التي أعجبته كثيراً، وبداية قصة «Le secret».

29 يوليو. فاحت من حياتنا نسائم السعادة الهادئة الماضية، وانتظمت الحياة. والحمد لله! ولم يزرنا تشيرتكوف لليوم الخامس، كما لم يذهب ل.

ن. إليه. لكن حين تراودني الذكريات عنه واحتمال التقارب بينهما مجدداً، ينبجس شيء ما من أعماق الروح، ويرغي ويزبد هناك ويعذبني بشكل مؤلم. حسناً، لتسد الراحة الآن.

إن زوسيا ستاخوفتش تجلب الكثير من الحيوية وهي ظريفة جداً. تجول ل. ن. على صهوة الجواد، لكن المطر مستمر. انهمكت في تصحيح المسودات وأعجبتني رواية «القوزاق». بينما تبدو القصص القصيرة الجديدة قياساً بها هزيلة وضعيفة جداً!

كتبت الرسائل: إلى ابنتي تانيا وبنات الأخـوات والإخـوان: ليزا أوبولينسكايا وفيرا ناجورنايا وماروسيا ماكلاكوفا. وبعد الغداء جاء نيقولايف، وتحدث ل. ن. معه حول هنري جورج وحول *العدالة*. وسمعت بعض أطراف حديثهما الذي يبدو أنه قد أضنى ل. ن. وتحدثت زوسيا ستاخوفتش بحيوية وبمرح عن بوشكين، وعما طالعته، كما تحدثت عن أشعاره. بعد ذلك زاولوا لعبة «الفينت». وأرادت ساشا إبعادي عن اللعب، ولكن حينما تناولت أوراق اللعب بحزم أيضاً، قطبت سحنتها وخرجت. وساد المرح حين ربحنا أنا ول. ن. الشوط بصورة ساحقة بلا أوراق فائزة. أنا لا أحب أوراق اللعب، لكن الكآبة تتملكني حين أبقى وحيدة، وحين يجلس جميع المقربين مني وراء طاولة اللعب، بجذل ومرح. مضى اليوم بسلام بلا تشيرتكوف. وصحة ل. ن. اليوم أفضل وهو أكثر نشاطاً.

30 يوليو. لا أجد ما أعمله طوال اليوم: هرج ومرج، ومشاغل مضجرة تتعلق بالطعام، وتدبير أمور الضيوف، وحصاد الجوادار، وإصلاح القبو، وهكذا دواليك، وأجد في هذا كله الملامات والإدانة، واتهامي بكوني ذات *نزعة مادية*.

وقفت طوال ساعة أمام ليوفا لصنع التمثال، ثم خرجت لوحدي لجمع الفطر، وتجولت طوال ساعتين، ولم أجد الفطر، لكن الوحدة طيبة والطبيعة جميلة.

استضفنا عائلة ب. أي. بيريوكوف المؤلفة من خمسة أشخاص، ويبدو أن وجودها ثقيل الوطأة، فالأطفال يكثرون من الصراخ وغير جذابين البتة.

وينفطر رأسي الضعيف بالضجيج والصراخ وصوت الحاكي وقهقهة ساشا العالية، وعندما جلسوا في المساء للعب الورق، وكان هذا بمثابة راحة لرأسي وعيني، تم إبعادي عن اللعب. وأصبحت كالعالة على الغير أصب الشاي للجميع، أما الشابة الغريبة فارفارا ميخايلوفنا التي وفرنا لها المأوى فقد جلست، طبعاً، إلى طاولة اللعب، الأمر الذي أثار ابتهاج ساشا كثيراً. لكن ل. ن. المرهف الحس أدرك بأنني تأثرت فسألني حين هممت بالانصراف، بغية ألا أذرف الدموع: «إلى أين أنت ذاهبة؟» قلت: «إلى غرفتي».

حقاً! إنني ابتعدت كثيراً عن الآخرين في حياتي كلها، والآن أريد اتباع نهج آخر، ولا أريد أن أحزن وأتكدر بل أن أتمتع بكل لذائذ الحياة، فأتزلج، وألعب بالورق، وأذهب إلى أي الى كل مكان يذهب إليه ل. ن.

رحلت زوسيا ستاخوفتش. والآن، أصبح لسان حالي إزاء الضيوف هو: ارحلوا جميعاً! لقد تعبت، وأشعر بالمرض، وسئمت من خدمة الجميع، والعناية بالجميع، - بينما ألقى مقابل هذا كله - الإدانة. إن زوسيا أفضل من الآخرين، إنها تبعث الحيوية في الجميع، وتشارك في كل الأمور.

انطلق ليف نيقولايفتش على صهوة الجواد إلى أوفسيانينكوفو، وسلم إلى ا. ا. جوربونوف مسودات الكراريس الصغيرة التي تباع بكوبيكات. الجو منعش، ودرجة الحرارة في المساء 6 فوق الصفر.

31 يوليو. ما أصعب التحول من تصحيح المسودات إلى إعداد طعام الغذاء وشراء الجوادار، ثم مطالعة رسائل ل. ن. وفي الختام تدوين يومياتي. سعداء أولئك الذين لديهم وقت *للاستجمام*، فهم يستطيعون أن يركزوا الحياة كلها على شيء معين واحد ومجرد.

لقد ذهلت لدى قراءة رسائل ل. ن. إلى مختلف الأشخاص بسبب عدم صدقه. وعلى سبيل المثال، فقد كان غالباً ما يكتب بمحبة مزعومة إلى اليهودي مولوتشنيكوف - العامل في نيجني نوفجورود. بينما تذكرت مع كاتيا اليوم أن ليف نيقولايفتش قال: «أنا أسعى جهدي إلى إبداء المودة لمولوتشنيكوف لأنني أجد مشقة في ذلك. إنه شخص كريه بالنسبة لي، ويجب علي أن أبذل الجهد بغية التواصل معه». وكتب ل. ن. أيضاً إلى

زوجة مولوتشنيكوف التي لم يرها في حياته أبداً. إنه يفعل كل هذا لأن مولوتشنيكوف دخل السجن بتهمة توزيعه كتب تولستوي، وقيل لي إن مولوتشنيكوف ثوري متشدد فحسب.

كما أدهشني في الرسائل التنويه في غالب الأحيان إلى «أن الحياة التي أحياها صعبة، وسط الترف وبالإكراه رغم أنفي...». من يحتاج إلى هذا الترف غير ليف نيقولايفتش نفسه؟ الدكتور من أجل صحته ورعايته، آلتا طابعة وكاتبتا طابعة من أجل استنساخ أعمال ليف نيقولايفتش، وبولجاكوف للمراسلات، وإيليا فاسيليفتش الخادم من أجل العناية بالشيخ الضعيف. طباخ جيد من أجل المعدة الضعيفة لليف نيقولايفتش.

وهناك صعوبة كسب المال وإدارة الضيعة وطبع الكتب، هذا العبء كله يقع على عاتقي، بغية أن أوفر لليف نيقولايفتش الهدوء والراحة والاستجمام من أجل القيام بعمله. لو أجهد أحد ما نفسه في الإلمام *بحياتي* لرأى كل إنسان نزيه بأنني لا أحتاج شخصياً إلى أي شيء. أنا أتناول الطعام مرة واحدة في اليوم، ولا أذهب إلى أي مكان، وتخدمني فتاة في سن 18 عاماً، وأرتدي الآن الملابس العتيقة. فأين ضغط الترف هذا، الذي يزعم بأنني أصبو إليه؟ ما أبشع ظلم الناس! دع الحقيقة المقدسة الواردة في هذا الكتاب باقية بلا ضياع ولتوضح للناس ما يجري إخفاؤه الآن.

جاء الزوجان لوديشينسكي والقنصل الروسي في الهند الذي لا يمثل أي شيء ذي أهمية. وكان الزوجان لوديشينسكي قد قاما برحلات كثيرة زارا في خلالها الهند ودرسا الأديان. إنهما يتسمان بالحيوية والجاذبية.

أرسلت تصحيح مسودات المقدمات، ووقفت كموديل لنحت تمثالي، وانشغلت قليلاً في إعداد المؤلفات للنشر. سافر أندريوشا. ربطتني وشائج ودية مع زوج لينوتشكا، وكان لطيفاً في الصباح. ساشا وفارفارا ميخايلوفنا عبوستان بصورة منفرة. فارفارا ميخايلوفنا انشغلت بساشا ولصقت بها وحتى لا تصب الشاي وتترك هذا الأمر لي. ينبغي التخلي عنها وإيجاد مساعدة نافعة لي أكثر، والشيء الرئيس أن تقرأ لي بصوت عال. تغيرت أحوال الجو. بلغت درجة الحرارة في المساء 9 درجات فوق الصفر.

1 أغسطس. أشعر منذ صباح اليوم بوعكة مرة أخرى، فهناك ما يبعث على اضطرابي وعذابي. ل. ن. صامت وبارد، ويعاني من الشوق إلى معبوده. وطفقت أفكر فيما إذا سأصبر بهدوء لدى رؤية تشيرتكوف، أعتقد بأنني لن أستطيع ذلك، ولن أستطيع...

رتبت الكتب والصحف الروسية والأجنبية. الدم يتدفق إلى رأسي وأشعر بالضيق...

حسناً أن انشغلت مع بيريوكوف في إعداد الكتب للطبع، وساعدني لحد كبير بنصائحه وإرشاداته. في المساء قرأت لأبناء بيريوكوف حكاياتي للأطفال.

جاء إلى ليف نيقولايفتش فلاحونا الذين طلبنا منهم إبلاغنا عن أكثرهم فقراً من أجل أن نوزع عليهم الجوادرا لغرض البذار من الأموال التي أرسلها مود لغرض مساعدة الفقراء. تحدث الفلاحون مع ل. ن. ووعدوا بإعداد قوائم بأسماء الفقراء. وذكر لي اسمي فلاحين اثنين، بينما لم يذكر اسم الثالث، إنه في أغلب الظن تيموفي ابنه من الفلاحة. (المقصود بالأمر ألكسي جيدكوف)[1].

في الليل قرأت البخت بواسطة أوراق اللعب. فتبين أن ل. ن. سيبقى مع امرأة شابة (ساشا) وملك الديناري (تشيرتكوف) في المحبة والزفاف والمسرات (جميع الأوراق السباتي). بينما ظهرت لي ورقة الموت مباشرة (جاك البستوني وتسعة)، وفي القلب الشيخ (الملك البستوني) أو الشرير: جميع العشرات الأربع تحقيق الرغبات، ورغبتي هي الموت، ولو أنني لم أرغب بالتنازل إلى تشيرتكوف حتى بعد الموت. لا بد أن الجميع سيبتهجون ويفرحون لموتي! لقد وجهت الضربة الأولى إليّ بدقة، وهذه الضربة تركت مفعولها فوراً. *سأموت بنتيجة الآلام التي كابدتها خلال هذه الفترة.*

2 أغسطس. إن كتابة اليوميات بالنسبة لليف نيقولايفتش أمر لم يعد له أية أهمية منذ وقت بعيد. إن يومياته وحياته مع إظهار الحركات الطيبة والسيئة لروحه هما شيئان مختلفان تماماً. و*تدون* اليوميات الآن من أجل السيد

1 – أضيفت الملاحظة في وقت لاحق.

تشيرتكوف، الذي لا يلتقيه الآن، لكنني أعتقد بموجب مختلف المعطيات أنه يتبادل معه الرسائل، وفي أغلب الظن، يسلم الرسائل إليه بولجاكوف وجولدينفيزر اللذان يزورانه يومياً.

عندما كان تشيرتكوف هنا في آخر مرة سأله ليف نيقولايفتش «هل استلمت الرسالة وهل توافق عليها؟». يا ترى أية دناءة سيبدي السيد تشيرتكوف موافقته عليها؟وإذا ما وضعت زياراته حداً لمراسلاتهما السرية، ليكن ما يكون، وليأت. لكن الأمر سواء فالمراسلات مستمرة حتى مع اللقاءات، ومعنى ذلك، ليكن والأفضل ألا يلتقيا. وتبقى المراسلات فقط، بلا لقاءات. لقد اشتد حب تشيرتكوف هذا لدى ل. ن.، والشيء الرئيس، بعد أن استضافه تشيرتكوف بدوني في الصيف، ويضعف مع هذا لدى الفراق بمرور الزمن.

ذهب ليف نيقولايفتش اليوم *لوحده* على صهوة الجواد إلى كولبنا من أجل فحص الجوادرا المقرر شراؤه من أجل الفلاحين. ولم أستطع عمل شيء، فقلبي كان يخفق بسرعة جنونية، وأصابني الصداع، وخشيت أن يحدد موعداً لتشيرتكوف في مكان ما ويذهبان سوية. وعندئذ أمرت بإعداد عربة الكابريولية وذهبت للقائه. والحمد لله، جاء راكباً لوحده، وتبعه فلاحنا دانيلا كوزلوف الذي التقاه بالصدفة.

الأعمال كثيرة جداً، تصحيح المسودات، وما دام تشيرتكوف يقيم في جوارنا، فأنا لا أستطيع عمل شيء، وأخشى جداً أن تختلط علي الأمور. فأجهدت نفسي بمشقة وذهبت لتناول طعام الغداء، ولكن فيما بعد أصابني دوار ووجع في الرأس، فذهبت إلى غرفتي ورقدت في الفراش. وقد ساعدتني اللصقات واللبخات على الرأس في التخفيف من الأوجاع في الرأس، وغفوت.

كان ل. ن. عطوفاً وطيباً، لكنه حين علم بأنه جاء بولجاكوف حاملاً الرسائل، سألته: «هل وردت رسالة من تشيرتكوف؟» غضب وقال: «نعم، أعتقد أنها وردت، وأنا أتمتع بالحق في تبادل الرسائل مع أي أحد...». ولم أنبس ببنت شفة حول *الحق*. وأضاف ليف نيقولايفتش قائلاً: «لدي معه أعمال كثيرة بشأن إصدار مؤلفاتي ومختلف الكتابات».

حقاً، لو اقتصر الأمر على مثل هذه *الأعمال*، لما كانت هناك حاجة إلى *المراسلات السرية*. ما دام الأمر كله سري، فإنه يكمن فيه شيء غير طيب. لم يفعل المسيح وسقراط وكافة الحكماء أي شيء بصورة سرية. إنهم بشروا بأفكارهم علناً في الميادين، وأمام الشعب، ولم يراود الخوف أي أحد من أي شيء، وقد جرى إعدامهم، لكنهم أصبحوا كالأرباب.

أما المجرمون وكذلك المتآمرون والمنحرفون واللصوص وغيرهم من الناس يفعلون كل شيء سراً. وقد انجرف إلى هذا الدرب القديس المسكين تولستوي الذي قاده تشيرتكوف إلى وضع لا يناسبه.

لكن إذا ما احتاج ل. ن. وتشيرتكوف إلى إخفاء شيء ما عن الجميع، فمعنى هذا أنه يكمن وراءه شيء شرير أو غير خير، وأنا على قناعة بذلك وأتألم جداً لهذا السبب.

3 أغسطس. عندما علمت أن المستر Maude كشف في سيرة حياة ليف نيقولايفتش التي كتبها شتى أفعال تشيرتكوف الدنيئة، حتى من دون ذكر اسمه، بل أشار إليه بحرف X انحدر ليف نيقولايفتش إلى درجة أنه طلب في رسالته إلى مود في 23 يوليو أن يحذف من السيرة الذاتية الحقيقة الدنيئة التي كتبها مود، وأعطاه مقتطفات من رسالة ابنتنا الفقيدة ماشا التي وصفت تشيرتكوف بعبارات غير حميدة. واليوم وردت من مود رسالتين واحدة موجهة إلي والأخرى إلى ليف نيقولايفتش. وأفظع ما في الأمر أن ليف نيقولايفتش يحب تشيرتكوف إلى حد جعله يقدم على إذلال نفسه، بغية حمايته ولو بالكذب أو بالتزام الصمت.

إن ل. ن. طلب من مود أن يشطب تلك المقاطع من رسالة ابنتنا الفقيدة ماشا التي تصف فيها تشيرتكوف بعبارات غير طيبة. طبعاً، إن تعرية تشيرتكوف بهذه الصورة لم تلق رضى ل. ن. بالأخص وأنها صادرة عن ابنته المحبوبة ماشا التي كانت دائماً ترتبط بعلاقات صداقة مع تشيرتكوف، لكنها عرفت حقيقته في نهاية الأمر.

تلقيت اليوم رسالة من ي. أ. تشيرتكوفا مفعمة بالملامات. وأنا أفهمها تماماً كأم: إنها تضفي صفات مثالية على ابنها ولا تعرفه. فأجبتها برسالة

عميقة المحتوى وحتى مترعة بالاعتزاز بالنفس. لكنني لا أصبو إلى المصالحة.

أردت أن أوضح لليف نيقولايفتش منابت غيرتي من تشيرتكوف، وجلبت له صفحة من يومياته أيام الشباب في عام 1851، ويكتب فيها أنه لم يعشق أبداً النساء، وعشق الرجال مراراً. واعتقدت بأنه مثل ب. ا. بيريوكوف والدكتور ماكوفيتسكي، سيفهم سبب غيرتي وسيطمئنني، لكن بدلاً من ذلك شحب وجهه كلياً واستشاط غضباً بشكل لم أعهده فيه منذ وقت بعيد. وصرخ في قائلاً: «اخرجي، اغربي عن وجهي!. أنا قلت بأنني سأرحل من هنا، وسأرحل...». وراح يذرع الغرفة وأنا أتابعه بفزع وذهول. ثم، لم يسمح لي بالخروج، وأغلق الباب بالقفل وأصبح حبيساً من كافة الجوانب. وصعقت في مكاني. أين المحبة؟ أين اللاعنف؟ أين الروح المسيحية؟ وفي نهاية المطاف، أين العدالة والتفهم؟ أيعقل بأن الشيخوخة تجعل قلب الإنسان كالحجر؟ ماذا فعلت؟ ولأي سبب؟ أنا أرتجف فحسب لدى تذكر وجهه الحاقد وصراخه.

ذهبت بعد ذلك إلى الحمام، بينما خرج ل. ن. إلى الصالة، كما لو لم يحدث أي شيء وشرب الشاي بشهية، وأصغى إلى حديث دوشان بتروفتش الذي كان يترجم من اللغة السلافية نصاً حول بيوتر خيلتشيتسكي.

عندما انصرف الجميع جاء ل. ن. إلى مخدعي وقال إنه جاء مرة أخرى لطلب الصفح. أنا ارتعدت جداً من الفرح حين دخل: ولكن عندما تبعته وقلت له إننا يجب أن نحيا بمودة أكثر في الفترة الأخيرة من حياتنا، وكذلك بعض الأمور الأخرى، صار ينأى بنفسه عني، وقال إنني إذا لم أنصرف سيأسف على مجيئه إلي. أنا لا أفهمه!

4 أغسطس. الحمد لله! مضى اليوم من دون ذكر تشيرتكوف، وغدت الحياة أخف وطأة، فقد أصبح الهواء نظيفاً أكثر. شكراً لزوجي العزيز ليوفوتشكا، الذي يبدي شفقته علي. أعتقد أنه إذا ما عادت الأمور إلى مجراها السابق مجدداً، فلن تسعفني قواي في تحملها. وآمل أن يغادر الجميع ضيعة تيلياتينكي، ولن أرتجف وأفزع حين يمتطي ل. ن. جواده وينطلق به، ولن أخشى لقاءاتهما السرية.

أشعر بأنني عليلة، وثمة شيء غريب في رأسي، ولا أنام كلياً تقريباً، ولا أستطيع العمل فترة طويلة. وغالباً ما أرقد بلا نوم، وتدور في رأسي خيالات غريبة ما، وأخشى أن أفقد عقلي.

رحل آل بيريوكوف. وصار الجو صاحياً، وظهر الفطر. ذهبت ساشا إلى تولا لعيادة الطبيب، لكنه لم يعطها أي وصفات. أصبحت أحوال تانيا أفضل، والحمد لله. وقفت أمام ليوفا لصنع تمثالي، وقمت بتصحيح مسودات «الفنون»، وأدرجت ما جرى إغفاله فيها. العمل شاق وبطيء.

انطلق ل. ن. على صهوة الجواد إلى باسوفو لزيارة لوديجينسكي، وأصابه التعب. وقد لقيته فيما نسميه *بالدرب (بريشبيكت)*. وفكرت فيما إذا كنت أستطيع مصالحة تشيرتكوف، ورغبت في أن أستثير مشاعر الطيبة لدي «بغية ألا نترك دائنينا...». ربما سأكف عن كرهه في ذهني. لكنني حينما أفكر برؤية هذا الشخص وأرى في سحنة ل. ن. البهجة لدى زيارته، تنبجس في أعماقي لوعة الألم وأود البكاء، ويصرخ في قرارة نفسي نداء الاحتجاج الشديد: كلا البتة، لا أريد أن أكابد المزيد من هذه الآلام الحادة والموجعة!...». إنني أشعر بكياني كله تحت سلطة زوجي، وإذا لم يصمد فسيضيع كل شيء!

تكمن في تشيرتكوف روح شريرة. ولهذا فهو يخيفني ويعذبني.

5 أغسطس. أمضيت ليلة ليلاء. كابدت العذاب مجدداً لدى تذكر ما كابدته في هذه الفترة. أية إهانة لي حين لم يعمد زوجي حتى إلى الدفاع عني، عندما أغلظ لي تشيرتكوف القول. ما أشد خوفه منه! وكيف خضع لسلطانه كلياً! عار وحسرة!

حاولت أن أشغل نفسي بتصحيح المسودات، لكنني لم أستطع. أنفاسي تضيق، ورأسي يؤلمني ويخفق قلبي كله. خرجت للنزهة ومشيت حوالي ثلاث ساعات. فجاءت لنقلي عربة الكابريولية في الطريق العام. وكان ليف نيقولايفتش على صهوة الجواد مع دوشان بتروفتش. التقيت ليوفا العائد من تيلياتينكي. وقد رأى تشيرتكوف من بعيد. فهل كان يذهب للقاء ل. ن.؟

سمعت اليوم بأنه يوجد في تيلياتينكي 30 شخصاً يعملون بهمة في الاستنساخ. ماذا ستنسخون؟ هل إنها اليوميات التي أخذها ل. ن. يوم

أمس. لن أعرف شيئاً. إن ليف نيقولايفتش يخفي عني كل شيء بإرادة ماكرة وحاقدة وعنيدة، وأصبحنا كالغرباء.

أنا مذنبة طبعاً لحد كبير. لكن غفراني كبير أيضاً، لدرجة أن زوجي *الطيب القلب* غفر لي ذنوبي. وقربني من النهاية - من الموت. ولو لكوني قد توجهت إليه بحب جارف ولوعة حارة بقلبي، ولكوني لم أخنه أبداً.

كم سأكون سعيدة لو لاطفني وقربني إليه. لكن هذا لن يتحقق أبداً، حتى إذا ما أبعد تشيرتكوف عنه! إن ل. ن. اليوم بارد وغريب مجدداً. شيء محزن!

طالعت المقالات الفظيعة التي كتبها ف. كورولينكو حول الإعدام، والذين صدرت أحكام الإعدام بحقهم. قلبت رواية Rosny. في المساء عزف جولدينفيزر سوناتا شوبان الرائعة مع النشيد الجنائزي. لكن عزفه اليوم كان فاتراً. الطقس متقلب، وبدت بوادر سقوط المطر ثلاث مرات.

الليل... الأرق. ركعت وتلوت الصلوات طويلاً. وتوسلت إلى الرب أن يصرف قلب زوجي عن تشيرتكوف وأن يخفف من برودته في التعامل معي. أنا أصلي يومياً، وغالباً ما أتذكر في أثناء الصلاة العمة تاتيانا ألكسندروفنا راجية أن تتلو صلواتها. إنها في أغلب الظن كانت ستتفهمني وتشفق علي.

6 أغسطس. لا نوم كالحال في الفترة الأخيرة كلها. في الصباح أستيقظ ويراودني فزع ما: ماذا يضمر لي اليوم؟ هذا ما حدث اليوم أيضاً. تطلعت في الساعة العاشرة إلى غرفة ليف نيقولايفتش، إنه غير موجود، فهو في نزهته الصباحية المألوفة. ارتديت ملابسي بسرعة وهرولت إلى غابة الشوح التي يذهب إليها في الصباح، كنت أهرول وأفكر: «كيف حاله مع تشيرتكوف؟». إن الشيخ الحبيب واللطيف والهادئ يمشي لوحده. لكن ربما انصرف تشيرتكوف. لقيت جماعة من الأطفال فسألتهم: «يا أطفال هل رأيتم الكونت الشيخ؟» - «نعم رأيناه، إنه جلس على المصطبة». - «وحده؟». «نعم، وحده». بدأت ألجم وأهدئ نفسي. عندما رأى الأطفال الظرفاء معي أنني لا أعثر على الفطر، - وهل لها وجود هناك - ، أعطوني خمس حبات من الفطر من صنف «بودبيريوزكي» وقالوا بأسف: «أنت لا ترين أي شيء، فأنت عمياء». جاء إلى غابة الشوح ليوفا - هل جاء بالصدفة أم لا - لا أعلم. وقابلني على صهوة الجواد بالقرب من منصة السباحة.

تجولت طوال أربع ساعات متوالية وعادت إليّ الطمأنينة لحد ما. وفي البيت انقض علي فوراً: بالانحناءات وتقديم ثمار التفاح تاجر التفاح والحارس، والخادم، ثم جاء الخباز. ليف نيقولايفتش صارم الوجه وبارد، ولدى رؤية برودته تذكرت قول زوجي الصارم: «تشيرتكوف *أقرب شخص لدي!*» (ليس الزوجة!). حسناً، دعه لن يكون الأقرب *جسداً*. لتكن إرادة الرب، في أن يرحل قريباً. إن أمه العجوز ربما تحيا طويلاً هنا عن قصد لكي تعذبني. وقد أرادت السفر إلى شقيقتها قبل 6 أغسطس.

انطلق ليف نيقولايفتش على صهوة الجواد بمعية بولجاكوف، وضلا الطريق في زاسيكا، وعادا في وقت متأخر. راجعتِ مسودات تصحيح «الفنون» مجدداً. جاء ظهراً ف. ج. كورولينكو من المحطة في زاسيكا، وأمضى المساء كله عندنا. ولم يكف عن الحديث حول أكثر الأمور تشويقاً وتنوعاً. تحدث حول مختلف الطوائف الدينية التي يجتمع أفرادها عند البحيرة المقدسة في قضاء مكاري، وحول الأديرة، والتعذيب، والسجون، وأول مرة تعرف فيها على جوركي، وحول لوحات ريبين وهلم جرا وهكذا دواليك. يؤسفني عدم تدوين أقواله. إن كورولينكو يتحدث جيداً وبمحتوى عميق وببلاغة. جرى استدعاء جولدينفيزر، ولعب الشطرنج مع ل. ن.، والشيء الأهم، أنه أبدى اهتماماً بكورولينكو. سافرت ساشا مع أولجا والأطفال وجولدينفيزر إلى بروفالي. هطل المطر، وأصاب الجميع البلل.

7 أغسطس. خيم علينا جميعاً المزاج العكر، والقتامة نفسها في البيت. بينما تواصل انهمار المطر، وخلط الشوفان في الحقل. جاء فلاحونا ووزعنا عليهم النقود التي أرسلها مود. وكانت حصة كل بيت 5 روبلات و50 كوبيكاً، أي إجمالاً 401 روبل و50 كوبيكاً. سافر كورولينكو. وقفت كموديل أمام ليوفا، وجلست مع الضيوف، وأرسلت إلى المطبعة القسم الخامس عشر من المخطوطات من أجل تنضيد الصفحات. لا أريد الكتابة عما يؤلمني أكثر من أي شيء آخر في الدنيا، وماذا يضايقني ليلاً ونهاراً، إنها برودة ل. ن. ذاتها المتسمة بالقسوة. إنه حتى لم يوجه التحية إلي اليوم. ولم ينبس طوال اليوم بكلمة، إنه واجم، غاضب. ولهجة حديثه معي تبدو

وكأنني أضايقه في الحياة، وأشكل عبئاً ثقيلاً عليه. وهذا كله بسبب عدم رؤيته تشيرتكوف بسببي.

وقرر ل. ن. التزام الصمت، فهو صامت طوال النهار، وكالح الوجه بإصرار، وإنه يلتزم الصمت بحنق. إن هذا الصمت لا يوافق مع طبيعتي الحيوية والصريحة وهو أمر لا يطاق. لكنه يريد أن يعذبني ويحقق مرامه هذا تماماً.

أنا لم أحظر مجيء تشيرتكوف إلينا سواء شفهياً أم تحريرياً. ولا أعرف فيما إذا كتب له ل. ن. أو ليوفا شيئاً ما. فكل شيء لديهم يتم سراً. ولا أدري أيضاً فيما إذا سيغادر آل تشيرتكوف عاجلاً. كما لا أعلم هل يرغب ل. ن. في رؤية تشيرتكوف مجدداً. إنه صامت وصامت. ماذا يدور في أعماقه؟ هذا ما لا أفهمه. تبدو على وجهه مسحة من القنوط والحزن. آه، كم أتمنى لو ذاب الجليد في قلبه!

لقد عشنا عشرات السنين بلا تشيرتكوف وكنا سعداء. ماذا يحدث الآن؟ نحن ما زلنا أنفسنا بينما تتخاصم الأخوات مع إخوانهن، والأب حانق على أولاده، والبنات على أمهن، والزوج يكره زوجته، والزوجة تكره تشيرتكوف، وكل هذا بسبب أن هذا الشخص الأحمق والضخم الجثة والجلف قد اقتحم أسرتنا، وسيطرعلى الشيخ، ويقضي على سعادتي وحياتي.

الآن سأصلي مرة أخرى، وعندما تذكرت الصلاة غمرت الطمأنينة روحي، أنا مبتهجة لكوني سأجثو بعد قليل على ركبتي وأنغمر شيئاً شيئاً في التواصل مع الرب، وسيهدئ ويبعث الطمأنينة في روحي الحزينة ويشفيها، وسيلين القلب المتحجر لزوجي.

8 أغسطس. هذا ما حدث: فقد استجاب الرب إلى دعائي بسرعة مذهلة. إذ إن زوجي ل. ن. قد لان اليوم وصار طيب القلب ورحيماً وحتى رقيق الحاشية. شكراً لك، يا ربي! دعني أتعذب جسدياً بكل الأشكال، ولكن فقط بشرط أن أتحسس مع ليوفوتشكا تلك الوشيجة التي ربطتني به خلال فترة طويلة، وليس الاغتراب الذي يهلكني. لم يغمض لي جفن طوال الليل مجدداً، وواصلت التفكير فيما يجب علي أن أعرض على ل. ن. أن يلتقي

تشيرتكوف مجدداً. وقلت له ذلك في وقت مبكر من الصباح حين استيقظ. لكنه لوح بذراعه، وقال إنه سيتحدث حول الموضوع فيما بعد وخرج للنزهة. كما خرجت أنا في الساعة التاسعة، وتجولت في كافة أنحاء ياسنايا، في الحدائق والغابة. وتعثرت فسقطت على صدري وبطني، وتناثر الفطر، وجمعت أغصان شجرة البلوط والحشائش، ورقدت فوق مصطبة من خشب شجرة البتولا، وقد استبد بي الإرهاق، وغفوت وراودتني مختلف الأحلام الخيالية. كانت الأغصان ما زالت رطبة بسبب المطر، وتبلل جسدي كله، لكنني بقيت، خلال أكثر من ساعة راقدة في ذلك السكون، وانبجست أمام عيني أشجار الشوح. وعموماً غبت عن البيت ما يربو على أربع ساعات، وبقيت بلا طعام، طبعاً.

عندما رجعت دعاني ليف نيقولايفتش إليه وقال (كنت سعيدة ولو لدى سماع صوته، لدى مخاطبتي): «أنت تقترحين لقاء تشيرتكوف، لكنني لا أريد ذلك. إن أكثر ما أرغب فيه هو أن أعيش بهدوء وراحة بال خلال الفترة الأخيرة من حياتي. وعندما تكونين مضطربة لا أستطيع أن أكون هادئاً. ولعل أفضل شيء هو أن أسافر إلى تانيا وأن نفترق لكي نهدأ».

في بادئ الأمر تراءى لي شيئاً فظيعاً أن نفترق مجدداً. لكن أخذاً بنظر الاعتبار أن ابتعاد ل. ن. عن مكان الجوار حيث يقطن تشيرتكوف، وسفره هو بالذات ما أرغب فيه أكثر من أي شيء آخر، صرت أعتقد أن هذا سيكون أمراً طيباً، ودعنا نتمتع بالراحة بعيداً عن منغصات الفؤاد هذه. وأكد لي عزيزي ليوفوتشكا أن راحة بالي عزيزة جداً بالنسبة له، فهو لا يعيش نفسه حين يرى حالتي العصبية وهو مستعد لعمل كل شيء من أجل مساعدتي وجلب الطمأنينة إلي. إن موقفه مني هذا هو أفضل دواء من جميع أمراضي.

كتب على قصاصة ورقة اليوم نداء إلى الشباب الراغبين في أداء الخدمة العسكرية. إنه نداء حسن جداً. وقد استنسخته ساشا. فلمن أرسلت قصاصة الورق؟ هل إلى تشيرتكوف مجدداً؟

انهمكت اليوم مجدداً في إعداد إصدار المؤلفات، وكتبت إلى مود حول توزيع الأموال على الفلاحين، كما كتبت رسالة إلى وكيل التعاونية. في المساء أخذت قسطاً من النوم. عزف جولدينفيزر سوناتا بيتهوفن، وأنا، ويا

للأسف، لم أستمع إليه. ثم عزف بحضوري مجدداً فالس ومازوركا شوبان، كان عزفه رائعاً.

أشعر بألم تحت الإبط، ولم أعد أستطيع هضم الطعام. فالجسم كله محطم. هطل المطر مجدداً لفترة قصيرة. ازداد نمو الشوفان، كما نما الفطر الأبيض وهلم جرا.

9 أغسطس. أمضيت النهار كله في خياطة بعض الملابس من أجل ليوفوتشكا: قمت بخياطة قمصان له، ومن ثم قبعة بيضاء، وزاولت هذا العمل بهدوء وبصورة جيدة ولم أنجز عن قصد أي عمل آخر من أجل تهدئة الأعصاب. وكانت الأمور ستمضي بصورة حسنة لولا انطلاق شتى أنواع الألفاظ والأفعال الفظة من قبل ابنتي ساشا بوقاحة. وكانت تواصل زيارة تشيرتكوف، حيث جرى هناك تأليبها بكل السبل ضدي لأنني فصلت زوجي عن جميع هذه الزمرة في تيلياتينكي. وما كان بوسعي أبداً تصور أن تتجرأ ابنتي على سلوك هذا السلوك نحو أمها، ناهيك عن عدم اتخاذ الموقف الودي. وعندما رويت لأبيها مدى وقاحتها قال بحزن: «حقاً، هذا أمر مؤسف: إنها تتسم بهذه الفظاظة في طبعها، وسأتحدث معها».

ذهب ل. ن. اليوم إلى جوربونوف في أوفسيانينكوفو، فلم يجده وتكدر لهذا السبب، لأنه حمل معه مسودات المطبعة المصححة للكراسات التي ينهمك ل. ن. بكتابتها حالياً وتباع بكوبيكات.

جاء إلى الغداء قاتم السحنة، ولهذا انقبض فؤادي مجدداً. فذهبت إليه وسألته عن سبب مزاجه؟ فقال في البداية إنه يشعر بشيء من الكآبة والضجر، ومن ثم أوضح لي أنه ليس بمزاج حزين بل مجرد يفكر بجد. وأنه قد يتولد مثل هذا المزاج لدى الإنسان «وتبدو جميع الأحاديث حواليه نافلة ومضجرة وخالية من أي هدف، وكل شيء لا حاجة له». طبعاً كانت الأحاديث غير شيقة وغريبة، حالما جاء الجار ف. يو. فيريه نائب محافظ سمولينسك، العجوز أحد المعارف الذي لم نره خلال خمسة أعوام. إنه رجل طيب وحلو المعشر ويحب الموسيقى وعزف مع ل. ن. بأربع أيد، لكنه رجل بسيط.

في وقت لاحق جاء الزوجان جولدينفيزر وأصبحت الأمسية أكثر مرحاً، ولم يعد ل. ن. قاتم السحنة. وغمرتنا، والحمد لله، المودة، ولكن ثمة شيئاً رهيباً، إنه الخوف من أن أفقد مجدداً تعامله الودي معي. الساعة الثالثة والنصف ليلاً ونحن بانتظار مجيء تانيا.

10 أغسطس. وصلت تانيا في الساعة الرابعة بعد منتصف الليل، وكنت أنتظر وصولها طوال الليل، ولم أسمع صوت قدومها. وفي الصباح تبادلت الحديث معها حول الموضوع نفسه، وتكدرت للغاية، وبعد ذلك ألا نتحدث أبداً عن الموضوع الذي يؤلم الجميع جداً.

وقفت أمام ليوفا كموديل لصنع تمثالي، وعلى حين غرة حين نهضت وشعرت بالغثيان، اقتربت من النافذة وسقطت وفقدت الوعي. ثبت إلى رشدي وأحسست بألم شديد في ساقي ورأيت ابني ليوفا وهو يرفعني بجهد. وقال: «مسكينة!». وتبين أنني حين سقطت شججت وجرحت ساقي. وعندما عرف ل. ن. ذلك كان طيباً وحانياً. لكن ما أعمق حزنه، وهو صامت ويبدو أنه يعاني من السأم والكدر. وفي أغلب الظن أنه يخشى أن يكدرني، ولا يعترف بأنه يشعر بالسأم بلا تشيرتكوف. وكلما ازداد كدره تقل الرغبة لدي في استئناف العلاقات مع تشيرتكوف والمعاناة مجدداً بسبب هذا التقرب وزيارات الإنسان المكروه لدي. علمت اليوم بأنهم[1] سيسافرون في 1 سبتمبر فقط، وهذا أحد الأسباب الذي يجعلني أؤيد سفر ل. ن. إلى تانيا. من ناحية أخرى إن الفراق معه مجدداً يبدو لي أمراً لا يطاق! فنحن أصلاً افترقنا كثيراً خلال هذا الصيف وهل بقيت لدينا فترة طويلة من الحياة؟ ويبدو أن ل. ن. قد ضجر من الحياة في ياسنايا بوليانا! فالحياة رتيبة فيها وتتكرر يوماً بعد يوم، بينما هو يحب الآن شتى أنواع التسلية. في الصباح يقوم بجولة للنزهة في الأماكن ذاتها، ثم يمارس العمل، ويتناول الفطور. بعد ذلك القيام بنزهة على صهوة الجواد ويرافقه دوشان بتروفتش، ثم النوم، الغداء، ومن جديد... الوحدة، والجلوس المضجر في الغرفة مساء، أو – وهو الأفضل – أن يأتي جولدينفيزر

---

1 – أسرة تشيرتكوف. (المترجم)

فيمارسان لعبة الشطرنج يومياً تقريباً. وأحياناً يعزف جولدينفيزر على البيانو، وهذا يجلب السرور للجميع.

جاء إلينا اليوم في ياسنيا بوليانا الجنود وتوزعوا في جميع أنحاء القرية. وتسلل أربعة منهم خلسة إلى ل. ن. لكنني لا أعرف الحديث الذي دار معهم. شيء غريب هو موقف ليف نيقولايفتش من حضوري محادثاته مع الآخرين: فإذا أبديت الاهتمام بهم وبمحادثته وألج غرفته، ينظر إلي شزراً، ويجعلني أشعر بأنني أعيق المحادثة. فإذا لا أخرج ولا أبدي الاهتمام، يعتبر ذلك بمثابة لا مبالاة وخلافاً في الرأي. وغالباً ما لا أعرف ما يجب عمله. إن أي قرار أتخذه وتمليه الحياة والظروف، يعتبر تسلطاً. لا يريد أي أحد اتخاذ أي قرار، وينتظرون مني أن أدين وأعاتب ولا أوافق.

الرياح تهب مجدداً، صداع في الرأس، وضيق في القلب. في يوم السبت سيسافر ليوفوتشكا إلى تانيا في كوتشيتي، فماذا سيكون عليه الحال؟

أنا قلقة مقدماً، وينتابني الكدر ولا أعرف ماذا سيحدث لي! أين الشفاء عندئذ. سيتركني الجميع.

قرأت من أجل النشر «المسيحية والروح الوطنية» وشطبت منها، بكل أسف، ما لا تجيزه الرقابة. ما أصعب التأمل في هذا كله؟

11 أغسطس. يبدو أن الألم في القلب قد خف نوعاً ما، ولو أنه ينبغي علي من جديد أن أرعى صحة ليف نيقولايفتش. لقد بح صوته، وأصيب بالزكام، وتراوده الرجفة. إذا ما اصطبر وجلس في البيت بهدوء واعتنى بنفسه، سيرعاه الرب، ويشفى.

جاء لفترة قصيرة كل من بوليجين وجي وابن أخ سولومون. بينما ذهب جميع أهل بيتنا إلى تيخفينسكويه لمشاهدة بيت هناك وزيارة أوفسيانينكوفو. أنا ذهبت إلى هناك لاحقاً مع تانيا.

وقد سررت اليوم حين أملى ل. ن. عليّ اليوم رسالة، وجلست معه فترة طويلة وكتبت. وفي المساء انهمكت قليلاً في موضوع النشر، وبعد ذلك مارسنا لعبة الورق «فينت». جلس ل. ن. طوال اليوم في البيت، وكان يسعل مما أثار قلقي، ولو أنني آمل أن ينتهي كل شيء بسلام.

12 أغسطس. حالما أصبحت ناعمة البال وبدأت أعيش بصورة عادية بلا أوجاع شديدة، كابدت القلق مجدداً. إن ل. ن. يسعل بشدة ومع ذلك يعتزم السفر إلى كوتشيتي *حتماً*. إن سعاله سيشتد والإصابة بالتهاب الرئتين خطرة في مثل سنه. نحن كلانا لزمنا الصمت عن موضوع سفره، لكنه سيفعل بشكل يجعلني أتألم. إن سفره يجسد رغبة جديدة في الابتعاد عني. لكنني لا أريد ولا أستطيع فراقه، وبعد ثلاثة أيام سأذهب إلى هناك أيضاً. الجميع حوالينا يهتمون جداً بأن نفترق، لكنهم لن يحققوا مرامهم.

خرجت اليوم خلال ثلاث ساعات ونصف لجمع الفطر برفقة يكاترينا فاسيليفنا. كانت النزهة طيبة جداً في غابة الشوح حيث نبتت في الطحالب الخضراء أصناف الفطر الأحمر «ريجينكي» في هدوء وصفاء ووحيدة. عند الظهر وقفت كموديل أمام ليوفا، ومن ثم انشغلت في موضوع إصدار المؤلفات. العمل صعب جداً!

جاء ن. ن. جي وجولدينفيزر ونيقولايف، جرت أحاديث لا نهاية لها. مارس ل. ن. لعب الشطرنج. إنه لم يغادر البيت طوال النهار، وتمشى قليلاً في الصباح فقط. وتناول الفطور في غرفته ويبدو عموماً خاملاً بسبب الإنفلونزا. ويشكو من ألم في الظهر ومن الضعف.

بدأت تانيا في المساء بتوجيه العديد من الاتهامات العنيفة لي، وأكثرها تقريباً غير عادلة، وعرفت فيها شكوك وكذب ساشا التي تسعى بكل السبل إلى التشنيع بي، وتجعلني أخاصم الجميع وأفارق أباها. هذا هو الصليب الحقيقي. أن تكون لي مثل هذه الابنة الأسوأ من تشيرتكوف: لا يمكن إقصاؤها، ولا يريد أحد الزواج بها بسبب طبعها الفظيع. أنا غالباً ما أقوم بحركة التفاف في الباحة بغية عدم الالتقاء بها، وأرى نظراتها، أو محاولة أن تبصق بوجهي مرة أخرى، أو هجماتها الحاقدة عليّ وتوجيه سيل من الأقوال الفظة والمترعة بالكذب إلي. ما أكثر المصائب في الكبر! ولأي سبب؟

أعدت قراءة يومياتي الآن وا أسفاه! ما أكثر ما فيها من ذكريات عن نفسي وعن زوجي! كلا، إن البقاء على قيد الحياة غير ممكن تقريباً.

13 أغسطس. أشعر بالقلق مجدداً، ويخفق قلبي. لكنني أمضيت النهار

منشرحة الصدر. فقد كان ل. ن. طوال اليوم في البيت وخرج في الصباح فقط للتمشي في الشرفة. حالته الصحية أفضل، ويسعل قليلاً. مزاجه رائق ولم يعاملني بصرامة ولم يغضب. وشكراً له. كتب المزيد من الرسائل، والأجوبة عن الاستفسارات. تانيا صارت حلوة المعشر، وقالت وهي تذرف الدموع، إنها دائماً تشعر بقربي وتحبني وتشفق علي. في المساء مارسنا لعبة الورق «فينت» مع بولانجيه. عزف جولدينفيزر قليلاً. جاءت ماريا ألكسندروفنا. هطل مطر غزير طوال اليوم. وفي المساء جلجلت عاصفة رعدية، وومض البرق بين لحظة وأخرى، وهدر الرعد كما يحدث في الصيف.

قدمت طلبية الكتب إلى المكتبة، وفصلت فستان ماريا ألكسندروفنا. لا أمارس أية أعمال... صداع في الرأس والقلب مضطرب. كتبت الى: بوتورلين وتوربيه وسريوجا ووكيل التعاونية (تحويل) وبيريوكوف ودافيدوف.

14 أغسطس. اشتد القلق، وشعرت منذ الصباح بخفقان القلب، وبتدفق الدم إلى الرأس. إن فكرة الافتراق عن ليف نيقولايفتش لا تطاق. ترددت طوال اليوم فيما إذا أبقى في ياسنايا أم أسافر مع ل. ن. إلى تانيا في كوتشيتي. وقررت السفر. فحزمت حاجاتي بسرعة. ويؤسفني جداً أن يبقى ليوفا لوحده، وهو ينتظر جواز السفر والمحكمة في بطرسبورغ بسبب نشره «عودة جهنم» في عام 1905. ولا يمنح جواز السفر له لأنه تحت المحاكمة. كما أسفت على إبقاء كاتيا مع ماشينكا، ولم يكن شيئاً حسناً أن أترك الأعمال الإدارية والمنزلية. لكنني لم أعد أستطيع فراق زوجي، لا أستطيع فحسب.

ذهبت مع كاتيا لجمع الفطر في غابة الشوح، ولكن تبين أن جميع الفطر من صنف «ريجينكي» قد جمع قبلنا. ذهب ل. ن. مع دوشان على صهوة الجواد إلى زاسيكا لمدة ساعتين، وقد تلفع بكل ما لديه من ملابس دافئة. وحالته الصحية أفضل.

في المساء عزف جولدينفيزر سوناتا بيتهوفن «Quasi una fantasia»، وكان عزفه كئيباً وبارداً. كما عزف مقطوعتين لشوبان عزفاً رائعاً. أما عزف مقطوعة كرنفال لشومان فكان لا بأس به، لكن لا يتميز تماماً كل جزء فيه بشيء ما.

شعرت طوال اليوم بوعكة حتى إنني لم أتناول طعام الغداء. واجتمع عدد كبير من الضيوف: ديما تشيرتكوف (الابن) وهو فتى غير حقود وبسيط وطيب، ولا يشبه أبيه ونيقولايفا، وجولدينفيزر مع زوجته، وماريا ألكسندروفنا وامرأة أخرى غريبة هي يازيكوفا. رقدت ونمت في وقت متأخر.

15 *أغسطس. كوتشيتي.* استيقظنا في وقت مبكر، وتوجهنا إلى زاسيكا وودعنا كثير من الناس وبينهم ليوفا. وسافرنا إلى كوتشيتي بمرافقة تانيا. الطريق طويل وشاق وغيرنا المراكب في أوريول إلى بلاجوداتنايا. في الطريق نام ليف نيقولايفتش وتناول قليلاً من الطعام وبدا ضعيفاً. لكنه لعب «الفينت» بنشاط لدى وصولنا إلى كوتشيتي حتى الساعة 12، وجأر بالشكوى من الضعف.

استقبلتنا في كوتشيتي بحنان الحفيدة الصغيرة تانتشكا. يا لها من طفلة ظريفة، وقبلتني، ووجدت من يبتهج للقائي في هذه الدنيا! وأثرت في البراءة المقدسة لطفلة! إنها لا تشبهنا نحن الكبار. اليوم ذهبت لتوديع زوجي عند ساشا وطلب (بالصدفة بحضوري) اليوميات. تململت ساشا، وأدركت بوجود مكر أو كذب ما مجدداً. فسألت: «ماذا تطلب منها؟». وأدرك ليف نيقولايفتش بأنني حدست الأمر، وشكراً له حيث ذكر الحقيقة، وإلا فإنني كنت سأتكدر بشدة مرة أخرى. «أنا أطلب من ساشا دفتر اليوميات، وقد أعطيته لها من أجل إخفائه، وهي تسجل الأفكار».

طبعاً، *إنهم يخفون كل شيء عني، ويسجلون الأفكار من أجل تشيرتكوف.* إذن إن يوميات ل. ن. الحالية – هي كما كتبت سابقاً – إنما تكتب من أجل السيد تشيرتكوف، ولا يمكن أن تكون فيها مصداقية. حسناً، الرب معهم، مع أسرارهم وخداعهم وتخفياتهم عني. وبمرور الوقت سينكشف كل شيء. أنا *الضمير* لايحب إخفاء أي شيء، وهذا أمر لا يستطيعون الصبر عليه. وأنا منذ أن كنت في ياسنايا بوليانا حدست وجود هذا الإخفاء السري ليوميات ل. ن. لدى ساشا ولهذا قلقت كثيراً في الأيام الأخيرة، بينما هم اعتقدوا بأنهم *أخفوها* عني. سألت ل. ن. اليوم أيضاً:

– هل تقرأ ساشا هذه اليوميات؟

أجاب ل. ن.: أنا لا أعلم، إنها تسجل أفكاري...

كيف *«لا أعلم» إذا ما كانت تسجلها؟ الكذب مرة أخرى!* لكنني لم أقل شيئاً.

وأضاف ل. ن.: إنك تقلقين لكل شيء، ولهذا أخفيها عنك...

هذه حجة طبعاً. أنا أقلق ليس بسبب إخفائهم اليوميات. هذا شيء مفهوم، ومشروع تماماً. وحتى يجب إخفاؤها عن *الجميع*. لكن ما يقلقني هو أنه يمكن أن يقرأها تشيرتكوف وساشا، بينما لا يجوز *لي ذلك أنا* زوجته. ومعنى ذلك أنه يشنع بي ويضعني فيها أمام محكمة ابنتي وتشيرتكوف. هذه قسوة وحقارة.

هنا عدد كبير من الناس، وجميعهم طيبون، وبلا حقد وسرية كما في جهنم عائلتنا. بدأت أشعر بانحسار حبي لزوجي بسبب مكره ودسائسه. أنا أرى في وجهه وعينيه وجسده كله ذلك الحنق الذي ينهال به علي طوال الوقت، ويبدو هذا الحنق لدى الشيخ قبيحاً وغير مقبول، بينما هو يتحدث إلى العالم بأسره عن *محبة ما*. إنه يعلم بأنه يعذبني بهذه اليوميات، ويفعل ذلك بإصرار. ليمنحني الرب القوة للتخلص من هذه الرابطة المجنونة. بقدر ما أحيا برحابة أكبر وبحرية وبصورة أخف وطأة! دعهم يمارسون السحر مع ساشا وتشيرتكوف!

تانيا ظريفة وتخلت لي عن غرفتها، وهذا ما جعلني أشعر بالخجل *وتأنيب الضمير* الذي سيعذبني طوال الوقت.

16 أغسطس. هل يمكن أن تكون هناك سعادة وبهجة في الحياة حين تمضي الأمور كلها كما يفعل ل. ن. وساشا، تنفيذاً لإرادته، بإخفاء شيء ما في اليوميات عني دوماً بجهد كبير. بينما أنا أسعى أيضاً بجهد وبمكر لمعرفة ماذا ينقل إلى تشيرتكوف من معلومات عني وعبره إلى العالم بأسره؟ لازمني السهاد طوال الليل، وخفق قلبي، بينما فكرت في جمع الوسائل بصدد كيفية قراءة ما يخفيه ل. ن. عني بكل حرص وبمثابرة. وإذا لا يوجد هناك شيء أو ليس من السهل القول: «تفضلي وخذي واقرئي ولينعم بالك». لكنه سيموت، وهذا لن يجعله أبداً على حق.

اليوم اشتكى من حالة الاسترخاء والضعف، ورقد في غرفته، ثم خرج للنزهة. رأيته للحظة وسلمته قصاصة ورق كتبت فيها أن من العدالة والشرعية أن يخفي يومياته ولا يسلمها إلى أي أحد لقراءتها. أما تسليمها إلى ساشا واستنساخها من أجل تشيرتكوف، وإخفائها عني بمكر في شتى الخزانات والطاولات، عني، أنا زوجته، فهذا أمر مؤلم، ويعتبر إساءة لي. وأنهيت قصاصة الورق بعبارة «سامحك الله». ولن أقول أي شيء أكثر من هذا.

في مساء يوم أمس وعند الساعة 12 مارس ل. ن. لعبة «فينت» بحيوية عقب الرحلة، وفي صباح اليوم كان في حالة صحية طيبة، ولكنه غضب الآن بسبب ملامتي. فما العمل! نحن يستثير أحدنا الآخر، ويكمن بيننا – كما يقول عامة الناس – *عدو*، أي روح شريرة. عونك يا رب! أنا أصلي في المساء طويلاً، وأصلي حين أتنزه وحيدة، وأصلي الآن حين تؤلمني روحي...

في المساء. استدعاني ل. ن. في النهار وقال لي: «أنت زعلت مرة أخرى».

– قلت: «طبعاً. وهل قرأت قصاصتي؟».

– «نعم. لكن بودي أن أقول لك إن ساشا لا تقرأ اليوميات، ففي نهاية كل يوم يوجد لدي في اليوميات قسم خاص بالأفكار، وتستنسخ ساشا هذه الأفكار من أجل تشيرتكوف بالإضافة إلى السابقة. أما اليوميات فهي محفوظة لدي، ولن أعطيها إلى أي أحد».

أثار هذا القول الهدوء في أعماقي، إن لم يكن ذلك خداعاً مجدداً. وعشت هذا اليوم بصورة أخف وطأة. لعبت مع الطفلين الظريفين: تانيتشكا وميكوشكا. قالت تانيوشا: «أنا أحب جدتي أكثر من الجميع في الدنيا!». وقد تجولنا وتنزهنا وجمعنا الفطر، إن عشرة الأطفال سارة.

يوجد هنا حشد كبير من الناس، وهذا يبعث على الضنى لحد ما، لكن الوضع ميسر حيث لا توجد مسؤولية عن تدبير الأمور المنزلية. وتكابد تانيا المسكينة المشاق، وأنا أشعر بتأنيب الضمير، لكوننا جئنا نحن الأربعة بينما يوجد أصلاً كثيرون من أهل البيت. في الأمسيات كنا نمارس لعبة الورق «فينت»، وكنت سعيدة بالجلوس في المساء مع زوجي ولو لفترة قليلة.

لكنه يولع بـ «الفينت» جداً، ويلومني دوماً لكوني لا أجيد اللعب ويحاول إبعادي. ويوم أمس فزت على الجميع.

يعاني المسكين سوخوتين من الأمطار التي قضت على جميع محصول الشوفان في حقوله وتكبد خسائر تقدر بحوالي ثلاثة آلاف روبل. بينما فقدت تانيا الحقائب التي زعم أنه لم يتم تحميلها في أوريول. تناولت الغداء اليوم مع الأطفال والمربية على حدة، وسر الأطفال أيما سرور بوجودي معهم. وسررت حين جاء ل. ن. من المائدة ليلقي نظرة علي. كيف ربطت قلبي به عن حماقة!

17 أغسطس. قلبت طوال اليوم كتاب «الطفولة». من المدهش أن تكون سمات الشباب هي ذاتها سمات الشيخوخة. الإعجاب بالجمال (سريوجا إيفين)، ثم المعاناة بسبب *قبحه* والرغبة في أن يستبدل الجمال بأن يصبح صبياً ذكياً *وطيب القلب*. ويبعث على الدهشة الفصل بعنوان «جريشا» في المخطوطة والأماكن التي يخلو منها الكتاب: إنها المشهد المؤثر مع كاتيا في المخزن، مباشرة بعد مشهد الحنان المؤثر والمشاعر الدينية السامية للإيمان والذروة الروحية لجريشا المتباله.

الجمال والحساسية والتقلبات السريعة والنزعة الدينية والبحث الأبدي عنها وعن الحقيقة، هذا ما يتميز به زوجي. إنه يؤكد لي أن برودته تجاهي ناجمة عن عدم *تفهمي له*. وأنا أعرف أن المشكلة الرئيسية تكمن في أنني فهمته *كلياً* فجأة، وأدركت جيداً ما لم أعرفه من قبل.

خرج ليف نيقولايفتش للنزهة في المتنزه، وزاره خصي[1] تبادل معه الحديث خلال أكثر من ساعتين. أنا لا أحب أتباع الطوائف الدينية وبالأخص الخصيان. وأعتقد أن هذا الخصي ذكي لكنه يتفاخر بصورة منفرة بانتمائه إلى طائفته.

بدت اليوم مجدداً سمات الاغتراب والحزن لدى ليف نيقولايفتش. أظن

1 – الخصيان (الحمائم البيض) و(حملان الرب) – أتباع طائفة (المسيحيون الروحانيون) الذين يعتبرون عملية التخصية من الطقوس الإلهية. ونشطت الطائفة في القرن الثامن عشر في زمن القيصر بطرس الأكبر. (المترجم)

أنه يحن *إلى معبوده*، تشيرتكوف. وأود تذكيره بالقول المأثور: «لا تصنع لنفسك صنماً»، لكن ما العمل مع القلب إذا ما أحب أحداً حباً جارفاً.

يا له من طقس كئيب ورمادي! لكن جميع الناس هنا يتسمون بالطيبة والبساطة، ناهيك الحديث عن عناية ابنتي تانيا بالجميع. أما ميخائيل سيرجييفتش فهو مشغول كلياً بإدارة الضيعة، وهو ما لا يشغل بال ل. ن. ولهذا السبب ينجذب إلى الأجواء القديمة والمألوفة لأصحاب الأطيان. وفي ياسنايا بوليانا يجب إنكار كل شيء ومعاناة كل شيء، وفسدت أمور كثيرة هناك بسبب الذكريات الثقيلة. وهناك ألقى على كاهلي منذ وقت بعيد جميع أعباء المعيشة اليومية، وبلا ريب ولا بد أن يعاني من الشعور بذنبه. إنني تذكرت في الفترة الأخيرة ياسنايا بوليانا، ولحد ما لا أريد أن أعيش هناك. أود أن أجد حياة جديدة، وأناساً جدداً، وأوضاعاً جديدة. *لقد حز في نفسي كل شيء هناك!* وزحف هذا المرض في حياتنا منذ وقت بعيد.

أمضيت المساء بلا عمل، وأصابني الإجهاد. شعرت بالبهجة فقط حين لعبت مع الطفلين: ما أظرفهما من طفلين! في وقت متأخر لعب ل. ن. الـ «فينت» بحماس حتى الساعة الثانية عشرة. وطلب من تانيا رواية فرنسية خفيفة ما للمطالعة. لقد ضجر من دوره كمفكر ديني ومعلم، وما أشد تعبه من هذا كله! وحتى اللعب مع الأطفال لعبة الاستغماية وغيرها تجلب له التسلية المفرحة. إنه لم يرغب في أن أرى ذلك، أي رغبته في الاستجمام والتخلي عن دوره كمعلم ديني. ولهذا عارض قدومي إلى كوتشيتي. إنني أتذكر والألم يحز في قلبي كيف سألته فيما إذا سنحتفل بعيدي ميلادنا في كوتشيتي أم سيعود إلى ياسنايا (في 22 أو 28 أغسطس)؟ فقال رداً على ذلك: «حقاً، إنه موعد قريب. فاذهبي *أنتِ* إلى ياسنايا وعودي في 28 من الشهر، في عيد ميلادي».

فانفجرت متألمة من الحزن والإساءة. وما حاجتي إلى عيد ميلاده إذا ما كان يسعى بهمة إلى إبعادي! وقررت فوراً عن قصد أن أسافر إلى كوتشيتي أيضاً. فهنا توجد على الأقل تاتياناتا الحبيبة. وبما أنه أصبح لدي الكثير من الأعمال الآن في مجال إصدار الكتب، رغبت أن أعرف المدة التي سنقضيها هنا وسألت ل. ن. عن ذلك، فأجابني بفظاظة: «أنا لست جنياً، لكي تحدد لي

فترة الإجازة». فكيف أعيش مع مثل هذا الإنسان! أخشى، بما يتسم به من مكر، ولمعرفته ضرورة العودة، أن يبقى هنا عدة شهور.

أنا أيضاً لن أسافر بأي حال من الأحوال، وأترك كل شيء، وتباً للجميع! من سينتصر على من؟ أنا أفكر كيف اندلع هذا الصراع بين شخصين أحب أحدهما الآخر حباً جماً! هل إنها الشيخوخة؟ أم تأثير الغير؟ وأحياناً أرنو إليه ويتراءى لي أنه ميت، وإن كل ما هو حي وطيب وشفاف ومتعاطف وصادق ومحبوب قد ضاع وهلك بيد عضو الطائفة الجاف الخالي من القلب تشيرتكوف.

18 أغسطس. قرأت في الصحف خبراً فظيعاً. لقد قررت الحكومة إبقاء تشيرتكوف في تيلياتينكي. وفور ذلك أصبح متهلل الأسارير، وبانت عليه مسوح الشباب، وصار يمشي بخفة وبسرعة، بينما عصر الألم قلبي كله، وبلغ عدد ضرباته 140 ضربة، وشعرت بألم في صدري ورأسي.

لقد أرسل لي الرب بيده وبإرادته هذا *الصليب*، وتم انتقاء تشيرتكوف وليف نيقولايفتش كأداتين لسوقي إلى *حتفي*. ربما حين سأكون راقدة ميتة ستتفتح عينا ليف نيقولايفتش على عدوي وقاتلي، وعندئذ سيكرهه وسيعلن توبته بسبب ولعه الخاطئ بهذا الشخص.

لقد تغيرت الآن معاملته لي فجأة. وبدأت الملاطفة والعناية: عسى أن نتصالح الآن مع تشيرتكوف وستسير الأمور كما في الماضي. لكن لن يحدث هذا *أبداً*، ولن أستقبل تشيرتكوف. فالجرح الذي فتح فاه وصار يمزق قلبي هو جرح عميق ومؤلم جداً. ومن المستحيل أن أغفر لتشيرتكوف غلاظته وإيعازه إلى ل. ن. بأنني *أقوده إلى الهلاك طوال حياته*.

لم أعمل جيداً في مجال إصدار المؤلفات، وذهبت مع تانيوشكا لجمع الفطر. كتبت إلى ليوفا وكذلك مسودة رسالة إلى ستوليبين أطلب فيها إبعاد تشيرتكوف من المنطقة المجاورة لنا. وكان ستوليبين قد سافر إلى سيبيريا ولهذا لم أبعث بالرسالة. ونصحني سوخوتين بعدم إرسالها، كما أخذت بنصيحة ليوفا والكونت الزائر د. أ. أولسوفييف الذي وصل اليوم برفقة ابنه سريوجا. لقد عذبنا – نحن الضيوف جميعاً – تانيا المسكينة.

أحسنت القول معي مربية تانيتشكا وبعثت إلى قلبي الطمأنينة. وقالت: «صلي إلى الملاك الحارس، من أجل أن يطوع ويهدئ قلبك، وعندئذ سيسير كل شيء نحو الأفضل. حافظي على حياتك».

ذهبنا إلى المدرسة لمشاهدة كيف أدى التلامذة مسرحية مقتبسة من قصة تشيخوف «الصمولة». ساد الجو الحر والضجر، والاقتباس من القصة سيئ.

19 أغسطس. استيقظت في وقت مبكر جداً. وبدأ ذلك بعد أن عذبتني باستمرار فكرة وجود تشيرتكوف بالقرب من ياسنايا. لكن زوجي طمأنني. فقد جاء إلى غرفتي في الصباح وقبل أن أنهض من سريري، وسألني كيف نمت وكيف صحتي، وسألني ليس بالأسلوب المألوف عادة ببرود، في غالبية الأحيان، بل بحنان حقيقي. ثم أكد لي وعده بأن:

1) لا يلتقي تشيرتكوف أبداً.
2) لن يعطي يومياته إلى أي أحد.
3) لن يسمح مستقبلاً لتشيرتكوف وتابسيل بأن يلتقطا *صوراً فوتوغرافية له*. وكنت قد رجوته ذلك سابقاً. وكان يزعجني أن يقف ل. ن. مثل العجوز المتصابية أمام معبوده ليصوره في الغابة وفي الوهاد، ويوجه الشيخ في مختلف الأنحاء، من أجل تصويره وفق الأوامر وتشكيل مجموعة صور فوتوغرافية خاصة به، كما هو الحال في المخطوطات.

لكنه أضاف: «سأتبادل الرسائل مع تشيرتكوف، لأنني أحتاج إلى ذلك من أجل عملي».

آمل أن تكون مراسلة *عمل* حقاً، وليس مراسلات من نوع آخر. إذن، شكراً، لهذا الوعد.

تلقيت رسالة من ليوفا كتب فيها أن موعد محاكمته سيكون في 13 سبتمبر في بطرسبورغ لنشره كراسة: «عودة جهنم» في عام 1905. هذا أمر آخر ثقيل الوطأة ويبعث على الحزن. وسيغادر ياسنايا بوليانا نهائياً في 10 سبتمبر. عندما سألت ل. ن. فيما إذا سنغادر إلى هناك قبل هذا الموعد؟ فعاجل بالقول إنه لا يعلم شيئاً، ولن يقرر مسبقاً. بينما أنا أرى ما سأكابد

من آلام جديدة. إنه في أغلب الظن يبيِّت أمراً ما وطبعاً يعلم كل العلم ما سيكون، لكن لديه عادة وحب الغموض لكي يعذبني طوال حياتي هي عادة قوية لدرجة أنه لا يستطيع التخلي عنها.

ذهبت مع تانيا لجمع الفطر، وكميتها كبيرة لا تعد ولا تحصى، وبعد ذلك مارست الوقت كله الألعاب مع الأطفال، وصنعت الدمى الورقية. أنا لا أستطيع ممارسة العمل، فقلبي يؤلمني، وكذلك دفقات الدم الشديدة إلى رأسي! لقد أهلكني إلى النصف كل من ل. ن. وتشيرتكوف، وفعلا ذلك سوية معاً، وستحل نهايتي إذا ما أصبت بنوبتين أو ثلاث نوبات قلبية كما في يوم أمس. أم ستصعقني نوبة عصبية. حسناً لو حدث ذلك! وفي *أغلب الظن* سيتواصل تعذيبي، وأنا لا أريد الانتحار لكي لا أتنازل أمام ل. ن. وتشيرتكوف.

حدث أمر غريب بل وحتى مضحك. قال تشيرتكوف إنني أقتل زوجي، لكن ما يحدث هو العكس تماماً: فقد أهلكني ل. ن. وتشيرتكوف حتى النصف. ويعجب الجميع حين يرون مدى هزالي وتغير حالي بلا مرض، بل بسبب آلام القلب فقط!

انطلق ل. ن. على صهوة الجواد ويرافقه دوشان بتروفتش. الأماكن هنا غر معروفة لهما. ولهذا قلقت. وفي المساء رويت للكونت د. أ. أولسوفييف كل القصة المتعلقة بتشيرتكوف، ونصحني بأن أواصل الكتابة إلى ستوليبين بشأن إبعاد تشيرتكوف. لكن لا يجوز القيام بهذا الآن، فقد جرت إعادته منذ وقت قصير. إذا ما مارس تشيرتكوف دعاية ما ودعا ل. ن. إلى ذلك، أو استأنف ل. ن. العلاقات المتينة معه، فالأفضل لي أن أتحدث مع ستوليبين شخصياً. هذا كله في المستقبل، أما الآن فيجب أن أعيش يومي هذا.

لعب ل. ن. على مدى ثلاث ساعات متواصلة لعبة الورق «فينت» بحماس كبير. شيء محزن أن أرى ضعفه هذا كله في سن 82 عاماً، حين ينبغي أن يتغلب العامل الروحي على كل شيء عداه! وبودي أن أغمض عيني عن كل مواطن ضعفه، أما قلبي فيرفض ويبحث جانباً عن قبس النور الذي لا أراه في قتامة أجواء عائلتنا.

20 أغسطس. سترسل مساء اليوم بالبريد رزمتان كبيرتان إلى بولجاكوف، أي إلى السيد تشيرتكوف. إن ل. ن. الذي تخلى عن العلاقات معه من أجل تهدئتي يعد شتى الأوراق من أجل مجموعة معبوده بغية إرضائه، وترسل إليه بواسطة بولجاكوف. انطلق ل. ن. على صهوة الجواد بعيداً إلى لومتسي، إلى الغابة، وفي المساء لعب «الفينت» وهو يغالب النعاس.

رحل صباحاً ابني سريوجا وأولسوفييف. راجعت كثيراً مجموعة «الطفولة» من أجل إصدارها. وأنا أسعى إلى التزام الهدوء والانغمار في العمل، لكنني لا أستطيع ذلك كلياً الآن. إن أدنى إشارة إلى تشيرتكوف (الصور الفوتوغرافية اليوم) تجعلني في وضع بائس، فيتدفق الدم إلى رأسي وقلبي، وتغمر روحي الكآبة. نعم، لن تكون هناك سعادة في الحياة في البيت، ولا بد من التسليم بذلك، وعدم البحث عنها في آخر أو الآخرين! جاء أبريكوسوف؟

تظهر الصور الفوتوغرافية التي التقطت في كوتشيتي في غيابي، الجميع وراء المائدة، ويجلس تشيرتكوف *قريباً* من ليف نيقولايفتش. وجعلني ذلك أنفجر غيظاً مرة أخرى! كتبت إلى ماسلوفا ويليز...

21 أغسطس. السهاد مجدداً، وخفقان القلب مجدداً، وبودي أن أبكي وأن لا أعيش. نعم، *لماذا* فتحت عيناي على أمور كثيرة؟ ولماذا أصبو إليه، إلى زوجي، وحبه وحنانه والثقة الماضية؟ لقد اقتنى مفتاحاً من أجل أن يخفي يومياته. حسناً لو أنه يغلقها عن *الجميع*، لكنه يخفيها عني فقط! حدثت أبريكوسوف عن هذا الأمر اليوم وقلت: «الرب وحده يعرف ما يقال ويفكر به الناس بشأن غيرتي على ل. ن. من تشيرتكوف، وأنا أشعر فحسب بأنه سلب *روح زوجي*». فقال ميخائيل سيرجييفتش: «حقاً، هذا صحيح، لكن الوقت فات الآن، وقد سلبت الروح منذ وقت بعيد، وفات الأوان لعمل شيء...». ولا يمكن إصلاح الأمر. أنا أشعر بذلك، أنا مذنبة وأتحمل العقوبة، وأنتظر المساعدة والخلاص ليس من الناس، بل من الرب! وفي أغلب الظن سيأتي الخلاص مع وفاتي!... أنا أشعر بأن قلبي عليل، وجداً عليل.

الطقس اليوم حار فحسب، والجو صاف، وعاد الصيف. ذهبت مع الأطفال وتانيا وليليا إلى الغابة، وهدني التعب هداً. ليف نيقولايفتش يتنزه لوحده. وفي المساء لعب مجدداً الشطرنج كما لعب «الفينت» بكل حيوية. بينما بقيت طوال المساء تقريباً راقدة في الفراش، وأشعر بأنني مريضة تماماً. ثم جاء إليّ وأبدى فرحه لكوني أرقد بهدوء وتحسست في صوته شيئاً من العطف. وهكذا ألتقط هذه اللحظات النادرة!

لقد أضنت ل. ن. الأعوام الطويلة من التخلي عن كل ما يتعلق بالمعيشة البيتية، والآن et il se rattrape [1] باستغلال، قدر الإمكان، كل خيرات ومباهج الحياة. في ياسنيا لن تكون لعبة «الفينت» وهذا العدد الكبير من الأشخاص البسطاء والعاديين، وهو يشعر بالضجر، ولن يذهب إلى هناك قريباً. كتبت رسائل الى: كاتيا وأندريوشا وشقيقتي تانيا.

كتاب «الطفولة» جاهز للطبع، كما قرأت فصلاً من «الإيفينيون». العبارات التالية مذهلة: «ترك سريوجا لدي منذ النظرة الأولى انطباعاً شديداً. إن وسامته غير العادية قد أذهلتني وأسرتني. وشعرت بميل عنيف إليه...». ثم يرد لاحقاً: «كانت رؤيته كافية من أجل نيل سعادتي، وفي الوقت نفسه فإن جميع قواي الروحية كانت تتطلع إلى هذا. ماذا سيحدث إذا لم أستطع خلال ثلاثة أو أربعة أيام أن أرى ولو مرة واحدة هذا الوجه المليح، إنني كنت سأشعر بالوحشة، ويتملكني الحزن حتى ذرف الدموع. إن جميع أحلامي كانت منصبة عليه...».

الليل... لم أستطع أن أنام. صليت طويلاً والدموع تترقرق من عيني، وأدركت بأن تلك الآلام التي أكابدها، يجب أن تكون بمثابة الوسيلة المتجددة لدعائي الحار إلى الرب، والندم عن أمور كثيرة، وربما أيضاً عودة السعادة أو الهدوء الروحي...

22 أغسطس. يوم عيد ميلادي، وبلغت سن 66 عاماً، وما زلت أتمتع بالطاقة ذاتها، وكذلك بالحساسية الحادة، وشدة الانفعال و- الناس

---

1 - يعوض عما فات (بالفرنسية).

يقولون - إنها روح الشباب. لكن الشهرين الأخيرين جعلاني أشيخ جداً، وليرحمني الرب، وأقترب من النهاية. نهضت وقد هدني السهاد هداً، وخرجت للتجول في المتنزه. الطبيعة رائعة في كل شيء: الممرات القديمة لشتى أصناف الأشجار، والأزهار البرية التي تفتحت مجدداً، والفطر «ريجينكي» وغيره من أصناف الفطر، السكون والوحدة كنت لوحدي مع الرب. كنت أمشي وأصلي طوال الوقت. لقد صليت من أجل الجنوح إلى الطاعة، والكف بمعونة الرب عن معاناة الألم الروحي. كما صليت من أجل أن يعيد الرب لي محبة زوجي قبيل وفاتنا. أنا أؤمن بأنني سأستعيد بالصلاة هذه المحبة، وما أكثر ما أذرف من دموع وأضع الإيمان في صلواتي.

جاء الأطفال الأعزاء وليليا لتهنئتي في الصباح. أما ل. ن. فقد جاء مرتين للسؤال عني حين كنت في النزهة. فلا بد من أجل اللياقة والأدب من تهنئة الزوجة بعيد ميلادها. تطلعت في عينيه لكي ألتقط ولو للحظة مظاهر حبه السابق لي المفعم بالثقة. وعندما أستعيده فلربما سأتصالح مع تشيرتكوف. ولو أن هذا صعب! ولكن مرة أخرى سيتكرر الأمر، وعود على بدء.

انطلق ل. ن. على صهوة الجواد بعيداً للقاء الخصي الذي زارنا سابقاً كما جاء إلى تشيرتكوف حين كان ليف نيقولايفتش هناك. وقطع ذهاباً وإياباً مسافة 20 فرستاً ولم يشعر بالتعب. يا لها من صحة حديدية. مارس في المساء لعبة «فينت» مجدداً. كما لعبت أنا أيضاً وراء طاولة أخرى. وعلمنا ليليا سوخوتينا اللعبة تنفيذاً لرغبتها، بينما أتعبت بصري جداً، حين طالعت طوال النهار وفي المساء مسودات المطبعة التي أرسلت إلي، إن لعب الورق هو راحة للبصر.

كانت المسودات من «قصص الحرب». أية روعة في الأماكن الجميلة التي يرد وصفها في قصص سيفاستوبول! وقد أعجبت بها وتمتعت لدى قراءتها! نعم! إنه أديب حقيقي، وعبقري زوجي! ولولا تشيرتكوف وتأثيره وتحريضه على كتابة الكراريس مثل كراس «الطلب الوحيد» وغيره، لكان أدب ليف تولستوي مغايراً تماماً خلال الأعوام الأخيرة. أنا أشعر بأن أعصابي أقل توتراً، ولو أنني أشعر بألم في القلب، وأخشى في كل لحظة حدوث انفجارات ونوبات جديدة. اليوم لعبت حتى مع الأطفال بخمول وضجر.

كيف وبمَ ستنتهي حياتنا؟! أنا لا أستطيع حتى تصور ذلك! بعد عيد ميلاد ل. ن. سأسافر إلى ياسنايا بوليانا، وفي أغلب الظن إلى موسكو، وماذا سأفعل لاحقاً؟...

23 أغسطس. أمضيت اليوم ناعمة البال، ولو أنني أشعر بوعكة. تراودني الفكرة اللجوجة ذاتها – قرب ل. ن. من تشيرتكوف.

إن قلبي يؤلمني فيزيقياً فحسب، لأسباب روحية، والرب وحده يعرف ماذا يدور في الرأس. إن الجانب الأيمن من رأسي كله يؤلمني... ستحل نهايتي قريباً. ويؤلمني أن أترك زوجي إلى تشيرتكوف!

تلقيت رسالة ومختلف المقالات من بيريوكوف من أجل النشر، يجب العمل، لكن تعوزني القوة، وصفاء الذهن. تحدثت اليوم عن سفري من أجل اختبار كيف سيتقبل ل. ن. ذلك. أعتقد أنه سيكون فرحاً، لكن فرحته تجلب لي المعاناة الكثيرة! بينما يحزنني السفر.

تنزهت، وطالعت «الطفولة» ومجدداً شعرت بالقلق جداً بصدد كيفية إصدار القسم الأول منها. كما تنزه ليف نيقولايفتس، وكتب رسالة إلى ثوري ما في سيبيريا. وقال إنه معافى. وبعد النزهة دعاني من النافذة، فغمرتني بهجة حمقاء وفاضت روحي بالسعادة بسرعة. آه، لو أنه صار يحبني فعلاً مجدداً! قرأت بصوت عال لحفيدتي العزيزة تانيوشكا.

الآن الساعة 11 مساء. يلعب ل. ن. يومياً الورق «فينت» بولع، وما زال جالساً ويمارس اللعب حتى الآن.

24 أغسطس. ما أصعب الليالي المؤرقة! مساء يوم أمس صليت طويلاً وطويلاً، وأنا أذرف الدموع. وكان أكثر ما ابتهلت من أجله هو طرد روح الشر من بيتنا ومن علاقاتي مع زوجي ما ابتهلت أكثر.

يوجد في بيت آل سوخوتين طفلان صغيران، ملاكان، ولهذا فإن حياتهم تمضي بخفة وبصورة طيبة. أما في ياسنايا بوليانا فإذا لم يوجد تشيرتكوف نفسه يوجد هناك شبحه الذي لن يختفي لأمد طويل من جدرانها ومن خيالي. وسيبدو أمامي هذا الشخص في كل مكان بهيئة ضخمة وكريهة بالنسبة لي

حاملاً كيساً كبيراً كان يأتي دوماً معه ويضع فيه بمكر ودهاء وبهمة جميع مخطوطات ليف نيقولايفتش.

عملت في تصحيح مسودات «ماذا سنعمل؟» و«الطفولة» من أجل النشر. زرت مع تانيا وساشا جارتنا الأميرة جوليتسينا. إنها امرأة لطيفة وصلبة في الرأي وذكية. ويقطن معها شقيق زوجها وابنته والعجوز الطريفة للغاية ماتسنيفا، التي تجاوزت سن الثمانين، إنها ذات حيوية وتهتم بكل شيء، لكنها، كما أعتقد، ميتة روحياً، أي إنها لم تعد تهتم بأية قضايا روحية.

ساد الهدوء في المساء، بلا شطرنج و«فينت»، ولزم الجميع غرفهم. الوقت يمضي سريعاً، ولا أرغب بممارسة أي شيء عملي، لكنني أريد السفر إلى ياسنايا وموسكو من أجل العمل. لقد تعبت!

25 أغسطس. ابتهجت صباح اليوم لدى ظهور ليف نيقولايفتش على حين غرة عند بابي. كنت أغتسل ولم أستطع الدنو منه فوراً. وألقيت بسرعة الروب على كتفيي المبللين وسألته: «ماذا حدث يا لوفوتشكا؟»

– «لا شيء، لقد جئت لأعرف كيف كان نومك وكيف صحتك؟».

فأجبته، وانصرف. ولكن بعد عدة دقائق عاد وقال: «أردت أن أقول لك أنني كنت ليلة أمس، في حوالي الساعة الثانية عشرة، أفكر فيك وحتى أردت المجيء إليك. وفكرت بأنك تشعرين بالوحدة لوحدك ليلاً، *وماذا* تفعلين، وأحسست بالشفقة عليك...». علماً بأن الدموع ترقرقت من عينيه، وصار يبكي. فتملكتني فرحة كبيرة، وسعادة غامرة، عشت بها طوال اليوم، بالرغم من أنني لم أكن معافاة، كما يتواصل قلقي بصدد اقتراب موعد سفري إلى ياسنايا وموسكو.

عملت كثيراً جداً في هذا اليوم في مراجعة «البعث» من أجل إصدار الطبعة الجديدة من المؤلفات. يجب شطب المقاطع ذات الألفاظ النابية فيها، وإعادة ما حذف سابقاً، وهو عمل كبير يتسم بالمسؤولية. وقد أشار إلى ذلك دافيدوف وابني سريوجا وساعداني كثيراً. لكن يتعين علي أن *أضيف العبارات* بنفسي.

أنا مسرورة بمرافقة تانيوشكا، وأتنزه معها، بينما أتكدر من معاملة بناتي

المولعات أيضاً بتشيرتكوف ويتخذن مواقف غير عادلة مني. بادلت تانيا في المساء حديثاً طويلاً، لكن لم يقنع أحدنا الآخر برأيه. أنا كابدت كثيراً خلال الشهرين الماضيين لكي أؤكد بأنه لم تكن هناك أسباب لذلك. لقد وجد سبب وهو فظيع! أنا أصلي وصليت يوم أمس وأذرف الدموع بألم ولكن بحرارة وأنا أبتهل أن يعود إلي قلب زوجي وحبه. يا لها من مصادفة عجيبة! ففي الساعة الثانية عشرة ليلاً بالذات، حين كنت أبتهل إلى الرب، وأنا جاثية والدموع تترقرق من عيني، كان زوجي يفكر في بشفقة! هل يمكن بعد هذا عدم تصديق الصلاة؟ كلا، لا توجد قوة *أكثر سخونة*، من الصلاة من أجل المحبة الروحية، ولا تذهب عبثاً، فهي أمر لا ريب فيه!

كتبت إلى فانيا أرديلي وحفيدي سريوجا.

26 أغسطس. يدب فيّ الضعف وأتألم أحياناً بالرغم من أنني تمالكت أعصابي جزئياً، وسعيت إلى التزام الحكمة، والاستقلالية الروحية عن الآخرين، وسعيت إلى أن أصون بقدسية وأدعم مزاج التوجه إلى الصلاة في نفسي.

لقد أوضح الحديث مع ابنتي تانيا الليلة الماضية أموراً كثيراً. فهي وساشا وليف نيقولايفتش يتبادلون الرسائل بصورة مكثفة وبنشاط مع تشيرتكوف. إنهم يخشون بالغ الخشية أن أقرأ شيئاً منها (بالرغم من أنه لم تكن لدي أبداً العادة الدنيئة في قراءة رسائل الغير). وفي ياسنايا يتم عبر أشخاص مقربين لهم فقط نقل الرسائل إلى تشيرتكوف، ويضعونها هناك في حقيبة ويغلقونها بإمعان أو يكتبون عليها إنها إلى جولدينفيزر أو بولجاكوف.

كما يحرص ل. ن. على إخفاء يومياته عني، ويخشى مع هذا أن تقع في يدي بشكل ما. أنا لم أنم اليوم واستغرقت في التفكير في أنه لن تحاك الآن شبكة من مختلف الدسائس ويردد هاجر الكلام بحقي (طبعاً بشكل روح الطاعة المسيحية)، وفي الرسائل المتبادلة مع السيد تشيرتكوف. لقد أخذ ل. ن. لنفسه دور المسيح، ومنح تشيرتكوف دور تلميذ المسيح المحبوب. أنا لم أقرأ أية رسالة من رسائل ل. ن. إلى تشيرتكوف أو رسائل تشيرتكوف إلى ل. ن.، لكنني أستطيع أن أورد كل ما كتب فيها من تلميحات هناك بشأني: «ص.

أ. (أي صوفيا أندرييفنا) بائسة، وأنا أسعى إلى الصبر وتذكر بأنني دعوت إلى تحقيق إرادة من أرسلني... وأشعر أكثر من أي وقت مضى بالتقارب الروحي معكم... وأفكر فيك باستمرار، وبودي أن أراك... لكن لا حاجة إلى ذلك، إذا ما شعرت بتقارب روحينا ونعرف بأننا نخدم أباً واحداً... أبتهل إلى الرب بأن يمنحني الصبر، قبلاتي...» وغير ذلك من العبارات المنافقة التي تكمن خلفها بمهارة الكاتب، الإشارة دوماً، في أغلب الظن، إلى المعاناة بسبب المرأة الشريرة. وستحفظ من أجل الأجيال القادمة بحرص هذه المراسلات بين ل. ن. وتشيرتكوف، وجميع المؤلفات حول هذا الموضوع.

الرب شاهد على مدى سعيي لاكتساب الحكمة التي تخلصني من معاناة الألم بسبب عدم محبة زوجي لي ومحبته لتشيرتكوف، ولتربية روح اللامبالاة في نفسي والتعامل بهدوء مع جميع الدوافع الدنيوية لنصب الشباك من قبل عائلتي (بناتي) وزوجي وهذا *المنافق الشرير* تشيرتكوف، كما وصفه ن. ن. جي. لكن هذا في بعض الأحيان أمر محزن.

مهما كانت أحوالي فلم يكن بوسعي أن أمنح زوجي أكثر مما أعطيته له. فقد أحببته حباً جماً وبتفان وبنزاهة وبحنان، وأبديت له كل رعاية، وصنته وساعدته قدر استطاعتي ومقدرتي، ولم أخنه قولاً أو فعلاً ولو بحركة الأصبع. فماذا يمكن أن تهبه المرأة أكثر من الحب الجارف؟ أنا أصغر من زوجي بـ 16 عاماً وكنت أبدو دائماً أصغر من عمري بـ10 أعوام. ومع هذا وهبت له فقط كل لهفة حبي المعافى والمشبوب. أنا كنت أفهم بأن كل قداسة فلسفة زوجي ستبقى في الكتب فقط، وهو بحاجة من أجل العمل إلى الجو المعتاد والمريح، وقد عاش طوال حياته في هذا الجو، وهذا ليس من أجلي!... الرب معه، وعونك يا رب! وساعد الناس على أن يكتشفوا ويروا *الحقيقة*، وليس النفاق. ومهما كانت الدسائس التي تحاك ضدي، فإن محبة ليف نيقولايفتش لي تتراءى في كل مكان ويطرح في كل وقت السؤال: إذا ما عاش اثنان سوية 48 عاماً، وأحب أحدهما الآخر، فهل وجد *دافع* لهذا الحب؟

والآن تعتمد اللهجة التالية: أنا غير *طبيعية*، ومصابة بالهستيريا، وأكاد أن أكون مجنونة، ولهذا فإن كل ما يصدر عني يجب أن ينسب إلى مرضي. لكن الناس، وبالأخص السادة، لهم رأيهم في تمحيص الأمور.

في المساء. قضيت بقية اليوم صابرة، بالرغم من أنني لم أكن هادئة تماماً. عملت كثيراً في تصحيح «البعث» من أجل إصدارها. أنا لا أحب هذه الرواية. ففيها الكثير من الزيف والحقد المستتر على البشر. رويت للأطفال حكاية من تأليفي، كما قرأت لهم، وتجولت في المتنزه، وصليت، وفي المساء لعبت «الفينت» مع ل. ن. والأخوين سوخوتين. تظاهر ل. ن. بأنه منزعج من اللعب معي، وأنا أعلم بأنه يفضل اللعب مع بناته. ما الذي يجعلني منبوذة طوال الحياة، وأكابد وأتنازل للجميع؟ لقد عشت بكل تفان، فماذا حققت؟ كفى!

ذهب ليف نيقولايفتش اليوم مع ميخائيل سيرجييفتش في العربة إلى تريخانيتوفو حيث يوجد بستان تفاح كبير. وعاد من هناك مشياً على الأقدام. وعمل في تصحيح الكراريس الرخيصة الثمن الواردة من جوربونوف، وفي المساء تحدث مع فلاح قادم من ساراتوف. لعب الشطرنج كما لعب في وقت لاحق في المساء «فينت». اشتكى من ضعف الجسم، ولكن يؤثر فيه الجو الدافئ والخانق والثقيل، والجميع يشعرون بالوعكة، وبلا نشاط.

نحن نحيا يومنا هذا فحسب، ولا يعرف ما سيحدث لاحقاً. كتبت إلى فانتشكا أرديلي ون. ب. نورمان عن تشيرتكوف.

27 أغسطس. صباحاً. يحيا في بشكل مؤلم جرح الغيرة من تشيرتكوف! لماذا فتح الرب عيني على هذا كله؟!

استيقظت مجدداً والدموع تترقرق من عيني لأنه راودني حلم مؤلم. وقد أيقظني حتى صراخي بذاتي!

لقد رأيت ل. ن. مرتدياً معطف فرو قصيراً وقلنسوة شدت من الخلف، واعتمر قبعة عالية من فرو الضأن، وشابت وجهه مسحة صارمة تبعث على النفور. سألته: «إلى أين أنت ذاهب؟». فأجاب مدمدماً: «إلى جولدينفيزر وتشيرتكوف، يجب مراجعة إحدى المقالات معه وإيضاحها».

وأنا متكدرة لأن ليف نيقولايفتش لم يلتزم بوعده، فانطلقت في النشيج والصراخ مما جعلني أستيقظ. والآن بالكاد أقدر على الكتابة، إذ يرتجف قلبي ويدي.

في المساء. تجولت لوحدي باضطراب شديد، وكنت أصلي وأبكي. كل شيء فظيع في المستقبل. لقد وعد ل. ن. بأن لا يلتقي تشيرتكوف أبداً، وألا تلتقط له صور بإيعاز منه، ولا تسلم اليوميات إليه. لكن توجد لدى ل. ن. الآن حجة أخرى جديدة، يستخدمها، متى ما يريد وتتطلب الحاجة إليها. فهو يقول عندئذ: «أنا نسيت!»، أو: «أنا سأتراجع عن كلمتي». ولهذا من الصعب تصديقه.

عملت كثيراً في تصحيح الطبعة الجديدة من المؤلفات. وقمت بتصحيح «حول الفن» و«حول التعداد» و«البعث». عملي هذا شاق! ورأسي يؤلمني كثيراً، وأشعر بالكآبة! الكآبة!

عندما تمنيت ليلة سعيدة لليف نيقولايفتش، أفصحت له عن كل شيء: إنه يراسل تشيرتكوف بأسماء مختلف الجواسيس: بولجاكوف وجولدينفيزر وغيرهما، وإنني آمل ألا يخدعني في وعوده، وسألته فيما إذا يكتب إلى تشيرتكوف يومياً؟ وقال إنه كتب له مرة في رسالة سجلتها ساشا، ومرة أخرى كتب بنفسه. على أي حال كتب رسالتين منذ 14 أغسطس.

28 أغسطس. عيد ميلاد ليف نيقولايفتش الثاني والثمانين. الجو صيفي صاح ورائع. نهضت من الفراش قلقة، فلم أنم الليالي. وذهبت لتهنئة زوجي، لكن غلبني القلق. وتمنيت له حياة طويلة، ولكن بلا أي خداع وأسرار ووساوس شيطانية، والشيء الرئيس تمني أن تشرق *نفسه بالطيبة بصورة حقيقية* في أواخر حياته.

قطب جبينه وأربد وجهه فوراً. إنه، المسكين، ممسوس ويعتبر نفسه مع تشيرتكوف قد بلغا ذروة الكمال الروحي. مسكينان! أصابهما العمى والغرور! قبل هذا، ومنذ عدة أعوام خلت، كان ل. ن. أسمى روحياً! كان يتطلع بصدق إلى البساطة، وحرمان نفسه من أي ترف، ويصبو إلى أن يكون طيب القلب وصادقاً ومنفتحاً وبنزعة روحية سامية! أما الآن فهو يلهو بمرح بشكل سافر، ويحب ما لذ وطاب من الطعام والجواد الأصيل ولعب الورق والموسيقى والشطرنج والصحبة الصاخبة المرحة والتقاط مئات الصور الفوتوغرافية له.

وفيما يتعلق بالتعامل مع الناس فهو حلو المعشر معهم بقدر ما يتملقونه ويتوددون إليه ويتغاضون عن مواطن ضعفه. واختفى كل تعاطف مع الآخرين. هل هي الأعوام؟

جاءت فاريا ناجورنايا وماشا تولستايا الكنة. وفرحت بهما كثيراً، ولكنني صرت أشعر بأنهم جميعاً يعاملونني وكأنني مريضة، وأكاد أكون مجنونة، ولهذا فهم يبتعدون عني ويتجاهلوني. هذا أمر ثقيل الوطأة جداً!

لوعرفت بأنني ارتكبت خطيئة شنيعة بحق أهل بيتي لسعيت إلى إصلاح نفسي.

حسناً لقد شتمني تشيرتكوف ولم يعد زوجي يحبني، ويخفون عني كل شيء، كما يشنون الهجمات علي، ولكن ما الأمر ومن أي شيء أصلح نفسي؟ هل أن أحب تشيرتكوف؟ لكن هذا أمر لا أمل فيه. والطعنة الموجهة إليّ تركت جرحاً ويؤلمني ويضنيني بشكل فظيع!

قال ل. ن. اليوم إن المثل الأعلى في المسيحية هو العزوبية والعفة والطهارة. وعندما عارضته بالقول إن الرب خلق الزوجين، وبإرادته، فلماذا يجب الوقوف ضده وضد قانون الطبيعة، قال ل. ن. بالإضافة إلى ذلك إن الإنسان حيوان، لكن لديه عقل، وهذا العقل يجب أن يكون أسمى من الطبيعة، ويجب على الإنسان أن يكون ملهماً ببعث الروح وألا يهتم بمواصلة النوع الإنساني. إن هذا القول ربما يكون مقبولاً لو أن ل. ن. كان راهباً وناسكاً وعاش بلا علاقة زوجية. بينما أنا ولدت بإرادة زوجي ست عشرة مرة: عاش ثلاثة عشر طفلاً، بينما توفي ثلاثة منهم.

الآن بعد مرور 48 عاماً، أبدو مذنبة أمامه بسبب طلباته، واليوم أقف أمامه وأشعر بأنه على استعداد الآن لإبداء الكراهية لي لهذا السبب، وإنكار كل ما عاشه، وتكوين *خلوات روحية* تتجسد في استحواذ تشيرتكوف على أوراقه وفي مئات الصور الفوتوغرافية الملتقطة مع السيد تشيرتكوف وكذلك في وجود أسرار معه.

المساء. إن عبء الحياة يلقي بثقله عليّ أكثر فأكثر. كيف سينتهي هذا كله؟ الرب يعرف، والرب وحده يمكن أن يساعدني. هذا ما حدث: في

المساء توجهنا جميعاً لمشاهدة استحمام الأطفال في الحمام. ولدى عودتنا جلست، وأمعنت الفكر، ثم قلت لليف نيقولايفتش إنه تحدث منذ برهة عن العفة لدى البشر باعتبارها المثل الأعلى، وإذا ما تم بلوغها حتى النهاية فلن يكون هناك أطفال وبدون الأطفال لن توجد ملكوت السموات على الأرض. لأمر ما أثار قولي غضب ل. ن.، وراح يصرخ في (فيما بعد قال لي ميخائيل سيرجيفتش إن ل. ن. خسر آنئذ الشوط الثالث في لعبة الشطرنج). وقال ل. ن. إن المثل الأعلى يكمن في *السعي* إلى بلوغه. بينما قلت: «إذا ما رفض الهدف النهائي، أي ولادة الأطفال، فلا معنى للسعي إلى بلوغ الهدف. فما الحاجة إليه؟» – فصرخ ل. ن. فيّ بحنق: «أنتِ لا تريدين أن تفهمي شيئاً، أنت حتى لا تستمعين إليّ».

لم أتحمل اللهجة الغاضبة لليف نيقولايفتش بهدوء بسبب روحي العليلة، فبكيت وانصرفت إلى غرفتي. وبعد انتهاء شوط الشطرنج جاء إليّ قائلاً: «ماذا أزعجك؟» و*ماذا* وجب أن يوضح *لك*؟ فقلت إنه لا يتحدث معي البتة، وعندما يتحدث ينفعل غاضباً ظالماً وحاقداً. وتحول الحديث شيئاً فشيئاً إلى جدل ساخن، اتسم بالكدر جداً من جانبي، وبالحنق البالغ من جانب ليف نيقولايفتش. وانبجست الملامات القديمة. فأجاب على دعوتي المترعة بالألم حول ما يجب عمله من أجل أن نكون قريبين وذوي مودة أكثر، بأن أشار بحنق إلى الطاولة حيث وجدت مسودات التصحيح وصرخ: «التخلي عن حقوق المؤلف، والتخلي عن الأرض، والعيش في كوخ». فقلت: «سنعيش بلا غرباء ونفوذ خارجي: سنعيش مع الفلاحين، لكن فقط نحن الاثنين سوية...». وحالما وافقت اندفع ل. ن. نحو الباب وردد الكلمات القانطة: «آه، يا رب، دعيني، سأرحل»، وهلم جرا. قال: «لا يمكن أن يكون المرء سعيداً إذا ما كان، مثلك، يكره نصف البشرية...». وعندئذ كشف عن نفسه. « حسناً، أنا أخطأت، – بقولي نصف». وسألته: «حسناً من أكره؟».

– «أنت تكرهين تشيرتكوف وتكرهينني».

– «حقاً، أنا أكره تشيرتكوف، ولكنني لا أريد ولا أستطيع جمعك به».

وشعرت بوخزة شديدة في قلبي، هذا الحب الجنوني نحو المعبود الذي لا يستطيع الانفكاك عنه، ويشكل السيد تشيرتكوف بالنسبة له نصف البشرية.

وترسخ لدي العزم أيضاً على أنني لن أستقبل أبداً ولن أرى وأفعل كل ما في وسعي من أجل أن ينفصل ل. ن. عنه، وإذا لم يتحقق فليقتل تشيرتكوف وليكن ما يكون. فالأمر سواء إن الحياة الآن جهنم.

فهمت فارنكا كل شيء: بينما تصدر ماشا أحكامها بشكل ضيق جداً، ومن حسن حظها أنها لا تعرف ولا تفهم أموراً كثيرة. وحسناً أن تفتح عينيها وتكتشف حب ل. ن. نحو تشيرتكوف. ولربما ستدرك آلامي، ومصدرها، إذا ما قرأت الورقة الملصقة في نهاية هذا الدفتر.

العيش في كوخ! لقد وزع ل. ن. في أثناء جولته التفاح على الصبيان والصبايا. وفي المساء لعب خلال ساعتين ونيف الشطرنج وساعتين أخريين لعب «فينت». إنه يشعر بالسأم بلا تسلية، أما الكوخ والعيش في الكوخ فهي مجرد ذرائع لإظهار الغيظ مني، وتسجيل عدم موافقته مع زوجته بيد الكاتب الحاذقة لكي يقوم بدور الشهيد والقديس.

إن الإسطورة الشائعة حول كسانتيبا (زوجة سقراط) ليست منتشرة عبثاً. وسيمنحون لي دورها الناس غير الأذكياء، أما الأذكياء فسيدركون ويتفهمون كل شيء.

إنني أريد أن أرحل من هنا، بغية أن يتوفر لي بعض الوقت للعيش في عزلة وبلا تهجمات. بينما يحيط غرفتي من كافة الجوانب الصخب وكثرة الناس، والجميع لا يتخذون موقفاً طيباً مني، لأنني أتجاسر على أن أصاب *بالمرض* وأكابد الألم روحاً وجسداً.

29 أغسطس. أثرت في لهجة ل. ن. الغاضبة يوم أمس في تأثيراً شديد الوقع، ولذا لم أنم طوال الليل، وصليت وبكيت وخرجت عند الفجر للتجول في المتنزه والغابة. ثم عرجت على مساعدة الطبيب اللطيفة آنا إيفانوفنا، وهناك وجدت السلوان لديها وأمها العجوز الحانية والعطوفة. بينما بحث ل. ن. عني في كل مكان ولم يعثر علي. وجئت إليه. فقال إنه يؤكد وعوده لي: 1) لن يلتقي تشيرتكوف 2) لن يعطيه اليوميات 3) لن يسمح بالتقاط صور فوتوغرافية، لكنه في الوقت نفسه يضع الشرط التالي: الحياة المسالمة. إنه استشاط غضباً وصرخ، ثم تبين أن *الذنب* يقع عليّ. إنه يتحجج

بمختلف الذرائع من أجل أن يلتقي تشيرتكوف، ويكدرني عن قصد وينكث الوعود. هذا ما أخشاه. وسيكون هذا في *أغلب الظن* حين أغادر المكان. ولا فائدة من مكابدة ما عانيته مرة أخرى.

تلقيت برقية من ليوفا يبلغني فيها أن موعد محاكمته قد تحدد ليس في 13 بل في 3 سبتمبر وإنه سيسافر في يوم 31 أغسطس. وقد سررت لوجود ذريعة للسفر، والشيء الرئيس أنني كنت أود لقاء ابني وتوديعه ورفع معنوياته. فسافرنا أنا وساشا إلى بلاجوداتنايا ثم إلى أوريول ومنها إلى ياسنايا. وودعنا ل. ن. بمحبة وتأثر، وحتى ذرفنا كلانا الدموع، وطلبنا من أحدنا الآخر المغفرة. لكن هذه الدموع وطلب المغفرة بدت وكأنها وداع السعادة والمحبة القديمة. وبدا كما لو أن حبنا الذي استيقظ من سباته مرة أخرى، مثل طفل محبوب، دفن إلى الأبد، بعد أن جرح وقتل وقد قضت عليه فاجعة فقدانه والانتقال إلى شخص آخر. وقد بكيته مع ل. ن. ونحن نحتضن أحدنا الآخر ونتبادل القبل ونذرف الدموع، بينما كنت أشعر بأنه لا عودة لحبنا! فهو لم يكن *قادراً* على التخلي عن حب تشيرتكوف، ويشعر بهذا بنفسه، ويتألم!

كنت في طريق الرحلة في حالة شبه غفوة وإنهاك، كما لو أنني محطمة بكل كياني. البرد، درجة الحرارة 2 فوق الصفر، وكنا، أنا وساشا، نرتعش من البرد، ونتثاءب. وصلنا في الساعة الخامسة صباحاً.

30 أغسطس. وصلت إلى البيت، وهذا أمر حسن وأفضل مما في خارج البيت. خرجت للنزهة مع ابني ليوفا وكنتي كاتيا. الجو منعش وصاف وذو سناء. والتقيت بولجاكوف وبوليجين وماريا ألكسندروفنا. ورويت لبوليجين بانفعال كل القصة المحزنة مع تشيرتكوف. ويبدو أنه فهم لكنه لم يرغب في الاعتراف بذلك. تجولت بالقرب من البيت وولجت غرفتي وليف نيقولايفتش. وبدا لي كل شيء فيها مغايراً تماماً، كما لو أن كل شيء قد دفن إلى الأبد، وسيكون الآن غير شبيه به حينما كنا نعيش سابقاً. *ماذا* سيكون؟ لا أعرف ولا أستطيع تصور ذلك.

ذهبت ساشا وفارفارا ميخايلوفنا إلى تشيرتكوف. وقالتا إنه منشرح الصدر جداً ومفعم بالحيوية. أنا أسمع قهقهته السخيفة. شيء مقرف!

استلمنا عدد سبتمبر من مجلة «The World`s Work» الصادرة في نيويورك. وتنشر فيها مقالة تتضمن الثناء جداً علي، ومعطيات من سيرة حياة ليف نيقولايفتش. بالمناسبة يرد فيها عني إنني كنت طوال الحياة confident and counseller لليف نيقولايفتش، وإنني وهبته the strength of her body, mend and spirit، وغير ذلك من عبارات الإطراء جداً لي. فكيف لا أتكدر حينما أعطي إلى تشيرتكوف هذا الدور بصفة confident و counseller؟ إنني سيصيبني الهزال وأبكي بلا إرادتي، كما يحدث غالباً في الفترة الأخيرة.

قام عمال السباكة اليوم بصب التماثيل النصفية التي أنجزها ليوفا، ولا يماري أحد في أنها تنم عن موهبة وإتقان في العمل. علماً أن السباك م. أ. اجافييف - أحد معارفنا القدامى - قد تولى صب التماثيل النصفية لليف نيقولايفتش السابقة وغيرها.

مارست على مضض الأعمال المنزلية ومراجعة الأوراق وإدارة الإعمال، وعمل الطلبيات لعمال الصباغة وعامل بناء المواقد واستيضاح بعض الأمور، لكنني شعرت بأن رأسي مشوش ولا أفقه شيئاً.

31 أغسطس. تلقيت رسالتين من: تانيا ومن ليف نيقولايفتش. في البداية فرحت، وفيما بعد بكيت. فكتب لي زوجي «كم سيكون حسناً بالنسبة لي ولك لو أنك استطعت *السيطرة على نفسك*». لديه هدف واحد، ورغبة واحدة هو أن أسيطر على نفسي وأن أسمح له، كما يبدو، بالتقرب من تشيرتكوف. لكن هذا مستحيل بالنسبة لي.

الجو صاح وذو سناء. لكنني أشعر بالبرد وبالحزن. ودعت ليوفا إلى بطرسبورغ لحضور المحاكمة. وخرجت للنزهة مع كاتيا وفارفارا ميخايلوفنا، لكنني تعبة للغاية، وبدأت أشعر بآلام في البطن كله وفي الساقين. في المساء انهمكت بجهد في تصحيح المسودات، وقبل ذلك استنسخت الرسائل. لقد أصابني الضنى الشديد! وما أكثر المشاغل التي انهالت علي! إنني ضعيفة القوى، ولا أتناول شيئاً من الطعام.

1 سبتمبر. غادرت في الصباح كاترينا فاسيليفنا وابنتها! وأنا آسفة لذلك. تناول طعام الإفطار بولجاكوف وماريا ألكسندروفنا وريزيكينا، لقبها الأصلي لدى الولادة هوتسينجر(ليزا)، مع صبيين. إنها لا تخلو من ذكاء ومتعلمة، لكنها ذات توجهات غريبة من حيث النزعة المادية وسعة الاطلاع. كما جاءت في المساء ناديا إيفانوفا. لم أخرج للنزهة: فلا أريد ذرف الدموع وتعكير صفو الأماكن المحبوبة في ياسنايا بوليانا بفجيعتي، فقد كنت طوال حياتي أتنزه فيها سعيدة ومبتهجة بخطوات سريعة وتحت انطباعات جمال الطبيعة، وسعادتي الذاتية! الآن أيضاً كل شيء هنا جميل بصورة غير عادية في هذه الأيام الصاحية والمتألقة! بينما تعتمل روحي الكآبة والحزن!

عملت كثيراً في تصحيح المسودات وفي إنجاز الأعمال المتعلقة بإصدار المؤلفات، وعموماً في تدبير شؤون المنزل والضيعة. لكنني لا أفلح في عمل كل شيء، وأردت السفر إلى موسكو، لكنني لست جاهزة البتة، وتعوزني الطاقة، ويبدو لي كل شيء نافلاً وغير هام.

وقع حادث مؤسف لساشا الوقحة. فقد دخلت الغرفة حين كنت أحدث ماريا ألكسندروفنا عن كيف أرغمنا تشيرتكوف ل. ن. في الصيف، حين كانا في الوهدة، حيث قام تشيرتكوف قبل هذا بالتقاط صور فوتوغرافية لليف نيقولافتش وآنذاك ترجلا من الحصانين، كيف أرغمنا جميعاً: دافيدوف وسولومون وأنا والآخرين، للبحث عن ساعة السيد تشيرتكوف المفقودة، وكيف شعرنا جميعاً بالارتباك والخجل والكدر بسبب إذلال ل. ن. وإذلالنا جميعاً من قبله.

كنت على وشك إنهاء الحديث حين دخلت ساشا لأخذ الشاي وبدأت تصرخ باتجاهي من المدخل بأنني أتحدث عن تشيرتكوف مجدداً. فاحتدمت غضباً، أنا أيضاً، رداً على غيظها، ويا للأسف، وجرى بيننا تلاسن ثقيل. فيما بعد آسفت عليه، ولكن هل يجب أن أطلب رخصة من ابنتي للتحدث مع أصدقائي حول أي موضوع؟ وانتهى النهار ثقيلاً هكذا، وشعرت بأنني تعيسة أكثر فأكثر. كتبت رسالة إلى زوجي.

2 سبتمبر. بدأت منذ الصباح بقراءة مسودات «البعث» من أجل إصدار

المؤلفات. وعند الظهر بعثت في طلب القس الذي تلا الصلوات مع تبريك الماء. إنها صلوات رائعة، باستثناء الأخيرة «انصر مولانا القيصر» وهلم جرا. فليس من المناسب إلى جانب الصلاة والدعاء حول غفران الخطايا وتلطيف غلاظة القلوب والخلاص من المصائب والحزن، الدعاء إلى الرب بأن يجلب النصر، أي قتل البشر.

في المساء جاء نيقولايف وأكد لي بحماس تفاهة تشيرتكوف، وإنه سيكون إذلالاً لي أن أقف معه على قدم المساواة، والزعم بأنه احتل مكانك لدى ل. ن. «مجمل القضية أن الأمور المكتبية منظمة جيداً لدى تشيرتكوف، من أجل استنساخ أعمال ل. ن. - ولهذا فهو يعرب عن امتنانه له لهذا السبب». ويبدو أن نيقولايف وم. أ. شميدت لا يحبان تشيرتكوف.

حدث مرة أن قرأت عند ل. ن. رسالة بعث بها تشيرتكوف إلى القيصر، يرجو فيها السماح بالعودة إلى تيلياتينكي. والرسالة مترعة بالنفاق بالذات، لكن تراءى فيها بقدر أكبر الرغبة في أن يكون قريباً من ل. ن. والآن أعاده القيصر، بينما طردته زوجة تولستوي. «Femme veut, Dieu le veut»[1]. أنا أتصور مدى حزنه بسببي. بينما أنا مسرورة!

الجو ذاته... ساحر ورائع. إنه صاف، والمساء فيه طراوة. تألق وتلاوين الخضرة المتنوعة: أوراق الشجر والأغصان والأحراش. ما زلت تتدلى التفاحات من الأغصان، ويتم حصد الأعشاب، وحرث الأرض، وبدأ استخراج البطاطس. الصباغون يستكملون طلاء السقوف والمباني بالطلاء: ويستخرج التراب من الدفيئات. بينما ما زال هناك فطر في بعض الأماكن في الغابة.

بعد أداء الصلوات والجلوس في البيت طوال اليوم شعرت بأنني أصبحت ناعمة البال وبحال أفضل. تبادلت الأحاديث مع القس فأبدى دهشته مثل الجميع من غلاظة تشيرتكوف. لكن كفى الحديث عنه، سأسدل الستار على هذا الشخص وجميع دناءاته.

3 سبتمبر. أتمتع بمشاهدة الطبيعة الجميلة، وبالأيام المتألقة بشكل ساطع، لكنني مع ذلك حزينة! تلقيت رسالة جيدة جداً من زوجي، فتهللت أساريري،

1 - الرب يرغب ما ترغبه المرأة (بالفرنسية). (المترجم)

واعتملتني الرغبة في أن أندمج معه في حياة واحدة، بلا خلافات، وبلا حنق! لكن *الرسالة* ليست الحياة! وكتبت له أيضاً، كما أعتقد، رسالة طيبة مع ساشا التي سافرت صباح اليوم إلى كوتشيتي. وأنا أعتزم السفر إلى هناك بعد غد أيضاً. حسب إرادة الرب، وكان بودي أن أعود إلى البيت في يوم الأربعاء سوية مع ليوفوتشكا. لقد توقف العمل في إصدار المؤلفات كلياً، ويجب مواصلته. هذا وتأنيب الضمير وواجبي حيال الجمهور الذي يقرأ تولستوي ويحبه.

جاءت نيقولايفا في المساء. إن حياتها ليست سهلة مع زوجها صاحب المبادئ *الملتزم بأفكاره*، ولو أنه زوج طيب، لكنها مع خمسة أطفال، وبلا خدم.

4 سبتمبر. تزداد لهفتي ونفاد صبري لرؤية زوجي، وسأسافر غداً حتماً إلى كوتشيتي. اليوم تنزهت لوحدي، الكآبة تغمر روحي، وقد تلقيت رسالة طيبة من ابني لوفا، وستجري محاكمته في 13 سبتمبر. انهمكت في قراءة «البعث» سوية مع فارفارا ميخايلوفنا، وخرجت لمتابعة أعمال الضيعة. دفء ورياح والأزهار البرية وزهور الحديقة الرائعة، والسحب في السماء، وتنوع تلاوين أوراق الأشجار، - هذا أمر طيب! بيد أن الوحدة *ثقيلة الوطأة!*. وأنا لا أحبها، بل أحب الناس والحركة والحياة. وهذا لدى آل سوخوتين أفضل، فالحضور كثير، وكل الأمور أبسط بلا أفكار واعتراضات. ويشعر ل. ن. هناك بالمرح. ومنذ فترة الغداء يبدأ لعب الشطرنج مع سوخوتين أو طبيب الناحية. ويلعب فترة ساعتين، ثم يتمشى، ويقرأ الرسائل، ويذهب إلى غرفة الطعام، ويبحث عن الجميع ويطلب الإسراع في إعداد الطاولة ويلعب بالورق لعبة «فينت». ويتواصل اللعب خلال ثلاث ساعات حتى الحادية عشرة والنصف ليلاً، في جو من الحماس والمرح. لا ينتظر من ل. ن. حدوث أي تكلف ولا حاجة إليه، ولا يوجد أي أصحاب التماسات أو شحاذون، ولا أية مسؤولية، فعش، واكتب، والعب، وتبادل الأحاديث، ونم وكل واشرب...

أنا أخشى جداً أن تصيبه الكآبة في ياسنايا بوليانا. وسأسعى إلى وجود حضور من الناس. لكن الجميع عندنا قد رحلوا، والآن رحلت تشيرتكوفا وجماعتها.

6 سبتمبر. يعاني ل. ن. من الألم في الأصبع الكبير في قدمه نتيجة ركوبه الحصان يوم أمس، فقد تورم، واصطبغ بالحمرة، وصار يكرر: «إنها غرغرينا الشيخوخة، وأنا، في أغلب الظن، سأموت». وكان حتى المساء في وضع سيئ، لكنه أكل، ورقد في الفراش.

عرض درانكوف الذي جاء في المساء مشاهد سينمائية كثيرة. ونهض ل. ن. وشاهدها أيضاً، لكنه بدا متعباً جداً. بالمناسبة عرضت مشاهد في ياسنايا بوليانا في الشتاء ونحن فيها جميعاً. وقد أهداني درانكوف الشريط الذي أودعته في متحف التاريخ بموسكو.

7 سبتمبر. الوضع الصحي لليف نيقولايفتش أفضل. وقد تناول طعام الغداء مع الجميع. ولعب الشطرنج. وفيما بعد، حين خرج الجميع لمشاهدة الأفلام السينمائية بحضور جميع أهالي القرية، قرأت زوسيا ستاخوفتش التي جاءت إلى كوتشيتي لنا جميعاً بصوت عال مقدمة مؤلفات بوردو: «Peur de la mort».

العلاقات مع الجميع متوترة. نحن نجذب ل. ن. إلينا بغيرة، بينما هو ينتقي أين يجد المرح والتسلية أكثر وأفضل، ولا يلقي بالاً إلى رغبتي العارمة والحارة والمجنونة لإعادته معي إلى ياسنايا بوليانا.

8 سبتمبر. عدت إلى كوتشيتي بوضع أكثر هدوءاً، لكن تكرر الوضع مجدداً... عود على بدء. لم أنم ليلاً، ونهضت بصورة مبكرة. التقط درانكوف مرة أخرى مشاهد لنا من أجل السينما، ثم التقط مشاهد حفل زفاف أقيم في القرية بشكل مقصود.

عندما قررت ظهراً أن أسأل ليف نيقولايفتش في نهاية المطاف حول متي سيعود *إلى البيت*، استشاط غضباً، وبدأ يصرخ في، ولوح بذراعيه بحركات غاضبة وبصوت حاقد وبشكل منفر، وتحدث عن *الحرية* المزعومة. وفي الختام أضاف بحنق إنه نادم على تقديم الوعد لي بألا يلتقي تشيرتكوف.

وأدركت بأن المسألة كلها تكمن في هذا الندم. إنه ينتقم مني لتقديمه ذلك الوعد وسيواصل الانتقام لاحقاً لفترة طويلة وبإصرار. وكان ذنبي في هذه المرة هو فقط أنني سألته عن *الموعد التقريبي* لعودة ل. ن. إلى البيت.

طبعاً، أنا لم أتناول طعام الغداء، واستغرقت في النحيب، وبقيت راقدة طوال النهار، وقررت الرحيل بغية ألا أثقل بحضوري المتكدر جميع أسرة سوخوتين.

لكنني شعرت كيف عمل ل. ن. بلا رحمة وبإصرار على أن يشتد مرضي العصبي واستحثاث موتي أكثر فأكثر، وجعلني هذا أغتم. وكنت أتمنى شيئاً واحداً هو أن أجعل قلبي ينفر من حبي لزوجي، بغية ألا *أكابد الأوجاع بهذا الشكل*.

تلقيت رسالة من تشيرتكوف: إنها مترعة بالكذب والنفاق، يتبين فيها أن هدفه المصالحة، بغية أن أسمح له بالمجيء إلى البيت مجدداً.

9 سبتمبر. بقيت أبكي وأعول طوال النهار، وأنا أتألم بكل كياني: الرأس والقلب والمعدة، وتتمزق الروح من المعاناة! أما ل. ن. فقد سعى إلى أن يكون أكثر طيبة، لكن الأنانية والغيظ لا يسمحان له بالتنازل في أي أمر، وهو لايريد *بأي حال من الأحوال* أن يقول فيما إذا سيعود إلى ياسنايا بولينا ومتى.

كتبت رسالة إلى تشيرتكوف، لكنني لم أرسلها بعد. إن هذا الرجل هو سبب كل تعاستي، وأنا لا أستطيع مصالحته.

10 سبتمبر. بقيت راقدة في الفراش طوال الصباح، ثم ذهبت إلى الحديقة وتجولت خلال فترة طويلة. في المساء جاء ل. ن. بمزاج غاضب وقال لي: «لن أتراجع لك بعد هذا في أي أمر، وأنا نادم أشد الندم على خطئي حين وعدتك بعدم لقاء تشيرتكوف».

لقد حطمني كلياً صراخه وغضبه نهائياً. فاستلقيت على الكنبة في غرفته، وأنا في إعياء تام وتكدر. بينما جلس ل. ن. وراء الطاولة وصار يكتب شيئاً ما.

ثم نهض وسحب كلتا يدي في يديه وسدد بصره نحوي بإلحاح ثم علت وجهه ابتسامة تنم عن الطيبة، وفجأة صار يبكي، بينما قلت في قرارة نفسي: «الحمد لله! ما زالت هناك في قلبه شرارة من دفء الحب السابق لي!».

زرت في النهار إحدى العجائز، إنها والدة بوتيلينا مساعدة الطبيب.

هدأت روعي العجوز المباركة والتقية، ونصحتني بأن أؤمن برحمة الرب وأصلي، وهو ما أفعله باستمرار وبلا توقف.

11 سبتمبر. أنا بانتظار شيء ما دائماً، وفي رأسي صداع، وألم في قلبي ومعدتي. كابرت جهدي للخروج إلى النزهة مع تانيا والأطفال، أنا أعاني من التعب الشديد، ولا أستطيع تناول شيء من الطعام. بعد الغداء بذل ل. ن. جهده ودعاني أيضاً للعب الورق. فجلست، ولعبت قليلاً، لكنني أصبت بدوار في رأسي، وأرغمت على الرقاد. قررت الرحيل غداً. بالرغم من اعتلال الصحة والفاجعة، واصلت قراءة مسودات المطبعة والكراريس من أجل إصدارها.

12 سبتمبر. جزعت في الصباح مجدداً، وذرفت الدموع المريرة، وشعرت بالضيق والألم. وبدا كأن رأسي على وشك الانفجار. ثم سيطرت على نفسي، وبدأت بتصحيح المسودات. وقد تجنبت في هذا اليوم لقاء ل. ن. وكان يعذبني إصراره بلا طيبة قلب على عدم قول ولو أي شيء *تقريبي حول* سفره إلى بيتنا. لقد تحجر قلبه! وكابدت الأمرين من بروده، وأجهشت في البكاء بمرارة، حتى إن الخادمة التي ودعتني لدى سفري، تفرست في وانخرطت في البكاء أيضاً. لكن ل. ن. دنا مني فجأة بحركة التفاف حول العربة من الجانب الآخر، وقال والدموع تترقرق من عينيه: «حسناً، قبليني مرة أخرى، فسآتي، سآتي قريباً...». لكنه لم يف بوعده وعاش 10 أيام أخرى في كوتشيتي. واصلت النحيب في الطريق كله. وقد ركبت تانيا مع الحفيدة تانتيشكا في العربة ورافقتني لتوديعي في جزء من الطريق.

وصلت إلى ياسنايا بوليانا ليلاً، واستقبلتني فارفارا ميخايلوفنا مع بولجاكوف. خواء في البيت وبدت لي وحدتي فظيعة. وكنت قد كتبت رسالة إلى ل. ن. سلمها له سوخوتين. والرسالة مترعة بالعواطف الرقيقة والمعاناة، لكن لا يمكن تحطيم الجليد في قلب ل. ن. بأي شيء. (الرسالة موجودة في دفتر يضم نسخ جميع رسائلي إلى زوجي).

أجابني ل. ن. على رسالتي هذه باقتضاب وبجفاء، وفي الأيام العشرة

التالية لم نتبادل الرسائل، وهو ما لم يحدث سابقاً خلال 48 عاماً من حياتنا الزوجية.

رجعت إلى البيت وأنا أكابد الضنى والأوجاع، وأترنح في مشيتي فحسب. لكنني ما زلت على قيد الحياة، ولن يسقطني أرضاً أي شيء، ولو أنني أنحف فقط، وأشعر بأن الموت يقترب مني بصورة أسرع من السابق، قبل هذه المصائب. والحمد لله!

13 سبتمبر. عملت كثيراً في مراجعة وتصحيح المسودات للمطبعة. وحاولت تهدئة نفسي وتصديق أقوال ل. ن.: «سآتي سريعاً، سريعاً». عشت وصرت ناعمة البال بهذا. زارتني أنينكوفا وكليتشكوفسكي.

جرت شتى الأحاديث الثقيلة، ويعتبرني الجميع غير طبيعية وغير عادلة حيال زوجي، بينما أنا أكتب في يومياتي *الحقائق* فقط. ودع الناس يستخلصون الاستنتاجات منها. تعذبني الشؤون البيتية والحياة المادية.

14 سبتمبر. جاءت لأخذ التمثال النصفي الذي صنعه ابني ليوفا الآنسة ناتاليا أليكسييفنا الميدينجين، الذكية والمفعمة بالحيوية. ورويت لها في وحدتي وكآبتي جميع قصتي مع تشيرتكوف.

علمت أن محاكمة ليوفا بسبب نشره في عام 1905 كراسة «عودة جهنم» قد تأجلت إلى 20 نوفمبر.

15 سبتمبر. يوم كئيب آخر. لا رسائل ولا أخبار. خرجت للنزهة وحدي، قطفت الزهور، وبكيت... سكون، ووحدة! أنا مع هذا أعمل كثيراً في تصحيح المسودات.

16 سبتمبر. الشيء ذاته يتكرر.

17 سبتمبر. تبددت أحلامي في أن يعود زوجي قبل عيد القديسة شفيعتي، إنه حتى لم يكتب رسالة، ولم يأت أحد من كوتشيتي. أرسلت لي حفيدتي تانيتشكا فقط تهنئة مع صورة، كما وردت من كوتشيتي برقية جماعية جافة خالية من الحياة!

إن يوم عيد القديسة شفيعتي هو اليوم الذي خطبني ل. ن. فيه. *فماذا* فعل بصونيتشكا بيرس تلك البالغة من العمر ثمانية عشر عاماً، التي وهبته حياتها *كلها* بمثل ذلك الحب والثقة؟ لقد *عذبني* في الفترة الأخيرة بقسوته الباردة وبأنانيته المفرطة.

ذهبت برفقة فارفارا ميخايلوفنا إلى تابتيكوفو. وكانت أولجا (الزوجة الأولى لابني أندريوشا) وطفلاها – الحفيدة صوفيا أندرييفنا (التي تحمل اسمي ولقبي) وإيليوشا في منتهى الطيبة واللطف معي، ولولا الحجر الذي ينوء به قلبي، لأمضيت معهم عيد القديسة شفيعتي في أجواء طيبة.

18 سبتمبر. عدت في الصباح إلى ياسنايا بوليانا. بكيت طوال اليوم وطوال الوقت، وكابدت عذاباً لا يطاق. تلقيت الكثير من رسائل التهنئة، ولكن ليس من زوجي وأبنائي. كآبة فظيعة تخيم على البيت الخاوي! قرأت المسودات، وأجهدت عيني بسبب الدموع والعمل المتوتر الشاق. وأحياناً، كان يعتمل روحي حتى شعور الحزن على الإنسان الذي يعذبني بكل هدوء وباستمرار بسبب كرهي لمعبوده تشيرتكوف.

19 سبتمبر *(موسكو)*. أنجزت قراءة مسودات المطبعة وحزمت الحقيبة وسافرت إلى موسكو في المساء من أجل قضاء بعض الأعمال. وفي عربة القطار كدت أختنق بسبب الزحام. وقد فرحت في تولا لدى لقاء ابني سريوجا الذي قال إنه وزوجته وابنه يسافرون في القطار نفسه إلى موسكو. وقد سرني ذلك.

21 سبتمبر. أمضيت يومي 20 و21 سبتمبر في المراجعات بموسكو. زرت العجوز مربية تانييف، وعلمت بعض الأمور عنه. إنه ما زال في القرية. أردت زيارته والإصغاء إلى عزفه. لقد ساعدني هذا الرجل الطيب والهادئ في وقت ما، بعد وفاة ابني فانيتشكا، مساعدة كبيرة حيث بعث فيّ الطمأنينة والسلام الروحي.

لكن الآن هذا مستحيل. فلم أعد أحبه كالسابق، ونحن لا نلتقي لسبب

ما، وأنا لا أفعل شيئاً منذ وقت بعيد من أجل هذا الغرض. كما علمت بعض أخبار آل ماسلوف.

22 سبتمبر. *أمضيت* يوم *21* ورجعت إلى ياسنايا بوليانا في الصباح. زمهرير، السماء صافية، وفي روحي «جهنم» ما من المصائب والحزن والوهن. تجولت في الحديقة ودوى بكاء منتحب رافقه ألم رهيب في رأسي. مع ذلك أنا ما زلت حية، وأتمشى، وأتنفس، وآكل، لكن بلا نوم. لقد ذبلت الزهور بسبب البرد، مثلما ذبلت حياتي. مظهري ينم عن الكدر، وفي روحي غم. فهل ستندلع مجدداً شرارة السعادة والبهجة في حياتنا؟

أعتقد أن هذا لن يحدث أبداً ما دام تشيرتكوف قريباً منا! لايسمع صوت ل. ن. ولا يلمح خياله. إنه لم يتنازل لي عن يوم واحد، ولم يضح بحياته الأبيقورية في عائلة سوخوتين حيث الألعاب والشطرنج و«الفينت» يومياً، بينما أنا أنتظره من دون الحب السابق.

وصل ل. ن. وساشا والطبيب ليلاً، وبدلاً من إبداء الفرح وجهت له اللوم وذرفت الدموع وانصرفت إلى حجرتي، لكي أمنحه الوقت لنيل قسط من الراحة بعد السفر.

23 سبتمبر. ها قد حل يوم عيد زفافنا. أنا لم أغادر غرفتي لفترة طويلة وبقيت أنتحب لوحدي في غرفتي. أردت أن أذهب إلى زوجي لكنني حين فتحت الباب سمعته يملي على بولجاكوف شيئاً ما، فخرجت للتجول في ياسنايا بوليانا، ورحت أتذكر أزمان السعادة، لم تكن كثيرة جداً – في حياتي الزوجية خلال 48 عاماً.

بعد ذلك رجوت ل. ن. أن يسمح بالتقاط صورة فوتوغرافية لنا سوية. وقد وافق، لكن الصورة الفوتوغرافية كانت رديئة، فلم يستطع بولجاكوف القليل الخبرة التقاطها كما يجب.

في المساء أصبح ل. ن. أكثر لطفاً وطيبة، مما خفف من كرب روحي. وقد شعرت بشيء من الطمأنينة، كما لو أنني وجدت فعلاً نصفي الآخر مجدداً.

24 سبتمبر. لم تستمر طيبة ل. ن. فترة طويلة. فصار يصرخ في مجدداً لأنني علمت في تابتيكوفو من الفرنسية، الخادمة السابقة لدى أسرة ديتيريخ، بأنه تمت قراءة قصة «حكمة الطفولة» في بيت تشيرتكوف، ورجته أن يعطيني إياها لقراءتها. وعندما تبين أنه لا توجد في البيت، وحتى لدى ل. ن. نسخة واحدة منها، شعرت بالكرب ومرارة في القلب وقلت إن تشيرتكوف سارع، طبعاً، إلى الاستحواذ على المخطوطة، لأنه جامع *مقتنيات* لا أكثر ولا أقل. فاستشاط ل. ن. غضباً لدى سماع ذلك، وصرخ فيّ، مما جعلني أبكي بحرقة مجدداً. فخرجت إلى غابة الشوح، وقطعت الأغصان هناك، ثم عملت في طباعة نسخ من الصور الفوتوغرافية، وقرأت مسودات المطبعة، ولم أر زوجي طوال اليوم تقريباً.

25 سبتمبر. أنا أشعر بالفرح لكون زوجي معي *في الواقع*، وبدأت أحس بالطمأنينة. لكنه بعيد عني جداً روحياً! أنا أحبه أكثر مما يحبني.

ل. ن. يقرأ باهتمام كتاب مالينوفسكي «الانتقام الدموي»، وخرج للنزهة على صهوة الجواد.

26 سبتمبر. يسود الوئام والهدوء في كل مكان في الصباح. ذهبت ساشا بمعية فارفارا ميخايلوفنا لزيارة أولجا في تابتيكوفو، وبقيت ماريا ألكسندروفنا معنا. عملت في طبع نسخ من الصور الفوتوغرافية. وعندما مررت بغرفة مكتب ل. ن. حيث يجلس دائماً، شعرت بالضيق لكوني سأرى يومياً صورة هذا الرجل الممقوت من قبلي معلقة على الجدار فوق رأس ل. ن. حين أزوره في الصباح لإلقاء التحية عليه. فأبعدتها جانباً.

إن إقدام ل. ن. على إعادتها إلى مكانها السابق، جعلني أصاب بالكدر الشديد مجدداً. فقد صار حين لا يلتقيه لا يستطيع مفارقة صورته. وقد مزقتها إرباً إرباً ورميتها في المرحاض. لا ريب في أن ل. ن. قد غضب، ولامني عن حق في كوني أغتصب حريته (صار الآن فجأة شغوفاً بهذه الكلمة) التي لم يهتم بها، بل ولم يفكر فيها طوال حياته. ما معنى *الحرية* عندما كنا طوال حياتنا نحب أحدنا الآخر ونسعى إلى جلب المسرة والبهجة إلى أحدنا الآخر.

ومجدداً أصابني مس من القنوط الجنوني، ومجدداً انبجست الغيرة المريرة من تشيرتكوف، ومجدداً أجهشت في البكاء لحد معاناة الضنى وآلام الـرأس. وفكرت في الانتحار، وفكرت بأن أسحب نفسي من حياة ل. ن. ومنحه الحرية المنشودة. فذهبت إلى غرفتي، وتناولت المسدس – اللعبة – وحاولت إطلاق النار من هذه اللعبة. وفيما بعد، حين عاد ل. ن. من النزهة على صهوة الحصان، أطلقت النار مجدداً، لكنه لم يسمع صوت الإطلاقة.

لكن م. أ. شميدت اعتقدت بأنني أريد أن أطلق النار على نفسي فعلاً، فكتبت فوراً من دون التحقق من الأمر رسالة إلى ساشا في تابتيكوفو، وطلبت من ساشا المجيء لأن ماما أطلقت النار على نفسها أو ما شابه ذلك.

أنا لم أعرف شيئاً من ذلك، وسمعت ليلاً صوت وصول عربة، وأحدهم يطرق الباب. كان الظلام شديداً جداً، وأنا دهشت لمعرفة من يكون الطارق؟ فخرجت ورأيت ساشا وفارفارا ميخايلوفنا. وأثار ذلك عجبي الشديد. فسألت: «ماذا حدث؟» وفجأة انهال عليّ صوتان بسيل من قاذع الكلمات، والملامات الحانقة، حتي إنني لم أستطع أن أثوب إلى نفسي. فصعدت إلى الطابق العلوي وواصلت ساشا وفارفارا الصراخ في أعقابي. وأخيراً نفد صبري وغضبت بشدة. *ماذا فعلت لهما*؟ وبمَ يكمن ذنبي؟

ومما يؤسف له أنني بدأت بالصراخ أيضاً، وقلت إنني سأطردهما من البيت، وغداً سأصرف فارفارا ميخايلوفنا، هذه الطفيلية التي تتزلف إلى ساشا. وقد أدركت ماريا ألكسندروفنا خطئي فراحت تبكي، وطلبت من هاتين المستغرقتين في الصراخ مغادرة غرفتها.

يبد أن هاتين الصخابتين لم يسكن روعهما عاجلاً، وفي صباح اليوم التالي جمعتا حاجياتهما، وأخذتا الخيول والكلاب والببغاء وانطلقتا إلى تيلياتينكي حيث بيت ساشا. إن الذنب يقع عليهما، وغضبتا بإرادتهما واقترفتا عملاً سيئاً.

27 سبتمبر. بقينا، نحن المسنين، لوحدنا. وانطلق ل. ن. وحيداً إلى الطريق العام على صهوة الجواد، وتبعته في العربة. ويبدو أنه كان يلتفت

عن قصد إلى الوراء باستمرار، ويبتعد عني أكثر فأكثر، بانتظار أن أصاب بالبرد (لم أكن أرتدي ملابس دافئة) فأقفل راجعة. لكنني لم أرجع، وأصبت بالبرد، وفيما بعد أصبت بالزكام، لكنني رجعت إلى البيت سوية معه. وقطعنا عندئذ مسافة 17 فرستاً، بينما واصل هو النوم حتى الساعة السابعة والنصف، وتناولنا طعام الغداء في الساعة الثامنة.

في المساء لعب ل. ن. الشطرنج مع خيرياكوف، وبدا ناعساً ومسترخياً، وشعر باضطراب في المعدة. يبدو أن ركوب الجواد والبرد والرياح الشديدة قد أثرت فيه.

وبالرغم من المنغصات فإنني عملت كثيراً في مجال الإصدار وتصحيح المسودات.

28 سبتمبر. واصلت العمل ذاته وحيدة وبشعور وجود حجر ثقيل على روحي. إنهم لا يساعدون فقط على استعادتي لعافيتي، بل إنهم يعملون كل شيء من أجل تعذيبي! وحتى الصدف تقف ضدي! خرج ل. ن. على صهوة الجواد متجهاً إلى أوفسيانينكوفو من أجل زيارة ماريا ألكسندروفنا ولقاء تشيرتكوف الذي ذهب إلى أولجا في تابتيكوفو. وشعرت بانقباض في قلبي حين فكرت بالبهجة التي يشعران بها. لكن ل. ن. لم يترجل من الجواد وكان الحديث بينهما قصيراً، ولم يحدث أي aparté لأنه كان هناك ديما وروستفتسيف راكبين أيضاً. تناول ل. ن. القليل من الطعام طوال اليوم، وبدأ لديه زكام، والسعال أحياناً. طبعاً إن جولة يوم أمس ما كانت لتذهب سدى. كما أن الطريق للذهاب إلى أوفسيانينكوفو بعيد، وكان الجو بارداً جداً. إن الزيارات إلى أوفسيانينكوفو لا تذهب عبثاً أبداً.

29 سبتمبر. الحياة مع ل. ن. هادئة وودية، ولهذا فهي طيبة! عندما تناول طعام الفطور جلست معه وبدأت أيضاً بتناول شيء من الطعام، أعتقد أنها الفطائر مع القريشة. كان لا بد أن يرى مدى فرحه حين قلت رداً على سؤاله حول لمن أضع الفطائر: «لنفسك!» – «آه، كم أنا مسرور لكونك بدأت تأكلين مجدداً». ثم جلب لي بكل محبة كمثرى وطلب مني أن آكلها. وعموماً

إنه يصبح في غياب الغرباء طيباً ولطيفاً معي كالسابق، وأشعر بأنه لي. لكنه يبدو معتكر المزاج لسبب ما، وأثار ذلك قلقي. أما أنا فقد كنت نشيطة في الحركة طوال اليوم: فقطعت الأغصان في أشجار الشوح، وذهبت إلى كلوبنا لشراء الجوادرا والدقيق. الجو صاح وبارد، والطبيعة ذات سناء خريفي.

30 سبتمبر. يشعر ل. ن. بحرقة شديدة في المعدة منذ الصباح. وهذه علامة سيئة دائماً، ويساورني القلق، لا سيما وأنه خامل نوعاً ما. لقد كان خروج ساشا حدثاً منغصاً جديداً وغير متوقع. فهل إنها تتمتع بدرع واق، يجعلها لا تأسف على إيذاء أبيها الشيخ بهروبها من البيت. وبالرغم من وعكة ل. ن. الجسدية فإنه خرج على صهوة الجواد برفقة الأبله دوشان للقيام بنزهة طويلة في الغابات والوهاد. وأنا أقول: *الأبله*، لأننا نوظف الأطباء عندنا من أجل متابعة الوضع الصحي لليف نيقولايفتش وعدم السماح له بالقيام بأفعال غير حميدة العواقب. مجدداً الرياح الباردة والشمس. أنا أعاني من الزكام، وأشعر في روحي بالكآبة. عملت في لصق قصاصات الصحف، ورتبت المجلات، وراجعت الأعمال المتعلقة بالشؤون المنزلية وإصدار الكتب، لكنني بلا صحة، وبلا نشاط، ولا بالقدرة السابقة على العمل. سأموت قريباً.

1 أكتوبر. في الصباح جاء جولدينفيزر، وفي المساء لعب الشطرنج مع ل. ن. عند الظهر جاءت ساشا ورافقت جولدينفيزر إلى آل تشيرتكوف. أردت أن أطلب من ل، ن. أن يذهب إلى هناك أيضاً، لكنني حالما فكرت في ذلك وتحدثت مع زوجي انهمرت الدموع في بلعومي واضطربت كلياً، وارتجفت. وتدفق الدم إلى رأسي، وبدا كما لو أن شيئاً ما قد أصابني بجروح في كل كياني، بالأخص عندما رأيت في سحنة ل. ن. الفرح لفكرة لقاء تشيرتكوف مجدداً. بلغ مني اليأس ذروته ودلفت إلى غرفتي حيث بكيت. شكراً لزوجي العزيز لكونه لم يذهب إلى تشيرتكوف، بل امتطى صهوة الجواد، وانطلق إلى الغابة والوهاد مجدداً وتعب للغاية. أنهيت العمل في مراجعة «الطفولة» وقرأت مسودات «حول النقود». المطر ينهمر والرياح تعصف.

2أكتوبر. في الصباح زارنا الصديق العزيز ب. ي. بيريوكوف، الرقيق الحاشية والمتعاطف والذكي والطيب دائماً. فرويت له مصيبتي وانخرطت في البكاء. إنه لا يحب تشيرتكوف أيضاً، وتفهم وضعي. الحالة الصحية لليف نيقولايفتش تمضي من سيئ إلى الأسوأ. إنه يعاني من اضطراب في المعدة، ولم يغادر البيت إلى أي مكان بل نام طوال الوقت. وبعد الغداء تبادلنا الأحاديث الطيبة، وجاء ابني سريوجا. لعبنا جميعاً الشطرنج.

3 أكتوبر. في الصباح خرج ل. ن. للنزهة، ثم تجول قليلاً على صهوة الجواد، وشعر بالبرد، وتجمدت ساقاه، وحين دب فيه الضعف رقد في الفراش حتى من دون أن ينزع جزمته، واستسلم للنوم. لم يستيقظ خلال فترة طويلة، وراودني القلق فذهبت إليه. سدد بصره نحوي بذهول لحد ما، ثم تناول الساعة وسأل كم الساعة، وذكر موعد الغداء، ثم استسلم للغيبوبة مرة أخرى. وفيما بعد، ولجزعي، صار يدمدم بكلام ما، وسرعان ما بدأ شيء فظيع! حدث تشنج في الوجه، وغيبوبة تامة، وهذيان، وترديد كلمات غامضة، وتشنج الساقين بشكل فظيع. ولم يستطع رجلان أو ثلاثة إمساك ساقيه، بسبب شدة التشنج. وحمدت الرب لكوني لم أفقد السيطرة على نفسي. فقمت بسرعة كبيرة بصب الماء الساخن في الأكياس والقناني، ووضعت لبخات الخردل على بطتي الساقين، ومسحت رأسه بماء الكولونيا. وأعطته تانيا الملح ليستنشقه، ووضعنا الماء الساخن عند الساقين اللتين ما زالتا متجمدتين، وجلبت له الروم والقهوة ليشربهما، لكن النوبات استمرت، وتكررت التشنجات خمس مرات. وعندما احتضنت ساقي زوجي المتشنجتين، تملك كياني كله بقوة الحزن البالغ من فكرة أن أفقده، الندم، وتأنيب الضمير، والحب الجارف، والدعاء. سأعمل كل شيء، كل شيء من أجله بشرط أن يبقى حياً ولو في هذه المرة، وأن يتعافى بغية ألا يبقى في روحي تأنيب الضمير لكل ما جلبته له من ضيق وقلق بسبب عصبيتي ومخاوفي الناجمة عن المرض.

وجلبت الأيقونة التي باركت بها ليوفوتشكا العمة تاتيانا نيقولايفنا حين ذهب إلى الحرب، وربطتها إلى سرير ليف نيقولايفتش. في الليل ثاب إلى رشده، لكنه لم يتذكر على الإطلاق أي شيء مما حدث له. كان يشعر بآلام في

الرأس والأعضاء، وكانت درجة الحرارة في البداية 37.7، ثم هبطت تدريجياً إلى 36.7.

جلست الليل كله في المقعد إلى جانب مريضي وأنا أردد الصلوات والدعاء لشفائه. وقد نام بشكل لا بأس به، ولو أنه كان أحياناً يطلق الأنين، إلا إن التشنجات توقفت. وصلت في الليل الابنة تانيا سوخوتينا.

4 أكتوبر. عيد ميلاد تانيا، والجميع في فرح وابتهاج. وذهبوا لزيارة عائلة تشيرتكوف. حالة ل. ن. الصحية أفضل بكثير، لكنه لا يغادر الفراش. وقد استعاد ذاكرته ووعيه كلياً، وراح يستفسر عما حدث له، وماذا قال. اللسان مغشى. ويشعر بشيء من الألم في الكبد. ولم يأكل شيئاً. استدعينا من تولا الطبيب (شيجلوف)، وقدمنا له الراوند مع الصودا *ومياه (فيشي)*. وضعت له في الليل لبخات فودكا.

تصالحت بشكل مؤثر وودي مع ساشا، وقررنا عدم تذكر أي شيء من الماضي وأن نسعى إلى هدف واحد هو جعل حياة ل. ن. أكثر اطمئناناً وسعادة. ولكن، يا رب! كم سيكون ذلك صعباً بالنسبة لي، إذا ما كان ذلك يعني استئناف العلاقات مع تشيرتكوف. وأعتقد أن هذا صعب جداً ومستحيل بالنسبة لي! لكن يجب عليّ الرضوخ للأمر، وستكون هذه التضحية فوق طاقتي. حسناً، لنتقبل ما يمنحه لنا الرب! والآن أصبح الجميع أكثر هدوءاً وطيبة لأن الوضع الصحي لليف نيقولايفتش أفضل.

5 أكتوبر. الوضع الصحي لليف نيقولايفتش في الصباح أفضل بكثير. وقد شرب الكثير من القهوة مع الحليب وتناول البقسماط ورغيف (كالاتش) كاملاً، وأنا حتى فزعت. شرب الفيشي وتناول الغداء معنا. سافر سريوجا صباحاً. قضت تانيا النهار كله في أوفسيانينكوفو. وجاءت ساشا مع فارفارا ميخايلوفنا، وأصبح الجو أكثر مرحاً والحياة أكثر يسراً. تانيا لا تبدي الطيبة وتلومني دوماً، وتهدد ثم تؤكد أنها ترغب أكثر منا جميعاً في تهدئة الوضع. أشعر بأنني محطمة، وبألم تحت الإبط الأيسر وفي الرأس.

جاء سيرجيينكو، وأنا لا أحبه، هو منافق ويستغلنا قدر الإمكان، ويتملق

ويداهن حينما يحتاج إلى شيء ما، ويقول كلاماً معسولاً حين يعتقد بأن هذا ضروري من أجل بلوغ أمر ما.

ل. ن. طيب ولطيف جداً معي، فهو يرى كم عانيت وأشفقت عليه، وكيف اعتنيت به بتفان وبنفع وكيف أبديت ندمي لكوني لم أرعَه!

6 أكتوبر. وضع ليف نيقولايفتش الصحي أفضل، لكنه ما زال ضعيفاً، ويقول إنه يشعر بألم في الكبد وبحرقة في المعدة. تمشى قليلاً في الصباح، وفيما بعد أراد الخروج للنزهة ظهراً، واشتاق إلى ركوب الخيل المعتاد، فذهب خفية عني على صهوة الجواد ورافقه بولجاكوف، وقد أثار هذا قلقي الشديد.

جاء إلينا: ستراخوف مع ابنته وبوليجين وبولانجيه. الأفضل حين يوجد عندنا ضيوف، فلا تسود الكآبة الشديدة. وطلبت نصائحهم بشأن إصدار المؤلفات. وفي المساء تحدثنا بهدوء. ذهبت ساشا ظهراً إلى بيت تشيرتكوف ودعته بموافقتي لزيارة ل. ن. لكن تشيرتكوف كتب رسالة غير طيبة وغامضة – ولم يأت. أنا لا أفهم فيما إذا تأثر ل. ن. جداً. أعتقد أنه تأثر. لكن، الحمد لله، فقد مضى يوم آخر بلا حضور هذا الرجل المكروه!

7 أكتوبر. دار الحديث مجدداً حول زيارة تشيرتكوف، وذهبت تانيا وساشا إليه، فوعد بالمجيء في الساعة الثامنة مساء. وأنا اتفقت مع الطبيب على تهيئة الحمام من أجل ل. ن. في المساء. فهذا مفيد لكبده. وقد أدى هذا إلى تقليص فترة زيارة تشيرتكوف.

وحدث ما كنت أتوقعه. فإنني أعددت نفسي النهار كله لهذه الزيارة البغيظة، وتملكني القلق، ولم أستطع القيام بأي عمل. وعندما سمعت عبر كوة النافذة صرير العربة، بدأ قلبي يدق بعنف بالغ، حتى اعتقدت بأنني سأموت الآن فوراً. فهرولت للتطلع عبر الباب الزجاجي كيف سيكون اللقاء بينهما، فرأيت أن ل. ن. قد أسدل الستار لتوه. فاندفعت إلى غرفته، وأزلت الستار، وأخذت المنظار ورحت أتطلع فيما إذا ستكون هناك مشاعر المحبة والبهجة الحارة. لكن ل. ن. كان يعرف بأنني أنظر إليهما فصافح يد تشيرتكوف وكانت سحنة وجهه جامدة. ثم دار بينهما حديث طويل، وانحنى تشيرتكوف قريباً من ل. ن. وأراه شيئاً ما.

لكنني استحثثت إعداد الحمام وبعثت إيليا فاسيليفتش للقول بأن الحمام جاهز، ويمكن أن يبرد، فنهض تشيرتكوف، وودع أحدهما الآخر وافترقا.

كنت أرتجف بعنف طيلة المساء، ولم أذرف الدموع، لكن تراءى لي في كل لحظة بأنني سأفارق الحياة بعد قليل. وإن ل. ن. حاول عدة مرات تعذيبي والاستهزاء بي بالقول إن تشيرتكوف *أقرب إنسان إليه*، وفي نهاية المطاف سددت أذنيّ وصرخت: «لن أسمع أكثر، فقد سمعت ذلك عشرين مرة، وكفى!».

لقد انصرف، لكنني بقيت طوال الوقت أطلق الأنين وأكابد الكرب بشكل لا يطاق! هكذا يمكن أن تصبح العذابات! وليس فقط معرفة ذلك مقدماً، بل حتى عدم افتراض أي شيء مسبقاً. في نهاية المطاف بلغت لوعة الحزن والأسى ذروتها، وأخذ التعب مني كل مأخذ فغفوت.

ما أكثر الجهد الذي بذلته من أجل الموافقة على السماح لهذا الأحمق بدخول البيت، وكم جاهدت في سبيل السيطرة على أعصابي! مستحيل، إنه شيطان فحسب، وليس بوسعي أن أطيقه! أصبح ل. ن. مجدداً متجهم السحنة، وأنا أرثي له، وأخشى عليه، لكنني أعاني أكثر منه!

لم أمارس الأعمال كثيراً، ولم أتجول، بل تسكعت في البيت. ثبتنا أطر النوافذ، النهار ذو سناء عجيب، صحو وشمس وهدوء. في منتصف النهار انطلق ل. ن. على صهوة الجواد في جولة طويلة جداً، وقد امتطى الجواد بخفة وبمهارة أثارت دهشتي. ولكن بحلول المساء أضحت جولته متعبة، وبدا نفسه منهكاً، ومتكدراً لكوني كابدت الحزن بسبب زيارة تشيرتكوف.

ساورني الحزن لمفارقة تانيا، إنها ستسافر غداً، وآلمني، كما أثار قلقها مع ساشا، موقفي من تشيرتكوف الذي يحبه أباهما أشد الحب، بينما تكرهه أمهما أشد الكره! فما العمل في هذه الحال؟ سيقرر الرب الأمر بشكل ما. كان الأفضل لو سافر تشيرتكوف نفسه إلى مكان ما. ومن ثم أن يموت أو أموت أنا. أم الأسوأ – أن يموت ل. ن. لكنني سأسعى إلى الانغمار في تلاوة الصلوات: «لتسمو إرادتك يا رب!». أنا لن أنتحر الآن، ولن أذهب إلى أي مكان، ولن أعاني من البرد، وأعذب نفسي بالجوع أو بالدموع. أنا أعاني الأمرين معاناة جسدية ومعنوية، وسأمضي بسرعة لملاقاة الموت بلا ممارسة العنف بحق الجسد الذي لن أقضي عليه، كما اقتنعت، *بإرادتي*.

8 أكتوبر. استيقظت مبكرة لتوديع ابنتي تانيا. ثم رقدت وشعرت بأنني مريضة ومعذبة تماماً. عندما نهضت جاء ليف نيقولايفتش إليّ، وبما أنني كنت قد ارتديت ملابسي فتبعته. بدا قلقاً، ومتضايقاً جداً لسبب ما. وطلب مني أن أصغي إليه صامتة، لكنني قاطعته بلا إرادتي عدة مرات. كانت أقواله، طبعاً، تتعلق بكوني أتعامل مع تشيرتكوف بشعور من الغيرة والعداء. وأكد لي باضطراب وبحنق بأنني أصبحت تحت تأثير «حماقة» ويجب علي العمل على التخلص منها، وأنه لا يكن أية محبة *خاصة لتشيرتكوف*. وهناك أشخاص مقربون إليه أكثر مثل ليونيد سيميونوف، وشخص آخر غير معروف كلياً لقبه نيقولايف أرسل إليه كتاباً ويقطن في نيس. وهذا غير صحيح، طبعاً. عندئذ تراجعت عن طلبي في أن يقدم الوعد بعدم رؤية تشيرتكوف. لكنه رأى مساء يوم أمس ثمن لقاءاته مع هذا الصنم المقيت، وعاتبني اليوم بقوله إنه لا يستطيع أن يلتزم الهدوء البتة حين يسلط عليه على الدوام سيف ديموقليس المتمثل في موقفي من لقاءاته مع تشيرتكوف. وما الحاجة إليها؟

استعاد ل. ن. عافيته، والحمد لله. وتناول طعام الغداء اليوم بشهية بالغة جداً، وبكميات كبيرة، حتى إنني خشيت عليه. لكن مضى كل شيء على ما يرام، وفي المساء تناول البطيخ أيضاً، وشرب الشاي، ورقد للنوم بهدوء وعاملني بلطف. كم هو حسن وهادئ حين لا أخشى اللقاءات مع تشيرتكوف، وحينما نكون وحدنا مع مشاغلنا وعملنا والعلاقات الودية إزاء أحدنا الآخر!

لو عشنا بهذه الحال ولو لمدة شهر واحد لأستعدت صحتي وتمتعت بالطمأنينة. بينما إن التفكير فحسب والخوف من احتمال ذهاب ليف نيقولايفتش إلى تشيرتكوف يجعلني أشعر بكامل كياني بالألم، وبلا حياة، وبلا سعادة!

انطلق ل. ن. اليوم للنزهة على صهوة الجواد مع الدكتور، بينما خرجت لكي أقطع بعض أغصان أشجار الشوح والبلوط. طالع ل. ن. كتاب نيقولايف، بينما أعددت للنشر «نهاية القرن» وانهمكت في تصحيح المسودات، ومن ثم عملت قليلاً في تسجيل الكتب في الكتالوج. وكان عددها كبيراً جداً، وهذا عمل ضخم بالنسبة لي. الأعمال كثيرة عموماً، بينما هناك القليل من العافية والطمأنينة.

9 أكتوبر. مضى اليوم بهدوء، وبهدوء، والحمد لله! لا زيارات، ولا ملامات،

ولا أحاديث متوترة. لكن ثمة أمراً يكدرني، ويتملكني الحزن والنعاس. ذهب ل. ن. إلى القرية، إلى المكتبة الشعبية، واستفسر عما يطالعه القراء بقدر أكبر. ومن هناك انطلق على صهوة الجواد برفقة الدكتور عبر بابورينا وزاسيكا. وكنت أخشى أن يعرجا على تشيرتكوف. في المساء طالع كثيراً، ثم دون يومياته، قبيل النوم كعادته دائماً، وكنت أرنو إلى سحنته الجادة عبر باب الشرفة بمحبة وبخوف دائم من احتمال أن يهجرني، وهو ما هددني به كثيراً في الآونة الأخيرة. علماً بأنه صار يخفي يومياته عني منذ مطلع العام الحالي. نعم، إن كل تعاستي ترتبط بزياراته إلى تشيرتكوف في الصيف!

تصفحت الكتب، إنه عمل مضجر! لقد هدني التعب هداً، مما جعلني أنام، أو بالأحرى، أن أرقد في الفراش طوال المساء. قرأت جزءاً من كتاب الرجل المجهول نيقولايف من مدينة نيس. فأعجبني جداً: إنه مفعم بالمنطق والتأمل كثيراً. ولا يوجد مثل هؤلاء الرجال، ويا للأسف، إلى جانب ل. ن.

لقد عشت مع ل. ن. في مثل هذا الصفاء المعنوي والجسدي الحياة كلها! أما الآن فإن جميع حياتنا الخاصة تسجل في اليوميات والرسائل إلى السيد تشيرتكوف وأمثاله، ويستخلص هذا الرجل البغيض استنتاجاته وأفكاره اعتماداً على هذه الرسائل واليوميات، التي غالباً ما تكتب لإرضائه، وبأسلوبه، وهذا ما يكتبه إلى ل. ن. على سبيل المثال:

«*1 أكتوبر 1909*. إنني أجمع كافة رسائلك المتعلقة بحياتك، بغية أن يتم على أساسها *إيضاح* وضعك لصالح الذين تجذبهم فعلاً هذه التأويلات عموماً...».

أنا أتصور ماهية الإيضاحات التي يعطيها هذا الرجل الشرير والبغيض وأي *انتقاء* سيقوم به لغرض كشف أوضاع الأسرة! بالأخص لدى إجرائه في لحظات الصراع...

10 أكتوبر. أنا اليوم مطمئنة بقدر ما، ولم يرد ذكر تشيرتكوف طوال اليوم، أما ل. ن. فلم يذهب إليه بعد. في الصباح أنهيت تسجيل الكتب في الكتالوج، وجاءت الكنة صونيا تولستايا مع الحفيدة فيروتشكا. وقد سررت بهما كثيراً. خرج ل. ن. للنزهة في الصباح وعند الظهر، مشياً على الأقدام، ولفترة طويلة جداً. وعذبتني فكرة احتمال ذهابه للقاء تشيرتكوف. كما عذبني الفضول والرغبة في قراءة يوميات ل. ن. فماذا يكتب ويؤلف فيها؟

عملت قليلاً في إعداد الإصدارات وتوزيع المقالات. هذا عمل مجهد جداً! جاء بولانجيه وي. ف. ناجيفين. الحياة أخف وطأة بحضور الضيوف، كما انتعش ل. ن.

الجو غائم، ودرجة الحرارة في الصباح 2 تحت الصفر. ثم أشرقت الشمس، وساد الهدوء، وفي المساء أصبح الجو أكثر دفئاً. علاقاتي مع ل. ن. ليست قريبة جداً، ويبدو كما لو أنه يتذكرني بقدر أكبر ويعاملني بلطف. بينما أحيا *بكل كياني* معه فقط.

11 أكتوبر. لم أسلم ل. ن. يوم أمس المقتطفات من رسالة تشيرتكوف في العام الماضي، أما اليوم فقد وضعتها على الطاولة مع تعليقاتي وفضحت فيها *كل زيف التعامل الروحي* لتشيرتكوف. لا بد أن يدرك ل. ن. في نهاية المطاف ضلاله وأن يرى كل حماقة وابتذال هذا الأبله. لكنه يشعر بالأسف، بلا ريب، للتخلي عن الحلم، والمثل الأعلى لمعبوده، ويأسف لوضع الفراغ الناشئ بدلاً منه.

لم أستسلم للنوم ليلاً، وكنت في حال سيئة جداً طوال اليوم. خرجت إلى غابة الشوح وقطعت الأغصان، وجلست منهكة على المصطبة، وأصغيت إلى سكون الغابة. أنا أحب أشجار الغابة التي غرستها بنفسي! وكنت أتنزه وأجلس فيها برفقة فانتشكا. لم أعمل كثيراً، فأنا عليلة للغاية روحاً وجسداً.

انطلق ليف نيقولايفتش على صهوة الجواد برفقة دوشان بتروفتش. وقال إنه اراد المجيء إلي في غابة الشوح لكنني غادرتها قبل ذلك. ثم قدم لي الكمثرى وكان لطيفاً جداً معي. وقلت له أن يذهب إلى جاليا تشيرتكوفا التي أبدت، حسب قوله، القلق جداً بسبب قطع ل. ن. العلاقات معهم. لكنه لم يرغب في ذلك البتة، وقال إنه ربما سيذهب غداً، أما الآن فهو لا يريد أن يقلقني بالذهاب إلى هناك. إن جاليا، طبعاً، مجرد حجة لكي يرى وجه زوجها الذي أكرهه.

غادرت الكنة صونيا. إنها، المسكينة، عانت كثيراً من المصائب مع إيليا الذي انغمس في اللهو وأصابه الإفلاس ولديه سبعة أطفال! وقد تحدثنا كزوجتين وأمين جيداً وتفهمت إحدانا الأخرى. كما رحل ناجيفين. وقد رويت لها كل ما كابدته من عذاب بسبب تشيرتكوف وزوجي وبناتي.

قلبت في المساء صفحات طبعة أكاديمية حول بوشكين، وحول مكتبته. وقد أعدها واختار كتبها بنفسه، أما المكتبة في بيتنا فهي عشوائية تماماً. وترسل إلينا الكتب من جميع أنحاء العالم، طبعاً بشكل هدايا مع عبارت الإهداء، وهي كتب جيدة أحياناً، وكذلك توجد كتب من سقط المتاع في أحيان أخرى. ونادراً ما يشتري ل. ن. الكتب، وأكثرها ترسل إلينا، فتكونت مكتبة بلا شكل وفكرة.

عاد بولجاكوف، ويريد السفر غداً إلى موسكو بغية ترك الجامعة، ومن ثم رفض الخدمة العسكرية. مسكين!

12 أكتوبر. بدأت أتعرف على بعض الحقارات المختلفة التي مارسها تشيرتكوف. فقد أقنع ل. ن. بأن يصدر أمراً بشأن عدم إبقاء حقوق المؤلف إلى أبنائه بعد وفاته، بل أن تصبح حقوق المؤلف في متناول الجميع، بصفتها من الأعمال الأخيرة لليف نيقولايفتش. وعندما أراد ل. ن. أن يطلع العائلة على ذلك، *انزعج* السيد تشيرتكوف ولم يسمح لـ: ل. ن. بمخاطبة زوجته وأبنائه. إنه نذل وطاغية! لقد قبض على الشيخ المسكين بيديه القذرتين، ويرغمه على اقتراف أفعال شريرة. وإذا ما بقيت على قيد الحياة فسأنتقم منه بشكل لا يمكن أن يتصوره نفسه. لقد سلبني قلب وحب زوجي، وسلب الأبناء والأحفاد لقمة الخبز. بينما يوجد في البنك لدى ابنه مليون روبل من النقود الطائشة، وليست كالنقود التي كسبها ل. ن. سوية معي بعرق الجبين، وقد ساعدته في ذلك كثيراً. واليوم قلت لليف نيقولايفتش بأنني أعرف موضوع الأمر الصادر عنه. فأظهر لي سحنة تفيض بالتعاسة والشعور بالذنب والتزم الصمت. وقلت له إن هذا عمل غير طيب، وإنه يدبر أمراً شريراً وسخيفاً، وإن الأبناء لن يتنازلوا عن حقوقهم بلا كفاح. وشعرت بالألم حيث ينبجس فوق قبر الرجل المحبوب لدى هذا القدر من الشر والملامات والمحاكمات وكل ما تضيق به النفس! نعم، إن الروح الشريرة تعمل بيدي تشيرتكوف هذا، وليس عبثاً أن يؤخذ لقبه من كلمة شيطان، وليس عبثاً أن كتب ل. ن. في يومياته:

« لقد زج بي تشيرتكوف في الصراع. وهذا الصراع ثقيل الوطأة جداً وكريه بالنسبة لي».

كما عرفت أن ل. ن. لا يحبني الآن. فقد نسي كل شيء، ونسي ما كتبه في

يومياته: «إذا ما رفضتني فسأنتحر». وأنا لم أرفضه بل عشت مع زوجي 48 عاماً، ولم أتخل عن حبي له لحظة واحدة.

سأستحث العمل لإصدار المؤلفات الكاملة قبل أن يفعل ليف نيقولايفتش أية فعلة فيها غلو، وهو ما أتوقعه منه في كل لحظة في اتجاه تفكيره الصارم الحالي. ذهب ل. ن. على صهوة الجواد للقاء ساشا، لكنها وصلت متأخرة، وبعد ذلك أخذ غفوة ثم تناول طعام الغذاء في الساعة السابعة مساء.

كتب رسالة إلى تانيا. إنه يحب بناته، ويكره بعضهن، ولا يحب أبناءه عموماً. لكنهم ليسوا أنذالاً مثل تشيرتكوف.

في المساء أريت ل. ن. يومياته لعام 1862 التي استنسختها من قبل، حين وقع في غرامي وتقدم لخطبتي. وبدا كما لو أنه دهش ثم قال: «ما أشد وطأة هذا!».

لقد بقيت لدي فرصة واحدة لكي أغدو ناعمة البال، إنها في استعادة ماضيَّ! إنه طبعاً يشعر بثقل الذكريات. وقد استبدل كل ما هو واضح وطاهر وصحيح وسعيد، بالشر الزائف والخفي وغير الطاهر والشرير والضعيف. إنه يعاني جداً، ويلقي كل الذنب علي، ويعد لي دور كسانتيبا (زوجة سقراط)، وهو ما كنت غالباً ما أتنبأ به، ستكون الأمور ميسرة له بفضل شعبيته. لكن ماذا يعد نفسه له حين يقف أمام ضميره وأمام الرب وأمام أبنائه وأحفاده؟ سنموت جميعاً، وسيفارق الروح عدوي أيضاً، ولكن بمَ سنشعر جميعاً في اللحظات الأخيرة؟ هل سأغفر لعدوي ذنوبه؟

لا يمكن أن أعتبر نفسي مذنبة لأنني أشعر بكل كياني بأنني حين أبعد ليف نيقولايفتش عن تشيرتكوف، *أنقذه* بالذات من العدو – الشيطان. إنني أبتهل إلى الرب في أثناء الصلاة بأن تلج بيتنا مجدداً مملكة الرب. «لتأت ملكوتك» وليس العدو...

13 أكتوبر. تنضج لدي مجدداً فكرة الانتحار، وبقوة أكثر من الماضي. إنها الآن تتسرب بهدوء. قرأت اليوم في الصحف أن صبية في الخامسة عشرة من العمر تسممت بالأفيون وتوفيت بيسر وهي نائمة. فتطلعت إلى قارورتي الكبيرة، لكنني لم أقدم على الأمر بعد.

لقد أصبحت الحياة لا تطاق. يبدو أنني أعيش تحت وابل من القنابل التي

يلقيها السيد تشيرتكوف، منذ أن زاره ليف نيقولايفتش في يونيو الماضي وأصبح واقعاً تحت تأثيره كلياً. وقالت لي أمه: «Il est despote, c`est vrai»[1].

وتم بهذا الطغيان استعباد الشيخ التعس، بينما كتب ل. ن. في يومياته منذ أيام شبابه إنه كان يحب رفيقاً له، والشيء الرئيس كان يسعى إلى كسب *إعجابه* وعدم إزعاجه

وقد أضاع ثمانية أشهر من عمره في بطرسبورغ لهذا الغرض... ويتكرر الأمر الآن أيضاً. فهو يود أن يكسب *إعجاب* هذا الأبله روحياً، وينصاع إلى إرادته في جميع الأمور.

وبدأ ذلك بأن استحوذ هذا الطاغية على جميع مخطوطات ل. ن. ونقلها إلى إنجلترا حيث كان يوجد مقره. ثم استحوذ على اليوميات والتي استرجعتها (في البنك حالياً) ودفعت الثمن غالياً من حياتي. كما أبقى قدر استطاعته على ليف نيقولايفتش نفسه في ضيعته، ونشر علناً وخفية مختلف الأقوال الشريرة، ومنها أنني عملت طوال حياتي على قتل زوجي، هذا ما قاله لابني ليوفا.

وفي نهاية المطاف أقنع ل. ن. بأن يكتب وصية يتخلى فيها عن حقوق نشر مؤلفاته بعد وفاته، وانتزع في أغلب الظن (أنا لا أعرف بأي شكل) آخر لقمة من أفواه الأبناء والأحفاد في المستقبل. لكننا، أنا والأبناء، سندافع عن حقوقنا.

وحش قاس! لماذا يتدخل في شؤون أسرتنا؟

ماذا سيختلق هذا المنافق الشرير أيضاً، والذي خدعني سابقاً بتأكيده لي أنه *أقرب صديق إلى* أسرتنا.

خرجت في الصباح للقيام بجولة في ياسنايا بوليانا. الجو بارد، وصاح وذو سناء بشكل مدهش! لم تراودني أية أفكار عن الموت. يجب أن أضع حداً لهذا العذاب سريعاً. وإلا فإن السيد تشيرتكوف سينقلني أنا، وليس المخطوطات، غداً إلى مستشفى المجانين. بينما سينفذ ل. ن. ذلك بغية كسب *إعجابه*، وذلك بحكم ضعفه في الشيخوخة، ويتم عزلي عن العالم كله، وعندئذ سيحرمني من الموت. كما سيقنع زوجي بسبب الحقد، لكوني *فضحت* تشيرتكوف، بالذهاب معه إلى مكان ما، وعندئذ ستكون أمامي نتيجة: الأفيون أو البركة أو النهر في

1 – إنه طاغية حقاً! (بالفرنسية).

تولا أو الشنق في غصن شجرة في تشيبيش. والأصوب والأيسر هو الأفيون. وعندئذ لن أرى بشاعة الخصومات والمشاحنات وموجدة الشجار والمحاكم مع عدونا فوق قبر زوجي الذي كان محبوباً في وقت ما، ولن أعيش لأرى هذا اللوم والسم اللذين ينوء بهما قلبي الآن، ويعذبانني ويرغماني على التفكير في شتى أنواع الوسائل المعقدة والفظيعة، من أجل ألا أرى شر الأب والجد لأسرة كبيرة، المعد مسبقاً، تحت تأثير هذا الطاغية الشرير تشيرتكوف.

عندما تحدثت يوم أمس مع ليف نيقولايفتش قلت له إنه حين يعطي الأمر بمنح حقوق نشر مؤلفاته بعد وفاته إلى الجميع وليس إلى الأسرة، فإنه يعمل عملاً غير صالح. التزم الصمت بعناد وغيظ طوال الوقت. وعموماً فإنه صار في الفترة الأخيرة يتبع النهج التالي: «أنت مريضة، ويجب علي أن أصبر على ذلك، وسألتزم الصمت، أما في أعماق روحي فإنني أكرهك».

إن زعم تشيرتكوف الدنيء بأنني أصبو بشكل رئيس إلى تحقيق *المنفعة الذاتية* قد انتقلت عدواه إلى ل. ن. ولكن أية منفعة ذاتية توجد لدى امرأة عجوز في سن 68 عاماً، تمتلك بيتاً وأرضاً وغابة ورأسمالاً و«مفكرتي» ويومياتي ورسائلي - ويمكنني أن أنشرها كلها؟!.

إن تأثير تشيرتكوف السيئ يجلب لي الألم. كما يؤلمني أن أجد الأسرار تحيط بي، وتؤلمني وصية ليف نيقولايفتش التي ستولد الكثير من الشر والخصومات والمحاكم واستئناف الدعاوى الصحفية فوق قبر الشيخ الذي كان في حياته يتمتع بهذا كله، بينما بعد موته يحرم ورثته الكثير من حقوقهم.

إن ل. ن. إذ ينتقد الحكومة، بإيحاء من تشيرتكوف، انتقاداً فظاً جداً، أجدهما الآن في أفعالهما الدنيئة، يتخفون وراء القانون والحكومة، بإيداع اليوميات في *بنك الدولة* وإعداد الوصية بموجب *القانون، والتي يؤمل أن تصادق عليها الحكومة ذاتها*.

لقد قرأت للأطفال في إحدى الحكايات بأنه كانت تعيش مع قطاع الطرق صبية شريرة كانت هوايتها المحبوبة أن تمرر السكين أمام أنف وبلعوم حيواناتها - الأيل والحصان والحمار - وتخيفهم في كل لحظة بأن تذبحهم بهذا السكين. هذا ما أكابده حالياً في حياتي. ويمرر زوجي هذا السكين، حيث يهددني بمختلف الأمور: بمنح حقوق المؤلفات، والهرب مني سراً، وإطلاق

شتى أنواع التهديدات الحاقدة... نحن نتحدث عن الطقس والكتب وعن كثرة النحل الميت في العسل، بينما نلتزم الصمت عما يوجد في أعماق روح كل واحد منا، وما يحرق الفؤاد باستمرار، ويقصر حياتنا، ويقلل من حبنا.

أنا خائفة للغاية من غضب وصراخ زوجي في، وهو يعتقد أنه بصراخه يمكن أن يجعلني بعافية وهدوء أكثر، لدرجة أنني أخاف التحدث معه.

تنزهت كثيراً، درجة الحرارة 4 تحت الصفر، وذهبت إلى ياسينكي لاستلام البريد.

14 أكتوبر. في الصباح، حيث استيقظت مبكراً، كتبت رسالة إلى زوجي.

عندما فتحت باب غرفة مكتب ليف نيقولايفتش قال لي فوراً: «ألا يمكن أن تدعيني وشأني؟» لم أقل شيئاً، وأغلقت الباب مجدداً ولم أذهب إليه مرة أخرى. وجاء إلي بنفسه مردداً الملامات مجدداً، ورفض الإجابة عن أسئلتي، أي حقد!

جاءت لوديجينسكايا وتبادلت معها الكثير من نافل القول، لكن لوعة أوجاع القلب ترغمني على كشف أنينه. انطلق ل. ن. على صهوة الجواد إلى محطة زاسيكا واستفسر عن حضوري هناك، كما عزمت على ذلك، وقد سرني ذلك كثيراً. ثم عاد منهكاً، وهامداً كلياً. ونسي الضيفة من آل لوديجينسكي، وحياها ثم ذهب للنوم. وفي موعد الغداء جاء جوربونوف، ونهض ل. ن. من فراشه منتعشاً أكثر، وراح يطالع رواية «الأخوة كارامازوف» لدوستويفسكي وقال إنها سيئة جداً: ففي مواضع الوصف جيدة وفي مواضع تبادل الأحاديث سيئة جداً. وفي كل مكان يتحدث دوستويفسكي نفسه، وليس شخصيات الرواية. كما أن أقوالهم غير متميزة.

انهمكت في العمل كثيراً في إعداد إصدار المؤلفات، لكن دب في الضعف، وأشعر بصداع، وأغفو في مكاني، ويسقط رأسي على الكتب والأوراق والدفاتر. في مساء يوم أمس كتبت رسالة إلى أندريوشا. الطقس رائع: صحو ونجوم وزمهرير ونور. أما اليوم فلم أغادر البيت.

15 أكتوبر. في الصباح جاء م. أ. ستاخوفتش ودولجوروكوف مع سيروبولكو لمشاهدة المكتبة الشعبية، وفي المساء جاء ابني سريوجا. رويت لستاخوفتش

كل شيء، بينما سعى هو إلى توضيح كل شيء، كما لو أنه لم يحدث أي شيء، وكل شيء في غاية البساطة، ولا داعي للقلق حول أي شيء. لكن لا يمكن أن تبعث في الطمأنينة الكلمات. إن ل. ن. لا يزور تشيرتكوف، وهذا يجعلني ناعمة البال. لكنه ضعيف البنية وحزين. انطلق اليوم على صهوة الجواد برفقة دوشان بتروفتش، ورفض الجواد القفز فوق الجدول، وعندما قفز ألقى بليف نيقولايفتش أرضاً، مما جعله يشعر بألم تحت الإبط فوراً، كما عانى من الحرقة خلال المساء كله. وانصرم اليوم في تبادل الأحاديث، وغدت الحياة أسهل أمام الناس. في الليل قرأت مسودات التصحيح. وذهب جميع أهلنا إلى المكتبة بصحبة الضيوف. الطقس على حاله من البرودة والصحو والجفاف.

16 أكتوبر. أصبحت هادئة، ولو أنني معلولة. في الصباح لم أستطع النوم، وواصلت التفكير في كيفية الحصول على يوميات ليف نيقولايفتش من بنك الدولة في تولا. ذهبت لأتناول الفطور، وإذا بليف نيقولايفتش يعلن فجأة أنه سيذهب لزيارة تشيرتكوف. إن جاليا الماكرة بعثت في طلب دوشان بتروفتش بذريعة أنها مصابة بألم عصبي، بينما ماحك ل. ن. بأن من الواجب زيارتها وينبغي لقاء تشيرتكوف بشأن بعض الرسائل، لا ريب في أنها ذريعة مصطنعة.

أنا عاجزة عن التعبير عما حل بي! وشعرت كما لو أن جميع أحشائي قد تمزقت. تلكم هي المخاطر التي أواجهها الآن باستمرار! فقلت بصوت خافت: «هذا اليوم الثاني فقط الذي بدأت فيه أشعر بتحسن حالتي قليلاً». ثم ارتديت ملابسي وخرجت للنزهة، لكنني رجعت، ودعوت زوجي وقلت له بصوت خافت، كالهمس، وبلطف: «إذا استطعت يا ليوفوتشكا فانتظر قليلاً قبل الذهاب إلى تشيرتكوف، إنني أشعر بضيق شديد!».

في اللحظة الأولى لم يغضب، وقال إنه لا يعد بشيء، ولكنه يرغب في عمل ما هو أفضل، وعندما كررت طلبي، حيث شعرت بنوع من الاختبال بسبب المعاناة النفسية، كرر بكدر بالغ إنه لا يريد أن يعد بشيء. عندئذ خرجت، وولجت بعض الوهاد، حيث من الصعب العثور علي، إذا ما ساءت حالي. ومن ثم انطلقت في البرية وتوجهت من هناك مهرولة تقريباً إلى تيلياتينكي ومعي المنظار بغية أن أشاهد كل شيء حوالي من بعيد. وفي تيلياتينكي اضطجعت في أخدود بالقرب

من البوابة المؤدية إلى بيت آل تشيرتكوف، وانتظرت وصول ل. ن. أنا لا أعرف ما سأفعله لو وصل ل. ن. وكنت أتصور بأنني سأرقد عندئذ على الجسر عبر الأخدود وجواد ل. ن. وعندئذ سأدهس دهساً.

لكنه، ولحسن الحظ، لم يأت. ورأيت الفتى سيرجيينكو وبيوتر الذي كان ينقل الماء. علماً أن تشيرتكوف ينتقي الفتيان الذين يقدمون الخدمات له انطلاقاً من مبدأ وحدة مسيحية ما، حيث إن رجالنا هم أهلنا ولنا.

انصرفت في الساعة الخامسة وأخذت أتجول مجدداً. وسادت العتمة، وجئت إلى الحديقة ورقدت على المصطبة تحت شجرة الشوح عند البركة السفلى. وكابدت لوعة حارة لدى التفكير في استئناف العلاقات ومحبة ل. ن. الخالصة إلى تشيرتكوف. وتصورتهما في خيالي في الغرفة المغلقة، وتبادلهما الأحاديث حول *أسرارهما الأبدية*، وجعلتني هذه التصورات فوراً أنقل تفكيري إلى البركة، وإلى الماء البارد، الذي سأجد فيه الآن فوراً الراحة الكاملة والأبدية وأنسى كل شيء وأتخلص من أوجاع الغيرة والكدر! لكنني لم أنتحر مرة أخرى بسبب جبني، وتوجهت إلى البيت من دون أن أعرف عبر أي طرق. لم أدخل البيت، ولازمني الرعب، فجلست على المصطبة تحت شجرة الشوح. وبعد ذلك رقدت على الأرض وغفوت فترة قصيرة.

عندما ادلهم الظلام تماماً، ورأيت ل. ن. في النافذة تحت النور (معنى ذلك أنه استيقظ) خرج أهل البيت للبحث عني حاملين الفوانيس. فوجدني ألكسي البواب. فنهضت ورأيت فارفارا ميخايلوفنا، وقد صعقت كلياً لمرآها بسبب القر والتعب وما عانيته من لوعة الحزن والأسى.

دخلت البيت وقد تجمدت كلياً من البرد. وأصابني الذهول كلياً، ولم أخلع ملابسي، وواصلت الجلوس، ولم أتناول طعام الغداء ولم أخلع القمصان والقبعة والجرموق، وكنت مثل المومياء. هكذا يقتل الناس بدقة من دون استخدام السلاح.

لقد تبين أن ليف نيقولايفتش الذي عذبني، حين لم يعد بأي شيء، لم يذهب إلى تشيرتكوف، بل ذهب إلى زاسيكا، وأرسل دوشان بتروفتش ليبلغني بأنه لم يذهب إلى تشيرتكوف. لكن دوشان بتروفتش لم يجدني، بينما أنا توجهت إلى تيلياتينكي.

عندما سألت ل. ن. في المساء لماذا عذبني ولم يعدني بأي شيء، ولم يذهب إلى تشيرتكوف بدأ بالصراخ غاضباً: «أنا أريد الحرية، وأنا لا أخضع إلى نزواتك، لا أريد في سن 82 عاماً أن أكون صبياً وخرقة تحت حذاء زوجتي». وقال الكثير من الكلمات الأخرى الثقيلة والمهينة، وعانيت من لوعة شديدة وأنا أصغي إليه. ثم قلت له: «أنت لا تطرح المسألة بالشكل المطلوب: إن المسألة ليست بالشكل الذي تتصوره كله. إن أكبر مأثرة للإنسان هي التضحية بسعادته من أجل أن يخلص إنساناً قريباً من المعاناة». لكن هذا لم يعجبه وراح يصرخ: «إنني أسحب جميع وعودي، ولا أعدك بأي شيء، وسأفعل ما أرغب فيه» وهلم جرا.

طبعاً إنه لم يتحمل حرمانه من لقاء تشيرتكوف، ولهذا يغتاظ بهذا الشكل، لأنني *لا أستطيع*، بصورة غير إرادية... لا أطيق استئناف الصداقة الشخصية مع هذا النذل.

ولجت مرتين في وقت متأخر من المساء غرفة ل. ن.، بعد أن زالت حالة الذهول، وأردت أن أصلح العلاقات بيننا. وقد تسنى لي ذلك بصعوبة بالغة، وغفر أحدنا للآخر، وتبادلنا القبلات وافترقنا لقضاء الليل. بالمناسبة لقد قال إنه يرغب في عمل كل شيء من أجل عدم تكديري، ولكي تصبح حالتي أفضل. لكن كيف ستكون الأحوال غداً؟

حالما بدأت لتوه الحياة الهادئة المسالمة، تعكرت مجدداً، وأصابني الضعف لفترة أطول، وسأعاني من المرض. مرة أخرى تدهورت قوة وصحة ل. ن. وهو لا يستطيع العمل. كل ذلك بسبب فكرة تلازمه idée fixe هي أن يصبح *حراً* (أية حرية يفتقد، باستثناء التعامل مع تشيرتكوف) وأن تساوره الرغبة الجامحة في أن يلتقي تشيرتكوف.

17 أكتوبر. مضى اليوم بسلام وبصورة طيبة. عملت كثيراً في إعداد طبعة المؤلفات وتصحيح المسودات. بالمناسبة إن ل. ن. يكتب في الإنجيل من أجل الأطفال حول الغضب (من الإنجيل): «إذا اعتقدت بأن أخيك اقترف عملاً غير صالح، فاذهب إليه، باختيار الزمان والمكان حين تتحدث إليه وجهاً لوجه، وقل له باقتضاب ماذا لديك ضده. فإذا ما أصغى إليك سيصبح صديقاً لك وليس عدواً لك. أما إذا لم يصغ إليك، فأشفق عليه، وبعد ذلك *لا تقيم علاقات معه*».

هذا ما أرغب فيه بالذات بالتعامل مع تشيرتكوف بأن لا تكون لنا معه أية معاملات وأية علاقات.

سافر العزيز ا. ا. جوربونوف. وزارنا ياكوبوفسكي الرجل الظريف، وكذلك اليهودي البغيض بيركر ناشر مجلة النباتيين، كما أعتقد. يهطل ثلج شتوي حقيقي.

أنا متعبة جداً روحاً وجسداً. ولا توجد لدي أفكار الآن، ولا رغبة لدي في الكتابة. يثير فضولي بشكل مؤلم معرفة ماذا يكتب زوجي في يومياته؟ إن يومياته الحالية – مؤلفات حيث يستنتج منها الأفكار ويستخلص الاستنتاجات... أما يومياتي فهي صرخة صادقة نابعة عن القلب ووصف صادق لكل ما يجري عندنا. كما تكتب ساشا اليوميات. أنا أتصور كيف أنها التي لا تحبني، وبسبب طبعها السيء، ستحاول جهدها التشهير بي وتأويل كلماتي ومشاعري وفق هواها.! على كل حال الرب وحده يعرف! وأحياناً تستيقظ لدي مشاعر الرقة والشفقة عليها. والآن تصدر عنها حدة ما في اللهجة، وإجرام بحقي، وأود الابتعاد عنها إلى مكان ما. إنها تخدم أباها بكل همة ودأب. إنها تهددني بيومياتها. الرب معها!

قررت عدم السفر إلى أي مكان: لا إلى موسكو، ولا إلى الحفلات الموسيقية. لن أذهب إلى أي مكان. إنني بدأت أعتز بكل دقيقة من الحياة مع ل. ن.، وأحبه حباً بالغاً، ومجدداً، مثل آخر لهب من النار المحترقة نهائياً، ولن أفارقه. لربما إذا ما كنت رقيقة معه سيتعلق بي مجدداً وسيكون مسروراً بعدم مفارقتي. الرب يعرف! إنه تغير جداً نحو الأسوأ، وتبدر عنه في غالب الأحيان لوعة حزن ما، أكثر من الطيبة المباشرة. إنني أحيطه إلى جانب الغيرة من تشيرتكوف بأشد الحب والرعاية والحنان، مما يجعل غيره يعتز بذلك. لكن البشرية كلها أفسدته بالدلال، والتي تصدر حكمها عليه اعتماداً على كتبه (أقواله) وليس على حياته وأفعاله. هذا أفضل!

18 أكتوبر. استيقظت في وقت متأخر، وأنا محطمة بكل كياني، وعليلة وتعيسة بخوفي الدائم من حدوث منغصات أو احتجاجات ما. وعندما ألتفت إلى الوراء وإلى الأشهر الأربعة الأخيرة من معاناتي، أتذكر لعبة القط والفأر، أي ليف نيقولايفتش معي. لقد كابدت الألم لوجود سبعة من دفاتر اليوميات

لدى تشيرتكوف، ورجوت ل. ن. أخذها، لكنه واصل تعذيبي خلال أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، برفضه ذلك، وأوصلني لحد اليأس، وبعد ذلك أخذها وأودعها في البنك. لقد عانيت من المرض العصبي، قبل مسألة اليوميات، فقد أجل يوماً مجيئه، وجاء حين تدهورت صحتي أكثر.

لقد عاش في كوتشيتي فترة طويلة عن قصد، لأنه كان يعرف بأنني سأكون أقرب إلى موسكو من أجل إصدار الطبعة الجديدة من المؤلفات، وهذا الفراق والقلق بشأنه قد عذباني، بينما هو واصل العيش هناك بإصرار، ولم يأت إلى ياسنايا.

عندما رجوته في آخر مرة كنت فيها هناك وذرفت الدموع أن يحدد ولو بصورة تقريبية موعد عودته، وأن يرجع ولو في عيد القديسة شفيعتي، غضب ورفض ذلك بعناد.

عندما سألته عن الورقة أو الوصية التي سلمها إلى تشيرتكوف مؤخراً غضب ورفض بإصرار إبلاغي بالأمر.

إنني أنتظر في كل لحظة صدوداً جديداً من جانبه، وهذا الانتظار الدائم لحدوث شيء غير طيب، وصدور قرارات جديدة ما بشأن اليوميات والمخطوطات والوصية، يجعل حياتي متوترة وثقيلة ولا تطاق.

عندما استيقظ اليوم قبيل الغداء بدا خاملاً، ورفض تناول طعام الغداء، شعرت بالقلق البالغ، وكنت مستعدة للتضحية بأي شيء من أجله، وحتى أن يلتقي آل تشيرتكوف مجدداً، والذين هم أكثر من أعداء بالنسبة لي. وذلك بعد أن توقف ل. ن. عن زيارتهم خلال ثلاثة أشهر. وبدا كما لو أنه استفاق من سباته، وصار أقرب إليّ، وإلى ساشا التي وهبت نفسها كلياً لخدمة أبيها، ولكن لا يبعث البهجة لديها سوى الاهتمام بالجياد وبضيعتها الصغيرة تيلياتينكي.

لم أعمل كثيراً اليوم. ثمة عدم توافق كبير لدي جسدياً وروحياً. وصرت حتى أبدي الضعف في تلاوة الصلاة. قمت في المساء بعد النوم بلصق مقتطفات من الصحف وكتبت الرسائل. الطقس فظيع: عاصفة ثلجية وثلوج، وبحلول المساء تجمد كل شيء وبلغت درجة الحرارة 6 تحت الصفر.

19 أكتوبر. زارتنا ي. ف. مولوستفوفا التي تولع بدراسة مختلف الطوائف

الدينية وتكتب عنها. إنها امرأة ذكية وذات حس مرهف وتستطيع تفهم الكثير من الأمور. حدثتها عن أحزاني. إنها تدرك الكثير من الأمور من حيث إن تشيرتكوف هو إلى جانبي أنا زوجة ل. ن. يمثل قيمة ضئيلة، وليس من المناسب الاعتقاد بأنه يمكن أن يشغل *محلي* في العلاقات مع ليف نيقولايفتش. لكن هذا القول لم يقنعني، وأنا ما زلت أخشى تجددها.

خرجنا جميعاً للنزهة وكذلك ل. ن. متفرقين. وفي المساء شغف ل. ن. بقراءة رواية «الأخوة كارامازوف» لدوستويفسكي وقال: «اليوم فهمت لماذا يحبون دوستويفسكي، لديه أفكار رائعة». ثم راح ينتقده بقوله مجدداً إن جميع الشخصيات تتحدث بلسان دوستويفسكي كما أن تأملاتهم طويلة.

أصابني القلق الشديد ليلة أمس بسبب اختفاء يوميات ل. ن. من الطاولة حيث كانت توجد دائماً في الحقيبة المغلقة. وعندما استيقظ ل. ن. في الليل ذهبت إليه وسألته فيما إذا أعطى اليوميات إلى تشيرتكوف؟ فقال ل. ن.: «إن اليوميات لدى ساشا»، فاطمأننت قليلاً، ولو أنني شعرت بالاستياء لكونها ليست معي. إن ساشا تستنسخ *الأفكار* من اليوميات، ويبدو أنها من أجل تشيرتكوف، الذي لا يمكن أن تكون لديه أفكار نقية وجيدة.

الجو صاف جداً مع زمهرير. درجة الحرارة الآن 8 تحت الصفر، نجوم، وسكون. الجميع نيام.

20 أكتوبر. يوم أمس قالت لي مولوستفوفا إنها حين زارت آل تشيرتكوف في الخريف الماضي كان زوجها الرجل الطيب وغير الماكر، فهو من نمط السادة القدماء ويظهر المودة حيال الجميع، كان يعلل نفسه بالأمل في مغادرة بيت آل تشيرتكوف عاجلاً، حيث يشعر الجميع هناك بالضيق الشديد، والجميع تعساء لحد ما وغير راضين وواجمين. أنا أكتب ذلك لأن اليوم عندنا مضى بلا منغصات وبهدوء وببهجة وبسكون، وأتمنى لو أواصل العيش هكذا. ساشا مشغولة بجيادها المريضة وباستنساخ أعمال والدها، كما أنها كانت ترتاد الاجتماعات في قريتنا للتحدث عن دكان التعاونية في ياسنايا بوليانا من أجل الفلاحين المحليين.

ليف نيقولايفتش مشغول بكتاباته ولعب الفرداني بورق الكوتشينة، كما

ذهب على صهوة الجواد إلى زاسيكا، وجاء إليّ في غرفتي عدة مرات وتحدث معي بلطف. وزاره الفلاحون: نوفيكوف الذي يكتب المقالات، وهو فلاح موجيك ذكي – ، واثنان من فلاحينا الشباب، دخل أحدهما السجن لمدة عامين بسبب نشاطه الثوري.

كان البرد شديداً في الصباح، 12 درجة تحت الصفر، الجو صاف وهادئ، وفي المساء أصبح أكثر دفئاً، لكن هبت الريح وسادت الغيوم. انشغلت في إعداد النصوص للطبع ولصق المقتطفات من الصحف. إن ل. ن. يقرأ بنهم وبحماس في الصحف كل ما يكتب وينشر عنه! يبدو أنه لا يمكن التخلي عن هذا أبداً. واصل العمل في إعداد المؤلفات للطبع، كما لصقت المقتطفات من الصحف. إن ليف نيقولايفتش يتابع بنهم.

21 أكتوبر. رأيت اليوم في صحيفة «إيسكرا» صورتي مع ل. ن. في آخر يوم زفافنا. دع أكثر من مائة ألف شخص يتطلعون إلينا سوية، ونحن يمسك أحدنا بيد الآخر، وكيف عشنا طوال حياتنا. أجريت اليوم محادثة طويلة مع ساشا. إنها لا تعرف البتة الحياة والناس، ولهذا فهي لا تفهم الكثير والكثير من الأمور. إن العالم بأسره ينحصر بالنسبة لها في تيلياتينكي حيث يوجد ركنها المحبوب لإدارة الضيعة وحيث يجاورها جو آل تشيرتكوف البليد والباعث على الضجر.

أواصل قراءة كراريس ل. ن. من أجل الإصدارات الجديدة، إنها مملة بما فيها من رتابة. أنا أؤيد بحماس رفض الحرب وكل أشكال العنف والإعدامات والقتل. لكنني لا أفهم معنى إنكار وجود الحكومة. وحاجة الناس إلى القادة وإدارة الأعمال والحكام هي كبيرة جداً، بحيث لا يمكن بدونها وجود أي مجتمع بشري. وتكمن المسألة كلها في أن صاحب العمل يجب أن يكون حكيماً وعادلاً وذا إيثار من أجل خير مرؤوسيه.

يشكو ل. ن. من ألم خفيف في الكبد، ولهذا فهو خامل وكئيب. ولربما إنه كئيب لكونه لا يلتقي تشيرتكوف، ولو أنه حتى ساشا قالت اليوم إن أباها لا يتكدر البتة لكونه لا يرى هذا السيد، ولكنه يتكدر بسبب حقدي على هذا الشخص وعدم تمتعه بحرية العمل، لأن احتمال اللقاء بينهما يسبب لي

الكثير من الآلام. أنا أفكر في كل يوم: «الحمد لله، لقد انقضى اليوم، ولم يذهب ل. ن. إلى تشيرتكوف».

أنا أبتهل بدأب لكي ينتزع من قلب زوجي هذا الولع وأن يحوله إليّ أنا زوجته.

زارنا دونايف ذو الصوت الجهوري، لكن الطيب المعشر. الطقس فظيع: 2 – 3 درجات تحت الصفر، زمهرير، عاصفة، ثلوج، كريات جليدية ترتطم بزجاج النافذة، والجو كئيب للغاية. كما جاءت ناديا إيفانوفا. كتبت رسالة إلى المطبعة.

22 أكتوبر. لم أنم مجدداً، وعذبتني الأفكار حول اليوميات في البنك، ووافقت ذهنياً على احتمال استئناف العلاقات بين ل. ن. وتشيرتكوف، ولكن مهما أجهدت نفسي فلم أستطع قبول هذه الفكرة.

وهكذا فإن ل. ن. الذي يلقي المواعظ حول محبة جميع الناس قد أوجد لنفسه *أقرب إنسان*، وبعبارة أخرى أوجد *معبوداً*. وبهذا أهانني وأصابني بجروح في كل كياني، وكل قلبي، وأنا لا أستطيع قبول اللقاءات مع هذا *الشخص القريب جداً*. والآن لا يمكن ذلك جسدياً ولو بهذا القرب غير المباشر عن طريق اللقاءات، أما روحياً فهو بعيد المنال ولا يمكن إقامته مع هذا الأحمق خلال فترة طويلة. وعندما كان في الخارج وطبع أعمال ل. ن. كان ذلك بمثابة ذريعة للتواصل، أما الآن فلا يمكن أن يقوم هذا *التعامل الروحي* على أي أساس.

تحدثت مع دونايف، فلم أجد التفهم لديه أيضاً، وطرح علي الاقتراح بالسفر إلى الخارج، والشيء الوحيد الذي أتفق فيه مع الجميع هو النصح بتذكر الأعوام وقرب وفاة ل. ن. وتقديم شتى التنازلات والتساهلات إليه. لكن إذا كان ثمن تنازلي هو التضحية بحياتي أو على أقل تقدير الخروج من بيتي، فهل سيكون ذلك بالنسبة إلى ل. ن. أخف وطأة من عدم لقاء تشيرتكوف؟

أنا لا أستطيع بعد أن أضمن السيطرة على سلوكي، ولا *أعرف* كيف سيكون موقفي من ذلك، *لكنني أشعر* بأنني لن أستطيع تحمل تقارب ل. ن. مع تشيرتكوف البتة وإلى الأبد.

جاء بولجاكوف وفتى آخر من التعساء الذين وقعوا في شراك تشيرتكوف.

وعندنا أيضاً ناديا إيفانوفا. قرأت مسودات التصحيح، ولم أعمل كثيراً، وأشعر عموماً بسوء حالي جسدياً ومعنوياً. إن ل. ن. اليوم أكثر نشاطاً، وتناول الطعام بشهية، وتجول في الحديقة. ويبدو أنه نال قسطاً من الراحة. لعب الشطرنج مع ذلك الفتى، الذي أساء في اللعب، ولهذا لم يكن ل. ن. مبتهجاً، وفاز عليه مرتين. في الباحة يسود الدفء وغطاء جليدي على الأرض ولا يمكن التنقل بأية وسيلة.

23 أكتوبر. أصبح ل. ن. قريباً مني أكثر نظراً لعدم التواصل مع تشيرتكوف. وصار أحياناً يتبادل الحديث معي، واليوم كانت لدي فرحتان: فرحة الاهتمام بوجودي من قبل ليوفوتشكا السابق واللطيف. وعندما غادرت ناديا إيفانوفا في وقت مبكر من الصباح وبدأت الحركة والنقل فكر ليوفوتشكا بأنني أتمشى، وأعرب عن القلق بشأني، وهذا ما قاله لي. وعند الظهر تناول كمثرى حلوة المذاق جداً وجلب شيئاً من هذه الثمار لكي أشاركه في أكلها.

هل سيستمر طويلاً هذا الهدوء والخير والطمأنينة، كما هو الحال اليوم؟ انطلق ل. ن. على صهوة الجواد سوية مع دوشان بتروفتش إلى زاسيكا، حيث طارد الجنود ثعلباً. وفي الصباح عمل كالعادة. وفي الفترة الأخيرة كان غالباً ما يكتب لكنه لم يكن راضياً. بدأ بالكتابة عن الاشتراكية وعن الانتحار وعن الجنون. أنا لا أعلم ما كتبه في هذا الصباح. وفي المساء قلب الكراريس الرخيصة الثمن من أجل توزيعها وقسمها إلى الأفضل والمتوسطة والأسوأ. علاوة على ذلك كانت هناك كراريس من أجل الأشخاص الأكثر ثقافة والأقل منها.

ذهبت مع الكلبين ماركيز وبيلكا إلى زاكاز، في أعقاب الجوادين اللذين انطلق بهما ل. ن. والدكتور. الخريف كئيب! أنا لا أحبه. إن النزهة جلبت لي الكدر بقدر أكبر على الأكثر: إن جميع أفكاري idées fixe قد طفت على السطح وعذبتني.

دفء، الطرق غير سالكة، السماء رمادية، رياح.

قرأت الكثير من النصوص لإصدارها. أصبحت ضعيفة البصر، ويصيبني التعب بسرعة، وتعذبني الألفاظ النابية في أعمال ليف نيقولايفتش الأخيرة.

24 أكتوبر. جاءت الآنسة ن. أ. الميدينجين المحررة في مجلات الأطفال،

كما جاء جوستيف الذي يقطن في القوقاز، وهو من أتباع تولستوي القدامى، وبولجاكوف. لقد أسفت على لقائنا يوم أمس حيث لم أتحسس ليف نيقولايفتش كما ينبغي. وفي الصباح نادى بالخطأ ناتاليا أليكسيفنا بقوله في البداية: «صوفيا أندرييفنا»، ومن ثم «صونيا». إنها روت لي ذلك، وكنت مسرورة لكونه يتخذ موقفاً ما مني. انطلق على صهوة الجواد سوية مع بولجاكوف لفترة طويلة جداً في الطريق المتجلد الفظيع، وعاد متعباً عند الساعة الخامسة. لكن بدا في المساء منشرح الصدر، وتحدث كثيراً عن الكتب، وعن الاتجاه الوحيد الجانب جداً في مجلة «بوسريدنيك». وتحدث جاستيف بشكل شيق جداً عن ف. سيوتايف الشخصية المحبوبة سابقاً لدى ل. ن.، وعضو الطائفة الدينية (عام 1881)، وقد سر ليف نيقولايفتش لدى سماع هذه الأحاديث.

ذهبت للنزهة مع تلك الآنسة وفجأة رأينا على التل بالقرب من منصة السباحة فارسين هما ليف نيقولايفتش وبولجاكوف، وسررت كثيراً لرؤية ل. ن. حيث كنت أفكر فيما إذا رجع إلى البيت من دوني، وفيما إذا وقع له حادث في هذا الطريق الزلج.

في المساء هطل مطر شديد وساد الدفء. أنا لم أسمع اليوم شيئاً عن تشيرتكوف، بينما كنت في كل صباح، وقبيل خروج ل. ن. إلى نزهته المعتادة، أنتظر بفزع وكدر أن يذهب إلى هناك، ولا أستطيع العمل، ويغمرني القلق ولا تعود لي الطمأنينة إلا عندما أرى أنه يمضي في اتجاه آخر، وعندئذ أشعر بخير وطمأنينة طوال اليوم. ولا تدور الأحاديث عندنا حول تشيرتكوف، وكل شيء ينم عن الهدوء والخير والطمأنينة. يا رب! هل سيستمر ذلك طويلاً؟ خلصنا يا رب!!

25 أكتوبر. استيقظت بصورة مبكرة، وأمضيت الصباح مع الآنسة الميدينجين وقرأت ست صفحات من المسودات. زرت مدرستنا الريفية. يوجد لدى المعلم الشاب القليل الخبرة 84 تلميذاً وتلميذة.

جاء في المساء ابني سريوجا، ولعب الشطرنج مع أبيه، ثم عزف على آلة البيانو الكبيرة. إن مجيء سريوجا يبعث على المسرة دائماً. قرأت «مذكراتي» إلى الآنسة عن الحياة في أيام شبابي وزفافي. ويبدو أنها حظيت بإعجابها.

تبادل ل. ن. اليوم الرسائل مع جاليا تشيرتكوفا. فسألته عن أي شيء؟ والآن صار يتعلل بذريعة جديدة، ويستغلها بصورة سيئة بقوله إنه نسي. وطلبت منه رسالة جاليا فقال إنه لا يعرف أين هي، وهذا غير صحيح أيضاً. قل: «أنا لا أريد أن أريك إياها». ويتكرر في الفترة الأخيرة الكذب والخداع والمكر... ما أشد ضعفه الأخلاقي! إلى أي مدى فقد الطيبة والوضوح والصدق! هذا أمر محزن، وثقيل، ومحزن بشكل مؤلم! لقد أغلق قلبه مجدداً، وبرز مجدداً شيء شرير في عينيه. أما قلبي فيئن من الألم، ولا أرغب في الحياة مجدداً، وتفقد يداي القدرة على عمل أي شيء.

إن الروح الشريرة ما زالت تجوب في البيت وفي قلب زوجي. «ليبعث الرب، وليهزم أعداؤه».

إنني أنهي هذه اليوميات الفظيعة وأضع عليها الختم لفترة طويلة، فهي تتضمن تاريخ آلامي الشديدة!

اللعنة على تشيرتكوف، الذي كان سبب ما كابدته من آلام.! ليسامحني الرب.

7 نوفمبر. في السابع من نوفمبر وعند الساعة السادسة صباحاً فارق ل. ن. الحياة.

9 نوفمبر. أنا لم أدوّن ما جرى في يومي 26 و27، ولكن في 28 أكتوبر عام 1910، وعند الساعة 5 صباحاً غادر ل. ن. البيت خفية برفقة د. ب. ماكوفيتسكي. وكانت ذريعة هروبه، أنني قلبت أوراقه ليلاً، مع أنني ولجت مكتبه للحظة. لكنني لم أمس أية ورقة، كما لم توجد أية أوراق على الطاولة. وفي الرسالة الموجهة إليّ (إلى العالم بأسره) يدور الحديث عن الحياة المرفهة والرغبة في *الانعزال* والعيش في كوخ كالفلاحين. لكن لماذا استدعى ابنته ساشا وفارفارا ميخايلوفنا التي تعيش على حسابها؟

عندما علمت من ساشا ومن الرسالة بهروب ل. ن. ألقيت في حالة الجزع بنفسي في البركة. فانتشلتني ساشا وبولجاكوف، وآسفاه! وبعد ذلك لم أتناول شيئاً من الطعام طوال خمسة أيام، وفي 31 أكتوبر وعند الساعة

السابعة والنصف تلقيت من هيئة تحرير صحيفة «روسكويه سلوفو» برقية جاء فيها: «أصيب ليف نيقولايفتش بالمرض في محطة استابوفو، درجة الحرارة 40». فسافرت مع ابني أندريه وابنتي تانيا إلى أستابوفو من تولا بالقطار السريع. ولم يسمح لي برؤية ل. ن. ومنعوني بالقوة وأغلقوا الأبواب ومزقوا نياط قلبي. وفي 7 نوفمبر وعند الساعة 6 توفي ليف نيقولايفتش. وفي 9 نوفمبر ووري الثرى في ياسنايا بوليانا.

«ليسامح الناس تلك المرأة التي ربما كانت عاجزة، منذ أعوام الشباب، عن أن تحمل على كتفيها الضعيفتين تلك المهمة الرفيعة- أن تكون زوجة رجل عبقري وإنسان عظيم».

هذا ما كتبته صوفيا أندرييفنا تولستايا في عام 1913م عقب وفاة زوجها كاتب روسيا الكبير ليف تولستوي، بعد أن عاشت حوالي نصف قرن إلى جانبه، وشاطرته صعوبات الحياة في المجتمع القيصري المتزمت، وفي صعوده سلّم المجد حتى أصبح من أشهر كتاب روسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. إن اليوميات هي بمثابة رواية للأحداث اليومية التي تجسد خصال الكاتب وموقف زوجته من سلوكياته معها ومع الاخرين، وأفكاره الطليعية في ذلك الزمان، ومعاناتها بسبب هذا كله.



إنها تزوجت الكونت ليف تولستوي في عام 1862م، وأصبحت تحمل لقب كونتيسة، حين كانت في سن 18 عاماً، بعد أن شبّت بلا هموم في كنف أبيها اندريه بيرس طبيب الأسرة القيصرية الذي عاش مع أسرته في شقة حكومية في داخل الكرملين. واكتسبت صوفيا الكثير من العادات الأرستقراطية وحصلت على تعليم جيد من إجادة ثلاث لغات أجنبية، هي الفرنسية والإنجليزية والألمانية، والعزف على البيانو، ناهيك عن الاطلاع على الآداب العالمية. واتسمت بطبيعة شاعرية وبمواهب عدة تركت أثرها في العلاقات مع زوجها لاحقاً، حيث أحبت صوفيا سحر الطبيعة في الريف الروسي، كما أحبت الموسيقى والفن عموماً، وخالفت زوجها في تقييمه للفنون الذي ورد في كتابه "حول الفن".

وكان تولستوي قد أصبح آنذاك كاتباً معروفاً ونافس حتى تورجينيف في الشهرة، وترجمت أعماله إلى اللغات الأجنبية. وقد شق طريقه في ميدان الأدب بعد تجارب حياتية قاسية منها الخدمة في الجيش والمشاركة في حرب القرم ومن ثم في القوقاز بصفة ضابط مدفعية، وعرف كل مساوئ حياة الضباط آنذاك من سكر وعربدة ومعاشرة الغجر وبنات الهوى ولعب القمار.



مكتبة 411

لوحة الغلاف: Ilya Efimovich Repin